الأب بيوس عفاص

قراءة جديدة للعهد الجديد

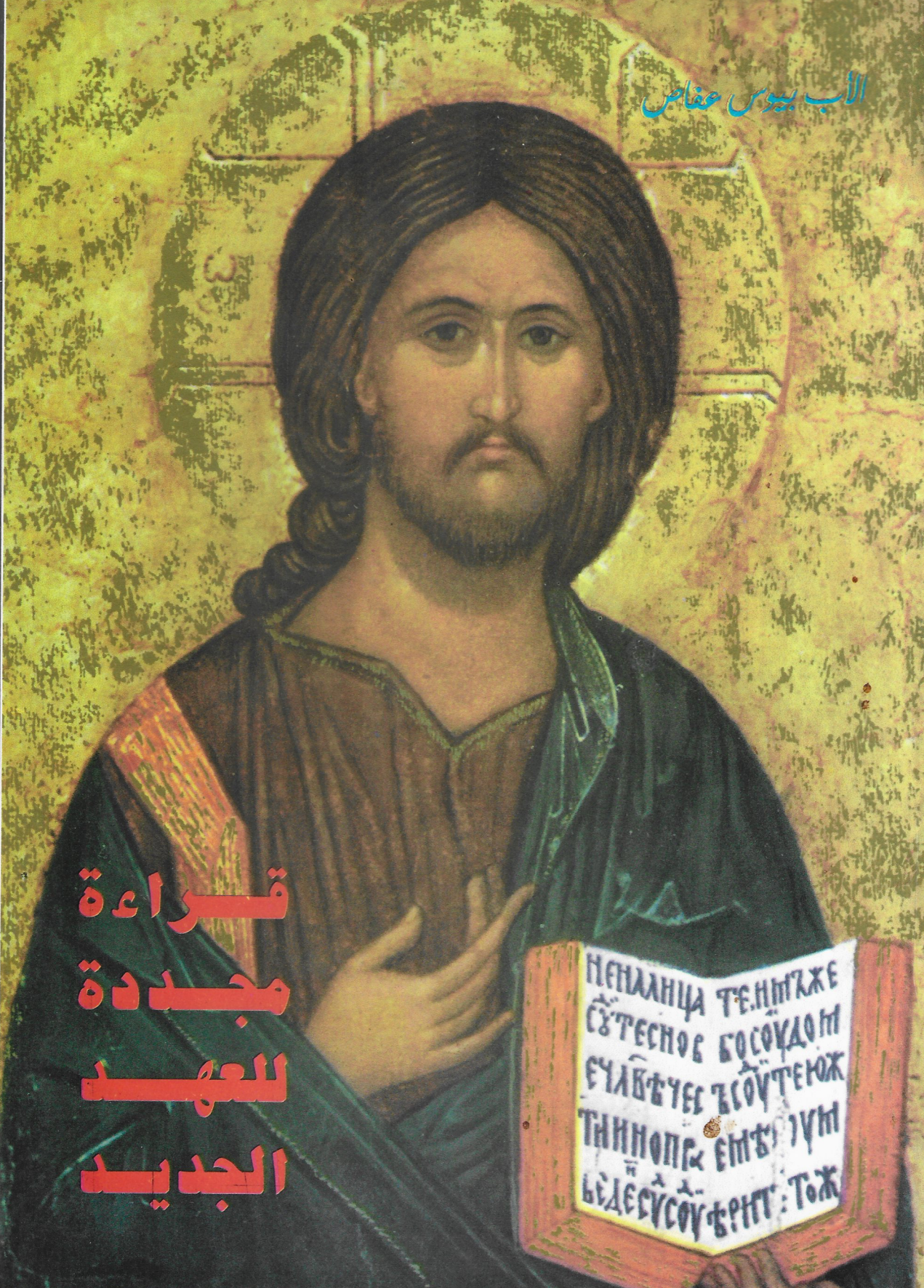

إذا كانت لي مشورة..

قارئي

لا يُخِفْكَ حجم هذا الكتاب! فلقد أصبح ما أصبح، لأنه شاء أن يكون "دليلاً" يرافق مسيرتك الى لقاء المسيح الحي على الدرب، درب حياتك.. فلم يسأم أسئلتك الكثيرة التي حملته احياناً على التكرار! ولم يخش إن حملتك اجاباته على الدهشة أو الإرتياب...

قارئي "العزيز"!

-وقد أصبحت عزيزاً لكثرة ما تخيلتك أثناء الكتابة! وَلَكَم حاورتك وتوجهت اليك بالنداء.. لي مشورة أسوقها إليك، مع يقيني بأنك ستقبلها طالما أنك أمسكت بهذا الكتاب، وقبلت أن تغامر في قراءته! وأملي أن يكون هذا الرهان فاتحة رؤية جديدة لحياتك في نور كلمة الحياة...

ومشورتي لك مشورتان: أن تبدأ، أولاً، بقراءة مقدمة الكتاب، لأني حرصت أن أدَعَكَ تشعر بأنك معنيٌّ ببشرى تتوجه إليك "اليوم"، وأنك مدعو الى السعي الجاد كي يصبح الإيمان لديك "قضية حب"، وتضحي الحياة المسيحية عندك "شهادة" للقائم من بين الأموات...

ومشورتي الثانية -وهي الأكثر أهمية- فهي ألا تتوقف عن هذه القراءة مهما بدت لك مثيرة أو محبطة.. حتى وإن خُيِّل إليك أن هذه "القراءة المجددة" تذهب بك في منعطفات.. وقد تُخلص الى أن لا جدوى منها! فإذا التزمت مواصلة القراءة -وإني لواثق من أنك فاعل- فسوف تبقى تعجب كيف ذهبت بك "قراءتك المجددة" بعيداً، وبعيداً جداً، حتى أنك لن تعود تستطيع أن تقيس المسافة التي قطعتها..!

الآب بيوس عفاص
من كهنة يسوع الملك

قراءة مجددة
للعهد الجديد

منشورات
مركز الدراسات الكتابية ـ الموصل
١٩٩٨

لا مانع من طبعه
الاب لوسيان كوب المخلّصي
بغداد في ١٩٩٨/١٠/٥

ليطبع
المطران قورلس عمانوئيل بني
الموصل في ١٩٩٨/١٠/٢٢

طبع بمساهمة الأخت مارت سينينجر رئيسة مؤسسة Vatelot

مقدمة

.. رأيت انا ايضاً!

... يُخيّل إليّ لأول وهلة بأن هذا الكتاب سار على منوال الاناجيل وسائر اسفار العهد الجديد! ذلك لانها كلها كتبت لتلبي حاجة مؤمنين إلى مزيد من الفهم لسر يسوع، وتجيب إلى تساؤلاتهم والتساؤلات المطروحة عليهم، وتوقظ بالتالي وعيهم لمسؤولياتهم الرسولية في قلب مجتمعات انسانية ، متباينة في الفكر والرأي والنظرة والسلوكية... وهكذا -إن صح التشبيه- هي الحال بالنسبة إلى هذا الكتاب المتواضع الذي يود ان يكون "دليلاً" يسند المؤمنين في بحثهم النزيه عن سر يسوع الناصري المصلوب، ويرافق مسيرتهم الدؤوبة إلى لقاء المسيح الحي القائم من بين الاموات.. وجل مبتغاه ان يكون واياهم على طول موجة واحدة تمكّنهم من تلقّي، مجدّداً، بشرى (انجيل) ما زالت، منذ الفي عام، تتوجه إليهم وتناديهم ليكونوا لها شهوداً في عالم اليوم، وهو على عتبة الألف الثالث!

وسيسامحني القارئ إن استعرت برهة اسلوب لوقا ومفرداته -وهو الانجيلي الذي شدتني إليه اواصر صداقة متينة، وقد سبق واستعار، هو ايضاً، لغة "المؤرخ" و"الصحافي" (!) المؤمن، ليبلّغ رسالة إلى بني جيله في الثمانينات- لأخاطب قلبه وضميره عبر هذا الكتاب الذي اردته، انا ايضاً، يحمل في ظاهره طابع التحقيق الدراسي والتحليل العلمي والاستقصاء الموضوعي.. ولكنه في الواقع رسالة تتوجه إلى اعماق كيانه وتنتظر منه جواباً! فلقد حرصت ان يكون بمثابة الدليل إلى "مغامرة" اللحاق بالرب الحي.. مغامرة سيرتضي قارئي، على مثال تئوفيلس، ان يخوض غمارها، حتى وإن كلفته ثمنا- وستكلّفه ثمنا غاليا احيانا!

وما احلاها مغامرة! طالما انها ستكون شبيهة بمسيرة تلميذي عماوس اللذين في غمرة تساؤلاتهما الجادة عن أمل ما زال قائما، أدركا، وفي آخر الطريق فقط ، من هو ذاك "الغريب" عن اورشليم الذي أدركهما ورافق دربهما، فيما كانت أعينهما قد حجبت عن معرفته! ولم تنفتح إلا لدى "كسر الخبز"، بعد ان كانت اذهانهما قد تفتحت، هي الاخرى ، على رؤية جديدة لفهم ما كان يجب أن يقرأوه في تدبير الله الخلاصي ، عبر اسفار التوراة والانبياء وسائر الكتب..! أوَلسنا في قلب هذا الكتاب؟ أوَليس هذا هو معنى "القراءة المجدّدة"؟ أوَليس إلى مثل هذه القراءة نحن بحاجة، كي تتقد قلوبنا فتتعلّم ان تحبّ ذاك الذي "عنده كلام الحياة" (يو ٦: ٦٨)؟.. قراءة سبق ان لخّصها التلميذان ، وهما يستعيدان المعنى العميق من ذلك اللقاء على الطريق : "أما كان قلبنا متقدا في صدرنا حين كان يحدّثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب" (لو٢٤: ٣٢)؟! -وقد وجد اقتسام الكلمة امتداداً له في اقتسام الخبز...

ايها العزيز تئوفيلس! حبيب الله! -وهو معنى اسمه- وآمل ان يجد القارئ ذاته في هذه المناداة.. ولاسيما اولئك الذين سرت واياهم على طريق عماوس!

"لما اخذ كثير من الناس يدوّنون رواية الامور...
رأيت انا ايضا -وقد تقصيتها جميعا من أُصولها-
ان اكتبها لك، مرتّبة، يا تئوفيلس
لتتيقن صحة ما تلقيت..." (لو١: ١-٤)!

ورأيت انا ايضاً -وقد دخلت إلى عالم الكتاب المقدس الفسيح من احد ابوابه "الضيّقة"!- لدى احساسي العميق بالنقص الكبير في هذا المضمار لدى كنائسنا في العراق، وفي جماعاتنا المسيحية بشكل خاص.. ان امدّ دلوي في هذه البئر العميقة، فأخرج بابرز

نتائج الدراسات الكتابية بشأن العهد الجديد، واقدّمها "مرتّبة"، سلسة وقريبة إلى الفهم.. في خدمة اكبر عدد ممكن من القراء، علّها تساعدهم على قراءة للعهد الجديد تكون اقرب ما يكون إلى روح اسفاره وفكر واضعيها واهدافهم وامانيهم، انجيليين كانوا، ام كتّاب رسائل او موعظة او رؤيا...

ولا اخفي بان هذا المشروع كان يتجاوزني، لولا اعتمادي مجموعة من المؤلفين من ذوي الاختصاص الذين عرفوا كيف يضعون نتائج ابحاثهم في متناول الجميع، واخص بالذكر الاب اسطفان شربنتييه الذي سيشعر القراء بدَيني له ، لوفرة اقتباساتي من كتبه وفي مقدمتها "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس" الذي يبقى "الدليل " الأكبر للراغبين في المتابعة..! كما انني مدين للعديد من الكتّاب، سواء كانت مؤلفاتهم بالفرنسية ام نقلت إلى العربية، واخص بالذكر اولئك الذين دبجوا الكراريس الانجيلية تحت عنوان "Cahiers "Evangile، وقد نقل عدد منها في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"، أو اولئك الذين أسهموا في تأليف ((ملفات الكتاب المقدس)) (Les Dossiers de la Bible) -وسيجد القارئ هذه المصادر مثبتة في الهوامش والحواشي العديدة، فضلاً عن "الاطارات" الملحقة بالمتن...

واغتنمها فرصة لأوكد للقراء بأن الدراسات الكتابية الحديثة التي يخرج بها كبار المفسرين، ولا سيما منذ اكثر من نصف قرن، تحمل اضاءات مشعة، تكشف عن عمق المعاني التي تختفي وراء النصوص البيبلية.. وقد كان المسيحيون الاولون يفهمونها احسن بكثير مما نفهمها نحن اليوم! وسنتوصل نحن ايضاً الى فهمها، بفضل هذه العلوم البيبلية...

وفيما اقدّم هذه "القراءة المجددة للعهد الجديد" -وآمل ألا يخيف القراء هذا العنوان!- أتمنى ان تحمل إلى القراء اضواء تثبتهم في ايمانهم، وترسّخ لديهم الثقة بعمق المضامين التي احتوتها اسفار العهد الجديد، بدءً بالاناجيل، مروراً بالرسائل، وانتهاءً بالرؤيا! كما اتمنى ان يكون قرائي من مختلف الطوائف

المسيحية: واشدّد على هذه الشمولية ، لأني على يقين من ان فهماً عميقاً للكتاب المقدس سيكون عامل وحدة عميقة بينهم جميعاً في المسيح يسوع.. وهو "قبل كل شيء، وبه قوام كل شيء"! (قول ١: ١٧).

وسأكون قد حققت بعض امنياتي إن استطعت سبيلاً إلى:

- ان اكشف لقرائي ما في هذه "القراءة المجددة للعهد الجديد" من جدّية ورصانة، بحيث تضعهم من جديد امام بشرى ما زالت ، بعد الفي عام، جديرة بالقبول والتصديق.. فيزدادون ثقة بمصداقيتها!
- ان ارافقهم في مسيرتهم الجادة إلى الاهتداء إلى ما في هذه البشرى من نداء ملح إلى عيش خبرة ايمانية اصيلة، على طريق اللقاء بيسوع القائم من بين الاموات ، وهو ذاته يسوع الناصري المصلوب!
- ان احملهم، عبر هذه الجولة في العهد الجديد، على قراءة اسفاره كلها في ضوء قيامة الرب، قراءة تحمّلهم مسؤولية الشهادة للمسيح الحي في قلب مجتمعاتهم، فيكونون "إنجيلاً" مفتوحاً أبداً يقرأه جميع الناس!

الأب بيوس عفاص

دير مار اشعيا / برمانا (لبنان)
في ١٠ حزيران ١٩٩٧

إهداء

اليك (...) يا مَن..

ت • أنت على يقين من ان مسيرتك الايمانية تتجذر في خبرة ايمان الجماعات المسيحية التي رسمت وجه يسوع...

ء • ورحت تعي (تعين) بأن لك، في الانجيليين، اربعة ادلاّء لا غنى عنهم للكشف عن سر يسوع وملامحه...

و • وبقيت تبحث (تبحثين) عن مفتاح لقراءة الاسفار المقدسة -ومفتاح القراءة المجددة هو بيد الرب القائم.. يمنحه لمن يشاء...

ف • ولم تزل (تزالي) تسعى (تسعين) إلى لقاء الرب المُمَجَّد عبر تلمساتك على طريق عماوس: اما كان قلبنا متقداً فينا...

ي • مَا اروع مغامرتك، في ظلمة الايمان ونوره، وأنت تحثُّ الخطى إلى اختبار المسيح الحي لدى كسر الخبز...

ل • لا سيما وقد ادركت ان لا سبيل إلى التمتع بلقاء الرب يسوع، إلاّ على درب الصليب، حين تصبح (تصبحين) لإخوتك خبزاً مقتَسَماً...

س • فطوبى لك لانك عرفت ان تجعل (تجعلي) من قصتك مع يسوع ((قضية حب)) وموضوع ((شهادة))..!

أهدي هذا الكتاب

الموصل في ١٩ تموز ١٩٩٨

"... فيه كانت الحياة
والحياة نور الناس
والنور يشرق في الظلمات
والظلمات لم تدركه!

ظهر رجل مرسَلٌ من لدن الله
اسمه يوحنا
جاء شاهداً ليشهد للنور
فيؤمن عن شهاوته جميع الناس
لم يكن هو النور
بل جاء ليشهد للنور
أما النور الحق
الذي ينير كل انسان
فكان آتياً الى العالم (...)

والذين قبلوه
-وهم الذين يؤمنون باسمه-
فقد مكّنهم أن يصيروا أبناء الله
(يوحنا ١: ٤-١٢)

والدينونة هي
أن النور جاء الى العالم
ففضّل الناس الظلام على النور
لأن أعمالهم كانت سيئة
فكل من يعمل السيئات
يبغض النور
ولا يُقبل الى النور
لئلا تفضح أعمالُه
وأما الذي يعمل بالحق
فيُقبل الى النور
لتظهَرَ أعمالُه أنها صُنِعَت في الله
(يوحنا ٣: ١٩-٢١)

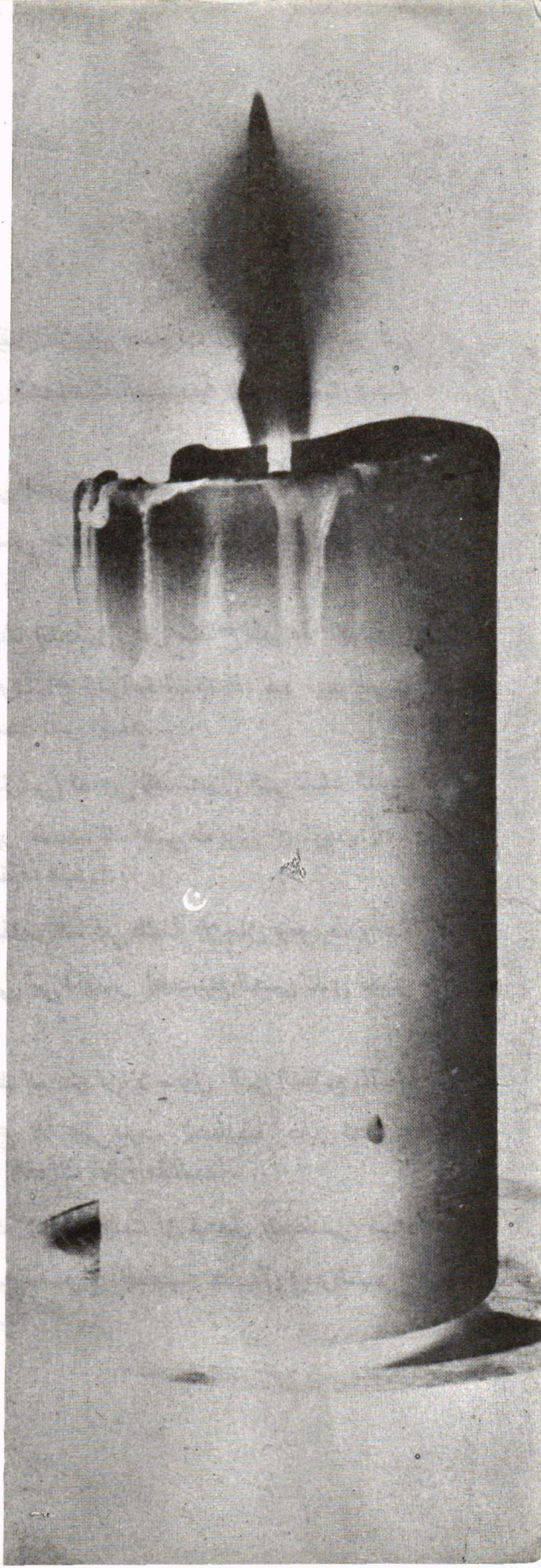

الفصل الأول

مفتاح لقراءة النصوص الكتابية

الفصل الاول

اولاً: نحن امام نصوص

١-..ومن ثم نفهم
٢-بين الواقع والصحيح
٣-نؤمن كي نرى ونفهم

ثانياً:امام نصوص تخضع للبحث

١-البحث عن معنى النص
٢-دراسة النص:
أ. التحليل التاريخي النقدي
ب.التحليل البنيوي

ثالثاً:من اجل دراسة النصوص

١-أدوات العمل
٢-دليل إلى القراءة الكتابية
أ. القواعد السبع
ب.نموذجان
- يسوع يلتقي مقعداً
-رواية القيامة بحسب لوقا

الاطارات

١) الاساليب الادبية في ك.م.
٢) ما هو الحدث التاريخي
٣) ما هي كلمة الله؟
٤) مراحل في علم التفسير البيبلي
٥) الكنيسة والدراسات البيبلية
٦) علبة ادوات العمل

مفتاح لقراءة النصوص الكتابية

لا بد لنا، بادىء بدء، من مفتاح يمكّننا من الدخول إلى نصوص تفصلنا عنها بضع مئات من السنين..نصوص ضمّنها مؤلفوها حصيلة اختباراتهم الايمانية، ونحن مدعوون إلى ان نشاركهم ايمانهم كي يتسنى لنا ان نلج إلى عمق المعاني التي تحملها- ويصح ذلك على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد: نؤمن لنفهم!

ولما كنا، مع اسفار العهد الجديد، بازاء نصوص عاشها مؤمنون قبل ان يدوّنوها -وقد دوّنوها في ضوء ايمانهم بقيامة الرب-، يترتب علينا ان نتلمس السبيل إلى معرفة مقاصد كتّابها واهدافهم... وهكذا نجدنا في قلب طرق التحليل والاستقصاء وفك الرموز، بحثاً عن المعاني التي تختفي وراء النصوص. ولنا في ذلك طريقتان للتحليل (التاريخي والبنيوي) طالما يستخدمها علماء التفسير-وستوضح "الاطارات" بعض الجوانب من علم التفسير- في الكشف عن مضامين الاسفار المقدسة.

هذا الفصل التمهيدي يسعى إلى جعلنا نكتسب الفة مع اساليب البحث العلمي عبر "ادوات العمل" المختلفة التي تمكّننا من التعامل الجاد مع الكتاب المقدس، ونتدرب على الدخول إلى بنية النصوص بغية استخراج معانيها العميقة ومراميها البعيدة عبر "دليل إلى القراءة الكتابية" حيث نجد فيه مفتاحاً لا غنى عنه لقراءة مجدية... ونحن بالتالي على يقين من ان الكتاب المقدس لم يوضع ليُدرَس، وانما ليُقرأ ويكون موضوع تأمل، وتحمل قراءته إلينا نوراً وحياة...

تلك هي بإيجاز المغامرة التي نقدم عليها في هذا الكتاب الذي يريد ان يكون أشبه بمسيرة ايمانية إلى لقاء المسيح الحي "على الطريق)) في خُطى تلميذَي عماوس!

مدخل

حتى عهد قريب لم يكن احد من المسيحيين يجرؤ على طرح التساؤلات بشأن الكتاب المقدس، وهو كلام الله، ولا سيما حين كانت تُشتَمُّ من تلك التساؤلات رائحة الشك والتشكيك... وقد يسمح بعضهم لنفسه ان يتساءل عن عبارات او مواقف في العهد القديم تخدش مشاعره وتثير دهشته، سواء جاءت على لسان الله ام على لسان انبيائه، او يتساءل عن سبب الفروقات بين الاناجيل الاربعة او يستفسر عن معنى عبارة عسيرة وردت في رسائل القديس بولس، او عن المغزى العميق من سفر الرؤيا المحيّر. ولكن لا يجسر الكثيرون ان يطرحوا سؤالاً عن صحة نسبة الاناجيل الى هذا الانجيلي او ذاك، او يتساءل عن ما اذا كان يسوع قد قال هذه العبارة او لم يقلها.. واذا كانت هذه المعجزة قد تمت كما رواها الانجيلي، أو كان للانجيلي هدف مُعيّن من روايتها بهذا الشكل.. وإذا كانت تلك النبوءة من العهد القديم قد قيلت اصلاً في يسوع، أو ان الانجيلي قد طبّقها على يسوع...

وفي مثل هذا المناخ لا عجب ان يشكّك في نزاهة من يقول بأن "احداث" البشارة بيسوع وميلاده وطفولته.. كتبت في ضوء قيامته ، وان الفصول التي تتحدث عن طفولة يسوع في الاناجيل ليست من قبيل السرد التاريخي ، وإنما هي بالاحرى من قبيل التفكير اللاهوتي! ولا عجب إذا ماعُدَّ خَطِراً ذاك الذي يتعامل مع النصوص الانجيلية تعاملاً نقدياً، فيُميّز بين الحدث والقصة والامثولة وبين المعجزة ورواية مجرياتها... كما يُميّز بين اقوال او امثال فاه بها يسوع، وبين اخرى وضعت على لسانه بعد ان أُضفي عليها ايمان الجماعة المسيحية الاولى بقيامته... وقد يُتّهم آخر بالانحراف عن الايمان اذا ما سعى الى وضع تعاليم يسوع ومواقفه وردود فعله في إطار خبرة المسيحيين الاولين وشهادتهم الايمانية... او طرح مقولة تكون الاناجيل بموجبها قد عكست وجه الجماعات المسيحية الناشئة واجابت الى تساؤلاتها وحاجاتها.. بقدر ما عكست وجه يسوع الناصري الذي عاش في الثلاثينات... ويبلغ الاتهام أوَجَه اذا ما كتب احد الباحثين بان الانجيليين هم "مؤلفون" بكل معنى الكلمة حاولوا ان يرسموا لنا وجه يسوع الحي الحاضر في الجماعة المسيحية التي ينتمون اليها... وقد كان لكل منهم رؤيته الايمانية ونظرته اللاهوتية الى يسوع، وكان له من ثم روايته الخاصة لاقوال يسوع واعماله، ولا سيما لآلامه وموته وقيامته، والتي تختلف في طروحاتها واهدافها عن رواية الانجيلي الآخر...

مثل هذه الطروحات قد لا يطيب لنا ، نحن المؤمنين، ان نضعها على بساط البحث او المناقشة خشية ان تذهب بنا في مسالك لا مخرج منها ، او تزعزع لدينا قناعات ثابتة لا يروق لنا ان نعيد النظر فيها، وقد تذهب بنا مثل هذه المخاوف الى إقامة جدار كثيف بين ما تلقيناه في حداثتنا من مبادئ التعليم المسيحي وبين ما تخرج به علينا الدراسات الكتابية (البيبلية)[1] الحديثة من طروحات ومعالجات.. اذ يخيل الينا ان هذه الطروحات تنال من ايماننا وتعرّضنا لخطر فقدانه، بينما هي في الواقع تلقي اضواء من شأنها ان ترسخه وتعمقه ، مضفية عليه ابعاداً جديدة بفضل العلوم التاريخية والاجتماعية والأنتربولوجية والآثارية...وكل ذلك بهدف فتح سبل جديدة امامنا للدخول في فهم اكثر عمقاً واصالة للكتاب المقدس ، في عهديه القديم والجديد ، وهو تلك الموسوعة من الكتب (٧٣ سفراً) امتدت كتابتها على اكثر من ٢٥٠٠ سنة، وتختلف في بنيتها الانشائية كما في فنونها الادبية ، وقد تناولت موضوعات متفاوتة في الاهمية على صعيد الشكل والمضمون، بدءً بسفر التكوين وانتهاءً بسفر الرؤيا، مروراً بأسفار قد لا نفهم محلّها في مجمل الكتاب المقدس ، الى جانب اسفار اخرى نعتز بها ايما اعتزاز -وهي لنا مصدر الهام وتعزية- وصولاً الى الاناجيل التي هي نور وحياة، ومن دون ان نُحجّم مكانة سفر اعمال الرسل او وزن رسائل القديس بولس "البليغة"..!

ليس بوسعنا ان نقوم بعملية اعادة نظر شاملة في اعتقاداتنا وقناعاتنا وما رافقها من مكتسبات وموروثات وافكار ثابتة بشأن الكتاب المقدس.. فتلك مهمة تفوق قدراتنا[2] .وانما همنا الاكبر هو ان نقدم للقراء مدخلاً الى اجواء الكتاب المقدس بشكل عام، ودليلاً إلى قراءة مجددة للعهد الجديد بشكل خاص. وقد اخذنا على عاتقنا ان نضع بين ايديهم اداة تساعدهم على الدخول الى عالم المسيحيين الاولين وتُمكّنهم من فهم المحاور الرئيسة التي استقطبت اهتمام كتّاب اسفاره، والانجيليين منهم بنوع خاص، وقد

---

[1] تدل عبارة "بيبليا" في الاصل على الرق المستخدم للكتابة منذ القرن ٦ ق.م. والذي كانت تشرف على تجارته مدينة بيبلوس (جبيل/لبنان)... وسرعان ما دلت على الكتابات ذاتها، واطلقت من ثم على التوراة وشملت العهد القديم . وفي القرن ٤ الميلادي اطلقت على الكتاب المقدس برمته ،ودخلت في اللغات الغربية (BIBLE). ونستخدمها هنا كمرادف لكلمة "كتابية".

[2] نتمنى ان يطلع القراء على كتاب نفيس للاب اسطفان شربتيه لا غنى عنه لكل متتبع للدراسات الكتابية: "دليل الى قراءة الكتاب المقدس"، تعريب الاب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق-بيروت ١٩٨٣/ط١. وقد اعتمدناه كثيراً في كتابنا هذا ولا سيما في هذا الفصل، وسنشير الى ما نقتبسه منه بعبارة (دليل/ص). كما نشير الى كتابين آخرين من تأليفه ظهرا في "سلسلة دراسات في الكتاب المقدس" (دار المشرق):" تعرّف الى الكتاب المقدس" (رقم ٩-١٩٨٧)، "من الاناجيل الى الانجيل" (رقم ٢١-١٩٩١)وسنشير اليه بعبارة (من الاناجيل.../ ص). وفيما نوصي بكل اعداد هذه السلسلة الكتابية، نشير إلى عدد خاص في "الكتاب المقدس" من مجلة الفكر المسيحي (الموصل-العراق) : ت١، ت٢ ١٩٨٢ ، فضلاً عن العديد من المقالات الكتابية التي نشرتها المجلة على مدى ٢٤ عاماً (راجع الكشاف للاعوام ١٩٧١-١٩٨٠، ١٩٨١-١٩٩٠، ١٩٩١-١٩٩٤).

كتبوا بعد قيامة الرب يسوع بفترة تتراوح بين ٢٠-٧٠ سنة، وكتبوا بصفتهم مؤمنين وواعظين اكثر من كونهم مؤرخين او وثائقيين، ويترتب علينا من ثم ان نهتدي الى ما أرادوا ان يقولوه لنا من خلال "بشاراتهم"... وغني عن القول ان من شأن هذا التوجه في قراءة العهد الجديد بشكل عام ، والاناجيل بشكل خاص، ان يسقط العديد من الصعوبات التي لا طائل تحتها ، ويبدد الكثير من الاشكالات التي لازمت، ولزمن طويل ، قراءتنا وفهمنا للانجيل -وهو بشرى واحدة ووحيدة- وللاناجيل، وهي شهادات ايمانية حية لهذه البشرى الفريدة!

اولاً: نحن امام نصوص

في الاناجيل، كما في سائر اسفار العهد الجديد، نحن بإزاء شهادات ايمانية كانت في الاساس كرازة شفهية تحولت من ثم الى "كتابات" أو "نصوص"! وما دمنا بإزاء نصوص دونت قبل الفي عام، فلا مناص إذن من طرق واساليب لقراءة هذه النصوص، بغية فك رموزها واستجلاء معانيها والكشف عن ما يختفي وراءها من مضامين. لذا كان من الضروري ان نبدأ مسيرتنا "الدراسية" هذه بالانكباب على بعض المعطيات الرئيسة التي من شأنها ان تساعدنا على التعامل بشكل سليم مع هذه النصوص .

نحن اذن امام نصوص قد مضى عليها حوالي الفي سنة ! نصوص هي ولا شك نتاج "أدبي" يرقى الى زمن عريق وينتمي الى حضارة اصبحت بعيدة، إن لم نقل غريبة عن حضارتنا ، يسبح في مناخ ثقافي واجتماعي اصبح من الصعب اكتشاف مقوّماته وصفاته وملامحه. ولكننا في الوقت ذاته بإزاء نصوص تشدنا اليها وشائج القربى الايمانية، نصوص كانت، بادئ بدء، بشارة تلقاها اناس تتلمذوا ليسوع الناصري، وعاشوها بفرح قبل ان يعلنوها بجرأة، و لم تكتب الا بعد ان نشأت جماعات مسيحية نشطة كانت تشهد للمسيح الحي الحاضر في ما بينها . ومن الجدير بالذكر ان هذه النصوص لم يحررها مؤرخون او صحفيون محترفون بهدف توثيق المؤمنين، ضمنوها إيمانهم بيسوع الحي بشكل يدفع قراءهم الى التعلق به..

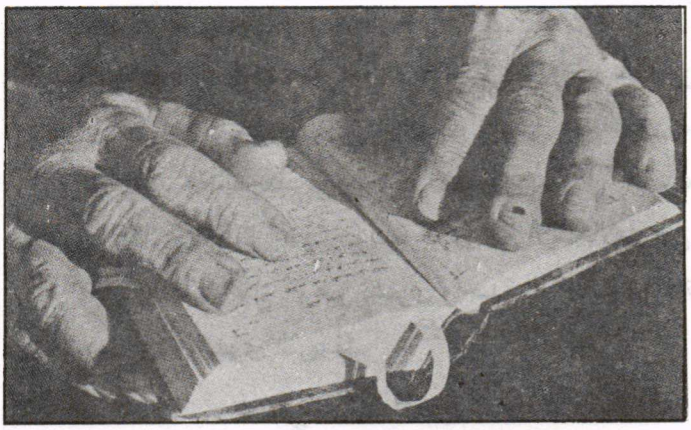

.. نصوص كتبها مؤمنون لمؤمنين! لتكون موضوع تأملهم...

ويصح ذلك في الاناجيل كما في كل اسفار العهد الجديد !

واليكم هذا المثل... انه يساعدنا على حسن التعامل مع هذه النصوص بهدف استخراج معانيها العميقة :

عثرت يوماً بين اوراقي على رسالة كتبتها لي امرأة ارملة جواباً على رسالة تعزية كنت قد بعثت بها اليها لدى سماعي بوفاة زوجها في حادث سيارة ، وكان في طريقه الى نجدة احد اقربائه البعيدين في قرية دمّر فيضان السيول عدداً من دورها ومزارعها! واخذت اقرأ هذه الرسالة من جديد وقد حكت فيها هذه المرأة عن زوجها بمرارة استشففتها من عباراتها التي يبدأ بعضها ولا ينتهي، فيما بعضها الآخر يسترسل في تفاصيل عن آخر سفرة قامت بها واياه برفقة اولادهما الى شمال البلاد... وَلكَم وضعت من علامات التعجب والاستفهام وهي تناقشني وتناقش ذاتها عن معنى هذا الموت القاسي الذي اختطف منها في برهة شريك حياتها ، وحرم اولاداً كانوا بحاجة الى حبه وسهره وتفانيه وحزمه.. ومع ذلك كانت رسالتها مفعمة بالايمان والرجاء بالرغم من بعض عبارات اليأس الذي يسببه الالم العميق! ولَكَم لمست ، وانا أُعيد قراءة هذه الرسالة ، بعد عشر سنوات على كتابتها ، عمق الحب الذي كان يربطها به ، وقد عرفت واياه طعم الحياة ، بحلوها ومرها ، حتى في احلك الساعات التي قضياها في تلك الدار الضيقة المائلة للسقوط في ذلك الزقاق الذي لا منفذ له...

لقد كانت هذه الرسالة الطويلة من اجمل الرسائل التي تلقيتها وكان لها الاثر العميق في نفسي، ليس لهذه الصداقة التي كانت تربطني بتلك الاسرة وحسب ، بل لانها كانت رسالة فريدة تضمنت صدقاً وانفتاحاً وفلسفة وروحانية ورؤية ايمانية فريدة..! ولقد وجدتني، وانا اقرأها مجدداً، امام تساؤلات جوهرية في حياتي، ولا سيما وقد قرأتها في ضوء الاحداث التي كان العراق لها مسرحاً في الاشهر الاولى من عام ١٩٩١، إبان حرب الخليج ! ولَكَم احسست بأن هذه الرسالة اصبحت اليوم بالنسبة لي "رسالة" أقرأ على ضوئها حياتي وعلاقاتي وافراحي ومعانياتي ...

من هذا المثل نستطيع ان نستخلص نقاطاً تلقي الضوء بصدد النصوص الكتابية التي نسعى الى إيجاد سبل لفك اسرارها ومعانيها[٣]:

١- ومن ثم نفهم!

اول ما نقوله انطلاقاً من هذا المثل ان الحياة التي عاشها هذان الزوجان قد تحولت، عبر هذه الرسالة، الى "نص"! اعني انها انتقلت من خبرة وجدانية شخصية عاشاها سوية الى نص" ادبي" انشائي يعبّر، قدر المستطاع، عن هذه الخبرة ،وبكلمات قد لا تؤدي دوماً كل البعد والغنى اللذين تنطوي عليهما هذه الخبرة . غير ان المهم هو اني، من خلال هذا النص الذي بين يدي -وبوسعي ان اعيد قراءته مراراً واكتشف فيه كل مرة معاني جديدة ! استطعت ان ادخل الى عالم هذين الصديقين، وافهم جانباً من حبهما وادرك بعض اوجه حياتهما المشتركة ... واني، عبر هذه الرسالة التي ضمّنتها الزوجة المنكوبة كل مشاعرها ومعانياتها، اكتشفت الوجه الخفي للحب الذي كانت تكنّه لزوجها،وتكنه له اليوم بشكل اكثر عمقاً وقوة ، ولا سيما حين وجدتني تجاه هذه العبارة : "الآن عرفت كم كان قلبه كبيراً، وكم كان عميقاً لديه الاحساس بضرورة الاقتسام مع المنكوبين (...) وتعزيتي الكبرى هي تلك الشهادات التي ادلى بها الكثيرون وعبروا فيها عن تقديرهم له..."! او حين استوقفتني هذه الجملة المؤثرة :"... والان اخذت افهم ماذا كان يعني حين كان يكرر مراراً كلام يسوع في الانجيل: [العطاء اكثر غبطة من الاخذ].. ولم اكن ادري بكل الخير الذي كان يصنعه في الخفاء..!"

ان الاحداث التي اوردتها هذه الارملة في رسالتها اتخذت لها ، في نظرها ، معاني جديدة لم تكن تحملها آنذاك، كما ان تلك المعاني لم تكن بعين القوة التي اتخذتها بعد موته المفاجئ ! وان روايتها هذه الاحداث بهذه الحيوية، حملتني انا ايضاً على مشاركتها نظرتها وقناعاتها بشأن صديق ازدادت معرفتي به غنى وعمقاً على اثر الرسالة، ولا سيما بصدد رؤيته الايمانية التي حملته ان يجعل من كلام يسوع قاعدة لحياته! - وتجدر الاشارة الى ان هذه العبارة لم ترد في الاناجيل ، وانما في سفر اعمال الرسل (٢٠: ٣٥) وعلى لسان القديس بولس في حديثه الى شيوخ كنيسة افسس ! ولعل اكثر ما لفت انتباهي في هذه الرسالة قولها :" الآن بدأت أدرك سبب غضبه الشديد حين كان يمتنع أحد الاولاد

---

[٣] نستلهم في الفقرات التالية ما جاء في دليل الاب شربتييه تحت عنوان "شعب يجدد قراءة حياته" (الدليل / ص ٨-٩).

عن اعارة كتاب لزميل له! وحين كنت انا نفسي اردّ فقيراً يطرق بابنا بعبارة: الله يعطيك! فكان يردّ علي "بقوله: الله يعطيه بواسطتك!"

هذا المثل يفيدنا كثيراً لفهم **الخبرة التي عاشها المسيحيون الاولون في ضوء قيامة الرب** وحاول الانجيليون، بعد زمن غير يسير، التعبير عنها - ويصح ذلك في فهم خبرة ايمان شعب الله الذي انكبّ على قراءة حياته وتوقف لدى ابرز المنعطفات من تاريخه الطويل ، وحاولت الاسفار المقدسة من ثم ، وفي أزمنة متأخرة كثيراً عن الاحداث، التعبير عنها بأساليب ادبية متنوعة ... (**انظر الاطار ١: الاساليب الادبية في الكتاب المقدس**).

هناك ولا شك احداث تجري امامنا ولا تكتسب معنى الا حين تدخل في صلب حياتنا . وكثيراً ما تكتسب معنى اعمق اذا ما نظرنا اليها في وقت لاحق.. وقد تزداد غنى وبعداً بقدر ما نبتعد عن زمن حدوثها . ولدى روايتنا تلك الاحداث ، بعد وقوعها بفترة ما ، فغالباً ما يكون الدافع ابراز المعاني التي اتخذتها لدينا وتتخذها لدينا اليوم ، حتى ان المعنى الذي تكون قد اكتسبته في ذاكرتنا ووجداننا يفوق في الاهمية الاحداث ذاتها التي نرويها! فالذي كان يهم المرأة هو ان ترسم لي، في رسالتها ، صورة لزوجها ذي القلب الكبير، اكثر من اهتمامها بتفاصيل عن حادث السيارة الذي اودى بحياته! وسرعان ما اتخذت كلماته ومواقفه السابقة معاني وابعاداً جديدة بعد موته ، حتى انها راحت تتأمل فيها عبر هذا الفاصل من الزمن ، فأخذت تكتشف اوجها من شخصيته كانت قد خفيت عنها فيما مضى ، حتى انها استطاعت، من حيث لا تدري ، ان تدخلني في هذه الرؤية وتحملني على مقاسمتها قناعاتها...

وإزاء هذا المثل قد نتساءل عن صحة العبارات التي اوردتها المرأة ناسبة اياها الى زوجها المتوفى ؟ ويزداد هذا التساؤل اذا افترضنا انها تكتب اليوم ، وبعد ان تكون قد مضت على وفاته ثلاثون سنة ؟

لا شك ان زوجها المتوفى كان يقول اشياء كثيرة في حياته، وكانت أحاديثه متنوعة بحسب الظروف والمواقف والتي كانت تتراوح بين الجد والهزل ، والحب والحزم ، والمناقشة والمسامرة الخ... الا ان المهم هو انها اوردت اقوالاً مختارة ومميزة لها صداها في حياتها.. وقد اكتفت بعبارات تجسّد الفكرة التي كانت تريد ان تقاسمني اياها... وكثيراً ما ورد في رسالتها مثل هذه العبارة :"...وهذا ماكان يريد دوماً ان يفهمنا اياه" او:"...وكان يردد ذلك مراراً على مسامع الاولاد ..." ، ولكن من دون ان تذكر عباراته بنصها الحرفي ! وهكذا يتضح لنا بأن المهم لديها ليس ان تكرر عباراته كما كان يتلفظ بها ، وانما ان تروي كيف فهمت عباراته تلك ، وكيف اتخذت تلك العبارات معنى في حياتها وحياة اولادها ، آنذاك والآن.. وقد يكون هذا المعنى الآن اكثر بلاغة من ذي قبل ! فها هي تذكّر اولادها بمضمون كلماته.. وها هم الاولاد انفسهم يذكّرون بها بدورهم: " اما كان يقول بابا..؟".

اطار ١

الاساليب الادبية في الكتاب المقدس

لعل اهم وابرز ما خرجت به الدراسات الكتابية في انطلاقتها هو اكتشاف الاساليب او "الفنون الادبية" التي تنتمي اليها النصوص البيبلية. فالاسفار المقدسة دونت في ازمنة مختلفة وباساليب متنوعة وعلى يد مؤلفين كثر ... وباهداف لاهوتية وروحية للاجابة إلى حاجات المؤمنين المختلفة... فلا عجب اذا احتوى الكتاب المقدس، بعهديه، تشكيلة من الفنون الادبية التي اتسمت بها اسفاره ، وقد يحدث ان يتضمن سفر واحد - والانجيل بأولى حجة- مجموعة من الاساليب والفنون ...

وهذه الاساليب الادبية تعكس حياة شعب عبّر عن ذاته ، بأفراحه ومعاناته وتطلعاته ... ، طيلة تاريخه الطويل، عبر الرواية ذات المظهر التاريخي والتي تلامس احياناً الملحمة ! وعبر الاقوال النبوية او الامثولة والقصيدة حتى الغزلية والحربية منها ، وعبر القوانين والخطب والامثال... ونكتفي هنا بالاشارة الى بعض ابرز هذه الفنون في العهد القديم : الرواية - بما فيها الملحمة- والقوانين والرتب الطقسية (ونجدها بنوع خاص في اسفار التوراة الخمسة الاولى كما في اسفار يشوع والقضاة وصموئيل...)، اقوال الانبياء التي تحمل رسالة اكثر مما نبؤات مستقبلية (ونجدها في اسفار الانبياء الكبار الثلاثة والانبياء الصغار الاحد عشر)، الرؤى (ونجدها مكثفة في سفر دانيال)، المزامير والتراتيل والقصائد (ونجدها بنوع خاص في سفر المزامير وايوب ونشيد الاناشيد...)، الحكم والامثال (وتعكسها المؤلفات الحكمية)، الامثولات والقصص (ونجد نماذج لها في سفر يونان وطوبيا واستير ...) الخ...

وهكذا هي الحال مع اسفار العهد الجديد التي استخدم فيها كتابها اساليب مختلفة (انجيل ، رسالة، عظة، رؤيا- مع ما يتضمنه كل سفر من فنون واساليب متنوعة !) كان من شأنها ان تجعل شهادتهم وكرازتهم اكثر وقعاً ، وهي بالتالي " بشرى" تخاطب المؤمنين وتنتظر منهم ان يتجاوبوا معها...(اقرأ الفصل الرابع : الانجيل والاناجيل - فنون ادبية).

الا يشبه هذا المثل في كثير من جوانبه وضع الانجيليين الذين حاولوا ان ينقلوا الينا "بشرى" يسوع وما تخلّلها من مواقف واحداث واقوال وامثال ومعجزات ومجادلات ...؟ ولماذا نصرّ على كون الانجيليين " نقلوا " اقوال يسوع بحرفيتها ، بينما الاهم هو ان ينقلوا الينا كلامه في جوهره والمعاني التي اكتشفوها في ضوء قيامته، **مضفين إليها المعاني التي اتخذتها تلك الاقوال في حياتهم وحياة جماعاتهم المسيحية في السبعينات والثمانينات...؟**

٢- بين الواقع والصحيح !

يتساءل بعضنا ولا شك : هل كل ما ورد في الكتاب المقدس يُعدّ صحيحاً؟ وبعبارة اخرى: الى ايّ مدى نستطيع ان نثبت صحة او مصداقية الامور التي يتحدث عنها الكتاب المقدس في اسفار تنتمي الى فنون ادبية مختلفة..؟ واذا اكتفينا بطرح السؤال حول العهد الجديد ، سنتساءل : اصحيح كل ما نقله الانجيليون من اقوال يسوع وامثاله ومعجزاته ...؟ كيف نفسر الاختلافات الواضحة في نصوص ينقلها الينا الانجيليون باشكال مختلفة ، سواء كانت معجزة او خطبة او مثلاً.. ام كانت احداثاً هامة كنصوص الآلام والقيامة ؟ سيما وان هذه الاختلافات تشمل الشكل والمضمون! وماذا نقول عن احداث ذكرها احد الانجيليين واغفلها- آخر ؟! اليس من المحير ، على سبيل المثال ، ان يغفل انجيل يوحنا عن ذكر تأسيس الافخارستيا خلال العشاء الاخير؟! وبوسعنا ان نكثر الامثلة حين نقابل الاناجيل الازائية[٤] بانجيل يوحنا ، او حين نقوم بمقارنة دقيقة في ما بين نصوص الانجيليين الازائيين الثلاثة (متى، مرقس ولوقا) الذين تلتقي رواياتهم[٥] بقدر ما تتباين! وهذا التباين - بما في ذلك الروايات التي ينفرد بها

---

[٤] "ازائية" تعريب موفق لعبارة (synoptique) الفرنسية التي هي بدورها مقتبسة عن اليونانية وتعني: نظرة في آن واحد ! ذلك لأن بامكاننا ان نضع الاناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) الواحد بازاء الآخر فنكتشف ما يجمعها وما يميزها. وهناك نظريات كثيرة حول " المسألة الازائية" سنتناولها بالتفصيل في الفصل الخامس. وسيتاح لنا آنذاك ان نقدم نماذج عن "الازائية" لبعض النصوص التي سننكبّ على دراستها ومقارنتها.

[٥] عبارة "رواية" قد توحي وكأننا بازاء قصة مختلقة! الا اننا نستخدمها هنا بمعناها الاصيل من فعل (روى-يروي). فالانجيلي هو كاتب يروي بأسلوب ادبي بشارة يسوع في اوجهها المختلفة . فليس انتقاصاً البتة من النصوص الانجيلية إطلاق عبارة روايات عليها ، بما فيها روايات الآلام والقيامة .

احد الازائيين دون الآخر - يشمل الكثير من الروايات، سواء كانت رواية معجزات او امثال، ام كانت روايات الآلام والقيامة بالذات[٦] .

وإزاء هذه الاختلافات -كي لا نقول التناقضات- يفرض السؤال نفسه : هل ما كتبه الانجيليون صحيح؟ أي الانجيليين هو اكثر صحة او اكثر دقة في سرد الاحداث؟ هل يمكن ان نشكك في صدق انجيلي انفرد بكلمات او مواقف ليسوع ، بينما نقل غيره كلمات وتفاصيل اخرى للحدث ذاته؟ ويكفي ان نذكر على سبيل المثال ان لوقا الانجيلي انفرد في روايته للآلام بنسبة ٣/١ عن سائر الانجيليين!

هذه الاسئلة وغيرها تحملنا على توضيح ماذا نعني بعبارة "صحيح"، كما تحملنا على التمييز بين الصحيح والواقعي ، بهدف الوصول الى القول بان كل ما هو "صحيح" ليس حتماً "مطابقا للواقع" أي ان هناك امكانية ان يكون امر ما صحيحاً بكل معنى الكلمة دون ان يكون مع ذلك مطابقاً للواقع!

كثيراً ما نقول بان هذه القصة صحيحة او ان هذه الرواية صحيحة ، ولا يخطر ببالنا ان نتساءل :هل كل ما في تلك القصة او الرواية قد حدث فعلاً ؟ ذلك اننا بإزاء قصة او رواية نعلم مسبقاً ان كل شيء فيها قد اختلقه المؤلف! ومع ذلك يمكننا ، ومن دون حرج ، ان نقول بأن تلك القصة او الرواية صحيحة . ذلك لاننا نعلم انها تعكس احداثاً ومواقف ومشاعر تتطابق مع الواقع الانساني، ولان المؤلف لم يستنبطها وانما استوحاها واستلهمها من واقع الحياة. لذا لا نجد ما يمنعنا عن القول بان كل شيء فيها صحيح، وان كنّا على يقين من ان تلك الامور التي ترويها ليست تاريخية بحصر المعنى ولا مطابقة للواقع!

هذا التمييز بين الصحيح والواقعي يجعلنا نتعامل مع امور ليست مطابقة للواقع، ولكنها مع ذلك على جانب كبير من الصحة والمصداقية، علماً باننا حين نقول بان هذا الامر مطابق للواقع ، فانما نقصد انه حدث من الوجهة التاريخية ، وكان بوسع مسجلة الصوت او عدسة الكاميرا ان توثقه...

لنأخذ مثلاً:

ذهبت يوماً لتهنئة اسرة صديقة انتقلت الى دارها الجديدة في حي راق من العاصمة .. وكم كانت دهشتي حين رأيت على الجدار الممتد في ردهة الاستقبال صورة جبسية صغيرة للعذراء ليست ذات قيمة فنية البتة ، ولا تنسجم مع بقية اللوحات

---

[٦] سنشير في الفصل الثامن الى ابرز الاختلافات بين الانجيليين في روايات القيامة التي نتناولها من ثم بالتحليل لاكتشاف الميزات والابعاد اللاهوتية التي تتسم بها كل رواية . كما سنتناول بالبحث في الفصل التاسع روايات الآلام بحسب كل من الانجيليين، فنقف على القصد اللاهوتي الذي في سياقه تتخذ روايات الآلام والقيامة ابعادها في اطار كل انجيل.

والتحف التي كانت تزيّن الجدران.. وحين لم اتمالك نفسي من السؤال المقترن بشيء من الملامة الى صديقي الذي عرفته ذا ذوق رفيع، جاءني الجواب سريعاً، واضحاً، لا لبس فيه: انها اول رسالة حب منها!! انها هديتها الاولى بمناسبة تخرجي!!

فرسالة الحب هذه ليست في الواقع سوى ايقونة جبسية ليست بذات شأن، ومع ذلك فقد اكتسبت شأناً كبيراً طالما انها في نظره "اول رسالة حب" ! هذا المعنى اضفاه عليها صديقي.. ولم يكن بوسعي ان اكتشفه لو لم يكشفه هو لي. وهكذا اصبح من الصحيح جداً ان يقول عن تلك الايقونة الجبسية : انها رسالة حب ! لا بل اصبحت "رسالة الحب " هذه اكثر صحة مما لو كنا بإزاء رسالة حب بحصر المعنى! وسيكون بوسعي ان اكرر انا ايضاً عبارة صديقي ،لا بل وان ارى في تلك الايقونة " اول رسالة حب" ! ولن اخطئ في رؤيتي هذه التي اصبحت بالتالي اكثر صحة مما لو كنت امام رسالة حب واقعية تحمل توقيعاً وتاريخاً لم تحملهما تلك الايقونة!

ان لكل مثل ولا شك حدوده. فلقد كان السؤال المطروح اعلاه: هل يمكن ان نعتبر صحيحاً امراً ليس مطابقاً للواقع؟ نعم ! وينطبق ذلك على الكتاب المقدس : ففي وسعنا ان نقول بأن **كل ما في الكتاب المقدس صحيح، بالمعنى الذي تحدثنا عنه وإن وجدنا فيه كثيراً من الامور لا تطابق الواقع**.. ويصح ذلك بالنسبة الى الانجيليين انفسهم الذين رووا لنا اقوالاً ليسوع ودبجوا روايات امتدت من طفولة يسوع وحتى قيامته، مروراً برسالته العلنية بمختلف اوجهها، وان كان بعضها لا يطابق الواقع او لم يكن له شهود عيان... ويمكننا القول دون حرج بان كل الروايات الانجيلية ، على اختلاف اساليبها، هي صحيحة طالما تضمنت المعنى العميق الذي اكتشفه المسيحيون الاولون فيها وعبر عنه من ثم الانجيليون، وما زلنا حتى اليوم منكبّين على اكتشافه. ومع ذلك لا يصح ان نقول بان كل الروايات الانجيلية مطابقة للواقع المادي وتعكس الواقع التاريخي للاحداث.

ونكتفي بمثل واحد: ان رواية صلب يسوع تعكس حدثاً تاريخياً سجلته الوثائق التاريخية، ولا غبار على واقعيته وتاريخيته (**انظر الاطار ٢: ما هو الحدث التاريخي؟**). اما رواية الآلام بحسب كل من الانجيليين، فهي كلها صحيحة، وبكل معنى الكلمة، لا لكونها تطابق الواقع -ونجدنا بإزاء اختلافات كثيرة في التفاصيل!-، وانما لكونها تضمنت المعنى العميق الذي اكتشفه المؤمنون الاولون في صلب المسيح. وهذا الحدث في ماديته هو حكم بالاعدام لم يتخذ معناه كموت خلاصي الا في ضوء القيامة، وقد عكسه الانجيليون في رواياتهم التي ارادوها موضوعاً لتأمل المؤمنين في معاني الآلام الخلاصية، وطريقاً لاتحادهم بالمسيح الذي ذهب به حبه الى اقصى الحدود...

٣- نؤمن كي نرى ونفهم:

لا نغالي اذا قلنا بان معظم صعوباتنا في فهم الكتاب المقدس تتأتى من منطلقات خاطئة في التعامل مع هذا الكتاب الذي يصبح مقدساً للذين يرون فيه "كلام الله"، او بالاحرى للذين يقرأون فيه قصة حياتهم ويجدّدون قراءتها في ضوء ايمانهم بكلام الله. ولا يجب ان نعجب اذا اختلفت رؤية القراء الى هذا الكتاب المقدس: ففيما يرى بعضهم فيه نتاجاً ثقافياً لمرحلة من التاريخ، يرى فيه غيرهم اكثر من ذلك بكثير..! انه قصةشعب دخل في عهد مع الهه (يهوه)، وهي بالاحرى مغامرة شعب استحوذ عليه حب الهه وقد سار به في منعطفات التاريخ لينجز فيه مقاصده وتدبيره الخلاصي... (انظر الاطار٣: ما هي كلمة الله؟).

اطار ٢

ما هو الحدث التاريخي ؟

يجب ان نميز بين حدث يجري في التاريخ وبين الحدث التاريخي الذي يتضمن معنى ويترك اثراً. فحين نطلق على حدث صفة " التاريخي" ، فلأنه يتجاوز كونه حدثاً، ولأنه يكون قد اكتسب معنى في ذاكرة الناس والتاريخ. ومثل هذه الاحداث التي تحظى بالاهتمام يحفظها التاريخ ويدوّنها ويبقى يفسّرها... والاحداث التاريخية الكبرى هي في الواقع تلك الاحداث "المفسّرة " والتي كلما اعيد تفسيرها ازدادت غنى وثراء. فالمهم في الحدث التاريخي هو ما ينطوي عليه من معنى، لا بل من معان نبقى مدعوين الى اكتشافها...

يصور الاب أ. شربنتييه الفارق بين الحدث من التاريخ والحدث التاريخي بمثال: طالبان من الدراسة المتوسطة، صبي وصبية ، يتراسلان بشأن مسألة رياضية. فهذه الرسالة هي حدث من التاريخ، ولكن ليست لها اهمية تذكر بالنسبة اليهما، وليس فيها أي شأن تاريخي. ولكنهما بعد هذه الرسالة اخذ يكتشف احدهما الآخر، فتحابّا وتزوجا من ثم ... فاذا عُثر على هذه الرسالة الاولى، فانها ستصبح بالنسبة اليهما رسالة "تاريخية"، رسالة حبهما الاولى! أفتكون هذه القصة تافهة ؟! هذا ما جرى – مع الفارق طبعاً – ليسوع! (من الاناجيل ... / ص ٩٣-٩٤).

فحدث يسوع الناصري في حد ذاته حدث تاريخي طالما ان هناك مؤمنين، رأوا، ومنذ السنوات الاولى، ان موته لم يكن نهاية حياته، وذلك بفضل الكشف الالهي عن قيامته، والتي في ضوئها اخذوا يفسرون احداث حياته، وقد اصبح لها معنى واي معنى؟! ومن هذا المنطلق نقول بأن قيامة يسوع حدث تاريخي نلمسه في نتائجه التي غيّرت مجرى التاريخ، ولكنها ليست من قبيل الاحداث الملموسة التي تُشاهَد او تُلتَقَط ، كونها حقيقة من مستوى الايمان!

اطار ٣

ما هي كلمة الله

قد يتعجّب بعض الناس عند قراءة الكتاب المقدس: ذلك بأنهم، بدلاً من ان يجدوا فيه "كلمة الله"، يبدو لهم ان معظمه "كلام بشري". هذا يدل على انهم يتصوّرون كلمة الله كشيء يهبط من السماء، بينما نعرف ان الله يكشف عن نفسه في تاريخ، من خلال احداث حياة الناس: فعلينا ان نستكشف كلمة الله في هذه الاحداث.

والمسيحي ايضاً يشعر بذلك التعجّب امام يسوع. انه يرى ابن الله والكلمة. والحال ان معاصري يسوع رأوا فيه انساناً مثلهم. فالقديس يوحنا لم يكتب: "رأينا الكلمة"، بل "ذاك الذي رأيناه وسمعناه من الكلمة" (١ يو ١/١)، أي اننا، من خلال ما رأيناه (من الحركات البشرية والاقوال المشابهة لأقوالنا)، نحنا الكلمة، مستنيرين بالايمان والروح.

ان الله لم يسر على طريقة مختلفة في العهد القديم. كان اليهود يعيشون احداثاً عادية، لكن المؤمنين منهم واوّلهم الانبياء كانوا يقرأون فيها كلمة من عند الله، كما اننا نحسن قراءة كلمة في بعض الحركات، فنقول: "هذا الحدث بليغ" و "هذه البسمة شديدة التعبير".

لكننا قد نغلط... هل نحن على يقين من ان الانبياء وسائر المؤمنين لم يغلطوا؟ هنا تقوم اهمية الايمان بالروح القدس الذي يُنير المؤمن. قال يسوع: "ان الروح يرشدكم الى الحق كلّه" (يو ١٦/١٣). فقد يكون انتظار "كلمة من الله تهبط من السماء" مجرد رفض للايمان بالروح وللعيش في الايمان: ففي مثل هذه "الكلمة" يكون الله في متناولنا، بينما هو يكشف لنا عن نفسه بتواضع وعبر الظواهر البشرية.

الاب اسطفان شربتيه
(الدليل / ص ٧٦)

كثيراً ما يخيل الينا ان هناك وجهاً واحداً للحقيقة يقوم في ظاهرها الملموس، وفي قدرتنا على التحقق من واقعها المحسوس، بينما هناك امور كثيرة لا تقل في حقيقتها وواقعيتها عن الامور المادية والحسية. فهي من قبيل الخبرة الوجدانية التي كثيراً ما يشعر بها الانسان في كيانه من دون ان يستطيع ان يقيم البرهان على صدقها وواقعيتها، كما يعجز احياناً كثيرة عن التعبير عنها بكل ابعادها..! فهل هناك، على سبيل المثال، اكثر من ظاهرة الحب حقيقةً واحساساً وواقعاً.. ومع ذلك فمن يستطيع ان يمسك بالحب او يلمسه او يبرهن عليه؟! فهناك ولا شك امور جوهرية في الحياة لا تظهر للعيان بيسر، الا اننا نشعر بها ونتيقن من صدقها وواقعها عبر ما نستشفه من جوانبها التاريخية وما يمكننا ان نلمحه فيها من علامات تكشف عن واقعها العميق...

واليكم هذا المثل:

حين ارى مجموعة من الشبان والشابات جالسين في حلقة كبيرة على العشب، لا يسعني لاول وهلة ، ان استخلص شيئاً من هذه الجلسة، وقد تتضارب في ذهني الافكار المختلفة بشأن ما هم فاعلون ! ان جلسة هؤلاء الشبان والشابات امر واقعي ومادي، وله وجه تاريخي طالما اني المس وجودهم واتحقق من جلستهم على هذا الشكل... ومع ذلك يصعب عليّ -سيما اذا كنت غريباً عن هذه الظاهرة- ان احدد معنى هذا التجمع واكتشف مغزاه! وحين يقال لي انهم في رياضة روحية، وانهم صامتون لانهم يتأملون في حياتهم في ضوء نص من الانجيل قرئ على مسامعهم، واقتسموا من ثم معانيه وانعكاساته في واقع حياتهم.. فحينذاك افهم ماذا تعني هذه الجلسة وما يوحي به هذا الصمت -وكان هناك ولا شك مجال لتأويلات وتفسيرات اخرى كثيرة!- وهذا يعني اني صدّقت ما قيل لي بشأنهم. وما ان صدقت أجدني على الفور قد فهمت ان هذه الجلسة وهذا الصمت هما علامة التأمل والصلاة.. وقد يخلق فيّ هذا الفهم بادرة تقدير وتقييم واعجاب لهؤلاء الشبان والشابات...

هذا المثل على بساطته يدخلنا الى فهم الكثير من الامور التي يعرضها علينا الكتاب المقدس: فلكي نفهم يتوجب علينا احياناً كثيرة ان نصدّق ونمنح الثقة لما يقال لنا..! وبقدر ما نفهم بقدر ذلك تزداد ثقتنا ويتشدد ايماننا. فلو نظرنا بعين الايمان الى ما كتبه الانجيليون، سنكتشف ولا شك انهم **يروون لنا احداثاً كان لها معنى في حياتهم بصفتهم مؤمنين، وانهم رووا لنا روايات هي تعبير عن ايمانهم**، وبوسعنا ان نكتشف فيها خبرة ايمانية اصيلة عاشوها بصدق وواقعية وعكستها من ثم كتاباتهم... فنحن اليوم حين نقرأ بشاراتهم نستطيع ان نقرأها بشكلين : ان نقرأ ونفهم النصوص في ماديتها وحرفيتها، او نقرأها بصفتها شهادات ايمانية نشارك مؤلفيها في قناعاتهم وندخل واياهم في مغامرة البحث عن ذاك الذي حاولوا ان يرسموا ملامحه... وحينئذ نكون قد فهمناها فهماً مختلفاً: ويكون لهذا الفهم انعكاس في حياتنا بوسعه ان يُعَمّق ادراكنا للمسيح ويوثق علاقتنا به.. وقد يذهب بنا هذا الفهم بعيداً وبعيداً جداً..!

ثانياً: امام نصوص تخضع للبحث

حين نفتح العهد القديم نجد انفسنا امام نصوص امتدت كتابتها على حوالي ١٠٠٠ سنة وتفصلنا عنها اليوم ٢٥٠٠ سنة على الاقل! اما العهد الجديد، فقد كُتب معظم اسفاره في غضون النصف الثاني من القرن الاول الميلادي، وتفصلنا عنها من ثم حوالي ٢٠٠٠ سنة! وهذا يعني اننا بإزاء نصوص ترقى الى حضارة لم نعد ندرك بسهولة منطلقاتها ومفاهيمها -وقد وصلتنا بلغة تشكل لنا مفرداتها وصيغ تعبيرها عقبة تحول دون فهم المضمون الذي تحمله، سيما واننا نقرأها اليوم عبر ترجمات، وليس باللغة الاصلية التي كتبت بها، وهي العبرية في معظم اسفار العهد القديم، واليونانية في اسفار العهد الجديد كافة...

أ_ البحث عن معنى النص:

حين نقرأ اليوم نصاً عصرياً ، سواء كان مقالاً ام رواية ، شعراً ام نثراً، نتساءل بشكل عفوي: ماذا يريد الكاتب او القاص او الشاعر ان يقوله لنا عبر هذه القصيدة او الرواية او المقال ؟ فماذا لو كنا امام نص قديم كتب بلغة غير لغتنا وبتعابير ومصطلحات يصعب علينا فهمها؟ سنفكر ان الكاتب اراد ولا شك ان ينقل الينا شيئاً ما ، وان وراء نصّه معنى لا بد لنا من الكشف عنه ... واذا كنا لا نلتقط بسرعة هذا المعنى الذي يحمله النص ، فسنقول بان الكاتب قد "لفّه" وأحاطه بالفاظ وتعابير ومفردات هي حصيلة ثقافته وحضارته.. وسيلزمنا من ثم ان "نفك" هذا المعنى ونعيد بدورنا "لفّه" واحاطته بالفاظ وتعابير ومفردات من حضارتنا وثقافتنا واساليبنا في التعبير..! وسرعان ما نكتشف اننا بإزاء مهمة ليست بغاية السهولة ، سيما حين نواجه نصوصاً يصعب علينا "فك" رموزها ومعانيها واستخراج الهدف العميق من مضامينها كما اراده كاتبها.. إذ لا يسوغ لنا ان نحكم على نص بان لا معنى له بسبب عجزنا عن استخراج معناه! -ويصح ذلك دون استثناء على اسفار العهد القديم كما على اسفار العهد الجديد، وحتى على الاناجيل التي غالباً ما يُخيَّل الينا اننا نعرفها ونفهمها دون مشقة تذكر! ان وراء كل نص، اياً كان، معنى.. ولا بد من الكشف عنه...

وهكذا يتضح لنا بان مهمتنا الاولى مع النصوص الكتابية تقوم في طرح هذا التساؤل الهام : الى أي اسلوب او فن ادبي ينتمي هذا النص؟ ومن ثم يترتب علينا البحث عن سائر العناصر التي تساعدنا على اكتشاف المعاني التي تختفي وراءه، وصولاً الى فهم ما اراد الكاتب ان يقاسمنا اياه ... ولنعد الى مثل الرسالة التي تلقيتها من زوجة صديقي المتوفى:

حين كنت امام نص رسالتها الذي قرأته مراراً، كنت احاول ان "افك" معنى الالفاظ التي استخدمتها وادخل الى اعماقها، فاستطعت بيسر ان افهم ماذا ارادت ان تقوله لي وتقاسمني اياه. الا اني حين كنت اعيد قراءة هذه الرسالة الرائعة ، كنت اكوّن لنفسي صورة عن هذه الاسرة تختلف عن الصورة التي كنت احملها عنها فيما مضى.. كما اني كنت اقرأها في ضوء ما انا عليه، فكان لها معنى يختلف عن المعنى الذي كان لها لدى قراءتي الاولى لها..! فحين قرأتها للمرة الاولى ، قرأتها في ضوء واقعي ومشاعري آنذاك ، وحين اعدت قراءتها بعد اعوام، قرأتها من جديد في ضوء ما كنت عليه حينئذ. ولو افترضت اني رويت مضمونها لصديق ما، فسأكون قد رويته مضفياً عليه المعنى الذي احمّله اياه لدى روايتي...

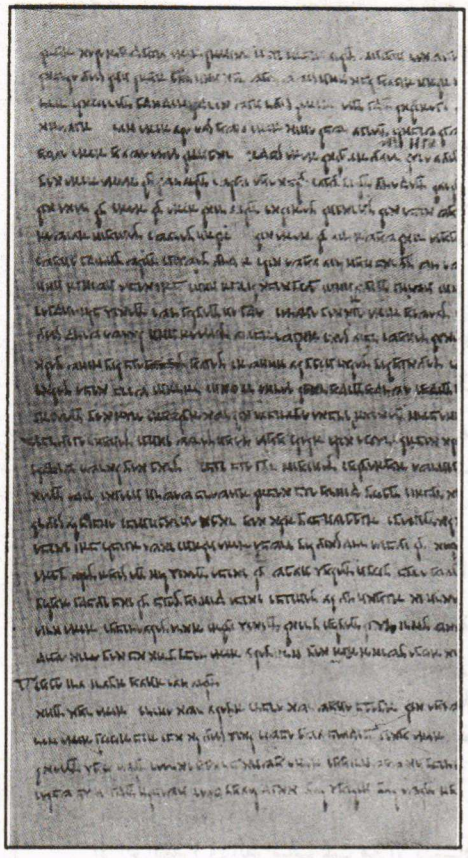

"ملف" سفر اشعيا عُثر عليه في مغاور قمران. وترقى هذه المخطوطة العبرية إلى القرن الأول ق.م.، وهي اقدم ما لدينا من مخطوطات العهد القديم!

كل هذا يشير بان قراءة نص لا يمكن ان تتم ما لم احمّل ذلك النص معنى يكون قد اتخذه ابان قراءتي.. وما لم اجعل ذلك النص يقول لي شيئاً انطلاقاً مما انا عليه اليوم لدى قراءتي المجددة. لذا فليس بغريب ان اصرّح في اعقاب قراءة اقوم بها لنص ما: هذا النص يوحي لي بـ ..؛ او ان ما يلفت نظري في هذا النص هو..! وكثيراً ما يصبح هذا الانطباع اكثر اهمية بالنسبة لي من النص ذاته ! وليس ذلك لان النص ليس بذات قيمة

في حد ذاته ، وانما لان قيمته تزداد بقدر ما يصبح بليغاً بحيث اشعر بانه يخاطبني. ولكن الا نتعرض في هذه الحالة للخطر ؟ هل يمكن ان نستوحي من النص ما نشاء وبحسب مشاعرنا وذوقنا ؟! وماذا لو حمّلنا النص معاني لا يحملها اصلاً؟ وكيف العمل اذا خيل الينا بان النص يوحي لنا بافكار غريبة عن روحه ؟ هذه التساؤلات وغيرها تقودنا لا محالة الى التمييز الدقيق بين نص نقرأه قراءة سريعة وبين نص ندرسه وننكب على تحليله بما لدينا من طرق ووسائل للدرس والتحليل...

وهكذا نجدنا في قلب الدراسات البيبلية والتي عرفت تقدماً ملموساً في السنوات الاربعين الاخيرة. الا ان لها تاريخاً يرقى الى القرن ١٧ ، ولا يسعنا ان نعكس عنها هنا سوى لمحات خاطفة[٧] (**انظر الاطار ٤ : مراحل في علم التفسير البيبلي**). فلا بد لنا

اطار ٤

مراحل في علم التفسير البيبلي

ساد التفسير المجازي والرمزي مع آباء الكنيسة طيلة ١٥ قرناً... اما بدايات التوجه العلمي، فترجع الى القرن ١٧ حين ارسى الفيلسوف اليهودي سبينوزا (+١٦٧٧) والاب ريتشارد سيمون (+١٧٩٢) اسس قراءة موضوعية غير موجهة للنصوص. ومنذئذٍ بدأت الابحاث النقدية وفي مقدمتها محاولة جان استريك عام ١٧٥٣ التي كشفت عن وجود تقاليد مختلفة للتوراة تنتمي الى ازمنة متفاوتة... وانطلقت حركة دؤوبة في مجالات التفسير تمخضت في منتصف القرن ١٨ عن اولى النظريات في "المسألة الازائية" بحثاً عن المصادر المشتركة للاناجيل...

الا ان الطفرة في الدراسات تمت مع الاكتشافات الآثارية الكبرى في اوائل القرن ١٩، فقلبت اساليب دراسة العهد القديم اذ كشفت النصوص السومرية والاكدية والاشورية والبابلية والمصرية الخ... عن قصائد واساطير وملاحم قريبة من نصوص الكتاب المقدس ، مما حمل العلماء على الخروج بهذه النتيجة : ان النص الكتابي نشأ هو الآخر في محيط حيوي وضمن حضارة وثقافة وتقاليد ... تشكل التربة العضوية التي بُني فيها.. فراحوا يعيدون وضع النصوص في بيئتها الحيوية ، معتمدين اسلوب التحليل التاريخي النقدي. ولعل ابرز طروحاته كانت اكتشاف "وحدات ادبية" سابقة للاناجيل والتمييز بين "الاساليب والفنون الادبية" التي تنتمي اليها الاسفار المقدسة!

ومع مطلع القرن ٢٠ سعى علماء التفسير الى البحث عن خلفية الاناجيل الثقافية والاجتماعية والدينية. فكانت دراسات بولتمان وديبيليوس التي اتخذت اسم "تاريخ الصيغ" في محاولة للبحث عن البيئة الاصلية التي نشأت فيها التقاليد الشفهية ومن ثم المكتوبة.. فكان التركيز على "الايمان" الذي اعلنته الجماعة المسيحية في ضوء القيامة، تاركة في الظل " يسوع التاريخ".

وكانت الخطوة الحاسمة في السنوات ١٩٥٥-١٩٧٠ حين توصل الباحثون عبر "تاريخ التأليف" الى الاستنتاج بأن الانجيليين لم يكونوا " جامعي نصوص" او ناقلين ، وانما هم مؤلفون تركوا في كتاباتهم بصمات رؤيتهم الايمانية ورؤية جماعاتهم المؤمنة عن يسوع القائم من بين الاموات..! وهكذا اصبحنا نتكلم عن لاهوت مرقس او لوقا ... كما اصبح بامكاننا ان نرتقي ، الى حد ما، من"مسيح الايمان" الذي

---

[٧] انظر كتاباً بالفرنسية: "تاريخ مُوجز لعلم التفسير البيبلي" Pierre Gibert: Petite histoire de l'exégèse biblique, Ed. du Cerf, Paris 1992, 272p.

عرفته الجماعات المسيحية بعد الفصح الى "يسوع التاريخ" كما عاش في جماعته قبل الفصح ... ومن الجدير بالذكر بان مدرسة "تاريخ التأليف" قد تبنت نظرية "الوحدات الادبية" التي سبقت الاناجيل ومهدت لها (انظر الفصل ٣).

لقد سلّط البحث في " تاريخ التأليف" اضواء جديدة على مجمل اسفار الكتاب المقدس ، والعهد الجديد بنوع خاص ، فاسهم بشكل فاعل في جعل الدراسات البيبلية الحديثة تحقق قفزات نوعية مذهلة.. سنصدي لها على مدى فصول هذا الكتاب .

اذن من ان ندخل قليلاً في عالم هذه الدراسات الرصينة ونتعرف قدر المستطاع على ابرز الاساليب والطرق التي تعتمدها في التحليل والتفسير، ونتجاوب من ثم مع الطروحات الهامة التي يخرج بها اهل الاختصاص، وجل غايتهم هي ان يبلغوا بنا الى "فك" المعاني التي تحملها النصوص البيبلية والتي كان القراء في زمن كتابتها يفهمونها جيداً ! فنصل نحن ايضاً الى فهمها وجعلها تخاطبنا كما خاطبت قراءها الاوائل ! وسنسعى في مسيرتنا عبر هذا الكتاب الذي نريده - وبخيار مسبق - يتوجه الى العامة ، الى ان نقدم للقراء ابرز الطروحات التي تمكنهم من الدخول في عالم العهد الجديد والولوج الى مضامينه ، متجنبين قدر المستطاع الاسلوب العلمي الجاف ، ومؤثرين عليه البساطة في التعبير مع عمق الفحوى ، دون الوقوع في الابتذال !

٢-من اجل دراسة النص :

طريقتان للتحليل

نصدي اداه، في اثر الاب شربنتييه، لطريقتين رئيستين للتحليل[٨] تشكلان الاساس الذي تعتمده الدراسات البيبلية في الكشف عن المعاني التي تختفي وراء النصوص. وهكذا نكون على بيّنة من رصانة الابحاث والتفسيرات التي يخرج بها علماء التفسير البيبلي، والتي من شأنها ان تزيدنا ثقة وايماناً بالرسالة التي تحملها النصوص الكتابية، ولا سيما نصوص العهد الجديد.

---

[٨] انظر الدليل ص/١١-١٣ ، وايضاً : من الاناجيل... / ص ١٠٣-١١١

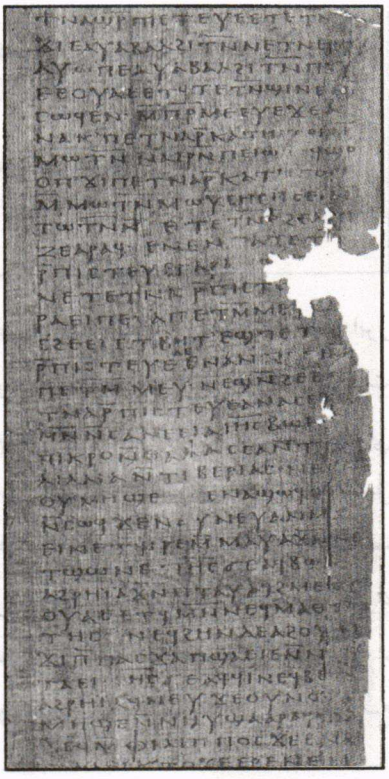

بردية بالقبطية من القرن الرابع من مخطوطة تحوي معظم انجيل يوحنا.

ونعود من جديد الى رسالة الارملة لنوضح باننا غالباً ما نستخدم اساليب التحليل من دون ان نحس ! فلدى قراءتي تلك الرسالة، شخصت ولا شك في مخيلتي ملامح تلك المرأة، ورحت افسّر عباراتها في ضوء ما اعرفه عنها... فحين قرأت فقرة تلمّست منها شكوى بشأن حالتها المادية، كان امامي موقفان : فان كنت اعلم انها لا تني تتشكّى ، كعادتها القديمة، فلن اعير هذا التشكي كبير اهتمام! اما اذا كنت واثقاً من انها امرأة قنوعة وتتصرف بكل سمات الاباء وعزة النفس والقناعة، فسوف آخذ تلميحاتها على محمل الجد! وهكذا اكون قد خرجت من نص الرسالة ووقفت على قصدها عبر ما استعدته من معلومات سابقة عنها.

ولو قرأ احد غيري هذه الرسالة لا يعرف تلك المرأة ، فسيكوّن لنفسه عنها صورة انطلاقاً من الرسالة في حد ذاتها، وسيهتدي، الى حد ما، الى عمرها وبيئتها الاجتماعية والثقافية واسلوبها، الى جانب حالتها النفسية او المادية.. استناداً الى بعض الاشارات التاريخية التي وردت في رسالتها ومن مستوى الكتابة ونوعية المفردات والتلميحات وشكل الخط... فهو يتخيل او "يخلق" شخصية تلك المرأة انطلاقاً من هذه المعلومات.

ولا يخفى ما ينطوي على ذلك من مخاطر تشويه الصورة! وهكذا هي الحال حين نجدنا بإزاء نص من النصوص، ولا سيما تلك النصوص القديمة التي لا نعرف كاتبها وتفصلنا عنه مسافة شاسعة، وعلى اكثر من صعيد. ففي مرحلة اولى يمكننا ان نقرأ النص في ضوء ما نعرفه عن كاتبه ، فنكتشف ونفهم الكثير من العبارات والافكار والتلميحات التي وردت فيه. كما يمكننا، في مرحلة ثانية، ان نقرأه بحثاً عن لغته والفاظه ومفرداته وبنيته الادبية.. في محاولة لاكتشاف المعنى العميق الذي ينطوي عليه. ففي الحالة الاولى نخرج عن النص لنفهمه في ضوء ما نعرفه عن كاتبه وظروفه... وفي الحالة الثانية لا نخرج

عن النص، بل نبقى في حدوده ونحاول ان نفهمه من الداخل. تلك هي باختصار طريقتا التحليل :

أ- التحليل التاريخي النقدي:

ازاء نص من النصوص البيبلية يتبادر الى ذهننا هذا السؤال : ماذا اراد كاتب سفر التكوين ان يقول ؟ ما هو هدف سفر ايوب او سفر يونان ؟ ما المقصود من قصائد سفر نشيد الاناشيد ؟ ماذا اراد مرقس او لوقا ان يقولاه من خلال انجيليهما؟ ماذا قصد كاتب الرسالة الى العبرانيين ، او كاتب سفر الرؤيا ؟... وليس الجواب بالامر السهل طالما اننا لا نعرف هؤلاء الكتّاب او لا نعرف عنهم سوى الشيء القليل! وقد نكوّن لانفسنا فكرة عنهم من خلال عوامل قد تساعد على تحديد وضعهم في الزمان والمكان والبيئة والمناخ الفكري والثقافي والاجتماعي... ولا نخفي ما ينطوي على ذلك من خطر "اختلاق" شخصية الكاتب من خلال ما يرشح من مؤلّفه من افكار ومفاهيم وتلميحات... لذا يتحتم علينا ان نكون على جانب كبير من الحرص والحذر لئلا نخطئ في تقديراتنا لما اراد الكاتب ان يقوله...

فالتحليل التاريخي سيساعدنا على تحديد موقع مؤلفي الاسفار المقدسة في التاريخ وزمن تآليفهم والبيئة الثقافية التي تسبح فيها ، والاساليب الادبية التي استخدموها... وفي عملية الاستقصاء هذه ،لا بد لنا من الاستناد الى معلومات تاريخية وحضارية ، بدءً بالوثائق التاريخية لشعب الكتاب المقدس وسائر الشعوب المجاورة، مروراً بعلم الاثار الذي اخذ منذ اوائل القرن ١٩ يكشف النقاب عن الكثير من المواقع والاحداث والاشخاص، وصولاً الى النتاج الادبي الغزير، والنتاج الديني منه بنوع خاص، لدى مختلف الشعوب وعلى مر الاجيال -ولشعب العهد القديم حصة كبيرة منه!

ففي ما يتعلق بالعهد الجديد، على سبيل المثال، نتحقق كم اغتنت معرفتنا ببيئته[٩] الحضارية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية من خلال ما خرجت به الدراسات والبحوث في مختلف العلوم الانسانية ، وفي مقدمتها التاريخ والاثار واللغات؟ الم تدخلنا مؤلفات المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس (٣٧-١٠٠) في اجواء فلسطين

---

[٩] نتناول في الفصل الثاني "بيئة العهد الجديد" من مختلف جوانبها ، فنكون بازاء خلفية اساسية لا غنى عنها في قراءة اسفاره والدخول الى عالمها...

في القرن الاول ق.م. و ب.م. ؟ الا نشعر بالطمأنينة حين نطّلع على "الحوليات الرومانية" وهي تذكر الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي حكم على يسوع الناصري بالصلب؟ او حين نجدنا بازاء بلاطة نقش عليها اسمه، اكتشفت عام ١٩٦١؟! الا يأخذنا العجب حين تكشف الاثار عن البركة ذات الاروقة الخمسة المذكورة في انجيل يوحنا (٢:٥) والتي طالما حامت حولها التساؤلات؟ والعهد الجديد ذاته، كم يتضمن من العناصر التاريخية التي لا غبار عليها والتي تصدي لها كتابات وشواهد من القرن الميلادي الاول؟

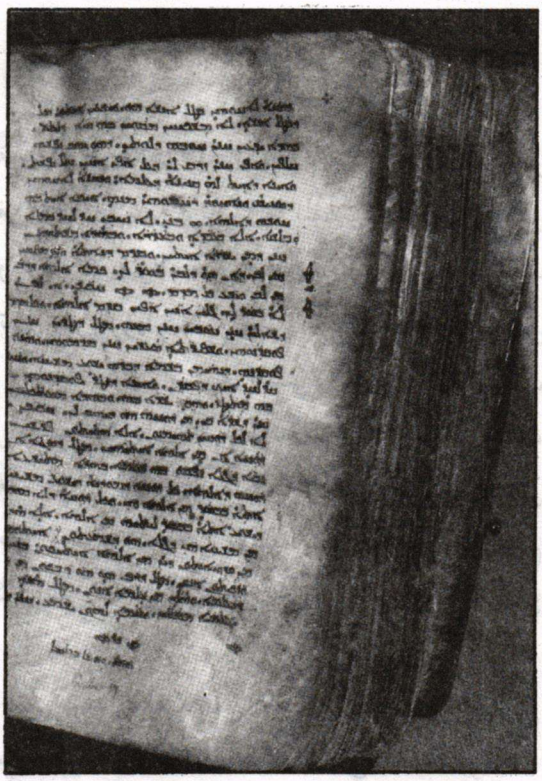

مخطوطة سريانية للعهد الجديد بحسب الترجمة البسيطة (فشيطتو) من القرن الثالث عشر. اما اقدم المخطوطات السريانية للأناجيل فترجع إلى القرنين الخامس والسادس.

وهناك وجه هام يساعدنا التحليل التاريخي على اكتشافه، وهو ان كل مؤلف لا يكلّمنا عن الاحداث التي يرويها بقدر ما يتحدث عما يعيشه وهو يكتب! وهكذا هي الحال بالنسبة الى الانجيليين على سبيل المثال، ومثلهم في ذلك مثل كل كاتب يعكس في مقاله او كتابه او روايته ما يعيشه ويختبره من احداث وظروف... وتلك هي احدى نتائج التحليل التاريخي النقدي الذي تجتمع فيه وجهتا التاريخ والنقد! وهكذا يصبح لزاماً علينا ان نقرأ انجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا، لا كشهادات، بالمعنى الوثائقي ، عن يسوع في الثلاثينات ، وانما بالاحرى كشهادات "ايمانية" عن يسوع الحي في الجماعات المسيحية في السبعينات او التسعينات ، جماعات من اصل يهودي او وثني. وبعبارة اخرى يمكننا ان نقول بان الانجيليين رووا لنا اقوالاً واحداثاً، امثالاً ومعجزات ليسوع تعكس زمنين في آن واحد : ولا بد لنا لكي نفهمها جيداً ان نضعها في اطار ما عاشه يسوع في الثلاثينات، وفي الوقت ذاته في ضوء ما عاشته وتعيشه الجماعات المسيحية بعد القيامة بـ ٤٠ او ٥٠ او ٦٠ او ٧٠

سنة ! ذلك لانها كانت في الوقت ذاته اقوالاً واحداثاً، امثالاً ومعجزات ليسوع باتجاه معاصريه واتجاه الجماعة المؤمنة التي يعيش في وسطها[١٠] ...

أ-التحليل المادي :

ويلحق بالتحليل التاريخي "التحليل المادي" الذي اكتسب اهمية منذ ان خرج الاختصاصي بيلو بكتابه "قراءة مادية لانجيل مرقس" وقد استخدم فيه ادوات عمل الماركسية لدراسة النص ضمن علاقته الوثيقة بالوضع الاجتماعي لمؤلفه ، وفي صلة بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية التي انتجت النص ... فالتحليل المادي ، اذ يضع النصوص في سياقها التاريخي ، يركز اهتمامه على كونها ، في الوقت ذاته ، وليدة اوضاع وظروف قد تنعكس على النصوص وتمنحنا فهماً افضل لها. من هنا كان التركيز على اعمال يسوع التي يوليها انجيل مرقس اهمية تفوق بكثير الاهمية التي يوليها لاقواله.

اطار ٥

الكنيسة والدراسات البيبلية

ظلت الكنيسة الرسمية شبه صامتة تجاه الدراسات الكتابية في اول عهدها، ولم يكن دوماً صمتها دليلاً على الرضى! وحين خيل اليها ان بعض علماء التفسير في غضون القرنين ١٩و٢٠ قد ذهب "بعيداً"، عمدت الى اسكاتهم وممارسة الرقابة المشددة على كتاباتهم.ويكفي ان نذكر منهم الاب لاكرانج الدومنيكي مؤسس المعهد الكتابي الاثري في القدس!

وكانت رسالة البابا لاون ١٣ عام ١٨٩٣ قد سجّلت موقفاً منفتحاً تجاه علم الاثار الناشئ الذي اخذت نتائجه تنعكس ايجابياً على الدراسات الكتابية...

وكان لنا مع البابا بيوس ١٢ رسالة عامة بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩٤٣ بعنوان " بفيض الروح" سجّلت منعطفاً بارزاً في عالم التفسير الكتابي .ذلك لانها حررت المؤمنين من "الخوف" تجاه الدراسات العلمية ، بما ابدته من دعم لها ولا سيما على صعيد "الاساليب الادبية" التي كانت اداة للقضاء على الكثير من الترددات التي كانت تنشأ من اصطدام النصوص الكتابية بالعلم والتاريخ، بدءً بقصة الخلقة في ستة ايام، ومروراً بملحمة الخروج وعبور البحر، وإيقاف الشمس على يد يشوع بن نون!

لقد وضعت الرسالة البابوية في قسمها الثاني شبه نظرية لقراءة مسيحية للكتاب المقدس في ضوء القرون الثلاثة الاخيرة من تلمس الطريق في مضمار التفسير النقدي . فحين دعا البابا بيوس ١٢ الى استخدام مختلف العلوم في الدراسات البيبلية وفي مقدمتها العودة الى اللغات القديمة ، فمعناه انه ارسى مبدأ التدرج التاريخي في فهم الكتاب ، من جهة، واعلن ان طرق البحث والتحليل ستزيد من هذا الفهم، من جهة اخرى . وهذا يعني بالتالي انه دعا الى تجاوز ما بلغه هذا الفهم في القرون الماضية...

وكانت الرسالة بمثابة دعوة الى المفسرين الجدد للتوصل الى استجلاء المعنى الذي تنطوي عليه

---

[١٠] في الفصل الثالث وتحت عنوان "مراحل تكوين العهد الجديد" سنتناول بالتفصيل المراحل والبيئات التي هيأت لنشأة الانجيل الشفهي اولاً ، والانجيل المكتوب من ثم ، في الفترة ما بين الثلاثين والسبعين للميلاد.

وغني عن القول ان التحليل المادي لا يستغني عن اساليب التحليل التاريخي النقدي، وانما يسعى بالاكثر الى شرح النصوص الانجيلية في ضوء المعطيات التاريخية التي سبقتها... فحين يكون التحليل التاريخي قد ثبت تاريخ كتابة انجيل مرقس في حوالي السبعين ، وفي روما ، فحينذاك يسعى التحليل المادي الى البحث عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في ايطاليا في تلك الفترة بحثاً عن انعكاساتها في الانجيل . ولعل المأخذ على هذا التحليل خروجه عن النص، وبدرجة قد تتجاوز كثيراً حدود النص! **(انظر الاطار ٥: الكنيسة والدراسات البيبلية)**

ب- التحليل البنيوي (التركيبي):

هناك طريقة ثانية للتعامل مع النص، تقوم في دراسته بحد ذاته، انطلاقاً من تركيبته اللغوية والانشائية في محاولة للوقوف على العناصر المكّونة للنص، وبغية استخراج المعنى الذي يختفي وراءه ... فكما اننا لا نستطيع ان نكتب جملة مفيدة ما لم نراعِ قواعد النحو والصرف، هكذا

النصوص البيبلية، بدءً بدراسة جادة للمعنى الحرفي عليه لكونها الخطوة الاولى لاستخراج المعنى الروحي واللاهوتي ....، فيما حذرت الرسالة من تقديم " معان مجازية" وكأنها المعاني الاصلية!

وفي ١٥ ت٢ ١٩٦٥ سجل الدستور العقائدي "في الوحي الالهي" الذي خرج به المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني منعطفاً هاماً حين كرّس التوجّه الكتابي الحديث، مع تأكيده على القطبين اللذين يقوم عليهما الوحي في العهدين القديم والجديد (التقليد العقائدي من جهة ، والتقليد الذي عكسته المؤلفات التي تشهد للايمان من جهة اخرى)، وقد جاء فيه : " لما كان الله قد تكلم في الكتاب المقدس بواسطة البشر وباسلوب البشر ، فلا بد للمفسر ، كي يرى بوضوح ما اراد الله ذاته ان يبلغنا اياه ، ان يبحث بانتباه عما اراد المؤلفون ان يقولوه حقاً ، وعما حسن لدى الله ان يبلغه عبر كلماتهم " (فصل ٣: فقرة١٢).

وفي خريف ١٩٩٣ ، وبمناسبة الذكرى الخمسين على رسالة بيوس ١٢، اصدرت اللجنة البيبلية الحبرية وثيقة حول " تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة" استعرضت فيها طرق التفسير المختلفة وقيمتها، بدءً بالاسلوب التاريخي النقدي كمنهج اساسي للدراسات، الى جانب العديد من طرق واساليب التحليل التي استجدت بفضل العلوم الانسانية . ولم تُخفِ احتجاجها على " القراءة الاصولية" التي تنفي البعد التاريخي للنصوص ! وفيما ميزت بين المعاني الثلاثة للنص : المعنى الحرفي الذي يعبر عن قصد المؤلف ويفتح المجال لاعادة قراءة ، والمعنى الروحي الذي يقوم بقراءة في ضوء القيامة، والمعنى الخفي الذي اراده الله وان لم يعبر عنه الكاتب... شددت الوثيقة على ضرورة تضافر اساليب التحليل في " تقليص المسافة بين المؤلفين وعصرنا "، وصولاً الى " تأوين" كلام الله.. كي يتسنى له ان يخاطب الكنيسة والعالم بلغة معاصرة... (راجع مقالنا في مجلة الفكر المسيحي : عدد خاص/ تموز- ت١ ١٩٩٤).

يتوجب علينا ان نراعي بعض القواعد حين نكتب رسالة او قصة او قصيدة او تحقيقاً او صلاة... وسيترتب على الباحث حين ينكبّ على تحليل قطعة ادبية، سواء كانت خطاباً ام مقالة ام اعلاناً... ان يُفكك النص بحثاً عن بنيته وتركيبته... وصولاً الى اكتشاف ما يتضمنه من معنى او معان، والى استجلاء الافكار والمفاهيم التي تختفي وراء تلك المعاني ذاتها...

ان التحليل البنيوي يساعدنا، على ان نبحث، لا عن ما اراد الكاتب ان يقوله، ولكن عن ما قاله فعلاً وعبر هذا النص في حد ذاته. وبتعبير آخر ان نسعى الى ايجاد معنى للنص انطلاقاً من المبدأ القائل بان لكل نص معنى ، وان هذا المعنى كامن في النص! وهكذا، وعبر عدد من القواعد والاساليب التي يستخدمها هذا التحليل، نتوصل، نوعاً ما، الى جعل النص يتكلم ، كما يتسنى لنا من ثم البحث عن العناصر "المنتجة" للمعنى، والمنحى الذي اتخذته في تحقيق وابراز هذا المعنى...

وللدخول في مناخ هذا التحليل يلزمنا ان نعتاد على اسلوب "نسائل" بموجبه النص، أي نطرح عليه بعض الاسئلة التي تمكننا من الولوج الى اعماقه: من يتكلم؟ مع من؟ عن أي شيء؟ كيف يُحقّق الغرض؟ ما هي العوامل المساعدة على تحقيقه، الى جانب العوامل التي تعرقله؟ كيف بدأ النص وكيف انتهى؟ هل هناك تحوّل في النص، وفي أي اتجاه ؟ كيف تمّ هذا التحول، وعلى يد من؟ الخ... ومثل هذه الاسئلة تساعد ولا شك على الكشف عن مضمون النص ، ولا سيما حين نكون بإزاء نصوص روائية يمكن الكشف فيها عن النقص او العقدة ، ومعرفة كيف تسعى الرواية الى ملئها او حلّها[11] ...

ان طريقة التحليل هذه اعتمدها الباحثون في مختلف الميادين ، وبرهنت على فاعليتها في المجالات التي شملها هذا التحليل بفضل عدد من العلوم الانسانية كعلم الاجتماع وعلم الرموز والالسنية واصول اللغة ... ولم تُعتَمَد في الدراسات البيبلية الا منذ عام ١٩٦٨ فقط ! الا ان نتائجها اخذت في العشرين سنة الاخيرة، تتألق بشكل يلفت النظر !

ففي التحليل البنيوي، اذن، لا نخرج من النص ، وانما نبقى نجول في كل اتجاهاته، ونحاول ان ننسى ما نعرفه عنه كي نكتشفه في حد ذاته.. ولا عجب من ثم اذا ما انكشفت لنا رؤية للنص غير تلك التي كنا قد الفناها -ويصح ذلك مع نصوص الاناجيل ذاتها التي يخيل الينا اننا نعرفها جيداً. وسرعان ما تأخذنا الدهشة حين نجدنا، في اعقاب التحليل، وكأننا بإزاء نصوص جديدة تحمل معاني لم تخطر على بالنا من قبل! وهكذا

---

[11] للمزيد راجع : " من الاناجيل... " /ص ١٠٧-١٠٩ ، حيث يطالعنا الاب شربنتييه بمثل يوضح مراحل هذا التحليل. وسنعرض ادناه " دليلا" للقراءة الكتابية " ونماذج من التحليل تندرج في سياق التحليل البنيوي.

يتضح لنا بأن احدى ميزات هذا التحليل هي انه يرغمنا، ولو لفترة قصيرة، على النظر الى النص من مختلف اوجهه، مهملين وجهة نظرنا المسبقة... ولا يسعنا هنا سوى ان نتبنى المثل الذي ادلى به الاب شربنتييه : صديقان يتنزهان في حديقة.. وفيما يهوى الاول الزهور ولا يرى سواها ، لا يرى الثاني غير الاشجار والطيور... وهكذا حين نقرأ نصاً، لنا عنه فكرة مسبقة، فنبحث فيه عن تلك الفكرة ولا نعود نرى سواها، ومن هنا ينتج سوء التفاهم في ما بيننا ! والان اذا حاول الصديقان ان يقوما بزيارة شاملة للحديقة ، شرط ان ينسى كل منهما وجهة نظره ، فسيريان كلاهما كل شيء! وبوسعهما من ثم ان يركزا انظارهما سواء على الزهور ام على الاشجار.. ولن يخطر ببالهما ان يقولا بان الحديقة ليست سوى صنف واحد! وهكذا الحال بالنسبة الى القراءة: فاذا كانت لنا وجهة نظر في نص ما ، فلا ينبغي ان ننسى بأن هناك وجهات نظر اخرى تغتني بها قراءتنا[١٢].

ثالثاً: من اجل دراسة نص ...

ليس في نيتنا ان نغوص مع القارئ في اعماق الابحاث العلمية والدراسات التحليلية التي لا قدرة له على استيعابها ومضغها !! كما نأبى ان نزجّه في "متاهات" التفاصيل الدقيقة التي يناقشها اهل الاختصاص في ما بينهم والتي كثيراً ما اسالت حبراً على مئات الالوف من صفحات الكتب البيبلية -وقد شهد القرن العشرون ، ولا سيما في النصف الثاني منه ، سيلاً منها لا يحصى! وهذه النتاجات العلمية الدسمة هي في الغالب عسيرة الفهم وبعيدة عن اهتمامات القراء، حتى المتتبعين منهم ، ولا ندّعي قط ان بمقدورنا الدخول في عالمها ! وانما جل مبتغانا ان نسير والقراء على طريق الاستنارة بأهم وابرز الخلاصات التي يخرج بها الباحثون واختصاصيو التفسير، مما يمكننا من الدخول في هذا العالم الفسيح من بعض ابوابه ، وبواسطة عدد من المفاتيح الرئيسة التي تمكننا بالتالي من الجلوس الى مائدة "الكلمة" من دون ان نشعر باننا غرباء عنها !

فما يهمنا اذن في هذه المسيرة المشتركة التي تهدف الى عرض قراءة محددة للاسفار المقدسة ولا سيما اسفار العهد الجديد ، هو ان يكون القراء على بيّنة من رصانة

---

[١٢] الدليل /ص١٣.

هذه الدراسات البيبلية ومصداقيتها ، فيمنحوا ثقتهم لاهل الاختصاص الذين يعرفون ان يضعوا علمهم في متناول المؤمنين. وسنسعى نحن على مدى هذا الكتاب ان نقدم جانباً من حصيلة هذه الدراسات عبر عدد من المواضيع[١٣] التي سنتناولها في الفصول اللاحقة...

وكما طاب لنا ان نعكس نبذة مقتضبة عن طريقتي التحليل الرئيستين-وكثيراً ما يستخدمها ذوو الاختصاص مجتمعتين- الى جانب طرق اخرى للدراسة والتحليل ، يطيب لنا ان نقدم ادناه وسائل عملية تكون بمثابة " اداة عمل" بيد القارئ و " دليل " له في القراءة .

١- ادوات العمل

يهمنا كثيراً ان يدرك القارئ ان الدراسات الكتابية ليست وقفاً على اهل الاختصاص او على عدد محصور من المتتبعين.. وانه هو ايضاً معني بها ، ولا يحق له من ثم ان يهمل اداة ثمينة كهذه بوسعها ان تمنحه الفة مع الكتاب المقدس وتمكّنه من ان يقرأه بعيون جديدة ويغوص في اعماقه ويتفاعل معه. لذا يطيب لنا ان نضع في متناوله اداة عمل ثمينة يستخدمها كل مرة انكّب على قراءة نص من النصوص المقدسة.. وسيزيده الانكباب على مثل هذه القراءة/الدراسة رغبةً في التعمق والمتابعة، وهكذا يزداد يوماً بعد يوم فهماً لما ينطوي على النصوص من معان ، فيذهب صعداً في استجلاء "كلمة الله"، ويدعها تخاطبه ، ويرتضي ان يكون معنياً بنداءاتها...

ففي صفحة من "الدليل" بعنوان "علبة ادوات العمل" يستعرض الاب شربنتييه ابرز النقاط التي من شأنها ان تساعدنا على قراءة ودراسة نص من النصوص البيبلية، وذلك عبر اسئلة عديدة توحي بها اساليب التحليل الرئيسة، بدءً بالتحليل البنيوي وانتهاءً بالتحليل التاريخي النقدي. وها نحن نُثبتها ادناه كما جاءت في الترجمة العربية للكتاب[١٤]. **(انظر الاطار ٦: علبة ادوات العمل)**

وامام هذه المجموعة من التساؤلات التي قد تبدو، لأول وهلة، محبطة للعزائم، لا ينبغي ان يتسرب الينا الشك بعدم جدواها ! فما ان عمدنا ، بشكل جاد ، الى استخدام

---

[١٣] روايات انجيل الطفولة لدى متى ولوقا (ف٤) ، معجزة ومثلان و نصوص الافخارستيا والتطويبات والصلاة الربية (ف٥) ، روايات القيامة (ف٨) ، روايات الآلام (ف٩)...

[١٤] الدليل / ص١٤

هذه "العلبة" من ادوات العمل، وطبّقناها قدر المستطاع على نص من النصوص الانجيلية -وسيكون من المفيد ان نقوم بمثل هذا التمرين في نطاق فريق من المتتبعين- فسيعترينا الشعور وكأننا بإزاء نص جديد نقرأه للمرة الاولى! وهذا الشعور سيلازمنا تجاه نص يخيل إلينا اننا نعرفه جيداً، كما، وبأولى حجة، تجاه نصوص يصعب علينا ان نكشف النِقاب عن المعاني العميقة التي تتضمّنُها، لدى قراءة اولى وثانية وثالثة...

ففي علبة ادوات العمل وتحت عنوان "دراسة النص ذاته" تستوحي الاسئلة التحليل البنيوي وتعتمده في "فك" بنية النص الانشائية، ولا سيما في ما يتعلّق بـ "العقدة" ودور "البطل" في حَلّها... كما ينبغي الا نهمل ابداً ان نضع "النص في سياق

اطار ٦

علبة ادوات العمل

الاتصال الاول اقرأ النص ودوّن ردود فعلك العفوية : ما يلفت انتباهك، ما يعجبك، ما يثير تساؤلاتك ...

درس النص

النص ذاته عُد الى النص واهمل الفوائد التي تجدها في الكتاب المقدس الذي بين يديك. ان لم يكن طويلاً، يمكنك ان تكتبه. اكتشف (مستعملاً اقلاماً ملوّنة، ان اردت)

- الكلمات او العبارات التي تتكرر او تأتلف او تختلف
- الممثلين (اشخاص او اشياء): دوّن ما يعملون -ما يقولون- ما يجري لهم ...
- الاماكن، التنقلات: هل بعض الاماكن مرتبطة بشخص او بفكرة ؟
- الازمنة : ازمنة الافعال ، او غيرها من الملاحظات ...

انطلاقاً من هذه الفوائد، ابحث عمّا يجري في النص : من هو الذي يعمل؟ او عمّا يبحث؟ من (او ما) هو الذي يساعد على هذا البحث؟ او يعارضه؟ كيف يتم الانتقال من فاتحة النص الى خاتمته: اترى تحولاً. لمن او لماذا؟ كيف تمّ هذا التحول؟ بأية مراحل مرّ؟ بفضل من (او ماذا) تمّ هذا التحول ؟

النص بعد وضعه في سياق الكلام هذا النص جزء من مجموعة (كتاب ، فصل). كيف يُربط بهذه المجموعة؟ ما هو محلّه فيها؟ بماذا يأتي ؟

النص بعد تحديد وضعه في الزمان يمكنك ان تستعين بما في كتابك المقدس من فوائد ومقدمات فتتساءَل :

- في أي زمن وضع هذا النص ؟ ما هو وضع الشعب او المؤلف في ذلك الزمان؟
- هل كان لبعض الكلمات او العبارات معنى خاص في ذلك الزمان؟
- الى أي فن ادبي ينتمي هذا النص ؟

● هل هناك نصوص مماثلة في ذلك الزمان، في الكتاب المقدس او خارج الكتاب المقدس؟هل هذا النص من العهد القديم يتناول مواضيع وردت في الكتاب المقدس؟ ماذا يضيف اليها؟ هل هو يتناول مواضيع معروفة في الادب المصري او في ادب بلاد ما بين النهرين؟ ما هي وجوه الائتلاف ووجوه الاختلاف؟ هل هذا النص من العهد الجديد يتناول مواضيع يهودية تعود الى ايام المسيح ؟ ام نصوصاً من العهد القديم؟ وفي هذه الحال، كيف يستضيء بها ؟ وكيف يلقي ضوءاً عليها؟

● ان كان في الكتاب المقدس نصوص مماثلة ، ولا سيما للاناجيل(انظر الى المراجع في هوامش كتابك المقدس) : قارن بينها ودوّن وجوه الائتلاف والاختلاف . بماذا يساعدك ذلك على زيادتك فهماً لهذا النص ؟

● وُضع هذا النص من قِبل جماعة ومن اجل جماعة . من يكلّم من ؟ للاجابة عن أي سؤال؟

تحقيق — راجع الاسئلة المدوّنة في المطلع : هل في امكانك ان تجيب عنها؟

قراءة النص — تدع جانباً هذا الدرس و " علبة ادوات العمل" هذه ، وتقرأ النص:

بماذا يوحي اليك؟ بماذا يساعدك على الحياة؟

(عن الدليل / ص ١٤)

الكلام" ، اذ لكل نص صلة وثيقة بما يسبقه وما يليه، ولكم نشوّه نصاً حين ننتزعه من السياق الذي ورد فيه !

اما الاسئلة التي طُرحت تحت عنوان "النص بعد تحديد وضعه في الزمان"، فهي تعتمد اساليب التحليل التاريخي النقدي -وهنا نشير الى الفوائد المرجُوَّة من المقدمات والمراجع والهوامش والحواشي التي تزخر بها بعض طبعات الكتاب المقدس العصرية [١٥]. وفي مقدمة الاسئلة التي يطرحها هذا التحليل: ماذا اراد الكاتب ان يقوله من خلال هذا النص؟ ولماذا اراد ان يروي لنا هذا الحدث وعبر هذا الاسلوب الادبي؟...

فالاتصال الاول مع نص ما، اثار فينا ولا شك ردود فعل عفوية تضمّنت انطباعاتنا وتساؤلاتنا.. ولكننا في النهاية، وبعد ان نكون قد استخدمنا "ادوات العمل" في دراسة النص، سيتسنى لنا ان نُفسح المجال لقراءة هادئة نتذوق خلالها روعة النص وندخل الى معانيه الخفية ونتلقى نداءاته وهمساته..! أليست تلك هي المحصّلة النهائية

[١٥] كانت المطبعة الكاثوليكية (بيروت) قد خرجت بترجمة جديدة للعهد الجديد عام ١٩٦٩ قام بها الابوان صبحي حموي ويوسف قوشاقجي ، واللذين أجريا من ثم عليها تحسينات هامة، ولا سيما حين أدرجا فيها مداخل نقلاها عن الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس (T.O.B.) . وكان قد بدأ العمل بترجمة حديثة للعهد القديم نشرت اولاً بأربعة اجزاء بين الاعوام ١٩٨٢-١٩٨٧ (دار المشرق-بيروت) وظهرت من ثم في طبعة جديدة انيقة عام ١٩٨٩ تضم العهدين، وتميزت بهوامش عن ترجمة اورشليم الفرنسية للكتاب المقدس (B. de J.)، وبالرغم مما يرافق كل ترجمة من عثرات وهنهنات، نعتبر هذه الترجمة افضل ما ظهر بالعربية حتى حد الآن... من دون ان نبخس سائر الترجمات حقها . (انظر الاطار عن " الترجمات العربية للكتاب المقدس" :ف٦).

لكل هذا الجهد؟ أوَليست الدراسة مرحلة تعدّنا لقراءة مستنيرة ومثمرة؟ ومثلنا في ذلك مثل من انكبَّ على دراسة سمفونية[١٦] في حدِّ ذاتها من حيث كونها عملاً فنياً يتضمن مجموعة "نوطات" موسيقية تؤديها مجموعة من الآلات المختلفة... وبعدة اصوات... (التحليل البنيوي). وقد يضطر الى الاستعانة بكتب ومقالات عن تلك السمفونية ومؤلفها وهدفه من وضعها... (التحليل التاريخي). وسيكتشف ولا شك، عبر هذين الاسلوبين في البحث ، اموراً كثيرة عن تلك السمفونية التي لم يكن يعرفها جيداً، فكان يحمّلها تفسيرات بعيدة عن مرامي واضعها ... وكل ذلك ليتسنى له اخيراً ان يستمع اليها ويستمتع بها ، لانها لم توضع اصلاً لتُدرَس بل لتُسمَع! ولَكَم تحسّن اصغاؤه لها منذئذٍ... وهذا هو سبيلنا مع نصوص الكتاب المقدس : فقد كُتِب ، لا ليُدرَس، وانما ليُقرأ -قراءة تأمل واصغاء- وتخلق قراءتُه من ثم تذوقاً وتجاوباً والتزاماً...

٢- دليل الى القراءة الكتابية:

ان الهدف العميق من القراءة الكتابية هو ولا شك البلوغ الى اكتساب نظرة ملؤها الاحترام الى النصوص المقدسة يكون بوسعها ان تحملنا على مشاركة كتّابها ايمانهم وخبرتهم الايمانية ... ورأينا ان نضع بين ايدي القرّاء دليلاً الى مثل هذه القراءة نقتَبسُه من كراسة بيير مواتيل[١٧] عرض فيها سبع قواعد لتحليل النصوص ، وقدّم من ثم نماذج لعدد من الروايات الانجيلية طُبِّقَ عليها قواعد التحليل هذه، نثبت منها نموذجين: معجزة شفاء المقعد ورواية القيامة بحسب انجيل لوقا .

أ- القواعد السبع :

تكمن نقطة الانطلاق في هذا الشكل من التحليل البنيوي في ان كل رواية انجيلية -ككل نص ادبي- تتضمن اربعة فصول (بداية ونهاية يتوسطهما فصلان يؤلفان العقدة والحل) . ويجري التحليل بموجب سبع قواعد نوجزها كما يلي :

---

[١٦] الدليل/ ص١٣

[١٧] يطيب لنا ان نقدم خلاصة مكثفة لـ " دليل الى القراءة الكتابية " ادرجه بشكل ملحق مقتضب بيير مواتيل في العدد ٩٨ (١٩٩٦) من "كراسات انجيلية" بعنوان : روايات انجيلية: بنية وقراءة (بالفرنسية)

Pierre Moitel : De longs récits d' Evangile, construction et lecture, Cah. Ev. , No 98, Cerf, Paris 1996,p37-41

١- **بداية الرواية ونهايتها:** نظرة اولى الى الكلمات التي تبدأ بها الرواية وتنتهي ، مع ملاحظة ان التغيير الذي يطرأ هو نتيجة مسافة قطعها النص ويريد الكاتب من ثم ان يحملنا على اكتشافها . وستُمَكننا هذه النظرة الممعنة في النص من فهم هذا التحوُّل.

٢- **الافعال ذات الحركة:** تعكس الافعال المستخدمة في النص ديناميكية معينة تكشف عن مسار الرواية . لذا كان من الضروري جداً معرفة صيغة "الافعال " التي تُعبّر عن تصرفات الاشخاص ومواقفهم : الماضي (البعيد والقريب)، الحاضر، المضارع الخ...

٣- **معطيات المكان والزمان:** تشكل الوجه الثالث من بنية النص الاشارات الى الامكنة والازمنة ولا سيما في العبارات الرئيسة من النص. فكما يشكل، في المسرحية، كل تغيير في المكان مشهداً جديداً ويفترض تغييراً في الديكور، هكذا يمكن الكشف عن مراحل متتالية في النص، وكأنها مشاهد.

٤- **التضادّ:** وللانتقال من "عقدة" النص الى "الحل" هناك ولا شك كلمات متضادة للتعبير عن هذا الانتقال : من المرض الى العافية ، ومن التباعد الى المصالحة ، ومن الرفض الى القبول. الا ان المهم هو البحث عن كلمات التضاد الرئيسة التي حولها يتعقّد الموقف ويجد له من ثم مخرجاً.

٥- **المأزق:** بعد العثور على " افعال " الحركة ومعطيات المكان والزمان ومفردات التضاد ، يمكن الوصول الى نظرية اولى حول بنية النص ، حيث تبدو الرواية بجزئين: وضع (أ) يبلغ فيه الموقف الى طريق مسدود (العقدة) ، يقابله وضع (ب) يجد فيه الموقف انفراجاً (الحل) . وبين هذين الوضعين يكمن "المأزق" حيث تُنتظر امكانية "الخروج" منه لوهنا ينحبس النفَس كما في الافلام البوليسية! ويرتفع التساؤل: كيف ستنتهي القصة ؟ ويمكن تصوير هذه المرحلة من التحليل على الشكل التالي، مع اعتبار اربعة فصول لكل رواية:

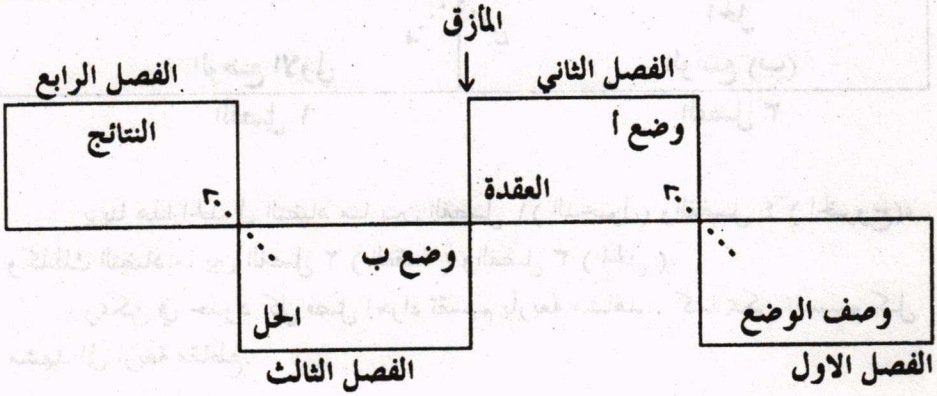

٦- **البطل:** في كل رواية بطل ينجز الانتقال من المأزق الى المخرج فيزيح العوائق ويفتح الطرق المسدودة . ففي الرواية الانجيلية التي ترينا يسوع يصارع الامراض والارواح النجسة والموت، يلعب يسوع في الرواية دور البطل. وهذا الدور يتم في الفصل٣ حين يتحقق التغيير في وضع مأساوي او يتمّ اخراج شخص ما من مأزق، شريطة ان تكون للبطل القدرة على ذلك! لذا، فهو، من الفصل ٢، يظهر بمظهر الكفوء لانجاز هذه المهمة -وغني عن القول ان "كفاءته" لهذه المهمة تتوقف على معرفته بالامر وقدرته على التدخل ورغبته في الانجاز. وهكذا لا ضَيرَ اذا غاب البطل عن الفصل١ ليظهر في الفصل ٢ في موقع الكفوء لهذه المهمة، سواء بشهادته او بشهادة آخرين. وما ان ينجز المهمة في الفصل ٣ ، يحصل في الفصل ٤ على الاعجاب او الرفض، حاضراً كان او غائباً!

٧- **التلاقي والتباعد:** ليس البطل وحيداً على الساحة . هناك آخرون يلعبون دور المؤيدين او المعارضين ، وتنشأ عن ذلك روابط ايجابية او سلبية : فحين نجد في الرواية شخصين (او موقفين) يلتقيان ويتآلفان نعتبرهما "شريكين" ، ويُشار الى تلاقيهما وائتلافهما بعلامة (٨) . وحين نجد شخصين (او موقفين) يتباعدان ويتنافران نعتبرهما "منافسين" ويشار الى تباعدهما وتنافرهما بعلامة (٧). وكما يشكل دخول شخص الى المسرح او خروجه مشهداً جديداً ، هكذا يشكل اكتشافنا للتلاقي او التباعد في الرواية مؤشراً اخيراً لبنية النص .

فبوسع هذه العناصر السبعة ان تضعنا بإزاء بنية لرواية من اربعة فصول ، صعوداً من الفصل ١ الى ٢، ومن ٣ الى ٤ ، وفقا" للشكل التالي :

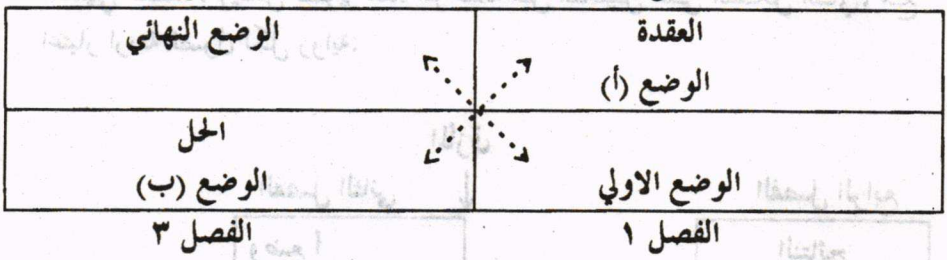

يرينا هذا الجدول التضاد ما بين الفصل ١(الدخول) والفصل ٤ (الخروج)، وكذلك التضاد ما بين الفصل ٢ (العقدة) والفصل ٣ (الحل).

ويمكن في حدود كل فصل اجراء تقسيم بأربعة مشاهد . كما يمكن تقسيم كل مشهد الى اربعة مقاطع.

كما ان هناك اداة للتحقق من فاعلية هذا التحليل ومصداقيته تكمن في "السهم القطري" الذي يخترق الفصلين الرئيسين ، فيبرز المعطيات / المفاتيح التي تقوم عليها الرواية ، وهي التي تتضمن مكوّنات النص حاملة معانيه :

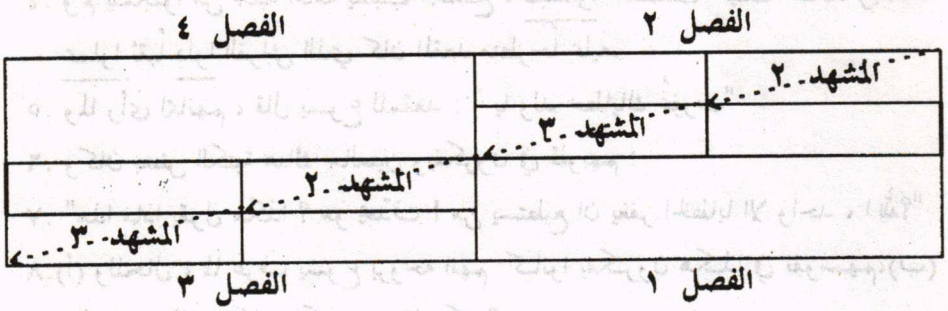

ويتضح ان جوهر الرواية كامن في الفصلين ٢ و ٣ : فاذا كانت العناصر الاساسية والكلمات المفاتيح مجتمعة على سير السهم ، فتلك اشارة الى سلامة بنية النص، وحينذاك نلمس تدفّق المعنى عبر قراءة النصوص الموزَّعة على خط سير السهم!

ب- نموذجان: معجزة ورواية

ندرج ادناه نموذجين (معجزة شفاء المقعد : مر ٢: ١-١٢ ، رواية القيامة بحسب انجيل لوقا : ٢٤: ١-٥٣) طبق عليهما بيير مواتيل قواعد التحليل السبع.

١- يسوع يلتقي مقعداً[١٨] (مر ٢: ١-١٢)

النص :

١. (أ) بعد ايام كان داخلاً من جديد الى كفرناحوم ،(ب) فسُمِع انه في بيت

---

[١٨] نعتمد ترجمة حرفية قريبة الى الاصل اليوناني ، واضعين كل آية من النص في رأس كل سطر، ومقسمين احياناً آية واحدة الى قسمين او ثلاثة يشار اليها بالحروف: أ(للقسم الاول من الآية)، ب(للقسم الثاني)...ونغتنمها فرصة للقول بأن تقسيم النصوص البيبلية الى فصول لا يرقى الا الى حوالي عام ١٢٠٠ ! ويُنسب الى اتين لانكتون الذي اصبح عام ١٢٠٦ اسقفا لكونتربري ، وهكذا غطّى تقسيمه للعهدين القديم والجديد على كل اشكال التقسيم الذي كان مألوفاً من قبل في الاوساط اليهودية.

اما تقسيم الفصول الى آيات ، فقد تم بالنسبة الى العهد القديم في حوالي عام ١٤٤٠ ، وبالنسبة الى العهد الجديد في ما بين الاعوام ١٥٥١-١٥٥٣ حين عمد الطبّاع الفرنسي روبيرت استيين الى وضع كل آية في رأس السطر واعطائها رقماً! ولا يخفى ان هذه التقسيمات لا تراعي دوماً سياق المعنى ... ويبقى فضلها انها سهّلت عملية الاهتداء الى المرجع!

٢. (أ) وكثيرون تجمعوا بحيث لم يبقَ مكاناً ابداً ، ولا عند الباب .(ب) وكان يكلمهم بالكلمة.

٣. ويأتون مقدمين اليه مقعداً يحمله اربعة (رجال) .

٤. ولم يتمكنوا من جلبه امامه بسبب الجمع ، فنبشوا السقف حيث كان، وبعدما عملوا ثقباً دلوا الفراش الذي كان المقعد منطرحاً عليه.

٥. ولما رأى ايمانهم ، قال يسوع للمقعد : " يا ولد خطاياك غُفِرت"

٦. وكان بعض الكتبة هناك جالسين ويفكرون في قلوبهم :

٧. "هذا ماذا يقول هكذا ؟ هو يجدّف ! من يستطيع ان يغفر الخطايا الا واحد ، الله؟"

٨.(أ) وللحال ، لما عرف يسوع بروحه انهم كانوا يفكرون هكذا في نفوسهم،(ب) قال لهم : لماذا هكذا تفكرون في قلوبكم ؟

٩. ما هو الاسهل ؟ القول للمقعد : خطاياك غُفرت ام القول : انهض وخذ فراشك وامشِ ؟

١٠.(أ) اذن ، كي تعلموا ان ابن الانسان له سلطان ان يغفر الخطايا على الارض .(ب) يقول للمقعد :

١١. اقول لك : انهض ، خذ فراشك واذهب نحو بيتك

١٢.(أ) ونهض، (ب)وللحال لما اخذ فراشه ، خرج امام الجميع، (ج) حتى كان الكل مندهشين وكانوا يمجدون الله قائلين: مثل هذا ما رأينا ابداً ! (انظر الجدول)

قراءة النص في ضوء القواعد السبع :

_ يطلع القارئ منذ البدء ان يسوع هو في بيت من كفرناحوم . وفي الخاتمة يجد شخصاً خارجاً من البيت، حاملاً فراشه امام اناس مندهشين يمجدون الله . ماذا حدث من امر خارق ؟

_ وضعت في النص خطوط تحت افعال الحركة . وهناك اشارتان الى المكان : كفرناحوم، بيت . فضلاً عن ثلاث اشارات الى الزمان : "بعد ايام" ، "للحال" على دفعتين . ففيما اكدت الاشارة الاولى على المدى ، شددت الاشارتان الاخريان على الفورية.

_ التضاد الرئيس يتمحور حول سلطان يسوع على مغفرة الخطايا : فيما ينكره الكتبة ويقاومونه (انه يجدّف!) ، نرى يسوع يشدد عليه (ابن الانسان له سلطان!). وسرعان ما سيتجلى هذا السلطان لدى انهاض المقعد.

يسوع والمقعد (مرقس ٢: ١-١٢)

الفصل الثاني (٣-٧) — الفصل الرابع (١٢ج)

المشهد الثاني حين عملوا ثقباً (ثغرة للوصول إلى يسوع: ايمانهم يؤكد قدرة يسوع) ٤	**المشهد الرابع** (الكتبة يتهمون يسوع بالتجديف) ٦-٧ (المأزق / طريق مسدود)
المشهد الاول ٣ يأتون مقدّمين إليه مقعداً (مقعد "٨" يسوع)	٥ **المشهد الثالث** لما رأى ايمانهم قال يسوع للمقعد: خطاياك غُفرت (يسوع يكشف عن سلطته) ٣-٧

كان الكل مندهشين
وكانوا يؤدّون مجداً لله قائلين:
مثل هذا ما رأينا أبداً
١٢ج

المشهد الثاني سُمِع (يُقال) انه في بيت ١ب	**المشهد الرابع** ١-٢ وكان يكلّمهم بالكلمة ٢ب
المشهد الاول ١أ يسوع كان داخلاً	٢أ **المشهد الثالث** كثيرون تجمعوا ... لم يبقَ مكان أبداً (المحال مغلق)

الفصل الاول (١أ-٢ب)

٨-١٢ب **المشهد الثاني**
قال لهم يسوع:
ابن الانسان له سلطان...
(تأكيد مجدد على قدرة يسوع) ٨ب-١أ

المشهد الرابع
للحال... لما اخذ فراشه
خرج امام الجميع
١٢ب

المشهد الاول ٨أ
وللحال...
لما عرف...

١٠ب-١٢أ **المشهد الثالث**
يسوع يقول للمقعد:
اقول لك: انهض...
ونهض

الفصل الثالث (٨أ-١٢ب)

* **الفصل الثاني** (آ ٣-٧) : ما ان وصل يسوع ، هوذا رجال يضعون المقعد امامه. هل ينتظرون مبادرة شفاء ؟ ربما . الا ان يسوع يجيب بكلمة غير منتظرة: غُفِرت لك خطاياك ! ولا التباس في صيغة الفعل للمجهول : فالعبارة تفترض بان فاعل الفعل "غفر" هو الله ذاته الذي يتجنب اليهود تسميته بدافع الاحترام. ولم يخطئ الكتبة في الامر : ماذا يقول؟ انه ينسب الى ذاته سلطاناً لا حق له فيه... "انه يجدِّف!" هوذا المأزق.

* **الفصل الثالث** (آ ٨-١٢ ب) : ويأتي رد يسوع مباشراً . "للحال" يعلن سلطانه على المغفرة ويدعمه بكلمة موجهة الى المقعد المنطرح.. كلمة توحي بالقيامة : ففعل "نهض" (ايجيرين باليونانية) هو احد الفعلين المستخدمين في العهد الجديد للتعبير عن قيامة يسوع! كما انها كلمة توحي ايضاً بالخلقة : ذلك لان العبارة "انهض ! فنهض" تصدي لرواية الخلق :"قال الله: ليكن النور! فكان النور". انها كلمة امر محقّق طالما انها تنجز ما تقول.. كلمة هي فعل ! ففي النص جعلنا خطأً تحت فعل "قال" (آ١٠) لانه يعتبر من افعال الحركة (فالقول هنا هو امر!).

اما العبارتان اللتان قالهما يسوع: "غفرت لك خطاياك" و"انهض"، فهما متآلفتان متناغمتان ولا تضاد او تباعد بينهما: فشفاء الجسد هو علامة لشفاء القلب، وكلاهما يحملان بشرى. وهكذا نجد المقعد قد حصل على مصالحة مضاعفة، مع الله بمغفرة خطاياه ، ومع ذاته باستعادته العافية . ألسنا بإزاء علامة للعهد الجديد المنادى به في كتاب اشعيا ، وقد تم تحقيقه في يسوع:"أرسلني لأجبر منكسري القلوب وانادي بافراج عن المسبيين" (اش ٦١: ١).

كما ان عبارة "اقول لك : انهض" هي بمثابة الصدى لعبارة "وكان يكلمهم بالكلمة"! ذلك اننا ، على مدى الرواية ، نجدنا بإزاء يسوع "يقول" (أُستخدم فعل "قال" ثماني مرات !) فيكشف بذلك عن كونه "كلمة الله"، وعن كون هذا "القول" مصدر خلاص وشفاء .

* **الفصل الرابع** (آ ١٢ ج): تنتهي الرواية على مشهد يكشف عن كون الجميع "مندهشين" (حرفياً: متأرجحين). وهوذا ما كان في البدء مجرد تهامس "سُمع = قيل" يتحول الى نظرة اندهاش واعجاب ... ذلك لان بشرى سارة قد حدثت!

ومن خلال سير خط السهم نجد المعنى كله متمحوراً حول المشهدين ٢و٣ من الفصلين ٢و٣ :

_ " لما عملوا ثقباً ... " (آ ٤) ثغرة/ ايمانهم بقدرة يسوع

_ " لما رأى ايمانهم قال للمقعد: غفرت خطاياك"(آ ٥) يسوع يُظهر سلطته

_ قال لهم يسوع: ابن الانسان له سلطان ... (آ٨- ١٠أ) تأكيد على قدرة يسوع

_ يسوع يقول للمقعد : انهض... فنهض(آ١٠ب- ١٢أ) حصول الشفاء بكلمة يسوع

٢- رواية القيامة بحسب لوقا[١٩] (٢٤ : ١_ ٥٣)

هذه الرواية الرائعة وضعها لوقا "المؤرخ المؤمن"، لا كتقرير للاحداث، وانما كشهادة ايمانية تعكس خبرة الجماعة المؤمنة بالمسيح القائم ، وهي تختبر معه فرح اللقاء والاكتشاف! وهكذا نجدنا للحال مع كاتب يقاسم قارءه بشرى، بطلها يسوع "الرب" الذي "يقف منتصباً في وسطهم"، وحوله تلتئم الجماعة المسيحية الاولى وتنسج وحدتها...

قراءة النص :

- تمتد احداث الرواية على نهار طويل من "اليوم الاول من الاسبوع" غداة السبت اليهودي.
- اشارات المكان عبر دخول "الممثلين" وخروجهم تكشف عن فصول الرواية:
  ١) النساء في القبر (آ ١-١٢)
  ٢) لقاء القائم مع التلميذين على طريق عماوس (آ١٣- ٣٥)
  ٣) القائم في وسط تلاميذه في اورشليم (آ٣٦ -٥١)
  ٤) التلاميذ في هيكل اورشليم (آ٥٢-٥٣)
- عبارة تتكرر في الفصول الثلاثة الاولى:"يجب ... اما كان ينبغي..." (آ٧،٢٦،٤٤). انها اشارة فريدة الى كون المخلص استخدم هذه الطريق "كي تتم الكتب" (آ ٢٥، ٣٢، ٤٤)
- كلمة "وجرى" تحدّد النص وعلى اربع دفعات. انها تعلن، لدى لوقا، عن بدء مشهد مهم في الرواية: حضور الملائكة في القبر (آ ٤)، مجيء يسوع (آ١٥)، كسر الخبز (آ ٣٠) ، صعود يسوع (آ ٥١).

ويمكننا الآن ان نتناول الفصول الاربعة التي تتوزع عليها الـ ٥٣ آية من الفصل الاخير من انجيل لوقا (انظر الجدول).

*** الفصل الاول (آ ١-١٢) : البحث عن القائم**

- النساء اللواتي لم يستطعن القيام بمراسيم التطييب ليلة السبت ، يأتين في اليوم التالي فيتلقين مفاجآت :

  المفاجأة الاولى: الحجر قد دُحرج

  المفاجأة الثانية: جسد يسوع ليس في القبر

---

[١٩] نقدم هنا رواية القيامة كدليل الى القراءة الكتابية ونموذج لها، سيما وانها من اروع الروايات الانجيلية بمضمونها اللاهوتي الذي حوله تتمحور قراءتنا المجددة للعهد الجديد - وقد كتب برمته في ضوء القيامة ! وهكذا يتم ربط مُحكم بين بدء مسيرتنا في هذا الكتاب وخاتمتها عبر القيامة التي هي بمثابة خط سير" السهم" الذي يخترق الكتاب من ألفه الى يائه! اليس على " طريق عماوس" ،طريق كل يوم، يفتح الرب الحي اذهاننا لنفهم الكتب؟!

رواية القيامة بحسب إنجيل لوقا (٢٤)

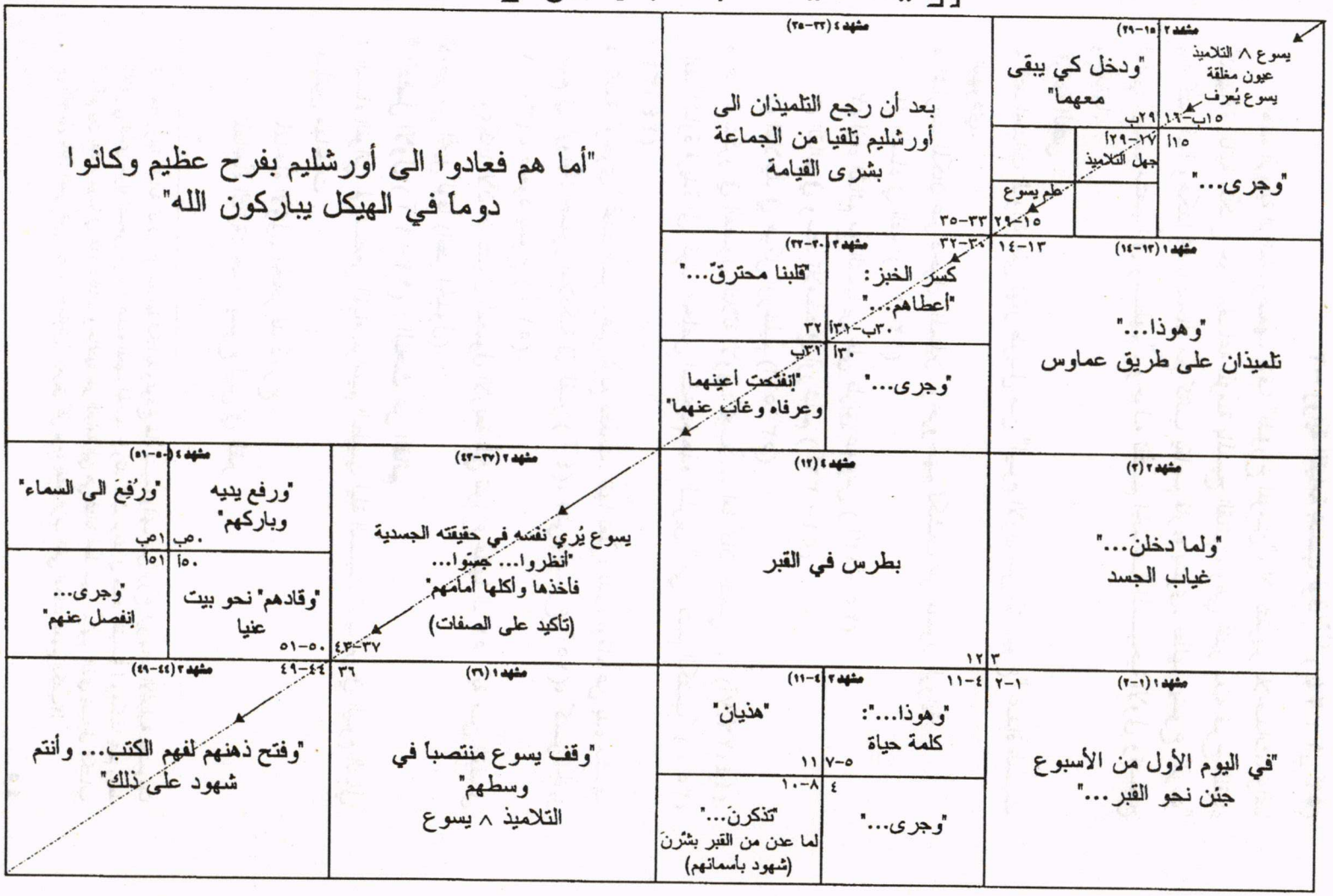

وهاتان المفاجأتان هما علامتان على المسافة التي تفصل يسوع عن الموت، ولن تكتملا الا بمفاجأة ثالثة: رجلان يتراءيان ، وهما واقفان ، بثياب برّاقة ، مما يشير الى اننا تجاه حضور الهي. انهما بالاحرى شاهدان على ان النساء لم يتعرضن لوَهَم، وها هن "ينكّسن وجوههن" علامة على "الخوف" والاحترام والرهبة.. فيتلقين كشفاً الهياً: "لماذا تبحثن عن الحي بين الاموات ؟"

- يعكس الخطاب ، على لسان الرجلين ، الافعال الثلاثة المستخدمة في الكرازة الرسولية بالقيامة : انه حي (آ٥)، انه قام (آ٦) بمعنى نهض واستيقظ، انه يقوم(آ٧) بمعنى يُنهض ويُرفع.وتأتي اضافة "اذكرن كيف كلّمكنّ..."، لتلعب على الكلمات: فالقبر (منيميون باليونانية) وفعل " ذكر" من اصل واحد ، مما يوحي بأن القبر هو المكان الذي فيه يتذكر الله ويمنح الحياة، حتى ان مكان القيامة لم يعد موقع موت، وانما نقطة انطلاق للتذكر بكلمات يسوع وافعاله حين" كان يبشر في الجليل"!
- حين يؤكد النص ان النساء " ذكرن كلامه"، فتلك اشارة خفية الى ان القبر لم يعد له اهمية ! انهن يبتعدن عن القبر ليصبحن مبشرات بيسوع، فيعلنّ انه حي. وهكذا ينتهي الفصل الاول على مشهد عدم ايمان الاحد عشر وسائر التلاميذ...

*** الفصل الثاني (آ ١٣-٣٥) : كلمات القائم وحركاته**

يتضمن هذا الفصل ، على شاكلة الفصل الاول، اربعة مشاهد ، بعضها يتجزأ الى مقاطع (وينبغي الانتباه الى تقطيع الآيات وتجزئة الآية الواحدة احياناً).

المشهد الاول (آ ١٣-١٤): تلميذان يتركان اورشليم ويتوجهان الى عماوس

المشهد الثاني (آ ١٥-٢٩): يسوع يدخل في المشهد ويرافقهما على الطريق ذاتها. انه هو الذي يبادر الى اللقاء والكلام : " واخذ يسير معهما " ولم يعرفاه! وهكذا يتحول عدم الايمان، في نهاية الفصل الاول، الى عدم الرؤية !

- قراءة التلميذين للاحداث التي جرت على ارضية من الخيبة وعدم الوهم، وخلاصتها: فشل مشروع "النبي" يسوع! وتحطّم امل بالتحرير كان قد ابتسم..! ويعكس حديثهما بالتالي عدم مصداقية النساء.. اذ يقولان:"اما هو فلم يروه" وها نحن من جديد امام عدم رؤية !
- وعلى العكس، يكشف خطاب يسوع عن مخطط الله عبر قراءة مجددة للكتب، من موسى الى كل الانبياء! فالتفسير الذي يقوم به يسوع في ما يختص به، يكشف عن "علمه" ومعرفته ، ويضفي عليه كفاءة اولى تعدّه لخطوة جديدة...
- يقبل يسوع دعوة التلميذين: يدخل ليقيم "معهما" . وفيما تبقى الرواية تحت شعار عدم الرؤية، يستمر التساؤل : متى وكيف سيتعرفان على القائم ؟

".. ولما جلس معهما للطعام ، اخذ الخبز وبارك وكسر وناولهما" -عشاء عماوس بريشة رامبرانت : ١٦٣٤- باريس.

• ومع اعادة قراءة الكتب التي يقوم بها يسوع، يصبح حديثه مقدمة للوقت الذي فيه يتم اللقاء مع القائم عبر "كسر الخبز". وينفرد لوقا بهذه العبارة للدلالة على الافخارستيا (رسل ٢: ٤٢). وهكذا نجدنا امام "معرفة" يسوع بتفسير الكتب (آ٢٧)... معرفة تمنحه كفاءة جديدة وتمكنه من خطوة ثانية في اتجاه تعرّف التلميذين عليه...

• حركة "كسر الخبز" هي التي "ستفتح" عيني التلميذين (راجع آ ٣٥). وتفتّح العيون سيكشف بعدئذ، وبمفعول عكسي ، عما انطوى على "فتح الكتب" من تدفق واشعاع...

المشهد الثالث (آ ٣٠-٣٢): انه مركز الفصل الثاني طالما ان "البطل" يحتل مكانة القلب من الحركة ، وهو مزوّد بالكفاءة والقدرة على التحرك.. وكفاءة يسوع الثانية تشهد لها كلماته التي تؤيدها وتدعمها الحركات:

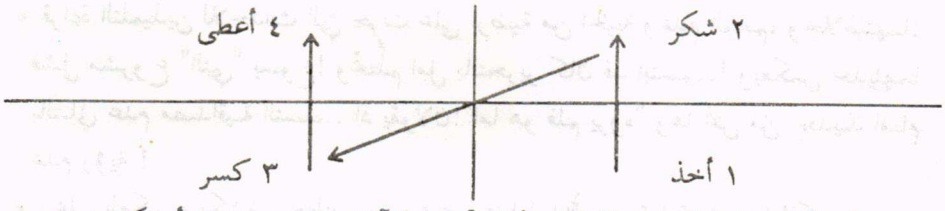

(في هذا المقطع من المشهد الثالث نجد تجزئة للآية ٣٠ ب - ٣١ أ تكشف عن الحركات الاربع للافخارستيا!).

• حركة "كسر الخبز" قادت اذن الى معرفة من هو الجالس على المائدة: "فانفتحت اعينهما وعرفاه" (آ ٣١ أ). وللحال يفرض السؤال نفسه: ماذا سيعمل القائم الآن وقد عُرف؟ انه يغيب! بعد ان كان "معهم" طيلة خمس لوحات متتابعة...

ايقونة "الثالوث الأقدس": اندريه روبليف (١٤١٠) – متحف ترتياكوف، موسكو
مع ضيوف ابراهيم الثلاثة (تكوين ١٨) سرعان ما نجدنا في هيكل تتحول فيه "بلوطة ممرا" الى شجرة الحياة، والعجل الى كأس الافخارستيا! في هذه الايقونة البيزنطية الرائعة.. يتجلى الله ثالوثاً، وتتجسد محبته اللامتناهية في عطاء الذات الكامل الذي ترمز اليه المائدة...

هنا يكمن الكشف عن حقيقة المسيح القائم . ومنذئذ لن يكون الاعتراف بحقيقة القائم من قبيل الرؤية ، بل من قبيل الايمان . وذلك عبر علامات ابرزها : كسر الخبز والقراءة المجددة للكتب .

- ونرى التلميذين (كما في البدء: آ ١٤) يتذاكران "في ما بينهما" بشان هذه "المسيرة" التي اصبحت مضاعفة، مسيرة الطريق ومسيرة القلب : "... حين كان يحدثنا في الطريق".
- كان يجب اذن على يسوع ان "يفتح الكتب": فبفضلها، وعبر كسر الخبز، "تنفتح اعينهما"! ولن يعودا من ثم بحاجة الى **رؤية** يسوع طالما ان **الفكر والقلب قد انفتحا على الايمان!**

المشهد الرابع (آ ٣٣- ٣٥): في هذا المشهد الاخير من الفصل الثاني يكتشف التلميذان العائدان الى اورشليم ان خبرتهما ليست الاولى، وان اعلان قيامة الرب يرجع الى جماعة الاحد عشر والقريبين منهم ، وان امتياز الحظوة بالتراثي الاول هو لبطرس! وهنا تندرج شهادتهما...

- مع مشهد تلميذي عماوس نجدنا في مناخ ليتورجي يعكس احتفالاً افخارستياً يتضمن: قراءة الكتب وكسر الخبز ! فنص الرواية يهدف التأكيد على الرباط الوثيق الذي ، في الايمان ، يوحدّ ما بين الاحتفال الافخارستي واكتشاف حضور الرب القائم عبر علامة "كسر الخبز" .ألسنا بإزاء ملامح الاجتماع الاحدي كما كان يجري في الكنيسة الناشئة، وكما عكسته ريشة لوقا :

أ) اقتسام احداث الحياة اليومية بأفراحها ومعانياتها.

ب) اقتسام كلمة الله عبر قراءة الاسفار المقدسة.

ج) كسر واقتسام الخبز الافخارستي بحرارة القلب الواحد.

د) حضور الرب القائم في قلب الجماعة المؤمنة.

*** الفصل الثالث (آ ٣٦- ٥١) : جماعة القائم**

المشهد الاول (آ ٣٦): يتم تراثي القائم لجماعة التلاميذ حين "ينتصب واقفاً في وسطهم"! في هذا المشهد نجد مركز الرواية ، تحيط به مشاهد تكشف عن ان الرب الحي، بعد ان يكون قد فتح اذهانهم، اقامهم شهوداً له. ويمكننا ان نلاحظ التوافق والائتلاف بين يسوع والتلاميذ، وبفضل معركة يقودها يسوع!

المشهد الثاني (آ ٣٧- ٤٣): كان على يسوع القائم ان يبدأ بتبديد كل ابهام او التباس او وَهَم حول حقيقة ذاته بعد القيامة: "ظنوه خيالاً"! وها هوذا يَدَعُهُم يرونه ويلمسونه في حقيقته الجسدية (ذلك اسلوب دفاعي اتخذه كاتب الانجيل الثالث وهو يتوجه به الى يونانيين يصعب عليهم الاعتقاد بقيامة الجسد -هم الذين لا يؤمنون الا

بخلود النفس) . ولذا نراه يجعل يسوع "يأكل امامهم" تأكيداً منه على حقيقة قيامة الرب في الجسد . وبعد هذا الالحاح الذي يكون قد بدد الشكوك واعاد الثقة بالرب القائم (وقد سبق وقرأ الكتب وكسر الخبز) سيكون بوسع هذه الرؤية ان تحمل على الايمان... وكأني بلوقا يوحي انها غير كافية!

المشهد الثالث (آ ٤٤- ٤٩): في هذا المشهد تدور المعركة الكبرى! يذّكر يسوع امام الجميع كرازته ابان حياته الارضية :" ذلك كلامي الذي قلته لكم اذ كنت معكم... "، مؤكداً على انه " كان يجب ان يتم كل ما كتب ..."! وكان عليه ان يفتح اذهانهم ليفهموا الكتب.. ففتحها (آ ٤٥)!

ويمكننا ان نجد في هذا الاستذكار وهذه القراءة المجددة للكتب المواضيع الكبرى التي تضمنتها الكرازة الرسولية : التوبة وغفران الخطايا وشمولية الخلاص... وتتحول الافعال الى المخاطب الجمع (٥ مرات: انتم، شهود ، ارسل اليكم ، امكثوا ، تُلبَسوا) لتدل على وصايا يسوع الاخيرة لتلاميذه : دورهم كشهود ، تهيؤهم لقبول الروح الموعود به من قبل الآب ، عطية القوة من العلاء.

المشهد الرابع (آ ٥٠- ٥١): وينتهي هذا المشهد الذي يختم الفصل الثالث من الرواية -وهو مركزها- بعبارات يستوحيها لوقا من الكتاب المقدس ليدلنا على ان يسوع انهى مهمته على الارض: هوذا يبارك تلاميذه " ويُرفع" الى السماء على مثال ايليا النبي: فنحن امام مشهد دخول يسوع في مجده !

*** الفصل الرابع (آ ٥٢- ٥٣) : استمرار اكتشاف القائم**

بدأت الرواية في القبر ، وها هي تنتهي في الهيكل (حيث كان الانجيل قد بدأ بصلاة زكريا!). انها فترة تمكّن التلاميذ من " التعرّف" العميق على يسوع الممجد ...

انهم " يسجدون "-وهي المرة الاولى يركع فيها التلاميذ امام الذي يباركهم ويعود الى الآب! ومن الجبل "يرجعون الى اورشليم " حسب تعليمات يسوع، في انتظار "القوة من العلى" ...وفي انتظارهم الروح ، نراهم " يباركون الله " في الهيكل ، وبفرح عظيم : انهم في موقف الشكر على عطية الله. فيسوع، اذن، لم يعد هنا على الارض، الا ان شهوده مستعدون للكرازة باسمه بين الامم: "باسمه تعلن التوبة وغفران الخطايا". وهوذا النقص قد سُدّا! طالما ان جماعة التلاميذ - وهم نواة الكنيسة الناشئة - قد اؤتمنوا على الكرازة وحمل البشرى الى العالم اجمع!

بمثابة خاتمة...

لم يكن عَرَضاً ان يحمل الفصل الاول من هذه "القراءة المجددة للعهد الجديد" عنوان (مفتاح القراءة) ! فأية كانت المفاتيح التي تضعها في متناولنا العلوم البيبلية بما لديها من طرق التحليل والتدقيق والتقصّي.. فليس هناك سوى مفتاح واحد! انه في يد الرب يسوع -هو الذي لا نستطيع ان نقول له "الرب" الا بالروح القدس (١قور ١٢:٣)-، ولن نبلغ الى ادراك معنى الاسفار الا حين يكشفها لنا القائم من بين الاموات، فنرتضي ان "يكتّنا"، ونقبل ان يستخدم مفتاحه، يفتح به اذهاننا لنفهم الكتب!

تلك هي أُمنيتنا على مدى هذا الكتاب الذي إن هو سوى "دليل" يضعنا في مدرسة الرب يسوع لنقرأ به ومعه، مجدَّداً، اسفار الكتاب المقدس، فنجد موقعه في تصميم الله. فاذا كنا في العهد القديم نقرأ قصة شعب مؤمن جدّد قراءة حياته في ضوء ايمانه.. فمع العهد الجديد سيتسنى لنا ، عبر قراءة مجددة لاسفاره، ان نقرأ حياتنا على ضوء تلك العلاقة الحميمة التي تربطنا بالله وتربطنا بالتالي بيسوع المسيح "الابن الوحيد"، الكلمة الذي "صار بشراً وسكن في ما بيننا" (يو١:١٤)...

وهكذا يتضح لنا اننا مقدمون على مغامرة لن ندرك مغزاها الا في النهاية! تلك هي مسيرة الايمان. وتلك كانت مسيرة تلميذي عماوس.. وهي بالتالي مسيرتنا عبر هذا الكتاب، الذي قد يبدو ذا طابع دراسي ، ولكنه سرعان ما يكشف عن كونه "دليلاً" الى لقاء الرب الحي الذي سنجده "على الطريق" لا محالة.. وغالباً ما في نهاية الطريق! وحينذاك سيطيب لنا ان نطيل المكوث معه، مستمتعين بفرح اللقاء وعذوبته ومتطلباته ايضاً ! فاللقاء بالرب يسوع سرعان ما يتمخض عن نداء ملح الى الشهادة. أوَليست هذه الشهادة في القلب من بشارة العهد الجديد: "... وتكونون لي شهوداً... حتى أقاصي الارض" (رسل ١: ٨)!؟

الفصل الثاني

بيئة العهد الجديد

الفصل الثاني

اولاً: الامبراطورية الرومانية

١-امبراطورية في اوج عزها

ثانياً: فلسطين في زمن يسوع

١-جغرافية فلسطين
٢-الحالة السياسية
٣-الحالة الاقتصادية
٤-الحالة الاجتماعية
٥-الحالة الدينية
أ- الفئات الدينية
ب-الحركات والكتل
ج-المؤسسات اليهودية

الاطارات

٧) اسفار العهد الجديد
٨) ((تنخ))(توراة، انبياء، كتب)
٩) اسفار العهد القديم
١٠)الترجمة السبعينية
١١)نظرات إلى العالم اليوناني والروماني
١٢)مدرسة فريسي يمنيا
١٣)الاسفار القانونية
١٤)الموازين والمقاييس والمكاييل
١٥)التيار الرؤيوي في زمن يسوع
١٦)جدول بالاحداث التاريخية

بيئة العهد الجديد

... ولكي نبلغ إلى قراءة مجددة للاسفار المقدسة، ولأسفار العهد الجديد بشكل خاص، لا مناص لنا من وضعها أولاً في اطار الزمن الذي دُونت فيه، وفي سياق البيئة التي احاطت بالكتّاب الملهمين فتركت بصماتها على اسفارهم... وغني عن القول ان وراء كل كتاب مؤلفا قد تأثر بحضارة زمانه وجغرافية بلاده وثقافة شعبه ولغته.. فضلاً عن تأثره العميق بالاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي وُلدت كتاباته في حضنها، ورجّعت طروحاته من ثم صداها...

ولما كنّا بصدد ((العهد الجديد)) -وقد دُوّنت اسفاره في النصف الثاني من القرن الاول الميلادي- كان لا بد لنا من العودة إلى التاريخ المدني والديني في ذلك الحين، واستقراء الاحوال والظروف التي سبقت البشرى الانجيلية وهيّأت لها، إلى جانب تلك التي واكبت نشأتها وشهدت انطلاقتها الاولى... -ولكم ستغني الاطارات العديدة الملحقة بهذا الفصل معلوماتنا الكتابية، سيما حين تلقي الضوء على واقع العالم اليوناني والروماني، وتلفت الانتباه إلى التيار الرؤيوي في زمن يسوع.

ونجدنا للحال في قلب الامبراطورية الرومانية التي سادت الدنيا وامتدت سيطرتها إلى فلسطين منذ عام ٦٣ ق.م. وهكذا يستعرض لنا هذا الفصل لمحات من مختلف الاوجه عما كانت عليه فلسطين في زمن يسوع، في ظل امبراطورية كانت قد بلغت قمة مجدها.. وكيف استطاع المسيحيون ان يشقوا طريقهم في حضن مجتمع متعدد النزعات والتيارات الدينية والفكرية...

و هكذا ترتسم امامنا لوحة جامعة للمؤسسات اليهودية ولمختلف الفئات الاجتماعية والدينية والسياسية -بدءً بالكهنة والكتبة والفريسيين والصدّوقيين.. وانتهاءً بالاسينيين والسامريين والغيارى- والتي تتألف منها تركيبة المجتمع اليهودي الذي إليه أولاً توجهت البشرى السارة.

مدخل

وضعنا الفصل الاول بإزاء نصوص ترقى الى حوالي الفي عام، دُونت بلغة يونانية شائعة، وهي وليدة بيئة حضارية يهودية يونانية تمتد من فلسطين وحوض البحر الابيض المتوسط، مروراً بأرجاء آسيا الصغرى واليونان وحتى روما قلب الامبراطورية الرومانية. لذا كان من الضروري جداً، كي ندخل في المناخ الفكري والثقافي الذي أنتج هذه النصوص، ونحصل على ألفة مع الافكار والآراء والمفاهيم التي انطوت عليها.. ان نحيط علماً بالاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية التي كانت بمثابة الارضية لأسفار العهد الجديد (**انظر الاطار ٧: اسفار العهد الجديد**).

ويكفي ان نقول بأن فهمنا لهذه النصوص يتأثر سلباً او ايجاباً بمقدار ما نكون قد اطّلعنا على جوانب من اوضاع الزمن الذي كتبت فيه هذه الاسفار المقدسة، وبمقدار ما نكون قد أحطنا بعادات وتقاليد ومفاهيم ومعتقدات الشعوب التي نشأت تلك النصوص في حضنها، وتوجهت اليها من ثم... فهل نتعامل على حد سواء مع نص يحمل سمات وسط يهودي، ونص يسبح برمته في بيئة حضارية تعكس سمات العالم الوثني؟ وهل يمكن ان نقرأ نصاً يتوجه الى مسيحيين من اصل يهودي منغمسين في بيئة كتابية، بعين الرؤية التي نقرأ بها نصاً يتوجه الى مسيحيين من اصل وثني تتجاذبهم تيارات فكرية متنوعة وتتنازعهم توجهات مسلكية متضادة..؟ فلا مناص من عملية البحث الجاد عن المعنى الذي كان لبعض العبارات او المفردات في هذا او ذاك الاطار الثقافي والحضاري... كما يبدو لزاماً ان نحيط بالمناخات الفكرية والثقافية والاجتماعية والخلقية السائدة آنذاك، ونوعية الطروحات والتساؤلات المتداولة في تلك المجتمعات .. لندرك عمق الاجابة التي حملتها اسفار العهد الجديد وابعاد الطروحات التي تقدمت بها، وهي تخاطب يهوداً متنصرين او وثنيين مهتدين، ومن خلالهم تخاطب العالمين اليهودي والوثني...

اسفار العهد الجديد (٢٧ سفراً)*

الاسفار	المرجع	الاسفار بحسب سنة التأليف المحتملة	
انجيل متى	متى	١ تسالونيقي	٥١
انجيل مرقس	مر	٢ تسالونيقي	٥٢
انجيل لوقا	لو	١ و ٢ قورنتس	٥٦-٥٧
انجيل يوحنا	يو	غلاطية	٥٦-٥٧
اعمال الرسل	رسل	فيلبي	٥٦-٥٧؟
الرسالة الى روما	روم	روما	٥٧-٥٨
الرسالة الاولى الى قورنتس	١ قور	قولسي	٦١-٦٣
الرسالة الثانية الى قورنتس	٢ قور	افسس	٦١-٦٣
الرسالة الى غلاطية	غل	فيلمون	٦١-٦٣
الرسالة الى افسس	اف	١ طيموتاوس	٦٣ او ١٠٠؟
الرسالة الى فيلبي	فل	٢ طيموتاوس	٦٧او ١٠٠؟
الرسالة الى قولسي	قول	طيطس	٦٧ او ١٠٠؟
الرسالة الاولى الى تسالونيقي	١ تس	١ بطرس	٦٤؟
الرسالة الثانية الى تسالونيقي	٢ تس	انجيل مرقس	٧٠
الرسالة الاولى الى طيموتاوس	١ طيم	الرسالة الى العبرانيين	٧٠؟
الرسالة الثانية الى طيموتاوس	٢ طيم	رسالة يعقوب	٦٠ او ٩٠؟
الرسالة الى طيطس	طي	انجيل متى	٨٠-٩٠
الرسالة الى فيلمون	ف	انجيل لوقا	٨٠-٩٠
الرسالة الى العبرانيين	عب	اعمال الرسل	٨٠-٩٠
رسالة يعقوب	يع	رسالة يهوذا	٨٠-٩٠
رسالة بطرس الاولى	١ بط	انجيل يوحنا	٩٥-١٠٠
رسالة بطرس الثانية	٢ بط	رؤيا يوحنا	٩٠-١٠٠
رسالة يوحنا الاولى	١ يو	١ و ٢ و ٣ يوحنا	١١٠؟
رسالة يوحنا الثانية	٢ يو	٢ بطرس	١٢٥؟
رسالة يوحنا الثالثة	٣ يو		
رسالة يهوذا	يه		
رؤيا يوحنا	رؤ		

* في الفصل ٦ نقدم مدخلاً مكثفاً الى كل من هذه الاسفار. وفيما نثبت علامة اختزال "المرجع" التي نعتمدها في استشهاداتنا بالنصوص، نقول بأن الحرف (ت) يشير الى الآيات التي تلي المرجع. فعلى سبيل المثال، حين نثبت المرجع (لو ٤: ١ت) فالمقصود: انجيل لوقا، الفصل الرابع، الآية الاولى وما يليها.

وهكذا نجدنا امام مشروع كبير يتطلب منا جهداً في التقصي عن كل ما كتب ودوّن في التاريخ المدني والديني، اقله في القرنين اللذين يؤطران نشأة الكنيسة، قبل الميلاد وبعده. وفي عملية التقصي هذه سيلزمنا بشكل خاص ان نعود الى اسفار العهد القديم (**انظر الاطار ٨ عن "تنخ": تورا، نبيم، ختبيم**) ونحيط علماً بالطروحات الكبرى التي تناولتها والتي تشكل خلفية اساسية لفهم العهد الجديد -وقد امتد انشاؤها على مدى ١٠٠٠ سنة، وتفصلنا عن انشائها النهائي ٢٥٠٠ سنة على الاقل! (**انظر الاطار ٩: اسفار العهد القديم**).

وسيلزمنا ولا شك ان نطرح الكثير من الاسئلة على علماء التاريخ والآثار كي تفيدنا أبحاثهم واكتشافاتهم وتنقيباتهم في بطون الكتب وطبقات الارض، في فلسطين وآسيا الصغرى وكل أرجاء

اطار ٨

" تنخ": تورا، نبيم، ختبيم.

كان في متناول المسيحيين الاولين الاسفار المقدسة ذاتها التي كانت محور الايمان اليهودي، والتي سيجددون قراءتها في ضوء ايمانهم بقيامة المسيح. وهذه الاسفار تعكس ايمان شعب مغرم بالهه "يهوه"، وقد عرف فيه محرراً من عبودية مصر قبل ان يرى فيه خالقاً... وهو الذي أبرم معه في سيناء عهد الشريعة (التورا): فالخروج هو الحدث المؤسس الذي جعل من "اسرائيل" شعباً لا يَنسى يذكر آيات الله العظيمة. فالاسفار المقدسة تروي، باساليب مختلفة، اعمال يهوه الباهرة ونداءاته المتواصلة،وتعكس قناعة شعب بواجب الامانة لشريعته والالتزام بعبادته وخدمته... كما تصدي لقدرة هذا الاله الذي لا يني يواصل عمل التحرير والخلاص ابان الكوارث والمحن التي تعرّض لها الشعب طيلة تاريخه الطويل... وهكذا نجدنا بإزاء قصة رائعة تتخذ كل ابعادها في حياة المؤمن:انها قصة اله مع شعبه!

اما مؤلفو هذه الاسفار فهم مؤمنون قرأوا في تاريخ شعبهم حضور الله وتدخله الى جانبه، بدافع من امانته للعهد الذي أبرمه مع الآباء، وطالما جددّه بلسان الانبياء.. وقد دُوّن معظم هذه الاسفار بالعبرية واتخذ صيغته الانشائية النهائية في حقبة ما بعد الجلاء الى بابل، ما بين القرن الخامس والثالث. وتتضمن الاسفار ثلاثة أقسام: "الشريعة" (تورا) ولها مكانة القاعدة في الايمان، وتتألف من الاسفار الخمسة الاولى، و "الانبياء" (نبيم) بفئتيهم: الاولين(الاسفار المسماة تاريخية خطأ) والآخرين (الأنبياء الكبار والصغار)، ويشمل القسم الثالث سائر "الكتّاب" (ختبيم) أي اصحاب المؤلفات الاخرى وفي مقدمتها المزامير والاسفار الحكمية... ويشار الى هذه الاقسام الثلاثة بالحروف الاولى "تنخ"!

ومن الجدير بالذكر بأن اول ذكر لهذا التقسيم جاء في فاتحة سفر يشوع ابن سيراخ (١٣٥ ق.م.) حيث ورد: " لقد تلقينا من الشريعة والأنبياء ومن خلفهم..." (١: ١؛ انظر ١مك ١٢: ٩). انه التقسيم المعتمد في الكتاب المقدس العبري. اما الترجمة السبعينية (انظر بشأنها الاطار ادناه) فتميز اربعة اقسام: اسفار الشريعة، الاسفار التاريخية، اسفار الحكمة، اسفار الانبياء. وهي تضيف سبعة اسفار على الكتاب المقدس العبري الذي يحتوي على ٣٩ سفراً (انظر الاطار رقم ١٣ أدناه بشأن الاسفار القانونية).

اطار ٩

اسفار العهد القديم (٤٦ سفراً)

الاسفار	المرجع
التكوين	تك
الخروج	خر
الاحبار (لاويون)	اح
العدد	عد
تثنية الاشواع	تث
يشوع	يش
القضاة	قض
راعوت	را
صموئيل الاول	١ صم
صموئيل الثاني	٢ صم
الملوك الاول	١ مل
الملوك الثاني	٢ مل
الاخبار الاول	١ أخ
الاخبار الثاني	٢ اخ
عزرا	عز
نحميا	نح
طوبيا	طو
يهوديت	يه
استير	أس
المكابيون الاول	١ مك
المكابيون الثاني	٢ مك
ايوب	اي
المزامير	مز

الاسفار	المرجع
الامثال	مثل
الجامعة	جا
نشيد الاناشيد	نش
الحكمة	حك
يشوع ابن سيراخ	سي
اشعيا	اش
ارميا	ار
المراثي	مرا
باروك	با
حزقيال	حز
دانيال	دا
هوشع	هو
يوئيل	يوء
عاموس	عا
عوبديا	عو
يونان	يون
ميخا	مي
ناحوم	نحو
حبقوق	حب
صفنيا	صف
حجاي	حج
زكريا	زك
ملاخي	ملا

مجموعات الاسفار المقدسة

*** الشريعة (تورا)**

١) التكوين
٢) الخروج
٣) الاحبار
٤) العدد
٥) تثنية الاشواع

*** الانبياء الاولون:**

٦) يشوع
٧) القضاة
٨،٩) ١و٢ صموئيل
١٠،١١) ١و٢ ملوك

*** الانبياء الاخرون:**

١٢) اشعيا
١٣) ارميا
١٤) حزقيال
١٥) هوشع
١٦) يوئيل
١٧) عاموس
١٨) عوبديا
١٩) ميخا
٢٠) ناحوم
٢١) حبقوق
٢٢) صفنيا
٢٣) حجاي
٢٤) زكريا
٢٥) ملاخي

*** الكتاب الآخرون**

٢٦) راعوت
٢٧و٢٨) ١و٢ اخبار
٢٩) عزرا
٣٠) نحميا
٣١) استير
٣٢) ايوب
٣٣) المزامير
٣٤) الامثال
٣٥) الجامعة
٣٦) نشيد الاناشيد
٣٧) المراثي
٣٨) دانيال
٣٩) يونان

الاسفار القانونية الثانية:

١) طوبيا
٢) يشوع ابن سيراخ
٣) يهوديت
٤) المكابيون الاول
٥) المكابيون الثاني
٦) باروك
٧) الحكمة

الامبراطورية الرومانية، في فهم الاشارات والتلميحات التاريخية والجغرافية والسياسية والاجتماعية.. التي اصدت لها بعض نصوص العهد الجديد.. وبكلمة، يبدو من الضروري ان نحيط بكل التراث الادبي والديني الذي يحيط بعالم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد!

ولما كان مثل هذا التقصّي الشامل يفوق حدود هدفنا في هذا الكتاب، كان لا بد لنا ان نكتفي بتقديم لوحة موجزة عن حصيلة الدراسات التاريخية والآثارية التي قام بها العلماء في هذا المضمار. كما اننا ننطلق في جولتنا هذه، للتعرف على بيئة العهد

الجديد، من قراءة لسفر اعمال الرسل، من زاوية كونه "دليلا" لنا الى عالم المسيحيين الاولين، سيما وانه السفر الوحيد الذي رسم لنا لوحة عن نشأة الكنيسة الاولى وانطلاقتها التبشيرية في العالم.. هذه الكنيسة التي في حضنها ستنشأ اولى الكتابات المسيحية، بدءً برسائل القديس بولس التي سبقت اول الاناجيل بحوالي عشرين عاماً!

وهذا السفر الرائع هو بقلم لوقا، وقد كان الانجيلي الوحيد الذي شاء ان يكتب كتاباً بجزئين، خص الاول (الانجيل) "جميع ما عمل يسوع وعلّم منذ بدء رسالته الى اليوم الذي رُفع فيه الى السماء..." (رسل ١:١)، فيما خصَّ الثاني (اعمال الرسل) كل ما فعله الروح القدس في تلاميذ جعلت منهم قيامة المسيح "شهوداً في اورشليم وكل اليهودية والسامرة حتى اقاصي الارض" (رسل ١:٨)! ونعتبر سفر الاعمال "دليلاً"، لانه يُدخلنا من طرف خفي الى عالم العهد الجديد، ويجعلنا نكتسب الفة مع العديد من المواقع والمدن البارزة في ارجاء الامبراطورية الرومانية، ومع العديد من المؤسسات المدنية والدينية في القرن الميلادي الاول، سواء في فلسطين ام في العالم الوثني الذي امتدت اليه بشرى الانجيل. كما انه يضعنا بإزاء جماعات من اليهود المتنصرين في اورشليم مركز الدين اليهودي، الى جانب يهود متنصرين ناطقين باليونانية يدعون "هيللينيين"[١]، وهم الذين سيمارسون نشاطاً رسولياً واسعاً ومتميزاً في انطاكيا لدى اليهود الهيللينيين اولاً، ولدى الوثنيين من ثم..! ويمكننا ان نقول بإيجاز، وعلى وجه التقريب، بأن لوقا خصّ الكنيسة في اورشليم وانطاكيا بالفصول الاولى، وانه خصَّ الكنيسة في العالم الوثني بالفصول الاخيرة[٢]، وفيها احتلَّ القديس بولس مسرح الاحداث عبر رحلات تبشيرية بين الامم الوثنية في ارجاء الامبراطورية، وصولاً الى روما العاصمة التي قدم اليها سجيناً وبقي فيها أسيراً طيلة سنتين!

وفي خلال جولتنا في سفر الاعمال سنطّلع على جوانب كثيرة من الايمان اليهودي في توجهاته الرئيسة، كما في التيارات التي نشأت في صلبه او على هامشه، الى جانب المؤسسات الدينية التي كانت تشرف على سير الحياة الدينية والاجتماعية في فلسطين او بين يهود "الشتات"[٣]. ولَكَم ستفيدنا هذه المعلومات في فهم الاناجيل التي

---

[١] منذ القرن الثالث ق.م. اجتاحت الحضارة اليونانية كل المناطق التي احتلها الاسكندر المقدوني (٣٥٧-٣٢٣)، واستمر تأثيرها بعد السيطرة الرومانية بأجيال! وقد تأثر بها اليهود القاطنون خارج فلسطين والذين اخذ بعضهم ينطقون باليونانية. ومن هنا تسمية "اليهود الهيللينيين" (أي الناطقين باليونانية)، ومن ثم المسيحيين الهيللينيين، ولكن من دون ان يعني ذلك انهم تخلّوا عن هويتهم القومية او ايمانهم بإله العهد...

[٢] نتمنى على القارئ ان يبدأ بمطالعة هذا السفر الممتع الذي يُقرأ وكأنه " رواية"- وهو بالفعل رواية لعمل الروح القدس في الكنيسة الناشئة! ويحسن به ان يقرأ منذ الآن المدخل اليه/ الفصل السادس.

[٣] كان تشتت اليهود قد بدأ مع محنة الجلاء الى بابل عام ٥٨٧ق.م. وشهدت القرون اللاحقة وجود شتات حاليات يهودية في سوريا ومصر وآسيا الصغرى وحتى روما! وقد تأثر يهود الشتات (المغتربون) بالحضارة اليونانية التي كانت

عكست هي الاخرى التوجهات الدينية السائدة في العالمين اليهودي والوثني. ولكم ستستنير قراءتنا لرسائل القديس بولس ولسائر اسفار العهد الجديد حين نكون على بيِّنة من التيارات الفكرية والدينية المتداولة في انطاكيا واثينا وروما، مروراً بطرسوس وافسس وقورنتس وتسالونيقي وفيلبي.. وندرك كيف تمَّ الانتقال من زمن "السلام الروماني" الى زمن تأليه الامبراطور وما نتج عن ذلك من مضايقات واضطهادات على المسيحيين...

اطار ١٠

الترجمة السبعينية

شعر اليهود الساكنون في " الشتات" – ولم يعودوا يفهمون جيداً اللغة العبرية– بحاجتهم الى ترجمة يونانية للاسفار المقدسة، تمكنهم بالتالي من مخاطبة اليونانيين ودعوتهم الى الايمان! وتجند مترجمون بين الاعوام ٢٥٠– ١٥٠ ق.م. لهذا العمل، وفي الاسكندرية، حيث،تقيم جالية يهودية كبرى (٥/١ من السكان). وقد سميت هذه الترجمة بـ" السبعينية" وفق اسطورة وردت في رسالة "ارستية" (لكاتب يوناني من اواخر القرن الثاني ق.م.) تشير الى انها تمت في عهد بطليموس الثاني (٢٨٥–٢٤٦)، وبموجبها يكون قد استقدم الى الاسكندرية ٧٢ عالماً (٦ شيوخ من كل قبائل اسرائيل)، عمل كل منهم على انفراد مدة ٧٢ يوماً، فخرجوا بترجمة موحدة في مضمونها وتفاصيلها!– وغني عن القول ان المقصود من هذه الاسطورة ابراز الطابع العجائبي لهذه الترجمة التي الهم الله مترجميها وصانهم من الخطأ! وتعتبر اول ترجمة يونانية للاسفار– ويصعب تحديد السلطة التي كانت تتمتع بها هذه الترجمة في نظر اليهودية الرسمية.

من المرجّح ان ترجمة الاسفار اليونانية قد انطلقت في القرن ٣ بدءً بالتوراة، وامتدت من ثم الى سائر الاسفار، وعلى يد مترجمين عديدين، وعلى فترات... وخضعت لتعديلات كثيرة قبل ان تستقر في نهاية القرن الاول ق.م.، حين اصبحنا ازاء ترجمة يونانية للاسفار المدونة أصلاً بالعبرية تحمل سمات المترجمين الذين كانوا يميلون الى عدم التقيد بالحرف والسعي الى تأوين النصوص عبر قراءة جديدة لها... وهكذا اسهمت هذه الترجمة في جعل الايمان يتأقلم ويتكيف مع الفكر اليوناني عبر استنباط مفردات للتعبير عنه!

وكان لاكتشاف مخطوطات عبرية في قمران لعدد من الاسفار يرقى بعضها الى القرن الاول ق.م. الفضل في اضفاء مزيد من الثقة والمصداقية على الترجمة السبعينية...

ولقد اعتمد المسيحيون الاولون في استشهاداتهم وكتاباتهم الترجمة السبعينية، وكانت قد ضمّت سبعة اسفار لم تكن تقبلها اليهودية الرسمية في فلسطين. كما انهم تبنوا طرقها في تفسير الاسفار وتأوينها... ونذكر على سبيل المثال انهم اطلقوا على يسوع عبارة " الرب " – وهي الترجمة اليونانية (كيريوس) لاسم " يهوه"! كما انهم سيطبقون نص اشعيا (٧: ١٤) على "العذراء" مريم بعد ان كانت الترجمة السبعينية قد ترجمت عبارة " المرأة الشابة " من العبرية الى اليونانية بعبارة "العذراء"!

قد فرضت نفسها على امتداد حوض البحر الابيض المتوسط، وتعاطفوا معها وتبنوا لغتها وبعض اوجه سماتها... من دون ان يفقدوا مع ذلك خصوصياتهم الدينية والقومية. ويذكر ان عدد يهود الشتات في مصر وحدها – والاسكندرية بنوع خاص– قد بلغ حوالي المليون نسمة في القرن الميلادي الاول! فإلى هذه البيئة ترجع ترجمة الاسفار المقدسة الى اليونانية والتي ترقى الى القرن الثاني ق.م. (انظر الاطار ١٠: الترجمة السبعينية)

في فقرة اولى، نتناول بعض ابرز المحطات في حياة الامبراطورية الرومانية التي بسطت نفوذها على العالم منذ القرن الاول ق.م.؛ وفي فقرة ثانية، نستعرض بشكل وافٍ، قدر المستطاع، مختلف الجوانب لما كانت عليه فلسطين في زمن يسوع، بدءً بجغرافيتها وحالتها السياسية واوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وصولاً الى ما كانت عليه الحالة الدينية فيها[٤]...

اولاً: الامبراطورية الرومانية

في اعقاب وفاة الاسكندر المقدوني الكبير عام ٣٢٣ ق.م.، إنشطرت امبراطوريته في الشرق الى قسمين: مصر تحت حكم اللاجيين او البطالسة، وبلاد ما بين النهرين وسوريا تحت حكم السلوقيين. وخضعت فلسطين في اول الامر تحت حكم اللاجيين وانتقلت السيطرة عليها من ثم الى السلوقيين عام ١٩٨ق.م. وسرعان ما دبَّ التضعضع والفوضى في البلدان التي مارس فيها الملوك والقادة التعسف والعنف .. حتى تمخض تردّي الاوضاع عن اجتياح روما للشرق في شخص القائد بمبيوس عام ٦٣ق.م.، بدءً بسوريا وفلسطين، وانتهاءً بمصر التي ضمَّها القائد اكتافيوس عام ٣٠ ق.م. الى احضان الامبراطورية الرومانية. ومع ارتقائه عرش الامبراطورية وحصوله على لقب "اوغسطس" (٢٩ق.م.-١٤ب.م.) ساد "السلام الروماني" بسيادة روما على "المسكونة"! وفي تلك الفترة، وعام ٤٠ق.م. بالتحديد، كان هيرودس الكبير قد حصل من روما على لقب ملك على اليهودية، واستمر حُكمه الموالي للأباطرة الرومان حتى وفاته عام ٤ق.م.

---

[٤] نعتمد ابرز المعلومات التي جاءت في " الدليل" تحت عنوان "عالم المسيحيين الاولين" (ص١٣٧-١٤٦) وندعمها بمعلومات من مصادر اخرى، هادفين الوضوح مع البساطة.

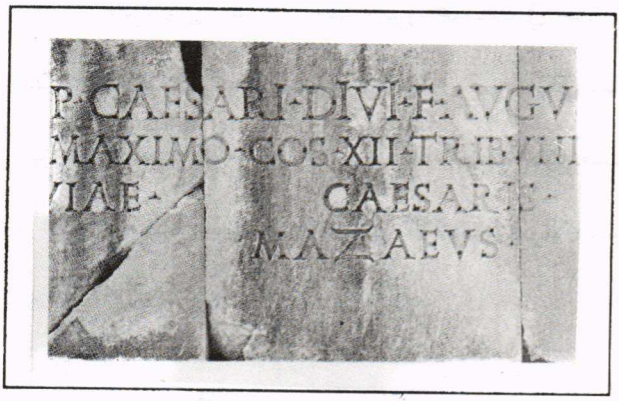

كتابة باللاتينية تصف اوغسطس قيصر بصفات الاله!
(٢٩ق.م.-١٤م)

ففي عهد اوغسطس قيصر وهيرودس الكبير ولد يسوع من ناصرة الجليل في حوالي العام ٧-٦ قبل التاريخ الميلادي[٥]! وبعد وفاة هيرودس الكبير إنقسمت المملكة ثلاثاً بين بنيه... وملك ارخلاوس (٤ق.م.-٦م.) على اليهودية والسامرة..الا ان اليهود أبغضوه وشكوه لدى القيصر، فانتهى الامر بروما الى نفيه الى غاليا وإقامة موظفين رومانيين يحكمون البلاد باسم الامبراطور. وفي عهد الامبراطور طيباريوس قيصر(١٤-٣٧) كان بنطيوس بيلاطس قد عُيِّن والياً على فلسطين في ما بين الاعوام ٢٦-٣٦، وعلى يده تمَّ الحكم على يسوع الناصري بالموت -ويبدو ان التاريخ الاكثر احتمالاً لصلب يسوع هو ٧ نيسان من العام ٣٠ للميلاد، وبموجبه يكون يسوع قد بلغ من العمر ما بين ٣٦-٣٧ عاماً!

وتجدر الاشارة الى ان بيلاطس كان خامس والٍ على فلسطين، وقد وُصِف بالشراسة والظلم والاستهتار .. فعزل عام ٣٦ ونفي، وانتهى به الامر الى الانتحار! وتجدَّد تعيين الولاة بعد موت الملك اغريبا الاول عام ٤٤، ومن اشهرهم: فيلكس

---

[٥] كان التقويم اليوناني هو المعتمد حتى القرن ٦ الميلادي -وقد ظل سائداً حتى بعد تثبيت التقويم الميلادي بقرون، حين كان الكتاب يؤرخون كتاباتهم وفقاً للسنة اليونانية باضافة ٣١١ عاماً على السنة الميلادية. ويرجع التقويم الميلادي الى عام ٥٣٣م (٨٤٤ يونانية) حين عهد الامبراطور يوستينيان الى الراهب ديونيسيوس تثبيت بدء التاريخ الميلادي، فقام باحتساب سنة ميلاد المسيح انطلاقاً من سنة وفاة هيرودس الكبير... وقد تبين للمؤرخين فيما بعد انه أخطأ في حساباته، سيما وانه لم يحتسب السنوات الاربع من حكم اكتافيوس قبل ارتقائه عرش الامبراطورية باسم اوغسطس! وهكذا تم الاتفاق بين العلماء على ان بدء التقويم الميلادي لا يسجل سنة ميلاد المسيح الحقيقية والتي ترجع في الارجح إلى ما بين الاعوام ٤-٨ قبل التاريخ الميلادي! علماً بان وفاة هيرودس الكبير قد جرت عام ٤ ق.م.، مما يشير إلى ان ولادة المسيح قد تمت في حوالي العام ٧-٦ ق.م. (للمزيد حول "تاريخ ميلاد المسيح" راجع مجلة الفكر المسيحي: ك٢ ١٩٨٦).

(٥٢-٦٠) -وامامه مَثل بولس لدى توقيفه (انظر رسل ٢٤)- وفسطس (٦٠-٦٢) الذي بحضرته وحضرة الملك اغريبا الثاني دافع بولس السجين في قيصرية عن نفسه(رسل ٢٥-٢٦). وقد خلفه البينوس (٦٢-٦٤) وفلورس (٦٢-٦٦) الذي في آخر عهده قامت انتفاضة اليهود وعمت البلاد واسفرت عن اجتياح ساحق لاورشليم عام ٧٠... وهكذا تكون روما قد اخضعت فلسطين تحت سيطرتها التامة.(**انظر الاطار ١١: نظرات الى العالم اليوناني الروماني**)

ا- امبراطورية في اوج عزها

احتلت روما مسرح العالم طيلة القرون الاولى للميلاد، ولم يكن لها منافس على الساحة الدولية بعد ان انجزت فتوحاتها سيطرة في كل الاتجاهات! وكان عليها من ثم ان تسعى الى توحيد هذه الامبراطورية الواسعة والغنيةفي آن واحد، وكان لها في ذلك عوامل كثيرة تجعل هذا التوحيد ممكناً وراسخاً:

اطار ١١

نظرات الى العالم اليوناني الروماني

كان العالم الروماني، في اول العهد المسيحي، الوريث الاول للإمبراطورية التي أنشأها الاسكندر الكبير. فقد بقيت، تحت طلاء روماني، الادارة الاقليمية نفسها وأحوال الحياة نفسها عند الجماعات والافراد، وبكلمة واحدة، المدنية نفسها، وظلّت اليونانية اللغة المشتركة. نظرة الى خريطة الامبراطورية الرومانية تظهر سعتها أكثر مما يظهرها أي تعداد. فرحابتها رحابة عالم بأسره وهي ترسّخ كل سنة سلطتها ترسيخاً أمتن بمحو جميع الفوارق وبردّ غزوات البرابرة (الجرمانيين والفرتيين...).

ولما كانت الامبراطورية حصيلة فتوحات كثيرة، فقد ضمّت بلاداً مختلفة النظام: مصر، وهي ملك خاص بالامبراطور ينتدب اليها حاكماً هو نائب للملك. والمحميّات، وهي ممالك قديمة احتفظت بهيئاتها التقليدية، والاقاليم- ولا بد من التمييز بين الاقاليم المنوطة بمجلس الشيوخ (آسية وهي آسية الصغرى)، والاقاليم التي ظلّت الجيوش الرومانية معسكرة فيها وحيث يضطلع بالسلطة الحكام وهم مسؤولون لدى الامبراطور وحده (سورية)، ويدير الولاة شؤون اقطار لها ميزات خاصة (اليهودية).

هذا النظام، نظام التسلط الذي لا يترك للاقطار سوى ظاهر الاستقلال الذاتي (المجالس الاقليمية)، يضمن لجميع الناس سلاماً محدوداً ولكنه حقيقي، استفادت منه على الخصوص مدن آسية، بفضل التبادل التجاري الذي يزدهر عندما يسود النظام (...)

وأخذ الناس، قبل العهد المسيحي بقليل، ينظرون الى الاباطرة نظرهم الى كائنات إلهية، ابناء الله، بل آلهة. وهذا التطور، وقد أثّرت فيه تأثيراً كبيراً معتقدات الشعوب الشرقية (مصر وفارس)، موافق لمنطق الامور. فلما كانت الامبراطورية واحدة، لزم ان تُظهر العبادة أساسها الواحد. فضّل طيباريوس وكلوديوس وفسبسيانس ان يشجّعوا عبادة الامبراطور بعد موته فحسب، في حين ان كاليغولا ونيرون ودوميشيانس تركوا الناس يعبدونهم في اثناء حياتهم. والحقيقة ان روما لم تفرض هذه الديانة(...)

وكان كبار عظماء الكهنة يُختارون من بين القضاة المحليين. وكان ذلك المنصب يكلّف كثيراً من المال، ولكنه كان يضمن لصاحبه نفوذاً سياسياً حقيقياً لشدة التشابك بين

الدين والادارة. وقد سببت تلك الحالة للمسيحيين الاولين مشكلة عسيرة: كيف يمكنهم ان يظلّوا مواطنين صالحين من غير ان يقبلوا ان يساقوا الى عبادة الامبراطور. فان عدة أقوال وردت، عند بولس الرسول تصبح واضحة اذا قُرئت بالنظر الى ذلك، فقد كانت المسألة لا تقل عن نبذ نظرية تشمل العالم كله. وفي فصول الرؤيا كلام كثير على هذه المسألة الحامية الوطيس (...) ان العبادات الوطنية وعبادة الامبراطور تُظهر على احسن وجه ما يمتاز به دين ذلك الوقت: فالدين نافذ الى اعماق الحياة اليومية، فضلاً عن انه الدين الرسمي(...) فكل منصب رسمي يُلزم صاحبه بالاشتراك الفعّال في العبادة.

وذلك الدين دين كثير التنوع (فالآلهة كثيرة)، ولكن العبادة تقتصر على الطقوس وحدها، فيحسن تكريم الآلهة وتقريب الذبائح وفقاً للأصول المرعية. فهذه هي التقوى.

وتشمل الحفلات صلوات طقسية (دعاء ودعوة الإله الى الذبيحة وطلب للخيرات) وذبائح ينظرون اليها نظرهم الى هدايا تُهدى الى الإله، وهي على العموم مآكل، فيُحرق جزء من الذبيحة، في حين ان بقيتها يأكلها كهنة المكان أو المؤمنون، او تُباع في السوق. وذلك اصل المسائل المطروحة على المسيحيين الذين يشترون ذلك اللحم او يُدعَون الى تلك المآدب (١قور٨).

(...)وقد ساعد اختلاط الافكار والناس على نشر عبادات من اصل شرقي ميزتها أقل طلباً للمتعة المادية. نذكر عبادات ايزيس وفيها اختبارات متتابعة تصحب التلقين وتسير بالانسان الى الاندماج في اوزيريس الإله الذي مات فأعادته اساليب ايزيس السحرية الى الحياة. فقد كانوا يعلنون انها تحتوي ضماناً للخلود(...)

تلك بعض أهم صفات العالم الذي كان للمسيحين الاولين ان يعيشوا فيه، والشهادة التي يعلنونها في ايمانهم هي ان المسيح هو وحده الرب وليس الامبراطور: فله تجب الطاعة، ولو تعرّضوا لأن يخالفوا مخالفة صريحة الدين الذي يسود الحياة كلها في بيئتهم. فلا يمكن المرء ان يعبد الرب إلا في حياة منذورة له، وهو يسير سيرة مستوحاة كلها من الحب، والمسيح شاهد لذلك الحب وفيه عربون الحياة الابدية.

مدخل الى العهد الجديد
عن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس
مقتطفات من مقدمة طبعة دار المشرق -١٩٨٩

أ- اللغة:

سادت اللغة اللاتينية المنطقة الغربية من الامبراطورية (ايطاليا وغاليا واسبانيا...)، بينما عمَّت اليونانية الشرق -وكانت قد تغلغلت فيه منذ بدء السيطرة اليونانية واستمرت بعيد السيطرة الرومانية- فغطت على معظم اللغات المحلية واصبحت بالتالي لغة التفاهم الاساسية في مختلف أنحاء الامبراطورية! وهكذا تراجعت الارامية التي كانت لغة التخاطب في سوريا وفلسطين، فيما بقيت العبرية اللغة المتداولة في الطقوس اليهودية، وكانت هي الاخرى قد تراجعت كثيراً ولا سيما بين يهود الشتات...

ب- طرق المواصلات وحالة السكان:

كانت "الطرق الرومانية" الشهيرة شبكة تصل المقاطعات بمركز الامبراطورية، فضلاً عن حركة نقل نشطة عبر المراكب والسفن ولا سيما في مياه البحر المتوسط

(انظر رسل ٢٧). وهكذا كان الاختلاط بين السكان، بفضل سهولة التنقل، مألوفاً وشائعاً، كما يتضح لنا من خلال اكيلا وبرسكلة، هذين الزوجين اليهوديين اللذين استوطنا في روما، وطردا في اعقاب امر الامبراطور كلوديوس عام ٤٩، واستقرا من ثم في قورنتس حيث تعرّف عليهما بولس الرسول وعمل لديهما بصناعة الخيام (رسل١٨: ٢-٣)، والتقاهما من جديد بعد ثلاث سنين في افسس (رسل١٨: ٢٦).

الطرق الرومانية ذات البلاط التي كانت تصل روما بالمدن الكبرى- هنا الطريق بين فيلبي وتسالونيقي.

ويقدر عدد سكان الامبراطورية بخمسين مليوناً، موزعين على بعض المدن الكبرى: روما والاسكندرية (في حدود مليون او مليونين)، انطاكيا، طرسوس، قورنتس، افسس...(في حدود نصف مليون لكل منها)، فيما لم يكن يتجاوز عدد سكان اورشليم ٥٠٠٠٠ نسمة -وكان يبلغ بضعة اضعاف في مواسم الحج الكبرى! اما الحالة الاخلاقية والدينية في بعض المدن الكبرى فكانت في انحطاط وتدهور، سيما وان العبيد كانوا يمثلون نسبة كبيرة فيها!

جـ- الشؤون الادارية والقضائية:

كانت الامبراطورية تضم مجموعة من اقاليم تتفاوت درجة ارتباطها بروما بحسب الاتساع والاهمية... وكان يرئسها حكام (سرجيوس بولس: رسل١٣: ٧، بيلاطس، فيلكس، فسطس...). وكانت فلسطين من بين" الاقاليم" او المقاطعات التي تمتعت بشبه حكم ذاتي في زمن هيرودس الكبير وبنيه بعد وفاته. وكان لكل " مواطن روماني" الحق في رفع دعواه الى القيصر اذا شعر بأن حقوقه مغبونة لدى المحاكم المحلية -كما حقّ لبولس ان يفعل (رسل ٢٥: ١٠؛ ٢٦:٣٢). وتجدر الاشارة الى ان لقب "المواطن" كان من نصيب اقلية محظوظة تحصل عليه، سواء بحكم الشرع (سكان ايطاليا) ام بالولادة (بالانتساب الى والدين حصلوا على لقب المواطنة) ام بدفع الثمن كما كانت الحال بالنسبة الى ليسياس قائد الالف (رسل٢٢: ٢٨) -ويحتمل أن بولس نال هذا اللقب عبر جدّ حصل عليه حين كان القيصر قد منحه لبعض يهود قيليقية...

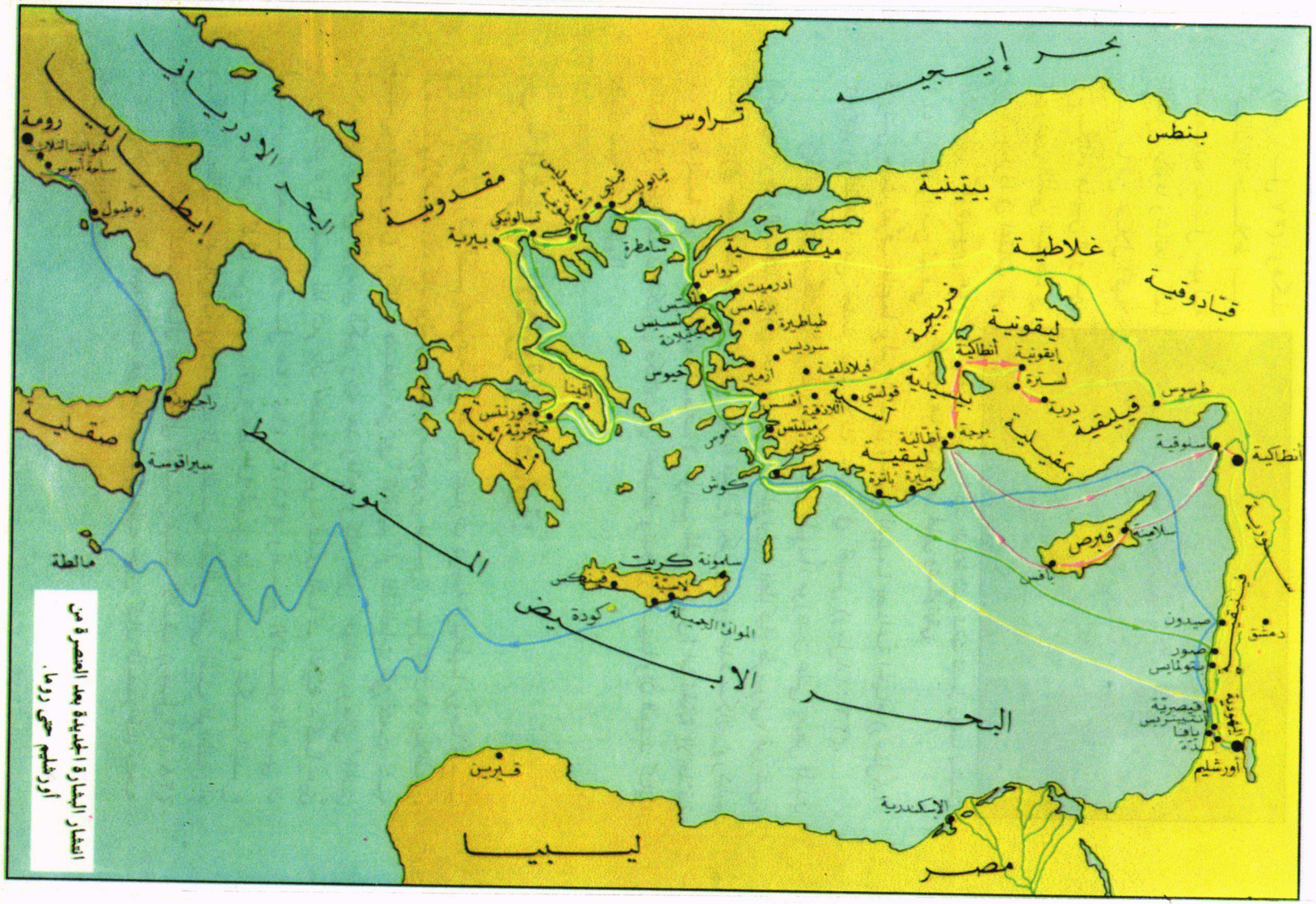
بحر إيجيه
تراوس
بنطس
بيتينية
غلاطية
قبادوقية
مقدونية
ميسية
فريجية
ليقونية
أنطاكية
إيقونية
لسترة
درية
طرسوس
قيليقية
بمفيلية
سنوقية
أنطاكية
سلامية
قبرص
بافس
صيدون
صور
بتولمايس
قيصرية
أورشليم
يافا
الإسكندرية
مصر
ليبيا
البحر الأبيض
المتوسط
مالطة
سيراقوسة
صقلية
روما
بوطيول
الأدرياتيكي
البحر الأيطالي
تسالونيكي
بيرية
أدرميت
طياطيرة
سرديس
فيلادلفية
أزمير
أفسس
ميليتس
كوس
سلمونة
كريت
كودة
الموانئ الجميلة
البحر
قيرين
أثينا
فورنتس
كورنثية
أخائية
تروآس
برغامس
ثياطيرة
سمرنا
فيلادلفية
الأدرامية
أفسس
ميليتس
كوس
ملطية
باترة
أطالية
بمفيلية
قولسي
آسية
الأدرامية
أفسس
ميليتس
كوس
ملطية
باترة
أطالية
ليق

وفيما كان المواطنون الرومان يتمتعون بالحماية ويُعفون من الضرائب (رسل١٦: ٣٧؛ ٢٢: ٢٥)، كان سائر الرجال الاحرار ومن بينهم المغتربون يتمتعون بحقوق محدودة، فكان عليهم ان يدفعوا الضرائب عن انفسهم واملاكهم (انظر متى ٢٢: ١٧)، الى جانب ضرائب اخرى كان وكلاء عامون يدفعون للدولة قيمتها الاجمالية ويستوفونها من ثم، وبربح فاحش، على يد جُباة او "عشارين" يكون لهم نصيبهم من هذا الربح! وتأتي في اسفل السلم الاجتماعي طبقة العبيد (٣/٢ في بعض المدن الكبرى!) الذين يبقون رهن ارادة اسيادهم ورحمتهم.. وكان بوسعهم ان يُعتقوا من العبودية بالمال او بقرار من اسيادهم، كما سيتوسل القديس بولس الى صديقه فيلمون كي يطلق سراح عبده المسيحي اونيسمس (اقرأ هذه الرسالة الرائعة الى فيلمون).

د- اليهود والمسيحيون:

كان اليهود يمثلون نسبة ١٠٪ من سكان الامبراطورية، وكانوا يتمتعون بحرية نسبية، وينتابهم شعور بالانتقاص والذل .. ازداد عمقاً ابان حكم الولاة الرومان على فلسطين. واذا كانوا يعدون حوالي نصف مليون على ارض اليهودية (لن تسمى فلسطين الا بعد السنة ١٣٥ م)، الا انهم كانوا في حدود سبعة او ثمانية ملايين في الشتات، سواء من اولئك الذين بقوا في ما بين النهرين بعد الجلاء، ام من الذين استوطنوا في الاسكندرية (٥/١ من السكان) او في اقاليم اخرى من ارجاء الامبراطورية، ونخص بالذكر انطاكيا وطرسوس وفيلبي وتسالونيقي واثينا وقورنتس وافسس وروما. ولنا في سفر الاعمال خير شاهد على وجود جماعات يهودية مزدهرة ونشطة في كل هذه المدن وغيرها، وقد قصدها بولس مبشّراً واقام فيها وبعث الى مؤمنيها رسائل لم تفقد، بعد الفي عام، جدّتها وحيويتها...

وكان لليهود في ظل الامبراطورية نظام خاص، اذ كانوا يُعفون من الخدمة العسكرية ويسمح لهم بحفظ السبت ودفع الضريبة السنوية لهيكل اورشليم...

اما المسيحيون، فلم يكونوا يبدون اول الامر سوى "شيعة" على هامش الدين اليهودي، في الامانة على الاسفار المقدسة وملازمة الهيكل وممارسة شعائر العبادة فيه... وقبل اندلاع الثورة اليهودية كان المسيحيون قد تركوا المدينة المقدسة ولجأوا الى بيلاّ شرقي الاردن، في منطقة "المدن العشر". وبعد مأساة العام ٧٠ التي تمخضت عن خراب اورشليم وتدمير هيكلها -وهو مركز الدين اليهودي- كان قد اجتمع بعض الفريسيين الاتقياء في يمنيا (**انظر الاطار ١٢: مدرسة فريسيي يمنيا**) لينفخوا في

اطار ١٢

مدرسة فريسيي يمنيا

كان التهديد بخراب اورشليم ينبئ بمأساة كبرى تُهدّد كيان الدين اليهودي، وقد تعرض هذا الكيان للانهيار مع تدمير هيكل اورشليم. فبعد العام ٧٠ أسرع بعض الفريسيين الغيارى الى نجدته من خلال تأسيس مدرسة يمنيا (وهي الصيغة اليونانية لمدينة يبنة او يبنئيل الى الجنوب من تل ابيب الحالية) برئاسة رابي يوحانان بن زكّاي. ومن المرجح ان جهود هؤلاء الفريسيين قد تكثّفت ما بين الاعوام ٨٠-٩٠ لمدّ الدين اليهودي بانطلاقة جديدة، بعد ان تشتت الكثير من اليهود وتضعضعت التيارات الدينية التي كانت تسندهم في ايمانهم وتوجهاتهم...

ولقد تميزت هذه الانطلاقة الجديدة برؤية اكثر روحانية وبالتالي اكثر تشدداً واكثر تزمتاً، حتى طغى عليها الطابع الفرّيسي! وكان على هذا التوجه الجديد ان يسعى في اتجاهين: إعادة وحدة اليهود وفرض اسلوب موّحد للصلاة الطقسية في المجامع... - ومن هنا كان التوجه الى تحديد "قانون" بالاسفار المقدسة المعتمدة (انظر الاطار ١٣: الاسفار القانونية)- اما على الصعيد الخارجي فكان التوجه الى محاربة المسيحيين الذين اعتبروا خارجين عن الايمان القويم، وهكذا عمد ملهمو الاصلاح اليهودي في يمنيا الى إضافة صلاة تلعن " الهراطقة" المارقين! وبذلك تم فصل المسيحيين وطردهم من المجامع، وتكرست القطيعة... (ولنا في انجيل يوحنا صدى لهذا الطرد من المجمع في ٩: ٢٢؛ ١٢: ٤٢؛ ١٦: ٢).

ويعكس انجيل متى (٢٣) بشكل خاص - فيما بدا انجيل يوحنا وكأنه برمته دعوى على "اليهود"!- مواقف شديدة ليسوع تجاه الفريسيين تعكس في الواقع دفاع المسيحيين عن انفسهم ضد اتهامات فريسيي يمنيا وتهجماتهم وحروماتهم! الا ان ذلك لا يعني، كما يخيل الينا احياناً، ان تعاليم الانجيل تدعو الى قطع الصلة بالتراث الروحي الذي يحتويه " العهد القديم" او تتنكر لما في ايمان شعب العهد القديم من أركان أساسية لا غنى عنها... ولا سيما حين ندرك بأن الاسفار المقدسة كانت الخلفية البيبلية للعهد الجديد - وهو قراءة مجددة لها في ضوء القيامة!

الدين اليهودي روحاً جديدة سيصبح بموجبها اكثر تشدداً وتزمتاً..! ففي هذا الاجتماع الهام اتخذت تدابير لمنع المسيحيين من المشاركة في العبادة اليهودية في المجامع، وكرست القطيعة بين الدين الرسمي وهذه " الشيعة المنبوذة"! ونتج عن هذا الانفصال ان المسيحية اصبحت في نظر الشرع الروماني "ديناً غير مشروع"، واصبحت ملاحقة أتباعه ممكنة وشرعية امام القانون! ومن هنا بدت المؤامرات التي كان اليهود يحوكونها ضد المسيحيين، والاتهامات الجائرة التي كانوا يوجهونها اليهم (انظر رسل ١٣: ٥٠؛ ١٤: ١٩ ؛ ١٩: ٩؛ ٢١: ٢٧...). وتجدر الاشارة إلى ان قرار تحديد لائحة بالاسفار "القانونية" (**انظر الاطار ١٣: الاسفار القانونية**) يرجع إلى تجمّع يمنيا.

اطار ١٣

الاسفار القانونية (العهد القديم)

تدل كلمة " قانون " اليونانية على خشبة قياس، ومن ثم أصبحت تدل على قاعدة او قانون او لائحة رسمية. ومنذ القرن الرابع الميلادي أصبحت تشير الى قائمة الكتب التي تعترف بها الكنيسة "اسفاراً ملهمة " تبني الايمان.

كانت التوراة، منذ ان ثبتها عزرا الكاتب في حوالي عام ٣٩٨ ق.م.، القاعدة المطلقة للايمان اليهودي. وتلتها في الاهمية اسفار الانبياء، فيما بقيت سائر الاسفار بين مدّ وجزر بشأن قدسيتها وسلطتها، الى ان ثبّت فريسيّو يمنيا في نهاية القرن الاول الميلادي لائحة بالاسفار التي عُدّت قاعدة للايمان. وقد استبعدوا الاسفار اللاحقة لزمن الانبياء فشملت سبعة اسفار، ومن ضمنها تلك المدونة مباشرةً باليونانية وهي: طوبيا، يشوع ابن سيراخ، يهوديت، المكابيون الاول، المكابيون الثاني، باروك، الحكمة، بالاضافة الى المقاطع اليونانية من سفري استير ودانيال- وقد اطلقت الكنائس على هذه الاسفار والمقاطع عبارة "قانونية ثانية" او "عبارة منحولة"!

وفيما كان " قانون " الاسفار العبري يتضمن ٣٩ سفراً، أصبح بموجب الترجمة السبعينية ٤٦ سفراً، بحكم اضافة الاسفار السبعة عليها. وكان على الكنيسة ان تواجه المشكلة: ففي مناطق النفوذ اليهودي اعتمدت الكنائس "القانون" العبري، بينما اعتمدت في مناطق اخرى لائحة الترجمة السبعينية... ومن هنا كان التباين في قانون الاسفار بين الكنائس في الشرق والغرب. وكان القديس هيرونيموس الذي ترجم الكتاب المقدس الى اللاتينية في اواخر القرن ٤ - وهي الترجمة المعروفة بـ "الفولكاتا" (البسيطة) - يميل الى القانون العبري، فاكتفى بترجمة بعض الاسفار السبعة ووضعها كملحق للكتاب المقدس! وفي القرن ١٦ تبنت كنائس الاصلاح اللوثري القانون العبري، فيما وضعت الكنيسة الكاثوليكية حداً للترددات بقرار المجمع الترينتيني (١٥٤٦) الذي اطلق على الاسفار السبعة عبارة "القانونية الثانية" كونها دخلت في القانون في مرحلة ثانية، بينما اطلقت عليها الكنائس الانجيلية عبارة "منحولة" (ابوغريفا)!

وظلّت الطبعات البروتستنتية تدرج تلك الاسفار كملحق، الى ان حذفتها في القرن ١٩. الا انها اخذت في السنوات الاخيرة تعيد النظر في الامر، وراحت الطبعات المسكونية تدرجها كلها.

ثانياً: فلسطين في زمن يسوع

حين وُلد يسوع وترعرع في الناصرة وراح يبشر في مدن الجليل في حدود العام ٢٨، كانت "ارض اسرائيل" تحت السيطرة الرومانية، وكانت وطأة هذا الاستعمار الاجنبي ثقيلة جداً في وجدان الشعب اليهودي الذي شعر وكأن الله ذاته قد تخلّى عنه! ولكي نحدد وضع يسوع في زمانه، لا بد لنا من ان نرسم ملامح فلسطين من مختلف اوجهها، بدءً بجغرافيتها.

١- جغرافية فلسطين:

نظرة الى خارطة فلسطين الطبيعية تكشف لنا المجال الذي كان مسرحاً لحياة يسوع، بدءً بطفولته وسني حياته الاولى في الناصرة، ومن ثم حياته الرسولية متجولاً قرابة ثلاث سنوات ما بين الجليل والسامرة واليهودية -وقد تجاوزها احياناً الى المدن العشر شرقي الاردن، والى نواحي صور وصيدا على الساحل الفينيقي...

وتنقسم المساحة العمودية التي يحدها البحر الابيض المتوسط غرباً، والضفة الشرقية من نهر الاردن شرقاً، وجبال لبنان وفينيقية شمالاً، وصحراء النقب وشبه جزيرة سيناء جنوباً، الى اربع مناطق كبرى:

١) منطقة ساحلية على المتوسط، من سهل يزرعيل شمالاً، مروراً بسهل شارون، والى السهل الساحلي جنوباً.

٢) سلسلة جبال وسطى تمتد من اليهودية جنوباً لتنخفض في الشمال، وتعود فترتفع في اقصى الشمال حين يلامس الجليل الاعلى جبال حرمون (لبنان). وفي البقعة الممتدة ما بين البحر المتوسط ونهر الاردن، وعلى امتداد وادي الاردن، هناك ثلاث مناطق: الجليل حيث التلال الواقعة الى شمال شرقي سهل يزرعيل، والسامرة حيث الهضاب والجبال الى الشرق من سهل شارون، واليهودية التي ترتفع جبالها بين السهل الجنوبي غرباً ونهر الاردن والبحر الميت شرقاً.

٣) منخفض كبير يمتد على طول وادي الاردن من بحر الجليل (بحيرة طبرية) نزولاً الى "غور" البحر الميت الذي يصل انخفاضه عن مستوى سطح البحر الى ٣٩٦ م! ويتواصل هذا المنخفض جنوباً الى وادي عربة المؤدي الى خليج العقبة. اما نهر الاردن فهو التقاء ثلاثة ينابيع من سفح جبل حرمون تصب في بحيرة الحولة (٦٨ م فوق

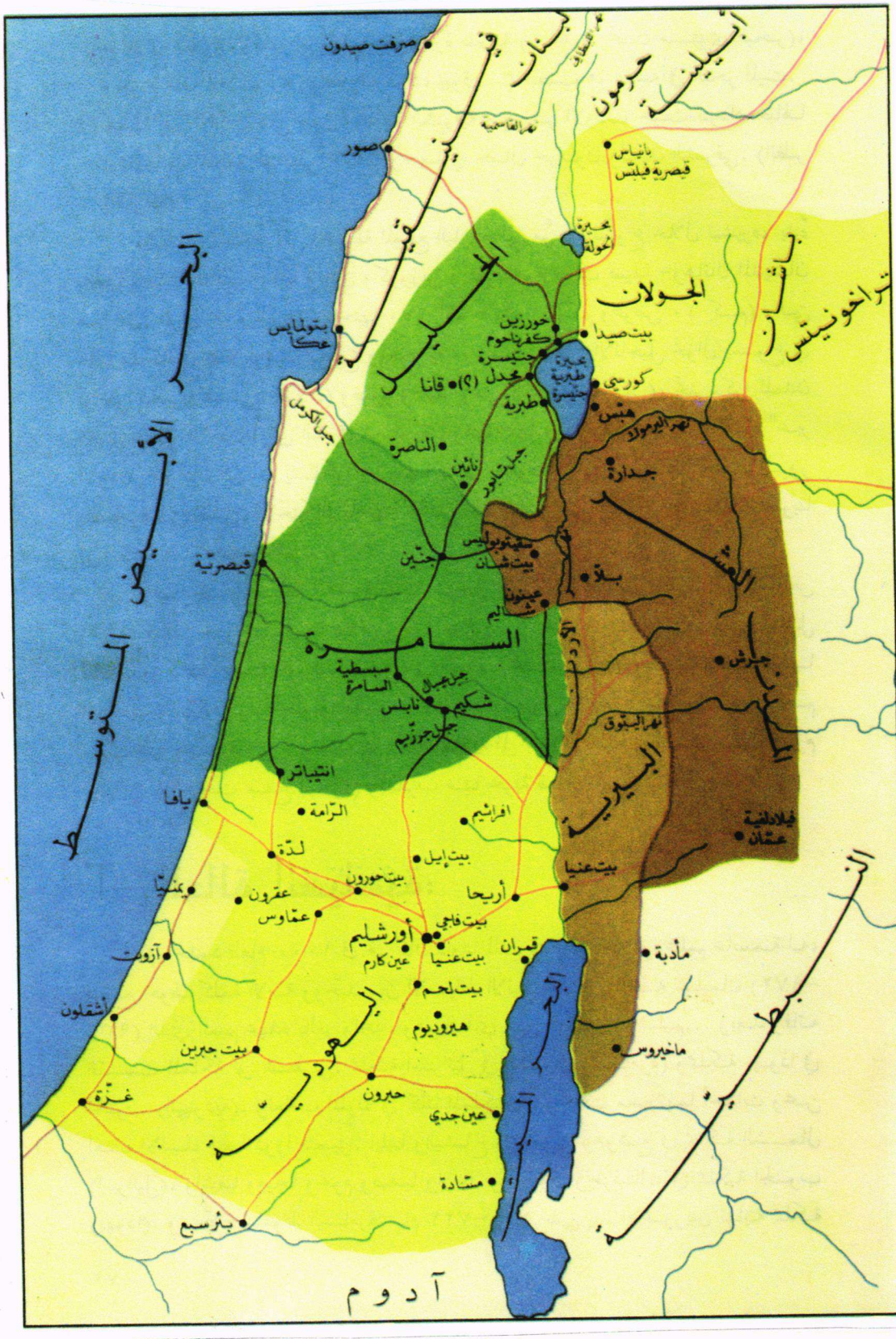

صرفت صيدون
لبنان
حرمون
أبيلينة
نهر القاسمية
صور
بانياس
قيصرية فيلبّس
بحيرة الحولة
الجولان
باشان
تراخونيتس
البحر الأبيض المتوسط
بتولمايس
عكا
خورزين
كفرناحوم
بيت صيدا
جنيسرة
بحيرة طبرية
مجدل
(؟) قانا
كورسي
طبرية
هبّس
نهر اليرموك
جبل الكرمل
الناصرة
نائين
جبل تابور
جدارة
قيصريّة
جنّين
سقيتوبوليس
بيت شان
بلّا
عينون
شاليم
السامرة
سبسطية
السامرة
جبل عيبال
نابلس
شكيم
جبل جرزيم
جرش
نهر اليبّوق
البيرية
انتيباتر
يافا
الرّامة
افرائيم
فيلادلفية
عمّان
لدّة
بيت إيل
بيت عنيا
يمنيّا
عقرون
بيت خورون
أريحا
عمّاوس
بيت فاجي
أورشليم
قمران
مأدبة
آزوت
عين كارم
بيت عنيا
بيت لحم
أشقلون
هيروديوم
اليهوديّة
بيت جبرين
ماخيروس
غزّة
حبرون
عين جدي
مسادة
بئر سبع
النبطيّة
آدوم

مستوى البحر)، ويسير من ثم نحو بحيرة طبرية (٢١٢ م تحت مستوى البحر)، ويخرج منها لتصب فيه روافد (اليرموك، يبوق...) فيصب هو نفسه في البحر الميت.

٤) هضبة عبر الاردن على طول الضفة الشرقية من نهر الاردن، حيث تزداد جبالها ارتفاعاً في المنطقة الوسطى لتبلغ اوجها في جبال حرمون ولبنان الشرقي. (انظر الخارطة)

ويمكننا ان نتابع على الخريطة المواقع البارزة التي مرَّ بها يسوع خلال تبشيره، بدءً بالجليل حيث الناصرة وقانا ونائين وكورزين وكفرناحوم وبيت صيدا -وهاتان المدينتان هما على طرفي بحيرة طبرية(مساحتها ١٧٠ كم بطول ٢١ كم وعرض ١٠ كم) والتي غالباً ما كانت مجالاً لرسالة يسوع ومعجزاته... وفيما تعكس الاناجيل تجوال يسوع في نواحي قيصرية فيلبس(الجولان) وصور وصيدا (على الساحل الفينيقي)، نجد ذكراً للمدن العشر شرقي الاردن، والى الشرق من بيرية -وهو اسمها في العهد الجديد ومعناه "عبر الاردن"- وكان اليهود يسلكون طريقها لدى صعودهم الى اليهودية لتجنب المرور بالسامرة التي يخشون الاحتكاك بأهلها! وتمتد المدن العشر من فيلادلفيا (عمان) جنوباً الى جدرة شمالاً، مروراً بجرش وبيلاّ...

وفيما تحتضن منطقة السامرة مدينة سوخار حيث بئر يعقوب بالقرب من نابلس الحالية، قبالة جبل عيبال (٩٤٠م) وجبل جرزيم (٨٨١م) حيث كان يقوم هيكل للسامريين ينافس هيكل اورشليم، نجدنا في اليهودية حيث جبال يهوذا التي ترتفع فوقها اورشليم (٨١٨م) والى جنوبها مدينة حبرون (الخليل) (١١٠٠م) وتحيط بها بيت لحم وبيت عنيا وبيت فاجي.. وتصل بنا برية اليهودية الى سواحل البحر الميت حيث تقوم اريحا (٢٨٠م تحت سطح البحر!) وبالقرب منها خربة قمران الشهيرة.

٢- الحالة السياسية:

في حدود العام ١٠٠٠ ق.م. كان داود الملك قد جعل من اورشليم عاصمة له، فجمع حولها كلمة الامة ووحَّد بين الاسباط الاثني عشر. وخلفه سليمان (٩٧٢-٩٣٣) الذي اتسم عهده بالعز والمجد، وهو الذي بنى هيكل اورشليم... وبعد وفاته انقسمت المملكة الى شطرين: مملكة اسرائيل في الشمال (السامرة) ومملكة يهوذا في الجنوب (اليهودية)، وتعاقب الملوك في كلتا المملكتين.. وتخللت مسيرتهما أحداث ومحن لعب الانبياء فيها دوراً متميزاً: ايليا واليشاع وعاموس وهوشع في مملكة الشمال (اسرائيل)، واشعيا وميخا ونحوم وصفنيا وارميا وحبقوق وحزقيال، في مملكة الجنوب (يهوذا). وسجَّل سقوط السامرة عام ٧٢٢-٧٢١ على يد الاشوريين نهاية مملكة

الشمال، فيما استمرت مملكة يهوذا التي تعاقب عليها ملوك من نسل داود حتى عام ٥٨٧ حين استولى البابليون على اورشليم، وتمَّ خراب هيكلها وجلاء عدد من سكّانها الى بابل- ومحنة الجلاء كانت منطلقاً لمنعطف ايماني عميق في حياة الامة، ولا سيما بفضل انبياء الجلاء وما بعد الجلاء: حزقيال واشعيا الثاني (الفصول ٤٠-٥٥) وحجاي وزكريا وملاخي...

وبعد ان استولى قورش ملك فارس عام ٥٣٩ على بابل، ومن دون مقاومة، سمح، بمرسوم عام ٥٣٨، بعودة اليهود الى اورشليم واعادة بناء الهيكل (٥٢٠-٥١٥) -وتميز عزرا ونحميا بنشاط ديني وسياسي في إعادة بناء الامة... وترجع نشأة "اليهودية" كدين الى القرون الاربعة الاخيرة قبل الميلاد، حين تمَّ الانتقال تدريجياً من ديانة تقليدية الى ديانة تحكمها المؤسسات وترعاها الطبقة الكهنوتية التي اخذ نفوذها يزداد باطراد...

وفي عام ٣٣٢ اصبحت فلسطين تحت سيطرة جيوش الاسكندر الكبير الذي بعد موته قسمت امبراطوريته بين قواده: فخضعت فلسطين اولاً لحكم اللاجيين واصبحت منذ عام ١٩٨ تحت حكم السلوقيين الذين سعوا الى فرض حضارتهم اليونانية وطمس معالم سائر الحضارات والتقاليد القومية والدينية. وبلغت محنة اليهود أوجها في زمن انطيوخس الرابع ابيفانيوس (١٧٥-١٦٤) الذي حرَّم على اليهود العبادة في هيكل اورشليم وكرَّسه للاله زوس، مما حمل اليهود الاتقياء (الحسيديم) على التمرُّد، فقامت ثورة مسلحة بقيادة المكابيين أسفرت عن تطهير الهيكل عام ١٦٤ (عيد التجديد او التدشين).

وعرفت فلسطين بين الاعوام ١٤٢-٦٣ فترة من شبه الاستقلال الذاتي تحت حكم سلالة الحشمونيين التي تنتسب من بعيد الى احد اجداد يهوذا المكابي. وتنازع ملوكها على الحكم السياسي والديني الى ان استولى القائد الروماني بمبيوس على اورشليم عام ٦٣، فبدأت فترة السيطرة الرومانية عاشت خلالها فلسطين حالة من اليأس والاضطراب والفوضى... وقد أفلح هيرودس الكبير- وهو من اصل ادومي كان قد تولى من الرومان عام ٤٧ الحكم على الجليل- في بسط نفوذه على اورشليم واستحصل من ثم من الامبراطور على لقب ملك اليهودية، وسيتولى من ثم الحكم على اريحا والسامرة وغزة. وفي إبان فترة حكمه الطويل (٣٧-٤ ق.م.) بدأ بإعادة بناء الهيكل وتجميله في حوالي العام ٢٠ - وقبيل موته بسنتين او ثلاث ولد يسوع (٧-٦ ق.م.!).

وبعد وفاة هيرودس الكبير في اريحا عام ٤ ق.م.، وبحسب وصيته وموافقة روما، تولى ابناؤه الثلاثة الحكم في مناطق ثلاث: فتولى ارخلاوس على اليهودية والسامرة (٤ق.م.-٦ب.م.)، واصبح هيرودس انتيباس (٤ق.م.-٣٩م.) أميراً على ربع الجليل وبيرية في عبر الاردن - وهو الذي امر بقطع رأس يوحنا المعمدان (مر٦: ١٧ت)

واشترك في محاكمة يسوع بحسب انجيل لوقا (٢٣: ٦-١٦) -، فيما تولى فيلبس (٤ق.م.-٣٤م.) على ربع الجولان وباشان وطراخونيطس وايطورية (راجع لو٣: ١ت)، وهي منطقة شمال شرق الاردن وجنوب سوريا الى الشرق من لبنان. وفي اثر خلع ارخلاوس ونفيه من قبل اوغسطس قيصر عام ٦ م. اصبحت اليهودية اقليماً رومانياً عاصمته قيصرية، ويديره ولاة رومانيون...

وفي زمن الامبراطور كاليغولا حصل اغريبا الاول (ابن ارستوبولوس وحفيد هيرودس الكبير) على لقب ملك (٣٧ - ٤٤) وولاه اولاً على ربع فيلبس وربع انتيباس، وولاه من ثم عام ٤١ على اليهودية والسامرة، وهكذا امتد ملكه على كل فلسطين -وهو الذي اضطهد الكنيسة الناشئة (رسل ١٢). وبعد موته عام ٤٤ عادت اليهودية اقليماً يديره ولاة رومانيون حتى عام ٦٦، وكان ابنه اغريبا الثاني قد أُعلن ملكاً وتولى على اجزاء من فلسطين عام ٥٣- وفي حضرته مثل بولس للدفاع عن نفسه (رسل ٢٦).

وإبان العصيان اليهودي في اوائل الستينات عيّن نيرون عام ٦٦ قائده فسبسيانس لفرض الامن في فلسطين. وبعد ان اصبح فسبسيانس امبراطوراً عام ٦٩، أوعز الى ابنه طيطس بحصار اورشليم. وقد تم ذلك عام ٧٠ وتمخض عن كارثة سقوط المدينة المقدسة وخراب الهيكل. وسيفضي عصيان يهودي آخر عام ١١٧ الى حمل الامبراطور ادريانوس على اقامة معبد للاله جوبتير في اورشليم عام ١٣٠. وسيتم تدميرها في عام ١٣٥ اثر انتفاضة سمعان بن كوسيبا، وتُحرَّم على اليهود الاقامة فيها..! وما زال اليهود الى يومنا يتنهدون امام "حائط المبكى"، وهو الجدار الغربي المتبقى من هيكل اورشليم! (**انظر الاطار ١٦: جدول بالاحداث التاريخية الكبرى**، في نهاية الفصل).

قوس النصر المقام في روما تخليداً لذكرى القائد طيطس الذي قمع الثورة اليهودية وخرّب هيكل أورشليم.

٣- الحالة الاقتصادية

تكفي نظرة الى الخارطة الطبيعية لتكشف عن مناطق السهول الفسيحة والخصبة الممتدة من الشمال الى الجنوب وعلى طول السهل الساحلي، فضلاً عن الاراضي الزراعية على طرفي نهر الاردن، الى جانب التلال في عرض البلاد التي تغطيها اشجار الزيتون والكروم. فإلى جانب الحنطة والشعير اللذين يشغلان نسبة هامة من المساحة الصالحة للزراعة في مختلف المناطق، هناك محاصيل الزيتون والكروم والنخيل والفواكه والبقول بأنواعها.. وكان بعض هذه المحاصيل يُصدَّر الى سوريا ومصر وحتى روما، كالزيت والتين والبلسم الخ... وكانت هناك ثروة حيوانية لا يُستهان بها، وتأتي في المقدمة الاغنام والابقار والاسماك.. فضلاً عن الحيوانات التي تستخدم في اعمال الزراعة والتنقلات كالحمير والبغال والجمال... فيما كان الحصان من نصيب فئة من الاغنياء..!

وكان بعض قطاعات الصناعة مزدهراً، ويأتي البناء في المقدمة حيث عرفت السنوات الاخيرة من القرن الاول قبل الميلاد والسنوات الاولى من القرن الاول الميلادي حركة بناء ضخمة في هيكل اورشليم الذي استغرقت اعمال الصيانة والتجميل فيه قرابة نصف قرن! فضلاً عن منجزات عمرانية: تشييد مدينة طبرية في عهد هيرودس انتيباس إكراماً لطيباريوس قيصر، وانشاء السور الشمالي لاورشليم على يد اغريبا الاول، وبناء قناطر ماء في عهد بيلاطس.. ناهيك عن الصناعات اليدوية كصنع الفخار والحياكة والغزل والدباغة والصياغة.. ولا يخفى ما كان الهيكل يفترض من ايد عاملة، سواء في البناء والنحت ام في المواد المستخدمة والتي تفترض ذوي المهارات المهنية من نجارين وحدادين وصاغة... فضلاً عن ان العدد الكبير من البقر والحملان التي كانت تذبح وتقرب الى الهيكل، كانت جلودها (وهي ملك للكهنة!) تُدبَغ وتُصنّع وتُصدَّر...

وهكذا كانت فلسطين تشهد حركة تجارية نشطة تقوم على استيراد الاخشاب من لبنان، والاطياب والذهب والحديد والنحاس من الجزيرة العربية، والاقمشة والتوابل من الهند.. كما تقوم على تصدير الفواكه والزيت والخمر والسمك والعطور والجلود الخ... وغني عن القول ان مثل هذه التجارة يمارسها كبار التجار مما يبرز على الفور التفاوت بين الطبقات... (**انظر الاطار ١٤: الموازين والمقاييس والمكاييل والنقود**).

اطار ١٤

الموازين والمقاييس والمكاييل والنقود

* الموازين

حقة ٣٢٧ غ
مَنا ٥٧١ غ
وزنة ٣٤ كلغ

* مقاييس الطول

ذراع نحو ٤٥ سم (متى ٦: ٢٧)
غلوة نحو ١٨٥ م (لو ٢٤: ١٣)
ميل نحو ١٥٠٠ م (متى ٥: ٤١)

*مكاييل السعة

بث (للسوائل) ٢١-٤٥ ل (لو ١٦: ٦)
كيل (للجوامد) نحو ١٥ ل (متى ١٣: ٣٣)
كر (للجوامد والسوائل) = ١٠ بث
٢١٠-٤٥٠ ل (نحو ٣٠٠ كلغ) (لو ١٦: ٧)
حقة او قارورة ٣٢٧ غ (يو ١٢: ٣)

* نقود

درهم (عملة يونانية) = دينار (عملة رومانية)
(وهي اجرة يوم عمل) (متى ١٨: ٢٨)
استار (فضة) = ٤ دراهم = ٤ دنانير (متى ١٧: ٢٧)
٢٥ درهماً = قطعة ذهبية
فلس ١٦/١ من الدينار (متى ١٠: ٢٩)
نحاس ٤٨/١ من الدينار (متى ١٠: ٩)
ربع فلس ٦٤/١ من الدينار (مر ١٢: ٤٢)
نحاسة = عُشران ١٢٨/١ من الدينار (لو ١٢: ٥٩)

(مقتبسة من: طبعة دار المشرق، طبعة الكسليك، المرشد الى الكتاب المقدس)

٤- الحالة الاجتماعية:

كانت فلسطين، كما يصفها الكتاب المقدس، "ارضاً تدرّ لبناً وعسلاً"! وكان بوسع خيراتها الكثيرة ان تجعل سكانها ينعمون بالخير والبحبوحة، لولا الضرائب الباهظة المفروضة، وباشكالها، ولولا الاستغلال والجشع اللذين كانت تمارسهما طبقة الحكام والموسرين والاقوياء الذين كانوا يعيشون في الترف، وفي مقدمتهم الملك وحاشيته والارستقراطيون من الكهنة والتجار والملاكين والمزارعين وجباة الضرائب الكبار...

وبإزاء هذه الاقلية المرفّهة، تنتصب الطبقة الوسطى التي ينتمي اليها الحرفيون وكهنة القرى...فيما يقترب صغار المزارعين من طبقة الفقراء، بحكم الديون التي تثقل كاهلهم! وترتفع نسبة الفقر بين صغار الفلاحين والعمال والعاطلين والعبيد والمرضى.. ومن المرضى من هم من ذوي العاهات او من المصابين بالامراض الجلدية كالبرص بنوع خاص، وهم يعيشون غالباً من الصدقة التي كانت تعتبر واجباً دينياً... ولا عجب اذا ما كثر عدد اللصوص والمتسولين!

لا تقتصر الحالة الاجتماعية على التمييز بين طبقة الاغنياء وطبقة ذوي الدخل المحدود او الفقراء حسب، وانما تنعكس في فئات اجتماعية غالباً ما يقترن موقعها الديني او وظائفها الدينية بحالة اجتماعية وموقع اجتماعي. فبهذا المعنى يمكننا ان ندرج ادناه عدداً من الفئات التي يغلب عليها الطابع الديني كالكهنة والكتبة والشيوخ، نضيف اليهم فئة العشارين الذين تجلب عليهم وظيفتهم نقمة المجتمع!

أ- الكهنة:

هناك نوعان من الكهنة ان صحَّ التعبير: كهنة اورشليم الذين يؤلفون، مع رئيسهم "عظيم الاحبار"، فئة ارستقراطية تنعم بامتيازات وتعيش بالرغد والرخاء.. وكهنة القُرى والارياف الذين يبلغ عددهم حوالي ٧٢٠٠ كاهن، وكانوا يقاسمون الشعب عيشته البسيطة والفقيرة.

وكان منصب "رئيس الكهنة" او "عظيم الاحبار" يوليه مسؤولية عن الشريعة والهيكل والمجلس... وكان له وحده يحق الدخول الى قدس الاقداس مرة في السنة! وكان في الماضي يُعيَّن لمدى الحياة، الا ان الملوك اليهود -ومن ثم السلطة الرومانية- اختصوا حق تعيينه او خلعه بحسب هواهم. لذا كان من مصلحته ان يسعى الى إرضاء السلطات المدنية الحاكمة والتواطؤ معها، سيما وان هذا المنصب يدرّ عليه اموالاً طائلة، اذ كانت ترجع اليه حصة من التقادم ومن بيع الحيوانات... ففي زمن يسوع تولى حنان رئاسة الكهنوت بين الاعوام ٦-١٥، فيما تولاها صهره قيافا بين الاعوام ١٨-٣٦.

وتجدر الاشارة الى ان رؤساء الكهنة كانوا ينتمون الى اربع عائلات كبرى، كما ان معظم المسؤولين عن ادارة الهيكل من امناء صندوق ومراقبين وحرس.. كانوا ينتمون الى عائلات ارستقراطية، وفي اغلب الاحيان، الى تلك العائلات الاربع! وكلهم من الصدوقيين (رسل٤: ١-١٧؛ ٥: ١٧-٤٢).

اما كهنة القرى فكانوا ٢٤ فرقة يمارسون وظيفتهم في الهيكل بالتناوب، اسبوعاً في السنة، وفي مواسم الحج الثلاثة الكبرى. وكانوا يُمنحون الحق في تقديم الذبائح في عمر معين، كما كانت تقدمة البخور تناط بهم بالقرعة (انظر لو١: ٥-٩). وكان بعضهم كتبة، فيما كان الكثيرون منهم ينتمون الى تيار الفريسيين.

وهناك فئة اللاويين الذين هم في عداد الكهنة، ولكنهم لا يتمتعون بسلطة، وانما يمارسون في الهيكل، اسبوعاً في السنة،وظائف ثانوية كاعداد الذبائح وجباية العشور للهيكل والترتيل... وكانوا حوالي ٩٦٠٠ لاوي موزعين على ٢٤ فرقة.

ب- الشيوخ:

لا ينتمون في الغالب الى الطبقة الكهنوتية، الا انهم اصحاب المراكز الرفيعة في المجتمع ويمثلون فئاته في مجلس اليهود الاعلى (السنهدريم)، ولهم كلمتهم في الشؤون المدنية والدينية. ولما كانوا في الغالب من الاثرياء (كبار التجار والمزارعين)، كان ارتباطهم وثيقاً بعظماء الكهنة والسلطات الرومانية المحتلة، وكان لهم من ثم ثقلهم في القرارات.. ولا بد ان بينهم صدّوقيين.

جـ- الكتبة او معلمو الناموس:

كانوا اصلاً أشبه بموظفين في البلاط ايام الملكية في اسرائيل، وكانوا يعتبرون في عداد الحكماء. وبحكم ثقافتهم الكتابية، ولا سيما بغياب الانبياء في القرون الاخيرة ق.م.، اصبحوا عقل الشعب وضميره. فهم العارفون بالشريعة والمتضلعون فيها، وكان لهم من ثم الحق في التعليم والتوجيه والاجتهاد... انهم بمثابة اللاهوتيين والفقهاء في الاسفار المقدسة، واليهم ترجع مهمة تفسير الشريعة واستصدار الفتاوى في الامور الحياتية والخلقية والقضائية. وليس بغريب اذا ما ذهب بعضهم في اجتهاداتهم[٦] الى احكام ومواقف متشددة بدت الشريعة بموجبها نيراً ثقيلاً! سيما حين كان يريد بعض الكتبة ان يجعلوا قواعد الطهارة المفروضة على الكهنة تعم المؤمنين كافة!

واذا كان بعض هؤلاء الكتبة وعلماء الشريعة من السلك الكهنوتي، الا ان معظمهم كانوا علمانيين ومن الطبقة الوسطى، إن لم نقل الفقيرة! ولا شك ان نسبة كبيرة منهم تنتمي الى تيار الفريسيين..! ولقد حفظ لنا سفر الاعمال اسم غمالائيل استاذ بولس والذي كانت له نصيحة حكيمة في أمر تلاميذ يسوع (٥: ٢٤؛ ٢٢: ٣).

د- العشارون:

هم اولئك الجباة الذين يعملون لحساب الوكلاء العامين أي رؤساء العشارين (انظر لو ١٩: ١). فكانوا يجبون الضرائب لسلطات الاحتلال الروماني بالرغم من

---

(٦) نشأت، عن اجتهادات الكتبة، سنن وقواعد للسلوك (هلَكة بالعبرية)، الى جانب روايات تدعو الى الاقتداء برجال الله في التاريخ المقدس (هجاده بالعبرية)... ومنذ القرن الميلادي الاول اخذ الربانة يدوّنون التقاليد الشفهية، فكانت "المشنة" (تفسير الشريعة) التي نشأت في القرن الثاني للميلاد، وسيعقبها في وقت لاحق "التلمود" (التعليم) الذي سيجمع فيه اليهود كل التقاليد المكتوبة .. ويصل بهم المطاف الى: تلمود اورشليم في القرن الرابع، وتلمود بابل في القرن الخامس.

كونهم يهوداً! لذا كان الشعب يحتقرهم ويعتبرهم خطأة، لتواطؤهم الخسيس مع المحتل من جهة، ولأساليب الظلم والابتزاز والجشع التي كانوا يمارسونها في الجباية من جهة اخرى.

٥- الحالة الدينية:

لا نكشف سراً اذا قلنا بأن الاحتلال الروماني لفلسطين عام ٦٣ ق.م. عُدَّ من المحن الكبرى التي حلّت باليهود. فهي الثالثة بعد نكبة الجلاء الى بابل عام ٥٨٧، وبعد اضطهاد انطيوخس الرابع عام ١٦٧ الذي كان قد شنَّ حملة مسَّت اليهود في عمق تقاليدهم وممارساتهم، وفي المقدمة تحريم شريعة حفظ السبت ومنع الختان وتدنيس الهيكل (شناعة الخراب!)... ولَكَم سيبدو الاحتلال الروماني شديد الوطأة على اليهود حين سيشعرون بعجزهم عن مقاومته .. و سيسفر عن مأساة العام ٧٠ م!

ان اضطهاد انطيوخس الرابع ايقظ الشعور القومي والديني لدى اليهود، وكان في اصل الثورة المكابية بقيادة متتيا الكاهن، وقد خلفه ابنه يهوذا الملقب بالمكابي (١٦٦-١٦٠) الذي رمم الهيكل وطهَّره ودشَّنه عام ١٦٤. وتسلَّم القيادة اخوه يوناثان بين الاعوام ١٦٠-١٤٣ وأقيم عظيم كهنة عام ١٥٢، وخلفه اخوه سمعان عام ١٤٢ في منصب الحاكم وعظيم الكهنة... ومنذئذٍ حصل اليهود على شبه استقلال ذاتي في ظل سلالة الحسمونيين التي تنتسب الى المكابيين. وتعاقب على الحكم رجال حمل بعضهم لقب الملك، فيما تنازع بعضهم على منصب عظيم الكهنة... وابان تلك المنازعات استولى القائد الروماني بمبيوس على اورشليم عام ٦٣ق.م.

وكان لا بد في غضون تلك الفترة من الاضطهادات والصراعات والمنازعات الدينية والسياسية التي عرفها المجتمع اليهودي في القرنين الاخيرين ق.م. ان تنشأ مذاهب وشيع دينية في قلب اليهودية. وها نحن نستعرض في فقرة اولى الفئات الدينية الكبرى، وفي فقرة ثانية نصدي للحركات والكتل السياسية والمجموعات الاخرى، تاركين لفقرة ثالثة إستعراض المؤسسات اليهودية.

أ- الفئات الدينية:

١- الحسيديم (اهل الورع): هم يهود اتقياء يهمهم بقاء الامة ونموها الروحي بوجه الانحرافات التي يتعرض لها الايمان القويم- ويدل اسمهم المشتق من فعل "حِسِد" العبري، على الالفة والمحبة والشركة. ولقد كانوا ولا شك، في بادئ الامر، من

انصار المكابيين الذين قادوا حركة المقاومة ضد السلوقيين، كما كانوا في اصل نشأة تيار الفريسيين الداعي الى التمسك بالشريعة... ويقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس ان الحسيديم انقسموا حوالي العام ١٥٠ ق.م. الى فريسيين واسينيين.

انه في الواقع تيار فكري وروحي .. يضع اصحابه كل ثقتهم بيهوه، الامين على عهده بالرغم من كل المظاهر المعاكسة، ويعلنون ايمانهم بالعهد الجديد الذي ينتظرون مجيئه بالشوق والصلاة واستقامة السلوك... ولم يكن لنا معرفة واضحة بهذا التيار الهام في اليهودية والذي امتد تأثيره على مدى اكثر من قرنين، الى ان تمَّ الاكتشاف الكبير عام ١٩٤٧ لعدد كبير من المخطوطات في كهوف خربة قمران على شاطئ البحر الميت، بالقرب من اريحا.

وها نحن نصدي للفئتين المنبعثتين من هذا التيار: الفريسيين والاسينيين وبضمنهم جماعة قمران.

٢- الفريسيون: هم نخبة من اليهود الاتقياء من تيار الحسيديم الذين اخذوا منذ القرن الثاني ق.م. يسعون الى تنشيط القيم الروحية في ضمير الامة وسلوكها، بالرغم من كونهم "علمانيين" ولا صلة لهم بالكهنوت! انهم ممتلئون بالغيرة على الشريعة ويسعون الى التمسك بها والدفاع عنها .. وكانوا يوجهون أقسى الانتقادات لاولئك الذين، سواء كانوا من اصحاب السلطة (سلالة الحسمونيين) ام من طبقات الشعب الوضيعة، زاغوا عن القيم والمثل اليهودية الأصيلة، وراحوا يسلكون سلوكاً يتنافى مع قواعد الشريعة وسننها ومقتضياتها..! انهم اشبه بحزب ديني.. وقد يشير اسمهم الى "الانفصال" عن كل الذين لا يعيشون بحسب الشريعة، والذين يشكلون في نظرهم خطراً على الايمان المستقيم! ومن هنا كان تمسكهم الشديد بحرف الشريعة وتحديداتها في امور العبادة والطقوس والممارسات، كما في امور الحياة اليومية في مختلف أوجهها..! فهم ليسوا مرائين -كما اعتدنا ان نصفهم خطأ، حتى اصبحت كلمة "فريسي" مرادفة لكلمة "مرائي"!-، وإنما هم رجال اتقياء، على درجة كبيرة من الخير والصلاح والصدق والنزاهة. كما رسم ملامحهم مثل الفريسي والعشار (لو ١٨: ٩ت).. وبولس نفسه، قبل دعوته، كان فريسياً مخلصاً (رسل ٢٢: ١ت...)!

ولما كانوا على جانب كبير من التقوى والمعرفة بالاسفار المقدسة .. فلا عجب ان يتخذهم الناس ادلاء لهم في امور الايمان والحياة. الا ان نقطة الضعف لديهم تكمن في اعتقادهم الخاطئ بأن التزامهم بالشريعة ومتطلباتها، وتقواهم وممارساتهم.. تستحق لهم، لا محالة، البرّ والقداسة! وقد يذهب بهم هذا الشعور باستحقاقاتهم الى شكل من الادعاء ببرارتهم امام الله، والى احتقار كل الذين يبدون خطأة في نظرهم، وهم من ثم غير اهل بالبر والقداسة!

لم يكن عدد الفريسيين يتجاوز ٦٠٠٠، وقد كان لهم مع يسوع مواقف اتصفت بالصراع واختلاف الرؤية -وسيلومهم يسوع على ادّعائهم ويحذّر الشعب من مغبة السير في خط قداسة تستند على اعتداد الانسان باستحقاقاته تجاه الله ولا تقف منه موقف المتواضع الذي ينتظر الرحمة والمغفرة.. بينما كان لبعضهم مواقف اكثر انفتاحاً كنيقوديمس وغمالائيل (يو ٣؛ لو ٧: ٣٦ ؛ رسل ٥: ٣٤؛ ١٥: ٥؛ ٢٣: ٩...). وبعد كارثة العام ٧٠ وخراب الهيكل اصبح الفريسيون وحدهم يمثلون الدين اليهودي الرسمي ويطبعونه بطابعهم المتشدد حتى التزمت (راجع الاطار ١٢ حول مدرسة يمنيا).

٣- الاسينيون/ جماعة قمران: مع اكتشاف "مخطوطات البحر الميت" [٧] ازدادت معرفتنا بالاسينيين الذين يجسدون تيار الحسيديم في توجهاته الاكثر عمقاً، وان كان لا يصح ان نجعل تطابقاً كاملاً بينهم وبين اعضاء جماعة قمران الذين عُثر، عام ١٩٤٧، على "ديرهم" في خربة قمران، والذين هم اشبه بجماعة "رهبانية"، عاشوا في حدود العام ١٠٠ ق.م.، حياة مشتركة بعيداً عن الحياة العامة، عاكفين في البرية على الصلاة والتأمل في الاسفار المقدسة...

ويمكننا ان نحدد موقع الاسينيين على مفترق الطرق بين الفريسيين والغيورين. وقد أُنشئوا على يد "معلم البر" بيقين انهم يمثلون شعب الله الحقيقي بإزاء قادة السلطة الدينية في اورشليم، والذين هم في نظرهم المسؤولون عن الشرور التي تحلّ بالامة -ومن هنا كان رفضهم لكل اشكال الذبائح التي كانت تقرب في الهيكل! فبإزاء كل الذين يمثلون "ابناء الظلمة"، يعتبر الاسينيون انفسهم "ابناء النور".. وتحملهم امانتهم لاله العهد على خوض المعركة ضد قوى الشر والظلام، بيقين ان يوم النصر قريب، وانهم سيحرزون الغلبة بقيادة امير النور... ومن هنا كانت عقيدتهم المتسمة بالثنائية والتي تقوم على التضاد بين مبدأين وقوتين...

---

[٧] اكتشفت هذه المجموعة الثمينة من المخطوطات في مغاور بالقرب من خرائب قمران، على بعد ١٢كم إلى الجنوب من اريحا، بفضل راع عربي كان يبحث عن عنزة شاردة! ومنذئذ انطلقت حملة تنقيب كبرى بين الاعوام ١٩٤٩ و ١٩٥٦ أسفرت عن اكتشاف ٦٠٠ مخطوطة او قصاصة مكتوبة بالعبرية او الارامية، وتتراوح تواريخ كتابتها ما بين ٢٥٠ق.م. و ٥٧٥م. وتتمثل فيها كل اسفار العهد القديم (عدا استير)، فضلاً عن مقاطع لسفري ابن سيراخ وطوبيا- وهما من الاسفار "القانونية الثانية".

ولعل ابرز ما اكتشف في قمران نسختان كاملتان (ملفّان) من سفر اشعيا بالعبرية هما اقدم ما لدينا من اسفار العهد القديم على الاطلاق. فيما عُثر على مجموعة من المخطوطات او القصاصات تتوزع ما بين الاسفار المنحولة والتراجم والتفاسير وكتب الرؤى وقوانين جماعة قمران- ويأتي في مقدمتها ملف "القاعدة" أي قواعد السلوك و "قانون الحرب بين ابناء النور وابناء الظلمة"...

ولعل اغلب الاسينيين أشبه بالرهبان! فلقد عاش بعضهم في دير قمران المركزي، فيما اقام غيرهم خارج قمران... الا ان الدلائل تشير الى التأثير العميق الذي كان لهم على اليهود الاتقياء في نهاية القرن الاخير ق.م.! وتفيد المخطوطات المكتشفة في مغاور قمران عن قوانين هذه الجماعة التي يعيش اعضاؤها في ألفة تامة مع كره شديد لمن لا ينتمون الى الجماعة! وقد كانوا يمارسون العماذ كعلامة للتوبة الباطنية في انتظار مجيء الروح ويوم يهوه.. كما كانوا مواظبين على قراءة الاسفار المقدسة والتأمل بها في محاولة لتفسيرها وتأوينها على ظروفهم الحاضرة وفي ضوء تطلعاتهم المستقبلية...

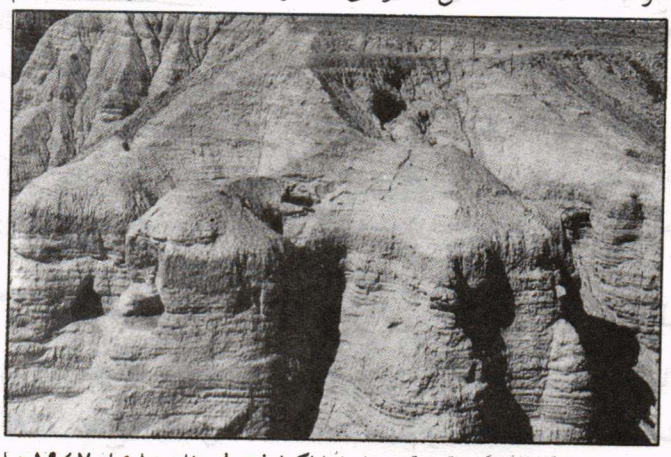

خربة قمران على مقربة من اريحا اكتشفت في مغاورها عام ١٩٤٧ ما يسمى بـ ((مخطوطات البحر الميت)) التي كانت قد أخفتها في جرار جماعة قمران النسكية لدى تشتت اعضائها ابان الحرب اليهودية-الرومانية.

وتشير الدلائل الى ان الرومان دمروا دير قمران في حزيران ٦٨ في غضون الحملة لسحق الثورة اليهودية. ولعل ابرز ما يستنتج من المخطوطات التي تخص هذه الجماعة، انها عكست تياراً رؤيوياً (**انظر الاطار ١٥: التيار الرؤيوي في زمن يسوع**) كان قد أخذ يشق طريقه الى اليهود الاتقياء، وعلى هامش الدين الرسمي. ولا عجب من ثم اذا كانت هذه التوجهات قد اقتسمها يوحنا المعمذان وبعض تلاميذ يسوع مع ابناء عصرهم الذين ثقلت عليهم وطأة الاحتلال، فتوجهت انظارهم بشوق الى مجيء ملكوت الله...

٤- الصدّوقيون: كثيراً ما يقترن اسم الصدّوقيين بالفريسيين، ولكن ما اعظم الفرق بينهم! فالفريسيون "علمانيون" وليست لهم اية صفة كهنوتية، بينما الصدوقيون هم من كبار الكهنة وينتمون الى الطبقة الارستقراطية، ولا سيما بعد ان اقتصر اختيار عظماء الكهنة من بين العائلات الاربع الكبرى! ومع ذلك يمكننا القول بأنهم، مع الفريسيين والكتبة والشيوخ، كانوا يمثلون ما يسمى بـ"اليهودية الرسمية" التي تمسك بزمام الامة، بالرغم من الخلافات بينهم على صعيد الاجتهادات اللاهوتية والتوجهات المسلكية...

اطار ١٥

التيار الرؤيوي في زمن يسوع

ان الاحداث التي أدّت الى خراب اورشليم تشهد على ما بلغه الغيظ عند الجماعات اليهودية التي عانت تعسّف الحكام الرومانيين. كان الغيورون يستغلّون استغلالاً كبيراً ذلك الغيظ الذي كانت تغذيه ايضاً جميع المعتقدات المستوحاة من الرؤى، وقد نمت نموّاً كبيراً في فلسطين منذ القرن الثاني قبل الميلاد. فقد ترسّخ يوماً بعد يوم في يقين اليهود ان الله لن يلبث ان يرّد على تحدّي وجود الوثنية في الارض المقدسة، فيعود الى اقامة عدله ويعيد الى مختاريه امتيازاتهم، اذ يبسط ملكوته على الارض بسطاً يبهر العيون، وهذا التدخل يضع حداً للشدائد الحاضرة ويفتح عهداً جديداً خالياً من الشر والإثم. ويؤذن بقدوم ذلك العهد، آخر الامر، تضاعف الكوارث والنكبات يرافقها ابتلاع جميع أعداء الله من غير رجعة.

ان جملة هذه المعتقدات تؤلف آراء اليهودية المتأخرة في امور الازمنة الاخيرة. وكانت آراؤها في الخيرات التي يُرجى الحصول عليها في الازمنة الاخيرة أبعد من ان تكون مجموعة محكمة التماسك، بل كانت أقرب الى فيض من الافكار لا تخلو من الغموض، يعسر ضبطها. ومع ذلك فما يمكن الوصول الى معرفته هو ان هذه الآراء، لما اقترب العهد المسيحي، ازدادت تشدداً على الاقل في بعض البيئات. فقد بلغت بلايا اسرائيل مبلغاً لم يبق من المعقول ان يرجو الناس بعده ظهور مشيح بشري في التاريخ يستطيع ان يعيد ذات يوم الى الشعب المختار كرامته. فكانوا ينتظرون من الله وحده تبديل الحالة.

وكانوا يرون ان ذلك التحول الذي ينتظرونه بفروغ الصبر لن يحدث الا لصالح انقلاب يشمل الكون كله، اذ يظهر بغتةً عالم جديد برمته! ففي ذلك المشهد لرؤيا الازمنة الاخيرة ليس للمشيح نصيب كبير جداً في جميع الآراء. فإن مؤلفي الرؤى، عندما يتكلمون عليه، كفوا، على ما يبدو، عن ان يروه، شأنهم في الماضي، مشيحاً دنيوياً مسحه يهوه، وبعبارة اخرى ملكاً من ذرية داود يقوم بأعمال سياسية وعسكرية في جوهرها، ليحقق بعون الله تحرير الشعب وازدهاره. فهم يميلون بعد ذلك الى إظهار المشيح بمظهر كائن من الملأ الأعلى أقرب الى الله منه الى البشر، ويُطلق عليه في بضع رؤى اسم ابن الانسان، ولكنه يظل في جوهره وجهاً سماوياً ليس له صلة حقيقية بالناس وغير قابل للألم!

ان مجمل معتقدات أهل العصر في المشيح والازمنة الاخيرة كانت من الامور التي رجع اليها المسيحيون لما أرادوا تحديد ما يؤمنون به في كلامهم عن المسيح. غير ان المسيحيين تنبّهوا لنصيب الألم في مصير يسوع فاضطروا الى ان يجعلوا معنى جديداً بأجمعه لأقوال معاصريهم في المشيح ورؤى الازمنة الاخيرة.

مدخل الى العهد الجديد
(عن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس)
مقتطف من مقدمة طبعة دار المشرق- ١٩٨٩

ويؤلف الصدّوقيون طبقة كهنوتية متنفذة تشرف على ادارة الهيكل وعلى سير شعائر العبادة والممارسات التي كانت تجري فيه. وكان من مصلحتهم ان ينضموا الى سلالة الحسمونيين -ومن ثم الهيرودسيين- المتعاونين مع المحتلين الرومان، كي يحافظوا على امتيازاتهم يأي ثمن! (رسل ٤: ١ت؛ ٥: ١٧ت؛ ٢٣: ٦ت). وهكذا يمثل الصدوقيون "حزب" المحافظين على النظام القائم.. حتى وإن كان هذا النظام استعمارياً ويسيء بالتالي الى مصلحة الشعب..! ولا عجب اذا نشأت

بينهم وبين الفريسيين نزاعات فكرية وصراعات لاهوتية تعكس لامبالاة الصدوقيين وانكارهم لبعض الحقائق، بإزاء التزام الفريسيين وحرصهم على سلامة الايمان.

فبالرغم من عدم معرفتنا الكبيرة بمذهب الصدوقيين واعتقاداتهم، يبدو، من كتابات يوسيفوس ومما رشح من سفر الاعمال والاناجيل، انهم لم يعودوا في زمن يسوع يؤمنون بشريعة غير التوراة، وانهم يرفضون الايمان بقيامة الموتى-وهذه العقيدة دخلت على الايمان في القرن الثاني ق.م. فقط!- كما لم يكونوا يؤمنون بوجود "ملاك او روح"!(رسل ٢٣: ٨؛ متى ٢٢: ٢٣...). فلا عجب اذا ما نظر اليهم الشعب نظرة ازدراء واتهمهم بالتواطؤ مع المستعمر ورأى فيهم مستغلّين جشعين.. وآثر من ثم التعامل مع الفريسيين الذين يبدون على جانب كبير من الاستقامة والنزاهة. وهكذا حين حلّت كارثة العام ٧٠ لم يصمد الصدوقيون بوجهها، هم الذين لم يكونوا على جانب من التقوى والالتزام، فاختفوا مع خراب الهيكل (!) ولم يعد لهم ذكر...

ب- الحركات والكتل:

١- الحركات المعمذانية: في اعقاب تطهير الهيكل على يد يهوذا المكابي علم ١٦٤ ق.م. ظهر تيار معمذاني يهدف الى إذكاء روح التوبة لدى اليهود الذين أخذوا يدركون بأنها السبيل الوحيد لإرضاء الله واستمطار رحمته وخيراته... وهكذا انتشرت، بين السنة ١٥٠ ق.م. والسنة ٣٠٠ م.، بين يهود فلسطين ويهود الشتات، حركات معمذانية نشطة، تدعو، في خط الانبياء، الى التخلي عن الذبائح التي تقدم في الهيكل، وممارسة اعمال التوبة والتطهير عبر معموذية الماء التي ترمز الى هذا التطهير.

وهكذا، وبقربى مع حركة "الناصريين" - وليس النصارى- الذين كانوا يرفضون الذبائح الدموية، انطلقت حركة يوحنا المعمذان التي تميزت بترفعها عن كل تزمت او تعصّب، وبدعوتها الملحة والصادقة الى التوبة، من دون ان تنبذ الممارسات التقليدية او تتنكر لها... ولن نخطئ اذا قلنا بأن حركة المعمذان عاشت بعد موته ولا سيما في الشتات، كما نقل لنا لوقا وضع اولئك المسيحيين الجدد في افسس الذين لم يكونوا يعرفون سوى معموذية يوحنا (رسل ١٨: ٢٥؛ ١٩: ١-٧)!

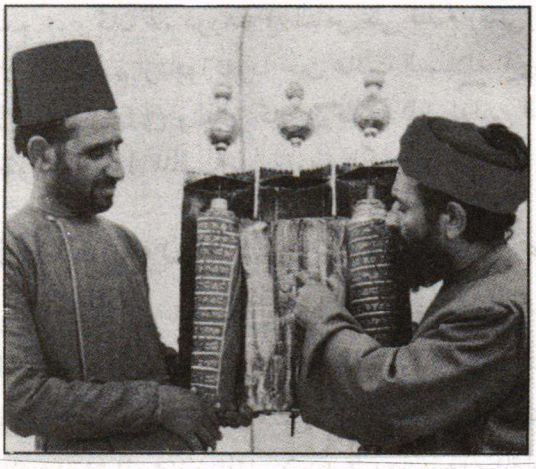

أسفار التوراة التي يعتز بها السامريون القلائل في نابلس – ويحدد العلماء زمن كتابة هذه المخطوطة/ الملف في حوالي القرن الرابع عشر.

٢– السامريون: هم سكان السامرة، كان قد أبقى عليهم جلاء عام ٧٢١ على يد الاشوريين الذين كانوا، بالمقابل، قد جلوا اليها قسماً من رعاياهم، فاستوطنوا فيها حاملين معهم تقاليدهم وعاداتهم مع آلهتهم! وبحكم هذا الاختلاط بين هؤلاء المستوطنين الجدد ويهود السامرة، ولا سيما عبر الزيجات المختلطة في ما بينهم، نشأ جيل جديد من اليهود يحوم الشك حول أصالته وصحة ايمانه وسلامته... وفي خلال الحكم الفارسي، وفي اعقاب نشوب خلافات حادة بين السامريين واليهود العائدين من جلاء بابل عام ٥٣٨، جرت محاولة لاعادة السلام في ما بينهم لم تدم طويلاً! الا ان القطيعة النهائية تمت في الارجح في اول العهد اليوناني، حين شيد السامريون هيكلهم الخاص على جبل جرزيم، مع محافظتهم على نص الشريعة (التوراة)– الاسفار الخمسة الاولى– و لم يعودوا يعترفون بغير هذه الاسفار! ويبدو ان الملك هرقانس الحسموني أمر بتدمير هيكل السامريين عام ١٢٨ ق.م.

ولقد عكس لنا الانجيليون صورة عن توتر العلاقات بين السامريين وسائر اليهود (لو ٩: ٥٢؛ يو٤: ٥–٤٠؛ لو ١٠: ١٣؛ ١٧: ١٠–١٧). وسيروي لوقا في سفر الاعمال كيف ان السامريين كانوا في طليعة الذين توجهت اليهم بشرى الانجيل على يد فيلبس احد السبعة (رسل ١: ٨؛ ٨: ٥–٢٥؛ ٩: ٣١؛ ١٥: ٣) –ولا تزال هناك الى اليوم في نابلس جماعة صغيرة من السامريين تذبح الحمل الفصحي كل سنة على جبل جرزيم، وتعتز بمخطوطة قديمة للتوراة في شكل ملف...

٣– الهيرودسيون: هم انصار هيرودس الكبير الذين كانوا يؤيدونه في تعامله مع سلطات الاحتلال الروماني، وكثيراً ما كانوا يتواطؤون معها بهدف الحفاظ على مصالحهم..! ولقد أثرى الهيرودسيون وعظم نفوذهم في عهد هيرودس انتيباس احد ابناء هيرودس الكبير الذي تولى على ربع الجليل وبيرية –وكان يسوع قد وصفه بالثعلب!(لو١٣: ٣٢؛ مر ٨: ١٥). ولا عجب اذا ما أبدى الهيرودسيون عداء شديداً

ليسوع، وكان لهم دورهم في التآمر على قتله (متى ٢٢: ١٦؛ مر ٣: ٦؛ ١٢: ١٣). ولا شك انهم ازدادوا نفوذاً حين عادت السلالة الهيرودسية الى الحكم في عهد أغريبا الاول (٣٧-٤٤) والذي كان في طليعة المضطهدين للكنيسة الاولى، وهو الذي امر بقتل يعقوب الرسول الملقب بـ "يعقوب الكبير" (رسل ١٢: ١-٢٣).

٤- الغيورون او الغيارى: هذه الفئة هي على طرفي نقيض من الصدوقيين والهيرودسيين في ما يتعلق بالتعامل مع المحتلين الرومان، وهي تمثل الجناح السياسي المتطرف من مذهب الفريسيين. فالغيورون هم اولئك اليهود الاكثر تزمتاً الذين لا يترددون من فرض احكام الشريعة بالقوة، والذين دفعتهم "غيرتهم" على أمتهم المقهورة والمستضعفة الى تنظيم المقاومة ضد الرومان: هذه المقاومة كانت لدى الفريسيين سلمية، فأصبحت مع الغيارى عنيفة ومسلّحة! ويقول يوسيفوس انهم يشبهون الفريسيين " في كل شيء، ما خلا انهم يعشقون الحرية ويأبون ان يدينوا لسيّد غير الله"! ذلك لأنهم كانوا أشدّ تمسكاً في حفظ الشريعة واكثر تعصباً في فرض احكامها.. ومن هنا كانت قناعاتهم بمعاقبة مخالفي الشريعة بالموت، وكم يصح ذلك على المتعاونين مع سلطات الاحتلال؟!

لم يطلق عليهم لقب " الغيورين" الا منذ العام ٦٦ ابان اندلاع الثورة اليهودية، فيما لُقِب بعضهم بـ"اصحاب المدى" التي كانوا يخفونها تحت ثيابهم! وإذا كانت هناك ولا بد تحركات عنف منفردة قد جرت قبلهم (رسل ٣٦:٥؛٢١: ٣٨)، الا انهم لعبوا الدور الاكبر في التمرد الذي اسفر عن كارثة عام ٧٠. ولقد اصدت الاناجيل لبعض الغيورين كسمعان"الغيور" أحد الاثني عشر (لو٦: ١٥)، والذي كان في طليعة الذين ارادوا ان يقيموا يسوع ملكاً (يو١٥:٦)! ومن المحتمل أن يكون يهوذا واحداً منهم، وهو الذي كان قد بنى آمالاً سرعان ما خيّبها يسوع!

٥- الوثنيون: كان اليهود المختونون يعتبرون الآخرين وثنيين- وهم الامم، القلف، غير المختونين! وهؤلاء، بالرغم من كونهم عابدي اصنام.. كان بوسعهم ان ينضموا الى شعب الله!وهكذا كان هناك صنفان من المتهودين:

- **الدخلاء:** هم الوثنيون المهتدون الذين " دخلوا" في العهد وقبلوا الشريعة مع احكامها، بما في ذلك الختان وسائر الممارسات (رسل ١١:٢؛ ٦: ٥؛ ١٣: ٤٣...).

- **خائفو الله:** هم الوثنيون المتعاطفون مع الايمان اليهودي، الذين يعبدون الله بمخافة ويقبلون بعض الالتزامات والممارسات دون ان يختتنوا (رسل ١٠: ٢-٢٢؛ ١٣: ١٦؛ ١٦: ١٤؛ ١٧: ٤؛ ١٨: ٧).

جـ- المؤسسات اليهودية:

١- الهيكل: كان هيكل اورشليم قائماً على ارض مساحتها ٣٠٠ × ٥٠٠م! ويرقى ترميمه الاخير الى ما قبل عام ٧٠، حين كان هيرودس الكبير قد باشر باعمال الصيانة والتجميل منذ عام ٢٠ ق.م. واستمرت بعد موته وحتى السنة ٦٤! ومنذ ان بناه سليمان الملك، اصبح يجسد حضور الله وسط شعبه، وكان محط اعتزاز اليهود وعلامة وحدتهم وعنوان آمالهم..! فعليه كانت تعلّق الآمال الدينية والوطنية كونه الموقع الذي سيتجلى فيه الله في اليوم الاخير- وما ضريبة الدرهمين التي يؤديها اليهود للهيكل بطيب الخاطر سوى دليل على هذا التعلّق (متى ١٧: ٢٤). فلا عجب إذا ما أُصيبوا بخيبة امل مريرة حين اجتاح البابليون اورشليم عام ٥٨٧ ودمروا هيكلها وجلوا سكانها... وكانت تتجدد هذه الخيبة كلما تعرض الهيكل للسلب او التدنيس .. الى ان بلغت ذروتها مع خرابه التام عام ٧٠! ولَكَم سترى الكنيسة الاولى في خرابه علامة بدء عهد جديد افتتح بقيامة يسوع، وهو " الكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا"! -ألم يقول يسوع: "أنقضوا هذا الهيكل، أُقِمْهُ في ثلاثة أيام" (يو ٢-١٩)؟

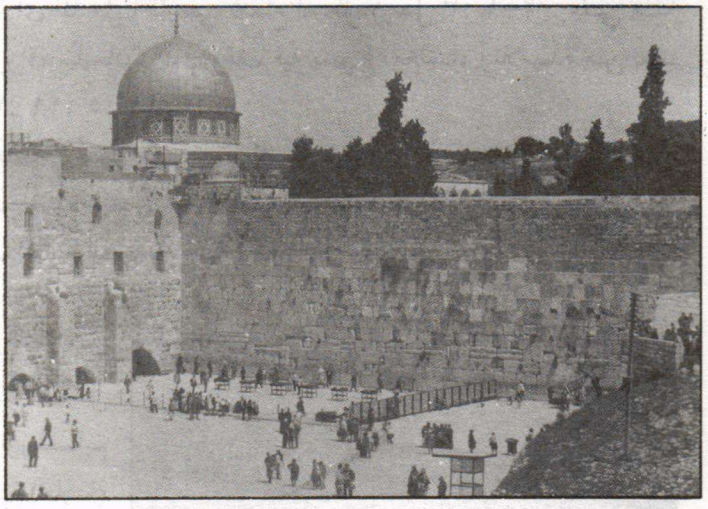

حائط المبكى: هو ما تبقى من الجدار الغربي لهيكل أورشليم بعد خرابه عام ٧٠م - ومازال اليهود يقفون أمامه مصلّين باكين! ويقوم على انقاض الهيكل جامع قبة الصخرة.

وكان الهيكل في زمن يسوع يتألف في الداخل من "قدس الاقداس" الذي كان أشبه بردهة يحجبها ستار الهيكل، كانت تضم في السابق تابوت العهد.. ولم يكن يحق سوى لعظيم الكهنة ان يدخل اليه، مرة في السنة في يوم الغفران (كيبّور)! وقبالة الستار كان يقوم "القدس" الذي ينفتح على مذبح واسع (ضلعه ٢٥م وعلوه ٧,٥ م) يُقَرّب عليه حمل، كل صباح ومساء، ذبيحة دائمة، الى جانب الذبائح الخاصة التي يقدّمها المؤمنون -وهي على اشكال، ويرتفع عددها في ايام الاعياد ومواسم الحج الكبرى: الفصح والعنصرة والاكواخ. وتحيط بالمذبح فسحة مخصصة للكهنة، وحول جوانبها الثلاثة يقوم فناء اسرائيل المخصص للرجال، وقبالته فناء النساء، فيما يقوم خارج مبنى الهيكل "فناء الوثنيين" -وهو يشكل الحاجز الذي لا يحق لهم ان يجتازوه-، ويتم الوصول اليه عبر "الباب الحسن" أي المدخل الخارجي لمجمّع الهيكل (رسل ٣: ١-٢). ففي هذا الفناء الخارجي يقوم "رواق سليمان" الذي وقف فيه يسوع معلماً، وتلاميذه من بعد (يو ١٠: ٢٣؛ رسل ٣: ١١؛ ٥: ١٢).

وكان الحمل الفصحي يُنحر على مذبح الهيكل قبل ان يُعَدّ للمائدة الفصحية في البيوت، وذلك منذ ظهر عشية عيد الفصح. ومع تدمير الهيكل، توقفت فريضة ذبح الحمل.. ومنذئذٍ اتخذت المجامع اليهودية اهمية أكبر...

٢- المجلس: في زاوية من فناء الرجال داخل مبنى الهيكل كان يقوم مجلس اورشليم (السنهدريم أي المحكمة العليا) والذي كان يضم ٧١ عضواً من شيوخ وكهنة وبعض الكتبة برئاسة عظيم الكهنة -وكان خلاف شبه دائم بين الطبقة الكهنوتية من الصدّوقيين، وبين الكتبة او علماء الشريعة الذين ينتمي معظمهم الى مذهب الفريسيين!

هذه الكتابة باليونانية اكتشفت في اورشليم عام ١٨٧١ وهي تحظر، تحت طائلة الموت، على غير اليهود الدخول إلى حرم الهيكل (مقياس الحجرة: ٥٧سم × ٨٥سم).

كان هذا المجلس قد أُنشئ في القرن الاول ق.م. ويتمتع بسلطة قانونية وقضائية، ويلتئم مرتين في الاسبوع، وكانت تحت امرته شرطة خاصة. فهو المحكمة الدينية العليا التي تنظم الحياة الدينية وتصدر الفتاوى والاحكام -ومن ضمنها حكم الموت، وإن لم

يكن بمقدورها، بعد الاحتلال الروماني، ان تنفذه من دون موافقة الوالي! وباختفاء الهيكل، لم تعد للمجلس اية سلطة سياسية، الا انه استعاد سلطته الدينية في اثر اجتماع يمنيا قبيل نهاية القرن الميلادي الاول. وتجدر الاشارة الى ان هناك، الى جانب مجلس اورشليم، مجالس صغرى، في انحاء فلسطين وخارجها، كانت قائمة في ظل المجامع، ويتألف المجلس عادة من ٢٣ عضواً (راجع متى ١٠: ١٧).

٣- المجامع: ليس هناك وجه شبه بين المجلس (الاعلى والاصغر) وبين المجمع او المجامع.. ذلك لأن المجمع كان، بالنسبة الى اليهود القاطنين خارج اورشليم، بمثابة هيكل مصغر! فهو يجمعهم حول نقطة ارتكاز يتاح لهم فيها ان ينموا ايمانهم ويعبروا عنه بالتأمل والصلاة... وهكذا يحقق لهم المجمع على مدار السنة ما كان الهيكل يتيحه لهم في المواسم الكبرى.

ففي المجامع كانت تقام شعائر العبادة ثلاث مرات في اليوم، وكان من ابرز عناصرها: قراءة الشريعة والتفسير والصلاة. وتتم قراءة التوراة -وكان بوسع كل مؤمن ان يقوم بهذه القراءة (انظر لو ٤: ١٦ت)- في ضوء ما جاء في كتب الانبياء، تعقبها عظة يجتهد فيها الكتبة " بترجمة" النص العبري وشرحه وتأوينه[٨]... وغالباً ما يتم بحسب " مذهب" هؤلاء الكتبة، ووفقاً للخط الفكري الذي ينتمون اليه. اما الصلاة فكان قوامها آيات شكر طويلة ترافقها مزامير تتلى او ترتل، فضلاً عن أدعية و"تبريكات".. وتأتي في مقدمتها "البركات" الثلاث الكبرى (الاولى تبارك الله على الخلق، والثانية تشكره على اعطائه الشريعة، والثالثة تُسبِّحُه على الخلاص الذي أنجزه إبان الخروج من مصر) -وهي تحوم حول قراءة " شِمَع" (اسمع يا اسرائيل...) التي كانت بمثابة قانون الايمان، كما ورد في سفر تثنية الاشتراع (٦: ١ت)- وتختم بالبركات الثمانية عشرة التي تسبّح الرب على اعماله وعجائبه مع شعبه...

وفيما كان رئيس المجمع ومعاونوه، في اغلب الظن، اعضاء في المجلس " المحلّي" الذي كان يحتكم اليه الناس، كان لا بد أيضاً ان تطفو على السطح خلافات بين المجامع والمجالس من جهة، وبين هيكل اورشليم والمجلس الاعلى من جهة اخرى، أي بين توجهات الكتبة الذين ينتمي معظمهم الى تيار الفريسيين، وبين كهنة اورشليم وكلهم من الصدّوقيين الذين يبسطون هيمنتهم على الهيكل والمجلس الاعلى!

٤- السبت والاعياد: كان للسبت ولا شك قدسية كبرى لدى اليهود طالما انه "يوم الرب" الذي تفرض الشريعة تقديسه بالاستراحة والتقرّب الى الله. انه علامة العهد - كما ان الختان هو علامة العهد، ومن هنا قدسيته - بين الله وشعبه وضمانة الوعود،

---

[٨] كان الواعظون في المجمع يترجمون النصوص الى الارامية (ترجوم) ليفهمها الشعب، وكثيراً ما كانوا يترجمون بتصرف مضفين تفسيراتهم واجتهاداتهم... وستفيدنا " التراجيم"(جمع ترجوم) التي دونت في التعرف على طريقة تفسير النصوص البيبلية وتأوينها في زمن يسوع.

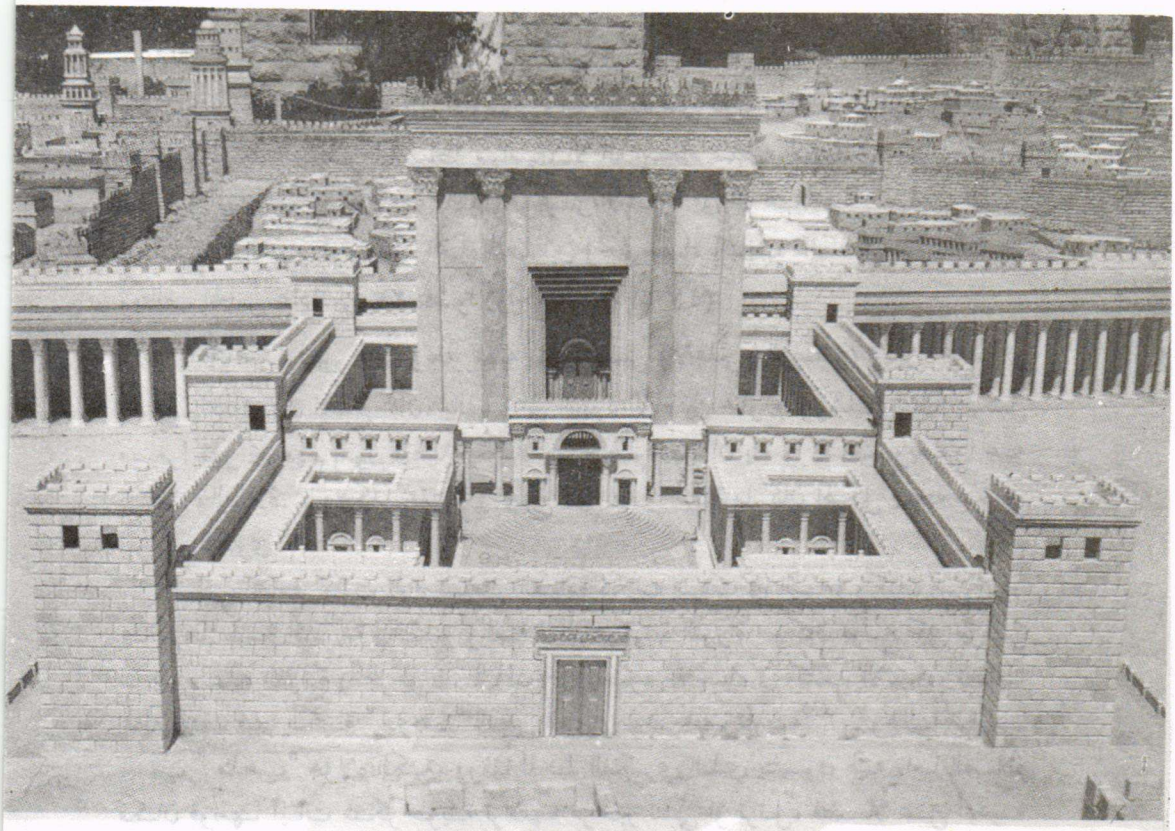

مجسّم للهيكل الذي بناه هيرودس والذي دمّره الرومان سنة ٧٠ ب.م.

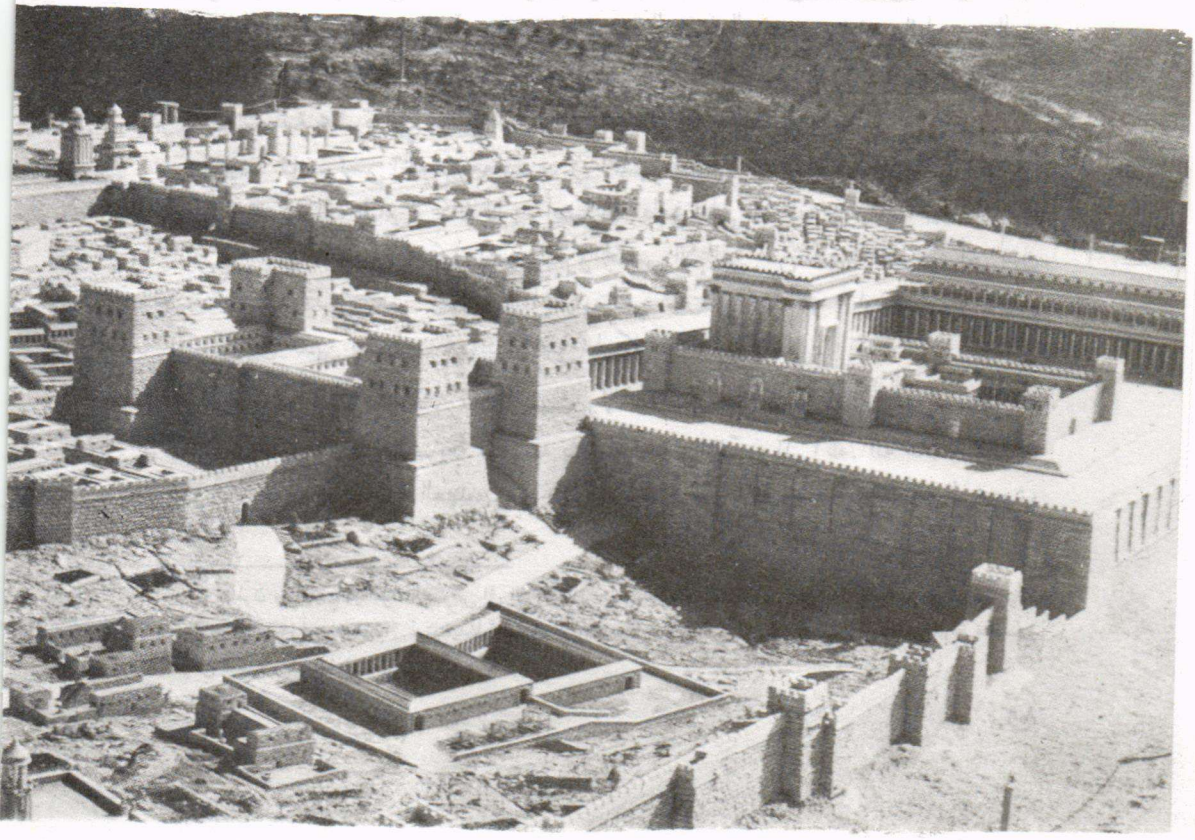

مدينة أورشليم حيث نرى بِرَك المياه الموجودة حاليا تحت دير "هوذا الإنسان" وفي الخلف مدينة أورشليم

لذا كان حفظه وتقديسه علامة الحب والوفاء لإله العهد! وهكذا حُرّم فيه القيام بأية أعمال عدا الضرورية والتي كان الكتبة، والفريسيون منهم بنوع خاص، يتجادلون دوماً بشأن نوعيتها وحدودها..ونعرف موقف يسوع من وصية تبلغ بالانسان الى حدود العبودية: السبت من اجل الانسان... (مر ٢: ٢٧)!

والى جانب السبت كان لليهود أعياد يحجون فيها الى هيكل اورشليم. وأعياد الحج الكبرى هي: الفصح والعنصرة والاكواخ:

- **عيد الفصح**: كان في الماضي البعيد عيد حصاد الشعير. ومنذ الخروج بدأ اليهود يحتفلون به إحياءً لذكرى تحررهم من عبودية مصر وعبورهم البحر -وسرعان ما اقترن عيد الفطير (خر ١٢) بعيد الفصح واصبح عيداً واحداً. ففي هذا العيد تذبح الحملان في الهيكل من ظهر ١٤ نيسان، وتؤكل باحتفال في البيوت بعد الغروب.. ويرافق العشاء الفصحي هذا تناول اعشاب مرة مع خبز فطير واربعة كؤوس خمر، فيما ترفع "بركات" وتتلى مزامير الهلّيل والشكر (مز ١١٣-١١٨). وكان العيد يستقطب حوالي ٢٠٠٠٠٠ من الحجاج ويدوم ثمانية أيام! لذا كانت السلطة الرومانية في زمن الاحتلال تشدد الرقابة تحسّباً للفتن والمنازعات، وكان الوالي نفسه يصعد من قيصرية -حيث يقيم الى اورشليم... وقد جاء ذكر الفصح في رواية الآلام لدى الازائيين، فيما ذكره انجيل يوحنا عدة مرات (٢: ١٣؛ ٥: ١؛ ٦: ٤؛ ١١: ٥٥؛ ١٣: ١).
- **عيد العنصرة**: كان في الماضي عيداً يحتفى فيه بحصاد الحنطة وتقديم بواكير السنابل... ويسمى أيضاً " عيد الاسابيع" إذ يحتفل به في اليوم الخمسين (سبعة اسابيع) بعد الفصح (خر ٢٣: ١٦؛ ٣٤: ٢٢). ولكنه سرعان ما اقترن بذكرى العهد في سيناء في اعقاب الخروج... واصبح في القرن الثالث ق.م. عيداً يحتفل فيه بتجديد العهد.. وفي القرن الاخير ق.م. كان يحتفل فيه بذكرى اعطاء الشريعة لموسى.
- **عيد الاكواخ (المظال)**: كان فيما مضى عيداً يُحتفى فيه بقطف الثمار في الخريف (ولا سيما العنب والزيتون)، واقترن هو الآخر بذكرى الاقامة في البرية. فكان اليهود ينصبون أكواخاً من أغصان الاشجار (عرازيل) عند مداخل المدينة ويحتفلون بمسيرة الله معهم عبر الصحراء..! انه من اروع الاعياد وأكثرها حركة وديناميكية، ويدوم ثمانية أيام (يو ٧: ٢).

وهناك أعياد أخرى، كان لبعضها شعبية كبرى، ويأتي في مقدمتها عيد راس السنة الدينية (اح ٢٣: ٢٤). ولعل اعظمها عيد الغفران (يوم كيبّور) الذي كان عيداً للتكفير (اح ١٦؛ ٢٣: ٢٧)، وفيه كان عظيم الكهنة يدخل الى قدس الاقداس، مرة في السنة، ليكفر عن خطايا الشعب. وكانت قد نشأت أعياد، من بعد الجلاء الى بابل، احتفاء ببعض الاحداث الهامة: عيد الانصبة (فوريم) تخليداً لذكرى خلاص الشعب على يد استير (٩: ٢٤) و" يوم نيكانور" (١مك ٤٩:٧) في ذكرى موت الطاغية انطيوخس الرابع ابيفانيوس، ولا سيما عيد التدشين او التجديد (١مك ٤: ٥٩) وهو ذكرى تطهير الهيكل عام ١٦٤ على يد يهوذا المكابي (انظر يو ١٠: ٢٢).

جدول بالاحداث التاريخية الكبرى
(من نهاية العصر الهيللينى وبداية العصر الرومانى)
- قبل التاريخ الميلادي-

١٧٥-١٦٤	انطيوخس الرابع السلوقي يضطهد اليهود ويدنس هيكل اورشليم
١٤٥-١٣٨	ديمتريوس الثاني (بدء انحطاط مملكة السلوقيين)
٦٤	القائد الروماني بمبيوس يحتل انطاكيا
٤٠-٣١	بعد مقتل قيصر يحكم انطونيوس في الشرق واكتافيوس في الغرب يصبح امبراطوراً
٤٠	هيرودس الكبير يحصل من الرومان على لقب ملك على اليهودية،ويولى عام ٣٤ على طراخونيطس
٢٩-١٤م	عهد اوغسطس قيصر طيلة ٤٣ عاماً

١٦٧	بدء التمرد اليهودي بقيادة متتيا وابنه يهوذا الملقب بالمكابي (١٦٦-١٦٠)
١٦٤	تطهير الهيكل (انشاء عيد التجديد او التدشين)
١٤٢-٦٣	شبه استقلال اليهود (سلالة الحسمونيين)
١٣٤-١٠٤	حكم يوحنا هرقانس (ابن سمعان المكابي)
٦٣	بمبيوس يستولي على اورشليم
٥٠-٤٠	اضطرابات في فلسطين-اجتياح فرثي عام ٤٠- انتيغونس يصبح ملكاً وعظيم كهنة
٤٧	هيرودس الكبير يتولى الحكم على الجليل
٣٧-٤	حكم الملك هيرودس-اعادة بناء الهيكل عام ٢٠
٧-٦ق.م.	ميلاد يسوع (قبل التاريخ الميلادي!)
٤ ق.م.	موت الملك هيرودس وتولي ابنائه الثلاثة
٤ق.م.-٦م	ارخلاوس يتولى على اليهودية والسامرة
٤ق.م.-٣٩م	هيرودس انتيباس امير ربع الجليل وعبر الاردن
٤ق.م.-٣٤م	فيلبس امير ربع طراخونيطس وايطورية

-بعد التاريخ الميلادي-

٦-٤١	اليهودية اقليم روماني بعهدة وال
١٤-٣٧	عهد الامبراطور طيباريوس قيصر
٢٦-٣٦	بنطيوس بيلاطس وال على اليهودية
٣٧-٤١	عهد الامبراطور كاليغولا
٣٧-٤٤	اغريبا الاول يتولى ويعين بلقب ملك
٤١-٥٤	عهد الامبراطور كلوديوس.يولّي اغريبا الاول على اليهودية والسامرة
٤٤-٦٦	بعد موت اغريبا الاول عام ٤٤ عادت اليهودية تحت امرة الولاة الرومان
٤٩	طرد اليهود من روما بأمر من كلوديوس
٥٢	غاليون حاكم آخائية
٥٣	اغريبا الثاني ملك على اجزاء من فلسطين
٥٢-٦٠	انطونيوس فيلكس وال على اليهودية
٥٤-٦٨	عهد الامبراطور نيرون
٦٠-٦٢	بورقيوس فستس وال على اليهودية
٦٤	حريق روما. اضطهاد المسيحيين
٦٦-٦٧	نيرون يعين فسبسيانس لاحلال الامن في فلسطين
٦٩-٧٩	عهد الامبراطور فسبسيانس.طيطس يحاصر اورشليم
٧٩-٨١	عهد الامبراطور طيطس (ابن فسبسيانس)
٨١-٩٦	عهد الامبراطور دوميشيانس (شقيق طيطس)
١١٧-١٣٠	في عهد الامبراطور ادريانس:عصيان يهودي

١٠-٥	مولد شاول /بولس في طرسوس
٢٧	كرازة يوحنا المعمدان وبدء رسالة يسوع
٣٠	صلب يسوع عشية عيد الفصح (٧نيسان)
٣٦	استشهاد استفانس وتشتت المسيحيين
٣٦-٣٧	دعوة بولس على طريق دمشق
٣٩-٤٣؟	مكوث بولس في طرسوس
٤٣	برنابا و بولس يبشران في انطاكيا
٤٣-٤٤	مقتل يعقوب الرسول على يد اغريبا الاول
٤٥-٤٩	رحلة بولس التبشيرية الاولى
٤٨-٤٩	مجمع اورشليم
٥٠-٥٢	رحلة بولس التبشيرية الثانية
ربيع ٥٢	مثول بولس امام غاليون
٥٢-٥٨	رحلة بولس التبشيرية الثالثة
عنصرة ٥٨	توقيف بولس في اورشليم.مثوله امام فيلكس
٥٨-٦٠	بولس أسير في قيصرية. مثوله امام فستس
٦١-٦٣	بولس في روما تحت الحراسة
٦٤-٦٧؟	استشهاد بطرس وبولس
٦٦	ثورة اليهود- تدمير قمران عام ٦٨؟
٧٠	محاصرة اورشليم واحراق الهيكل
٨٠-٩٠	تأسيس مدرسة يمنيا
٩٠-١٠٠	اضطهاد المسيحيين في عهد دوميشيانس
١٣٥	تدمير اورشليم ومنع اليهود من الاقامة فيها

الفصل الثالث

مراحل تكوين العهد الجديد

الفصل الثالث

اولاً: الفصح، نقطة الانطلاق

١-المسيحيون من اصل يهودي

٢-المسيحيون من اصل وثني

٣-بولس في الكنيسة الناشئة

ثانياً: من يسوع إلى الاناجيل

١-مرحلة يسوع الناصري

٢-المرحلة الشفهية للاناجيل
أ- البيئة الاعلانية (الكرازة)
ب-البيئة الليتورجية (العبادة)
ج-البيئة التعليمية (التعليم)

٣-مرحلة تدوين الاناجيل
أ- اربعة مؤلفين
ب-اربع شهادات

الاطارات

١٧)وجه يسوع في فكر بولس
١٨)وثائق تاريخية عن يسوع
١٩)((يجب أن ...))
٢٠)الدياطسرون: ٤×١!
٢١)وجه يسوع في انجيل مرقس
٢٢)وجه يسوع في انجيل متى
٢٣)وجه يسوع في مؤلّف لوقا
٢٤)وجه يسوع في مؤلفات يوحنا

مراحل تكوين العهد الجديد

"العهد الجديد"؟ -ولم يصبح العهد "جديداً" إلا في ضوء اليقين بان الله قال كلمته الاخيرة والحاسمة بيسوع إذ "أقامهُ من بين الاموات"... فقيامة المسيح هي نقطة انطلاق الايمان المسيحي، وفي ضوئها ادرك الرسل والتلاميذ الاولون ان يسوع هو "حمل الله"، وان دمه المراق كان بمثابة ختم للعهد الجديد الذي ابرمه الله مجدّداً في يسوع "وسيط عهد جديد"!

وقبل ان نصبح بازاء أسفار ستُجمَع شيئاً فشيئاً لتؤلف ما نسميه "العهد الجديد" -٢٧ سفراً-، كانت هناك مسافة طويلة.. انها مرحلة "الانجيل" الشفهي الذي يقوم على تلك البشرى التي اعلنها الرسل وكانوا لها شهوداً.. وسيكون للقديس بولس دور فاعل في انتقالها من العالم اليهودي إلى العالم الوثني -ولكم يصدي سفر اعمال الرسل لهذا المنعطف الحاسم في تاريخ الكنيسة، بفعل الروح القدس...

هذا الفصل يرسم المراحل التي قطعتها البشرى السارة من يسوع الناصري إلى الاناجيل عبر سنوات طويلة من الكرازة الرسولية، ومفادها: ان يسوع الناصري المصلوب قد أقامه الله وجعله رباً ومسيحاً.. ولا خلاص بغيره.. ونحن شهود..! فعبر الخبرة الايمانية المتأصلة لدى الجماعات المسيحية الممتدة على طول حوض البحر المتوسط، تبلورت ملامح يسوع، وذلك من خلال بيئات ثلاث عكست نشاطات تلك الجماعات المؤمنة في كرازتها (البيئة الاعلانية) وعبادتها (البيئة الليتورجية) وتعليمها المسيحي (البيئة التعليمية).

فالاناجيل هي المرحلة الاخيرة للانجيل الذي أُعلن قبل ان يُدوَّن! انها نتاج من وإلى الجماعة المسيحية، يَعكس وجه يسوع في الثلاثينات كما في السبعينات او الثمانينات... خرج به اربعة مؤلفين عكسوا شهادتهم الايمانية عن يسوع... وهكذا كانت لنا اربع لوحات لوجه يسوع! -ولن تدغدغنا من بعدُ فكرة الدمج او التوحيد على مثال ططيانس في الدياطسرون (٤×١)!

مدخل

ابان تقصينا بيئة العهد الجديد من مختلف اوجهها، كانت ملامح يسوع الناصري ولاشك تتراقص في مخيلتنا! وكنا، بعلم أو بغير علم منا، نبحث عن موقع يسوع في تلك البيئة وذاك الاطار الاجتماعي السياسي.. ولطالما تخيلناه على طرقات فلسطين يبشر باقتراب ملكوت الله واقتراب ازمنة الانفراج والخلاص.. حين كانت الجموع تتبعه وتسمع اليه بلذة، او حين كان المرضى وذوو الاسقام والعاهات ينعمون بالشفاء على يده.. فيما كان رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون ينظرون اليه نظرة ارتياب وشك مقترنة بالحسد والغيرة!

كما اننا ابان جولتنا في ارجاء الامبراطورية الرومانية، كانت ملامح يسوع الناصري، المصلوب والقائم من بين الاموات، تنكشف لنا متجسدة في ملامح الجماعات المسيحية التي نشأت هنا وهناك، من اورشليم والسامرة وانطاكيا وحتى روما، مروراً بقبرص وبلاد فريجية وغلاطية وسائر مدن آسيا الصغرى ومقدونية واليونان...

ان جل غايتنا عبر فصول هذا الكتاب بشكل عام، وهذا الفصل بشكل خاص، هي ان نكتشف شخص ذاك الذي كان ولا يزال وراء جماهير من "المسيحيين"- وقد اطلق عليهم هذا اللقب، للمرة الاولى، في انطاكيا (رسل ١١: ٢٦)! -كانوا يهوداً وسامريين اولاً، ومن ثم وثنيين من أمم وشعوب مختلفة. وينتصب للحال سؤال يفرض نفسه: كيف الاهتداء الى يسوع الناصري الذي ولد في العام ٧-٦ قبل التاريخ الميلادي وعاش في الجليل حيث بدأ يبشر في حدود العام ٢٨م وانتهى به الامر بالصلب في العام ٣٠؟ ما الذي حمل الرسل والتلاميذ الاولين على التبشير باسم يسوع في كل مكان، بدءً باليهودية والسامرة وحتى اقاصي الارض، أي روما معقل الوثنية، واقصى نقطة عن اورشليم! وكيف نشأت في كل انحاء الامبراطورية الرومانية، منذ منتصف القرن الاول الميلادي، جماعات مسيحية نشطة تعترف بيسوع "ربّاً ومسيحاً" وتحتفل بذكراه وتناجيه في صلاتها وتستلهم تعاليمه في حياتها اليومية؟

وقبل البحث عن ملامح يسوع كما عاش في فلسطين في الثلاثينات، عبر ما خلّفته لنا ريشة الانجيليين الاربعة -ويرجع اقدم الاناجيل التي بين ايدينا إلى حوالي العام ٧٠، وهو انجيل مرقس-، علينا أن نعلم بأن اولى الكتابات المسيحية، قبل الاناجيل، هي رسائل القديس بولس، بدءً بالرسالتين إلى أهل تسالونيقي، في حدود العامين ٥١-٥٢!

مما يشير بوضوح إلى اننا بازاء جماعة مسيحية مؤمنة، في اعقاب عشرين عاماً فقط بعد صلب يسوع! وهنا يفرض السؤال نفسه: كيف تم الانتقال من حدث صلب يسوع -وهو حدث تاريخي لا غبار عليه- إلى حدث نشوء الجماعات المسيحية في اعقاب الثلاثينات، وهو أيضا حدث تاريخي مثبت؟

هذا السؤال هو من الاهمية بمكان.. ومن شأن الجواب عنه ان يعطي معنى لوجودنا المسيحي الذي يرسو على حقيقة تتوسط الحدثين! انها حقيقة قيامة يسوع من بين الاموات التي تشكل الحدث المؤسس للايمان المسيحي وللجماعة المسيحية. فكما كان حدث الخروج من مصر (الفصح اليهودي) الحدث المؤسس لشعب العهد القديم -وقد رأى فيه منطلقاً لايمانه وقاعدة له-، هكذا تشكل حقيقة قيامة يسوع حدثا اساساً للايمان المسيحي، كما سيكتب القديس بولس: "... إن كان المسيح لم يقم، فتبشيرنا باطل، وايمانكم ايضاً باطل..." (١ قور ١٥: ١٤).إلا انه من المفارقات ان يكون "حدث" القيامة خارجاً عن نطاق البحث والتقصي التاريخي بحصر المعنى، كونه ينتمي إلى مدار الايمان.. وهو ذاته من قبيل الخبرة الوجدانية التي تخرج عن نطاق الخبرة الحسية والبرهان التاريخي[1]! فاذا كان بوسع الادلة التاريخية ان تثبت زمن يسوع والحكم عليه بالموت.. وإذا كان بوسعها ايضا ان تبرهن على قيام جماعات مسيحية، هنا وهناك، تنادي بيسوع ربّاً ومخلصاً.. إلا انها تعجز عن اقامة البرهان على قيامة يسوع والتي تشكل الرباط الوثيق بين الحدثين التاريخيين المثبتين بالادلة: حدث صلب يسوع من جهة، وحدث نشوء الجماعة المسيحية الاولى من جهة اخرى. فلولا القيامة لما كان لهذين الحدثين المعاني والابعاد التي اكتسباها[2].

---

(١) راجع الاطار بشأن " الحدث التاريخي " / الفصل الاول.

(٢) لما كان موضوع القيامة على درجة كبرى من الاهمية ويتطلب من ثم تعاملاً خاصاً ودقيقاً، فلقد آثرنا ارجاءه إلى آخر الكتاب حيث سنتناوله مطولاً عبر الفصلين السابع (قيامة المسيح: حقيقة ايمانية) والثامن (قيامة المسيح في الروايات الانجيلية) - نلحق بهما فصلاً اخيراً في روايات الآلام- . وسواء بدأ القاريء المتتبع بقراءتهما للحال، ام ارجأها الى الاخير، فسنبقى نفترضه على بيّنة من ان حقيقة القيامة تشكل الخلفية الايمانية الاساسية لكل الطروحات التي يتناولها هذا الفصل والفصول التالية.

ونوصي منذ الآن بكتاب الاب أ. شربتتييه "المسيح قام" في سلسلة دراسات في الكتاب المقدس رقم ٤-دار المشرق، بيروت ١٩٨٧.

أولاً: الايمان الفصحي، نقطة الانطلاق

ان حقيقة قيامة يسوع تكشف، في آن واحد، عن سر يسوع وسر الجماعات المسيحية المؤمنة به. فعلى ضوئها سيتسنى لنا ان نفهم ما تضمنته اسفار العهد الجديد، بدءً برسائل القديس بولس، مروراً بالاناجيل، وانتهاءً بسائر الاسفار، من طروحات تعكس في الواقع ايمان الرسل والمسيحيين الاولين بقيامة المسيح. فبدونها لم يكن بوسعهم ان يكتشفوا وجه يسوع الحقيقي.. كما لم يكن بوسعهم ان يدركوها ويقيسوا ابعادها لو لم يكشفها لهم الروح القدس -وكانت مهمته الكبرى أن يرشدهم الى "الحق كله"! (يو١٦: ١٣).

ان ايمان الرسل بقيامة يسوع هو نقطة تحوّل كبرى في حياتهم، سجّل منعطفا حاسماً في توجهاتهم : فلقد كان وراء عملية استذكار واعادة قراءة للخبرة التي عاشوها مع يسوع الناصري، وما تخللها من احداث كانوا فيها الشهود المميزين لأقواله وامثاله ومعجزاته ومواقفه... ففي ضوء ايمانهم بقيامته -بعد ان أُصيبوا بخيبة أمل مريرة ازاء موته الشنيع الذي وضع حدّاً لحياته- عرف الرسل سر يسوع واكتشفوا حقيقة مسيحانيته، وانكشفت لهم معاني الكثير من الاقوال والافعال التي لم يكن بوسعهم، قبل القيامة، ان يفهموا مضمونها ومراميها.. وفي الوقت ذاته توضحت لهم معاني العديد من النصوص البيبلية التي اكتشفوا صلتها الوثيقة باحداث يسوع... وسنرى ادناه كيف تحوّل فهمهم لسر يسوع وإدراكهم لمكانته في تدبير الله، إلى بشرى اعلنوها بجرأة.. وكان ينبغي لهذه البشرى الشفهية ان تقطع ردحاً من الزمن قبل ان تتحوّل إلى بشرى مكتوبة...

وفي سعينا إلى الكشف عن شخص يسوع يُخيل إلينا أننا نستطيع ذلك، بفضل الاناجيل التي تحدّثنا عن يسوع وترسم لنا حياته منذ الحبل به حتى صعوده الى السماء، مروراً بميلاده وطفولته وحداثته، ولاسيما عبر رسالته التبشيرية قرابة ثلاث سنوات، وما رافقها من تعاليم ومعجزات وجدالات.. اسفرت عن آلامه وموته على الصليب..! ولكن سرعان ما نصطدم بواقع ذي وجهين: هو اننا، اولاً، بازاء كتابات تفصلها عن الاحداث فترة زمنية تتراوح بين ٤٠-٧٠ سنة! وثانيا، اننا نجدنا بازاء كتّاب لم يكن بعضهم قد رأى يسوع او سمعه او عايشه، كمرقس ولوقا على اقل تقدير! وقد يكونون، في احسن تقدير، من تلاميذ الرسل او تلاميذ التلاميذ!! وغني عن القول ان هذا الطرح

يحمل في حد ذاته تساؤلات كثيرة ستبقى دون جواب إن نحن أصررنا على اعتبار الانجيليين مؤرخين او محققين في الاحداث.. وانهم كانوا اقرب ما يكون إليها بحيث استطاعوا ان ينقلوها إلينا بأمانة طبق ماجرياتها! ولَكَم يبعدنا هذا الاصرار عن اجواء الانجيل، وهو بشرى اعلنت قبل ان تدوّن.. ولم تُدوّن قط بدافع التوثيق، ولا بدافع التسلسل الزمني للاحداث، ولا بهدف كتابة "سيرة حياة"! ولنقلها منذ الآن: سيكون طرحنا هذا قد بلغ هدفه إن هو استطاع أن يقتلع على الاقل ذلك المفهوم الخاطئ الذي يبدو الانجيل بموجبه "سيرة حياة يسوع"! او نقلاً امينا لكل ما قاله يسوع وعمله.. أو "تحقيقاً" صحفياً عن ماجريات الاحداث في تفاصيلها، وكأن "الكاميرا" كانت هناك!! أو أن "المراسل" -متى، مرقس، لوقا، يوحنا- قد بعث، من موقع الاحداث، بالتقرير التالي..!

وهكذا يتبين لنا بوضوح ان سعينا للكشف عن يسوع يمر بثلاث مراحل، صعودا من الروايات المدونة (الاناجيل المكتوبة)، مرورا بالروايات الشفهية (الانجيل الشفهي الذي تضمنته الكرازة الرسولية)، وصولا الى يسوع الناصري كما بدا في نظر تلاميذه ومعاصريه! تلك هي طريقتنا في التعّرف على يسوع انطلاقا من الاناجيل، شريطة ان ندرك جيدا انها كتبت محمّلة بنور القيامة -وقد مدّت اضواءها على كل النصوص، بحيث اصبح من العسير جدا ان نميّز بين ما قاله يسوع وعمله على مرأى ومسمع من تلاميذه، قبل الفصح، وبين ما أضفي على هذه الاقوال والافعال في ضوء الفصح! ولنا في انجيل يوحنا ثلاثة شواهد يكشف فيها الانجيلي عن سوء فهم التلاميذ قبل الفصح، وكيف تحوّل بنور الفصح الى فهم وادراك: لدى حديث يسوع عن نقض الهيكل واقامته في ثلاثة ايام، يضيف الانجيلي: "اما هو فكان يعني هيكل جسده. فلما قام من بين الاموات تذكّر تلاميذه انه قال ذلك، فآمنوا بالكتاب والكلمة التي قالها يسوع" (يو٢ :١٩ت)! ولدى كلام يسوع عن الماء الحي، يضيف الانجيلي: "واراد بقوله الروح الذي سيناله المؤمنون به، فلم يكن هناك بعد من روح، لأن يسوع لم يكن قد مُجّد" (يو ٧ :٣٧ت)! ولدى استقبال الجموع ليسوع بالهتاف وسعف النخل، **اضاف الانجيلي**: "هذه الاشياء لم يفهمها تلاميذه اول الامر، ولكنهم تذكروا، بعدما مُجّدَ يسوع، انها فيه كُتبَت، وانها هي نفسها له صُنعَت" (يو ١٢: ١٣ ت)! وهكذا نكتشف لدى التلاميذ نقلة في مستوى الفهم على ضوء القيامة.

واذا كان لا بد لنا أن نبدأ بمرحلة الاناجيل للارتقاء الى يسوع الناصري، الا انه يمكننا ايضا ان نرسم ملامح يسوع الناصري كما بدا في زمانه.. بعد ان نكون قد بذلنا جهدا لاستخراج ابرز ملامح وجهه، قبل أن تكون القيامة قد كشفت عن حقيقته بوجهيها المسيحاني والالهي! وغني عن القول أن هذه الطريقة ستفترض منا، ولو

للحظات، ان ننسى ما نعرفه عن يسوع الرب الممجد، كي يتسنى لنا أن نذهب نزولا من يسوع الناصري، كما بدا لتلاميذه ومعاصريه، وانتهى معلقا على الصليب.. الى المسيح الحي والحاضر في الجماعات المؤمنة التي طالتها الكرازة الرسولية بقيامته من بين الاموات.. وهكذا نجدنا في رحلة شبه مكوكية!

ويطيب لنا ان نتبنى خط السير هذا نزولا من يسوع الناصري الى يسوع الاناجيل، بعد ان نكون، شئنا ام أبينا، قد قطعنا المسافة صعودا من الاناجيل الى يسوع الناصري عبر ايمان الجماعة المسيحية التي كشف لها الروح القدس ان "يسوع الناصري المصلوب قد أقامه الله.. وجعله ربا ومسيحا" (رسل٢:٢٢ت)! وهكذا سينصب اهتمامنا بالاكثر على ما تناقلته الجماعات المسيحية، من عمق خبرتها الايمانية بيسوع الرب الحي والممجد في وسطها. وسيهمنا بالاكثر ان نعرف كيف قبلت هذه الجماعات البشرى بقيامة الرب، وكيف تفاعلت مع ما كانت هذه البشرى تحمله اليها من رسالة ونداء..! **ولن يسوءنا حينذاك ان نعلم بان هذه الجماعات عكست في الاناجيل رسالة يسوع كما فهمتها وخبرتها وشهدت لها، فدوّنتها من ثم**.. كما لن يسوءَنا ايضاً أن نسمع يسوع الحي يتكلم في الجماعات المسيحية، أكثر مما ان نسمع ما قاله يسوع وفعله في حياته على الارض، بالتحديد وعلى وجه الدقة!

ولكننا قبل ان نتناول كلاًّ من هذه المراحل الثلاث، يحسن بنا ان نلقي بعض الاضواء على ايمان هذه الجماعات المسيحية التي رسم لنا لوقا في سفر الاعمال ملامحها. وهكذا نتخذ من جديد سفر الاعمال بمثابة دليل يضعنا بازاء جماعة مؤمنة بالرب يسوع القائم من بين الاموات.. جماعة "واحدة ومتنوعة"! ذلك لأنه سرعان ما يضعنا امام نموذجين من هذه الجماعات: جماعة يهودية متنصّرة، إلى جانب جماعات وثنية اهتدت إلى الايمان، على يد المسيحيين الهيللينيين، وكان لبرنابا وبولس دور كبير في تبشيرها وضمها إلى جماعة المؤمنين[٣].

١- المسيحيون من أصل يهودي:

في الفصول الخمسة الاولى من سفر الاعمال يضعنا لوقا بازاء جماعة مؤمنة يهمها ان تبدو متواصلة مع الشعب اليهودي، وفي الوقت ذاته متميزة عنه بايمانها بيسوع المسيح. فهوذا الرسل يهمهم ان يكونوا "اثني عشر" في اعقاب خيانة يهوذا! وها هم يستكملون الرقم الذي يعكس يقينهم بانهم وارثو "شعب الله" المؤلف من ١٢ سبطاً

---

[٣] انظر: من الاناجيل/ ص٢٥-٢٨.

وبقيادة ١٢ رئيساً... ولقد بلغوا إلى هذا اليقين عبر قراءة مجددة للاسفار، ولاسفار الانبياء بنوع خاص -وقد أنبأوا بـ "يوم يهوه" الذي فيه يقيم الله ملكه ويعيد بناء شعبه على أسس جديدة. فبنور الروح القدس وعت الجماعة المسيحية الاولى تدريجيا انها الوريثة الشرعية لمواعيد الله، طالما ان ايمانها بيسوع -وقد جعلت منه القيامة "رباً ومسيحاً"- جعل منها جماعة جديدة متأصلة في تاريخ يرقى إلى الآباء، وجعل من الرسل الاثني عشر "خداماً" لها دون ان ينتموا إلى سبط اللاويين! وهكذا تبقى هذه الجماعة الجديدة متجذرة في ايمان شعب العهد القديم، ولا تني تجدد قراءة اسفاره بما يضفي على ايمانها معنى جديداً.

ويتضح لنا من قراءة لوقا لكنيسة اورشليم أننا بازاء جماعة متماسكة ومتحدة، تواظب على "تعليم الرسل والمشاركة وكسر الخبز والصلوات" (رسل ٢: ٤٢ت)، في المحبة والفرح، وقد جسّدتهما علامات الشركة والاقتسام والتضامن :"وكان كل شيء مشتركا بينهم.. فلم يكن فيهم محتاج..."! ومع ذلك فهي جماعة أمينة على الايمان اليهودي: لم تقطع صلتها بايمان الآباء.. ولم تتنكر للشريعة واحكامها.. وظلت تلازم الهيكل. ومن الخطأ الجسيم ان نتصوّرها وهي تقطع، غداة العنصرة، كل علاقة لها مع دين الآباء! ذلك لأن الكنيسة الاولى لن تبدو "هرطقة" في نظر الدين اليهودي الا حين اصبحت تشكل "خطراً" عليه..! ومن المفارقات أن الحرم الذي اطلقه فريسيو يمينا (راجع الاطار حول فريسيي يمنيا) بحق المسيحيين، هو الذي سيكرس الانشقاق والقطيعة، ويجعل المسيحية تبدو ديانة جديدة...

وإذا كان لوقا قد رسم لوحة مشرقة عن هذه الجماعة التي يقودها الروح القدس ويسندها ويؤيدها، فها هو يحذرنا من الوقوع في تصوّر مثالي لها، من خلال الكشف عن بعض الغيوم التي تخلّلت سماءَها! وهكذا يأتي خبر "حنانيا وسفّيرة" ليوازن بين سخاء برنابا الذي وضع بطيب الخاطر ثمن حقله عند أقدام الرسل، وبين كذب الزوجين اللذين إتفقا على اقتطاع قسم من ثمن ملك لهما قبل أن يضعاه عند اقدام الرسل -وتدهشنا ولاشك شدة العقاب!! وندرك الاهمية التي يوليها لوقا للصدق والنزاهة اللذين ينسجان تماسك الجماعة ووحدتها.. ولذا، فبالرغم من هذه "الخطيئة الاولى" في الكنيسة الاولى، سيستمر لوقا في رسم ملامح كنيسة يمتد اشعاعها، ويزداد باطراد عدد "المنضمّين" إليها بفعل كرازة الرسل (رسل ٢: ١٤- ٤٧؛ ٥: ١٤). ذلك لانه يريد ان يرسم صورة "الكنيسة الأم" التي يجتمع حولها كل المؤمنين بيسوع، إلى ان يدفع بها الروح إلى الخارج، لتصبح كنيسة من اجل العالم!

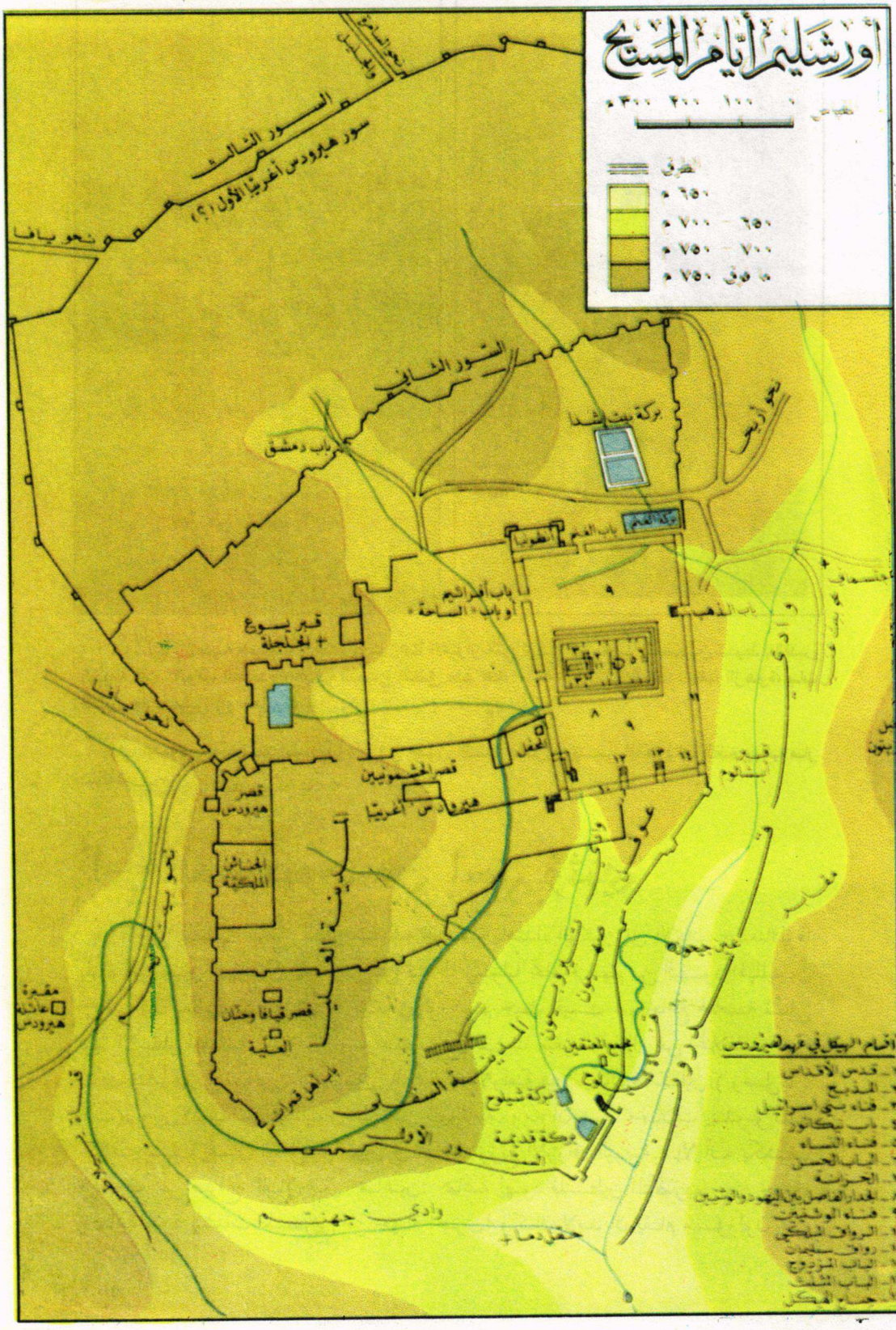

أورشليم أيام المسيح
مقياس ٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ م
الطرق
٦٥٠ م
٦٥٠ - ٧٠٠ م
٧٠٠ - ٧٥٠ م
ما فوق ٧٥٠ م
السور الثالث
سور هيرودس أغريبا الأول (؟)
نحو يافا
السور الثاني
باب دمشق
بركة بيت شدا
نحو أريحا
بركة الغنم
باب الغنم
أنطونيا
باب أفرائيم أو باب «الساحة»
باب الذهب
قبر يسوع + الجلجلة
نحو يافا
المحفل
قصر الحشمونيين
هيرودس أغريبا
قصر هيرودس
الجنائن الملكية
قصر قيافا وحنان العلية
مقبرة عائلة هيرودس
باب أهل قمران
المدينة السفلى
بركة شيلوح
بركة قديمة
السور الأول
وادي جهنم
حقل دما +
عين جيحون
مجمع المعتقين
أقسام الهيكل في عهد هيرودس
١- قدس الأقداس
٢- المذبح
٣- فناء بني اسرائيل
٤- باب نيكانور
٥- فناء النساء
٦- الباب الحسن
٧- الخزانة
٨- الجدار الفاصل بين اليهود والوثنيين
٩- فناء الوثنيين
١٠- الرواق الملكي
١١- رواق سليمان
١٢- الباب المزدوج
١٣- الباب المثلث
١٤- جناح الهيكل

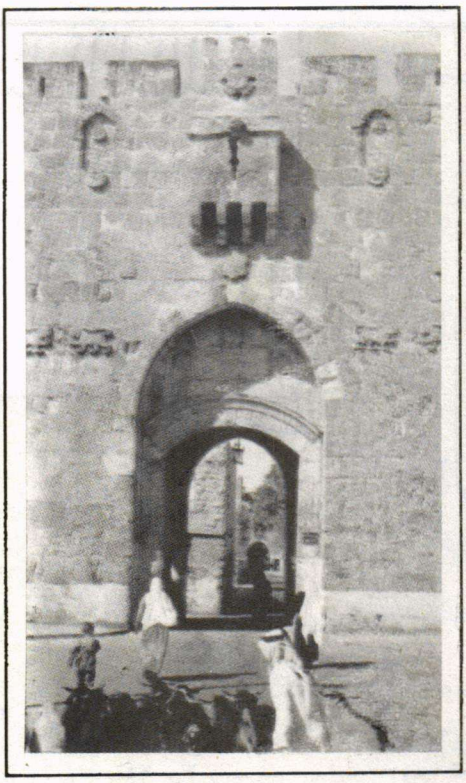

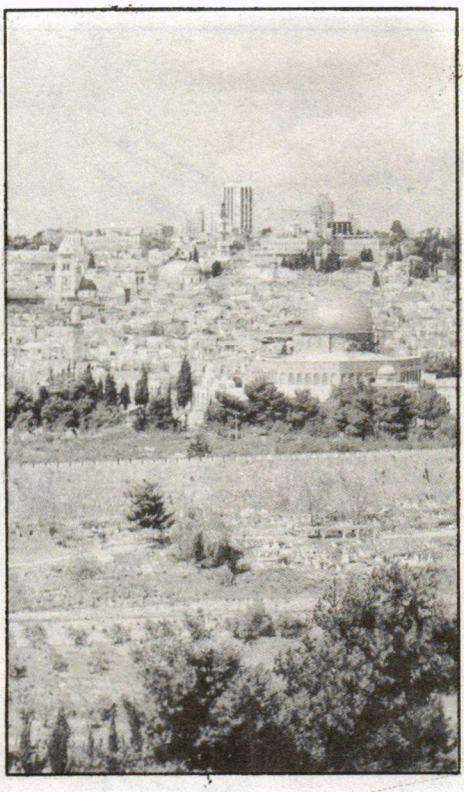

اورشليم / المدينة المقدسة / القدس: ما زالت الاسوار التي ترقى إلى عهد الصليبيين تحيط بالقدس القديمة ذات الابواب العديدة : الباب الذهبي (مغلق منذ عام ١٥٣٠)، الباب الجديد، باب الزهرة، باب الخليل، باب دمشق (أو العامود)...

باب الاسود – وقد نحتت بأمر بيبرس في القرن الثالث عشر– ويسمى ايضاً باب الغنم وباب مار اسطفانس.

٢- المسيحيون من اصل وثني

قبل المنعطف الكبير الذي ستعيشه الكنيسة باهتداء الوثنيين الى الايمان، يضعنا لوقا بازاء المسيحيين الهيللينيين الذين مارسوا نشاطا رسولياً تجاه اقرانهم من اليهود الهيللينيين –وقد كان بعضهم يقضي نهاية حياته في اورشليم حيث اقيمت لهم مجامع خاصة تُتلى فيها الاسفار المقدسة باليونانية! وسرعان ما يكشف لنا سفر الاعمال عن الخلافات التي بدأت تنشأ بين المسيحيين "العبرانيين" الناطقين بالارامية من سكان فلسطين (رسل ٦: ١ت)، وبين المسيحيين الهيللينيين الناطقين باليونانية. ومع ان هذا الخلاف يبدو وكأنه خلاف بسبب إهمال ارامل الهيللينيين في خدمة توزيع الارزاق اليومية.. إلا انه يكشف في الواقع عن صراع ثقافي بين جماعتين: جماعة يهود فلسطين المتنصرين من جهة، وجماعة يهود الشتات المتنصرين من جهة اخرى! وكان لابد ان يقام مسؤولون عن

هؤلاء المسيحيين الهيللينيين، هم اولئك "السبعة" -ويرمز عددهم إلى الوثنيين الذين ستبلغ إليهم البشارة على يدهم- وهم ليسوا "شمامسة" بقدر ما هم رؤساء كنائس! ويؤكد لوقا ان هؤلاء السبعة يقودهم الروح القدس في مهمة التبشير، بدءً باسطفانس رئيسهم الذي كان "ممتلئا من الايمان والروح القدس" (رسل ٦: ٥)، وفيلبس الذي سينزل إلى السامرة في اعقاب الاضطهاد الذي شتت المسيحيين، والهيللينيين منهم بنوع خاص (رسل ٨: ٤ ت).

لقد كانت الكنيسة الناشئة تتوسع باديء بدء انطلاقاً من مركز اورشليم. فحين بشر فيلبس اهل السامرة، كان لابد لكنيسة اورشليم ان ترسل بطرس ويوحنا كي يضعا ايديهما عليهم لينالوا الروح القدس وينضمّوا إلى الجماعة (رسل ٨: ١٤ ت). وسيكون فيلبس اول من يعمّد حبشياً "دخيلاً" (رسل ٨: ٢٦ ت)، إلى ان يقوم بطرس، بايعاز من الروح، بهداية وثني من "متّقي الله"، قرنيليوس، إلى جماعة المؤمنين (رسل ١٠ :١ ت). الا ان الخطوة الحاسمة في هذا المضمار ستتم على ايدي الهيللينيين الذين شتّتهم الاضطهاد، اثر استشهاد اسطفانس، الى فينيقية وانطاكيا وقبرص.. حيث انهم، بعد ان كلّموا اليهود، "اخذوا يكلّمون اليونانيين" الذي "آمن منهم عدد كبير واهتدوا إلى الرب" (رسل ١١: ١٩- ٢١).

ذلك كان المنعطف الحاسم في تاريخ الكنيسة حين اصبح الرسل امام جماعة مؤمنة بالمسيح، لم تنشأ بفعل "انضمام"، وانما بفعل "اهتداء" إلى الجماعة -خارجاً عن المحيط الفلسطيني وعن مركز اورشليم-، وقد أُنجز بدافع من الروح الذي ايّد البشرى المعلنة وفتح قلوب الوثنيين لتقبلها... وهذا الواقع الذي استجدّ باهتداء الوثنيين، حدا "بالكنيسة التي في اورشليم" إلى ان توفد برنابا الى انطاكيا (رسل ١١: ٢٢) للتعامل مع هذا الوضع الجديد الذي لم يكن قبوله بالأمر الهيّن على

انطاكيا حيث دعي التلاميذ "مسيحيين" للمرة الاولى! وكانت نقطة الانطلاق للرحلات التبشيرية في آسيا الصغرى. كادت انطاكيا الحالية (تركيا) تخلو من المسيحيين- في هضبتها تشاهد "مغارة" على اسم القديس بطرس، مع بقايا فسيفساء.

"يهود قدامى"، كان محظوراً عليهم التعامل مع الوثنيين ومعايشتهم تحت طائلة "النجاسة"! وحين تلمَّسَ برنابا في هذه الظاهرة الجديدة اصبع الله، لم يستقدم رسلاً من اورشليم، وانما ذهب الى طرسوس في طلب شاول/بولس-وكان لوقا قد روى لنا قصة دعوته (رسل ٩: ١ ت)- فراحا كلاهما، طيلة سنة يوطّدان اسس هذه الكنيسة الانطاكية الفتية التي نشأت خارج الحدود (رسل ١١: ٢٥- ٢٦)!

اثينا-في الاريوباغس إلى الغرب من قلعة الاكروبول ألقى بولس خطبته الشهيرة مبشراً بـ "الاله المجهول" الذي كان اهل اثينا يعبدونه دون ان يعرفوه !

ومنذئذ اصبحت الكنيسة منفتحة على العالم بفعل الروح الذي زجّها بعيداً عن آفاق فلسطين والمدينة المقدسة.. فأخذت تعي ذاتها "كنيسة من أجل العالم" كما ارادها يسوع! ألم يضع لوقا على لسان يسوع قبيل "صعوده" هذه الكلمات التي نجد تحقيقها على ارض الواقع : "ستنالون قوة بحلول الروح القدس عليكم فتكونون لي شهوداً في اورشليم وكل اليهودية والسامرة حتى اقاصي الارض" (رسل١ :٨)! وها نحن بالفعل، وفق رواية لوقا في سفر الاعمال، ازاء كنيسة في اورشليم قد امتدت إلى السامرة، ومن ثم إلى انطاكيا.. وهي على أهبة للتوجه (رسل ١٣-١٤)، بفضل برنابا وبولس، وعدد من المعاونين، إلى قبرص.. ومن ثم إلى ارجاء آسيا الصغرى.. وصولاً إلى اثينا.. فروما! ولنقلها منذ الآن: في هذه الجماعات المسيحية الجديدة خارج البيئة الفلسطينية ستبرز ملامح جديدة لوجه يسوع، وستكوّن من ثم الخطوط العريضة لاناجيلنا (**انظر الاطار ١٧: وجه يسوع في فكر بولس**)...

وجه يسوع في فكر بولس

لا عجب إذا كانت لنا ملامح عديدة لوجه يسوع.. ولا عجب ايضاً إذا كان بولس الرسول اول من رسم صورة ليسوع عبر رسائله التي سبقت الاناجيل... وسيُرسَم على مدى الاجيال وجه يسوع انطلاقاً مما تعيشه كل جماعة مسيحية،وما تتعرض له شهادتها من تحديات، وما تحمله من انوار اجاباتها على التساؤلات المطروحة عليها... وفيما نرسم ادناه لمحة سريعة عن وجه يسوع كما رشح من كتابات بولس، نرجىء إلى آخر هذا الفصل ملامح يسوع بحسب الانجيليين.

ان ملامح وجه يسوع لدى بولس، هي ملامح "المسيح" توضحت دفعة واحدة على طريق دمشق، ورسمها من ثم بشكل تدرجي عبر رسائله التي يمكننا ان نكتشف فيها تطور فهمه لسر المسيح. فهو لم يعرف يسوع في الجسد، وانما عرفه ذاك الرب الممجّد الذي كشفت القيامة عن كونه المسيح ابن الله... فعلى طريق دمشق التقى بولس المسيح الحي الذي كان بالامس يسوع الناصري المعلّق على خشبة، أي ذلك "الملعون" الذي مجّده الله! منذئذ اصبح يسوع، في نظره، ذاك الذي أيّده الله وصادق على حياته وموته، فتفوّق من ثم على الشريعة التي حكمت عليه في شخص ممثليها! وهكذا تبين له ان الله جعل الخلاص منوطاً بالايمان بالمسيح.. وان هذا الخلاص هبة مجانية من الله لكل من يؤمن... فلا عجب إذا ما اصبح المسيح محور حياته!

ففي ضوء القيامة، وعبر قراءة مجددة للاسفار المقدسة، عرف بولس ان موت يسوع على الصليب يدخل في صلب تدبير الله الخلاصي: "... مات من اجل خطايانا كما في الكتب، وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب..." (١قور ١٥: ٣ ت)، وهكذا اصبح الصليب محور تفكيره... وفيه وجد ذاته خاطئاً قد غفر له! ومن هنا اصبح الشكر والتسبيح لسان حاله... كما اصبح التبشير بالانجيل لديه ضرورة ملحة... طالما ان الخلاص قد تم بيسوع.

ان اختبار بولس للمسيح القائم من بين الاموات قلب حياته رأساً على عقب! فالمسيح الذي استولى عليه في الطريق، بقي عليه أن يضع حدًّا للتاريخ، فيأتي في "يومه" الاخير للدينونة العامة ويخرج إلى لقائه الاحياء والاموات... ومن هنا كان انتظاره، في رسائله الاولى، مع كل المؤمنين، مجيء الرب القريب! وادرك بولس من ثم ان عليه ان يحمل قراءه على العيش في جو من النعمة الممنوحة لهم، بالمعمودية التي تجعلهم يحيون على شبه صورة المسيح...فكانت تلك الرسائل التي تؤكد على شركة المسيحيين في الايمان والمحبة، طالما انهم يؤلّفون "جسد المسيح " الذي هو الكنيسة... ومن هنا كانت تلك التوجيهات الى عيش متطلبات الحياة المسيحية في الواقع اليومي،عبر المشاركة التامة مع المسيح في الآلام لاستحقاق المشاركة معه في المجد...

وتنكشف الكثير من ملامح المسيح الممجّد عبر معايشة بولس للجماعات المسيحية التي أسسها، وعبر الاسئلة التي أثارها الايمان المسيحي لديها... مما حمله على تقويم الاعوجاجات التي تعرضت لها في حياتها اليومية، وعلى رسم ملامح الخلقية المسيحية التي يجب ان يتصف بها " القديسون"... وفي رسائله الاخيرة من السجن، بعد أن أنضجت المحنة تفكيره بسر المسيح في ضوء الكتب المقدسة، ادرك بولس ما للمسيح من مكانة كونية: فهو ليس مخلّص الجماعة المسيحية حسب، وانما هو بكر كل الخلائق، وصورة الله، والذي به وله خلق كل شيء...إنه ربّ التاريخ!

(انظر "المسيح في تفكير بولس": الدليل /ص ١٦٨)

٣- مكانة القديس بولس في الكنيسة الناشئة

نحن مدينون للوقا، عبر سفر اعمال الرسل، بمعظم ما نعرفه عن القديس بولس! فهو، منذ استشهاد اسطفانس، كشف لنا عن فتى يدعى شاول وضع الراجمون ثيابهم عند قدميه (رسل ٧: ٥٨؛ ٢٢: ٢٠)، وكان موافقا على قتله(٨: ١)! وسرعان ما يرينا اياه ممتلئا من الغيرة على دين آبائه، صابّاً غضبه على اتباع الناصري الذين هم، في ظنه، متهوّسون، مفسدون للايمان القويم، ويشكلون بالتالي خطراً على وحدته وتماسكه...ويوجز لوقا غيرة شاول الطرسوسي على الايمان بالقول :"اما شاول فكان يُفْسِد في الكنيسة، يدخل البيوت الواحد بعد الآخر فيجرّ الرجال والنساء ويلقيهم في السجن" (٨: ٣)! وستبلغ غيرته أوَجَها حين يقصد عظيم الكهنة ويستحصل منه رسائل إلى مجامع دمشق تخوله ان يوثق كل من وجده هناك "على هذه الطريقة" (٩: ٢)!

وعبر رواية شيقة وممتعة ومهيبة في آن واحد، يضعنا كاتب سفر الاعمال بازاء مضطهد عنيد، على جانب كبير من الاخلاص والاستقامة، كان قد رأى من الواجب عليه ان يقاوم اسم يسوع (انظر رسل ٢٦: ٩)..! وسرعان ما نجده يلقي اسلحته ويستسلم للرب القائم من بين الاموات الذي "استولى" عليه في الطريق.. ومن دون اية مقاومة:

- شاول، شاول لماذا تضطهدني؟

- من انت يا رب؟

- انا يسوع الذي انت تضطهده... (رسل ٩: ٤ت)

وسيقى لوقا يفهمنا بشتى الطرق ان ذلك الفريسي الملتزم (رسل٢٣: ٦؛ ٢٦: ٥)، الضالع بالشريعة والانبياء والكتب، تحوّل إلى واعظ بالرب يسوع وشاهد له، يحمل اسمه "عند الوثنيين والملوك وبني اسرائيل" (٩: ١٥) -"وكم سيعاني من الألم في سبيل هذا الاسم"!-، هو الذي اخذ للحال، بدءً بدمشق، ينادي في المجامع بأن يسوع هو ابن الله.. وهو المسيح (٩: ٢٠ -٢٢).

ويحتل بولس -وهو اسمه اليوناني، وليس اسمه في العماذ!- مسرح الاحداث في سفر الاعمال، وعلى مدى النصف الثاني منه، منذ ان اتى به برنابا من طرسوس، مسقط رأسه، حيث كان قد لجأ في اعقاب محاولة اغتياله (٩: ٢٩- ٣٠)، إلى انطاكيا حين وطّدا سوية كنيستها المؤلفة من يهود انضموا إلى الايمان ووثنيين اهتدوا إليه..

انطاكيا التي منها انطلقت اول رحلة تبشيرية مشتركة (١٣-١٤).. وينفصلان من ثم ليتابع بولس عمل التبشير، مع معاونين جدد، في ارجاء الامبراطورية الرومانية وحتى عاصمتها روما، وعلى مدى فصول (١٥:٣٦-٢٨: ٣١)!

القديس بولس - فسيفساء على جرن عماذ في رافينا/ ايطاليا (القرن الخامس).

لقد كان على هذا اللاهوتي الكبير الذي استحوذ عليه الرب الممجّد في حوالي عام ٣٦، وهو في عنفوان شبابه، ان يستوعب ويمضغ حقيقة قيامة الناصري المصلوب التي كُشِفت له على الطريق..! وكان عليه بنوع خاص ان يعود إلى الاسفار المقدسة ويعيد قراءتها في ضوء وحي القيامة.. فيدرك موقع يسوع الناصري المصلوب والممجّد في تصميم الله الخلاصي... وهنا يمكننا ان نملأ الفجوة في سفر الاعمال بما كتبه بولس في الرسالة إلى أهل غلاطية، وقد حكى فيها قصة دعوته، مؤكداً على طابع الاختيار الالهي:"... ولما حسن لدى الله الذي افردني مذ كنت في بطن امي ودعاني بنعمته ان يكشف لي ابنه لأبشر به بين الوثنيين، لم استشر اللحم والدم، ولا صعدت إلى اورشليم قاصداً من هم رسل قبلي، بل ذهبت من ساعتي إلى ديار العرب، ثم عدت إلى دمشق..."(غلا ١: ١٥ - ١٧)! وهكذا نجد بولس يعكف على الاختبار الايماني لسر المسيح والتبشير به في آن واحد، وذلك طيلة السنوات الثلاث التي سبقت صعوده إلى اورشليم للالتقاء ببطرس ويعقوب اخي الرب (غلا١ :١٨-١٩؛ قارن مع رسل ٩: ٣٠)[٤]

ومنذئذ اخذ بولس يعلن حقيقة سر المصلوب الذي "اقامه الله من بين الاموات، بعد ان تمّ كُلُّ ما كتب بشأنه" (رسل ١٣: ٢٩ ت)، والذي به يُمنح غفران الخطايا

---

[٤] في سفر الاعمال حيث تُروى دعوة بولس من وجهة نظر كنيسة انطاكيا، يشدد لوقا على كون رسالة بولس مستمدة من الكنيسة التي في اورشليم والتي صادقت على دعوته وتوجهاته! وحين يسرد بولس قصة دعوته في الرسالة إلى غلاطية، فهو يقرأها في ضوء اختيار الله له، منذ الولادة، بما يدل على انها تتجاوز الرسل الذين قبله طالما انها نعمة مباشرة تلقاها من الله! فنحن، إذن، بازاء لاهوت الحدث، أي اننا بازاء معنى لاهوتي أُضفي على الحدث، بهدف إضفاء مزيد من المصداقية على "رسوليته".

ويُبرَّر كل من يؤمن! وسيسعى هذا الرسول -وهو يعترف بعدم استحقاقه في ان يدعى رسولاً لكونه اضطهد كنيسة الله (١ قور ١٥: ٩ت)- ان يوطّد الايمان بالمسيح في معاقل العالم الوثني حيث كان عليه ان يبتكر، في ضوء القيامة، سلوكية مسيحية للوثنيين المهتدين ويجذّر البشرى الانجيلية في قلب الحضارة اليونانية... وهكذا سيسهم القديس بولس في تفسير التدبير الخلاصي الذي أتمه الله بيسوع -وقد اصبح له يسوع كل شيء في الحياة، وإن لم يعرفه بحسب الجسد ولا عرف اقواله واعماله!- عبر قراءة مجددة، في ضوء الايمان، للاسفار المقدسة، ستنعكس في رسائل رائعة مشبعة بالتفكير اللاهوتي في سر المسيح[٥]...

ثانياً: من يسوع الى الاناجيل

استعرضنا اعلاه واقع الجماعات المسيحية، سواء كانت من أصل يهودي ام وثني، وقد تأصلت في مناطق عديدة من فلسطين وسوريا وقبرص وآسيا الصغرى المترامية الاطراف، مروراً بمقدونية واليونان وحتى روما.. وكان للقديس بولس الدور الفاعل في انشاء عدد منها وتوطيد ايمانها عبر رسائل نابضة بالايمان الفصحي، ومشبعة من نور الأسفار المقدسة -وقد كتبها في اغلب الظن ما بين ٥١-٦٧ حين لم تكن الاناجيل قد دُوّنت! ولا عجب إن هي لم تُصدِ لاقوال يسوع وامثاله وتعاليمه.. ولم تعكس معجزاته ومواقفه ومجادلاته.. ولا حتى روايات الآلام والقيامة! ومع ذلك لم يغب عنها، لحظة واحدة، وجه يسوع المتألم والمصلوب والقائم من بين الاموات. وستبقى هذه الرسائل شاهدة على الايمان المسيحي المتأصل في قلب تلك الجماعات.. ولن تكون من ثم أقل منزلة، على صعيد الايمان، من الأناجيل، بسبب شبه غياب الكثير من ملامح يسوع ابان حياته على الارض! إنها، مع سائر اسفار العهد الجديد، "انجيل" يعلن بشرى يسوع -وقد سبق لبولس أن اطلق على رسالته التبشيرية بين الامم عبارة "إنجيلي.. بشارتي" (روم٢: ٦؛ ١قور٤: ٣؛ ٢طيم٢: ٨)!- وهي بالتالي ليست اقل شأنا منه، كونها لم تنقل لنا أحداثا ومشاهد من حياة يسوع! فلقد سبق لنا ان قلنا -ولن نملّ من الترداد- ان أناجيلنا ذاتها عكست وجه يسوع الحي في الجماعات المسيحية في السبعينات والثمانينات بقدر ما عكست وجه يسوع الناصري في الثلاثينات...

---

[٥] سنقوم بقراءة في رسائل القديس بولس بحسب ترتيبها الزمني، في نطاق المداخل إلى اسفار العهد الجديد/ الفصل السادس.

"من يسوع إلى الاناجيل"! تحت هذا العنوان نتناول تباعاً المراحل الثلاث: من يسوع إلى تدوين الاناجيل، مروراً بالجماعات المسيحية. وهذه المراحل هي: ١-مرحلة يسوع الناصري، ٢-المرحلة الشفهية للاناجيل، ٣-مرحلة تدوين الاناجيل.

١- مرحلة يسوع الناصري

حين نفتح الاناجيل تدغدغنا ولا شك الرغبة في الاهتداء إلى شخصية يسوع في كل تفاصيلها.. ونتمنى في سرّنا لو كان لنا "فيلم" وثائقي يكون قد التقط كل كلمة او نظرة او حركة.. صدرت عن يسوع ابان حياته كلها، منذ طفولته وحداثته وشبابه وحتى موته، مروراً بسني حياته الرسولية في المدن والقرئ، من الجليل إلى اليهودية، مروراً بالسامرة او بالمدن العشر... ولا نخفي استغرابنا حين نتحقق بأن الاناجيل التي توقعنا ان نجد فيها "سيرة حياة" كاملة، لا تروي لنا بالتفصيل كل ما قاله يسوع وعلّمه وعمله.. لا بل كثيرا ما تسكت عن احداث وتغفل عن ذكر تفاصيل كنا نتمنى الاطلاع عليها..! وحين تكون تلك غايتنا من قراءة الاناجيل، فلا عجب ان نُمنى بخيبة أمل!

إنه لمن المشروع جداً ان نسعى إلى معرفة يسوع معرفة تكون أقرب ما يكون إلى شخصيته التاريخية. فالذي كشفت القيامة عن كونه المسيح، ابن الله، الرب الحي والممجّد.. هو ذاته يسوع الناصري، ذلك الانسان، من طينتنا ومن شرقنا، والذي عاش في منطقة قريبة منا، وتحدث بلغة ارامية لها صلات وثيقة بلغاتنا السريانية والعبرية والعربية..! وتناول في تعليمه مفردات ومفاهيم تتصل عن كثب بالمفاهيم والمفردات الكتابية، وهي الاخرى ليست غريبة جداً عن محيطنا الفكري والثقافي والحضاري.. وقد استخدم امثالاً وتشابيه ورموزاً ما زال الكثير منها مألوفا في احاديثنا... إلا ان المشكلة تكمن في ان يسوع لم يكتب شيئاً،ولم يطلب من تلاميذه ان يكتبوا شيئاً، ولم يخطر ببالهم، هم انفسهم، ان يكتبوا ويوثقوا شيئاً مما كان يقوله ويعلّمه، او مما كان يفعله من معجزات... والأنكى هو انهم في اغلب الاحيان لم يكونوا يفهمون الكثير من اقواله وامثاله.. بل كانوا، بالعكس، يتشككون من مواقفه وبعض تصرفاته..! فلطالما شككتهم حريته وادهشتهم جرأته.. ولَكم ساورتهم ظنون وترددات حول تعاليمه.. وقد بلغ بهم سوء الفهم أوَجَه حين واجهوا نهاية هذا "المعلم" الذي احبّوه، وهم يتحققون بانفسهم ان تعاليمه الحرة ومواقفه الجريئة قد عجّلت في أجَله!

أما الوجه الثاني للمشكلة التي نواجهها في سعينا إلى معرفة يسوع الناصري معرفة تامة، فيكمن في ان ما نعرفه عن اقواله واعماله، انما نعرفه من خلال ما رواه انجيليون لم

يكونوا دوماً شهود عيان، وقد رَوَوه بعد مضي حوالي نصف قرن او اكثر على الاحداث، ورَوَوه مفعماً بايمانهم بقيامته التي قلبت الامور رأساً على عقب! فلقد ترسخت لدينا هذه الروايات الانجيلية بحيث **لم نعد نميّز بين الزمن الذي عاش فيه يسوع والزمن الذي دُوّنت فيه بشراه**.. ولم نعد نقوى بالتالي على استيعاب الفارق الزمني بين الاحداث كما جرت في حينها وبين زمن تدوين الروايات التي عكستها، بعد ان اكتسبت ابعاداً جديدة في ضوء القيامة -ونضرب صفحاً الآن عن الاختلاف بين الانجيليين في سرد هذه الروايات!

وخلاصة القول هو اننا سنبقى نعاني من سوء الفهم طالما نتناسى **ان ما دونه الانجيليون، انما دونوه في ضوء ايمانهم بقيامة المسيح!** فأن يبدأ مرقس كتابه بهذا المطلع: بدء انجيل (بشارة) يسوع المسيح ابن الله"(١:١)، وأن يجعل لوقا على لسان الملاك هذه البشرى للرعاة:"... ولد لكم اليوم مخلص.. هو المسيح الرب"(٢: ١١)، او أن يبدأ انجيل يوحنا بتأمل في سر الكلمة الذي "صار بشرا وسكن في ما بيننا" (١: ١٤)، فيما يُختَم انجيل متى بوصية على لسان يسوع أن "عمّذوهم باسم الآب والابن والروح القدس"(٢٨: ١٩)... فما ذلك إلا لأنهم يكتبون من وحي خبرتهم الايمانية بيسوع الممَّجد، ذاك "الرجل الذي ايّده الله...فأقامه.. وجعله ربّاً ومسيحاً" (رسل ٢: ٢٢ ت)!

فلكي نرسم وجه يسوع الناصري كما بدا لمعاصريه قبل القيامة، لا مناص لنا من خيار السير باتجاه محاولة رسم لوحة نستخرجها من بين سطور الاناجيل، متناسين، قدر المستطاع، ما علق بها من اضواء فصحية، ومقتصرين على الملامح "المجرّدة" التي يُحتَمَل ان تكون اكثر اصالة[٦]، كالاصالة التي تميزت بها مناداة يسوع لأبيه بعبارة " أبّا (بابا)

---

[٦] يشير الاب شربتيه الى معيارين للوصول الى اقوال يسوع وافعاله : الاصالة والمماثلة، شريطة ان تجتمعا ! فمعيار الاصالة (او الفرادة) يقوم حين نقارن احداثا او اقوالاً ليسوع اوردها الانجيليون، بما سبقها في التقليد اليهودي وما تلاها في حياة الكنيسة. فعلى سبيل المثال : حين يقول يسوع بأن ساعة الدينونة لا يعرفها الابن ذاته (مر١٣ : ٣٢)، فتلك عبارة نعتبرها اصيلة لانها تبدو مناقضة لايمان الكنيسة الفصحي وهي تؤمن بالوهية يسوع، ولم يكن بوسع الرسل أن يبتكروها، كما لم يكن بوسعهم ان يبتكروا مشهد عماذ يسوع على يد المعمذان (مر ١ :٩) او مشهد النزاع في بستان الزيتون (مر ١٤ : ٣٢ ت)..! اما معيار المماثلة (او التواصل) فيكمن في ضرورة وجود ترابط بين ما يقال في يسوع او يعرف عن زمنه من جهة، وبين اقوال يسوع ومواقفه من جهة اخرى. وبعبارة اخرى الكشف عن كون هذه الاقوال والمواقف تندرج في السياق التاريخي والجغرافي والاجتماعي لزمن يسوع...

فعلى سبيل المثال نقول بأصالة التطويبات (بحسب انجيل لوقا) على لسان يسوع، كونها تندرج في اطار زمنه. ولكن حين يقول يسوع: "لم أرسَل إلا الى الخراف الضالة من اسرائيل" (متى ١٥ : ٢٤)، نعلم ان هذه العبارة تندرج في منظور التوقع اليهودي للمشيح (معيار المماثلة) ولا يمكن ان يختلقها المسيحيون (معيار الاصالة).. اما حين يتحدث الانجيل عن "بمامعهم"، فهو يعكس واقع المسيحيين الذين احذوا يبشرون الوثنيين بعد ان تم فصلهم عن المجامع -ومثل هذه العبارة ترد على لسان يسوع دعماً لتوجّههم الجديد! وتجدر الاشارة الى ان تَوصُّل البحث

–وهي عبارة لم يجرؤ أي يهودي مهما كان تقيا ان ينادي بها الله! ان ما يهمنا هنا في معرض بحثنا عن يسوع الناصري هو ان تكون لنا رؤية عنه تقترب قدر المستطاع عن رؤية ابناء عصره عنه، ولاسيما رؤية الجموع ورؤساء الشعب من كهنة وكتبة وفريسيين.. فضلاً عن رؤية المؤمنين له، وفي مقدمتهم التلاميذ. ففي هذه اللوحة التي نحاول رسمها، لابد لنا من الحد الادنى من الملامح التي نستعيرها من لوحات الانجيليين[٧]!

بحيرة طبرية (او بحر الجليل او بحيرة جنيسارت) حيث دعا يسوع عدداً من الصيادين إلى اتباعه... وقد شهدت تحركاته بين شاطئيها، مبشراً بملكوت الله...

بدأ يسوع في الجليل كرازته بهذا النداء: إقترب ملكوت الله! فلقد كان لهذا النداء ولا شك صدى في نفوس يهود أتقياء ما انفكّوا ينتظرون بشوق ورجاء ملك الله، في غمرة معاناتهم، بسبب المظالم التي تنالهم من جرى الاستعمار الروماني على فلسطين.. وقد زادتها ألماً المضايقات والتعديات التي يقترفها الاغنياء من شعبهم بحق الفقراء والمساكين...

انهم ولا شك يستشفّون في هذا النداء صدى الاقوال النبوية التي تبشر بأزمنة مشيحانية يقيم فيها الله ملكه على "البقية" الامينة من الشعب، مُلْكاً يتسم بالسلام والحق والعدل والحرية والاخوّة والمساواة... لنفكر فقط في كلمات أشعيا النبي الذي يتحدث عن السلام المشيحي، حين تتحول الرماح الى مناجل ولا تعود أمّة ترفع سيفاً على أمّة أخرى (٢: ٤)، او كلمات تلميذ له من زمن ما بعد الجلاء

الرصين الى نسبة هذا القول او ذاك الى يسوع، لا يعني مطلقاً انتفاء أصالة سائر الاقوال.. فالتأكيد على بعض الامور لا يعني البتة انكار غيرها! (راجع الدليل/ص٢٣؛ من الاناجيل/ص ٩٩).

[٧] في الفصل الاول من كتاب "من الاناجيل إلى الانجيل" (ص٩-١٩) وتحت عنوان (يسوع ينادي بالانجيل) رسم الاب شربتييه لوحة ليسوع الناصري نستلهم هنا بعض عناصرها.

يطلق عليه إسم "أشعيا الثالث"[٨] عن المشيح الذي يستقر عليه روح الرب، فيبشر المساكين ويجبر منكسري القلوب (٦١: ١)...

وهوذا يسوع ينادي ويقول: طوبى لكم أيها المساكين..! وما أطيب وأعمق الأثر الذي تتركه هذه التطويبة في نفوس "مساكين الله" الذين طالما انتظروا مجيء ملكه لينصفهم من مضطهديهم وظالميهم، وطالما ارتفع صراخهم نحو "يهوه" اله اسرائيل الذي هو وحده قادر ان يخلصهم من يد من يخضعونهم لأشكال الظلم والاستلاب والاستغلال... ولا شك ان الكثير من هؤلاء المساكين والمظلومين والمضطَهدين والمحتَقَرين -وبينهم مرضى وخطأة كثيرون- لازموا يسوع الناصري وراحوا يمنّون النفس بأزمنة الانفراج والتحرير.. وأخذوا يجدون في نداءاته وتعاليمه ما يسمح لهم ان يروا فيه "مبشِّراً" بالخلاص، ويتمنّون في سرّهم ان يتحقق ملك الله على يده، كما أعلنه أشعيا الثاني: "ما أجمل على الجبال قدَمَي المبشِّر، المخبِر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون: قد ملك الهك" (٥٢: ٧؛ انظر مز ٩٦: ١٠).

ولَكَم بدا ملكوت الله هذا قريباً حين اخذ يسوع يجترح معجزات هي بالاحرى علامات لمجيء هذا الملكوت: تحرير الاسرى، زوال الامراض والعاهات، نهاية الآلام والموت...ألم يقل اشعيا النبي: "هوذا الهكم.. يأتي فيخلصكم: حينئذ تنفتح عيون العميان، وآذان الصم تتفتح، وحينئذ يقفز الاعرج كالأيّل، ويهتف لسان الابكم..." (٣٥: ٤- ٢٦ /قارن مع لوقا٧: ٢٢)؟ فلقد رأى اهل زمانه في المعجزات التي كان يصنعها -ويسوع لم يشف ولاشك كل العميان والخرس والصم..!- علامات خلاص وتحرير، اضيفت الى النداءات التي كان يطلقها بشأن مجيء ملكوت الله، فاصبحت دليلاً، بالقول والفعل، على اقتراب حلول هذا الملكوت. ولعلّ احدى ابرز العلامات لمجيء هذا الملكوت قد تمحورت في المواقف التي اتخذها تجاه الخطأة، في محاولة لتحريرهم من اكثر اشكال العبودية عنفاً، ألا وهو الشر، شر الخطيئة -أليس في هذا الاطار تمت "الشفاءات" من الروح النجس والتي قام بها يسوع تحت راية "اخراج الشياطين"؟!

وفي كرازته استخدم يسوع اسلوب "المثل"، على غرار الكتبة والمعلّمين، لما فيه من امثولة ذات تأثير فاعل تشعر السامع انه معني في شخصه. وهكذا كلّمتنا امثال يسوع، عن ملكوت الله وخصوصاً عن كون هذا الملكوت قريبا منا، لا بل هو في ما بيننا! ولاسيما حين ألحّ على كون الخطأة والعشارين والزواني وكل الوضعاء.. اكثر

---

[٨] سفر أشعيا هو في رأي علماء التفسير ثلاثة أقسام : القسم الاول (١-٣٩) للنبي أشعيا من القرن ٨، والقسم الثاني (٤٠-٥٥) لتلميذ من زمن الجلاء أُطلق عليه إسم أشعيا الثاني، والقسم الثالث (٥٦-٦٦) لتلميذ من زمن ما بعد الجلاء أُطلق عليه إسم أشعيا الثالث - وسنعتمد هذه التسميات.

استعداداً لقبول خلاص الله، من اولئك الابرار والصدّيقين الذين يعتدّون ببرّهم إلى حدّ انهم يحتقرون الآخرين... ولقد استخدم يسوع امثالاً تفضح رياء المتكبرين المعتدّين ببرهم، وتشيد بالخطأة الذين يعترفون ببؤسهم وينتظرون الرحمة والغفران من الله وحده..! ففي امثاله كشف يسوع عن وجه اله كلّه حب وحنان ورحمة.. لايريد موت الخاطىء، بل ان يقبل الجميع إلى التوبة.. اله تذهب به محبته إلى المبادرة لملاقاة الخاطيء ونسيان خطيئته والفرح الكبير بعودته -وقد حدث، مراراً، ان جسّد يسوع في مواقفه محبة الله هذه-، ولابد أن مستمعيه من الكتبة والفريسيين لم يكونوا على اتفاق معه في نظرته الى الله، وفي الرؤيا التي عكسها عن محبته ورحمته.. فكان لا بد ان تثير مواقفه غضب الرؤساء الدينيين، ولا سيما حين كان يسوع، في الكثير من أمثاله، يذهب بعيداً في التشبيه والتلميح...

ويبدو يسوع الناصري فوق كل شيء ذاك "المعلم" المتميّز بين سائر المعلّمين، كونه "يعمل ويعلّم"، ويتكلم كمن له سلطان، ويعمل بثقة من له صلة وثيقة بالله! إنه ذاك الانسان الحر الذي، مع احترامه للشريعة، لا تحدده تقاليد او تستعبده وصايا مهما كانت نبيلة، ازاء مقتضيات المحبة التي هي في نظره فوق كل شيء: فهو لا يخشى مخالطة الخطأة والعشارين، لا بل يجالسهم ويأكل على موائدهم! ولا يتردد في صنع الخير يوم السبت، ولا يرى حرجاً في تجاوز وصية السبت لدى الضرورة، لأن السبت جعل للانسان وليس العكس... ومنبع هذه الحرية التي تمتع بها يسوع كامن في صلته الحميمة بالله والتي تتجلى في كل مواقفه: انها صلة تمكنه من مناداة الله بعبارة "آبا" (بابا)، وتنعكس في الساعات الطويلة التي يقضيها في الصلاة، والتي تمتد احياناً على مدى الليل!

وكان لهذا المعلّم تلاميذ لبوا النداء الى اتباعه دون ان يدركوا جيداً الى اين يذهب بهم، وفي اية مغامرة يزجّهم! إلا انهم احبّوه لما توسّموا فيه من صفات تؤهله لأن يوطد ملكوت الله الذي سيكون لهم فيه مكانتهم المرموقة! ولطالما ادهشتهم مواقفه وشكّكتهم تعاليمه وخدشت مسامعهم..! ولَكَم فكروا في منتصف الطريق ان يتركوه ويتخلوا عنه، سيما حين كانت هناك مواقف لم ترق لهم، او تعاليم كانت تفوق طاقتهم على التحمّل، او ايماءات عن مصيره لم يكن بوسعهم ان يستوعبوا فحواها.. وحين راحوا يتوسمون فيه ملامح "المشيح"، هوذا يكشف لهم انه "مشيح متألم"! وذلك في نظرهم تناقض لا يحتمل..! ومع ذلك بذلوا جهداً في الاستمرار معه ليروا عن ماذا ستسفر النهاية؟!

وكان ليسوع، إلى جانب التلاميذ، جمهور من المؤيدين والمتحمسين لما كان يقوله بشأن ملكوت الله، مما يؤجج لديهم الحمية وتوقّع المجيء القريب لملك الله! وما كان يزيد في محبة الجماهير له وتعلقها به، هو عطفه على الهامشيين، وحنانه على ذوي الاسقام، ودفاعه عن المقهورين والمظلومين، والثقة التي كان يمنحها للخطأة.. حتى اخذت ترى فيه "المشيح" المنتظر، ودغدغتها الاحلام باقامته ملكاً! ولا شك ان يسوع خيّب آمالها، سيما حين رأى ان انتظاراتها قومية يلفّها الغموض والالتباس.. ومنذئذ اخذت الجماهير تتخلى عنه تدريجياً!

وكانت هناك ولا شك فئة ثالثة تراقب وتدين وتحوك المؤامرة! انها فئة الرؤساء الدينيين، من كهنة وشيوخ وكتبة وفريسيين وصدّوقيين وهيرودسيين الذين لم ترق لهم تعاليم يسوع وامثاله، وبالاخص حريته تجاه الشريعة والسبت، ومواقفه المثيرة للجدل ولاسيما في تعامله مع الخطأة الذين بلغ به حبه لهم إلى "غفران خطاياهم"..! وبالتالي لم يتحملوا استقطاب يسوع للجماهير التي كانت تسمع اليه بلذة، حتى وإن كانت لها دوافع مختلفة في مناصرته! فكل هذا المضمون "الثوري" الذي تضمنته بشراه -وقد تراكمت المآخذ عليه- كان لا بد ان يفضي إلى قرار السلطات الدينية بتصفيته وتبديد ادعاءاته إلى غير رجعة، سيما وان بعضها كان يوحي بالتمرد على السلطة السياسية.. فكان من اليسير أن يستحصل رؤساء اليهود من الحاكم قرار الحكم على يسوع: أن يموت واحد ولا تهلك الامة كلها!

كان يسوع يتوقع ولاشك ان تثير اقواله ومواقفه حنق رؤساء شعبه، وكانت تحدّياته في بعض المواقف المثيرة سبباً اضافياً يوصله الى هذه النهاية الشنيعة، والتي ما أن بدت خيوطها ترتسم امام مجلس اليهود -وبعد ان زال خطر التوهّم بشأن المشيحية القومية- هوذا يسوع يعلن انه "ابن الانسان الآتي على غمام السماء"! وسيكون هذا التصريح، بما له من مدلول في مفهوم اليهود، كافيا لانتفاء الحاجة إلى شهود، وصولاً إلى القرار بانه يستوجب الموت...

هكذا تبدو حياة يسوع الناصري امام التاريخ (**أنظر الاطار١٨: وثائق تاريخية عن يسوع**)، وقد بدا موته على الصليب نهاية حلم دغدغ الجماهير فترة، وابتسم لتلاميذه طيلة اكثر من عامين فأسفر عن خيبة أمل مريرة! انهم جميعاً، تلاميذ وجماهير ومسؤولين دينيين، أمام مصلوب! والله تاب يقول (تث٢١: ٢٣): ملعون من علق على خشبة!

وثائق تاريخية عن يسوع

لا عجب اذا كانت الوثائق غير المسيحية عن يسوع التاريخي قليلة وشاحبة! فحدث صلبه لم يكن سوى أحد تلك الاحكام الصادرة بحق من يُعتبرون من مثيري الشغب ومعكّري سلام الامبراطورية الرومانية! فان حدث موت يسوع لم يتخذ اهميته في نظر التاريخ إلا حين نشأت في اعقابه " حركة" ايمان كبرى جاهر اعضاؤها بايمانهم العميق بالمسيح الحي!- وغني عن القول ان قيامة يسوع حقيقة ايمانية اصبحت "تاريخية" في نتائجها المدهشة بفضل المعاني العميقة التي ادركها التلاميذ الاوائل، بوحي من الروح، وتفاعلوا معها في جو من الايمان (راجع الاطار بشأن "الحدث التاريخي"/ الفصل الاول).

ومع ذلك تركت لنا بعض الوثائق انطباعات عن يسوع وعن المسيحيين -ليست دوماً في صالحهم!- إلا أن فضلها يكمن في انها سجّلت ما رشح من ايمان المسيحيين بيسوع الحي:

- تحدّث المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس مؤلف "الحرب اليهودية"و"العاديات اليهودية" عن يسوع، وعلى ثلاث دفعات، جاء في إحداها : "كان هناك انسان حكيم اسمه يسوع.. واصبح الكثير من اليهود ومن الامم الاخرى تلاميذ له. وحكم عليه بيلاطس بالصلب والموت، ولكن الذين اصبحوا تلاميذه نشروا تعليمه ورووا انه ظهر لهم ثلاثة ايام بعد صلبه وانه حيّ. قد يكون هو المسيح الذي سبق للانبياء ان قالوا فيه الخوارق "! (ورد هذا النص في "التاريخ الشامل" لاغابيوس مطران هيرابوليس في مخطوطة من القرن ١٠، وقد استقاه من "العصور اليهودية القديمة" ليوسيفوس).
- وردت في كتابات المؤرخ المسيحي اوريجانس (+٢٥٤) عبارة للفيلسوف الروماني قلسيوس (حوالي العام ١٠٠) يتهم فيها المسيحيين : " تضعون في منزلة الاله شخصا أنهى حياته بموت بائس "!
- في الرسالة العاشرة التي كتبها بلينس الاصغر، الحاكم الروماني على اقليم بيثينية في اسيا الصغرى، في حوالي عام ١١٠، الى صديقه الامبراطور ترايانس، تحدث فيها عن المسيحيين الذين هجروا المعابد الوثنية -وهم في ازدياد- وكيف انه يعاقبهم حين تبلغه معلومات عنهم، وهم يدافعون عن انفسهم بالاعتراف " ان خطأهم يقتصر على الاجتماع عادة في يوم معيّن، قبل طلوع الشمس، لانشاد نشيد للمسيح بصفته الها، يتناوبون فيه". ويصدي بلينس لبعض ميزات المسيحيين كامتناعهم عن "السرقة وقطع الطرق والزنى..."، مخلصاً إلى القول بانه لم يجد في هذه الظاهرة "سوى خرافة سخيفة"!
- وصف تاقيطس المؤرخ الروماني في " الحوليات " (في حدود عام ١١٥) الحريق الذي اضرمه نيرون ذاته في روما عام ٦٤، وكيف أنه، قطعا لدابر الاشاعات، بحث عن مذنبين، وأنزل اقسى العذابات بحق المسيحيين الذين كتب فيهم: "... ويشتق اسمهم من (المسيح) الذي كان قد حكم عليه بالموت في عهد طيباريوس على يد الحاكم بنطيوس بيلاطس. وبعد ان قُمِعَت هذه الخرافة الكريهة، عادت فانتشرت، لا في اليهودية حيث نشأت حسب، بل في روما ايضاً (...) وبوشر بالقاء القبض على الذين جاهروا انهم مسيحيون..."
- كتب المؤرخ سويتونيوس في حوالي العام ١٢٠ في كتابه عن (حياة قلوديوس) ان هذا الامبراطور "طرد من روما اليهود الذين، بدافع من كريستوس، لا يكفون عن اثارة الاضطرابات ". كما كتب في (حياة نيرون) انه "صنع شرا كبيرا، ولكنه صنع ايضاً خيراً أكبر حين حكم بالموت على المسيحيين الذين انصرفوا إلى خرافة جديدة ومضرّة "!

(راجع الدليل/ص ٢٣٢ و "من الاناجيل"/ ص ٩٤-٩٥)

٢- المرحلة الشفهية للاناجيل

(أو: الانجيل في حياة الجماعات المسيحية)

لن نغالي إذا قلنا بان الايمان بيسوع، في حياة الرسل والمسيحيين الاولين، كما في حياة الجماعات المسيحية الناشئة، لم يكن وليد اقوال فاه بها يسوع او معجزات صنعها ابان حياته على الارض، وانما هو حصيلة خبرة طويلة بيسوع الحي القائم من بين الاموات والممجّد، في ضوء الاسفار المقدسة.. وبخلافه سنجدنا امام لغز يعسر علينا فهمه! فنبقى نتساءل: كيف لم يؤمن اليهود ان يسوع هو المسيح ابن الله، وقد كان الملاك قد بشّر الرعاة انه "المسيح الرب"؟ فيما جاء صوت من السماء وقت عماذه قائلاً: هذا هو ابني الحبيب؟!! وكيف امكن الكهنة والكتبة ان يترددوا بشأن هوية يسوع، في الوقت الذي كانت كل النبوات تشير اليه، وكان هو يتمّها..؟! كما نبقى نتساءل حول قلة ايمان التلاميذ وترددهم: ما معنى سوء الفهم لدى التلاميذ، في حين لم ينِ يسوع يفسّر لهم كل شيء ويكشف لهم انه المسيح.. ابن الله.. مُرسل الآب ووحيده..؟ وكيف أمكنهم أن يشكّوا، بعد ان اعلن زعيمهم بطرس ايمانه، باسمهم جميعاً: "انت المسيح ابن الله الحي"؟ كيف لم يفهموا انباءات يسوع المتكررة عن كونه سيتألم ويُرذَل ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث؟ ومن عين المنطلق نتساءَل: ما معنى خيانة يهوذا ونكران بطرس وهرب التلاميذ ابان الآلام؟ وما معنى دهشتهم لدى قيامة الرب وارتيابهم وعدم ايمانهم؟ وكيف امكن للمجدلية وتلميذي عماوس والرسل الأحد عشر ان يروا القائم دون ان يعرفوه..؟!

ويمكننا ان نطيل قائمة هذه التساؤلات التي قد تبدو معقولة إذا اعتبرنا الاناجيل تقارير مباشرة عن الاحداث! بينما تصبح في الواقع تساؤلات نافلة، لا مكان لها، حين نعلم ان الاناجيل تعكس احداثا واقوالاً ومواقف، استنارت بنور القيامة فاتخذت من ثمّ ابعاداً ومعاني جديدة لم تكن قد اتخذتها من قبل...

فكل شيء إذن بدأ بالقيامة! وقد كانت للرسل والتلاميذ الاولين بمثابة مصادقة الله على حياة يسوع برمتها، بما في ذلك موته على الصليب، بعد ان كانت قد بدت لهم، باديء بدء، وكأن الله شجبها (!) طالما انه تخلى عنه وأسلمه لحكم الموت، وأي موت! **وقيامة يسوع لم تصبح يقيناً في ايمان الرسل والمؤمنين الاولين إلا بفعل وحي من الله يكمن في هذه الحقيقة: ان يسوع حيّ، وان الله أقامه من بين الاموات، وانه أُدخِلَ بقوة الروح القدس في حياة الله ذاتها**... وسنرى ادناه كيف سيعبرون عن هذه الخبرة الايمانية بقيامة يسوع، بعد ان يكون الروح القدس قد وهبهم فهماً

لإدراكها في ضوء الكتب المقدسة، واقامهم "شهوداً" لها... وسيكون جوهر هذه الشهادة/ البشرى في كون ملك الله قد حلّ في شخص يسوع...

أما متى وكيف اخذ التلاميذ ينادون بايمانهم بيسوع الناهض، ويكرمونه في اجتماعاتهم واحتفالاتهم، ويلقون على المؤمنين الجدد تعليماً هو اشبه باجابات على تساؤلاتهم الكثيرة.. فلا ينبغي ان يخيّل إلينا ان كل ذلك قد جرى في الصباح الباكر من يوم القيامة او غداة العنصرة، كما قد توحي إلينا، لاول وهلة، قراءة سطحية لسفر اعمال الرسل! فلا ينبغي ان ننسى او نتناسى ان لوقا كتب الجزء الثاني من مؤلّفه الواحد، في السنوات ما بين ٨٠-٩٠، أي بعد ان نشأت وتكوّنت وترسخت جماعات مسيحية نشطة -وكان لبولس الرسول دور كبير في انشائها-، بحيث اننا نستطيع القول بان سفر "اعمال الرسل" هو اشبه بخلاصة موجزة لما كانت تعيشه الجماعات المسيحية في اورشليم وكل اليهودية والسامرة والجليل، كما في انطاكيا ومدن آسيا الصغرى... فلقد كان نتاجاً منها ولها،أو بالاحرى كان وعظاً وتعليما لما يجب ان تكون عليه الجماعات المؤمنة في الثمانينات او التسعينات وهي في مواجهة دائمة مع اعداء ملكوت الله من اليهود والوثنيين.. ومع ذلك سيبقى سفر الاعمال" وثيقة " ثمينة في يدنا كونه يعكس كيف كانت الجماعات المسيحية تنادي يسوع وتكرمه وتحتفل به في الليتورجيا وتواصل تعاليمه في اجتماعاتها ونشاطاتها الرسولية...

"... الذي وُلد من نسل داود بحسب الطبيعة البشرية، وجُعل ابن الله في القدرة.. بقيامته من بين الاموات" (روم١: ٣-٤)- ايقونة بيزنطية من القرن ١١ (اوهريد: مقدونيا).

تلك هي الانشطة الرئيسة الثلاثة التي مارستها الجماعة المسيحية عبر بيئات حياتية ثلاث، ظهرت من خلالها صورة لا بل صور ليسوع الحيّ الناهض من بين الاموات والفاعل في جماعة المؤمنين. وسنتناول بالتفصيل هذه البيئات: (١) البيئة الحياتية الاعلانية [الكرازة]، (٢) البيئة الحياتية الليتورجية [التكريم والعبادة]، (٣) البيئة الحياتية التعليمية [الوعظ والتعليم المسيحي].

إلا اننا قبل أن نتوسع في كل من هذه البيئات الثلاث، يجدر بنا ان نؤكد على مصدرين كانا، للرسل والمسيحيين الاولين، بمثابة النور الذي يضيء حياة يسوع وينير بالتالي عقولهم وقلوبهم لفهمها وتفسيرها، في ضوء ذكرياتهم وخبراتهم السابقة التي القى عليها الروح القدس اضاءات كبرى. وهذان المصدران هما: الحدث الفصحي والاسفار المقدسة. ولايضاح ما نقول يكفي ان نفكر برهة في هذا السؤال : هل اكتفى الرسل والمبشرون الاولون باعلان الايمان بقيامة يسوع، ام كان يتوجب عليهم أن يدعموا هذا الاعلان بما توفر لديهم من خبرات وذكريات واقوال وشهادات كتابية...؟

- **الحدث الفصحي:** سبق ان قلنا أن يسوع لم يترك شيئا مكتوباً عن ذاته.. فكان الرسل والمؤمنون الاولون وجهاً لوجه مع شخص يسوع الناصري المصلوب الذي أوحي إليهم ان الله اقامه من بين الاموات: بشرى راحوا يحملونها ويشهدون لها.. وسرعان ما شعروا انهم بحاجة الى ان يدخلوا في تفاصيلها. واخذت تستيقظ في ذاكرتهم اقوال وتلميحات ليسوع راحوا يفسّرونها في ضوء ايمانهم بقيامته -وقد رأوا فيها تأييد الله الكامل لكل ما قام به يسوع-، وسرعان ما اكتسبت هذه الذكريات اهمية كبرى على مر السنين.. ذلك لأن الحدث الفصحي كشف للتلاميذ عن هوية يسوع ورسالته الالهية، لذا راحوا يقرأون كل شيء عنه في ضوء السر الفصحي.
- **الاسفار المقدسة:** ان ايمان التلاميذ الاولين بقيامة يسوع لم يحملهم قط على التنكر لايمانهم اليهودي، وانما بالعكس، فلقد بقوا يهوداً مؤمنين، وما فتئوا يبحثون في الكتب عن معنى لحياتهم، ينعشهم الأمل بمجيء ملك الله..! وما ان ادركوا ان ملك الله قد جاء في شخص يسوع الذي كانت قيامته بمثابة تأييد الله المطلق لحياته، أخذوا يعيدون قراءة الاسفار المقدسة في ضوئها، كما أخذوا يفسرون حياة يسوع ورسالته وموته وقيامته في ضوء الاسفار... وما ان "تمكنوا من تشخيص المسيح في يسوع المنبعث، توضحت لهم الاسفار المقدسة ويسّرت لهم في الوقت ذاته فهم يسوع"[٩].. من هنا نشأت، مع الأيام، قناعة عميقة لدى المسيحيين الاولين بأن كل ما قاله يسوع وعمله.. قد سبق الكتاب فأنبأ به! **(انظر الاطار ١٩: "يجب ان...")**.

وتتركّز دراستنا الآن حول البيئات الحياتية الثلاث التي صُبّت فيها ذكريات التلاميذ عن يسوع، وفيها تمحور ايمانهم به وتأصّلت شهادتهم له[١٠]:

---

[٩] من الاناجيل/ ص ٢٢.

[١٠] في ما يلي نستلهم الطروحات التي وردت في العدد ١٨ من سلسلة دراسات في الكتاب المقدس :"تكوين الاناجيل" للأب فاضل سيداروس اليسوعي / دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠ (ص ٢٤-٣٠).

أ- البيئة الاعلانية (الكرازة)

كان على الرسل أن يعلنوا سر الرب يسوع بعد أن تلقوا وحياً بقيامته. ولم يكن بوسعهم ان يبلغوا إليه بقواهم، وهم الذين لم يكونوا يفهمون ماذا تعني القيامة حين كان يسوع ينبىء بها، ولمرات عديدة، كما جاء في انجيل مرقس (٨: ٣٢؛ ٩: ٣١؛ ١٠: ٣٢ وما يقابله). وشعر الرسل ان اعلان هذا الايمان على مسمع من الناس، بدءً باليهود، كان ضرورة ملحة، ولم يكن لهم فيه من خيار! ولقد احسّوا بمسؤوليتهم في مقاسمة هذه البشرى، بدءً باليهود الاتقياء المنتظرين ملك الله وخلاصه، والذين كانت تلك البشرى محط آمالهم وانتظاراتهم وصلاتهم ليل نهار..! ألم يسبق سفر اشعيا أن نادى بهذه البشرى: "هوذا الهكم... يأتي ليخلصكم" (٣٥: ٤؛ ٤٠: ٩؛ ٤١: ٢٧؛ ٥٢: ٦؛ ٦١: ١...)؟

هذه البشرى بقيامة يسوع اخذ الرسل ينادون بها.. وكانت مناداتهم اشبه بموعظة او "كرازة" -وتعني باليونانية صراخ المنادي- تضمنت، باديء ذي بدء، جملاً

اطار ١٩

" يجب ان..."

قد تُشعرك بعض النصوص بأن يسوع ليس حراً، وبأن حياته قد دُونت مسبقاً في الكتب المقدسة، فلم يبق له سوى أن يحققها: يجب على ابن الانسان ان يُسلم... كان لا بدّ ان تتمّ الكتب..." (لو ٢٤: ٧؛ رسل ١: ١٦). والحال أننا لسنا امام واجب، بل امام تفسير بفضل الكتب المقدسة.

هذا شخص يقول: " كان وقوع ذلك محتّماً "إنه لا يريد ان يقول: " كان وقوع هذا مكتوباً، فلا فائدة في عمل أي شيء"، بل بالاحرى : " ان ما وقع كان منطقياً بالنسبة الى ما سبق من مواقف واعمال". يريد هذا الشخص ان يفهم معنى ما حدث، فيفسّره بالعودة الى الماضي، فقد اصبح الآن -والآن فقط- واضحاً أن ما حدث كان محتّماً بالنسبة الى الماضي.

كان المسيحيون يريدون ان يفهموا كيف ان الذين يعترفون به الآن مسيحاً وابن الله، رفضه شعبه وحكم عليه اخيراً بالموت! فوضعوا موته -في سبيل الله وسبيل الفقراء- في منطق حياته ومواقفه المعادية للسلطات القائمة، واعترفوا بأن ما في رسالة هذا المشيح من اختلاف عمّا كان متوقّعاً، من شأنه ان يجلب عليه ما حدث. ولكنهم رجعوا في الزمن الى الكتب المقدسة ليحدّدوا وضع هذه الحياة وهذا الموت من منطق الموقف الالهي (...).

من المحتمل ان يكون التلاميذ قد واصلوا التفسير الذي بداه يسوع معهم. فالانسان غالباً ما يفسّر الحدث قبل وقوعه. مثلاً: ناضل مارتن لوثر كينغ في سبيل المساواة بين جميع الناس، ولا شك أنه شعر ذات يوم بأنه، ان واصل نضاله، تعرّض للموت. واصله إخلاصاً لرسالته، ولكنه اضطُرّ ان يواجه احتمال موته ويعطيه معنى.

من الارجح أن يسوع كان يظنّ، في بدء خدمته الرسولية، أن في امكانه ان يقوم برسالته قياماً موفّقاً، وان اليهود سيلبّون دعوته. ولكنه اعترف يوماً بواقع الحال، اعترف بأنه يزعج عدداً كبيرا من الناس وبأن الخاتمة ستكون سيّئة. ان يسوع لا يريد الموت (وقد هرب للافلات منه: يو ١١ : ٥٤)... ومع ذلك فكان عليه ان يجابهه، إخلاصاً

لرسالته، وان يسبق فيعطيه معنى. وسيجد هذا المعنى في تأمله في الكتب المقدسة: سيصعد إلى اورشليم بصفته ذلك العبد الذي تكلّم عليه أشعيا وحدّد وضع موته من موت الانبياء (مثل الكرّامين القتلة).

الكتب المقدسة ام يسوع؟

كان المسيحيون الاولون يواظبون على قراءة الكتب المقدسة. كما كان اليهود يواظبون عليها، ليبحثوا فيها عن معنى كيانهم. كانت اساليب تفسيرهم واحدة، ومع ذلك فكل شيء مختلف بينهم.

ان اليهودي، يعطي الأولوية للكتاب المقدس. يخدمه ويجعله حاضراً ليجد الطريقة العملية لممارسته. امّا نظرة المسيحيين فهي أن يسوع، بعد ان قام من بين الاموات، أصبح محور كل شيء ومفتاح كل شيء. فلكي يدرك المسيحيون معنى سرّه ورسالته، فهم يحدّدون وضعه من الكتب المقدسة، جاعلين ايّاها في خدمة المسيح. قال بولس: "حياتي هي المسيح..."

نرى هنا الخطأ الذي وقعت فيه احدى نظريات الدفاع عن الدين المسيحي، باستنادها الى "برهان النبوّات"! يقول انصار هذه النظرية : " ان يسوع حقّق النبوّات، ففي هذا اثبات لألوهيته". انهم ينطلقون من الكتب المقدسة ليصلوا الى يسوع. امّا التلاميذ الأولون، فقد انطلقوا من يسوع وعادوا في الزمن الى الكتب المقدسة. اليك مثلاً : جاء في انجيل متى(٢٦: ١٥) ان يهوذا قبض ثلاثين من الفضة. فهذا الحدث حقّق اذاً " النبوّة " الواردة في زك ١١: ١٢. اكتفى مرقس ولوقا بالقول انهم اتّفقوا ان يدفعوا له مالاً. امّا متى فقد حاول ان يفهم، فشعر بأن الشعب قد رذل يسوع كما رذل الله نفسه. وهو، في توضيحه للنص، بالاستشهاد بزكريا، اراد ان يأتي، لا بمعلومات تاريخية (لا يُعرف أي مبلغ قبضه يهوذا)، بل بتعليم لاهوتي: أي ان يسوع هو الله نفسه الذي رُذل من قبل شعبه!

وبذلك يكون التلاميذ قد فتحوا لنا الطريق: فلكي نعطي اليوم أيضاً معنى لحياتنا في خدمة المسيح، لا بدّ لنا ان نحدد وضعها من الكتب المقدسة.

أ. شربنتييه

(الدليل /ص ٢٢٨)

قصيرة ومكثفة للتعبيرعن فحواها.. كالعبارات التي صاغها لوقا ووضعها على لسان بطرس، في الخطاب المحكم الذي القاه يوم العنصرة والذي نوجزه بالشكل التالي: ان يسوع الناصري، الانسان الذي ايده الله.. فقتلتموه.. قد اقامه الله.. ونحن شهود.. وقد رفعه بيمينه.. وجعله رباً ومسيحاً.. ونال من الاب الروح القدس الموعود به فأفاضه عليكم.. فتوبوا وآمنوا... وليعتمذ كل منكم باسم يسوع المسيح.. فتخلصوا (رسل ٢: ١٤- ٤١؛ ٣: ١٢- ٣٦).

واننا نجد آثار هذه الكرازة منثورة في صفحات سفر اعمال الرسل عبر الخطب الكثيرة التي جاءت على لسان بطرس او اسطفانس او بولس.. كما في طيات الاناجيل التي تعلن بشرى يسوع عبر العديد من اقواله واعماله وامثاله ومواقفه. وغني عن القول ان البشرى بيسوع لم تقتصر على اعلان حدث القيامة الاساس حسب، وانما كشفت عن الابعاد التي حملتها وتحملها هذه القيامة: فأن يكون الله قد اقام يسوع من بين الاموات، فذلك دليل على ان الله منح رسالة يسوع تأييده المطلق، مما أضفى على اقواله ومعجزاته وامثاله.. مصداقية كبرى.

فمن هنا كان **للتطويبات** التي اعلنها يسوع صدى عميق في كرازة الرسل والمسيحيين الاولين. ألم تكن تلك التطويبات تعلن بان الله جاء ليقيم ملكوته بين الناس، وان ملكوت الله هذا قد اتى بيسوع؟ فالفقراء لن يعودوا فقراء بعد اليوم.. لان ملكوت الله هو ملكوت بر وعدل ووداعة ورحمة ومحبة وسلام... وسيرجّع لوقا صدى التطويبات بأقرب ما يكون الى فكر يسوع، حين يعلنها، وبصيغة المخاطب، للمساكين والجياع والباكين والمضطهدين، وينتزعها من الاغنياء والمشبعين والضاحكين..!

ومن هنا ايضاً كانت **المعجزات** التي اتخذت ولاشك حيزاً مهما في الكرازة، بمثابة تجسيد لمجيء ملكوت الله وعلامة له.. ذلك لأنها تعلن غلبة يسوع على الشر والعذاب وكل اشكال الألم وشتّى الامراض وحتى الموت..! وكان لابد لهذه الغلبة ان تثير السؤال في قلوب السامعين: من ترى هذا الرجل؟

ومن عين المنطلق كان الرسل يروون **امثال** يسوع ويحمّلونها احيانا معاني جديدة، فيوظفونها في خدمة البشرى بصفتها تعبيراً قصصياً عن الخلاص الذي اتى به يسوع، وعن السعادة التي وعد بها اولئك الذين يتبعونه ويتتلمذون له.

ولا شك ان الكرازة تضمنت أيضاً خلاصة **للمناظرات** والمجادلات التي كانت تدور بين يسوع وخصومه.. وكان لابد لها ان تتخذ، على لسان المبشرين الاوائل، شكل جدال، وتستخدم في اسلوب طرحها، وسائل دفاعية من شأنها ان تسكت المناهضين وتردّ على تهجماتهم وتفنّد براهينهم...

وهكذا يتضح ان بوسعنا ان نتبين ملامح البشرى في المحيط الحياتي اليهودي والوثني عبر قراءة دقيقة في سفر اعمال الرسل، كما ان بوسعنا ايضاً ان نجد صدى الاعلان عن هذه البشرى في الاناجيل الاربعة ذاتها، ولاسيما من خلال سرد المعجزات من جهة، ومن خلال المناظرات من جهة اخرى:

● **المعجزات**: ما ان تجاوزنا القراءة السطحية لرواية معجزة ما، لدى أي من الانجيليين، نكتشف بيسر ان الهدف من روايتها ليس رفع شأن يسوع أو التركيز على قوته الخارقة او افحام المقابل، وانما اعلان مسيحانية يسوع والدعوة إلى الايمان به. انها ترجّع صدى الكرازة الرسولية التي استخدمت المعجزات للتأكيد على انها علامات بمجيء ملكوت الله الذي حلّ بيسوع..! هذه المعجزات جسّدت وتجسّد حب الله وحنانه ورحمته، لجميع الذي انتظروا وما زالوا ينتظرون خلاصه... ولَكَم عكس الانجيليون في رواياتهم للمعجزات موقف الايمان الذي يطالب به يسوع قبل ان يصنع المعجزة (انظر معجزة احياء ابنة يائيرس: مر ٥: ٢٢ ت)! ولَكَم ارتبط اجتراح المعجزة بغفران الخطايا وبالتحرير الكامل الذي ينجزه يسوع في كيان الانسان (أنظر شفاء مقعد كفرناحوم: مر ٢: ١ت)! ولَكَم لمّحَت رواياتهم للمعجزات الى الخلاص الذي ينجزه يسوع،

بصفته "مرسلاً" من الله ليحل ملكه بين البشر.. كما جاء على لسان يسوع: "إذا كنت بإصبع الله اخرج الشياطين فلقد اقترب منكم ملكوت الله" (لو ١١: ٢٠)! أليس بهذا الروح اختص يسوع كلمات أشعيا التي قرأها في مجمع الناصرة : "روح الرب عليّ لانه مسحني لابشر الفقراء وأرسلني لأعلن للمأسورين تخلية سبيلهم وللعميان عودة البصر اليهم، وافرّج عن المظلومين وأعلن سنة رضا عند الرب" (لو ٤: ١٨- ١٩ = أش٦١ : ١- ٢)؟ أوَليس بهذا الروح عينه اجاب يسوع إلى سؤال موفدَي يوحنا المعمذان: " اذهبا فأخبرا يوحنا بما سمعتما ورأيتما: العميان يبصرون، العرج يمشون مشيا سويا، البرص يُبرأون والصم يسمعون، الموتى يقومون، الفقراء يُبَشَّرون.. وطوبى لمن لا أكون له حجر عثرة " (لو٧: ٢٢-٢٣= أش ٣٥: ٥-٦).

● **المناظرات:** في قراءتنا للاناجيل، تلفت انتباهنا ولاشك مناقشات ومجادلات كانت قد جعلت يسوع وخصومه، وجها لوجه، حول قضايا كثيرة تتعلق بالشريعة وسبل تفسيرها وكيفية تطبيقها. ومثل هذه المناظرات التي دارت بين يسوع واليهود -وانجيل يوحنا، بنوع خاص، مليىء بها- تعكس ولا شك المناقشات والصدامات التي تعرض لها ايضا المسيحيون الاولون في علاقتهم باليهود من جهة، وبالوثنيين من جهة اخرى، والتي كانت لهم بمثابة الفرصة لاعلان البشرى، ببراهين وأدلة تدحض الاتهامات التي توجّه إليهم وتزيل التشكيكات التي كانت تثار حول يسوع وهويته ورسالته، ولاسيما حول موته وقيامته..! فلا عجب إذا عثرنا علىعبارة جاءت على لسان يسوع حددت موقفه من فريسيي زمانه، وهي في الوقت ذاته عكست موقف المسيحيين الذين كان عليهم ان يواجهوا فريسيي السنوات ٨٠-٩٠! أليس في هذا الاطار نفهم التطويبة الاخيرة في انجيل متى:"طوبى لكم إذا شتموكم واضطهدوكم وافتروا عليكم كل كذب من اجلي..." (متى٥: ١١)، او التطويبة الرابعة كما جاءت في انجيل لوقا:"طوبى لكم إذا ابغضكم الناس ورذلوكم وشتموا اسمكم ونبذوه على انه عار..." (٦: ٢٢)؟!

لقد اعتمد المسيحيون الاولون، في المناظرات، قراءة جديدة للكتب المقدسة، إذ وجدوا فيها ما يدعم كرازتهم عن يسوع (راجع الخطب في سفر اعمال الرسل وهي مليئة بالشواهد الكتابية، وفي مقدمتها خطبة بطرس بعد العنصرة ٢: ١٤- ٣٦ وخطبة استفانس ٧: ١-٥٣، وفيهما استشهادات كثيرة من التوراة والانبياء والمزامير)، وكان لا بدّ لهم ان يروا التواصل بين هذه المناظرات الدائرة في زمنهم وبين تلك التي جرت في زمن يسوع.. ولم يبدُ لهم غريباً، من ثم، إن هم تعرضوا لبعض الاضطهادات التي تعرض لها يسوع، أو واجهوا عين المصير الذي سبق ليسوع أن واجهه!

ب- البيئة الليتورجية (التكريم والعبادة)

في وقت مبكّر كان الرسل والمؤمنون الاوائل يجتمعون باسم يسوع ويكرّمون ذكراه ويحتفلون بحضوره حيّاً في ما بينهم.. ولكن من دون ان يقطعوا صِلاتِهم بالهيكل (لو ٢٤: ٥٣) الذي كانوا يترددون إليه للصلاة(رسل٣: ١)، ويلتقون فيه سوية، ولاسيما في رواق سليمان (رسل ٥: ١٢) حيث كانت تجري ولاشك مناقشات ومجادلات.. وسرعان ما شعروا بالحاجة الى ان يجتمعوا معاً "لكسر الخبز" في البيوت (رسل ٢: ٤٦)! وفي هذه الاجتماعات، اخذوا يحيون ذكرى يسوع ويجددون ذكرى عشائه الاخير معهم.. وسرعان ما اتخذت هذه اللقاءات طابعاً ليتورجياً، عكسه لوقا حين كتب عن الجماعة المسيحية الاولى: "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والمشاركة وكسر الخبز والصلوات" (رسل٢: ٤٢)، لا بل اصبحت المكان الذي فيه تظهر وتتجلى حياة يسوع ورسالته ولاسيما موته وقيامته! وكان لا بد ان تمتد هذه اللقاءات الليتورجية لتشمل مناسبات عديدة (لدى اختيار متيّا: رسل١: ٢٤ ت، ونجاة بطرس ويوحنا: رسل ٤: ٢٤ ت، وتبشير السامرة: رسل ٨: ١٥ ت، وبعثة بولس وبرنابا: رسل ١٣: ٢ ت). ونتوقف هنا لدى ابرز الاجتماعات الطقسية: الافخارستيا والعماذ.

● **الافخارستيا أو "كسر الخبز":**

كان الرسل، لدى احتفالهم بعشاء الرب الاخير، يعيدون حركات يسوع وكلماته، متذكرين موته الذي أضفت عليه القيامة معناه العميق وكل ابعاده..! وكان هذا اللقاء الافخارستي بالنسبة لهم لقاء مع المسيح الحي القائم من بين الاموات والحاضر في جماعتهم، وبمثابة الفرصة لاستذكار توصياته الاخيرة عشية موته، مع كل ما كان يقوله لهم او يفعله امامهم... كما كان هذا اللقاء ولا شك فرصة لهم جميعا للتعبير عن ايمانهم به وحبهم له، دون ان يتناسوا الحديث عن التزددات التي رافقت مسيرتهم مع يسوع، والتخليات او الخيانات التي تعرض لها بعضهم، وفي المقدمة بطرس الذي انكر المعلّم، وسائرالرسل الذين هربوا في ساعة المحنة وتركوا يسوع وحده...

ومضت السنون ونمت الجماعة المسيحية، ونشأت جماعات مؤمنة في فلسطين وكل ارجاء الامبراطورية الرومانية.. وراح المؤمنون الجدد يشاركون في اجتماعات "كسر الخبز".. وسرعان ما برزت على ألسنتهم تساؤلات كثيرة حول معنى "كسر الخبز" وعلاقته بموت المسيح وقيامته، وحول معنى الاشتراك في"عشاء الرب" والمغزى العميق من لقائهم الاسبوعي حول مائدة الرب -ولقد ترك لنا القديس بولس تعليما بشأن الافخارستيا جاء ضمن توجيه لتقويم الاعوجاج في الممارسة الافخارستية في كنيسة قورنتس (١ قور ١٠-١١). وهكذا اضطر الرسل ومسؤولو الجماعات

المسيحية الناشئة من بعدهم إلى شرح هذه الممارسة والدخول في تفاصيلها وارجاعها إلى العشاء الاخير الذي تم في اطار العشاء الفصحي...

وفي احتفالهم بذكرى المعلّم، لم يكن الرسل والمسيحيون الاوائل يتحدثون عن آلام يسوع وموته حديثهم عن رجل ميت، وانما عن رجل حي وحاضر في ما بينهم: انها رواية للآلام استنارت بضوء القيامة، بحيث اكتسبت معنى عميقاً..! وسرعان ما اقترنت ذكراها بذكرى العشاء الاخير حين استبق يسوع موته فأعطاه معنى :"هذا هو دمي.. يراق من اجل جماعة الناس" (مر ١٤: ٢٤ وما يقابله). وهكذا أصبح كل لقاء إفخارستي إحياءً لذكرى موت المسيح وقيامته..! فلا عجب إذا كانت رواية العشاء الاخير -وقد اخذت مكانها في مقدمة رواية الآلام- من اولى الروايات التي تبلورت في وقت مبكّر، فاستقى منها الانجيليون حين عمدوا إلى الكتابة في السبعينات والثمانينات، ولا عجب ايضاً إذا كانت رواية تأسيس الافخارستيا، لدى القديس بولس والازائيين، قد استوحت من ممارسة "كسر الخبز" خلال اجتماعات المسيحيين الافخارستية، حتى اصبح بامكاننا أن نميز بين روايتي لوقا (٢٢: ٧ت) وبولس (١قور ١١: ٢٠ ت) من جهة، وبين روايتي مرقس (١٤: ١٢ ت) ومتى (٢٦: ١٧ ت) من جهة اخرى، دلالة على ان الروايات المكتوبة عكست الممارسات الليتورجية بحسب البيئات اليهودية او الوثنية المتنصرة[١١].

كما ان بوسعنا ان نجد قربى عميقة بين الممارسة الافخارستية وبين نصوص رواية معجزة تكثير الخبز (معجزتان لدى كل من متى ١٤: ١٩ ت و ١٦: ٢٦ ت ومرقس ٦: ٣٤ ت و٨: ١ت، فيما ترك لنا كل من لوقا ٩: ١٢- ١٧ ويوحنا ٦: ١- ١٥ معجزة واحدة) حيث نجد صيغة تأسيس الافخارستيا عبر الافعال الاربعة : أخذ وشكر (بارك)وكسر واعطى! ونجد صداها المكثف في انجيل يوحنا في خطبة يسوع عن خبز الحياة والتي تلي المعجزة ٦: ٢٢ ت) -وهو وحده لم ينقل لنا رواية تأسيس الافخارستيا، بينما انفرد في توضيح معنى المشاركة في "أكل جسد الرب" و"شرب دمه" وكلاهما "مأكل حقاً.. ومشرب حقاً"..! ولن نغالي إذا قلنا بأن هذه النصوص ذاتها قد تبلورت من خلال مذاكرات الرسل حول معجزة تكثير الخبز، ومحاولتهم لفهم معنى العشاء الاخير على ضوئها، طالما انها احتوت بعداً لاهوتياً يقوم في ان يوسع يسوع ان يطعم الجموع ويغذيها بخبز الحياة الذي هو كلامه.. ما دام هو ذاته "الخبز الحي النازل من السماء"...

● **العماذ:**

الى جانب "كسر الخبز"، كان العماذ، في احتفالات الجماعات المسيحية الناشئة، ومنذ عهد مبكر، بمثابة "باب الدخول" إلى الجماعة المؤمنة والعلامة الحسية لاتباع يسوع

---

[١١] انظر ازائية هذه النصوص في الفصل الخامس.

والتتلمذ له.. كما جاء على لسان بطرس يوم العنصرة:"توبوا وليعتمذ كل منكم باسم يسوع المسيح..." (رسل ٢: ٣٨). ويعكس لنا سفر اعمال الرسل اخبار اولئك الذين اعتمذوا، بعد ان قبلوا البشرى واعلنوا ايمانهم بيسوع: عماذ وكيل ملكة الحبشة على يد فيلبس(٨. ٢٦ ت)، عماذ قرنيليوس وذويه (١٠ : ٤٤ ت)... كما ان لنا في رسائل بولس وبطرس اناشيد وعبارات مستقاة ولاشك من احتفالات العماذ الطقسية (أف ٥: ١٤؛ روم ٦: ٣ت ؛ قول ٢: ١١ت؛ ١بط١: ٣-٥ ت؛ ٣ :١٨ - ٢٢).

ومما لا شك فيه ان ممارسة العماذ في الكنيسة الاولى، سواء كان "باسم يسوع المسيح" ام "باسم الاب والابن والروح القدس"، كانت وراء نصوص العهد الجديد في العماذ، ووراء الاقوال او التوصيات التي وضعها الانجيليون على لسان يسوع -وقد كتبوا حين كانت ممارسة طقوس العماذ على قدم وساق في الجماعات المسيحية. فلقد جاء في خاتمة انجيل متى هذه الوصية: "اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمّذوهم باسم الآب والابن والروح القدس..." (٢٨: ١٩)! ومما لاشك فيه ان التقليد الذي بموجبه يُمنح العماذ باسم الثالوث كان قد فرض نفسه في الكنيسة في زمن كتابة انجيل متى...

وتجدر الاشارة إلى ان اطار ممارسة العماذ قد اغتنى بمقولات اخرى، سواء جاءت على لسان المعمذان: "ان الذي ترى الروح ينزل فيستقر عليه هو الذي يُعمِّذ في الروح القدس" (يو١: ٣٣.قارن مع متى٣: ١١ ومر ١: ٨ ولو ٣: ١٦)، ام على لسان يسوع في حديثه مع نيقوديمس عن الولادة الجديدة "بالماء والروح"(يو ٣ :٥ت).. مما يدل على وجود تقليد "عماذي" مرتبط بالعنصرة يبرز دور الروح القدس في العماذ.

جـ - البيئة التعليمية (التعليم المسيحي !)

وكان على الرسل ومسؤولي الجماعات المسيحية الناشئة أن يجيبوا إلى العديد من الاسئلة التي اخذ المعمَّذون الجدد، في كل مكان، يطرحونها عليهم، وفي مختلف المواضيع والقضايا التي تطرحها الحياة اليومية عليهم -ولم يكن بوسع الكرازة الاولى ان تجيب إليها دفعة واحدة! ذلك هو المجال الذي فتحه المؤمنون الجدد امام الرسل كي يستعيدوا ذكرياتهم حول ما قاله يسوع وعلّمه وعمله.. وكان من شأن هذا المجال أن يزج الرسل في معمعة "التعليم المسيحي"(!) ويحملهم على ان يجتهدوا في ايجاد أجوبة على العديد من التساءلات التي كانت تشغل فكر المؤمنين الجدد وضميرهم -هم الذين قبلوا البشرى وآمنوا بها وانضووا بالعماذ إلى "الكنيسة" جماعة المؤمنين. وكان عليها هي الاخرى ان تستكمل "تثقيفهم" وتعمّق معرفتهم بيسوع وترسخ حبهم له وتعلّقهم به..! تلك هي

"البيئة التعليمية" للكنيسة الناشئة، وقد عكس وجهها لوقا حين كتب عن المؤمنين الاوائل: "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل..." (رسل ٢: ٤٢).

لم يكن في متناول الرسل آنذاك كتاب "تعليم مسيحي" ولا "انجيل" او "اناجيل" ليستندوا إليها في الاجابة إلى الاسئلة المطروحة عليهم من كل جانب! وكان من بين الاسئلة المطروحة ولاشك، اسئلة لم يكن من اليسير عليهم ان يجيبوا إليها، سيما وان امتداد رقعة الايمان تجاوزت اليهود والسامريين وبلغت الوثنيين.. مما أفرز تساؤلات غير تلك التي كان اليهود يطرحونها انطلاقاً من التوراة والانبياء. وهكذا تشعبت الاسئلة وتنوعت: كيف نتعامل مع العدو؟ إلى كم مرة يجب علينا ان نغفر؟ كيف نصلي؟ وكيف نصوم؟ ما هو المفهوم المسيحي للغنى؟ وما هو الموقف الذي يجب اتخاذه حيال المال والثروة؟ هل الصدقة واجبة للجميع؟ إلى أي حدّ يمكن للمحبة ان تذهب؟ ما هي صفات الصلاة الحقيقية المرضية؟ ما هو الموقف الواجب اتخاذه تجاه الخطأة والزناة؟ ما هي شروط الزواج والطلاق؟ كيف التعايش مع غير المؤمنين؟ هل الايمان بيسوع أبطل الناموس والختان والممارسات الاخرى؟ ما هو الموقف بشأن اللحوم المقربة للاصنام؟ وماذا عن الحيوانات المخنوقة...؟

وكان على الرسل ان يرجعوا إلى حياة يسوع وتعاليمه وامثاله ومواقفه.. ويحاولوا، قدر المستطاع، أن يجيبوا الى حاجات المؤمنين..! ويمكننا على سبيل المثال ان نقول بأن الرسل، كي يجيبوا عن سؤال حول حفظ السبت، تذكروا ان يسوع كان يشفي يوم السبت.. كما تذكروا الكثير من مواقفه تجاه الخطأة والاغنياء.. ومناقشاته مع الكتبة وعلماء الناموس. وكان لهم في ذلك دليل لا يُعوَّض: الروح القدس الذي وعدهم يسوع أنه "يُقيم معهم الى الابد" (يو ١٤: ١٦)، ويذكّرهم بكل ما قاله لهم، ويرشدهم الى الحقيقة كلها (يو ١٦: ١٣)... فلا عجب، إذن، إذا كان الكثير من أقوال يسوع وأمثاله ومعجزاته قد وُظّفت في خدمة عملية ترسيخ المؤمنين الجدد في الايمان، عن طريق الاجابة الى تساؤلاتهم وحلّ مشاكلهم الحياتية، وحملهم على الاقتداء بيسوع والالتزام بتعليمه والاستنارة بمواقفه...

وما ان أدركنا هذا الواقع الذي عاشته الكنيسة الناشئة والذي اتسم بطابع التعليم والتنشئة، كان من اليسير علينا أن نكتشف انعكاسات هذا النشاط التعليمي في النصوص التي خلّدتها لنا اقلام الانجيليين.. من دون ان ننسى قلم ذاك الفريسي العنيد شاول الذي حوّله القائم من بين الاموات إلى لاهوتي كبير -وقد كان له دور بارز في الكشف عن سر يسوع، من خلال رسائل وجهت الى الجماعات المسيحية التي اسسها، وهي بالاحرى مقالات لاهوتية كان لها اثرها البالغ في تعليم وتنشئة المسيحيين الجدد[١٢]...

---

[١٢] إلى جانب ما جاء في الدليل/ص١٥٩ - ١٧٠ عن القديس بولس ورسائله، يطيب لنا ان نشير الى الرقم ١٧ من سلسلة دراسات في الكتاب المقدس بعنوان " مدخل الى رسائل القديس بولس" للاب فاضل سيداروس اليسوعي/دار

ان نصوص العهد الجديد التي بين ايدينا عكست الى حد كبير ما عاشته الجماعات المسيحية، في ضوء التعليم الملقى عليها وانطلاقاً منه. وبوسعنا ان نتبين ملامح هذه البيئة التعليمية من خلال النقاط الرئيسة التالية:

- **اضواء على الكتاب المقدس**

كان على الرسل، في تعليمهم، ان يرجعوا دوما إلى الاسفار المقدسة كي يُفسِّروا حدث يسوع! وهكذا اخذوا يجدّدون قراءتها وينطلقون منها احيانا لالقاء الضوء على هوية يسوع... ولنا نموذج واضح على ذلك في الرواية التي ينقلها لوقا في سفر الاعمال عن وكيل ملكة الحبشة، حين انطلق فيلبس من نص من نبؤة اشعيا(٥٣: ٧- ٨) كان يطالعه الوكيل، و لم يكن يفهم إلى من كان يشير النبي.. فبشره بيسوع (رسل ٨: ٢٧- ٤٠)! كما ان لنا في رواية تلميذي عماوس نموذجاً استخدمه الرسل ولاشك لتحديد موقع يسوع من الكتب المقدسة: "وبدأ من موسى وجميع الانبياء يفسر لهما في جميع الكتب ما يختص به" (لوقا ٢٤: ٢٧)!

- **المعجزات**

كثيراً ما استخدم الرسل معجزات يسوع لهدف تعليمي، من أجل ترسيخ الايمان بيسوع، لدى المؤمنين الجدد الذين بدأت تواجههم حالات صعبة ومواقف حرجة كان بوسع يسوع وحده أن يخرجهم منها..! ذلك لأن المهم في المعجزة ليس وجهها الخارق، وانما المعنى الذي تتخذه لدى المؤمنين. وهكذا تضحي المعجزة رسالة من الله الى الانسان، ويصبح السؤال المهم الذي نطرحه ازاء المعجزة ليس "ماذا جرى في الواقع؟"، وانما "ماذا يعني؟"... وهكذا اصبحت رواية المعجزة لدى الانجيليين تنطوي على تعليم عميق ينير الدرب أمام المؤمنين ويحملهم بالتالي على الثقة الوطيدة بقدرة يسوع على شفائهم من كل الامراض، واخراجهم من كل المآزق التي يتعرضون لها..! ولنا في رواية معجزة تسكين العاصفة لدى الانجيليين الازائيين (متى ٨: ٢٣- ٢٧؛ مر ٤: ٣٥ - ٤١؛ لو ٨: ٢٢ - ٢٥) نموذج واضح عن القصد التعليمي الذي سعوا إليه من خلال التركيز على موضوع الايمان: " أ إلى الآن لا ايمان لكم"؟ (مرقس)، "اين ايمانكم"؟ (لوقا) "يا قليلي الايمان" (متى).. أليست هذه الرواية، بحسب كل من الانجيليين، دعوة الى الثقة بيسوع إبان عواصف الاضطهادات التي تنهال على الكنيسة، وهي اشبه بسفينة

المشرق، بيروت، ١٩٨٩. كما اننا سنتناول بايجاز مضمون الرسائل في الفصل السادس: مدخل إلى اسفار العهد الجديد.

المسيح يبارك: فسيفساء فى كنيسة آجيا صوفيا – استانبول

في عرض البحر؟ أليست عبارة "ربنا نجنا" لدى متى تعكس استغاثة مسيحيي الثمانينات في مواجهتهم الاضطهاد وتعرّضهم لخطر الهلاك؟[١٣].

● **الامثـــال**

وهكذا الامر مع أمثال يسوع التي سرعان ما وُضّفت في خدمة "التعليم المسيحي".. سيما وانها كانت اداة فاعلة في التنشئة الايمانية التي كان على الرسل ومسؤولي الجماعات، على مثال يسوع، ان يقوموا بها تجاه مؤمنين جدد هم بحاجة دوما إلى تنمية ايمانهم والعيش في ضوء تعاليم يسوع. ولسنا نبخس امثال يسوع قيمتها إن قلنا بأن الرسل راحوا يكيّفونها على الجماعة المسيحية -وغني عن القول ان الانتقال من مستمعي يسوع إلى مستمعي الرسل، أضفى على الأمثال معنى جديداً يتوافق مع حاجة المسيحيين، سيما بعد أن أخذت تُفسَّر في ضوء الفصح..! فلا عجب إذا ما اتخذت امثال الملكوت معنى مسيحيا بعد ان ادركت الكنيسة انها المكان الذي منه يبسط يسوع ملكوته على العالم اجمع... وعلى سبيل المثال نقول بأن مثل عمال الكرم لدى متى (٢٠: ١- ١٦) قد تجددت قراءته في الجماعة الاولى: فبينما كان، في كرازة يسوع، مثلا موجهاً إلى اليهود ليكشف لهم عن ان الله يمنح عطاياه، لا نظراً إلى استحقاقات الانسان، وانما بدافع من كرمه وسخائه.. أصبح في الجماعة المسيحية الاولى، مثلاً يلقي الضوء على معنى دخول الوثنيين (عمال الساعة الحادية عشرة) في حضن الكنيسة، ويشكل انذاراً لليهود الرافضين البشرى..وفي هذا الاطار تتخذ الآية ١٦ معناها العميق[١٤] "فهكذا يصير الآخرون أولين، والاولون آخرين".

● **الاعترافات الايمانية**

وتستوقفنا في الاناجيل عبارات هي في الواقع اعترافات ايمانية بيسوع ما بعد القيامة، جاءت على لسان الرسل او الاشخاص الذين اجرى لهم يسوع معجزة او كان له معهم لقاء. وان اضفاء هذه الصفات المسيحانية والالهية على يسوع يبدو طبيعيا، ما دمنا بازاء المسيح الحي في الجماعات المسيحية في السبعينات او الثمانينات..! ولاشك ان الكثير من هذه الاعترافات الايمانية بيسوع "المسيح ابن الله الحي" (متى ١٦: ١٦) -وما أكثرها في الاناجيل- لم تكتسب قوة وعمقا ايمانيا الاّ في اعقاب القيامة بسنوات... ولا نكشف سرّاً إذا قلنا بأن الرسل،في تعليمهم، كانوا يحملون المؤمنين على اعلان ايمانهم

---

[١٣] سنتناول هذه المعجزة بكثير من التفصيل في اطار المسألة الازائية في الفصل الخامس.

[١٤] سنتناول هذا المثل بالتفصيل في اطار "الفنون الادبية في الاناجيل" / الفصل الرابع.

بمسيحانية يسوع والوهيته وقدراته الفائقة.. ولا عجب من ثم إذا ما وضعت هذه الاعترافات الفصحية ذاتها على لسان معاصري يسوع، بينما هي في الواقع اعترافات الجماعة المسيحية بعد القيامة!

●

من خلال استعراضنا للبيئات الثلاث او بالاحرى لنشاطات الكنيسة الناشئة الثلاثة، الاعلانية والليتورجية والتعليمية -وهي نشاطات متداخلة، وكثيرا ما نجد انعكاساتها مجتمعة ومتداخلة في النصوص بحيث يصعب التمييز بينها-، بدأنا ندرك ان صوراً كثيرة ليسوع ظهرت في مختلف الجماعات المسيحية التي كانت تتكون في ارجاء الامبراطورية الرومانية. وهذا يعني أن الجماعات المسيحية الناشئة كانت بمثابة "المختبر" الذي جعل الصور التي "التقطها" الرسل ليسوع واحتفظوا بها في ذاكرتهم ، تظهر شيئاً فشيئاً -كما يُظَهَّر الفيلم السالب عبر عملية التغطيس في وعاء المسحوق الكاشف، حيث يتفاوت وضوح الصورة وتفاصيلها بحسب نوعية المستحضرات الكاشفة ومدة التظهير..! وهكذا تنوّعت صور يسوع بتنوع الجماعات التي بُشِّرَت، وباختلاف الاسئلة التي كانت تطرحها تلك الجماعات.. -وهي جماعات يهودية أو وثنية او مختلطة تقاذفتها تيارات شتى، وتعرضت لمشكلات جمة، وطرحت عليها تساؤلات متنوعة... فعلى مدى عشرات السنين اخذت صور عديدة ليسوع تنكشف في قلب هذه الجماعات، وذلك عبر الانشطة الثلاثة التي استعرضناها.

وقبل ان تنضم هذه الصور لتكوّن "مقاطع" سيستخدمها الانجيليون في كتابة شهاداتهم عن يسوع، كان بولس، عبر رسائله الرائعة، قد وضع كل علمه ومعرفته بالاسفار المقدسة في خدمة ذاك الذي شاء الله ان "يكشف له سرّه" (غلا ١ : ١٥-١٦)! وحين سيبدأ الانجيليون بالكتابة، سيكون بولس قد انتهى من تثبيت اسس الايمان بيسوع الناهض، من خلال معالجته للازمات التي عرفتها الكنائس الاولى، وذلك عبر قراءته المجددة للاسفار المقدسة... لذا سنبقى معجبين بهذا اللاهوتي الكبير الذي بشّر بيسوع وكشف بعمق عن سرّه الالهي ومكانته في التدبير الخلاصي، من دون ان تكون في حوزته الاناجيل التي كتبت بعيد استشهاده بسنوات!

٣- مرحلة تدوين الاناجيل

على مدى سنوات من الكرازة والتبشير -سواء على يد الرسل الاثني عشر ام على يد التلاميذ وتلاميذ التلاميذ،من امثال "السبعة" الذين وضع الرسل ايديهم عليهم (رسل ٦: ٦)، او أمثال برنابا وبولس ومعاونيهما-، اصبحنا بازاء "صور" عديدة

ليسوع تعكس في الواقع وجهه المتجسّد في الجماعات المسيحية المختلفة... وما ذلك إلا لأن هذه الجماعات التي نشأت بفعل التبشير، كانت، في الوقت ذاته، بمثابة المحيط او المجال الذي جعل ملامح يسوع تنكشف وتتوضح.. انطلاقا من تفاعل البشرى بحياة هذه الجماعات وقضاياها وتساؤلاتها، إلى جانب انتظاراتها وتطلعاتها..! فمن هذا المنطلق اصبح بالامكان أن نتكلم، كما سبق لنا، عن وجه يسوع في فكر بولس -وقد عكسته رسائله في وقت مبكّر- كما اصبح بامكاننا ايضا ان نتكلم عن وجه يسوع في الجماعات المسيحية باورشليم او انطاكيا او أفسس او فيلبي او روما...

وكان على هذه الصور المختلفة التي تعكس اوجهاً عديدة ليسوع أن تتآلف وتجتمع لتكوّن "وحدات" متناسقة كانت في اصل الروايات الشفهية عن يسوع. وهكذا اصبحنا في وقت مبكر بازاء روايات الآلام والعشاء الاخير التي كانت تتناقلها الجماعات المسيحية في لقاءاتها. وسرعان ما نشأت إلى جانبها "وحدات" او تقاليد شفهية عن"معجزاته" أو "امثاله" او "اقواله" او"جدالاته".. ولا شك ان هذه الوحدات قد تحوّلت هي الاخرى الى شبه "كراريس" مكتوبة كان بوسع المبشر أو الواعظ ان يستخدمها في كرازته وتعليمه -وكانت رواية الآلام ولاشك، في صيغتها الاولى، من اقدم الروايات المكتوبة!

وفيما كانت هذه التقاليد عن اوجه نشاط يسوع تُدَوّن لتشكل "وحدات ادبية" متميزة في متناول الواعظ، كان اطار لرواية حياة يسوع قد فرض نفسه فأصبح دليلاً للواعظ في تبشيره بيسوع: بدءً بعماذه على يد يوحنا المعمذان، ونشاطه المتميز في ارجاء الجليل حيث اقترن التعليم بالمعجزات.. ومن ثم صعوده إلى اورشليم حيث تبلغ جدالاته مع الفريسيين ذروتها وتؤدي به إلى الآلام والموت..! وبوسعنا ان نجد ملامح هذا الاطار "التخطيطي" في الخطاب الذي وضعه لوقا على لسان بطرس لدى تبشيره قرنيليوس (رسل١٠: ٣٧- ٤١).

أ- اربعة مؤلفيـــن...

لما كان هناك اطار جغرافي يرسم حركة يسوع، وإلى جانبه "وحدات" منفصلة تشكّل ارضية لهذا الاطار، بقي ان يُقْدِم "مؤلفون" على جمع هذه الوحدات وتنسيقها، في عملية هي اشبه بعملية "التركيب" او المونتاج التي تُجرى على الفيلم السينمائي! فكما ان "المقاطع" العديدة الملتقطة للفيلم، في اوقات مختلفة ولمشاهد مختلفة، يُجري عليها

الاخراج عملية تقطيع ومزج وتركيب.. فتجعل المُشَاهد يشعر وكأنه بازاء "احداث متعاقبة"، هكذا يمكننا، وعلى سبيل المثال -ولكل مثال حدوده- أن نتخيل ما فعله، في ازمنة مختلفة، وخدمة لجماعات متباينة، اربعة مؤلفين هم بالاحرى اربعة لاهوتيين اطلق عليهم التقليد الكنسي اسم متى، مرقس، لوقا، يوحنا! وكان لكل منهم دوره في "إخراج" شهادة حية عن الرب يسوع، كانت في الوقت ذاته نتاجاً من وإلى الجماعة التي ينتمي إليها هذا المؤلف او ذاك...

ويمكننا أن نتبين في الاناجيل الثلاثة الاولى والتي نسميها "الاناجيل الازائية"، ان هناك، على حدّ تعبيرالاب شربنتييه، "محاولتين للتركيب قد حصلتا مبكرا جداً، ونجد آثارهما في اناجيلنا: محاولة اولى يستخدمها متى ومرقس ولوقا (ونتكلم عن تقليد ثلاثي حين يكون النص مشتركاً بين الثلاثة)، ومحاولة ثانية لم يعرفها سوى متى ولوقا (ونتكلم حينذاك عن تقليد ثنائي)"[١٥].. وفي وقت لاحق ستظهر محاولة اخرى فريدة يجسّدها انجيل يوحنا. وهكذا كان لنا في النصف الثاني من القرن الاول، ما بين الاعوام ٧٠-١٠٠ أربعة اناجيل هي بالاحرى اربع شهادات ايمانية لبشرى واحدة، هي بشرى يسوع بصفته المبشِّر والمبشَّر به!

ويطيب لنا هنا، في مرحلة اولى، أن نرسم الخطوط العريضة لملامح هؤلاء الانجيليين الاربعة الذين لم يوقعوا اسمهم على مؤلفاتهم، وانما اناطها بهم التقليد الكنسي الذي يرقى إلى القرن الثاني! ولن تسوءنا من بعدُ قلة معرفتنا بهؤلاء المؤلفين، إذ سيهمّنا بالاكثر ان نتعرف على المخطط الذي انتهجه كل منهم، والهدف الذي توخّاه، والرسالة التي اراد ان يبلّغها... ولذا كثيرا ما سنتكلم عن مرقس او لوقا.. بصفتهما مؤلّفي الانجيلين الثاني والثالث.. كما سنتكلم عن مؤلف او كاتب " انجيل متى"، او عن الانجيلي الرابع في الحديث عن إنجيل يوحنا[١٦]...

---

[١٥] راجع: من الاناجيل/ص٢٥. فيما نتناول "المسألة الازائية" بالتفصيل، في الفصل الخامس، سنتكب في الفصل الرابع على موضوع " الانجيل والاناجيل: فنون أدبية. ونلفت الانتباه، منذ الآن، الى كون مرقس هو مبتكر فن كتابة"الانجيل"! وسنقدّم في الفصل السادس مدخلاً مكثّفاً عن تصميم ومضمون كل من الاناجيل الاربعة في نطاق المدخل الى سائر أسفار العهد الجديد.

[١٦] لكل من الانجيليين الاربعة حيوان يرمز اليه.. ويرقى هذا التشبيه الى القرون الاولى. وينسب القديس هيرونيموس (القرن٤) هذه الرموز إلى البداية التي تفتتح كلا من الاناجيل : متى (وجه انسان) لأنه يبدأ بنسب يسوع، مرقس (رمزه الأسد)، لانه يبدأ في البرية بكرازة المعمذان وتجربة يسوع، لوقا (رمزه الثور)، لانه يبدأ في الهيكل حيث تقدم الذبائح، يوحنا (رمزه النسر) لانه يبدأ بالتحليق إلى سر الكلمة. وترقى هذه الحيوانات إلى سفر الرؤيا (٤: ٧)، حيث انها تحيط بعرش الحمل، وهي بدورها مستوحاة من سفر حزقيال (١: ٤ت) في وصف رؤيا مركبة الرب..

ولا عجب ان يطبق كاتب سفر الرؤيا على المسيح ما جاء في حزقيال (١: ٢٦) بشأن "هيئة بشر" الجالس على العرش فوق "الاحياء" الاربعة. ومما ساعد على مطابقة الاحياء الاربعة مع الانجيليين هو سيرها "إلى حيث

● متـــى :

انـه بحسـب التقليـد (شـهادة بابيـاس: في حـدود العام ١٣٠) لاوي، ذلك "العشار" من كفرنـاحوم الـذي دعاه يسوع إلى اتباعه فاصبح من الاثـني عشـر (متـى ٩: ٩)، ويقال انه "رتّب اقوال الرب باللغة العبرانية"! إلا ان هناك دلائل تشير إلى كون الانجيل الحالي الذي بين أيدينا (٢٨ فصـلا) والمنسـوب إلـى متـى الرسـول، قدكتـب باليونانية، ولجماعـات من اصـل يـهـودي ووثني معـاً، قـد تكون جماعات فلسطينية سورية في الجليل او انطاكيـا، مـا بـين الاعـوام ٨٠- ٩٠. ويبدو ان مؤلّفه مجهول، ويُحتمل انه اعتمد او استوحى "الانجيـل الارامـي" المنسـوب إلى متى الرسول -وقد يكون أصلاً "كراسة" جمعت اقوال يسوع- والذي لم يُعثر علـى اثـر له! إلا انه في اغلب الظن احد الكتبـة الضـالعين في الاسـفار المقدسـة (اكـثر مـن ١٣٠ شاهدة ببيلية!)، وعلى اطلاع عميق باساليب التفسير وفق طريقة الربانيين.. لـذا عكـس انجيله العديد من الطروحات اليهودية -ولا عجب إذا ما بدا يسـوع فيـه بصفـة "موسى جديد"!

ويعكس هذا الانجيل وضع الجماعة المسيحية في الثمانينات بقدر ما يعكس ملامح يسوع في الثلاثينات! لقد كانت تلك الجماعات تسعى إلى ترسيخ ايمانهـا بالمسيح كـي تزداد انفتاحاً على العالم الوثني، لذا نجدهـا في صـراع مـع يهـود مـا بعـد كارثـة خـراب اورشليم الذين كرسـوا القطيعـة مـع المسيحيين..! فـلا عجـب ان نجـد في هـذا الانجيـل تنديدات شديدة اللهجة بالفريسيين، هي بالاحرى تنديدات بفريسيي يمنيا يطلقها يسـوع الحي في الجماعة المؤمنة المضطَهَدة...

وكـان علـى هـذه الجماعـة " الكنسـية" -وينفـرد انجيـل متـى باسـتخدام عبـارة "كنيسة" بحيث سمي انجيله "الانجيل الكنسي"! -ان تدافع عن نفسها، وتنكب في الوقـت ذاته على تنظيم حياتها، فتعيش المحبة الاخوية وتحتفل بـ "ربّها" الحاضر في ما بينهـا، عـبر الاسرار والطقوس، لتتمكن بالتالي من الشـهادة لـه لـدى الامـم -وقـد فتـح لهـا يسـوع ملكوته. انها كنيسة الرب يسـوع الـذي يربّيهـا بتعليمـه (العظة علـى الجبـل) ويسـندها بأعماله (المعجزات) -هو الذي كان "يعمل ويعلّم"!-، وعليهـا مـن ثـم ان تكـون امينـة ويقظة لتقوى على الصمود بوجه العواصف، وهي على يقين من حضور الرب القائم في وسطها حتى منتهى الدهر، طالما انه "ابن الانسان" الممجد الذي أولي سلطانا في السـماء

الروح يوجّه السير" (حز ١: ١٢). وتلك اشارة إلى اربعة اقطار المسكونة التي يوجّـه إليهـا الـروح القـدس البشـارة الانجيلية عبر الانجيليين الاربعة!

وعلى الارض.. وانه هو الذي سيكون معها، "كل الايام"، لتتمكن من ان تبلّغ بشارته إلى العالم اجمع.

● **مرقـــس :**

هـو في اغلـب الظـن يوحنـا مرقـس (وهمـا إسمـاه اليهودي واللاتيني) الذي كانت كنيسـة اورشـليم تجتمـع في داره (رسل ١٢: ١٢)، والذي استصحبه عمـه برنابـا في الرحلـة التبشـيرية برفقـة بولـس (رسـل ١٢: ٢٥)، ومـن ثـم فارقهمـا (١٣: ٥، ١٣) وصـار سـببا في انفصالهما -حين رفـض بولـس ان يستصحبه في الرحلـة الثانية (١٥: ٣٦ ت)! ويبـدو ان بـولس عـاد فصـالحه طالما اننا نجده إلى جانبه ابان اسره في روما، وقد ذكره بعبـارة "مرقـس ابـن عـم برنابـا" (قـول٤: ١٠؛ ف ٢٤). كمـا يذكـره بطرس في رسـالته الاولى (٥: ١٣) ويدعـوه "ابنه"!

ويجمع اهل الاختصاص بأن مرقس كان اول من ابتكر فن كتابة " الانجيل"، وانـه كتبه في روما في حدود العام ٧٠! وبحسب تقليد يرقى إلى بابياس، يبـدو مرقـس تلميـذاً للقديس بطرس، لا بل "ترجمانه" الذي اصدى لتبشيره: "... فقد كتب بدقة، وإن بـدون ترتيب، كل ما كان يتذكره من اقوال الرب واعماله"! -وقد كتبه بعد استشهاد بطرس، بحسب شهادة ايريناوس.

فمن المرجح انه كتب انجيله (١٦ فصلاً - أقصر الاناجيل، ولكنه لا يقل عنها في المضمون اللاهوتي!) لمسيحيين مهتدين مـن الوثنيـة كـانوا عرضـة للاضطهـادات.. وقـد يكونون على الارجح مسيحيي روما حيث استشـهد بطرس عـام ٦٤ في عهـد نيرون. ويُستَدَلّ على ذلك من الشروحات التي يوردها لتفسير بعض الالفاظ الارامية والعادات اليهودية.. ولاسيما من خلال اقوى شهادة ايمان في انجيلـه خـصّ بهـا قـائد مئـة وثنيـاً! وكأنها ايماءة إلى اهتداء الوثنيين...

وجماعة مرقس هي جماعة مضطَهَدة، تؤمـن بيقـين عـال بالمسيح القـائم مـن بـين الاموات، ولكنها تجد نفسـها عرضـة لأقسى الاضطهـادات والمحن التي تـُعَرِّض ايمانهـا وامانتها للخطر..! وهوذا مرقس يقدّم لها بشرى تتضمـن عنصـر المغـامرة والمجازفـة وراء يسوع الناصري المصلوب..! من دون أن يخفي عليها بـأن ايمانهـا بـه هـو عرضـة للهـزء والمقاومة -ومن هنا كان تركيزه على ما سُمي بـ "السر المشـيحاني" الـذي يطبـع انجيلـه بسر المسيح المخفي والذي يتجلى في عمـق المحنـة! ولكنـه يضعهـا بالتـالي علـى مفـترق، وبازاء خيار حاسم: فيسوع، الرب الممجد، القائم من بين الامـوات، هـو نفسـه يسـوع

الناصري المصلوب.. وعلى الصليب يتجلّى بصفته "ابن الله"! فبقي على المؤمنين ان يستخلصوا النتائج: طريق يسوع هو طريق الصليب.. وللقاء الرب الممجّد لا بد من السير في هذا الطريق!

● **لوقـــا:**

هو بحسب التقليد ذلك "الطبيب الحبيب"، كما يدعوه بولس في الرسالة إلى قولسي (٤: ١٤؛ راجع ف ٢٤؛ ٢ طيم ٤: ١١)، والذي رافقه في رحلاته الرسولية من طرواس إلى فيلبي حيث يُحتمل انه استقرّ فيها ما بين الاعوام ٥٠- ٥٨. وتشير الفقرات التي يتكلم فيها لوقا بصيغة الجمع في سفر اعمال الرسل (١٦: ١٠ت) إلى انه لحق ببولس ورافقه في رحلته الاخيرة إلى اورشليم، ومكث معه في قيصرية طيلة أسره، ومن ثم رافقه في الرحلة إلى روما بعد ان رفع دعواه إلى القيصر. وترقى نسبة الانجيل اليه، وفق تقليد من القرن الثاني، وبذات الفعل نسبة "اعمال الرسل" -وهو بمثابة الجزء الثاني من الكتاب- ولا توجد اعتراضات جادة عليها.

ولوقا في اغلب الظن انطاكي الأصل، قد يكون سليل اسرة وثنية، اهتدى إلى الايمان، سواء من الوثنية مباشرة ام عبر الايمان اليهودي بصفة" دخيل". ويبدو انه امتهن الطب، فكانت له من ثم ثقافة واسعة، وكان بذات الفعل يجيد اللغة اليونانية "الشائعة" ويكتب فيها بدقة واناقة... ولقد انفرد لوقا بكتابة سفر بجزئين، رسم في الجزء الاول "زمن يسوع" (٢٤ فصلاً)، وفي الجزء الثاني "زمن الكنيسة" (٢٨ فصلاً)، وباسلوب أدبي رفيع، على غرار مؤرخي زمانه، كما تشهد المقدمة في مطلع الجزئين! إلا انه ذلك "المؤرخ المؤمن" الذي اراد ان يقاسمنا بشرى ويحملنا على الشعور باننا معنيون بها! فمن خلال تئوفيلس (حبيب الله!) يخاطب لوقا القارئ ويحمله على قبول البشرى المعروضة عليه والتجاوب مع متطلباتها -ذلك لأن الخلاص بيسوع ينتظر منه جواباً "اليوم".. جواباً بوسعه أن يقلب حياته رأساً على عقب!

من المرجّح ان لوقا كتب مؤلّفه ما بين الاعوام ٨٠- ٩٠ ووجّهه إلى جماعات متنصرة من أصل وثني، ذات ثقافة يونانية، قد تكون جماعات انطاكيا او فيلبي.. لذا نراه يكيّف اسلوبه وطروحاته وفقا لعقليتهم وحاجاتهم وانتظاراتهم: انه يرسم لهم وجه يسوع، بصفته ذلك "الحي" الذي اقامه الله وجعله "ربّاً ومسيحاً".. فهو من ثم "الرب الاوحد" والمخلص الوحيد الذي لا خلاص بغيره -وقد سمي انجيله بحق "انجيل الخلاص"! ولما كان هذا الخلاص نعمة نالها الوثنيون مجاناً، يكشف لوقا لهم، في اثر بولس، ما تضمنته الاسفار المقدسة من تدبير الله الخلاصي. وهكذا نجدنا بازاء شمولية اتصف بها

انجيله، تجمع، في وحدة الايمان بالرب يسوع، كل الذين يقودهم الروح القدس: بهذا الروح انطلق يسوع للتبشير في الجليل، صعوداً إلى اورشليم حيث انجز سرّه الفصحي.. وبهذا الروح عينه انطلقت الكنيسة تعلن البشرى من اورشليم إلى كل اليهودية والسامرة وحتى اقاصي الارض...

فاذا كان الانجيل هو بشرى خلاص لذوي الارادة الصالحة، فسفر الاعمال هو "سفر الروح القدس" الذي يؤوّن هذا الخلاص، إذ يزجّ الكنيسة إلى ما وراء حدود العالم اليهودي، ويمنح المبشرين قوة ليكونوا "شهوداً" في كل مكان، للرب القائم، يعلنون بشراه لكل الناس ويحملونهم على اختبار حضوره الفاعل عبر علامات ملموسة...

● **يوحنا :**

هل هو، بحسب التقليد الكنسي، يوحنا بن زبدى، اخو يعقوب، احد الاثني عشر "الذي كان يسوع يحبه" (يو ١٣: ٢٣)؟ ام هو "يوحنا الشيخ" احد تلاميذ يسوع الذي كان بابياس في شبابه (اوائل القرن الثاني) يطرح عليه الاسئلة بشأن يسوع وآياته...؟ ويرى اهل الاختصاص ان انجيل يوحنا قد تكوّن على مراحل عديدة قبل ان يتخذ صيغته النهائية بين الاعوام ٩٥- ١٠٠. واغلب الظن انه من عمل ونتاج ما يمكن ان يسمى "المدرسة اليوحنانية" التي تألفت من تلاميذ حول اسم يوحنا الرسول، كانوا على رأس "الجماعات اليوحنانية" التي ترقى بايمانها إلى الرسول الحبيب -وقد تكون هذه الجماعات ذاتها هي التي انتجت الرسائل الثلاث المنسوبة إلى يوحنا، فضلاً عن سفر الرؤيا.

ويمكن القول بان التلميذ الذي اشرف على التحرير النهائي للانجيل، هو الذي أضاف الفصل ٢١، واصفاً "الشاهد" المميّز بانه "التلميذ الذي يحبه يسوع"! وهذه الصفة تنسحب ولاشك، في فكر الكاتب، على كل من يعترف بان يسوع هو ابن الله، ويشهد له من ثم! وتجدر الاشارة إلى ان القصاصة البردية من هذا الانجيل، والمكتشفة في مصر عام ١٩٣٥ (وترقى إلى عام ١٣٠ - ١٥٠)، دليل على انه كان متداولاً منذ اوائل القرن الثاني، أي بعد بضع سنوات فقط من تاريخ كتابته!

ويختلف الانجيل الرابع عن الاناجيل الازائية -وقد سمي بـ "الانجيل الروحي" كونه يحمل شهادة ايمانية عن يسوع هي نتيجة خبرة سنوات عديدة من التأمل العميق في سر "الكلمة" المتجسّد، ومن الاحتفال بحضور المسيح الحي عبر المعموذية والافخارستيا.

ويرجح ذوو الاختصاص انه يتوجّه إلى الجماعة المسيحية في افسس والتي كانت تتقاسمها تيارات فكرية ضمن مناخات ثقافية مختلفة [يهودية، اسينية، هيللينية، غنوصية[١٧]].

وهكذا جاء هذا الانجيل بمثابة الجواب إلى العديد من التساؤلات الكبرى المطروحة على الايمان المسيحي في نهاية القرن الاول الميلادي. كما كان في الوقت ذاته شهادة ايمان بليغة عن الوهية المسيح، وعن كونه كلمة الله "الذي صار بشرا وسكن في ما بيننا"، مرسل الآب إلى العالم، الذي "من رآه فقد رأى الآب"..! وكل ذلك بفضل الروح القدس الذي وعد به يسوع تلاميذه والذي كان مزمعاً أن يذكّرهم بكل ما قاله يسوع، ويرشدهم إلى الحقيقة كلها...

انه انجيل يغرف من العهد القديم ليكشف لليهود عن وجه ذاك الذي استطاع ان يقول : " أنا هو..."! مستخدماً الصور البيبلية ذات المعاني العميقة: الحمل الفصحي، المن الجديد، الماء الحي، الكرمة، الهيكل... كما انه انجيل يعكس، على غرار توجهات الحسيديم، ما تكشفه النصوص البيبلية من تضاد بين النور الظلمة، بين الحق والكذب، بين الروح والجسد.. ولا عجب إن هو تصدّى للآراء الغنوصية ساعياً إلى اظهار المسيح بصفته ذاك الذي جاء يكشف اسرار الله...

ب- اربع شهادات متميزة:

الانجيل.. هو هذه البشارة الفريدة التي دوّنها اربعة انجيليين، هم بالاحرى اربعة لاهوتيين.. وهكذا اصبح بامكاننا ان نتحدث عن اربعة اناجيل هي بالاحرى اربع شهادات بحسب كل من متى و مرقس ولوقا ويوحنا. فمن خلالها يمكننا ان نكتشف وجه يسوع كما عكسه هؤلاء "الشهود" الذين وجدوا انفسهم للحال امام شخصية فريدة لم يكن بوسعهم ان يبرزوا كل غناها..! ولنا في التعليق الذي ذيل خاتمة انجيل يوحنا خير دليل على هذا الغنى الذي يستحيل حصره: "فهناك امور اخرى كثيرة اتى بها يسوع، لو كتبت واحداً واحداً لحسبت ان الدنيا نفسها لا تسع الاسفار التي تدّون فيها"(٢١: ٢٥)!

---

[١٧] انظر الاطار عن "الغنوصية" / الفصل الرابع.

اطار ٢٠

الدياطسرون: اربعة في واحد!

الدياطسرون، كلمة يونانية تعني حرفيا "انطلاقا من الاربعة " لتدل على المحاولة "الفريدة" التي قام بها ططيانس في حوالي العام ١٧٠ – وهو تلميذ للقديس يوستينس– بدمج الاناجيل الاربعة في انجيل واحد متكامل! معتمدا انجيل متى ومضيفا اليه ما ورد من تفاصيل في الاناجيل الاخرى، فضلاً عن استعانته بانجيل منحول! وقد اتبع، في ظنه، تسلسلاً زمنياً للأحداث.. وفاته ان الاناجيل لم تهدف إلى توثيق احداث من حياة يسوع، وانما إلى تقديم شهادة ايمان يعكس فيها كل انجيلي رؤيته لشخص يسوع، خدمةً لقراء يسعى إلى حملهم على التتلمذ له...

وططيانس مؤمن من الرها، لغته الأم السريانية.. وكان قد تبنى تياراً سلوكيا يرى في الزواج شرًا، فلا يشجع عليه! كما كان يسوءُه استخدام الخمر في الافخارستيا.. إلى غير ذلك من الامور– وقد ظهرت توجهاته غير السليمة من خلال ما حذفه من تفاصيل وردت في الاناجيل ولم يحتفظ بها في مؤلَّفه الدياطسرون! ويُعتقد انه وضعه في روما، او دبّجه بعد عودته إلى الرها، وبالسريانية، حين لم تكن هناك بعد ترجمة سريانية كاملة للاناجيل! ولقد بقي الدياطسرون حتى القرن السادس النص السرياني الوحيد للاناجيل، أي حتى الزمن الذي انجز فيه رابولا اسقف الرها ترجمة الاناجيل، منفصلة، إلى السريانية. إلا ان استعماله ظل شائعاً في بلاد سوريا وما بين النهرين بالرغم من حظر الكنيستين الشرقية والغربية استعماله في الطقوس –وما زالت كنيسة المشرق والكنيسة السريانية تستخدمان نصوصه في اسبوع الآلام!

لا نملك من النص السرياني الاصلي للدياطسرون سوى جزء جاء ضمن تفسير للا نجيل "المختلط" لمار افرام السرياني، وعبر مخطوطة من القرن ٥، فيما ترقى ترجمته إلى اليونانية واللاتينية إلى القرن ٣. إلا ان اقدم نص له بين ايدينا هو ترجمة عربية من القرن ١١، عن مخطوطة سريانية من القرن ٩! وتنسب هذه الترجمة إلى ابي الفرج عبدالله بن الطيب (٤٣. ١) حفظت في مخطوطة من القرن ١٢، ونشرت في روما عام ١٨٨٨. ولقد قام الاب اوغسطين مرمرجي الدومنيكي العراقي بنشرها عام ١٩٣٥ في بيروت، وطبعت مجدداً بعناية جمعية نشر المعارف المسيحية / بولاق (مصر).

– لمزيد من التفاصيل، راجع: مرقس على لسان يسوع للا ب منصور المخلصي، بغداد ١٩٩٠، ص ١٤١–١٤٣. وكذلك : آباؤنا في الايمان للاب لويس ساكو، بغداد ١٩٨٩.

لقد سبق لنا ان قلنا بأنه من النافل وغير المعقول ان تجمع هذه الشهادات الاربع في رواية واحدة لتشكل "انجيلاً واحداً"، كما فعل ططيانس، في القرن الثاني من خلال "الدياطسرون" الذي كان اشبه بعملية مزج بين الاناجيل الاربعة، لاستحصال رواية موحدة لحياة يسوع! (**انظر الاطار ٢٠: الدياطسّرون، اربعة في واحد**). تلك المحاولة لم تنل منذئذ إجماعاً، وذلك ولاشك لكونها تحجّم خصوصية كل أنجيل وتشوه شهادة كل انجيلي في التعبير عن ايمانه وايمان جماعته بيسوع. فإن مثل هذه المحاولات تذهب بالمخطط الذي وضعه كل انجيلي لكتابه والذي يعكس فيه نظرته ونظرة جماعته إلى يسوع، كما انها تذهب بالقصد اللاهوتي الذي اراده كل انجيلي من خلال ما عرضه من اوجه لنشاط يسوع، وما تضمنه هذا النشاط من إقوال وافعال ومعجزات ومواقف...

ولا يسعنا هنا إلا ان نستعير تشبيهاً للأب أ. شربنتييه اوضح فيه اهمية الاحتفاظ بالشهادات الاربع التي نبعت كل منها من فهم الانجيلي لشخص يسوع، والذي تأصل في جماعة مؤمنة، فكان ذلك الانجيل منها وإليها في الوقت ذاته! يقول الاب شربنتييه: "لو كان عندنا اربعة اعمال فسيفسائية تمثل المشهد نفسه باشكال مختلفة، لما خطر ببالنا ان نقول: هذه الاعمال الفسيفسائية جميلة حتى اني لا اريد ان افقد شيئاً منها، فسأدمّرها واصنع من كومة الحجارة فسيفساء واحدة تضم الاربعة..! يا له من مسخ!"[١٨].

وهكذا يتضح لنا انه يستحيل الذهاب في مثل هذا الاتجاه، كونه يحطم فرادة الشهادة التي يتضمنها كل انجيل، سيما وان هذه الشهادات الايمانية الاربع غنية بالاضاءات التي تسهم في الكشف عن ملامح يسوع -وقد شاء كل انجيلي ان يوقفنا عليها ويُقاسمنا اياها. لذا حرصت الدراسات الكتابية الرصينة على جعلنا ننكب على كل انجيل بمفرده، لنكتشف ما يحمله من تلميحات وتفاصيل وميزات ولمسات.. انفرد بها كل انجيلي في مسعاه إلى ابراز الملامح التي اثرت فيه وفي جماعته، والتي كان من شأنها ان تثير اهتمام قارئيه وتحملهم من ثم على اكتناه ما تتضمنه من رسالة ونداء يعنيانهم...

ومن هنا كانت الاهمية التي تعلقها الدراسات الكتابية المعاصرة على اكتساب الالفة مع النصوص الانجيلية، والقدرة على التمييز بين الشهادات الاربع بهدف الوقوف على ما تمتاز به كل منها من فوارق وخصائص. وسنجد متعة كبيرة وفائدة عظمى حين يتسنى لنا ان نقارن بين الاناجيل الاربعة، ونكتشف ما تحمله هذه الفوارق والاختلافات من اضاءات لاهوتية كان لها انعكاساتها على الجماعة المسيحية آنذاك، ولها من ثم انعكاساتها على حياتنا المسيحية اليوم..! وحين نؤكد على أهمية قراءة كل شهادة على حدا، فذلك لا يعني البتة ان علينا ان نحرم انفسنا من الحصول على نظرة اجمالية من خلال انكبابنا على الاناجيل الاربعة التي تؤلف بالتالي كشفا لما ينطوي من غنى على سر يسوع، والذي لن نبلغ إليه بالتمام إلا بالايمان وبنور الروح القدس...

ويطيب لنا ان نقدم عرضا سريعا هو اشبه بالرسم التخطيطي لوجه يسوع كما رشح من لوحة كل من الانجيليين الاربعة، ونحن ندرك ما يساور محاولة رسم الخطوط الكبرى، بشكل مقتضب،من خطر التحجيم إن لم نقل التشويه! إلا اننا على يقين من ان لهذا الرسم التخطيطي حسنة واحدة على الاقل تقوم في الاقتناع باستحالة رسم لوحة واحدة لوجه يسوع! ذلك بأن هناك وجهاً ليسوع يرسمه كل كاتب، انطلاقاً من الملامح التي رشحت وتبلورت في الجماعة التي تلقّى الايمان في حضنها، وبالتالي انطلاقاً من

---

[١٨] الدليل / ص ١٣٣.

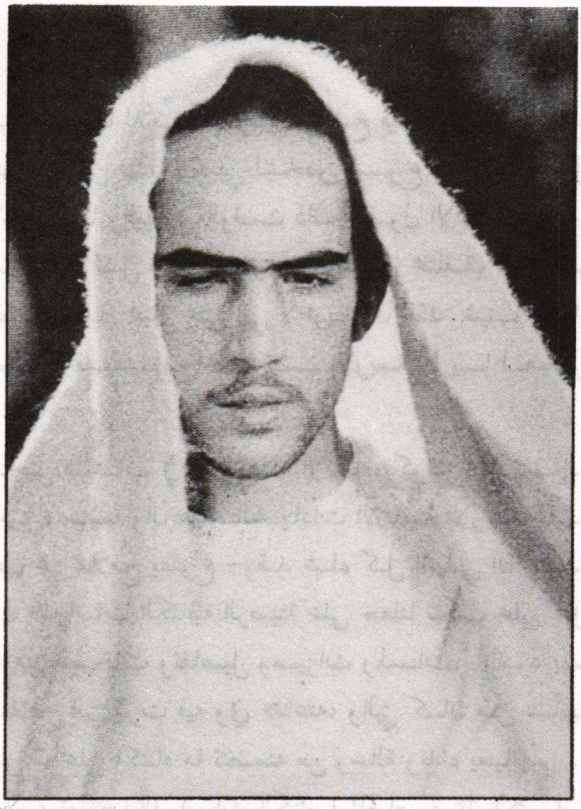

... هنـــاك وجـــه
ليسوع يرسمه كل كـاتب،
انطلاقاً من الملامح التـي
تبلورت في جماعته...
وهكذا هـــي الحـال
حين نســعى الـى رسـم
وجـه ليسوع يلتقـي مـع
حاجـــات عصرنـــا
وتطلعاته...
هنـا يسوع في فيلم
بيـير بـاولو باسـوليني
بحسب إنجيل متى

وجهة النظر اللاهوتية التي يتبناها في مؤلّفه. وكما كـانت الحـال بالنسـبة إلى الانجيليين، هكذا هي الحال بالنسبة إلينا حين نسعى إلى رسم وجه ليسوع يلتقي مع حاجات عصرنا وتطلعاته...

ونثبت ادناه مقتطفات من اللوحات الاربع لوجه يسوع، بقلم الاب شربنتييه[١٩]، في خاتمة تقديمه لكل من الانجيليين.. وقد رسمهـا كـل انجيلي بما كـان لديـه مـن تقـاليد شفهية أو مكتوبة عن يسوع، وبدافع مـن الاهـداف الـتي كـان يسـعى إلى تحقيقهـا مـن خلال انجيله الذي اراده، قبل كل شيء،" بشرى" يقاسمها قـراءه ودعـوة لهـم إلى التتلمـذ ليسوع.. فهي لا تنفصل عن مخطط انجيله الذي يمكننا ان نتبين، عبر قراءة دقيقة ومركزة لفصوله، خطة ذات هدف تعليمي.. لا بل دعوة الى الايمان! ألم يقل لوقـا لتئوفيلس، في فاتحة انجيله، انه يكتـب لـه الامـور "مرتـَّبة" كـي: "يتيقـن صحـة مـا تلقّـى مـن تعليـم" (١: ٤)؟ أوَلم يختم الانجيلي الرابع بهذه الخلاصة: "... وهذه كتبت لتؤمنوا بـأن يسـوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه"(٢٠: ٣١)؟

---

[١٩] ندرج تباعا، عبر اطارات، هذه اللوحات الاربع، مرحبين المداخل إلى الاناجيل الاربعـة الى الفصـل السـادس. انظر الاطارات رقم ٢١- ٢٤ مقتبسة من " الدليل ": وجه يسـوع في انجيـل مرقـــس (ص ١٧٨)، متى (ص ١٩٠)، لوقا (ص ٢٠٢) يوحنا (ص ٢١٤).

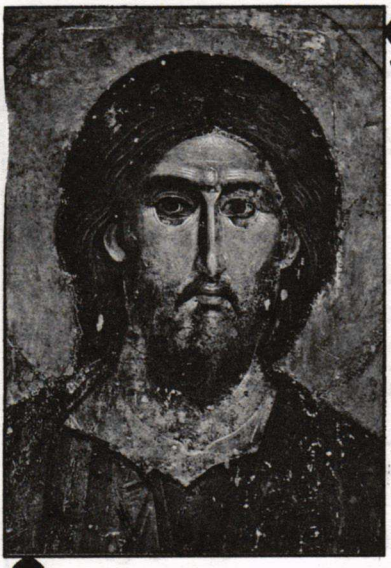

وجه يسوع في انجيل مرقس

• **انسان...**

ان يسوع انجيل مرقس هو يسوع كل يوم... ويخيل الينا اننا نكتشفه بعيني بطرس... فلقد تأثر بطرس بنظر يسوع... وَلكَم اثار سر يسوع فضوله....

لم يتردد مرقس في رواية بعض المشاهد التي كانت تدهش سامعيه، هم الذين اعتادوا ان يروا في يسوع ابن الله: فيسوع لا يعلم بكل شيء، ويجهل بماذا يتكلم تلاميذه، فوجب عليه ان يسألهم عن ذلك... ويجهل في أي يوم تنتهي الازمنة؟... ويرتعب امام الموت... ويموت يائساً!

• **"إنسان مع "/ انسان منعزل**

ان يسوع في انجيل مرقس هو اولاً " يسوع مع تلاميذه"... وقد حاول خصومه ان يدمروا هذا الفريق بالتهجم على يسوع لدى تلاميذه، وبالتهجّم على التلاميذ لدى يسوع (٢: ١٨-٢٧). ولقد اعدّ يسوع هؤلاء التلاميذ لرسالتهم المقبلة، واضعا اياهم في خدمة الجميع...

إلا ان عزلة يسوع تبدو اشد مأساوية! انه منعزل، إذ لم يتوصل إلى اشعار رفاقه بسره: فهم غلاظ الذهن (٦: ٥٢ ؛ ٨: ١٧)، يشكّون، وقد تركوه وأنكروه...

• **المعلّم**

... ان يسوع في نظر مرقس هو الذي يعلّم الجمع (٢٠مرة تقريباً!)... والحال ان انجيله لا يتضمن إلا خطباً قليلة! لعلّه يريد ان نفهم بأن يسوع يعلّم خاصة بطريقة عيشه وعمله.. فالمعجزات تحتل مكانا كبيرا نسبيا، وهي تبين بالاعمال ان ملكوت الله قد اقترب، وان يسوع اقوى من الشر (٣: ٢٧).

• **المشيح المصلوب**

رفض يسوع ان يعلن الناس انه المسيح، وفرض السكوت على الذين اكتشفوه: انه السر المشيحي..! لم يرد يسوع ان يخطىء الناس في هوية المشيح.. فلم يطلق على نفسه هذا اللقب إلا عند زوال امكانية الوقوع في هذا الخطأ، أي بعد الحكم عليه بالموت : فبالعذاب والموت يُنشيء ملكوتا روحيا.. وحاول ان يذهب بتلاميذه في هذه الطريق (٨: ٣٤ - ٣٨).

• **ابن الانسان**

لقب ابن الانسان اكثر الالقاب وروداً (١٤ مرة)، ولعلّ يسوع يفضله لانه يكشف عن سّره ويحجبه في الوقت ذاته. هذه العبارة... إذا احيلت إلى رؤيا دانيال (ف٧) اتخذت معنى قويا جداً وخصّت كائنا الهياً أولاه الله مهمة الدينونة.

• **ابن الله**

هذا اللقب نادر، ولكن مرقس يرغب في ان يرفع سامعه إلى هذه الذروة من الايمان! لقد بدأ انجيله بهذا اللقب.. وهوذا قائد المئة يعلنه عند أقدام الصليب، وكأنه يرجّع صدى صوت الآب لدى العماذ والتجلّي.

(عن الدليل / ص ١٧٨)

اطار ٢٢

وجه يسوع في انجيل متى

• **الرب يعيش في جماعته**

.. انجيل متى يضعنا امام الرب الممجد والمكرّم في جماعته. فالتلاميذ يسجدون للقائم من بين الاموات... ذلك لان يسوع، بقيامته، هو في الحقيقة "الله معنا"! انه "ابن الله الحبيب"...ويسوع يعرّف نفسه على هذا الوجه، والتلاميذ يعلنونه مراراً بهذا الشكل.. وهكذا يبدو يسوع مهيبا في انجيل متى: يُهمل متى تأثر يسوع أو جهله.. ويشدد على قدرته.. ولكن هذا الرب يبدو مرة واحدة شديد الانسانية عندما راح يلتمس من اصدقائه، وهو في النزاع، شيئا من العطف!

ان يسوع هو " مخلّص جماعته ". تظهره المعجزات بمظهر العبد المتألم الوارد ذكره في اشعيا والذي اخذ اسقامنا...يبسّط متى روايات المعجزات ويمحو ملامح يسوع البشرية، ويصوّر حماة بطرس او التلاميذ اثناء العاصفة بصورة مسيحيي عصره. فيبيّن بذلك ان الرب يسوع يواصل عمله الخلاصي في آنيّة جماعته.

ان يسوع هو " معلم جماعته".. انه موسى الجديد الذي يعطي الشريعة الجديدة على جبل التطويبات وجبل الفصح، وهذه الشريعة تقوم في ان يكون الانسان كاملاً كالآب... وهو"مثال جماعته".. فلقد قال ليوحنا المعمذان:" يحسن بنا ان نُتمّم كل برّ"! وفي نص ينفرد به متى، يُصوّر يسوع حياته بصورة الطريق الوحيد إلى معرفة الآب (١١: ٢٧- ٣٠).

• **مسيح اسرائيل**

ان يسوع في نظر متى هو المسيح الذي كان اسرائيل ينتظره والذي انبأت به الكتب المقدسة. ويستشهد بها متى كربّاني بارع، ليبين ان يسوع قد اتمّها. وهو كثيرا ما ينسب إلى يسوع القابا رسمية، كالمسيح وابن داود وملك اسرائيل... وبالاعتراف به او برفضه يتعلق الانتماء إلى اسرائيل الحقيقي: فالمجوس الوثنيون يسجدون له، بينما اورشليم ترفضه.. والكهنة والكتبة يحكمون عليه، بينما قائد المئة الروماني ورجاله يعلنون انه ابن الله! ولذلك فسيُنزَع الملكوت من الاولين ويعطى لآخرين.. وهكذا يصبح مسيح اسرائيل مسيح الجميع.

• **ابن الانسان**

على مثال الرؤى (دا ٧)، كانوا ينتظرون مجيء ابن الانسان للدينونة آخر الازمنة. يرى متى ان يسوع هو ابن الانسان هذا. فيسوع يعلن ذلك رسميا امام المجلس وينبيء بانهم سيرونه منذئذ بهذه الصفة. فالفصح هو في الحقيقة مجيء ابن الانسان آتيا على الغمام (٢٦: ٦٤) إلى تلاميذه الساجدين (٢٨: ١٨)، بعد ان أولي كل سلطان! ينفرد متى بالكلام عن مجيء ابن الانسان هذا.. وهو يدل، في نظره، على الساعة التي يحلّ فيها ملكوت الله في تاريخنا. هذا الأمر يتم لدى القيامة، ولذلك فان هذا المجيء يتم كل مرة نلتقي بابن الانسان الحاضر سرّيا في الصغار الذين اختصّهم (٢٥: ٣١ت).

• **يسوع يرسل جماعته**

بعد ان نُصّب يسوع ابن الانسان وديّان الجميع ورب العالم كله، فقد احرز النصر الاخير... بقي له ان "يحتل المكان"! ولذلك فهو يرسل تلاميذه يقيمون نصره في العالم كله. لقد سبق ان اعدّهم لهذه الرسالة، ولكنه هو الذي انطلق آنذاك للتبشير. اما الارسال الحقيقي فيتم يوم الفصح.

(عن الدليل / ص ١٩٠)

وجه يسوع في مؤلّف لوقا
(انجيل واعمال)

• الرب يسوع

ينفرد لوقا باطلاق لقب " الرب " على يسوع حين يذكر اسمه. فان مجد الفصح ينعكس على حياته الارضية، ويحيط به منذ ميلاده. وليس التجلي استباقا لمجد الفصح المقبل (كما لدى مرقس ومتى) بقدر ما هو اعتلان المجد الذي كان له منذ الحبل به... وذروته في ظهوره بصفة ابن الانسان.. علماً بان المجد يليق بالله وحده!

إن يسوع ملك... ولقد انفرد لوقا بذكر هذا اللقب ست مرات! كما انه يعلم بان يسوع اتخذ صفة "الرب" و "المسيح" بقيامته من بين الاموات (رسل ٢: ٣٦)، وهاتان الصفتان تنعكسان على كيانه ذاته، كما ورد في روايات الطفولة. وليس لقب "ابن الله" مجرّد إعتراف بدوره (كما هي الحال مع لقب "ابن داود")، بل هو تأكيد على طبيعته.

• روح يسوع

... لقد امتلأ يسوع من روح الله حتى أمكن الحديث عن روح يسوع! فبقوة الروح حُبل به، وظهر الروح في عماذه، وهو الذي قاده إلى البرية، واحاط به ليجعل منه حامل البشرى (٤: ١٤)، وبدافع منه تهلّل هاتفا (١٠: ٢١). وحين مُجّد يسوع، نال من الآب الروح وأفاضه (رسل ٢: ٣٨)... وهكذا بدا سفر اعمال الرسل بمثابة " انجيل الروح القدس" الذي ينعش جماعة العنصرة كما انعش من قبل يسوع وشهوده الاولين...

• النبـــي

يسوع هو النبي الذي عُهِدَ إليه بكشف الله (٧: ١٦، ٣٩؛ رسل ٣: ٢٢)، وموته هو موت نبي (١٣: ٣٣ ؛ رسل ٧: ٥٢). ويظهره لوقا بمظهر ايليا الجديد. والوجه الالهي الذي يكشفه، هو قبل كل شيء وجه حنان الآب لجميع الناس.. فان مجيء يسوع هو افتقاد الله. كان هذا الافتقاد لدى الانبياء انذاراً بالدينونة، فاصبح لدى لوقا بشرى خلاص وسنة قبول... ان في موقف يسوع ما يجعل محبة الآب هذه منظورة: فهو صديق العشارين والخطأة.. إنه المخلّص الذي يحرر من قبضة الشيطان ومن الالم الذي يعذب الاجساد. فيسوع هو صديق للخطأة لكونهم بحاجة إلى الله كحاجة المريض إلى الطبيب.. لابل هو الله الذي يحتاج إليهم ليظهر محبته "المستولية على احشائه"! ويمنح غفرانه دون حساب! (مثل الابن الضال:١٥)، ويبدي لوقا معزّة خاصة للنساء اللواتي غالباً ما كنّ محتقرات... وسيلعب بعضهن دوراً هاماً في الكنيسة (رسل١: ١٤؛ ١٢: ١٢؛ ١٦: ١٤).

• الانسان امام الله

إن يسوع هو رب ومسيح، ولكنه ايضاً انسان تماماً. يعيش بكمال ما يبشر به، حتى انه مثال الانسان الكامل المجدّد بالروح القدس والعائش بين يدي الآب : كلمته الاولى وكلمته الاخيرة هما نداء إلى الآب (٢: ٤٩ ؛٢٣: ٤٦). يعيش تحت نظره، وصلاته أحد وجوه ذلك... وقد تأثر تلاميذه بذلك حتى انهم طلبوا ان يدخلهم في سر صلته بالله (١١: ١).

ان شخص يسوع ذاته هو في صميم الانجيل. امامه يجب الاختيار، لأن هذا الكائن المليء بالحنان هو شديد التطلّب ايضاً: فلا بد من الوقوف إلى جانبه، في هذا اليوم، ولسبب واحد هو انه يسوع! وهذا الايمان التام الذي ينال الخلاص هو ينبوع الفرح الذي يشع على الانجيل ويجدّد التلميذ.

(عن الدليل / ص ٢٠٢)

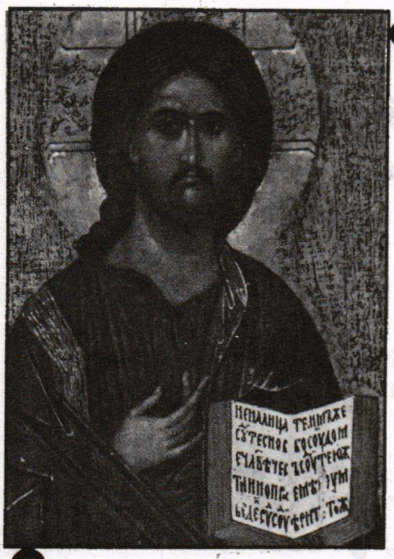

وجه يسوع في مولفات يوحنا

... هناك مفارقة بشأن يسوع كما يتصوره يوحنا : انه كائن كامل الانسانية نستطيع ان نراه ونلمسه، ولكننا نرى فيه بعين الايمان المستنير بالروح القدس، سر الكلمة، سر ابن الله.

• انســـان

ان يسوع عند يوحنا كامل الانسانية.. إذا تعب، جلس عند بئر وطلب من امرأة لا يعرفها ماء ليشرب.. له صديق، لعازر، يبكي عليه! وصديقات، مرتا ومريم.. يذهب إلى العرس...يغضب ويقلب طاولات الباعة الثقيلة.. انه يعلم ما في الانسان (٢: ٢٥). وبما انه شديد الاحترام للآخرين، فبامكانه ان يستعيد، مع السامرية، ذكرى حياتها الصاخبة دون ان تشعر بانها تُحاكَم او تُدان...

• رجل الله وكاشف الله

اية كانت الاسئلة المطروحة عليه، جوابه واحد: -الآب! من اين أتيت؟-من عند الآب. إلى أين ذاهب؟- إلى الآب. ماذا تعمل؟- اعمال الآب... هذه الاجوبة تدخلنا إلى صميم سر الله... فيسوع هو لدى الله منذ الازل(١: ١). انه كلمة الله وحكمته، وهو يعرف سر الله وقد جاء ليطلعنا عليه. المسيح في نظر يوحنا هو، قبل كل شيء، ذاك الذي يكشف لنا عن الآب. ويقوم بهذا الدور باقواله ولاسيما بآياته ومعجزاته... كما يكشف عنه ايضاً باعطائنا الروح القدس الذي انبثق من جنبه المفتوح (٧: ٣٨ ؛ ١٩: ٣٠ و٣٤)، الروح القدس المكلّف بارشادنا الى الحق كله (١٦: ١٣).

• ابن الانســـان

... ويسوع هو ابن الانسان، ذلك الوجه الذي ورد ذكره في دانيال والذي كانوا ينتظرون مجيئه في آخر الازمنة لاجراء الدينونة، وقد صرح لنيقوديمس بانه هو وحده نزل من السماء(٣: ١١ -١٣). فهو لا يريد ان يكون القاضي الذي يدين، بل الابن الذي يخلّص. ولكنه، لكونه نوراً، يحمل المخاطب على الكشف عن نفسه وعلى الاختيار. انه يدعو إلى الدينونة، ولكنه، كالمحامي، قريب من المؤمن. هذه الدعوى تستمر إلى نهاية العالم، ولذلك يرسل مؤيداً آخر(١٤: ١٦)، الروح القدس، ليدافع عنه في قلب المؤمن (١٦: ٧-١١).

• ابن اللـــه

يستطيع يسوع اخيرا ان يكشف عن الله لأنه هو نفسه ابن الله. ان العبارة " انا هو" نادرة عند الازائيين، ولكننا كثيرا ما نجدها على لسان يسوع في انجيل يوحنا، وقد وردت اربع مرات بالمعنى المطلق.. وهي تطابق اسم "يهوه" (الله).

• حياة المؤمـــن

ارتدى يسوع جسدنا. وانما فعل ذلك ليكون في خدمة المؤمن. إنه الراعي الذي يبذل نفسه عن احبّائه. انه النور. انه القيامة والحياة!

(عن الدليل / ص ٢١٤)

الفصل الرابع

الانجيل والاناجيل: فنون ادبية

الفصل الرابع

الانجيل والاناجيل : فنون ادبية

اولاً: الانجيل فن ادبي

١-مرقس مبتكر الفن الأدبي "انجيل"

٢-شهادة ، وليست صورة ليسوع

ثانياً: الفنون الادبية في الاناجيل

١-القوالب / الروايات

أ-المعجزات، ب-المناظرات

جـ-الحكمة المحاطة باطار

٢-القوالب / الاقوال

أ-المثل، ب-الدعوة،

جـ-الخطب، د-الاقوال العائمة

٣-الاساليب الادبية

٤-اسلوب "اناجيل الطفولة"

أ- انجيل الطفولة بحسب متى

ب-انجيل الطفولة بحسب لوقا

الاطارات

٢٥)الغنوصية

٢٦)الاناجيل المنحولة

٢٧)الصفة التاريخية للاناجيل

٢٨)مستويات تفسير كلمات يسوع

٢٩)البُعد الآني للمعجزات

٣٠)الامثال في طبقات التقليد

٣١)الالوان والارقام والصور...

٣٢)" ابن الانسان "

٣٣)" ابن الله "

٣٤)ضرورة العهد القديم لفهم العهد الجديد

انجيل واحد.. بشرى واحدة، فلماذا اربعة اناجيل.. اربع بشائر؟ ذلك لان البشرى المعلَنة اصبحت بشرى مدَّونة، اي انجيلاً فاناجيل، دون ان يفقدها هذا الانتقال طابع الشهادة الذي اتسمت به... انها شهادات ايمانية وليست "صوراً" ليسوع، او قصة حياته!

مرقس، كاتب الانجيل الثاني، كان اول من ابتكر هذا الفن الادبي الفريد.. أي انه كان اول من حوّل البشرى الشفهية إلى انجيل مكتوب توجه به إلى مسيحيين كانوا بحاجة إلى قراءة مجدَّدة لما حملته إليهم، من قبلُ، تلك البشرى من تعليم ونداء..! وقد عرف كيف يستخدم "مجموعات" المعجزات والامثال والمناظرات ورواية اولى للآلام والقيامة -وتسمى هذه المجموعات "وحدات ادبية"- ليرسم من خلالها وجه يسوع القائم في وسط الجماعة المسيحية، وهي تعاني من الاضطهاد في سبيله في حوالي العام ٧٠!

وسيتاح لسائر الانجيليين من ثم ان يستخدموا مختلف الفنون الادبية المألوفة ليرسموا وجه يسوع وفق رؤيتهم اللاهوتية، وبهدف تعليمي لا يخفى. والفنون الادبية التي اعتمدوها هي بشكل "قوالب" انسكبت فيها رواياتهم لمعجزات يسوع ومناظراته ومواقفه، كما انسكبت اصداءاتهم لأقواله وامثاله وتعاليمه.. فضلاً عن "اساليب" طبعت كتاباتهم بالطابع الاعلاني او التعليمي او الرؤيوي -إلى جانب اسلوب امتاز به الانجيليان متى ولوقا عبر ما نسميه "اناجيل الطفولة، وهي بمثابة خلاصة لاهوتية تصدّرت انجيليهما فكشفت، منذ البدء، من هو يسوع وما سرّه!

وتأتي "الاطارات" المكثفة في هذا الفصل لتحرك الكثير من الافكار الثابتة، وتلقي الضوء على العديد من العبارات او المفردات.

مدخل

في معرض دراستنا، في الفصل السابق، حول "مراحل تكوين العهد الجديد"، والاناجيل بنوع خاص، قمنا بشبه رحلة مكوكية، صعوداً من اناجيلنا المدونة إلى يسوع الناصري، مروراً بالجماعات المسيحية التي فيها، وعبر نشاطاتها، تبلورت صورة لا بل صور ليسوع..! كما قمنا بالرحلة ذاتها ، نزولاً من يسوع الناصري إلى الجماعات المسيحية التي تلقت بشرى قيامته، وتجسدت فيها صورة ليسوع اتخذت ملامح متنوعة بتنوع الجماعات، وصولاً إلى أناجيلنا التي كانت بمثابة نتاج عكست فيه تلك الجماعات وجه يسوع الحي والحاضر في وسطها...

وهكذا شهدنا، وعلى مدى اعوام، تحوّلاً وانتقالاً من "انجيل" شفهي هو بشرى يسوع إلى "انجيل" مكتوب يعكس هذه البشرى ذاتها.. وكان لنا منه اربعة "اناجيل"، يعكس كل منها وجهاً ليسوع -وهيهات ان تكون تلك الاناجيل، بشهادتها ذاتها، قد رسمت كل اوجهه وكل ملامحه! وفيما نبقى نتحدث عن "انجيل" بصفته بشرى يُنادى بها، وعن "انجيل" بصفته بشرى تُعرض ولا تني تنادي.. سيحق لنا آنذاك ان نتحدث عن "اناجيل"، بالجمع، طالما انها تعكس اربعة اوجه لتلك البشرى ذاتها. مع العلم بأن بامكاننا ايضا ان نتكلم عن "انجيل" بولس طالما ان رسائله النابضة بالحياة تعكس هي الاخرى"بشارة" يسوع -وقد اختصّها بولس فاصبحت من ثم "انجيله" و"بشارته". كما سيكون بامكاننا ان نوسّع مدار التعبير فنتكلم عن البشرى التي احتوتها وعكستها رسائل اخرى، بدءً بالرسالة إلى العبرانيين مروراً بالرسائل العامة (بطرس ويعقوب ويهوذا ويوحنا)، وانتهاءً برؤيا يوحنا.. طالما انها هي الاخرى بشرى يسوع في انعكاساتها على حياة الجماعات المسيحية التي توجّهت إليها تلك الرسائل او الاسفار.

نتناول، في نقطة اولى من هذا الفصل، "الانجيل" بصفته فنّاً متميزا كان ظهوره في الادب ظاهرة جديدة! ونتناول في نقطة ثانية، وبشيء من التفصيل، "الفنون الادبية في الاناجيل" حيث نكتشف العديد من الطرق والاساليب التي استخدمها مؤلفو الاناجيل في اداء مضامين البشرى الانجيلية.

أولاً: الأنجيل فن أدبي

حين نقول بأن الانجيل هو فن ادبي خاص، فانما نعني بأن الفن الادبي "انجيل" هو فن فريد ومتميز، له اسلوبه واهدافه ومقوماته.. وان ابتكار هذا الفن يكمن في عملية تحويل البشرى المعلنة إلى نص.. إلى رواية مكتوبة.. إلى كتاب "انجيل"[1]! وان مبتكر هذا الفن سعى إلى جعل تلك البشرى تتحول إلى رواية ذات بنية ادبية تتوجه إلى قراء، وتنتظر منهم أن يتجاوبوا مع الرسالة التي تحملها إليهم ويتفاعلوا مع النداءات التي تعنيهم ويحدّدوا بالتالي موقفهم منها!

في مثل هذا الاطار ينتفي كليا التعامل مع الاناجيل وكأنها تحقيق مباشر عن الاحداث التي ترويها! ولن يعود مكان لاعتبار الانجيليين مؤرخين او وثائقيين او صحفيين! كما ينتفي كونها "سيرة حياة يسوع"، على غرار كتب التراجم التي تقص تاريخ حياة الابطال والعظماء.. لأنها لا تنقل وقائع بقدر ما تدلي بشهادة تكشف عن المعاني التي تختفي وراء الوقائع والاحداث... وهي ليست بالتالي، وبأولى حجة، "كتب دين" ترصف العقائد وتنسقها بهدف الترويج أو الكسب او المفاخرة واعلاء الشأن(!) على غرار تلك الكتب -وبعضها بظاهر اناجيل- التي انتحتها التوجهات الغنوصية منذ منتصف القرن الاول الميلادي (**انظر الاطار ٢٥: الغنوصية**) ونخص بالذكر "انجيل توما" المنحول الذي يعكس الآراء الغنوصية بشكل واضح.

---

[1] كلمة "انجيل" هي الصيغة العربية لكلمة "ايفانجيليون" اليونانية، وكانت تعني لدى المولفين اليونان الاعلان عن بشرى الانتصار الذي يحرزه الجيش، او عن البشرى السارة بحدث بارز من حياة الامبراطور . فلقد عثر في تركيا على كتابة ترقى إلى عام ٩ق.م. جاء فيها وصف لذكرى مولد القيصر اكتافيوس الملقب (اوغسطس): "يجوز لكل واحد ان يعدّ بحق هذا الحدث مصدر حياته ووجوده... فلقد اقامت عناية الآلهة الحياة البشرية وزينتها تزيينا رائعا فأعطتنا اوغسطس... لتجعل منه المحسن إلى البشر ومخلّصاً لنا وللذين يأتون من بعدنا... فكان يوم مولد الاله (اوغسطس) للعالم بداية البشائر التي تلقيناها بفضله..."! (عن الدليل/ص١٣٢).

ولا عجب ان يطلق المسيحيون على تعليم يسوع الذي جاء يبشر بملكوت الله عبارة "ايفانجيليون" ولاسيما بعد ان كشفت القيامة عن كون المبشّر قد اصبح هو ذاته موضوع البشرى! وهكذا تم انتقال في المعنى من البشرى الشفهية(انجيل) إلى البشرى المكتوبة، او الكتاب البشرى: "الانجيل "! ولا بدّ ان لوقا الذي وضع على لسان الملاك بشرى ميلاد " المخلص"، قد ردّ على مقولة تأليه الامبراطور! وهكذا سيفعل ايضا كاتب سفر الرؤيا باظهار مكانة يسوع " الرب الاوحد"، ردًا على رغبة الامبراطور دوميثيانس في أن تودّى له شعائر العبادة !

اطار ٢٥

الغنوصيـــــــة

تيار اخذت ملامحه تظهر منـذ نهاية القرن الاول الميلادي، وتبلورت ابان القرن الثاني. وقد ازدادت معرفتنا به منذ اكتشاف برديات نجع حمادي (مصر) في عام ١٩٤٥-١٩٤٦ والتي تضمنت مؤلفات ذات نزعات غنوصية، وفي مقدمتها " انجيل توما " المنحول (حوالي عام ١٤٠)

كانت المذاهب التي اطلق عليها اسم " الغنوصية " (من كلمة Gnosis اليونانية وتعني "المعرفة") ذات نزعة سرية ومقتصرة على عدد من "العارفين "... ويمكننا ان نرجع معتقداتها المتنوعة وتوجهاتها المختلفة إلى التمييز الذي تقيمه بين الروح والمادة.. واعتبار " المادة " شرّا يستحيل على الله ان يكون قد خلق العالم من اصل مادي... وبعين المنطلق، وبأولى حجة، يستحيل في نظر الغنوصيين ان يكون "الكلمة " قد اتخذ جسداً! ولذا فهم يؤمنون بوجوب وجود كائنات وسيطة بين الله والعالم ...

ولما كان البشر، بجسدهم، مشاركين في الشر، كان لابد لهم ، كي يحصلوا على الخلاص، ان يقوموا باعمال تطهير تهيّؤهم للانفتاح على الخلاص، عبر اطلاعهم على "معرفة" الحقائق السماوية – وهذه المعرفة لن يحصل عليها سوى " العارفين" الذين تمكنوا من تحقيق تحررهم من المادة وكل ما يمت إليها بصلة. ومن هنا كانت تلك التيارات المتعددة التي يدعو انصارها إلى احتقار الامور المادية والتنزه عن الجسد والامور الجسدية، لكونها تجسّد الشر...

ولقد تسرّبت توجهات الغوصية إلى الديانات ومنها المسيحية... الا ان الكنائس حاربتها ولاسيما تلك المؤلفات التي تشوه صورة يسوع كما هي الحال في "انجيل توما" (١١٤ قولاً ليسوع) الذي جعل من يسوع معلم فلسفة، سخي بالخطابات والامثال والحكم .. والتي لا يفهمها سوى المطلعين! وقد جاء في مقدمته : "هيذي الكلمات السرية التي فاه بها يسوع وكتبها يهوذا توما، التوأم" ! ولقد رأى الغنوصيون في توما الرسول مثال التلميذ "العارف" حتى انهم اعتبروه ويسوع توأمين!! اما خاتمته فتعكس احتقاره للنساء حيث نجد في القول ١١٤ ما يلي : "قال لهم سمعان بطرس : لتخرج مريم (المجدلية) من بيننا، كون النساء غير أهل بالحياة، فقال يسوع : ها أنا ارشدها لتصبح ذكراً فتكون هي أيضاً روحاً حيا على مثالكم انتم الذكور. فان كل امرأة تتحول إلى ذكر ستدخل ملكوت السموات" ! (عن: ملفات الكتاب المقدس (بالفرنسية)– العدد ٦٥/ت٢ ١٩٩٦)

ويمكننا ان نرى في المؤلفات اليوحنانية (انجيل، رسائل، رؤيا) آثار مواقف دفاعية ضد انصار الغنوصية، اقله في بعض توجهاتها الاولى – وسيكون ايريناوس (+ ٢٠٢) في مقدمة المناهضين للتيارات الغنوصية عبر كتابه " ضد الهرطقات ".

ان الفن الادبي "انجيل" –ولا مثيل له في آداب العالم!– يكمن في ان الكتّاب او الانجيليين ينطلقون من حدث تاريخي هو حدث يسوع الناصري، ويحاولون تسليط الاضواء عليه لابراز مضمونه اللاهوتي. فان **اولى سمات هذا الفن تقوم في هذا التداخل الرائع والربط المحكم بين الحدث وما يحمله في طياته من مضمون لاهوتي ذي مغزى عميق..** وتقوم **السمة الثانية** في التركيز الذي يكثفه فن الانجيل على **شخص** يسوع، وليس على ما يحوم حوله من تصوّرات او توسّعات تهدف إلى تجميل صورته والتضخيم من مكانته والمغالاة في إعلاء شخصيته، كما فعلت "الاناجيل المنحولة" التي تجاوزت حدود اللياقة

والمصداقية! (**انظر الاطار ٢٦: الاناجيل المنحولة**). إلا ان **السمة الثالثة** الكبرى، فتكمن، كما اسلفنا مراراً، في كون الاناجيل **شهادات ايمانية** تهدف إلى اشراك القارئ في الايمان بالمسيح الحي، في محاولة لترسيخه في هذا الايمان مع كل متطلباته... في معرض الحديث عن هذه الشهادة الايمانية التي يمتاز بها فن كتابة الانجيل -ترافقها عوامل الاقناع او الدفاع-، يؤكد الاب فاضل سيداروس ان الاناجيل الاربعة لا تحذف ما يثير التساؤلات او يكشف عن سوء الفهم، خلافا للاناجيل المنحولة التي تميل دوماً إلى زخرفة الاحداث، بحذف ما يبدو منها مثيرا للشك، واضفاء سمات القدرة الخارقة على يسوع! ويورد شواهد على احتفاظ اناجيلنا بما يبدو، لاول وهلة ، انتقاصاً من مكانة يسوع: "فقد احتفظت بالصورة التي تُظهر أن الآب اعظم من يسوع، وان يسوع يطيع الآب حتى الموت على الصليب حيث يتركه الآب! كما تكلمت عن الآب الذي يعرف الازمنة والاوقات، لا يسوع! واما المعجزات فيقوم بها يسوع بقوة الآب. كما يرفض يسوع الالقاب : المسيح والملك.واحتفظت بالملامح البشرية لصورة يسوع: كالجوع والتعب، الألم والانفعال... كما احتفظت بما لقي تعليمه من رفض وتنبؤ بالاضطهادات وهرب من الجموع..."[٢]

من هنا يتبين ان اناجيلنا لم تهدف التجميل او المبالغة، وانما حاولت ان تعكس صورة أمينة ليسوع تتسم بمنتهى الصدق والبساطة -وتلك هي احدى الدلائل على سلامتها من التحريف! كما ان الانجيليين الذين كتبوا بدافع ايمانهم بالمسيح الحي، شاءوا ان يختفوا لصالح البشرى التي دوّنوها، بخلاف كتّاب الاناجيل المنحولة الذين كثيرا ما طغت شخصيتهم على كتبهم، على حد تعبير الاب سيداروس. ومما يلفت الانتباه في اناجيلنا هو ان الانجيلي لم يسعَ قط إلى تحسين صورة الرسل الاثني عشر ابان معايشتهم ليسوع، والتي كثيراً ما اتسمت بمواقف الضعف والجبن والطمع وقلة الايمان والشك وعدم الفهم والروح الوطنية المتعصبة[٣] ..! وهكذا يتضح ان محور الايمان المسيحي يرتكز على شخص يسوع وليس على الاناجيل بحد ذاتها.. وهي لا تهدف بالتالي سوى ان تكون دليلنا إلى المسيح! ولَكَم سنكتشف عمق هذه الحقيقة حين ندرك بأن الايمان المسيحي ذاته لن يسمح لنا ان نتعلّق بالكتاب -وعلى الاخص لا يسمح لنا ان نتعلّق بحرف الكتاب: فالحرف يقتل، اما الروح فيحيي! (٢قور ٣: ٦)-، وما ذلك إلا لأن ايماننا يرسو على شخص يسوع الذي هو مفتاح الكتاب! أليس هو الذي "فتح اذهان" التلاميذ ليفهموا الكتب...؟

---

[٢] تكوين الاناجيل/ ص ٤٠.

[٣] المصدر ذاته/ ص ٤١.

اطـار ٢٦

الاناجيل المنحولـــة

إلى جانب اسفار العهد الجديد التي حظيت بالمكانة المقدسة ودخلت من ثم في "القانون" (انظر ادناه الاطار ٤٣ حول " قانون العهد الجديد/الفصـل ٦)، هنـاك مؤلفـات مسيحية، يرقى بعضهـا إلى القـرن الاول والثاني حظيت بالاحترام والتقدير، ككتاب الراعي لهرماس والديداكيه ورسالة كليمنتس ورسالة برنابـا ورؤيـا بطرس... فيما أبعد غيرها عن التداول وتعرضت من ثم للضياع، كانجيل مرقيون وانجيل بطرس وانجيل توما...

وقد اطلق على هذه المؤلفات عبارة "منحولـة " –وباليونانيـة "ابوغريفـا" بمعنـى "خفيـة"– لانهـا، مـع كونها تشبه الاسفار القانونية وتنسب إلى رسل ، فهي تحمل آراء غريبة عن الفكر الكنسي القويم. لـذا، ومنـذ الاجيال الاولى، حظرت الكنائس استعمالها أو التداول بها.. وقد أمر ان تبقى " مخفية " اثناء اقامـة الليتورجيـا، وسمح احيانا للمؤمنين ان يطالعوها على انفراد لما تحويه من فوائد تقوية. وبعد اكتمال لائحة الاسفار القانونيـة، شملت عبارة " منحولة " كل المؤلفات التي لم تعترف بها الكنيسة قاعدة للايمان، لا بل حذرت من خطرها علـى الايمان، ولاسيما تلك التي تعكس آراء منحرفة او مضادة، وفي مقدمتها المؤلفات الغنوصية .

ولقد أحصي حوالي ٦٠ مؤلّفاً منحولاً يرقى بعضها إلى القرن٢، فيما يتجاوز بعضها القـرن ٤. وهـي تحمل اسم انجيل (توما ، بطرس ، فيبلس...) او أعمال (يعقوب، بولس وتقلا، بطـرس...) او رسـالة (بولـس الثالثة إلى القورنتيين، برنابا، بطرس إلى فيلبس...) او رؤيا (يعقوب ، بطرس، بولس...). وفيما نعرف بعضهـا من خلال كتابات آباء الكنيسة (انجيل الناصريين ، والعبرانيين، والمصريين...)، نعرف بعضها الآخر معرفة افضل عبر المخطوطات ونخص بالذكر تلك التي عثر عليها عام ١٩٤٥ في نجع حمـادي (مصـر)–شمـال أقصـر– واحتوت على افكار غنوصية.. وفي مقدمة هذه المؤلفات: أنجيل الحق، انجيل فيلبس، انجيل توما.. وهـذا الاخير يرقى إلى حوالي عام ١٤٠ ويحتوي على ١١٤ قولاً ليسوع يلتقي بعضها مع نصوص الاناجيل..

والمؤلفات المنحولة –والاناجيل المنحولة بشكل خاص– تميـل إلى زخرفـة احـداث الانجيـل والمبالغـة في رواية المعجزات.. إلى حد تشويه ملامح يسوع ، إذ تنسب إليه احيانا مشاعر ومواقف غريبة عن روحه! ومـع ذلك فهي تشكل تراثا ادبيا ثميناً يعكس مناخ الافكار والآراء والتيارات الدينيـة السـائدة في القـرون المسيحية الاولى .. ومن هنا فائدتها اليوم في الدراسات!

ومن الجدير بالذكر بان اناجيل الطفولة تحتل حيزاً كبيراً من هـذه الكتـب المنحولـة، ونخص بـالذكر "انجيل يعقوب" –هو من اقدمها (القرن ٢)– الذي يحكي حياة مريم (وهي بموجبه ابنة حنة ويويـاقيم، أقـامت ١٢ سـنة في الهيكـل وخطبـت ليوسـف الأرمـل(!) الـذي كـان لـه عـدة اولاد ! وقـد ولـدت يسـوع محتفظـة ببكارتها...). وهناك "انجيل الطفولة لتوما" الذي يروي معجـزات يسـوع مـا بـين ٥–١٢ مـن عمـره (خلـق طيوراً من الطين! أمات معارضيه على الفور!...)، وكذلك "انجيل متى المنحول".. ويروي في مـا يـروي ولادة يسوع "بيـن الحمـار والثـور"..!

وتجدر الاشارة إلى ان هناك مؤلفات منحولة منسوبة إلى برنابـا (رسـالة ، اعمـال...) تـروي تبشـيره واستشهاده في قبرص... ولا علاقة لها بما يسمى "انجيل برنابا" ، هذا المؤلّف من القرن ١٦(!) والـذي لا قيمـة له تذكر... سيما وانه يعتبر شهادة زور على الانجيل والقـرآن معاً! (راجـع بشـأنه : مجلـة الفكـر المسـيحي – حزيران / تموز ١٩٨٢، شباط ١٩٨٦...).

١- مرقس

مبتكر الفن الادبي "انجيل":

ان الترتيب الحالي للاناجيل في كتاب العهد الجديد يبدأ بمتى، وذلك وفق تقليد عريق يرقى إلى القرن الثاني يكون متى بموجبه اول من دوّن "اقوال" يسوع. انها شهادة بابياس (ما بين ١١٠-١٣٠) مطران منبج في آسيا الصغرى -نقلها لنا اوسابيوس القيصري (القرن الرابع) في كتابه "التاريخ الكنسي"- حيث جاء أن متى "رتّب الاقوال في اللغة العبرية العامة ، وفسّرها كل واحد على قدر المستطاع" . ويتساءل علماء التفسير بشأن هذه "الاقوال" (Logia): هل هي مجموعة اقوال ليسوع بالارامية؟ ام هي انجيل بحصر المعنى؟ وهل انجيل متى الذي بين ايدينا هو ترجمة يونانية لذاك الانجيل الارامي...؟ ومهما يكن، فالواقع هو ان هذا "الانجيل الارامي" المُفترَض لم يصلنا منه أي أثر، وان الانجيل الذي في حوزتنا ليس ترجمة لنص ارامي سابق، وانما هو انجيل مؤلف باليونانية، ويُحتمل انه استقى مما يمكن تسميته "متى الارامي"، تمييزا له عن "متى اليوناني"[٤] والذي يرجح انه قد كتب بين الاعوام ٨٠- ٩٠! وما نسبته إلى متى الرسول إلا لاضفاء ثقل رسولي عليه.

اما انجيل مرقس، فلقد اعتُبر دوماً ملخصا لكرازة بطرس، وفقا لشهادة بابياس ايضاً: "مرقس الذي كان يترجم ما يقوله بطرس، كتب حرفيا كل ما تذكره ، ولكن من دون ان يتبع ترتيب ما قاله الرب وصنعه. فهو لم يسمع الرب و لم يكن له تلميذا، بل كان تلميذا لبطرس في وقت لاحق. وكان بطرس يعلّم بحسب الحاجة دون ان يعمد إلى ترتيب خطب الرب. وهذا يعني ان مرقس لم يرتكب خطأ، إذ انه كتب بعض ما سمعه وفقا لما احتفظ به في الذاكرة. فكان همّ مرقس الوحيد ألا ينقص شيئاً مما سمعه، وألا يزيد عليه أمراً"[٥] .

---

[٤] سنتناول موضوع التبعية بين الاناجيل لدى انكبابنا على "المسألة الازائية" في الفصل الخامس.

[٥] الشهادة مقتبسة عن : دليل إلى قراءة الانجيل كما رواه مرقس - سلسلة دراسات في الكتاب المقدس / رقم ١٤ (ص٦٥) / دار المشرق، بيروت ١٩٨٩.

وإذا كان انجيل مرقس قد ظل فترة طويلة في المرتبة الثانية، فقد اخذ العلماء منذ نهاية القرن ١٨ يتحدثون عن **اولويته على متى ولوقا**. ولقد ترسخت هذه الاولوية مع مطلع القرن ٢٠، وراح المفسرون في السنوات الاخيرة يكتشفون، اكثر فاكثر، أصالة مرقس ومميزات اسلوبه وعمق لاهوته.. حتى تبوّأ موقع مبتكر لفن الانجيل![٦] **(انظر الاطار ٢٧: الصفة التاريخية للاناجيل)**

لقد كان مرقس اذن، **اول من ابتكر "فن" تحويل البشرى إلى انجيل مكتوب**، ولم يكن ذلك بالامر اليسير، كما يخيل إلينا لاول وهلة! والسؤال الاول الذي يتبادر إلى الذهن هو: ما هي الدوافع التي حملت

اطار ٢٧

الصفة التاريخية للاناجيل

(...) لا يمكن لكتاب ، دُوّن بعد الحدث " يسوع"بـ ٢٥ سنة، ان يأتي بصورة فوتوغرافية فقط عن الأحداث. فبين الحدث والتدوين، كانت سيرة الكنيسة الأولى التي احتفظت بذكرى الأحداث وتغذّت منها وأعطتها تأويناً جديداً على ضوء حياتها. وكان نشاط مرقس الأدبي الذي قدّم لقرّائه مؤلّفاً طبعه بفهمه وعقله.

وهنا نبتعد عن خطرين .

١- هناك من يقول: الانجيليون عارفون بالأمور، وكل ما كتبوه حدث، كما يقولون. لا شك في ان الانجيليين يوردون الوقائع التي لا نستطيع إنكارها بطريقة إجمالية فنقول انها لم تحدث. ولكنهم لا يُلزمون أنفسهم بطريقة واحدة أي بسرد التفاصيل التي يوردونها والتي لها معنى روحي أكثر منه تاريخي.

٢- وهناك آخرون، وهم المؤرخون الرديئون: يتخيّلون انهم يستطيعون إعادة بناء الحدث، مستندين إلى قواعد النقد التاريخي. يحاول المؤرخ ان يصنع بناء تاريخياً قابلاً للتدقيق، ولكنه لا يصل إلى بناء الحدث كما هو، بل تسلسلاً للأسباب من الوجهة التي يتخذها(...)

إن كتابة "سيرة يسوع" التي تغنينا عن قراءة الاناجيل هي إذاً محاولة فاشلة. فمثل هذه المحاولات تقودنا إلى بناء محدود يضع جانباً ما لأجله كُتبت الأناجيل . ألا وهو أن تقود القارىء إلى الايمان والرجوع إلى الله. من المفيد من الوجهة الأدبية أن تكون لنا نظرة تاريخية في قراءة الأناجيل .بما ان هذا لا يهمّ الانجيليين، فهذه النظرة تساعدنا على ان نرى الأمرالذي عليه يشدّدون وتعلّمنا القراءة الواعية. ولكن الأناجيل تطلب منا شيئاً غير معرفة ما حصل بالضبط. فهي تدعونا إلى علاقة شخصية بيسوع.. فان نعرف يسوع لا يعني ان نعرف سيرة يسوع فقط.

ويجب ألاّ ننسى انه، إن كان الروح القدس قد تكلّم في يسوع، فهو قد تكلّم في كنيسته أيضاً، عندما كانت تفسّر كلماته وأعماله على ضوء المشاكل التي طُرحت عليها. هذا التأكيد الأساسي نقرأه في الانجيل الرابع: "لا يزال لديّ أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكنكم لا تطيقون الآن حملها. فمتى جاء روح الحق، أرشدكم إلى الحق كلّه" (يو١٦: ١٢-١٣).

---

[٦] بشأن "اولوية انجيل مرقس" انظر الاطار ٣٦ في سياق الفصل الخامس.

ليست ديانتنا ديانة كتاب ولا ديانة حدث تاريخي، انها ديانة الروح.

كيف فهم مرقس رسالته كإنجيلي؟ لم يكتف بايراد كلمات يسوع وأعماله بحرفيتها، وإلاّ لَما ظهر هذا الاختلاف بينه وبين سائر الانجيليين. ولكن كتابه يُبرز وجهات هامة من شخصية يسوع ورسالته، مستفيداً من خبرة الكنيسة وتأملها، راجعاً إلى الوسائل الأدبية الملائمة.(...)

تفرض علينا الوقائع ان نقبل بدورالانجيليين في تدوين الأناجيل. من الأكيد ان يسوع لم يتلفّظ بكلمات التقديس في ثلاث صيغ! ولكن مرقس ولوقا وبولس يأتوننا بنسخات مختلفة. أجل، أظهرالمسيحيون حرية حيال كلمات يسوع لم يظهرها التقليد الربّاني حيال أقوال الربانيين. التقليد الرباني محجَّر.. أما المرونة في درس الأناجيل دراسة نقدية، فإنها تجعلنا نكتشف ان هذا الدرس لا يضايق المؤمن الذي هو على يقين من أن الروح القدس حاضر في كل هذه الممارسة. وأما التصلُّب عند بعض المسيحيين المرتبطين بالتاريخ، فهو علامة قلّة ايمان بعمل الروح اليوم .

جان ديلورم

عن : دليل إلى قراءة الانجيل كما رواه مرقس

(دراسات – رقم ١٤/ ص ٧٧-٧٨)

مرقس، وسائر الانجيليين من ثم، إلى تحويل "الانجيل / البشرى" إلى "نص" يروي "قصة" يسوع ويسرد حياته وأعماله الخ...؟ وهذا السؤال يخفي سؤالاً اكثر اهمية: **كيف تم الانتقال، بفضل الانجيل المكتوب، من يسوع المنادي بالبشرى إلى يسوع المنادى به بصفته "بشرى الله"** –وقد صدّر مرقس انجيله بهذه العبارة: "بدء انجيل (بشارة) يسوع المسيح ابن الله"؟

للاجابة إلى هذين السؤالين المترابطين يمكننا، قبل كل شيء، القول بأن المسيحيين الاولين، في غمرة السعادة التي عاشوها بقبولهم بشرى يسوع ،كانوا ولاشك يطالبون المبشّرين بأن يتركوا لهم "مسوّدات" مكتوبة عن تبشيرهم لتكون "مرجعًا" يذكّرهم بمضمون هذا التبشير ، فينعش إيمانهم ويستحث هممهم لاتباع المسيح والعيش بموجب تعاليمه واقتفاء مثال حياته... ولنا في كتابات القديس كليمنتس الاسكندري (+٢١٥) شهادة، يكون مرقس بموجبها قد كتب انجيله نزولاً عند طلب المؤمنين الذين بشّرهم معلمه القديس بطرس.. ويضيف كليمنتس بأن القديس بطرس رضخ اخيراً لهذا الطلب، بعد ان كان قد أبدى معارضته لفكرة التدوين، خوفا من ان تصبح البشرى كتابا ميتا![٧]

[٧] راجع: تكوين الاناجيل / شهادة كنيسة الاسكندرية /ص٦٣ . ان شهادة كليمنتس التي تفترض ان القديس بطرس كان حيا حين كتب مرقس، تعارضها شهادة ايريناوس (حوالي عام ١٨٠) التي تؤكد، انطلاقا ولا شك من شهادة بابياس العريقة، ان مرقس كتب ما كان قد بشّر به بطرس. أي انه كتب ذكرياته حين لم يعد بطرس على قيد الحياة.

وأية كانت الظروف التي حملت مرقس على الكتابة، فان الدافع العميق يكمن في قصده بأن يكشف لقرائه "سر" مسيحانية يسوع، وهذا القصد يتجلى بوضوح في فاتحة انجيله. إلا ان يسوع الذي يقدمه لقرائه ليس شخصاً من الماضي، وانما هو بشرى دائمة الحضور، وما ذلك إلا لكون يسوع المصلوب هو ذاته يسوع الحي القائم من بين الاموات والممجّد والحاضر في جماعة المؤمنين به[٨].

ولقد تحقق أهل الاختصاص من أن مرقس لا يتكلم عن يسوع بصيغة الماضي، وانه قلما استعمل افعاله بهذه الصيغة، بل يفضّل عليها دوماً صيغة الحاضر! ويقول الاب أ. شربنتييه بهذا الصدد : "ليس في ذلك قلة مهارة ادبية عنده، بل هناك بالاحرى اقتناع لاهوتي بأن يسوع الذي يتكلم عليه في نص الانجيل لازال حاضراً في جماعته، وحيا بنوع خاص في الافخارستيا. فمن ذكر يسوع، عنى في الوقت نفسه، في نظره، انه غائب (تاريخ حياته الارضية تنتمي إلى الماضي) وانه حاضر في آنيّة جماعته التي تؤمن به وتكرّمه"[٩].

لقد كان مرقس، اذن، اول من كتب **"انجيلاً"** موجزاً -قد لا تستغرق قراءته ساعة من الزمن!-، وكان من ثم اول من وضع اطاراً تاريخياً وجغرافياً لحياة يسوع سيستلهمه من ثم متى ولوقا... إلا ان السؤال المهم الذي يفرض نفسه هو: كيف وُفّق مرقس إلى"تأليف" انجيله ؟ هل كان يكتب ما كان بطرس يمليه عليه، ام كان له مصدر او مصادر استقى منها معلوماته بشأن اقوال يسوع ومعجزاته وامثاله الخ...؟

حين سنبحث المسألة الازائية، في الفصل التالي، سنكتشف سبب التقارب والائتلاف والتطابق احياناً بين الانجيليين الازائيين الثلاثة، والذي يعود بالدرجة الاولى إلى المصادر المشتركة. غير اننا ننكب الآن على استقصاء " الخلفية " الاولى التي كانت في أصل الانجيل، والاناجيل من ثم . وهذه " الخلفية " هي على شكل **"وحدات ادبية"** يمكن تشبيهها بـ "مجموعة كراريس" كانت حصيلة النشاطات الثلاثة الرئيسة التي استعرضناها في الفصل الثالث. انها بمثابة " النتاج" الادبي -في صيغته الاولى- الذي تركه لنا الجيل الاول من المسيحيين في "اقوال" و "امثال" و "معجزات" يسوع، وفي مقدمتها روايات " الآلام والقيامة".

ان ما نسميه "مجموعة كراريس" هو في الواقع مجموعة من الوحدات الادبية، في شكل روايات، تضم كل مجموعة مجمل النشاطات المتجانسة في حياة يسوع. وقد توصل اهل الاختصاص الى القول بأن هذه المجموعة من الكراريس في " الآلام" وما سبقها

---

[٨] سنتناول قصد مرقس اللاهوتي حين نستعرض، في سياق المداخل إلى اسفار العهد الجديد، الخطوط العريضة لانجيله/الفصل ٦.

[٩] الدليل/ ص ١٣٢.

وتلاها من روايات، إلى جانب "الاقوال" و "الامثال" و "المعجزات" و"المناظرات".. غرف منها كتّاب الاناجيل وفق ما ينسجم مع مخططهم ويخدم قصدهم اللاهوتي وحاجات قرائهم...

الا ان هذه **الوحدات الادبية** التي افترضها الاختصاصيون، انطلاقاً من انكبابهم على دراسة النصوص الانجيلية وتحليلها والمقارنة في ما بينها، ليست في حوزتنا، وانما **نستشف وجودها من قراءة دقيقة للاناجيل..!** فحين نتصفح الاناجيل يدهشنا "تجمع" سلسلة من "الاقوال" في فصل او اكثر، بحيث تبدو وكأنها "خطب" فاه بها يسوع دفعة واحدة ! أليس انجيل يوحنا، في مجمله، سلسلة من " الخطب" تفوه بها يسوع في مناسبات عدة، واكثرها طولاً خطبة الوداع(١٣- ١٧) ؟! أليست "خطبة" يسوع في انجيل متى، وعلى مدى ثلاثة فصول (٥-٧)، هي في الواقع مجموعة اقوال وُصلت بعضها ببعض فشكّلت " خطبة " او عظة طويلة، شاء متى ان يضعها في مفتتح رسالة يسوع الذي من "على الجبل" راح يعلّم تلاميذه بصفته موسى جديداً -فيما نقرأ فقرات متفرقة منها وضعها لوقا على لسان يسوع الذي نراه يكلّم تلاميذه وجمعاً كثيراً "في مكان منبسط" (٦: ١٧-٤٩)! وهكذا هي الحال مع مجموعة "المعجزات" التي صنف انجيل متى عشراً منها، الواحدة تلو الاخرى، وعلى مدى فصلين (٨- ٩)، أو مع مجموعة من "الامثال" التي نجدها مجتمعة في انجيل متى (١٣) او في انجيل لوقا (١٥- ١٦)...

ونجد في الاناجيل، من جهة اخرى، اصداء لنشاط يسوع في مدينة او مقاطعة.. وقد يكون هذا النشاط خلاصة عدة نشاطات قام بها، وعلى دفعات، في تلك المدينة او تلك المقاطعة، ولا عجب إذا كانت تلك المقاطعة او المدينة قد احتفظت بـ "ذكريات" عن مرور يسوع فيها وما قاله او صنعه ابان تردده إليها.. وقد جمعها الانجيلي في مقطع واحد! ففي الصفحات الاولى من انجيل مرقس (١: ١٤- ٣٩)، نجد يسوع قد عاد إلى الجليل ودخل كفرناحوم.. وسرعان ما يخيل إلينا اننا بازاء يوم مليء بالنشاط هو "يوم كفرناحوم"، وقد جرت فيه نشاطات كثيرة: يدعو اربعة تلاميذ إلى اتباعه، ويدخل معهم إلى كفرناحوم حيث يعظ في المجمع يوم السبت، ويخرج الروح النجس من الرجل، ويشفي حماة بطرس بعد خروجه من المجمع. ومع غروب الشمس يجري اشفية عديدة ويطرد كثيرا من الشياطين، ويستيقظ قبل الفجر ويذهب ليصلي في مكان قفر إلى ان يبحث عنه سمعان واصحابه.. وحين يجدونه يذهبون معه من جديد للتبشير في مكان آخر..!!

فما قلناه في "يوم كفرناحوم" يمكننا ان نقوله عن "الجليل" حيث حصر لوقا في هذه المقاطعة رسالة يسوع على مدى خمسة فصول (٤: ١٤ -٩ :٥٠)، او عن "الصعود الى اورشليم" وقد جعل منه اطاراً للقسم المركزي من انجيله والذي يمتد على

١٠ فصول (٩: ٥١ - ١٩: ٢٨)، او عن "اورشليم" حيث يجمع الانجيليون الازائيون، في "مقطع" واحد، العديد من جدالات يسوع ومواقفه وامثاله.. وكأنها قد تمت في زيارة واحدة للمدينة المقدسة، بخلاف انجيل يوحنا الذي يوحي بعدة زيارات لها -فكان له من ثم الفضل في الكشف عن امتداد رسالة يسوع العلنية على قرابة ثلاث سنوات!

٢- شهادة وليست صورة ليسوع

وفيما نسعى الى ان نتفاعل، بكثير أو قليل من اليقين، مع منطق هذه العملية "التركيبية" التي كانت وراء الروايات الانجيلية الاربع التي بين ايدينا، يعاودنا الشعور بالاسف لعدم حيازتنا على "تسجيل" كامل للاقوال التي فاه بها يسوع! وقد تدغدغنا مثل هذه الاحلام : ليتنا كنا نحصل على " صور" حية عن يسوع ابان جولاته الرسولية، وعن احاديثه مع تلاميذه.. ولقاءاته مع الجماهير.. ومجادلاته مع الكتبة والكهنة والفريسيين وسائر الفئات الدينية والاجتماعية... ونتمنى في عمق احلامنا لو كان لنا عن يسوع "فيلم وثائقي" مدعوم بالصورة والصوت! وفي اعتقادنا، ان تلك هي الطريقة المثلى للدخول إلى معرفة يسوع معرفة اكثر عمقاً واكثر دقة !

مثل هذه الاحلام التي تبدو لأول وهلة شرعية، هي في الاساس من سوء الفهم الذي كثيرا ما نُمنى به ازاء الاناجيل، والتي نريدها تعكس " صوراً " ليسوع طبق الاصل! كما انها سرعان ما تتحول إلى امنية خطيرة " لدمج" الاناجيل الاربعة في واحد، يسفر عن صورة واحدة وموحّدة ليسوع!! ولكي نبعد عن فكرنا ، والى غير رجعة، مثل هذه الاحلام والتمنيات التي تبعدنا عن اكتشاف **"وجه"** يسوع الحقيقي، نؤكد من جديد بانه يجب ان نرى في الاناجيل الاربعة "لوحات" تعكس وجه يسوع، انكبّ على رسمها انجيليون هم اشبه بفنانين وضعوا، لابراز ملامحه، كل "فنهم"،و بالأخص كل ايمانهم وحبهم! وهيهات للوحاتهم ان تعكس تلك الملامح باجمعها.. ولم تدّع ذلك قط! ألم يختم الانجيلي الرابع روايته بهذه الكلمات التي تبقى ترنّ في آذاننا: "واتى يسوع امام التلاميذ بآيات اخرى كثيرة لم تكتب في هذا الكتاب..." (٢٠: ٣٠)؟!

ان اللوحة الفنية، في حدّ ذاتها،لا تتخذ معانيها وابعادها إلا بقدر ما تنكشف هذه المعاني والابعاد للناظر إليها، سواء توصل إلى هذا الكشف بقوّة وحي تلك اللوحة، ام تمّ له ذلك بفضل وسطاء لفتوا انتباهه إلى ما فيها من غنى وعمق وايحاء... ويحدث لنا ذلك حين نكون في صالات معارض الفنون التشكيلية ، وبشكل خاص في معارض الرسوم واللوحات والصور، سواء كانت لوحات زيتية ام تخطيطات ام صوراً فوتوغرافية.. وسواء كانت رسوم اطفال أم أعمال فنانين كبار..! فكثيرا ما نقف امام

إيقونة بيزنطية من القرن ١٦ تزين الباب الملوكي لجدار الايكونوستاز في واجهة المذبح.

لوحة توحي لأول وهلة بمشهد لا تنكشف اسراره ومعانيه الاّ شيئاً فشيئاً، وبمقدار ما يسعى صاحب اللوحة إلى فك رموزها والغازها، كي يُدخلنا إلى عمق التعبير الذي سعى إليه. ويصح ذلك حتى في الصور الفوتوغرافية التي تبدو، لأول وهلة، واضحة كونها تخلّد شخصاً او مشهداً او موقفاً.. غير ان المعاني والتعابير والايحاءات التي تخفيها لا تنكشف إلا بفضل تفاصيل يكشفها المصوّر ذاته او يفسرها شاهد للصورة كان حاضرا لدى التقاطها، بحيث تعود تلك الصورة الجامدة فتضحي صورة ناطقة بامكانها ان تعبر عن كل ما فيها من بُعد وغنى.

وهكذا هي الحال بالنسبة الى الاناجيل التي لا تقدم لنا "صوراً فوتوغرافية" ليسوع بقدر ما **تعكس لنا وجه يسوع بكل غناه**، كما عرفه الانجيليون الذين دوّنوا شهادتهم الايمانية ، وهي بدورها حصيلة ايمان "اولئك الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة ثم صاروا عاملين لها"(لو١: ٢).

ولن نغالي إذا قلنا بأن علينا ان نفرح كون الاناجيل لم تكتب على الفور، وانما كتبت بعد سنين طويلة ، ليقول لنا كتّابها -وهم شهود ايمان- ما فهموه من سر يسوع الذي لا يستقصى..! فمن شأن هذه الشهادة أن تدخلنا بعمق إلى سر يسوع، إن لم نقل إنها تحملنا على اللقاء به، اكثر بكثير مما لو كان لنا "صور" ليسوع -إذ ليس بامكان هذه الصور أن تحيط بغنى شخصيته وسحرها... (**انظر الاطار ٢٨: مستويات تفسير كلمات يسوع**). فليس المهم، إذن، ان تكون لنا "**صورة**" ليسوع، وانما **ان تكون هذه**

الصورة حية وناطقة! ولن تكون كذلك إلا بفضل المعاني التي اضفاها الانجيليون على تلك الملامح، هم الذين سعوا إلى ان يقولوا لنا، من خلال "لوحاتهم"، من هو يسوع وكيف عرفوه.. ويكشفوا لنا عن المسيرة الطويلة التي قادتهم إلى اكتشاف سّره، وما احدثه هذا الاكتشاف من تغيير جذري في حياتهم وحياة جماعاتهم المسيحية المؤمنة التي يقاسمونها الايمان والحب...

وهكذا **تبقى حياة يسوع "كتاباً" مفتوحاً** يستطيع كل مؤمن، في كل زمان ومكان، أن يجد فيه ما يقوله يسوع وما ينتظره من تلاميذ يعيشون احداثا جديدة

اطار ٢٨

مستويات تفسير كلمات يسوع

نطرح على أنفسنا أسئلة خاطئة حين ننسى ان الوضع البشري وضع متطور. نحن نقرأ ما قاله يسوع ونكيّفه بحسب الزمان الذي نعيش فيه. لنأخذ هذا الكلام مثلاً: "في جملة الحضور ههنا مَن لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ملكوت الله آتياً بقوة" . هذه الآية يوردها متّى على الشكل التالي: "في جملة الحضور ههنا مَن لا يذوقون الموت قبل أن يشاهدوا ابن الانسان آتياً في ملكوته" (متى ١٦: ٢٨). من الممكن أن يكون متّى قد فكّر بأن هذا المجيء دُشّن بقيامة يسوع (راجع متى ٢٦: ٢٤؛ ٢٨ : ١٨؛ في ١٣: ٣٧ - ٤٣) يوحي بأن ملكوت الله حاضر، إذ بالقيامة بدأ برنامج يسوع النهيوي يتحقّق. ولكن ليست هذه طريقة مرقس لفهم كلمة يسوع...في الواقع، لا نستطيع أن نصل إلى كلمة المسيح إلاّ عبرَ الذين أوردوها وفهموها بطرق مختلفة، عبرَ التفاسير التي قدّموها بحسب المشاكل التي تطرّقوا إليها.

إذاً، مَن هو يسوع الحقيقي؟ يسوع متّى، يسوع مرقس، يسوع لوقا، يسوع يوحنا ؟ لا يستطيع الشرّاح أن يبتّوا. يجب أن ننظر إلى كل الانجيليين، لأن الوحي عُبّرَ عنه في الزمن، ويسوع تكلّم لأناس عصره، لا عن تخطيط، بل عن ضرورة. لا نخف أن نقول: ان يسوع كإنسان هو انسان من الماضي، وقد أُرغم على الموت. ولكن، بعد موته، توالى الوحي بالقيامة وعطية الروح وانتشار الانجيل وتأسيس الكنيسة. ان كلمات يسوع قُرِئَت وأُعيدَت قراءتها تبعاً للحاضر الجديد.(...)

يمكننا أن نعيد تكوين ما حدث في الماضي، ولكن يبقى عملنا افتراضاً. من هذا القبيل، لا تضارب بين رجاء يقاسمه يسوع عن قرب ملكوت الله، وهذا التأكيد انه يجهل اليوم والساعة. هو ينتظره قريباً ولكنه يجهل اليوم والساعة: إذا لا بدّ من التوبة والعمل بسرعة. هذا هو المهمّ بالنسبة إلى السامعين. ثم ان المسيحيين استندوا إلى هذا التأكيد لجهل اليوم والساعة (وبولس منهم) ليتجاوزا ما يقيّدهم. قال بعضهم: الملكوت قريب، اذاً، لن نعمل شيئا. أجابهم بولس: لا ، لأنكم لا تعرفون الزمن (١تس٥: ١-٣؛ ٢تس٢: ١-٣؛ ٣: ١١-١٢). ثم، بفضل هذا الجهل، جرّدنا انتظار الملكوت من سيناريو النهيوية اليهودية ، والتي تجاوزها تعليم المسيح في جوهره.

جان ديلورم

عن: دليل إلى قراءة الانجيل كما رواه مرقس

(دراسات - رقم ١٤/ص ٦٦)

ويتعرضون لمشاكل جديدة، ويُطالَبون من ثم بمواقف جديدة..! فلسنا إذن مقيدين بكتاب نبحث فيه عن تعاليم او وصايا نوردها في حرفيتها.. وانما ميزتنا تكمن في أننا علّقنا رجاءنا على شخص حيّ نستلهمه في ما نعيش من ظروف واحداث ومواقف... ومن ثم سيكون باستطاعتنا، ومن دون أي تشويه، أن نضع على لسانه -كما فعل الانجيليون أنفسهم، وهم يكتبون لجماعات السبعينات او الثمانينات- اقوالاً لم ينطق بها، وننسب اليه مواقف كأنه يمليها علينا اليوم! ذلك لأن **جماعاتنا المسيحية اليوم، وفي كل مكان، ستكون الموقع الذي فيه نفهم سر يسوع**، ومنه نستوحي ما يريده وينتظره منا...

ثانياً: الفنون الادبية في الاناجيل

قلنا بان كتابة الانجيل، بصفته بشرى مدونة، كان فناً ادبياً فريداً. إلا ان ذلك لا ينفي كون الكتّاب استخدموا الاساليب الادبية الشائعة في زمانهم، وليس في ذلك تحجيم او تقليل من أصالة التأليف. علماً بان الاصالة في التأليف تكمن في قدرة الكاتب على الابلاغ، بما لديه من وسائل واساليب وطرق تعبير يوظّفها في خدمة الاهداف التي يسعى إليها ...وهكذا كان في متناول الانجيليين اساليب عديدة استقوها من التراث الكتابي الدسم الذي كانت لهم معه صلات وثيقة، بحكم تأصّلهم في ايمان الكتاب المقدس -وهو اشبه بموسوعة تضم اسفاراً تمثلت فيها مختلف اشكال الاساليب الادبية...

لنأخذ مثلاً:

ولكي يكون لنا تصوّر تقريبي عن طرق التعبير التي استخدمها مؤلفو الاناجيل لابلاغ بشرى يسوع، لابد لنا من التوقف قليلاً للنظر في الاساليب التي نستخدمها نحن اليوم، حين نريد ان نروي حدثا كان له وما يزال اثر بالغ في حياتنا ، سواء كان حادث اصطدام وقع لنا، أم فرحة كبرى عشناها، ام منعطفا تاريخيا في حياة القرية او المدينة او البلد كنا شهوده او كان لنا فيه دور رئيس... ويتضح لنا للحال ، على سبيل المثال، ان حادث الاصطدام الذي وقع لنا سنرويه لموظف شركة التأمين بشكل يختلف تماما عما نرويه لصديق او للحداد الذي سيشرف على تصليح السيارة! فحين نتحدث مع موظف التأمين، لن ندخل في تفاصيل لا طائل تحتها، كالتي تتعلّق بمشاعرنا ومخاوفنا.. وانما سنكتفي بالاجابة إلى الاسئلة التي من شأنها ان تثبت مسؤولية الحادث والاضرار التي نجمت عنه... وبكلمة سنسعى إلى جعل رواية الحادث تدخل ضمن "قالب" تعكسه

استمارة التأمين التي تحمل معلومات تحدد هوية المعنيين بالحادث من متضررين وشهود، كما تحدد ظروف المكان والزمان. اما حين نروي الحادث لصديق يهمه اقل تفصيل يتعلّق بنا، فسنرويه بتفاصيله، محاولين اشراكه في مشاعرنا وانفعالاتنا.. وحتى في الخواطر التي اجتاحتنا ابان الحادث وفي اعقابه..! وفي هذه الحالة تكتسب روايتنا حرية اكبر، وتُضفى عليها حيوية خاصة تجعل صديقنا يتعاطف معنا ويشعر نفسه معنيا بالحادث!

من هذا المثل يتضح لنا اننا بازاء شكلين على الاقل من الرواية: رواية تدخل ضمن "قالب" او عدة "قوالب" جاهزة[١٠] ومصنوعة مسبقا، ورواية تتخذ "اسلوباً" او "اساليب" تختلف باختلاف الاشخاص الذين يروونها، واختلاف التفسيرات التي يضفونها على روايتهم: فقد يكون الواحد بسيطاً جداً في روايته، متوخيا الدقة والموضوعية التي تتجاوز المشاعر.. فيما يكون الآخر كثير الاسهاب، فيتوقف لدى تفاصيل دقيقة ويُدلي بمعلومات مثيرة تضفي على روايته ديناميكية خاصة وواقعية فريدة.. وقد يختار غيره اسلوباً فضفاضاً، فيضخم اقل تفصيل ويجعل منه مأساة او ملحمة!

وهكذا يساعد هذا التمييز الاختباري بين "القوالب" الجاهزة و"الاساليب" على فهم "الفنون الادبية" المختلفة في الاناجيل. ذلك لأن الانجيليين ، مع كل ما كانوا يتمتعون به من كفاءة، لم يكن بوسعهم الا ان يستفيدوا من اساليب التعبير المألوفة في زمانهم، لا بل انهم استخدموا "الفنون الادبية" السائدة آنذاك.

لننكبّ على استعراض "القوالب" الرئيسة التي استخدمها الانجيليون، سواء في رواياتهم للأحداث البارزة من حياة يسوع، ام في اصداءاتهم لاقوال يسوع. ففي شكلي القوالب (الروايات والاقوال)، سيتسنى لنا ان نتبين الاهداف العميقة التي يقصدها الكتّاب، ألا وهي باختصار: إحداث ردود فعل لدى القراء، كونها تطرح عليهم تساؤلات جوهرية حول شخص يسوع، وتنتظر منهم، من ثم، اجوبة ليست هي سوى اجوبة الايمان!

في فقرة اولى نتناول ابرز القوالب ذات الطابع الروائي التي انسكبت فيها الروايات عن يسوع، وهي: **المعجزة والمناظرة والحكمة المحاطة باطار**. وفي فقرة ثانية

---

[١٠] حين نتحدث عن قوالب جاهزة، فذلك لا يعني اننا نحجّم دور المؤلفين الذين بامكانهم ان يعبروا عن افكارهم عبر القوالب والاوزان الشعرية او عبر الفنون الادبية كالقصة القصيرة.. فيلتزمون من ثم قواعد ومقومات هذه الاوزان أو الفنون، ويتقيدون بها .

نستعرض ابرز القوالب /الاقوال ذات الطابع التعليمي والتي انسكبت فيها اقوال يسوع، وهي: **المثل والدعوة والخطب والاقوال العائمة**[11]. ونرجئ إلى فقرة ثالثة ورابعة البحث في "الاساليب".

١- القوالب/ الروايات

أ- رواية المعجزات :

ليست معجزات يسوع غريبة عن مناخ الايمان الذي تسبح فيه اسفار الكتاب المقدس. فالمعجزات كانت دوماً علامات ترافق رجال الله وانبياءه والناطقين باسمه، من موسى وهارون إلى آخر الانبياء، مروراً بالنبيين الكبيرين في التاريخ المقدس: ايليا وتلميذه اليشاع. ولطالما عكست لنا اسفار العهد القديم هذا الفن الادبي المعروف: رواية الخوارق والمعجزات والآيات التي صنعها الله في وسط شعبه وعلى يد اصفيائه ومختاريه...

فالسؤال المهم المطروح ازاء الاعجوبة او المعجزة، ليس هو: ماذا جرى؟ وانما: ما معنى ذلك! تلك كانت الوجهة الهامة لدى معاصري يسوع الذين لم تكن المعجزات بالنسبة إليهم امراً غريباً.. فكان يهمهم بالاكثر ان يدركوا معناها ومدلولها! ولذا كان السؤال الموجه إلى يسوع: بأي سلطان تفعل هذا ؟ ولَكَم كان معبِّراً جوابه: إذا كنت بروح الله اطرد الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله! (متى ١٢: ٢٨)! فالمعجزة هي إذن علامة.. وعلامة للمؤمن فقط! وهكذا تتخذ رواية المعجزة لديه مساراً يختلف كلياً عن التفسير الآخر الذي يدلي به غير المؤمن، ولاسيما ذاك الذي يصرّ على عدم الايمان.. كما تجلّى ذلك في موقف خصوم يسوع! انها للمؤمن نداء ورسالة من الله، لا بل انها "كلمة" من الله إليه! فهو لا يطرح السؤال بصيغة: ماذا جرى؟ بل يتساءل عن معنى ما جرى؟

---

(11) ننطلق من الدليل (ص ١٣٤ - ١٣٥) ومن كتاب "من الاناجيل إلى الانجيل" (ص ٤٣ - ٤٩) فنتوسع في مختلف اوجه هذه " القوالب " (الروايات والاقوال) كما في مختلف اشكال " الاساليب"، مؤكدين مع الاب شربنتييه ان التمييز بين "القالب" و "الاسلوب" هو تمييز تجريبي صرف يساعدنا على فهم طرق التعبير التي استخدمها الانجيليون .

المعجزة للمؤمن .. رسالة من الله! "أعمى أريحا": نيكولا بوسّان (١٥٩٤-١٦٦٥) -متحف اللوفر- (باريس).

ففي هذا الاطار يروي الانجيليون خبر معجزات يسوع، لا ليُدهشوا قراءَهم بقدرة يسوع -فتلك ليست غايتهم- وانما كي يثيروا لديهم تساؤلات جوهرية حول ذاك الذي ما تكلّم مثله احد قط (يو٧: ٤٦)! والذي تحمل كلماته -مقترنة بالافعال- نوراً ودعوة ورجاء... وسيشدد الانجيليون في رواياتهم على اهمية الايمان الذي يسبق المعجزة! ذلك لان الانسان لا يؤمن بسبب المعجزة.. كما ان المعجزة ليست برهانا حتمياً يقوده إلى الايمان، انما يمكنها ان تكون سؤالاً يساعد المؤمن على اكتشاف المعنى الذي تتضمنه.. فهي إذن علامة للسير نحو الايمان[١٢] ! **(انظرالاطار ٢٩: البعد الآني لاخبار المعجزات).**

اطار ٢٩

البعد الآني لأخبار المعجزات

نلاحظ اليوم انه لا بدّ من وضع معجزات يسوع في إطار نشاط عجائبي أعمّ: هناك مقسّمون وشافون عند اليهود وعند الوثنيين، ويحصل أن تُدوّن أخبار العجائب الانجيلية بطريقة تقرّبها إلى الأخبار الوثنية، فتستعمل صورة عامة للعرض وعناصر كثيرة (لمس، عبارات سرية، اعتزال عن الناس ...)، غير ان الأخبار الانجيلية تتّسم بالرزانة أكثر من الأخبار الوثنية، ولها بُعد مسيحي: هي تفيدنا عن شخص يسوع غير ما تفيد الأخبار الوثنية عن المجترح .

تفيدنا بأن يسوع هو الله! فالمعجزة بحد ذاتها ليست علامة ألوهية من يُتمّها (ايليا، اليشاع). ثم ان العهد الجديد لا يسمي يسوع الله، بل ابن الله. يتكلم يسوع عن علاقة فريدة مع الآب، ولكنه لا يقدم نفسه على‌انه يهوه بيننا. يمكن أن تكون المعجزة التي اجترحها يسوع مستَنَداً لمصداقية كلماته (مثلاً حين يطالب بسلطة إلهية لمغفرة الخطايا)، ولكنه يطلب منا أن نؤمن بكلمته. المعجزة في حد ذاتها لا تبرهن عن شيء.

---

[١٢] راجع الدليل / ص ١٨١ - ١٨٢.

تبدو المعجزات بشكلين في التقليد الانجيلي: في أخبار معجزات لم يروها يسوع بنفسه، بل رواها المسيحيون؛ وفي كلمات يسوع على معجزات يبدو فيها يسوع متحفظاً. هو يرفض أن يجترح معجزات، ويتذمر ان يطلب منه أحد أن يجترح معجزة، أو يتأوّه لعدم فائدتها لمن يجترحها (مر ٨: ١٢؛ متى ١١: ٦؛ ١١ : ٢١-٢٤؛لو ١١: ٢٩ - ٣٢، راجع يو ٢: ٢٣- ٢٥؛ ٤: ٤٨؛ ٦: ٢٦- ٢٧).

لم تعد عقليتنا اليوم كعقلية أبناء القرن الأول المسيحي. فبتأثير من الغرب، نحاول أن نفسّر بعقلنا كل ما يحدث في العالم. ولهذا، حددنا المعجزة تجاوزاً لشرائع الطبيعة. ولكن هذا التحديد لا يكفي، ونحن لا نستطيع أن نطبّقه على العجائب الانجيلية. في القرن الأول، لم يكن الناس يهتمون بشرائع الطبيعة. أمّا نحن فتبدّلت عقليتنا وصارت معجزات الانجيل لنا موضوع ايمان أكثر منه علامة تساعدنا على الايمان! على كل حال، تبدو أخبار المعجزات أكثر صلاحاً لتغذية ايماننا، لا لتأسيسه. ومن المؤكّد أن لا أحد منا يقبل الايمان لأنه تحقّق من واقع المعجزات الانجيلية. نحن نؤمن بيسوع، لأنه يبدل حياتنا ولأن اعلان المسيح القائم من الموت يضفي معنىً جديداً على كل ما نعيشه، ويولّد علامات جديدة يقرأها ايماننا.

لا شك في ان يسوع مارس نشاطاً عجائبياً، وكان لهذا النشاط أهميته منذ ألفي سنة . ولكن، ايماننا لا يُبنى اليوم على علامات المصداقية عينها. وإذا أردنا أن نستفيد من قراءة أخبار المعجزات وأن نكتشف الوحي الذي تتضمنه عن يسوع ، يجب أن نكون قد سرنا إليه بطريقة أخرى عبرَ شهادة الكنيسة اليوم. حينئذ تُفهمنا معجزات المسيح ما يريد أن يفعله في قلوب المؤمنين. بهذا المعنى تبدو المعجزات مهمة لنا في عالم اليوم.

جان ديلورم
عن : دليل إلى قراءة الانجيل كما رواه مرقس
(دراسات - رقم ١٤/ص ٥٩)

وتتضمن رواية المعجزة عناصر اساسية تنسج بنيتها الادبية، بحيث يحملنا أي تحوّل في سياق هذه العناصر إلى التساؤل: هل الكاتب يسرد قصة معجزة، ام أنه يريد أن يذهب بالقاريء إلى ابعد من حدود الرواية ؟! وهذه العناصر هي:

١- مقدمة هي بمثابة مدخل إلى عرض الحالة في خطورتها وظروفها...

٢- التماس يتقدم به طالبو المعجزة يعبر عن ايمانهم وثقتهم بصانع المعجزة

٣- جواب صانع المعجزة وتدخّله في اجتراحها

٤- مفعول هذا التدخل ونتائجه لدى المستفيد منها

٥- ردود الفعل لدى شهود المعجزة ، سواء كانت ايجابية (ايمان، خوف، تمجيد...) ام سلبية (نكران، رفض، حقد...)

هذه العناصر الخمسة نجدها، بشكل يكاد يكون مطلقا، في كل روايات المعجزات لدى الانجيليين. لنأخذ روايتين لدى مرقس تحكي الاولى شفاء مجنون (١: ٢٣- ٢٧) وتحكي الثانية معجزة تسكين العاصفة (٤: ٣٥-٤١) وكلتاهما مروّيتان بشكل يكاد يكون واحداً!

شفاء مجنون (مر ١: ٢٣-٢٧)	تسكين العاصفة (مر ٤: ٣٥-٤١)
١- مقدمة	**١- مقدمة**
٢٣ وكان في مجمعهم رجل فيه روح نجس، فصاح:	٣٧ فعصفت ريح شديدة واخذت الامواج تندفع على السفينة حتى كادت تمتلىء
٢- التماس ومناشدة	**٢- التماس ومناشدة**
٢٤ ما لنا ولك يايسوع الناصري؟ أجئت لتهلكنا؟ انا اعرف من انت: انت قدوس الله	٣٨ب... فايقظوه وقالوا له: يا معلم اما تبالي اننا نهلك
٣- تدخل يسوع وامره	**٣- تدخل يسوع وأمره**
٢٥ فانتهره يسوع وقال: اخرس واخرج منه	٣٩ أ فاستيقظ وزجر الريح وقال للبحر : اسكت اخرس
٤- النتيجة	**٤- النتيجة**
٢٦ فخبطه الروح النجس وصرخ صرخة شديدة وخرج منه	٣٩ب فسكت الريح وحدث هدوء تام
٥- رد الفعل	**٥- رد الفعل**
٢٧ فدهشوا جميعا حتى اخذوا يتساءلون: ما هذا؟... حتى الارواح النجسة يامرها فتطيعه!	٤١ فخافوا خوفا شديدا وقال بعضهم لبعض: من ترى هذا حتى تطيعه الريح والبحر !

لاحظنا ولا شك ان رواية مرقس للمعجزتين تتبع نمطاً واحداً يتألف من خمس نقاط أو خمسة مشاهد. إلا انه في روايته لمعجزة تسكين العاصفة[١٣]، وفي الآية ٤٠، -ولم نثبتها في النص كونها تشكل عنصراً اضافياً- يضع مرقس على لسان يسوع هذه العبارة: "ثم قال لهم: ما بالكم خائفين هذا الخوف؟ أإلى الآن لا ايمان لكم؟"! وهكذا نجدنا بازاء فقرة تخرج عن "القالب"، وللحال نكتشف ان مرقس لا يروي قصة معجزة وحسب، وانما أراد ايضاً من خلال روايته أن يلقي درساً ويستخرج مغزى لقرائه الذين قد يتزعزع ايمانهم وتتأرجح ثقتهم، حين تنتابهم الصعوبات وتنقضّ عليهم عواصف الاضطهادات، فيما يبدو يسوع في مؤخر السفينة نائماً..!

ب- المناظرات والجدالات

كان اسلوب المناظرة والجدال فنّاً يستخدمه الرابيون (المعلّمون) اليهود لترسيخ فكرة ما او للدفاع عن حقيقة ما.. وكثيرا ما تحدث هذه المناظرات والمناقشات على مرأى ومسمع من الشعب! وكان لا بد ليسوع أن يتعرض لمثل هذه المناظرات التي رجّع

[١٣] سنتناول هذه المعجزة بالتحليل في نطاق "المسألة الازائية" في الفصل التالي.

صداها الانجيليون، مستخدمين هذا الفن في رواياتهم التي تعكس، في آن واحد، جدالات يسوع مع خصومه، وجدالات المسيحيين الاولين مع فريسيي زمانهم..! ويتبع فن رواية المناظرة الخطوات التالية:

١- حركة يقوم بها يسوع او كلمة يقولها تثير الدهشة والتساؤل لدى المشاهدين او السامعين. ولا ضير إذا كانت تلك الدهشة مصطنعة !

٢- وينطلق نقاش يهدف إلى تعميق التساؤلات التي اثارتها تلك الحركة او الكلمة. وقد يتخذ هذا النقاش اسلوب التحكيم: أيما ايسر..؟ وأنا أسألكم..؟، أما قرأتم..؟ وغالبا ما يكون الرجوع إلى الكتاب المقدس احدى البنيات الاساسية للجدال.. وكثيرا ما يبقى النقاش مفتوحاً ويترك ثغرات تفسح المجال لاستئناف الحوار...

٣- وتبلغ المناظرة ذروتها في النهاية حين يتبقى على السامعين أن يصطفوا إلى جانب او آخر، او حين تسفر المناقشة عن انقسام او غير ذلك. ولنا نموذج رائع لخمس مناظرات في انجيل مرقس (٢: ١-٣: ٦) تبدأ بشفاء مقعد كفرناحوم، وتتواصل في دعوة لاوي وجلوس يسوع على مائدة الخطأة، ومن ثم الجدال حول الصوم وحادثة السنبل، وتنتهي بالشفاء يوم السبت في المجمع، حين تعرّض يسوع للمراقبة: هل يشفي الرجل اليابس اليد يوم السبت (٣: ١-٦)؟! وها هو يقيم الرجل وسط الجماعة ، ثم يقول لهم : أعمل الخير يحل في السبت ام عمل الشر؟ أتخليص نفس ام قتلها؟

وقد نجدنا امام مناظرة مكثفة تجتمع فيها عدة مجادلات: كأن يتلقى الرابيون مجموعة اسئلة ، يجيبون عليها او لا يجيبون! ويطرحون هم ايضاً بدورهم الاسئلة -ولنا في انجيل متى مثال على ذلك في ٢٢: ١٥-٤٦ حيث يبلغ الصراع أوَجَه بين يسوع ومعارضيه:

اسئلة المعارضين	اسئلة يسوع
• أيحلّ دفع الجزية إلى قيصر ام لا ؟	• لمن هذه الصورة والكتابة ؟
• ففي القيامة لأي من السبعة تكون امرأة؟	• اما قرأتم ما قال الله...
• ما هي الوصية الكبرى في الشريعة؟	• ما رأيكم في المسيح؟ ابن من هو؟

جـ- الحكمة المحاطة باطار

كثيرا ما يريد الكاتب أن يبرز كلاماً او موقفاً ليسوع، فيسعى الى ادراجه في سياق قد لا يكون سياقه الاصلي ،كأن يجعل هذا الكلام أو هذا الموقف في اطار حدث ما او معجزة او نقاش... فليس الحدث في هذه الحالة سوى اطار لابراز هذا القول، كما ورد في

إنجيل مرقس (٢: ٢٣-٢٨) بشأن الحديث عن السبت: " السبت جعل للانسان، وليس الانسان للسبت"! وقد جاء في اطار جدلي تمركز حول احتجاج الفريسيين على التلاميذ بسبب قطف السنبل يوم السبت. كما جاء سؤال يسوع عما يحلّ فعله يوم السبت، في اطار معجزة شفاء ذي اليد اليابسة (مر ٣: ١-٦). ويمكننا ان نكتشف بيُسر ان المقصود ليس سرد معجزة -ولا نجد فيها كل العناصر المكوّنة لفن رواية المعجزة-، وانما ابراز حكمة قالها يسوع بشأن السبت، وهي التي تشكل ذروة النص الذي يسبح بالتالي في اطار جدلي. وهكذا هي الحال مع كلمة يسوع: "أدّوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (١٢: ١٣-١٧)، وقد جاء في إطار مناظرة . او قول يسوع: "دعو الاطفال، لا تمنعوهم ان يأتوا إليّ، فإن لامثال هؤلاء ملكوت السموات" (متى ١٩: ١٣-١٥)، وقد وَرَدَ في اطار قصة اطفال قُدِّموا ليسوع ،ومن دون اية تفاصيل عن الحدث ! ذلك لأن ذروة النص تكمن في ابراز هذا القول - ويضيف إليه مرقس قولا آخر:" من لم يقبل ملكوت الله كطفل لا يدخله" (١٠: ١٥)!

٢-القوالب / الاقوال

أ- المثل :

كان المثل فناً أدبياً معروفاً لدى الرابيين، يستخدمونه، بدرجة أولى، كأسلوب يحمل السامعين على اعادة النظر في سلوكهم واتخاذ موقف جديد. والمثل هو في جوهره مقارنة ترافقها تفاصيل تجعل منه قصة معقولة متجذرة في الواقع الحياتي. وقد استخدم يسوع الامثال بصفتها وسيلة فعالة تساعد السامع على ابداء حكم على ذاته أو على سلوكه، كما استخدمها احياناً لالقاء تعليم يكون بوسع السامع ان يستخلصه بيسر...

وكان على الانجيليين أن يرووا لنا هذه الامثال بعد ان تمّ تبدّل في هوية المستمعين، إذ اصبحت تلك الامثال موجهة إلى مسيحيين -ولا عجب إذا ما اتخذت معنى جديداً سيعكسه الانجيليون من ثم. فلقد تم الانتقال من امثال كانت تتكلم عن ملكوت الله إلى أمثال تعكس حقيقة هذا الملكوت الذي افتتحه يسوع بقيامته، وكانت حياته تجسيداً رائعا له! وهكذا يمكننا ان نتكلم عن قراءة مجددة للامثال في ضوء الحاجات التي كانت تواجه الجماعات المسيحية. كما ان الانجيليين انفسهم اضفوا على الامثال اطاراً قد يكون غيّر معناها الاصلي احياناً ، ولا ضير في ذلك طالما ان المهم هو المعنى الذي استخلصوه ووضعوه في خدمة قرائهم. ويصح ذلك في هدف كل انجيلي لدى تعامله مع مجموعة الامثال: ففيما وضع مرقس، ولوقا من بعده، مجموعة من الامثال ضمن رسالة يسوع في

الجليل، للدلالة بأن يسوع بدأ بعرض مبسط لملكوت الله.. وضعها متى في خاتمة رسالته حين جعلها بمثابة إنذار بالدينونة ازاء الرفض وعدم الايمان، كمثل الوكيل الامين (٢٤: ٤٥-٥٠) ومثل العذارى (٢٥: ١-١٣) ومثل الوزنات (٢٥: ١٤-٣٠)[١٤].

في تحليل لمثل "العملة واجرتهم" الذي ينفرد به انجيل متى (٢٠: ١-١٦)، يرينا الاب شربنتييه[١٥] كيف جُدِّدَت قراءته في الكنيسة الاولى! فالمثل يضعنا بازاء رب العمل الذي يستأجر عملة لكرمه في مختلف ساعات النهار، ويمنح في المساء أجرة متساوية للذين عملوا طيلة

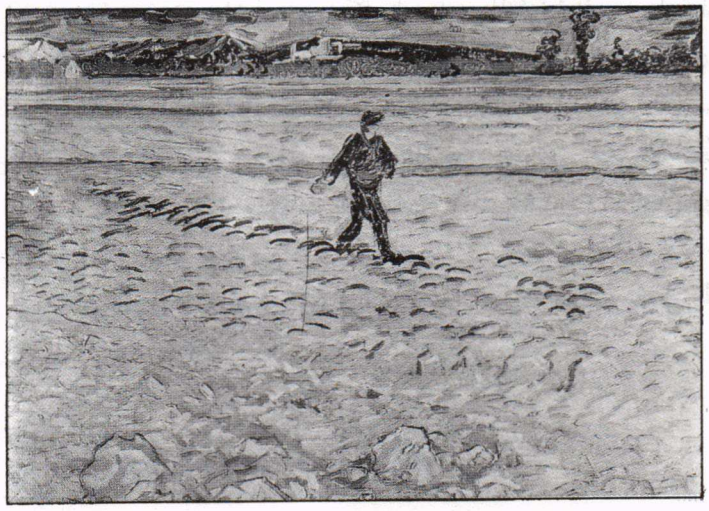

"خرج الزارع ليزرع ..."، "الزارع": فانسان فان كوخ (١٨٥٣-١٨٩٠) -بيرن (سويسرا).

النهار والذين لم يعملوا سوى ساعة واحدة! وتأتي الخلاصة بهذا الشكل : "فهكذا يصير الاخرون اولين والاولون آخرين" (الآية ١٦ أ) -وتضيف بعض المخطوطات :" لأن المدعوين كثيرون والمختارين قليلون"(١٦ ب)! وللحال نشعر بأن هذه الخلاصة لا تطابق المثل تماماً: فاحتجاج الاولين على رب العمل، ليس لانه دفع لهم اجرتهم بعد الاخرين ، وانما لانه دفع لهم ولهؤلاء الاخرين اجرة واحدة! فنحن إذن ازاء خلاصة غير منطقية.[١٦]

---

[١٤] نلفت الانتباه إلى كتاب ممين للاستاذ يواكيم جرمياس بعنوان "امثال يسوع" نقله إلى العربية الاب يوحنا عيسى والاب البير ابونا: بغداد :١٩٨٩. ففيه يحاول جرمياس ان يصعد من الامثال في صيغتها الحالية إلى ما كانت عليه في مختلف طبقات التقليد الكنسي (**انظر الاطار ٣٠ :الامثال في طبقات التقليد الكنسي**).

[١٥] الدليل /ص ٢٠٣- ٢٠٦

[١٦] هذه الخاتمة (آ١٦ ب) لم ترد في عدد من المخطوطات البارزة (السينائية والفاتيكانية...)، وهي بمثابة " تعميم" (اقتبس ولا شك من متى ٢٢: ١٤) يحدث تغييراً في مضمون المثل ومغزاه.. إذ يجعل منه مثلا في الخلاص والدينونة، عبر اولئك العملة الاولين الذين، بتذمرهم وتمردهم ، وضعوا انفسهم خارج الخلاص! -وغني عن القول ان هذا التفسير يحوّل هدف المثل الذي يؤكد ان الجميع نالوا الاجرة المتفق عليها. وهكذا لن يُفهَم المثل الاّ بصرف النظر عن الآية ١٦ بشطريها ! (امثال يسوع/ ص ٣١).

اطار ٣٠

الأمثال في طبقات التقليد الكنسي

في فاتحة القسم الثاني من كتاب "أمثال يسوع"، وتحت عنوان "من الكنيسة الاولى الى يسوع"، حدد الاستاذ يواكيم جرمياس موقع الامثال في الزمن بطريقتين: أولاً، توافقها في الأصل مع حالة معينة في مجرى نشاط يسوع.. وثانياً، تكيفها مع حاجات الكنيسة الاولى التي كانت تعلن اقوال يسوع وتعاليمه... ومن ثم جمعت الكنيسة هذه الاقوال "واعطتها اطاراً، وغيرت صيغتها احياناً، سواء بتوسيعها احياناً ام باعطائها تفسيراً مجازياً، احياناً اخرى". ويشدد جرمياس قائلاً: "من المهم أن يكون الاختلاف بين حالة يسوع وحالة الكنيسة الاولى ماثلاً في اذهاننا. ففي كثير من الحالات يتحتم علينا ان نجرّد بعض الاقوال والامثال من حالتها في الكنيسة وتفكيرها، وان نحاول استعادة حالتها التاريخية القديمة اذا اردنا أن نعيد الى اقوال يسوع صداها الأصيل..."!

وفي الخاتمة يوجز الاستاذ جرمياس القواعد التي أدت الى تغيير سياق الامثال -وقد كان لاكتشاف "انخيل توما" المنحول أثره في التحليل- ، وها نحن نثبتها كما جاءت في الكتاب الذي نوصي بقراءته:

قلنا ان موقع الامثال يتحدد في الزمن على نحوين: لقد ادرجت في البدء، شأن كل اقوال يسوع، في نشاطه، متناسبة مع حالات معينة وواقعية من هذا النشاط. ولكنها "عاشت" فيما بعد في الكنيسة، ولا نعرفها إلا في الصيغة التي أعطتها لها الكنيسة. فمهمتنا تقوم على استعادة وجهها الاصلي قدر المستطاع. ولتحقيق ذلك نستعين بملاحظة عدد من القواعد التي لعبت دوراً في تغييرها:

١-لقد سبّب حتماً نقل الامثال الى اللغة اليونانية انزلاقات في المعنى.

٢-ان تفاصيل الصور المستخدمة "تُرجمت" هي ايضاً احياناً.

٣-نلاحظ الفرح الذي أبدوه، في وقت مبكر في تجميل الامثال.

٤-هناك مقاطع من الكتاب المقدس ومواضيع من الروايات الشعبية أثّرت احياناً في مادة المثل.

٥-طبقت الكنيسة على الجماعة المسيحية بشكل واسع امثالاً كانت في الاصل موجهة الى خصوم أو الى الجمهور.

٦-ادت النتيجة غالباً الى نقل في التركيز نحو التعليم التحريضي. فيتم الانتقال بوجه خاص من النداء الأخيري الى التطبيق الاخلاقي.

٧-ربطت الكنيسة الاولى الامثال بحالتها الخاصة التي كانت فيها الرسالة وحالة تأخّر "المجيء" معضلتين أساسيتين. وفي سبيل ذلك أولتها تفسيراً جديداً ووسّعتها.

٨-فسرت الكنيسة الأولى الامثال بصورة مجازية، وبنسبة متنامية، لاستخدامها في كرازتها الاخلاقية.

٩-ضمت مجموعات من امثال، مما أدى الى "اندماجات".

١٠-وُضعت الامثال في اطار ، الأمر الذي أدى غالباً الى انزلاق في المعنى. وأُعطي الكثير منها خاتمات موسعة مما أضفى عليها معنى ذا قيمة عامة.

يواكيم جرمياس
(أمثال يسوع/ ص ٩٠)

فالمقارنة التي يهدف إليها المثل تكمن في الاية ١٥ حيث يجيب رب الكرم فيقول: "ألا يجوز لي ان اتصرف بمالي كما اشاء؟ ام عينك حسود لاني كريم"! فليس هناك إذن ظلم لدى رب العمل إن هو ساوى بين الاولين والآخرين، ذلك لأنه يقيس الامور، لا بالعمل المؤدّى، بل بالكَرَم الذي يريد ان يغدقه على الجميع! فكما تصرف رب العمل

بدافع من كرمه، كذلك يفعل الله حين يفتح الملكوت للجميع، ولاسيما "للعشارين والخطأة"، بغض النظر عن استحقاقاتهم، وبالرغم من استياء اولئك الذين يعتبرون انفسهم مغبونين (الكتبة والفريسيون)!

وهكذا نجدنا مع هذا المثل امام ثلاثة مستويات متعاقبة:

- فالمثل في اساسه يوجهه **يسوع** إلى اليهود ويريد ان يُفهِم الفريسيين، بشكل خاص، بأن الله يرحّب بالخطأة ويفتح لهم الملكوت. ولم يكن من اليسير عليهم ان يقبلوا بهذا المنطق، وهم الذين، بحكم امانتهم للشريعة، يعتبرون انفسهم اكثر استحقاقا من سائر الناس! وهوذا يسوع يفهمهم ،عبر هذا المثل ، بأن المكافأة لا تقاس باستحقاقات الانسان، وانما بمحبة الله وكرمه...
- وتتغير هوية المستمعين فيصبح المثل موجّها إلى **الجماعة المسيحية**. وفيما يحتفظ بالمعنى الاول الذي اراده يسوع، يتخذ معنى جديداً ويصبح تعليما يلقى على مسامع مؤمنين.. وهي يشاهدون اناساً يلحقون بهم اخيرا ويصبحون واياهم في منزلة واحدة! كما انه يوجه انذارا لاولئك اليهود الذين كانوا اول المدعوين، وها ان الوثنيين يسبقونهم في الدخول الى الملكوت، بعد ان تمّ فعلاً دخولهم في حضن الجماعة المسيحية .
- وحين يُورد **الانجيلي** هذا المثل ويضعه مباشرة بعد السؤال الذي طرحه بطرس عن مصير التلاميذ الذين تركوا كل شيء وتبعوه، (١٩: ٢٧-٣٠)، فهو انما يريد به ان يوضح جواب يسوع: " وكثير من الاولين يصيرون آخرين، ومن الاخرين اولين" (الآية ٣٠) بشأن تقدّم الاثني عشر على الرؤساء اليهود الذين كان بوسعهم ان يكونوا في مقدّمة التلاميذ!

ب- الدعوة او النداء

هذا الفن معروف في العهد القديم حيث يدعو الله بعض المختارين ليُحقق بواسطتهم مخططه الخلاصي ، كدعوة ابراهيم وموسى وصموئيل والقضاة.. او يدعوهم لابلاغ ارادته إلى الشعب ولاسيما في زمن المحن ،كدعوة الانبياء الذين يختارهم ويوكل إليهم مهمة كثيرا ما كانت تفوقهم، ولم يكونوا مؤهلين لها، كدعوة اشعيا وارميا وعاموس...

وهكذا استخدم الانجيليون هذا الفن في رواية دعوة يسوع إلى التلاميذ.. وهي غالبا ما تكون وجيزة وتبرز من خلالها سلطة يسوع المطلقة، شأنه شأن الله! ذلك لأن يسوع هو الرب الذي يوجه النداء ، ونداؤه هو بمثابة " أمر": "اتبعاني اجعلكما صيادي

بشر" (مر ١: ١٧)! ولنا مثال رائع في انجيل لوقا لدى دعوة لاوي الذي كان جالساً في بيت الجباية، حين توجهت إليه دعوة يسوع "اتبعني".. ويقول الانجيلي : فترك كل شيء وقام فتبعه (٥: ٢٧-٢٨)! كما لنا فيه ايضاً نموذج لدعوة وبعثة شبيهتين بدعوة الانبياء، حين اختار يسوع اثنين وسبعين تلميذاً وأرسلهم اثنين اثنين قائلاً لهم: اذهبوا! ها أناذا أرسلكم كالحملان بين الذئاب (لو ١٠: ١ت)! وقد تقتصر الدعوة على نظرة تتضمن كل ما ينتظره يسوع من المدعو.. فكان لنا عنها نموذج بليغ في اللقاء مع زكّا العشار (لو ١٩: ١-١٠)، او في لقاء الشاب الغني بحسب رواية مرقس -وإن لم تلق الدعوة التجاوب المنتَظَر- حيث وَرَدَ: "... فحدّق اليه يسوع واحبه وقال له: واحدة تنقصك، اذهب فبع ما تملك واعطه الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال فاتبعني" (مر ١٠: ٢١).

جـ- الخطب

بالرغم من الحديث الشائع عن "خطبة" يسوع على الجبل في انجيل متى (٥- ٧) وخطبة يسوع في خبز الحياة في انجيل يوحنا (الفصل ٦) وسائر خطاباته الطويلة التي حفظها لنا الانجيل الرابع (١٣- ١٧).. فاننا، في الواقع، بازاء اقوال ليسوع جُمِعَت ونُسِّقَت فشكّلت "خطاباً" نخاله خطاباً واحداً القاه يسوع في مناسبة ما! إنها بالأحرى ثمرة اجتهاد الجماعات المسيحية التي جمعت اقوال يسوع لتجعل منها أشبه ما يكون بـ "تعليم مسيحي"! فكان لنا لدى متى عظة طويلة على الجبل (١٠٧ آيات) جعل منها خطاباً افتتح به يسوع رسالته!

وإن فن الخطب معروف في العهد القديم حيث كان الكاتب يضع على لسان شخوصه خطابات -بعضها طويل جداً كخطاب موسى الاخير (تث ٢٨: ١-٦٨)- يضمنها خلاصة الامور التي يريد الله ان يبلغها إلى الشعب. وهكذا كانت لنا مجموعة اقوال للانبياء هي بمثابة خطابات القوها على مسامع الشعب، كما كان لنا خطابات هامة في بعض ابرز مراحل تاريخ شعب العهد القديم.... ولعل من اكثر نماذج الخطب المعروفة، خطبة الوداع التي يضمّنها النبي او الملك او الكاهن الاعظم، وهو يستشعر دنوّ اجله، وصَاياه الكبرى لتلاميذه او لشعبه -ولنا في العهد القديم شواهد عديدة على ذلك (تك ٤٩، ١مل٢، طو٤ و ١٤الخ...).

اما في العهد الجديد، فلدينا خطاب يسوع الوداعي في انجيل يوحنا والذي امتد على خمسة فصول (١٣- ١٧)، فضلاً عن بعض أحاديث وداعية في انجيل لوقا (٢٢: ١٤-٣٨) ... إلا ان لوقا، في سفر اعمال الرسل، كان اكثر من استخدم فن الخطابات

على لسان شخوص، حتى انه سمي بسفر الخطب (٢٤ خطابا!) وقد توزعت بشكل خاص بين بطرس (٨) و بولس (٩)! وفيما يبقى خطاب بطرس بعد العنصرة من اكثر الخطب عمقاً (٢: ١٤-٣٦)، ويبقى خطاب اسطفانس نموذجاً للخطاب "التاريخي" الشامل (٧: ١-٥٣)، يبرز خطاب بولس الوداعي كنموذج للخطاب الذي يشكل الوصية الاخيرة المليئة بالمشاعر المؤثرة (٢٠: ١٨- ٣٥) !

د- الاقوال العائمة

ولابد من كلمة بشأن اقوال ليسوع حفظها التقليد من دون الاطار الذي جاءت فيه أصلاً.. فنجدها لدى هذا او ذاك من الانجيليين، محشورة حيناً، او ملحقة برواية ما او خطبة أو مثل حيناً آخر...

ولنا امثلة كثيرة عن هذه "الاقوال العائمة" ولاسيما في انجيلي متى ولوقا اللذين غرفا من مصدر مشترك بينهما: فمنها ما جاء في انجيل متى بعد الحديث عن يسوع وبعلزبول (١٢: ٣٠) : "من لم يكن معي كان عليّ، ومن لم يجمع معي كان مبدّدا..."، بينما جاءت في انجيل مرقس (٩: ٤٠، قارن مع لو ١١: ٢٣) في إطار سؤال عن صنع المعجزات باسم يسوع على يد رجل ليس من التلاميذ، وبتعبير مختلف: "من لم يكن علينا كان معنا"! وهناك الآية: "كل من رفع نفسه وُضع، ومن وضع نفسه رُفع" -وقد اوردها لوقا مرتين: بعد مثل المقاعد في العرس(١٤: ١١)، وفي خاتمة مثل "الفريسي والعشار" (١٨: ١٤)..! ولنا في انجيل مرقس اقوال ليسوع تبدو وكأنها في غير محلّها، نذكر على سبيل المثال: "ومن سقاكم كاس ماء على انكم للمسيح، فالحق اقول لكم ان أجره لن يضيع" (٩: ٤١) -وقد جاءت هذه الآية من دون ارتباط وثيق بين ما يسبقها وما يليها (قارن مع متى ١٠: ٤٢). وهناك الآية الشهيرة:"كثير من الاولين يصيرون آخرين وآلاخرون أولين" (مر ١٠: ٣١)- وقد وردت لدى متى كما ألمحنا اعلاه، في اطار مختلف، وعلى دفعتين (١٩: ٣٠؛ ٢٠: ١٦)، فيما يضعها لوقا (١٣: ٣٠) في اطار آخر هو إطار دخول اناس من المشرق والمغرب إلى ملكوت الله...

٣-الاساليب الادبية

أخذنا نكتشف ولا بد ان روايات الانجيليين تسبح في مناخ أدبي ديني كانوا قد الفوه وتشبعوا منه، وعرفوا من ثم كيف يستخدمونه ويوظفونه خير توظيف في خدمة

البشرى، باتجاه قراء كانت هذه الفنون الادبية مألوفة لديهم ايضاً، ولاسيما اولئك اليهود المتنصّرين الذين كانت لهم الكتب المقدسة غذاء دائما، يواظبون على سماعها والتأمل بها في المجامع...

فبعد ان تعرفنا قدر المستطاع على ما سمي بـ "القوالب الجاهزة" -وقد رأينا انها ليست "جاهزة" بحصر المعنى (!) وانها بالاحرى نماذج ادبية سار على منوالها الانجيليون-، نتناول الآن "الاساليب" التي اوضحنا اعلاه انها طرق للتعبير، بهدف التأثير وإحداث مفعول يكون له أثره لدى القراء. ففي هذه الاساليب لا يتردد الكاتب من استخدام صور وتشابيه تبدو احياناً غريبة ، ولكنها توحي باجواء تستحث الخوف والمهابة وتفرض الاحترام والخضوع ...

هناك عدة اساليب استخدمها الانجيليون لحمل قرائهم على الوقوف ازاء البشرى موقف القبول والتجاوب.. ولا عجب في ذلك طالما ان الهدف الرئيس من التدوين، كما سبق ان قلنا مراراً، هو الدعوة إلى الايمان وقبول متطلباته والتفاعل معها. وفيما نشير باختصار إلى الاسلوب "الكرازي" والاسلوب "التعليمي"، نتوقف بالاكثر عند ثلاثة اساليب يكتنفها الغموض احيانا وهي: الاسلوب "التجلياني" والاسلوب "الرؤيوي" واخيراً اسلوب "انجيل الطفولة".

أ- الاسلوب "الكرازي"

ويقوم في الإعلان القصير والملح لمضمون الكرازة الانجيلية. فلقد جاء هذا الاعلان على لسان يسوع وهو ينادي، كما في انجيل مرقس: "حان الوقت واقترب ملكوت الله: فتوبوا وآمنوا بالبشارة" (١: ١٥)، "ما جئت لادعو الصديقين بل الخطأة" (مر ٢: ١٧).. أو في انجيل يوحنا المليء بهذه الاعلانات، سواء جاءت على لسان يسوع: "انا نور العالم..." (٨: ١٢)، "انا القيامة والحياة..." (١١: ٢٥)، "انا الطريق والحق والحياة ..." (١٤: ٦)؛ ام جاءت على لسان التلاميذ والمؤمنين، كما ورد في اعتراف بطرس : " انت المسيح ابن الله الحي" (متى ١٦: ١٦)، "... عرفنا انك قدوس الله" (يو ٦: ٦٩)، او على لسان مرتا: " اني اومن بانك المسيح ابن الله الآتي إلى العالم" (يو ١١: ٢٧) الخ ... -ومن المعلوم انها اعترافات ايمانية صيغت في ضوء القيامة. كما جاء هذا الاعلان في إطار التبشير بيسوع الحي في الكنيسة الاولى :" ... انه قد قام" (مر ١٦: ٦)، "ان يسوع... قد جعله الله ربا ومسيحاً" (رسل ٢: ٣٦)، "... غير ان الله اقامه من بين الاموات" (رسل ١٣: ٣٠)، "... وانه قبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب" (١ قور ١٥: ٤)، "... ويشهد كل لسان ان يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب، (فل ٢: ١١)...

ب- الاسلوب التعليمي

وهو ايضاً اعلان للايمان، ولكنه اعلان مفصّل لمضمونه، مدعوم باستشهادات من الاسفار المقدسة هي بمثابة السند الكتابي له.. ويختتم عادة بدعوة إلى التوبة! وهذا الاسلوب هو الذي يطغو على معظم نصوص الاناجيل -وهي نصوص تهدف إلى التعليم والوعظ اكثر مما إلى نقل الاحداث وتوثيقها- سواء كانت نصوصاً تعرض تعاليم يسوع في حد ذاتها كما في الخطب، ام نصوصاً تتناول هذه التعاليم المحمّلة بالدروس الغنية عبر المعجزات والمناظرات والامثال. وقد يكون انجيل يوحنا كلّه نموذجاً لهذا الاسلوب حيث الاحداث والمعجزات والخطب تسبح في مناخ تعليمي يسعى إلى ان يجب إلى الاسئلة المطروحة..! وفي هذا الاطار تضحي رواية الآلام والقيامة ذاتها ، ولاسيما روايتا لوقا ويوحنا، اسلوبا للتعليم واستخلاص الدروس العملية.. ونخص بالذكر رواية تلميذي عماوس (لوقا ٢٤: ١٣- ٣٥)، ورواية التزائي لتوما الرسول (يوحنا ٢٠: ٢٤-٢٩)، حيث تلقي الاولى درساً عن القيامة، مفسَّرًا في ضوء الكتاب المقدس.. وتلقي الثانية درساً بليغاً في الايمان كونه رؤية تتجاوز الرؤية الحسّية!

إلاّ ان الاسلوب التعليمي، سيعتمده القديس بولس في رسائله ولاسيما في الرسائل الكبرى (الرسالتان إلى قورنتس والرسائل إلى روما وغلاطية وافسس)، كما سيستخدمه لوقا بشكل رائع في سفر الاعمال، ليقينه بأن معنى عميقاً يختفي وراء الاحداث، وان عليه ان يساعد القارئ على اكتشافه..! وهكذا سيحمّل الخطابات التي يضعها على لسان شخوصه -وهو لم يختلقها، وانما اعاد تأليفها انطلاقا من المصادر التي في حوزته- بالابعاد التعليمية التي لا تغيب عن ذهنه البتة.

بامكاننا ان نبحث عن ٣ عناصر في معظم الخطب، ولا سيما الخطب الكبرى الخمسة التي تفوه بها بطرس: في يوم العنصرة (٢: ١٤-٤١)، وبعد شفاء المقعد (٣: ١٢-٢٦)، وامام المجلس بعد شفاء المقعد (٤: ٩-١٢)، وامام المجلس بعد خروجه من السجن (٥: ٢٩-٣٢)،وفي بيت قرنيليوس قائد المئة في الكتيبة الايطالية (١٠: ٣٤-٤٣). وهذه العناصر الثلاثة هي: (١) الانطلاق من حدث يسوع الذي صلب واقامه الله... (٢) تفسير الحدث في ضوء الاسفار المقدسة، بحيث تدخل حياة يسوع وموته وقيامته ضمن التدبير الخلاصي، (٣) دعوة تنبع من منطق الحدث الذي يصبح موضوعاً معروضاً للايمان، مما يجعل السامعين امام خيار يتعلّق به خلاصهم.

جـ- الأسلوب التجلياني

من بين الاساليب الادبية المختلفة (الروائي، الملحمي، الشعري، النبوي، المدراشي، الحكمي، الخ...) التي دونت بها اسفار العهد القديم -وكثيرا ما يحتوي سفر واحد على اساليب مختلفة- هناك اسلوب نرى أثره في العديد من الاسفار هو الاسلوب "التجلياني"، اعني اسلوب التجلي الالهي الذي يتميز بكونه يجعل حضورا الله مُعلَناً عبر ظواهر خارقة ترافق حضوره وتجليه. ولا شك ان النموذج الاول لمثل هذا الاسلوب حفظه لنا سفر الخروج حيث يُروى تجلّي الله على جبل سيناء في صور خارقة، كالنار والريح والبرق والرعود وزلزلة الجبل -وكلها ظواهر توحي بحضور الله وتثير الخوف والهلع في الشعب (خر١٩: ١٦ت). وبوسعنا أن نجد نماذج عديدة لهذا الاسلوب عبر اسفار العهد القديم ولاسيما في دعوة الانبياء ورؤاهم (اش٦: ٤ت؛ حز١٠: ٤؛ حب٣: ٣ت الخ...).

وليس بغريب ان يعكس الانجيليون عبر هذا الاسلوب، بعض مظاهر التجلي الالهي، منذ العماذ والتجلي وحتى القيامة والعنصرة. إلا ان المشكلة التي تواجهنا للحال، تكمن في أننا نأبى احياناً أن نتعامل مع هذه النصوص بمنطق الاسلوب التجلياني الذي كتبت به، وقد نصرّ على البقاء في حدود المعنى الحرفي للنصوص والاعتقاد بمادية الظواهر التي ترويها تلك النصوص، وكأننا بازاء تحقيق مباشر للاحداث! ومن هنا ينشأ سوء الفهم!

ولكي تتبدّد، مخاوفنا في ما يتعلّق بأمانة الانجيليين ومصداقية الشهادة التي يُدلون بها، علينا ان ندرك جيداً ان الصور الخارقة التي يستخدمونها للتعبير عن حضور الله، لا توجب علينا الاعتقاد بأنها تعكس الواقع الذي جرت بموجبه تلك الاحداث! ولكي يزول كل أثر للشك ولسوء التفاهم، يجب ان نعلم بان الانجيليين انفسهم لا يطالبوننا بتصديق الروايات التي ينقلونها الينا عبر هذا الاسلوب، وانما يطالبوننا بشكل جاد بان نؤمن بالحقيقة او الحقائق التي تختفي وراء رواياتهم.. ويصحّ ذلك في اعظم الاحداث واكثرها صحة وصدقاً!

فوفق هذا المنطوق، يجب ان نتعامل مع العديد من النصوص الانجيلية التي، فيما تضعنا بازاء "شهود" امتلأوا خوفاً ورهبة، تحملنا في الوقت ذاته على الشعور باننا امام تجلّي الله عبر "ملاكه" الذي يحمل رسالة من قِبَله: فها هي مريم تضطرب حين يحمل إليها الملاك البشرى بالمهمة الملقاة عليها من قبل الله (لو ١: ٢٦-٣٨)، وها هم التلاميذ الذين كانوا "شهود" التجلي يعتريهم الخوف حين دخلوا في الغمام -وهذا هو التعبير التقليدي لحضور الله كما عكسته رواية سفر الخروج (١٣: ٢٢؛ ١٩: ٩)- ليسمعوا

صوتا يقول: "هذا هو ابني الحبيب..." (لو٩: ٢٨-٣٦؛ مر ٩: ٢-٩؛ متى١٧: ١-٩). وها هي النساء في رواية القيامة بحسب مرقس "يرتعبن" حين يدخلن القبر ويبصرن الشاب الجالس عن اليمين والذي يطمئنهن ببشرى القيامة.. ويبقى التأكيد على خوف النساء ازاء هذا الكشف الالهي الفريد: "فخرجن من القبر وهربن لما اخذهن من الرعدة والدهش، ولم يقلن لأحد شيئاً لانهن كن خائفات" (مر ١٦: ١- ٨)!

ومثل هذا الخوف الذي يوحي بحضور الله ازاء تجلياته، يعكسه الانجيليون في رواياتهم معجزات يسوع -وقد خلقت لدى الشهود احساساً عميقاً بانهم في حضرة الله، من خلال يسوع الذي رأوا فيه "تجلي" الله واعتلان اعماله! هوذا لوقا يحدثنا كيف "استولى الخوف" على الجميع لدى احياء ابن الارملة، فراحوا يمجدون الله... (٧: ١١-١٦؛ قارن مع احياء ابن أرملة صرفت على يد ايليا النبي ا مل ١٧: ١٧ت)! وهوذا متى يحدثنا عن شفاء المقعد وكيف احدث شفاؤه " خوفاً وتمجيداً لله" (٩: ١-٨)..!

وهكذا هي الحال مع حدث العنصرة حين يحدثنا لوقا في سفر الاعمال عن "دويّ كريح عاصفة ملأ جوانب البيت"، وعن ظهور "ألسنة كأنها من نار انقسمت، ووقف على كل منهم لسان"! وهذا الخبر لن يتخذ كل ابعاده إلا اذا وضعناه في إطار عيد العنصرة لدى اليهود، وفي إطار التقاليد اليهودية بشأن تجلي الله على جبل سيناء.. سيما حين نعلم بان سفر الخروج يقول بان الشعب "رأى" الاصوات والرعود.. للدلالة على ان كلمة الله هي اشبه برعود وبروق وشعلة نار...

فالتعابير الصورية التي استخدمها لوقا تذكّرنا بحدث سيناء الذي تضمن وحيا يخص كل الامم عبر بني اسرائيل. ففي العنصرة نجدنا بازاء سيناء جديد يتجلى فيه الله ليقيم عهداً جديداً مع شعب جديد، هو في الواقع الشعب الذي رأى في يسوع وسيط العهد الجديد الذي تحدث عنه الانبياء. وسيضع لوقا نبؤة يوئيل على لسان بطرس (٣: ١-٥؛ رسل٢: ١٧-٢١) ليكشف باننا بازاء "الايام الاخيرة" التي فيها يفيض الله روحه على كل بشر.. فيتنبأ الجميع.. ويخلص كل من يدعو باسم الرب..! وحين يستولي الروح على هذا الشعب الجديد عبر "دويّ" شديد و"ألسنة كأنها من نار".. فسيمكّنه من ان يشهد للرب القائم بلغة يفهمها كل الشعوب! فلسنا بازاء معجزة النطق بلغات غريبة، بقدر ما نحن بازاء الروح القدس الذي يمنح الكنيسة قدرة على ان تخاطب كل الامم فتفهمها الشعوب كلها[١٧].

---

[١٧] نتمنى على القارئ ان يكتشف ما ينطوي على حدث العنصرة من ابعاد لاهوتية عبر الدراسة المعمقة حول "اعمال الرسل" في: سلسلة دراسات في الكتاب المقدس / رقم ٨، دار المشرق، بيروت ١٩٨٧ (ص٢٤-٣٠).

د- الاسلوب الرؤيوي

وهو من الاساليب الادبية، المعقدة والمدهشة في آن واحد، وقد كُتِبَ به سفران: سفر دانيال في العهد القديم، وسفر رؤيا يوحنا في العهد الجديد [١٨]، فضلاً عن نصوص ومقاطع كثيرة في مختلف الاسفار تنتمي إلى هذا الاسلوب -وله صلات ولا شك بالاسلوب التجلياني. انه اسلوب يوافق ازمنة القلق والاضطهاد والمحنة.. يستخدمه الكاتب ليشق مخرجاً من المأزق الذي يوجد فيه شعبه! إلا ان هذا المخرج سترافقه ظاهرات حروب وقلاقل وانقلابات في الارض والسماء.. حين يبلغ الشر أوَجَهُ، فتنكشف الظلمات وتنجلي نهاية التاريخ بسيادة الله الكاملة! وهكذا تبدو اسفار الرؤى تعبيراً ادبياً يجيب إلى حاجة شعب يبحث، ابان المحن، عن سبيل لبناء رجائه وتوطيد ثقته بالله.

تلك هي الخلاصة التي يحملها سفر دانيال، وقد كتب في عام ١٦٤ ابان الاضطهاد العنيف الذي شنه انطيوخس الرابع ابيفانيوس على اليهود. وتلك هي الخلاصة التي يخرج بها سفر الرؤيا، وقد كتب بين الاعوام ٩٥- ١٠٠، في زمن الاضطهادات القاسية التي تعرضت لها الكنيسة الاولى -من قبل اليهود اولاً، ومن ثم من قبل الوثنيين الممثلين بـ "الدول المستبدة" -ولاسيما في زمن اكثر الاباطرة الرومان كبرياء وعنفا، دوميثيانس الذي راح يدعو إلى عبادته الشخصية!

فالرؤيا هي "كشف" مسبق لما ستؤول إليه النهاية، يقرأه الكاتب من خلال طريقة الله في تسيير التاريخ والتي تُسفر بالتالي عن انتصار الله النهائي. فكاتب الرؤيا يهدف اذن إلى احياء الأمل والرجاء لدى مؤمنين يتعرض ايمانهم للخطر ابان الازمات، فيزيح الستار الذي يحجب الرؤية ويكشف لهم عن نهاية التاريخ. انه يستخدم اسلوباً يقوم في الرجوع إلى الماضي والتظاهر بالعيش في ماض سحيق -فكاتب سفر دانيال يوحي بأنه يكتب في زمن الجلاء (أي قبل ٤ قرون)، فيما يوحي كاتب سفر الرؤيا انه يكتب في حوالي عام ٦٠!- كي يتسنى له أن "يُنبئ" بمستقبل، قريب وبعيد، يقرأه في ضوء ايمانه بالله، وتكون الغلبة فيه لله..!

وحين يكون هذا المستقبل الاخير بعيداً جداً، كونه يتعلق بـ "آخر الازمنة" (وهي ما يسمى بـ "الاسكاتولوجية او علم "الاواخرية"، أي علم نهاية التاريخ)، فلا بد للكاتب حينذاك ان يلجأ إلى استخدام صور غريبة ومدهشة، للتدليل بمجيء الله الاخير: حين يُصدر حكمه النهائي بحق الاشرار، ويجيب إلى انتظارات الأخيار الذين وضعوا

---

[١٨] بشأن كتب الرؤى ولاسيما سفر دانيال، انظر الدليل/ص٨٩-٩١. وبشأن سفر الرؤيا انظر الدليل/ص٢١٩-٢٢٤ -وسنقدم في الفصل ٦ مدخلاً إليه.

اطار ٣١

الالوان والارقام والصور الرمزية في الادب الرؤيوي

• **الالوان:**

- الابيض: يدل على النصر والطهارة، وكثيرا ما يشير إلى الحضور الالهي (الملاك المتشح بالبياض).
- الاحمر: يدل على القتل والعنف ويشير بنوع خاص إلى دم الشهداء.
- الاسود: يدل على الموت والكفر...

• **الارقام:**

- سبعة: وهو الرقم التام الذي يشير إلى الكمال.
- ستة: (سبعة ناقصاً واحد): عدم الكمال.
- ثلاثة ونصف (نصف الرقم ٧): ويدل على عدم الكمال وتمتد دلالته إلى النقص والعذاب وزمن المحنة والاضطهاد... وقد يتخذ هذا الرقم (٣,٥) اشكالاً مختلفة مع بقاء رمزيته ثابتة: زمن وزمنان ونصف زمن(١+٢+نصف)، ثلاث سنين ونصف، ثلاثة ايام ونصف، ٤٢ شهراً، ١٢٦٠ يوماً!
- اثنا عشر: تدل على اسرائيل (الاسباط الاثنا عشر) وعلى الكنيسة القائمة على الرسل الاثني عشر.
- اربعة: تدل على الشمول وعلى العالم المخلوق (الجهات الاربع والزوايا الاربع والأقطار الأربعة).
- ألف: تدل على عدد لا يحصى (ويمكن ضرب الأرقام ببعضها: ١٢×١٢×١٠٠٠=١٤٤٠٠٠).
- اليوم الثالث: يدل على "يوم يهوه" اليوم الذي يقيم فيه الله الاموات، فكانت قيامة يسوع بدء مجيء القيامة العامة كونه "بكر من قام من الاموات".
- ٤٠ يوماً او ٤٠ سنة: زمن الاختبار والاستعداد لمهمة كبرى (موسى، ايليا، صوم يسوع، الزمن قبل الصعود...).

• **الصور:**

- القرن: يدل على القدرة.
- الشعر الابيض: يدل على الازلية والابدية (وليس مرادفاً للشيخوخة !).
- الثوب الفضفاض: يدل في الغالب على المرتبة الكهنوتية.
- زنار الذهب: يدل على سلطة الملك.
- الخراف والراعي: تدل على الشعب ورئيسه.
- التيوس: تدل على الاشرار.
- الجلوس عن اليمين: تدل على مكانة السيادة والسلطة والمجد...

رجاءَهم كله عليه... ولاشك ان اكثر الصور تعبيراً عن النهاية ستكون تلك التي توحي بتشقق الارض وتزلزلها وتساقط النجوم والكواكب.. وكل ما يُشتَمُّ منه رائحة النار والكبريت! فمن السذاجة، اذن، ان نأخذ هذه الصور والتعابير والارقام في حرفيتها -وكلها ذات دلالات رمزية (**انظر الاطار ٣١: الالوان والارقام والصور في الادب الرؤيوي**). وجل ما تريد ان تقول لنا هو اشعارنا بالخوف لدى مجيء الله، كما لو كنا ازاء كوارث طبيعية تنقض علينا، كالحروب والفيضانات والزلازل...

فالى هذا الاسلوب الرؤيوي يمكننا ان ننسب بعض روايات الانجيليين، كعماذ يسوع، حين "انشقت السماوات" (مر١: ١٠؛ متى٣: ١٦؛ لو ٣: ٢١) ذلك لأنها كانت، في نظر اليهود، قد اغلقت -منذ آخر الانبياء، في القرن الثالث ق.م. (حجاي وزكريا وملاخي)، حين لم يعد روح الله يتكلم وينزل-، إلى ان تعود لتنفتح في آخر الازمنة!

وقد رأى المسيحيون الاولون في يسوع "النبي" الآتي، مشيح الله.. ورأوا في نزول الروح عليه كمثل حمامة -والحمامة هي رمز للشعب (هو ١١: ١١)- بدء تأسيس شعب الله الجديد على يد " الابن الحبيب" الذي حظي برضى الله، ولابد من ثم ان يسمع له الكل...

وفي وسعنا ان نرى طابع الاسلوب الرؤيوي لدى لوقا في رواية العنصرة (رسل ٢: ١ت) وفي رواية السجائي لبولس على طريق دمشق (رسل ٩: ١ت)، حين يرى "نوراً" فيسقط على الارض.. ويأتي صوت، لا يسمعه الرفاق، يدعوه الى النهوض -ونجد صدى هذه التعابير في رؤيا دانيال (١٠: ٧)! الا اننا نجد الطابع الرؤيوي بشكل خاص في روايات التجلي، ولا سيما في رواية متى (١٧: ١ت- انظر ما يقابلها لدى مرقس ولوقا) حيث نجدنا امام رؤيا مُسْتَبَقَة للمسيح الممجّد ! فالرسل الثلاثة "يرون" المسيح المتجلّي امامهم، بوصف يذكّر برؤيا دانيال (١٠: ٦) ورؤيا يوحنا (١: ١٦): يُسمع صوت (آ٥)، فيسقطون على وجوههم (آ٦أ)، ويستولي عليهم الخوف (آ٦ ب).. وحينئذ "يلمسهم" يسوع (آ ٧أ) ويقول لهم:"قوموا لا تخافوا" (آ٧ب)...

وإلى هذا الاسلوب عينه تنتمي رواية متى الانجيلي التي تتحدث عن "زلزال" حدث لدى موت يسوع: "... تزلزلت الارض وتصدعت الصخور وتفتحت القبور..."! فتأتي شهادة قائد المئة والحراس الذين "لما رأوا الزلزال"، خافوا خوفاً شديداً وقالوا: "كان هذا ابن الله حقاً" (متى ٢٧: ٥١-٥٤)! ويتجدد هذا "الزلزال" في انجيل متى يوم القيامة، حين جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر: " فاذا زلزال[١٩] شديد قد حدث، ذلك بان ملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وجلس عليه..." (متى ٢٨: ٢). فليس المقصود،إذن، ظاهرة واقعية (حدوث زلزال ارضي)، وانما صورة رمزية لحقيقة كبرى ألا وهي قيامة يسوع من بين الاموات، كونها علامة آخر الازمنة...

ولعلّ ابرز ما يُصدي لهذا الاسلوب الرؤيوي هو خطاب يسوع عن خراب الهيكل ونهاية العالم (مر ١٣: ١-٣٢؛ متى٢٤: ١-٤٤؛ لو ٢١: ٥-٣٦)، حيث ان القصد من كل الوصف المروّع -ويختلط فيه خراب الهيكل بنهاية العالم- هو ظهور "ابن الانسان آتيا على غمام السماء في تمام العزة والجلال" (مر:آ ٢٦،متى:آ ٣٠، لو:آ ٢٧). ولقب" ابن الانسان (**انظر الاطار ٣٢: ابن الانسان**) يحيلنا إلى رؤيا دانيال (٧: ١-٢٨) حيث تتجلى امانة المضطَهَدين وتتجسد في "ابن الانسان"، ذلك الكائن العجيب الذي يوليه الله القدرة على الدينونة...! ألم يختص يسوع لقب"ابن الانسان"،

---

[١٩] عبارة " زلزال " استعملت مرة واحدة في الاناجيل علامة على آخر الازمنة: في خطاب يسوع عن خراب اورشليم ونهاية العالم (مر ١٣ : ٨؛ متى ٢٤: ٧؛ لو٢١: ١١). الا ان متى استعلمها اكثر من مرة: فكلمة "اضطراب" لديه هي حرفيا "زلزال"، وقد استخدمها في رواية تسكين العاصفة (٨: ٢٤) ولدى دخول يسوع اورشليم(٢١: ١٠)...

ابن الانســـــــان

نجد اولا هذا اللقب في سفر دانيال (٨: ١٧) بمعنى مشابه لما جاء في سفر حزقيال حيث يسمى النبي به ٩٣ مرة، ومن ثم نجده بمعنى يختلف كلياً ويقصَد به شخصية سماوية (دا ٧: ١٣)...

جاء في "القاموس الانسكلوبيدي للكتاب المقدس" -ونعتمده في هذا الموضوع- ان العالم الاشوري في القرن ٧ ق.م. عرف صورة "الانسان" المثالي الذي يعكس ملامح الله ويشكل نموذج الانسانية جمعاء، وهو في الغالب الملك... وان سفر حزقيال يطلق على النبي لقب "ابن الانسان" كونه ذاك الأنسان الحر الذي يمارس رسالة سامية لدى مواطنيه المجلوّين إلى بابل... فلا عجب ان يكون سفر دانيال قد توقف لدى صورة ارتفاع الانسان المزمع ان يجلس على عرش الهي (راجع حز٢٨: ٢) ويصبح، في الانشاء النهائي للسفر، نموذج " القديسين "! وهكذا يتم امتداد من المعنى الفردي إلى المعنى الجماعي، كون " ابن الانسان " هو في الوقت ذاته رئيس وممثله ونموذجه شعب قديسي العلي!

أما رؤيا الحيوانات الاربعة، فترمز إلى اربعة ملوك، والقرن الذي طلع بين قرون الحيوان الرابع (دا ٧: ٨) انما هو انطيوخس الرابع ابيفانيوس (٧: ٢٥) الذي سينتصب قبالته "مثل ابن انسان يأتي على غمام السماء ويبلغ إلى قديم الايام.. ويؤتى سلطاناً ومجداً وملكاً..." (٧: ١٣- ١٤) -وهذه الرؤيا كشفت عن انتصار القديسين الأمناء على مضطهديهم، ابان المحنة التي عرفها المكابيون، وكان منهم شهداء جادوا بدمائهم بدافع امانتهم لاله العهد...

سيجمع المسيحيون والانجيليون من ثم بين صورتي "العبد المتألم" (اش ٥٢: ١٣...) و"ابن الانسان" الآتي على غمام السماء، في اطار ما كشفت عنه القيامة من انقلاب (يسوع الناصري الذي تألم وصلب.. اقامه الله رباً وسيداً...) كما في اطار الاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون.. باعترافهم بالرب يسوع، وهو "ابن الانسان" الذي سيعترف بهم لدى مجيئه (مر ٨: ٣٨).

وتعكس الاناجيل الازائية ثلاثة اوجه للقب "ابن الانسان" الذي اختصه يسوع:

١) النصوص التي تتحدث عن مجيء ابن الانسان، وتشير الى آخر الازمنة (مر٨: ٣٨؛ لو٩: ٢٦؛ متى ١٠: ٣٢...) من دون ان تقيم وحدة بين يسوع و "ابن الانسان"...

٢) النصوص التي ترى في يسوع " ابن الانسان "، بعد ان أعادت قراءة اقواله في ضوء قيامته. وهكذا كانت قوة يسوع في عمله بمثابة قوة "ابن الانسان" التي مارسها وهو على الارض. ومن هنا يعكس الانجيليون قدرة يسوع على مغفرة الخطايا (مر ٢: ١٠ وما يقابله)، ويشددون على كونه رب السبت (مر ٢: ٢٨ وما يقابله)...

٣) النصوص التي تحكي إنباءات يسوع بآلامه وقيامته، بصفته "ابن الانسان"، وهي تعكس التفكير (الكريستولوجي) حول لاهوت المسيح الذي كشفت عنه القيامة (مر٨: ٣١؛ ٩: ٣١؛ ١٠: ٣٣ وما يقابلها). وقمة هذا التفكير اللاهوتي تكمن في جواب يسوع امام المجلس، حين تتجلّى رؤيا ابن الانسان حسب دانيال (مر١٤: ٦٢ وما يقابله..)...

أما انجيل يوحنا، فهو يقدم يسوع بصفته "ابن الانسان"، الكلمة المتجسد (٣: ١٣؛ ٦: ٦٢؛ ٨: ٢٨) الذي يحق له من ثم أن يعلن الدينونة أي الفصل بين الذين قبلوه او رفضوه (٦: ٢٧؛ ١٢: ٣٤). وفيما يرجّع يو ٥: ٢٧ صدى مجيء ابن الانسان للدينونة، يتخذ يو ٦: ٥٣ معنى افخارستياً ذا صلة بالنصوص الازائية بشأن آلام ابن الانسان وقيامته.

في المحاكمة امام المجلس، حين صرّح قائلاً: "...وسوف ترون ابن الانسان جالسا عن يمين القدير وآتيا في غمام السماء" (مر ١٤: ٦٢و ما يقابله)؟ أوَلَم يرَ المسيحيون الاولون في يسوع "ابن الانسان" هذا، الذي نال بقيامته مجداً وسيادة وربوبية وسلطات.. هو الذي "سيسجد" له التلاميذ بعد القيامة حين "سيأتي" إليهم، وقد "أُولي كل سلطان في السماء وعلى الارض" (متى ٢٨: ١٧-١٨)؟!

٤- اسلوب "انجيل الطفولة"

كان لابد ان نخصّ روايات طفولة يسوع بفقرة كاملة، كونها نصوصا كتبت باسلوب خاص يبدو في ظاهره انه يروي أحداثاً بارزة من طفولته.. بينما نحن في الواقع بازاء روايات تنتمي إلى أسلوب أدبي متميز، يخفي وراءه تفكيراً لاهوتياً عميقاً في سر يسوع! وقد نكون ضللنا الطريق لفترة طويلة حين تعاملنا مع روايات الطفولة في انجيلي متى (الفصل ١-٢) ولوقا (الفصل ١-٢) وكأنها "تحقيق مباشر" للأحداث! وسنكون على جانب كبير من السذاجة إن نحن ابينا أن نرى فيها سوى قصة البدايات، بما يرافقها من جانب فولكلوري ترسّخ في ذاكرتنا بكثرة الصور العالقة فيها منذ الطفولة!

انها روايات من قبيل التفكير اللاهوتي الذي اتسمت به فاتحة انجيل مرقس المقتضبة(١: ١) أو بالاخص فاتحة انجيل يوحنا المُحكَمة (١: ١-١٨) التي هي اشبه بنشيد، ضمّنه الانجيلي حصيلة تأمله الطويل في سر يسوع، مستخدماً فناً ادبياً معروفاً هو الفن "الحكمي". وفيما استخدم لوقا اسلوب "البشارات" المعروف في روايات العهد القديم، انفرد متى باستخدام اسلوب شبيه بالاسلوب "الميدراشي"[٢٠]. فمن خلال هذين الاسلوبين عرضا علينا لاهوتاً في سرّ يسوع، بعد ان كشفت القيامة عن كونه: ابن الله، المسيح، الرب، المخلّص،ابن داود، عمانوئيل...

نحن، اذن، بازاء "روايات" تقول لنا منذ البداية ما سينكشف في النهاية من سر يسوع.. اعني انها **تعكس ايمان الجماعة المسيحية الاولى بشأن يسوع القائم من بين**

---

[٢٠] "الميدراش" كلمة عبرية مشتقة من فعل"درش" (ومعناه:دَرسَ،بَحثَ) ويعني البحث الذي كان يجري في المدارس والمجامع على الاسفار المقدسة بغية "تحديث" وتأوين رسالتها وتكييفها على حاجات العصر. انه فنّ ادبي استخدمه وعاظ اليهود بهدف القيام بقراءة "آنية" (حالية) للكتاب المقدس تجعل رسالته حالية، وذات معنى في الحاضر. وهذا الفن الادبي هو على ثلاثة أشكال: "هلكه"(ومعناه:سار)، كون الميدراش"الهلكي" يبحث في الاسفار عن قواعد للسلوك اليومي.. و"هجّاده" (ومعناه: قصّ، روى) كون الميدراش "الهجادي" يعيد التفكير في رجال الكتاب المقدس ويجعل منهم نماذج تحتذى، ويستخلص من الاحداث لاهوتا يبني المؤمن.. واخيرا "فشر" (ومعناه: تفسير) -وقد عرفناه بالاكثر بعد اكتشاف مخطوطات قمران عام ١٩٤٧- وهو اسلوب قريب من الميدراش الهجادي، يجعل من اشخاص الحاضر او أحداثه تحقيقا و "تأويناً" للاسفار المقدسة، كأن يجد المؤمنون وجه يسوع في "العبد المتألم" كما رسمه سفر اشعيا(٥٣: ١٢) الخ... (راجع: من الاناجيل/ص ٤٨).

الاموات وقد تحققت فيه كل الالقاب المسيحانية التي جاءت على لسان الانبياء.. ووضعها كل من متى ولوقا في فاتحة انجيلهما، لكي يعرضا علينا مسبقا كل المواضيع الرئيسة التي سيتناولانها من ثم، تماماً كما تفعل بعض الافلام السينمائية حين تعرض في المقدمة صورة الفيلم الاخيرة !

ولما كان الاسلوب الميدراشي، باشكاله، شائعاً ومزدهراً **في الاوساط اليهودية** بغية "تأوين" الاسفار المقدسة وجعلها نوراً تستضيء به الحياة الحاضرة.. استخدمه المسيحيون لدى قراءتهم المجددة للاسفار المقدسة، **في محاولة لتسليط اضوائها على حياة** يسوع.. او بالاحرى في قراءتهم المجددة لحياة يسوع في ضوء الاسفار المقدسة! ولقد استطاع متى -وهو يوجه انجيله إلى مسيحيين مطلعين على التقاليد اليهودية، ان يستخدم في "روايات الطفولة" اسلوب الميدراش الذي استخدمته التقاليد اليهودية- في رواية "طفولة موسى"؛ في حين ان لوقا، -وقد وجّه انجيله إلى قراء يجهلون التقاليد اليهودية غير الكتابية- سيستخدم اسلوب "البشارات"، فيركز اهتمامه على الاسفار المقدسة في محاولة لاستخلاص "ما يختص" بيسوع في جميع الكتب (لو٢٤: ٤٤)، مؤكدا على ما تتسم به تلك الاحداث من " بشرى" جديرة بالقبول...

إلا ان الخطوة الحاسمة التي خطاها المسيحيون الاولون، هو انهم احدثوا انقلاباً في طريقة "التفسير" ضمن هذا الفن الميدراشي -ومن دون ان يتحدد أي شكل من الميدراش استخدموا في روايات الطفولة! ذلك انهم، عوض عن ان ينطلقوا من شرح للنص الكتابي بهدف تأوينه، **انطلقوا من يسوع، بعد ان تأكد لهم انه هو مفتاح الكتب المقدسة.. وراحوا يبحثون عن موقعه في الكتاب ومكانته في مخطط الله الخلاصي، كي يزدادوا فهماً لسرّه!** ومن هنا نجد الاستشهادات او التلميحات إلى العهد القديم، وقد غمرت روايات الطفولة لدى كل من متى ولوقا، وإن تعاملا معها بشكل مختلف...

بعد هذا العرض السريع لاسلوب "روايات الطفولة"، يمكننا ان نتوقف قليلاً عند بعض المحطات الرئيسة في رواية كل من متى ولوقا[٢١] -وغني عن القول بأن كل محاولات الجمع والمزج بين الروايتين، بغية تكوين قصة متكاملة لطفولة يسوع، قد انتفت وإلى غير رجعة!!

---

(٢١) اقرأ "اضواء على اناجيل الطفولة " بقلم جان دانييلو: سلسلة دراسات في الكتاب المقدس/ رقم ١، -دار المشرق - بيروت ١٩٨٤. كما نشير إلى مقالنا بعنوان "انجيل طفولة يسوع" (الفكر المسيحي:ك ٢ /نيسان ١٩٩١/ملف).

أ- انجيل الطفولة بحسب متى

نكتشف، باديء ذي بدء، -في اثر الاب شربنتييه- بأن متى، في الفصلين الاولين من انجيله، "رسم في الظل وجه يسوع انطلاقاً من وجه موسى كما كان معروفاً بالهجّادة: فقد رأى يوسف حلماً، مثل عمران والد موسى، يبشره بولادة الطفل، وكما ان فرعون الذي انتابه القلق بعد رؤيته حلما يخبره هو ايضاً بهذه الولادة، جمع مستشاريه.. كذلك يضطرب هيرودس ويجمع اورشليم. وكما فعل فرعون بقتله اطفال اليهود ليضمن ابادة ذلك الطفل، كذلك امر هيرودس بقتل اطفال بيت لحم. وعلى مثال موسى نجا يسوع من القتل باعجوبة واقتيد إلى مصر ثم عاد منها لكي يستكمل الخروج: [من مصر دعوت ابني]. ونلاحظ ان هذين الفصلين قد كتبا بالاستعانة بخمسة اقتباسات من العهد القديم..."[٢٢]

وعبر قراءة مركزّة لفصلي متى، نجدنا بازاء سلسلة من خمسة احداث (اطلاع يوسف، زيارة المجوس، الهرب إلى مصر، مقتل الاطفال، العودة إلى الناصرة)، يقابلها خمسة اقتباسات من الاسفار المقدسة. وتنتضم هذه الاحداث في محورين: الاول يدور حول "ملاك الرب ويوسف"، والثاني يبرز "التنافس" والتضاد بين ملكين: هيرودس ويسوع!

١- اطلاع يوسف على امر مريم (١: ١٨-٢٥/أش ٧: ١٤)

بعد سلسلة الانساب[٢٣] (١: ١-١٧) التي كشفت عن هوية يسوع بصفته "المسيح ابن داود"، يضعنا متى بازاء رواية "الحبل البتولي" -وتقابلها رواية "البشارة" لدى لوقا- حيث يتضح بأن المقصود ليس اثبات الحبل العجيب او تبرير ساحة مريم -وليسا هما موضوع شك-، وانما الكشف ليوسف عن مهمة الاضطلاع بابوّة يسوع الشرعية، وتمكين يسوع، عبر يوسف، من ان يكون "ابن داود"، وابراز انتمائه إلى سلالة داود الملكية: "يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأتي بامرأتك مريم إلى بيتك...". وينتهي المشهد بنبؤة اشعيا: "ها ان العذراء تحمل فتلد ابنا يسمونه عمانوئيل" (٧: ١٤) -وقد قيلت أصلاً في مولد الملك حزقيا ابن آحاز! ومن الجدير بالذكر ان النص العبري استخدم عبارة: "ها ان المرأة الشابة"، بينما ترجمتها السبعينية بـ "العذراء"! فاستند اليها متى للاشارة إلى الحبل البتولي، وللتأكيد بنوع خاص على انتساب يسوع إلى نسل

---

[٢٢] انظر : من الاناجيل /ص ٥٠.

[٢٣] بشأن النسب ندعو إلى مطالعة "دراسات انجيلية" للاب كسافييه ليون- دفور، تعريب: الاب يوسف حبي، الجزء ١، بغداد ١٩٨٨ /ص ٤١-٦٠ ، وكذلك بشأن البشارة إلى يوسف / ص ٦١- ٧٩.

داود، واضفاء صفة الالوهية عليه عبر التفسير الملحق بالنبوة: "عمانوئيل، أي: الله معنا"..!

٢- زيارة المجوس (٢: ١-١٢/ مي ٥: ١+ ٢ صم ٥: ٢)

ويبني متى رواية المجوس وفق اسلوب " التفسير" الميدراشي الذي يبين كيف تلتقي الاحداث اليوم بنصوص الكتاب المقدس وكأنها تحقيق لها. فانطلاقا من شخصية هيرودس المعروف بعدوانيته، واستناداً على ارضية من سفر اشعيا(الفصل ٦٠و٦٢)، وعلى نص من سفر العدد: "يخرج كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من اسرائيل..."(٢٤: ١٧) -ورد فيه ذكر "النجم"[٢٤]-، تضع رواية متى المقاومة التي

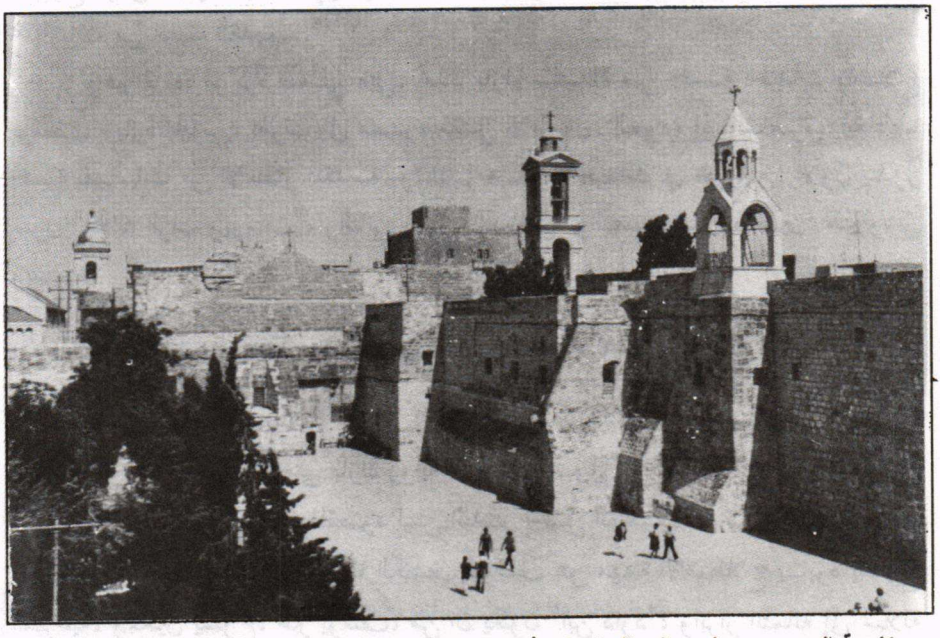

كنيسة المهد - بيت لحم: المدخل الصغير في صدر الصورة ينفتح على كنيسة فخمة ترقى الى القرن ٦ شيدت على أنقاض كنيسة من عصر الملك قسطنطين، وتقوم "مغارة" المهد تحت صحن الكنيسة.

لقيها يسوع من جانب السلطات اليهودية، بازاء الاعتراف به الذي يعلنه الوثنيون في شخص المجوس "الساجدين"..! وتأتي نبؤة ميخا لتؤكد حقيقة هذا المولود الجديد "ملك اليهود"، وتجيب إلى استفسار هيرودس من رؤساء الكهنة والكتبة عن ولادة المسيح: "وانت يا بيت لحم أفراته، انك اصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون

---

[٢٤] يورد الاب شربتييه النص العبري للآية إلى جانب نص "الترجوم" الفلسطيني (التفسير الآرامي للنص العبري) الذي يقول : " حين الملك القدير الذي من آل يعقوب يملك، وحين المشيح، صولجان اسرائيل القدير، يُمسح..." . وهكذا يجعل متى من هذا "النجم" نجماً حقيقياً -هو المسيح- في ضوئه يسير المجوس (الدليل/ ص ١٨٨).

متسلطا على اسرائيل، واصوله منذ القديم، منذ ايام الأزل"! وترجّع هذه النبؤة صدى مبايعة اسباط اسرائيل لداود، وقد قال له الرب: "... انت ترعى شعبي اسرائيل" (٢ صم٥: ٢).

٣- الهرب إلى مصر (٢: ١٣-١٥/ هو ١١: ١)

وعبر توسّع ميدراشي في حدث الفصح الذي تم فيه " خروج" بني اسرائيل من مصر، يحاول متى ان يجعل من الهرب إلى مصر، بأمر من الملاك، فرصة لخروج جديد ينجح بشكل تام في شخص يسوع الذي بموته وقيامته يفتتح الملكوت... وتأتي نبؤة هوشع(١١: ١) لتؤكد بان يسوع هو اسرائيل الجديد: "ولما كان اسرائيل صبياً أحببتُه، ومن مصر دعوت ابني"!

٤- مقتل اطفال بيت لحم (٢: ١٦-١٨ /ار ٣١: ١٥)

ويبقى متى في اطار التقاليد اليهودية حين "يحدّث" ويؤوّن لنا مقتل اطفال اليهود على يد فرعون ونجاة موسى: فكما لم ينجح فرعون في القضاء على من كان مزمعاً ان يكون"منقذاً" للشعب، لم "تنجح عدوانية هيرودس في ازاحة ذاك الذي هو وحده "الملك"، "بكر" اسرائيل الذي سيحقق الخلاص الكامل.. والذي فيه تتحقق نبوة ارميا: "صوت سمع في الرامة: ندب وبكاء مُرّ. راحيل تبكي على بنيها..."! وهذه النبؤة تنفتح على آفاق الرجاء، إذ يقول الرب: "كفّي صوتك عن البكاء وعينيك عن ذرف الدموع.. مستقبلك رجاء.. وسيرجع البنون إلى ارضهم..." (٣١: ١٥-١٧).

٥- العودة من مصر إلى الناصرة (٢: ١٩-٢٣/اش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦)

تنتهي رواية الطفولة بحسب متى بمشهد العودة التي توحي بحدث الخروج، حيث ان يسوع، بعد ان نجا من المذبحة، سيمكنه ان يدخل ارض اسرائيل (الآية ٢١) ليستكمل فيها الخروج في اعمق معانيه، ألا وهو الفصح (العبور) الذي سينجزه بموته وقيامته. ويحار المفسرون بشأن الصلة ما بين اقامة يسوع في الناصرة وما قيل على لسان الانبياء: " انه يدعى ناصرياً"! ولا اثر لهذه الآية في العهد القديم! ولعلّ المقصود هو "النذير" الذي يكون بكليته "قدوس الله" (راجع قض ١٣: ٥).

ب–انجيل الطفولة بحسب لوقا

في رواياته لطفولة يسوع (فصلان طويلان من ١٣٢ آية) يركّز لوقا على الاسفار المقدسة اكثر من تركيزه على التقاليد غير الكتابية التي يجهلها قراؤه. ويستخدم اسلوب "التفسير" بشكل رائع **حين تصبح روايات الكتاب المقدس بمثابة "المياه الجوفية" التي ترسو عليها الاحداث وتتخذ لها معنى! فهو** إذن –وليس أقلّ من متى– يستند إلى الاسفار المقدسة، ولكن من دون ان يكثر من الاشارة إليها نصّاً، لانها في نظره تشكل الخلفية الاساسية التي على ضوئها ينكشف سر يسوع وتتجلى هويته... ولذلك نراه يكثر من هذه العبارات على لسان يسوع: "يجب... اما كان ينبغي..."، لكونها تدرج حياة يسوع واعماله، ولاسيما موته وقيامته، في قلب تصميم الله الخلاصي! أليست خلاصة انجيله تكمن في تلك الوصية الاخيرة، عشية القيامة: "... يجب ان يتم كل ما كُتب في شأني، في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير..." (٢٤: ٤٤)؟ (راجع الاطار ١٩/ الفصل ٣: يجب أن...).

وتشكل روايات الطفولة لدى لوقا مقدمة لاهوتية عميقة يفتتح بها كتابه بجزئيه، إذ يُضمنها كل الطروحات الرئيسة التي سيتناولها في المجلّدين! ولقد أجاد لوقا في هذه المقدّمة حين جعلنا نكتشف للحال، ومنذ البشارة، باننا ازاء طفل هو منذ الحبل به "ابن العلي، ابن الله"! **(انظر الاطار٣٣: ابن الله)**. وسرعان ما تصبح أمه وقبل الولادة، "ام الرب"، على لسان اليصابات! ويبلغ الكشف أوَجَه عبر

اطار ٣٣

ابـــن اللـــه

كان لقب "ابن الله" في العهد القديم يُطلق على الملك بصفته ذاك الذي يحكم الشعب باسم الله وبحسب ارادته. وكان داود الملك أول من أُطلق عليه هذا اللقب في حفلة التتويج حين تلا عليه الكاهن صلاة كشفت عن ان الله اتخذه "ابناً" (٢ صم٧: ١٤). وحين ارتضى الله بداود ملكاً، وعد، بلسان ناتان، ان يقر عرشه، فيصبح كل "ابن لداود"، يوم تتويجه، "ابن الله"، وتصبح العبارتان مترادفتين.. ولكن من دون ان يحصل الملك قط على عبادة الهية، كما لدى الشعوب الاخرى. وقد اطلق الله على الشعب في بعض النصوص لقب "الابن" او "البكر" (خر ٣: ٢٢؛ تث ١٤: ١؛ أش ١: ٢؛ هو ٢: ١...).

ولما لم يكن كل خلفاء داود الشرعيين على جانب من الجدارة بهذا اللقب، لم يتردد اشعيا النبي (في حدود عام ٧٥٠) من ان يتطلع إلى مجيء ابن لداود يجلس على عرش ابيه.. وراح يرسم ملامح هذا "الابن" الذي لن يكون لملكه انقضاء (اش٧و٩و١١) طالما انه مكلف باقامة ملك الله...

واخذت صورة "ابن داود" الحقيقي تنمو في ضمير الشعب وامانيه بحيث خلدها المزموران ٢و١١٠ اللذان سيجد المسيحيون الاولون تحقيقهما في يسوع "ابن داود"، "ابن الله"، ولاسيما حين سيطبقونهما عليه للتعبير عن القيامة (راجع رسل ٢: ٣٤؛١٣: ٣٣). فالمزمور الثاني يؤكد ان الله سيكون دوما إلى جانب الملك الذي مسحه: " انـي مسحت ملكي على شعبي.. انت ابني وانا اليوم ولدتك. اعطيك الامم ميراثا

واقاصي الارض ملكاً ". اما المزمور ١١٠ فيعلن: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك..."! وسيبقى هذا الرجاء راسخاً باتجاه ذلك اليوم الذي يقيم فيه الله ملكوته، على العالم على يد ملك هو ابنه! كما سيرافق هذا الرجاء لدى الشعب حلم خطر باتجاه مشيح ارضي يقيم ملكوت الله بالسيف في محاولة لاعادة ملك اسرائيل الزمني! (راجع: المسيح قام/ ص ٢٤-٢٥).

ويقول القاموس الانسكلوبيدي للكتاب المقدس بأن لقب "ابن الله" لم يكن في زمن يسوع لقباً مسيحانياً دارجاً، وإن أوحت بذلك بعض نصوص العهد الجديد ! فاليهودية الرسمية لم تنسب قط إلى المشيح طبيعة الهية او وجوداً ازلياً..! ومن الجدير بالذكر ان يسوع في الاناجيل الازائية قلما اختصّ لنفسه هذا اللقب.. فيما يعبر هذا اللقب بالأحرى عن ايمان المسيحيين الاولين بالرب يسوع في ضوء قيامته. ولاعجب اذا شهد تطوراً في مضمونه قبل ان يتخذ ثقله اللاهوتي، كما عكسه انجيل يوحنا او كما عكسته رواية العماذ والتجلي لدى الازائيين (متى٣: ١٧؛ ١٧: ٥ وما يقابلهما) باعلان بنوّة يسوع الالهية التي هي في الاساس من كرامته كمسيح...

ولسنا نكشف سّراً إذا قلنا بأن القيامة هي التي كشفت عن كون يسوع ابن الله، المسيح، الملك، ابن الأنسان، سيد الكون.. فاضفت بالتالي مضموناً لاهوتيا على لقب "ابن الله" بحيث اصبحت كلمة الآب "انت ابني الحبيب عنك رضيت" أسمى تعبير عن حقيقة قيامة يسوع، ولا سيما حين يضاف اليها عبارة "له اسمعوا" التي وردت في رواية التجلّي (مر ٩: ٧؛ متى ١٧: ٥؛ لو ٩: ٣٥). وغني عن القول بأن هذا الايمان ببنوّة يسوع الالهية كان قد تعمق لدى الجماعات المسيحية الاولى، قبل ان تعكسه الكتابات المسيحية الاولى، بدءً برسائل القديس بولس...

بشرى الملاك للرعاة بميلاد يسوع: "ولد لكم اليوم مخلص.. هو المسيح الرب"!

وتتجلى من ثم هوية يسوع على لسان سمعان الشيخ الذي تمنى ان يرى "مسيح الرب"، وها إن عيناه تعاينان "خلاص" الله. وتبلغ رواية طفولة يسوع ذروتها في مشهد الهيكل حين يلفظ يسوع، وهو في الثانية عشرة، اول كلمة يسمّي فيه الله اباه: "يجب ان اكون عند ابي" !

وتجدر الاشارة إلى ان لوقا يتعمّد ان يضعنا بازاء اناس من القاعدة، لا بل من الهامش، كي يطلعنا على ان الله اختارهم ليحقق بواسطتهم مقاصده الخلاصية: بدءً بزكريا الكاهن المغمور واليصابات العاقر وفتاة الناصرة الوضيعة، وانتهاء بسمعان الشيخ وحنة الارملة العجوز، مروراً بالرعاة الذين هم في الاسفل من السلم الاجتماعي.. وإليهم ستوكل مهمة حمل البشرى!

ولدى قراءة نبيهة للفصلين الاولين من انجيل لوقا نجدنا للحال بازاء طفولتين متوازيتين: طفولة يوحنا المعمذان -ويعتبره لوقا آخر انبياء العهد القديم واعظمهم (٧: ٢٦-٢٨) -وطفولة يسوع، وتلك اولى الدلائل على التواصل بين العهدين القديم والجديد، سيما وان **لوقا قد أدرك بان تاريخ الخلاص يقوم على ثلاثة أزمنة (زمن الموعد، زمن يسوع، زمن الكنيسة)**. وهكذا يبني لوقا روايته على الشكل التالي، وبسبعة مشاهد:

البشارة: فرا أنجيليكو (١٣٨٧-١٤٥٥) - فلورنسا.

- بشارة زكريا ليوحنا (١: ٥-٢٥)
- بشارة مريم ليسوع (١: ٢٦-٣٨)
- زيارة مريم لاليصابات ونشيد مريم (١: ٣٩-٥٦)
- مولد يوحنا المعمذان ونشيد زكريا (١: ٥٧-٨٠)
- ميلاد يسوع والبشرى للرعاة (٢: ١-٢١)
- تقدمة يسوع إلى الهيكل ونشيد سمعان (٢: ٢٢-٣٩)
- يسوع في الهيكل في الثانية عشرة (٢: ٤١-٥٢)

ولا يسعنا أن نتناول بالتفصيل كلاً من هذه المشاهد المليئة بالمعاني اللاهوتية في ضوء الاسفار المقدسة، ولاسيما تلك " الاناشيد "/ الصلوات التي صاغها لوقا بعد تأمل عميق في سر المسيح: نشيد مريم (١: ٤٦-٥٥) ونشيد زكريا (١: ٦٨-٧٩) ونشيد سمعان الشيخ (٢: ٢٩-٣٥).. وانما سنتوقف قليلاً عند ثلاث لوحات: البشارة، الميلاد، يسوع في الهيكل. ونفرد حواشي **للاناشيد الثلاثة** كونها اشبه بصلاة مسيحية تغذت بالعهد القديم (**انظر الاطار ٣٤: ضرورة العهد القديم لفهم العهد الجديد**).

١- رواية البشارة (١: ٢٦-٣٨)

تنتمي هذه الرواية إلى فن "البشارات" المعروف في العهد القديم (انظر البشارة إلى سارة (تك: ١٨) وحنة ام صموئيل (صم١-٢) وجدعون (قض ٦: ١١-٢٤)الخ...)، وبمقارنة بشارة مريم مع البشارة لزكريا وجدعون يتضح لنا للحال بان لوقا يولي اهتماماً كبيراً بالمهمة الموكلة إلى مريم -وقد اختارها الله بنفسه- من اجل خلاص شعبه! فهوذا يضع على لسان الملاك البشير هذه التحية التي تنبىء بافتتاح الازمنة المشيحانية: " افرحي ايتها الممتلئة نعمة، الرب معك"، إذ ترجعنا إلى النبي صفنيا: " افرحي يا بنت صهيون، ان في وسطك الرب ملك اسرائيل" (٣: ١٤-١٧). فنحن إذن بازاء مريم هي بالتالي "بنت صهيون"، صورة شعب الله! (راجع يوء ٢: ٢١-٢٧؛ زك ٢: ١٤-١٧ و٩: ٩-١٠)، كما هي بالتالي صورة لكنيسة آخر الازمنة التي قبلت الرب في وسطها كما

ضرورة العهد القديم لفهم العهد الجديد

(...) الكثير من الكلمات التي استعملها يسوع او تلاميذه كانت جزءًا من الثقافة الدينية في ذلك الزمان، وهي توحي بغير ما يبدو أنها توحي به. والحال أن جوهر هذه الثقافة كان قائماً قبل كل شيء على الكتاب المقدس (العهد القديم). فهناك ألقاب تُطلق على يسوع (مشيح او مسيح وابن داود وابن الله وابن الانسان والعبد المتألّم والنبيّ...) وعبارات كثيرة، كالكرمة والزواج وصهيون والماء والنَسمة... تبدو أنها "عناوين فصول" مليئة بمضمون اختمر طويلاً في تاريخ اسرائيل.

• عالم الرموز

(...) ان قلتُ لطفل: "هذا الرجل شجاع"، استخدمت لغة العلم والاعلام. فلِكلمة "شجاع" معنى دقيق محدّد في المعجم، وأنا أنسبه الى هذا الرجل. هذه الكلمة تلخّص ما هو معروف عنه، لكنها لا تُغني معرفتي له. وان قلتُ: " هذا الرجل أسد"، استخدمتُ لغة رمزية. فلا يتصوّر الطفل ان هذا الرجل حيوان وان له أنياباً (لغة الإعلام)، لكنه ينسب إليه كل ما توحي به إليه صورة الأسد.. شرط ان يكون قد رأى أسداً غير أسده النسيجي! اننا نلمس هنا لَمس اليد ما هو فضل اللغة الرمزية وما هي حدودها. إنها تُغني معرفة الأمر الذي تُطبّق عليه، ولكن لا معنى لها إلاّ بالنسبة الى أشخاص لهم اختبار واحد. ان كان الطفل لا يعرف ما هو الأسد، فعليّ أولاً ان اذهب به الى حديقة الحيوانات أو الى السينما. ومتى صار عنده اختبار كافٍ عمّا هو الأسد، عندئذ أستطيع ان استعمل الكلمة استعمالاً رمزياً.

• العهد القديم، عالم من الرموز

لنستخلص مِمّا قلناه نتيجتين عمليتين لقراءة الكتاب المقدس.

عندما نقرأ كلمة من العهد القديم او العهد الجديد، لا بدّ ان نتساءل: هل نحن أمام إعلام ام أمام رمز. فإن كنّا امام رمز، فلا بدّ ان نتساءل عمّا كان يوحي به إذ ذاك، وإلاّ لتعرّضنا لأعظم التفاسير الخاطئة. إليك مثلاً: لعبارة "ابن الله" معنى دقيق وقوي جداً في نظر المسيحي المعاصر، بينما عبارة "ابن الانسان" توحي في نظره بالضعف. والحال اننا رأينا ان عبارة " ابن الله " كانت تعادل، في نظر اسرائيل، " ابن داود". فكانت اذًا لقباً هاماً، ولكنه ارضيّ. أما عبارة " ابن الانسان" فكانت توحي في بعض الأحوال بتلك الشخصية السماوية الوارد ذكرها في سِفر دانيال، والتي سيولّيها الله الدينونة في نهاية الأزمنة، أي شيئًا إلهياً محضًا. فكان هذا اللقب الأخير اقوى بكثير من لقب "ابن الله"!

نتيجة أخرى: عندما نقرأ العهد القديم، يجب علينا ان نقاوم، قدرَ ما أمكن من الوقت، ميلنا الى رؤية يسوع فيه ! إليك شرحاً معزّزاً بمثل: هَب اننا ندرس الفصل السابع من سفر دانيال.. فإن قلنا، ونحن نقرأ كلمة "ابن الانسان": "هذا يسوع"! نكون قد اكتفينا بأن وضعنا على المسيح رقعة خالية من المعنى او حاملة معنى غير المعنى الصحيح (كرقعة " أسد " بالنسبة إلى الطفل الذي لا يعرف إلاّ أسده النسيجي). فلا بدّ لنا ان ننسى أولاً يسوع ونبحث في سفر دانيال عن معنى عبارة "ابن الانسان ". ومتى شعرنا بأننا أمام صورة جماعية، وأنها تمثّل مجموعة المؤمنين الذين أُدخلوا الى مجد الله لأنهم فضّلوه على حياتهم..، استطعنا أن ننسبها الى يسوع، وعندئذ تغتني معرفتنا للمسيح اغتناءً وافراً.

أ. شربتييه

(الدليل / ص ١٠٩- ١١٠)

قبلته مريم في احشائها. وإذا اطلق على مريم هذا الاسم الجديد "الممتلئة نعمة"، فلأنه الاسم الذي سيلازم كنيسة آخر الازمنة التي كتب عنها بولس: "... للتسبيح بمجد نعمته التي أنعم بها علينا في الحبيب " (أف١: ٦)!

وفي سياق الرواية، وعبر الحوار بين الملاك ومريم، تتوضح هوية الطفل المبشَّر به الذي ستحمله مريم وتسمّيه " يسوع "(الله يخلّص!).. والذي يعلنه الملاك "ابن العلي"، كونه "ابن داود" الذي سيجلس على عرش ابيه، ولن يكون لملكه نهاية... فيسوع هو، إذن، "ابن العلي" بمعنى "ابن داود" المنصّب ملكاً، والوارد ذكره في ٢ صم: "... انا اكون له ابا وهو يكون لي ابنا... وأُقِرُّ مُلكه. يكون بيتك وملكك ثابتين إلى الدهر وعرشك يكون راسخا" (٧: ١٤).

إلا ان لوقا يتدرّج في الكشف عن هوية يسوع، فيتجاوز انتظارات الشعب لملك على عرش داود حين يضفي عليه لقب "ابن الله" بالمعنى الحقيقي (الآية٣٥)، مُحمِّلاً اياه ما ينطوي عليه من ابعاد لاهوتية، وذلك عبر هذا الكشف الذي يضعه على لسان الملاك: "الروح القدس سينزل عليك وقدرة العلي تظللك، لذلك يكون المولود قدّوساً، وابن الله يُدعى"! فاستخدام فعل "ظلّل" (بالعبرية: شكن) يرجعنا للحال إلى نصوص العهد القديم التي تصف سكنى الله في هيكله (خر ٤٠: ٣٥؛ عد٩: ١٨و٢٢)، حيث اتخذت كلمة "شكينة" معنى عميقاً للتعبير عن حضور الله وسط شعبه (وهذه الكلمة نفسها يستخدمها يوحنا في مطلع انجيله حين يقول عن الكلمة انه: "صار بشرا وسكن بيننا"، بمعنى انه نصب خيمته بيننا)... وهكذا اصبحت مريم[٢٥] ومن خلالها الكنيسة شعب الله الجديد، محط سكنى الله! ألسنا في قلب سر التجسّد؟

٢- رواية الميلاد (٢: ١-٢٠)

تقودنا هذه الرواية الرائعة، بفرصة " الاحصاء العام"، من الناصرة إلى بيت لحم "مدينة داود" للتدليل بأن يسوع هو من سلالة داود! إلا ان المشهد الرئيس فيها يمثله الرعاة، وهم من اسفل السلّم الاجتماعي، إذ يُوجَّه إليهم "الانجيل/ البشرى" في جو من الفرح، هو فرح الحدث المشيحاني الذي نجد صداه في نبوة اشعيا (٦٠: ٦؛

---

[٢٥] في نشيد مريم (١: ٤٦-٥٥)- وقد صاغه لوقا على شاكلة نشيد حنة ام صموئيل (١صم٢: ١-١٠) وطعّمه بالمزامير (١١١: ٩؛ ١٠٣: ١٧؛ ٨٩: ١١؛ ٩٩: ٣؛ ١٠٧: ٩) -اشادة بعمل الله الخلاصي في حياة شعبه ، وقد تجلّى بنوع خاص عبر عطية طفل لفتاة مغمورة - هي" بنت صهيون"-، فأصبح علامة لالتزام الله جانب اتقيائه من "المساكين والمتواضعين والجياع"، وازدرائه " بالاقوياء والاغنياء والمتكبرين"..! ذلك ان الله منذ الآن سيقلب الموازين ويكشف عن "رحمته" لمتقيه من "المساكين" الذين طالما انتظروا خلاصه بثقة: فها هو "ينزل الاقوياء عن عروشهم" و"يصرف الاغنياء فارغي الايدي"! ألسنا بازاء رسالة يسوع، وقد اختص لذاته نبوة اشعيا (٦١: ١ت- لو ٤: ١٨ت) وعاشها في كل ابعادها ما بين المساكين والخطأة والمرضى والمعذبين والمظلومين والمحتقرين ؟ وينتهي النشيد /الصلاة بنبرة الرجاء المحقّق، كون الله هرع إلى "نصرة عبده اسرائيل، ذاكراً رحمته -كما وعد آباءنا- لابراهيم ونسله للابد" (آ ٥٤ -٥٥). فنحن إذن بازاء خلاص في طور الانجاز، سيتم عبر "يسوع" الذي يأخذ موضعه في تدبير الله الخلاصي، منذ العهد الاول مع ابراهيم، وطيلة التاريخ المقدس .

ايقونة العذراء والطفل : لفنان مجهول ـ وقد استقرت في فلاديمير (روسيا) عام ١١٥٥، ومن هنا تسميتها بـ « عذراء فلاديمير »! متحف ترتياكوف، موسكو.

٦١: ١...) والذي يُعلَن "لجميع الشعب"، بل لجميع الشعوب: "ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: ولد لكم اليوم مخلص، في مدينة داود، هو المسيح الرب"! وللحال نجدنا في قلب الكنيسة الاولى وهي تحمل الى العالم بشرى يسوع، ذلك المصلوب الذي اقامه الله " وجعله ربا ومسيحا "[٢٦] (رسل ٢: ٣٦)..! ألسنا في الواقع ازاء الكرازة في الكنيسة الاولى حيث لا يني لوقا، في سفر اعمال الرسل، يردّد مراراً عبارة "بشّر" التي توجز نشاط الرسل في اورشليم، هم الذين ما انفكّوا "يعلنون بشرى يسوع المسيح" (رسل٥: ٤٢؛ ٨: ٤و١٢و٢٥،الخ...)! كما توجز رسالة الهيللينيين في الاوساط الوثنية، الذين راحوا، بدءً من انطاكيا، "يبشرون بالرب يسوع" (رسل ١١: ٢٠).. وقد ارسله الله " مخلصاً " وفقا لوعده (رسل ١٣: ٢٣).

ولقد انفرد لوقا بعبارة " مخلص " التي كانت تطلق في العهد القديم على الله -ولم تطلق البتة على المشيح! وقد يكون اطلقها على يسوع بمثابة ردّ على الاباطرة الذين اختصوا لقب "المخلص".. فضلاً عن هدفه في ابراز عمل المسيح الخلاصي[٢٧]. وليست عبارة "اليوم" -وترد هنا للمرة الاولى على لسان الملاك، وستتردد مراراً في كتابات لوقا- اشارة زمنية عابرة، وانما هي تعبير عميق عن يوم السر الفصحي الذي فيه تم الخلاص بيسوع، وهو اليوم الذي فيه وَلَدَ الله ابنه "ربّاً" للعالمين بحسب ما جاء في المزمور٢: "انت ابني وانا اليوم ولدتك"، متمّماً للأبناء ما سبق ووعد به الآباء (رسل ١٣: ٣٢-٣٦).

---

(٢٦) كانت عبارة " مسيح الرب " (١ صم ٢٤: ٧) هي المتداولة في العهد القديم، إلا ان المسيحيين الاولين أجروا عليها تعديلاً ليضفوا على يسوع لقب " المسيح "و " الرب " معاً ! وتجدر الاشارة إلى ان لقب " الرب " في الترجمة السبعينية التي اعتمدها الانجيليون ولوقا بشكل خاص، هو ترجمة لعبارة "يهوه" -وقد استخدمه لوقا ١٩ مرة في الانجيل و٤٠ مرة في سفر الاعمال ، في حين لم يُطلَق على يسوع سوى مرة واحدة في انجيل متى(٢١: ٣) ومرة في مرقس (١١: ٣). ويمكننا القول بأن تعبير "المسيح الرب" هو توسّع ميدراشي تكوّن في قلب الجماعة المسيحية الاولى...

(٢٧) تجدر الاشارة هنا إلى ان نشيد زكريا (١: ٦٨-٧٩) يشيد باستمرار بمواعيد الله، وذلك عبر صيغ " البركة " التقليدية في عبادة اسرائيل: "تبارك الرب اله اسرائيل، لانه افتقد شعبه وافتداه، فأقام لنا قرن خلاص في بيت عبده داود" (راجع مز ٤١: ١٤؛ ١١١: ٩). فما يتم الآن ، انما يتم وفق ما قاله "بلسان انبيائه القديسين منذ الزمن القديم"، وتحقيقا "لعهده المقدس" الذي ابرمه عبر "القَسَم لأبينا ابراهيم"! انه الموضوع الاساس الذي يحوم حوله التاريخ المقدس، ونرى ماجرياته الآن في الكنيسة (راجع اح٢٦: ٤٢؛ مز ١٠٥: ٨-٤٩؛ مز١٠٦: ٤٥). وسيعكس لوقا في كتابه ذي الجزئين امانة الله لمواعيده التي تحققت في يسوع المخلص -وقد كان المعمذان "نبي العلي" السائر امام الرب "ليعدّ طُرُقَه ويعلّم شعبه الخلاص بغفران خطاياهم" (راجع ملا ٣: ١؛ اش٤٠: ٣). ومن الجدير بالذكر ان النشيد يربط بين "القَسَم" لابراهيم وبين "العبادة للرب بدون خوف، بالتقوى والبر طوال الايام"، بعد النجاة من "ايدي الاعداء"! أليست عبادة الله بحرية وفرح هي احدى علامات الخلاص المُنجَز؟

الميلاد - منمنمة في مخطوطة سريانية من القرن ١٢ (المتحف البريطاني - لندن).

ويبلغ المشهد ذروته حين يتناوب الملائكة والرعاة على التبشير بالحدث السار: فهوذا لوقا ينقلنا الى أجواء ليتورجيا حية تشيد بعظائم الله، يشارك فيها مع الملاك البشير "جمهور من الجند السماويين"! ألسنا في حضرة الله عبر طفل المذود؟ ألا يهدف لوقا الى إشعارنا بأننا في حضرة الله عبر هذا "الآتي" الذي طالما ردد المزمور (١١٨: ٢٦) الاشادة بمجيئه: "مبارك الآتي باسم الرب، السلام في السماء، والمجد في العلى" -وهذا الهتاف سيضعه لوقا مجدداً على لسان التلاميذ يوم السعانين (١٩: ٣٨)!

وبعد الملائكة يأتي دور الرعاة/المبشرين الذين "اشرق مجد الرب حولهم" (آ٩)، فأصبحوا قادرين، لا على السجود للطفل كما يخيل الينا، وانما على "الكلام" أي التبشير بما "اخبرهم به الرب"! بهذا الصدد كتب الاب شربنتييه:"ان الله هو الذي أخبر الرعاة، بواسطة الملاك، بالبشرى". اما الآن فهؤلاء، أي الكنيسة، سيخبرون بها (آ١٥و١٧)، لأن لوقا، لكي يُصَوِّر هؤلاء الرعاة، اتخذ نموذجاً منهم بين المبشرين المسيحيين داخل الجماعة المؤمنة! ومع أنه لا يحب التكرار، نراه يستعمل ٤ مرات فعل "تكلم" او"قال" في ست آيات! ونلاحظ ان هذا الفعل يرد باستمرار في سفر الاعمال وفي رسائل بولس كمرادف للعبارة "بشّر بكلمة الله": فالرعاة، قبل كل شيء، يبشّر بعضهم بعضاً بالبشرى (آ ١٥).. وعندما يصلون الى المغارة، لا يسجدون، بل يخبرون مريم وكل من كان هناك بما "بشّرهم" به الملاك (آ١٧). فالكل متعجب من هذه البشارة (آ ١٨)! ويعودون وهم يسبحون الله لما رأوه وسمعوه بحسب ما بُشِّروا به (آ ٢٠)[٢٨].

---

[٢٨] من الاناجيل /ص٦٩-٧٠

وهكذا يكون لوقا قد رسم صورة الرعاة على مثال المبشرين المسيحيين الاوائل الذين، بعد ان تلقوا البشرى من الرسل، تجنّدوا بدورهم في حملها والشهادة لها في كل مكان. وقد تجنّد لوقا، في سفر الاعمال، للاصداء لعمل التبشير الذي قاده الروح القدس في شخص العاملين معه، بدءً ببطرس ويوحنا، مروراً باسطفانس وفيلبس، وانتهاء ببرنابا وبولس ومعاونيه... وسيبقى الرعاة مثالاً لكل مسيحي تجتاحه البشرى، ويرى لزاماً عليه ان يعلنها وينادي بها في العالم، ايّاً كان الثمن ومهما كانت مواقف السامعين! فان لوقا قادنا في ختام لوحة الميلاد إلى مواجهة فئتين من السامعين: فئة الذين "سمعوا فتعجبوا" (آ

١٨) -ويعني بهم اولئك الذين تلقوا الكلمة/ البشرى و لم تتأصل فيهم (انظر لـو ٤: ٢٢ وقارن مع ٨: ١٣)؛ وفئة الذين يتلقون البشرى فيحفظونها ويتأملون بها ويتجاوبون معها.. ونموذجهم مريم التي "كانت تحفظ الكلام وتتأمل به في قلبها" (آ ١٩).

ويضيف الاب شربنتييه تحليلاً للفظة "ريما" اليونانية (كلمة) ليوضح الانزلاق المتعمَّد الذي تمّ في العبور من كلمة "قيلت" (آ١٧) إلى كلمة "حدثت"! فيكتب: [كلمة اخيرة مهمة لا بد من قولها تجعل هذا النص قريباً جداً من مطلع انجيل يوحنا، هي كلمة "ريما" اليونانية التي يمكن ترجمتها، بحسب الاحوال، بـ "قول" او "حدث". وهذه اللفظة مهمة عند لوقا، فهي ترد مرتين في هذا النص مع انزلاق في المعنى: أخبروا بالـ "ريما" (القول) الذي بُشِّروا به (آ١٧)، لانهم شهدوا الـ "ريما" (الحدث) الذي جرى (آ١٥). فالقول اصبح حدثاً][٢٩]! ألسنا في أجواء الكلمة المتجسد بحسب فاتحة انجيل يوحنا: "والكلمة صار بشراً وسكن بيننا"؟

٣- يسوع في الهيكل (٢: ٢١-٥٢)

اراد لوقا ان يجعل من اورشليم نقطة الانطلاق للبشرى التي يدونها، فجعل فيها، وفي الهيكل بالذات، بداية انجيله -عبر بشارة زكريا (١: ٥)- ونهايته (٢٤: ٥٣) عبر ملازمة الرسل الهيكل في اعقاب رفع يسوع. كما انه جعل ذروة طفولة يسوع في "صعوده الاول" إلى اورشليم في سن الثانية عشرة، ليكشف انتساب يسوع الى "ابيه" (٢: ٤٩)، كما جعل من "صعوده" وارتفاعه الى السماء ذروة حياته على الارض (٢٤: ٥١)! ومع مشهد الهيكل تتوقف تلك الموازاة بين طفولتي يوحنا المعمذان ويسوع: فبعد الفرح بالميلادين تأتي التسمية، فيأخذ الاول اسم يوحنا (ويعني "الله يتحنن" ويسامح: حنان الله)، ويأخذ الثاني اسم يسوع (ويعني "الله يخلص": خلاص الله).. ذلك لأن الله "افتقد" شعبه وأرسل "نبيا" يعدّ الطريق لمن سينجز "خلاص الله"! ومن ثم يخص لوقا يسوع بمشهد التقدمة في الهيكل -يتخللها نشيد سمعان[٣٠] مع نبوءته ونبوءة حنة (٢:

---

[٢٩] من الاناجيل /ص ٧٠.

[٣٠] نشيد سمعان : انه النشيد الاخير (٢: ٢٩-٣٥) الذي يضعه لوقا على لسان سمعان، ذلك الرجل البار الذي كان ينتظر "تعزية اسرائيل"، وكان الروح القدس قد وعده بانه لن يموت ما لم "يعاين مسيح الرب" (راجع اش ٤٠: ٤٢؛١: ١)! فها هوذا يبارك الله -وتشارك حنة النبية العجوز في حمد الله والتحدث عن اقتراب "افتداء اورشليم" (آ ٣٨)-، ويشهد ان يسوع هو المخلص : "وقد رأت عيناي خلاصك"! وهذا الخلاص هو "من اجل جميع الشعوب" (راجع اش ٥٢: ١٠؛ ٤٦: ١٣ ؛ ٤٩: ٦)، ذلك لأن يسوع سيكون "نوراً يتجلى للوثنيين ومجداً لاسرائيل"، على حد تعبير اشعيا (٤٢: ٦؛٤٦: ١٣)! ألسنا في زمن الكنيسة حيث يحدثنا سفر الاعمال كيف ان الخلاص وُهب للوثنيين (رسل ١٠: ٤٥؛ ١١: ١٨، ٢٠-٢١...)، وأنه بلغ الى اقاصي الارض!!

٢٩-٣٨)- ليختم روايات الطفولة في "اختفاء" يسوع في الهيكل لثلاثة ايام، و "البحث" عنه بتلهف، وجوابه شبه المألوف: "يجب ان اكون عند ابي"! -وكان لوقا قد اعدّ هذه الخاتمة عبر مشهد التقدمة، حين دمج عادة "التطهير" بعد الولادة (أح: ١٢: ٦) بفريضة "تكريس" الابكار لله (خر ١٣: ١)، واستبدل "افتداء" الطفل بعمل لا تفرضه الشريعة وهو "التقدمة" (آ ٢٢)، للتأكيد على ان يسوع هو"قدوس الله"!

ويتضح لنا، بعد قراءة دقيقة، ان مشهد اختفاء يسوع في الهيكل ولقياه بعد ثلاثة ايام، في اعقاب بحث حثيث، لا يمكن أن يكون مجرد صدفة! فنحن بازاء لوحة تستبق لوحة السر الفصحي الذي سيتم عبر "الصعود" إلى اورشليم (لو٩: ٥١-١٩: ٢٨) -وهو القسم المركزي في الانجيل-، وسيبنيها لوقا وفق لوحة لقيا يسوع في الهيكل! ولا يسعنا هنا سوى أن نثبت ما كتبه الاب شربنتييه حول هذا المشهد الاخير من روايات الطفولة: "جاء يسوع الى اورشليم في سن الثانية عشرة، وكان هذا صعوده[٣١] الاول إلى المدينة المقدسة، واختفى مدة ثلاثة ايام فيها لأنه كان في بيت ابيه. هناك امرأة، هي مريم، كانت تبحث عنه، فأجابها: [لِمَ كنتما تبحثان عني ؟ ألم تعلما انه يجب عليّ ان اكون عند ابي؟]. ثم عاد مع والديه! ألا تدفعنا هذه الزيارة الى التفكير في الزيارة الاخيرة التي قام بها يسوع إلى اورشليم؟ فكلامه البشري الاخير والأول (ويرد هذا عند لوقا وحده) مخصص للحديث عن الآب: [يا أبتِ في يديك استودع روحي] (٢٣: ٤٦). حينئذ اختفى مدة ثلاثة ايام (فقد كان "عند ابيه"). وكانت ثمة نسوة يبحثن عنه، فقال لهن الملاك: [لِمَ تبحثن عن...؟]. وواصل يسوع الحديث مع تلميذي عماوس بقوله: [اما كان يجب على المسيح ان يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده؟] (٢٤: ٥و٢٦). فمن الآن يبقى مع ذويه، ولكن في صيغة أخرى من الحضور"[٣٢].

وينتهي النشيد / الدعاء بنبوة باتجاه مريم بشأن هذا المخلص الذي سيكون " لسقوط وقيام كثيرين في اسرائيل"، حيث ستنشأ في شعب الله ازمة بسببه: " فتنكشف الافكار عن قلوب كثيرة " ! فأن يكون يسوع " آية معرّضة للرفض" (راجع اش ٨: ١٤؛ ٢٨: ١٦) وهذا هو معنى "السيف" في نفس مريم، وهي صورة الكنيسة-، فذلك أمر لابد منه طالما ان الخلاص سيبقى موضوع اختيار!

[٣١] يتكلم لوقا عن "صعود" اول إلى اورشليم (٢: ٤٢) ، هو في الواقع صعود جغرافي من الجليل (الشمال) إلى مرتفعات اليهودية (الجنوب). ويتكلم عن "صعود" ثان هام (٩: ٥١) هو في الوقت ذاته "ارتفاع": ارتفاعه على الصليب وارتفاعه في المجد! عن هذا الصعود يقول لوقا بان يسوع "عزم على الاتجاه الى اورشليم" -والمعنى الحرفي انه "قسّى وجهه للسير" (اش ٥٠: ٧)- بمعنى انه، على مثال "العبد" في سفر اشعيا سيجعل "وجهه كالصوّان"، ويسير بثقة نحو تتميم الرسالة، ايا كان الثمن! مع اليقين بأن الله معه...

[٣٢] من الاناجيل /ص ٧٠.

الفصل الخامس

المسألة الازائية

التوافق والاختلاف بين الاناجيل الازائية

الفصل الخامس

اولاً: معطيات المسألة

١-التوافق والاختلاف بين الإزائيين
٢-نظريات في المسألة الإزائية

ثانياً: دراسة نصوص إزائية

١- معجزة "تسكين العاصفة"
٢- مثل "الكرامين القتلة"
٣- روايات "تأسيس الأفخارستيا"

ثالثاً: الإزائية الثنائية (متى ولوقا)

١- مثل الوزنات/الأمناء
٢- التطويبات
٣- الصلاة الربية

الاطارات

٣٥)تاريخ النظريات الازائية
٣٦)اولوية مرقس
٣٧)معجزات الأناجيل
٣٨)مثل الكرامين: تعبير مجازي
٣٩)عشاء وداع.. عشاء طقسي
٤٠)منابع الأفخارستيا
٤١)الترجمات العربية للكتاب المقدس

المسألة الإزائية

.. وتفرض ذاتها مسألة التوافق والاختلاف بين الأناجيل... تلك هي المسألة الإزائية المطروحة إنطلاقاً من الالتقاء المدهش بين الاناجيل الثلاثة الأولى (متى، مرقس، لوقا) والتي يمكن أن توضع نصوصها بعضها ازاء بعض.. فتقفز أمام أنظارنا مواطن القربى بينها! هذه المسألة أسالت الكثير من الحبر لدى ذوي الاختصاص، فكانت النظريات العديدة التي تتنافى وتتعارض بقدر ما تتجانس وتتكامل! وهكذا نجدنا في معمعة البحث عن المصادر التي استقى منها الأنجيليون: بدءً بنظرية "المصدر الثلاثي" (انطلاقاً من أولوية مرقس)، مروراً بنظرية "المصدرين، وانتهاءً بنظرية "المصادر المتعددة"...

وسرعان ما ننتقل في هذا الفصل من المستوى النظري لننكب على دراسة وتحليل لنصوص إزائية: معجزة "تسكين العاصفة" ومثل "الكرامين القتلة" ورواية "تأسيس الأفخارستيا". وَلَكَمْ ستتوضح أفكار ومفاهيم من خلال هذه الدراسة المقارنة والتي تكشف بالتالي عن المضمون اللاهوتي الذي أضفاه كل إنجيلي على روايته! وَلَكَمْ ستساعد هذه القراءة المكثفة للنصوص على اكتساب فهم جديد لما قصده الأنجيليون، وهم بالتالي لاهوتيّون يقاسموننا رؤيتهم الإيمانية ليسوع.

وإنطلاقاً من نظرية المصدرين اللذين غرف منهما الأنجيليان متى ولوقا، نجدنا في قلب نصوص هامة مشتركة بينهما تدور حول محاور ثلاثة: مَثَل الوزنات/ الأمناء الرائع وعظة "التطويبات" البليغة و "الصلاة الربية" -وهي أنشودة المؤمن! وَلَكَمْ ستسهم هذه الدراسة المقارنة بين التقليدين الأنجليين في الكشف عن توجه الجماعات المسيحية العميق لتلقّي رسالة يسوع وعيش متطلبات انجيله...

مدخل

استعرضنا باسهاب، في الفصل الثالث، التقاليد الشفهية بشأن يسوع، وقد تبلورت خلال قرابة نصف قرن وتناقلتها الجماعات المسيحية، وذلك من خلال النشاطات الثلاثة الرئيسة: الكرازة والليتورجيا والتعليم. وسبق لنا ان قلنا بان هذه التقاليد الشفهية قد دُوّن بعضها في وقت مبكر، واصبحت بمثابة "مصادر" لاناجيلنا الاربعة التي قطعت شوطا قبل ان تتخذ صيغتها النهائية كما هي بين ايدينا اليوم. وقد تكون أولى هذه التقاليد المدونة -وقد أُلّفت "وحدات ادبية" في مختلف اوجه رسالة يسوع، او كما اسميناها "بمجموعة كراريس"- رواية اولى للآلام، وبمجموعة " اقوال" ليسوع، فضلاً عن الاعترافات الايمانية.. فيما تأتي في مرحلة ثانية بمجموعة " المعجزات" و " الامثال" و "المناظرات"...والدليل هو ذاك التشابه البيّن في البنية الادبية للاناجيل الثلاثة الازائية (متى ومرقس ولوقا) والتي عكف العلماء على ادراج نصوصها في اعمدة متوازية تُظهر على الفور ما يتفق عليه الانجيليون، وما ينفرد به كل منهم...[1]

وقد لا يكون من النافل إذا كررنا القول بأن الانجيليين الذين كتبوا، انطلاقا من تلك التقاليد الشفهية او المدوّنة، لم ينسوا قط انهم يعلنون "بشرى"، ويلقون على قرائهم "تعليماً" يلبّي حاجتهم الى التعمق في سر المسيح، فيما يجيب الى التساؤلات المطروحة عليهم، ويحلّ عدداً من المشاكل التي كانت تواجههم... ولذلك غلب على اناجيلهم طابع "الشهادة" و"الجواب" و"المعالجة".. على الطابع التاريخي او الوثائقي او الاعلامي بحصر المعنى!-ونعلم ان الحفظ والتوثيق لم يكونا من اهداف الانجيليين، كما لم يكونا يحظيان آنذاك بكثير من الاهتمام! انهم بالتالي "مؤرخون" مؤمنون، لا بل شهود ايمان ودعاة اليه.. وكل همهم يتمحور حول بشرى يريدون ان يقاسموها... ولعل أجمل ما في

---

[1] كانت اولى المحاولات في ابراز "التناسقات" بين الاناجيل الاربعة قد تمت عام ١٥٣٧ بهمة البروتستنتي أ. اوسياندر (بازل- سويسرا)، تلتها ازائية كاثوليكية عام ١٥٣٩ (كولونيا- المانيا)، ومنذئذ كثرت" الازائيات "وفي العديد من اللغات القديمة والحديثة... ونخص بالذكر " ازائية الاناجيل الاربعة، (بالفرنسية، وبثلاثة أجزاء) للابوين الدومينيكيين ب. بنوا وم.إ.بوامار من المعهد الكتابي والآثاري في القدس (باريس ١٩٧٢). ولقد عمدت " الازائيات " إلى ادراج نصوص انجيل يوحنا مع النصوص الازائية حين تلتقي، او على هامشها حين تنفرد. ولا يخفى ما لهذه النظرة المشتركة على الاناجيل الاربعة من غنى...

ويعود الفضل إلى الاب اوغسطين مرمرجي الدومنيكي العراقي (المعهد الكتابي - القدس) في إخراج اول ازائية عربية عام ١٩٤٨ (مطبعة المرسلين اللبنانيين - جونيه) عن ازائية الابوين لاكرانج ولافيرن بالفرنسية. وفي عام ١٩٩٦ طلعت علينا " الرابطة الكتابية بـ "ازائية الاناجيل الاربعة" (اعداد الاباء بولس الفغالي ونعمة الله الخوري ويوسف فخري)، على اساس "ازائية كورت آلاند" في طبعتها الثامنة (جمعية الكتاب المقدس)، معتمدة نصوص الاناجيل بحسب طبعة نستلي الاند. وتميزت هذه الازائية العربية الجديدة بطابعها العلمي ونصوصها التي تلتصق بالاصل اليوناني على حساب السلاسة والوضوح.. فضلاً عن ملحق بمقالات في الاناجيل والمسألة الازائية (ص ٦١٣-٦٨٥).(توزيع: المكتبة البولسية/ جونيه، جمعيات الكتاب المقدس)

هذه الشهادات الايمانية هو **توافقها على جوهر المضمون وتباينها في عرضه وتقديمه**... وهذا الاختلاف هو بمثابة غنى طالما انه يرجع إلى مخطط كل انجيلي وقصده اللاهوتي وحاجة الجمهور الذي وجّه إليه انجيله...

فباستثناء انجيل يوحنا الذي يحتوي على ميزات ادبية ولاهوتية خاصة ينفرد بها عن سائر الاناجيل -وإن كانت له معها صلات هامة ولاسيما في ما يتعلّق بالالام والقيامة- نجدنا في قلب القضية الازائية، وقد استقطبت الكثير من ذوي الاختصاص الذين كتبوا فيها مؤلفات لا تُحصى... فلابد من ان نتوقف لديها لنحيط بملابساتها وثرائها في الوقت ذاته. فنبدأ بعرض "معطيات المسألة الازائية " ونصدي من ثم لابرز النظريات بشأنها، فنخلص بالتالي إلى دراسة نصوص ازائية...[٢]

اولا: معطيات المسألة الازائية

كان ج. ج. كريسباخ قد قام عام ١٧٧٤ بترتيب "ازائية" للاناجيل الثلاثة الاولى. وغني عن القول ما تمثله الازائية من فوائد.. كونها تضعنا بازاء الاناجيل الثلاثة وتمكننا من القيام بمقارنة بينها. ومن اولى الفوائد انها تطرح مسألة وجود مصادر سابقة لاناجيلنا كما توحي بها فاتحة انجيل لوقا (١: ١-٢). كما انها تمكننا من تحديد تاريخ التأليف لكتّاب الاناجيل الذين استقوا من تلك المصادر ونسقوها، كل بحسب مخططه.. ولا عجب إن هم قاموا بعمل المؤلفين عبر التصرّف بمصادرهم وفق منظورهم اللاهوتي الخاص. فمن هنا جاءت الاختلافات بينهم: فيورد احدهم ما لا يورده الآخر، ويغيّر أحدهم موقع الحدث او القول او المثل...وقد يحمّله مضموناً يختلف عن مضمونه لدى الآخر... وهكذا تبدو القضية الازائية مشكلة لفتت انتباه اهل الاختصاص وجندتهم لايجاد حلّ مرضي لها، إذ لا يمكن الاكتفاء باستنتاجات تنقصها الدقة العلمية كأن يقال بأن متى ولوقا ينقلان مباشرة عن مرقس!

لقد اكتشف الكتاب الاقدمون مشكلة التشابه والتباين بين الاناجيل، وحاول بعضهم، ومنذ القدم، ان يجدوا لها حلاً، فكانت محاولة ططيانس (حوالي عام ١٧٠) الذي سعى إلى "تكميل" انجيل بانجيل عبر عملية التجميع والمزج بشكل "غيّب" الاختلافات بينها او اقله أخفاها![٣] كما ان آباء الكنيسة، من بابياس (ولد في حوالي

---

[٢] نستند في هذا الموضوع، بدرجة اولى، إلى ما جاء تحت كلمة "ازائية" في "المعجم الانسكلوبيدي للكتاب المقدس" (Dictionnaire encyclopédique de la Bible: Brepols, 1987)

[٣] فيما نعيد القارئ إلى الاطار ٢٠ بشأن "الدياطسرون" (الفصل ٣)، يطيب لنا ان نقدم هنا "خبر القيامة" كنموذج على عملية الدمج التي استخدمها ططيانس، وكيف وفق إلى إخفاء الاختلافات الكثيرة بين الانجيليين

عام ٧٠) إلى اوريجانس (+٢٥٤)، مروراً بايريناوس (+٢٠٢) وكليمنتس الاسكندري (+ ٢١٥) قد اجابوا، إلى حد ما، إلى المشكلة حين اكدوا بان متى كتب انجيله إلى "العبرانيين" وبلغتهم.. ونسبوا انجيل مرقس إلى كرازة القديس بطرس، وانجيل لوقا إلى كرازة بولس، (ايريناوس: ضد الهراطقة ٣: ١، ١). ولا شك ان لهذه النسبة أساساً في التقليد، وتشكل في الوقت ذاته تفسيراً للاختلافات بين الانجيليين.ولابد من القول بأن القديس اغسطينوس كان قد تبنى نظرية "التبعية" في تفسير التوافق بين الانجيليين، وذلك بدءً بمتى الذي تبعه مرقس عن كثب واوجزه، وصولاً إلى لوقا الذي استخدم الاثنين!

ونتوقف قليلاً لنبين بايجاز اوجه الشبه والاختلاف، وهي على شكلين: ما بين انجيلي وانجيلي، على صعيد الترتيب من جهة، وعلى صعيد المضمون من جهة اخرى. علماً بأن الكثير مما جاء في انجيل مرقس (ويحتوي على ٦٦١ آية) نجده في انجيلي متى ولوقا - وليس العكس -، بحيث يصبح ما ينفرد به مرقس بالتالي عن الاثنين مجتمعين قليلاً جداً (لا يزيد عن ٣٠ آية!)

١- التوافق والاختلاف بين الازائيين

أ- ما بين إنجيلي وإنجيلي على صعيد الترتيب

أول ما يلفت الانتباه هو الترتيب في الروايات، اعني تسلسل ورودها لدى كل من الانجيليين، علماً بأنهم جميعاً اعتمدوا في رسم مراحل حياة يسوع، اطاراً عاماً من أربعة أقسام كبرى:

بفضل اضافات من عنده. ونأخذه عن كتاب الأب منصور المخلصي: "مرقس على لسان يسوع"، دراسات لغوية كتابية (بغداد ١٩٩٠) - وهو مليء بالمعلومات القيمة ولاسيما في ما يتعلّق بالمداخل إلى الاناجيل ومخطوطاتها...

جاء في الدياطسرون العربي بشأن القيامة ما يلي: " في الليل [عند الفجر والظلام لم يزل مخيما] قام ربنا من بين الاموات..."! ويقول الاب منصور بأن " ططيانس، في خط مرقس ١٦: ٩، وضع جملة جديدة غير انجيلية، مأخوذة من قانون الايمان المستعمل في كنيسته، ليؤكد في بدء الخبر، وقبل تدحرج الحجر ونزول الملائكة وظهور المسيح للنساء، على هذه الحقيقة (قام ربنا من بين الاموات) " (ص: ١٤٤)

ويواصل الاب منصور تحليله فيرينا كيف ان ططيانس بقوله " في الليل " حلّ مشكلة الاختلاف بين انجيل متى (٢٨: ١) الذي يوحي بان القيامة تمّت مساء السبت، وبين انجيل مرقس (١٦: ٩) الذي يضعها صباح الاحد! ولتجاوز مشكلة الاختلاف بشأن وقت زيارة النساء بين يوحنا: "والظلام لم يزل مخيما" (٢٠: ١) ومرقس: "عند الفجر وقد طلعت الشمس" (١٦: ٢)، يذكر ططيانس ان النساء كنّ ذاهبات إلى القبر، ويضيف: ولما طلعت الشمس اخذت تقول في ما بينهن: من سيُدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ لانه كان كبيراً جداً...

وهكذا صنع ايضاً بشأن الملاك او الملاكين بحسب الانجيليين، فجعل ملاكاً اول جالساً على الحجر (متى)... واضاف إلى الخبر الانجيلي عبارة جديدة: بعد انصراف الملاك دخلت النساء إلى القبر (لوقا ومرقس) فأبصرن شابا جالساً (الملاك الثاني)... وبينما هن في حيرة يظهر لهن رجلان (آخران) يقولان لهن...(لوقا)... وهكذا!

١- المعمذان وظهور يسوع في اليهودية وعماذه وتجاربه،
٢- رسالته في منطقة الجليل وما رافقها من تعاليم ومعجزات،
٣- صعود يسوع من الجليل إلى اورشليم،
٤-رسالته في اورشليم حيث تجري آلامه وصلبه وقيامته.

• **بين متى ومرقس:**

يختلف ترتيب متى عن مرقس في الفصول الاولى حيث تتصدّر لديه روايات الطفولة (١-٢) ومن ثم الخطبة على الجبل (٥-٧)... ويبتعد عن ترتيب مرقس في فصول المعجزات (٨-٩) والجدالات (١١-١٢) ويلتقيان من ثم عن قرب في تسلسل الاحداث المشتركة بينهما (متى ١٤: ١ت = مرقس ٦: ١٤ت).

• **بين مرقس ولوقا**

ينفرد لوقا بانجيل الطفولة (١-٢) - وبشكل يختلف عن متى، كما رأينا في الفصل الرابع - ومن ثم يلتقي مع ترتيب مرقس في كثير من المقاطع المتقابلة:

مر ١: ٢-٣: ١٩ = لو ٣: ٢-٦: ١٩
مر ٣: ٣١-٦: ٤٦ = لو ٨: ٤-٩: ١٨أ
مر ٨: ٢٧-١٠: ١ = لو ٩: ١٨ب- ٥١
مر ١٠: ١٣-١٣: ٣٣ = لو ١٨: ١٥-٢١: ٣٦
مر ١٤: ١-١٦: ٨ = لو ٢٢: ١-٢٤: ٩

وقلّما يبتعد لوقا في ترتيب رواياته عن مرقس، وعلى مدى فصول، إلا في ما ندر: كأن يؤخر دعوة التلاميذ الاولين (لو ٥: ١-١١) عما هي لدى مرقس (١: ١٦-٢٠)- وذلك يبدو منطقيا -، او يقدّم زيارة يسوع إلى الناصرة (لو ٤: ١٦ت) عما هي لدى مرقس (٦: ١-٦) - ولاشك ان في ذلك قصداً إذ جعل الخطاب في مجمع الناصرة بمثابة برنامج لرسالته! ولا بد ان نشير هنا إلى انفراد ترتيب لوقا عن مرقس في مجموعة اولى من النصوص (لو ٦: ٢٠-٨: ٣) ومن ثم في مجموعة ثانية تشكل" الصعود الى اورشليم " (لو٩: ٥١-١٨: ١٤) وهو القسم المركزي في انجيله، وقد ضمّنه اقوالاً وامثالاً رائعة! إلا ان هذا الائتلاف العام بينهما لا يخفي اوجه الاختلاف داخل المجموعات...ونخص بالذكر غياب مجموعة مرقس (٦: ٤٥-٨: ٢٦) كلياً عن انجيل لوقا! وغني عن الذكر ان رواية لوقا للآلام تكشف عن مصادر خاصة!

• **بين متى ولوقا**

لا يظهر، لاول وهلة، التوازي بين متى ولوقا! ومع امعان النظر نكتشف العديد من النصوص التي يلتقيان فيها وبعين الترتيب، ومن دون ان يكون لها صدى في انجيل مرقس. نذكر على سبيل المثال تجارب يسوع (متى ٤: ١-١١ = لوقا ٤: ١-١٣)

والخطبة على الجبل التي تقابلها الخطبة في السهل (متى ٥-٧= لوقا٦: ٢٩-٤٠)، وشفاء خادم قائد المئة (متى ٨: ٥-١٣= لوقا ٧: ١-١٠) الخ... وهذا الترتيب المشترك في النصوص لا يمكن ان يكون بفعل الصدفة، وانما يكشف عن ان لكليهما مصدراً يجهله مرقس.

ب- على صعيد المضمون

وهنا لا تكاد تحصى اوجه الشبه والاختلاف -ويتطلب ذلك امعان النظر في ازائية تضعنا امام آية فآية من كل انجيل وما يقابلها في الاناجيل الاخرى.. كما يتطلب منا من ثم الرجوع إلى دراسات علمية رصينة تكشف عن اسباب الشبه والاختلاف... -ونثبت ادناه بعض ابرز الملاحظات حول الاختلافات بين الانجيليين في استعمال المفردات والمصطلحات، أو اضافة بعض التفاصيل في الروايات والامثال، او التميز في سرد بعض اقوال يسوع ومعجزاته...

- يحتل مرقس مكاناً وسطاً بين متى ولوقا، بحيث يتضح قربٌ في الاقوال بين متى ومرقس من جهة، وبين لوقا ومرقس من جهة اخرى.. إلا ان متى ولوقا يختلفان في ما بينهما بالمقارنة مع مرقس.
- يلتقي متى ولوقا في عدد من النصوص بمعزل عن مرقس، سواء كان باهمال بعض التفاصيل (يذكر مرقس في ١: ٢٩ الرسل الثلاثة برفقة بطرس لدى شفاء حماته! ولا يرد ذكرهم في متى ولوقا)، ام بذكرها بخلاف مرقس (عبارة "من الذي ضربك" الواردة في كل من متى ٢٦: ٦٨ ولوقا ٢٢: ٦٤ والغائبة في مرقس ١٤: ٦٥). ولكنهما يلتقيان خصوصا في الكثير من "اقوال" يسوع التي ينقلانها، وإن بترتيب مختلف وبعبارات مختلفة. وخير مثال على ذلك التطويبات في متى (٥: ١-١٢) ولوقا (٦: ١٧-٢٦) والصلاة الربية لدى كل من متى (٦: ٩-١٣)ولوقا (١١: ٢-٤)...
- ويختلف الازائيون في ما بينهم في الكثير من المفردات والعبارات التي يوردونها.. وخير مثال ما جاء في اعتراف بطرس لدى كل منهم (متى ١٦: ١٦؛ مر ٨: ٢٩؛ لو٩: ٢٠) أو كلمات يسوع في العشاء الاخير (متى ٢٦: ٢٦؛ مر ١٤: ٢٢؛ لو٢٢: ١٩) الخ... ويظهر هذا الاختلاف ايضا في الشواهد الكتابية التي يوردونها. فعلى سبيل المثال نقارن بين هتاف السعانين الوارد في المزمور ١١٨ لدى كل منهم (متى٢١: ٩؛ مر١١: ٩-١٠؛ لو١٩: ٣٨) او بشأن الامثال في ضوء نبؤة اشعيا ٦: ٩ (متى ١٣: ١٤؛ مر٤: ١٢؛ لو ٨: ١٠)...

ولا يسعنا ان نبرز هنا كل الاختلافات بين الازائيين على الصعيدين الانشائي واللغوي، فهي كثيرة وتناولها اهل الاختصاص باسهاب... ولعل ابرز اختلاف بينهم، بالرغم من مظاهر الائتلاف، نجده في روايات الآلام والقيامة حيث تظهر قربى بين متى ومرقس، بالرغم من اقتضاب مرقس في رواية القيامة والتي لم تكن تحتوي على ترائيات، بحسب المخطوطات القديمة! كما يتجلى تميز لوقا في روايته للآلام والقيامة والتي تكشف عن قربى مع انجيل يوحنا![٤]

٢- نظريات في المسألة الازائية

لقد طرحت المسألة الازائية، منذ القرون الاولى للمسيحية، تساؤلات كثيرة على آباء الكنيسية والمفكرين والكتّاب، فسعوا إلى ايجاد اجوبة شافية لها. ولعل الجواب الرئيس الذي خرجوا به هو تمسّكهم بمبدأ التسلسل في ظهور الاناجيل، بدءً بمتى ومرقس ولوقا ومن ثم يوحنا، انطلاقاً من شهادة بابياس اسقف منبج (في حدود عام ١٣٠) التي يوردها المؤرخ اوسابيوس القيصري[٥]، فضلاً عن تشديدهم على مبدأ "الاتفاق" في ما بين الاناجيل، والذي في ضوئه تفسّر الاختلافات بصفتها اختلافات في التعابيرلا تمسّ الجوهر، وإنما ترجع إلى التميّز في اسلوب كل من الانجيليين... وقد ذهب كثير من الآباء، وفي مقدمتهم اغسطينوس، إلى القول بأن متى كان اول من بادر إلى كتابة الانجيل مبرزا ملوكية المسيح، ومن ثم اختصره مرقس "الترجمان" في ضوء تعليم بطرس، فيما اعتمد لوقا الاثنين...

وكان التركيز ينصبّ على قرب المسافة بين الكتابة والاحداث، ويعطي اهمية كبرى لشهود العيان - وهما في عرفهم رسولا المسيح، متى ويوحنا، وتلميذان على صلة وثيقة بالرسل شهود العيان: مرقس تلميذ بطرس، ولوقا تلميذ بولس ورفيقه. ولما كان القدماء يعتبرون الاناجيل بمثابة وثائق سجلها شهود بالهام من الروح القدس واملائه -ولا يمكن من ثم ان تحتوي على اختلافات في المضمون- فكان لابد لتفسيراتهم واجتهاداتهم ان تتخذ موقف الدفاع بشأن صحة الاناجيل وسلامتها من اية تناقضات، وتسعى من ثم إلى شرح الاختلافات بارجاعها إلى وضع كل من الانجيليين، وبفكرة ان الواحد يكمل الآخر! فلا عجب إذا بدت تفسيراتهم متأرجحة في كثير من النصوص التي يصعب التوفيق بينها، كأن يُقال، على سبيل المثال، عن نصّي التطويبات لدى كل من متى ولوقا، باننا ازاء "موعظتين" ليسوع في مناسبتين مختلفتين!

---

[٤] انظر روايات القيامة / الفصل ٨، وروايات الآلام / الفصل ٩.

[٥] في ما يتعلق بشهادات الآباء في القرون الاولى طالع:تكوين الاناجيل / ص ٦٢- ٦٥. وايضاً: " مرقس على لسان يسوع "/ص٤٧-٧٨.

لقد ظلت التفسيرات تراوح في مكانها بالرغم من بعض الاسهامات التي جاء بها غروتيوس عام ١٦٤١ حين ميّز بين متى الارامي ومتى اليوناني.. وريشارد سيمون عام ١٦٨٩ حين ناهض نظرية تبعية مرقس لمتى الخ...

اما المحدثون من علماء الكتاب المقدس، بدءً من منتصف القرن الثامن عشر، فقد نحوا منحى مختلفاً حين راحوا يبحثون عن اسباب الاختلاف بين الانجيليين، ليخلصوا إلى القول **بأن هناك ولا شك مصادر سبقت الاناجيل**. ومنذئذ انطلقت اجتهادات لا تحصى بشأن القضية الازائية استندت إلى اسلوب تحليل النصوص تحليلاً علمياً ونقدياً... وهكذا بدأ عهد البحث العلمي والذي اخذت نتائجه تظهر في الدراسات البيبلية التي تصاعدت باطراد. ولا يسعنا هنا ان نحيط بكل الحلول -وبعضها في غاية التعقيد! التي خرج بها علماء التفسير في المسألة الازائية والتي أسالت كثيرا من الحبر منذ اواخر القرن ١٨...

وفيما نصدي بايجاز إلى المراحل التي قطعتها النظريات الازائية[٦] (**انظر الاطار ٣٥: تاريخ النظريات الازائية**)، نكتفي بعرض سريع لابرز محاور النظريات ذات القيمة الدولية بين اهل الاختصاص:

اطار ٣٥

لمحة عن تاريخ النظريات الازائية

كان كريسباخ (١٧٨٩) قد تقدم بنظرية حول اولوية متى اليوناني الذي اصبح مصدراً للوقا، ومن ثم اخذ مرقس عنهما... وكانت قد سبقتها نظرية ليسينغ (١٧٧٨) القائلة بـ "انجيل اولي" بالارامية كان مصدراً اساسياً للاناجيل الازائية... فيما ذهب كوب Kopp (١٧٨٢) وستور Storr (١٧٨٦) إلى القول بأن مرقس كان، في مرحلة ثانية، مصدراً لمتى ولوقا... اما ايشهورن (١٨٠٤) فقد طلع بنظرية تكمل نظرية ليسينغ وتقول بوجود الانجيل الارامي في ترجمة يونانية مبتكرة... وهكذا يصل بنا المطاف إلى نظرية "المصدرين"...

وكانت انطلاقتها الاولى مع شلايرماخر (١٨٣٢) حين قال بمبدأ "الوحدات الادبية" السابقة للاناجيل الازائية، والفرض وجود وثيقتين مفقودتين (متى الاصلي ومرقس الاصلي) اللتين منهما استقت الاناجيل الازائية التي بين ايدينا... ولقد بلغت هذه النظرية أوَجَها عبر الاسهامات التي أغنتها ما بين الاعوام ١٨٦٠-١٩٠٠، ومعظمها يحوم حول وجود او عدم وجود مرقس الأصلي! وكان لـ (وايس +١٨٦٦) الفضل في القول "بمصدر رسولي" كان له أثره على الازائيين، فضلاً عن التأثير الذي مارسه انجيل مرقس من ثم على انجيلَي متى ولوقا.. إلى جانب حيازة لوقا على مصادر

---

[٦] حملت "ازائية الاناجيل الاربعة" (الرابطة الكتابية - ١٩٩٦) في الملحق مقالات جادة لأبرز الجوانب من المسألة الازائية امتدت على الصفحات ٦٦٣-٦٨٥، ونشير بالاخص إلى مقال مكثف بعنوان "لمحة تاريخية حول المسألة الازائية" (ص٦٦٣-٦٧١)- وقد اعتمدنا بعض معلوماته.

وفيما نوصي المتتبعين بقراءة هذه المقالات الملحقة بالازائية، نشير عليهم بالرجوع إلى ما عرضه الاب منصور المخلصي من نظريات في المسألة الازائية في كتابه " مرقس على لسان يسوع " (ص ١٠٥-١١٤) وكذلك إلى ما جاء في كتاب "تكوين الاناجيل" (ص٣١-٣٣). وقد استلهمناها في عرض ابرز النظريات الازائية.

خاصة... ومنذئذ تشعبت النظريات في اتجاهات عديدة ومتباينة بشكل يصعب ايجازه!

وبين الاعوام ١٩٠٠ - ١٩٥٤ عرفت نظرية "المصدرين" تذبذبا بين العلماء حول مصدر " الاقوال" (الشفهية او المكتوبة) المشتركة بين متى ولوقا، والتي نجدها احيانا لديهما بترتيب واحد، واحيانا اخرى بترتيب مغاير... ومنذئذ ظهرت نظريات كثيرة، ينطلق بعضها من التقاليد الشفهية المدعومة بالتقاليد المدونة (الوحدات الادبية)، فيما ينطلق غيرها من افتراض انجيل ارامي أول تضمن "اقوال" يسوع، او عبر ترجمته اليونانية (نظرية ل.فاغاني Vaganay -١٩٥٤)، واعتباره مصدراً ثلاثيا للازائيين...

وتعددت النظريات بحسب اجتهادات العلماء واسهاماتهم او تصحيحاتهم للنظريات السابقة... حتى بلغ المطاف مع ليفي (Levie) عبر "نظرية المصدرين المصحّحة"... وتلتها عام ١٩٧٢ نظرية بنوا - بوامار حول " المصادر المتعددة والمراحل المتوسطة "...

أ- نظرية العلاقات المتبادلة والمباشرة بين الانجيليين

تقول هذه النظرية بأن الاناجيل الازائية ترجع إلى مصدر عام هو اشبه بانجيل بدائي "ارامي"، او ان في اساسها انجيلا اول اصبح من ثم مصدراً للانجيلين الآخرين... ولهذه النظرية احتمالات عديدة بحسب ما يكون هذا الانجيل الاول: متى او مرقس؟ **(انظر الاطار ٣٦: اولوية مرقس)**.

ب- نظرية المصدَرَين:

وتقول بمصدر اول "ثلاثي" للازائيين او بمصدر لمتى ولوقا عبر مرقس من جهة، وبمصدر ثان، من جهة أخرى، يختص بمتى ولوقا يطلق عليه مصدر "الاقوال" ويُرمَز إليه بالحرف (Q) -اول حرف من كلمة **Quelle** الالمانية التي تعني النبع والمعين (ونثبت بالعربية الحرف "م")- وبموجبه يكون متى ولوقا قد استقيا منه مجموعة اقوال يسوع التي لا مثيل لها في انجيل مرقس. ومن الواضح ان هذين المصدرين (الثلاثي والمصدر"م") ليسا في حوزتنا ولا يمكن الجزم في كونهما وثيقتين خطيتين!

وللتحقق من قوة هذه النظرية يبرز المفسرون النصوص المشتركة بين متى ولوقا والتي تجد اساسها في مرقس.. وذلك دليل على وجود تقليد مشترك في اصل الاناجيل الثلاثة، أو على تقليد استقى منه متى ولوقا عبر مرقس. إلا انهم يلفتون الانتباه إلى الكثير من النصوص التي ينفرد بها، مشتركين،متى ولوقا، دون مرقس.. وذلك دليل على وجود تقليد ثنائي مشترك بين متى ولوقا هو مصدر"الاقوال". ويضيف بعض المفسرين بان لكل من متى ولوقا معلومات خاصة ينفردان بها، ولا ترجع إلى المصدر "م".

اولوية انجيل مرقس

احتلت "اولوية" انجيل مرقس مكانا مرموقاً في قلب المناقشات بين علماء التفسير بشأن المسألة الازائية. فمنذ نهاية القرن ١٨ بدأ الحديث عن اولوية مرقس.. إلى أن تم حولها شبه إجماع في نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠. وهكذا، وبغياب اية وثيقة انجيلية مكتوبة اخرى، اصبحنا مع انجيل مرقس بازاء اول انجيل مدوّن في حوزتنا!

ويطيب لنا ان نقدم هنا موجزاً (!) لمقال ف.نايرينك (لوفان- ١٩٩٠) -وقد طلعت علينا به "ازائية الاناجيل الاربعة" (لبنان - ١٩٩٦) والذي نوصي بقراءته كاملاً.

في انجيل مرقس ٦٦١ آية نجدها بنسبة ٨٠٪ في انجيل متى وبنسبة ٦٥٪ في انجيل لوقا! فيما نجد، من جهة اخرى، حوالي ٢٢٠ آية مشتركة بين متى ولوقا، وهي في معظمها اقوال ليسوع، سواء كانت تعاليم او امثالاً... ومن هنا نستنتج ان هناك تقليداً ثلاثيا إلى جانب تقليد ثنائي.. وتلك باختصار نظرية "المصدرين" الشهيرة التي تحظى بالقبول المتزايد، فضلاً عن مواد خاصة ينفرد بها كلٌّ من متى ولوقا...

ويعلن نايرينك أولوية مرقس حين يقابل الترتيب في المواد بين الانجيليين الثلاثة:

أ- ترتيب الاحداث في التقليد الثلاثي حيث نجد مواد مرقس بترتيب مماثل لدى متى ولوقا

المقدمات: مر١: ١-١٣	= متى ٣: ١-٤: ١١؛ لو٣: ١-٤: ١٣
الرسالة في الجليل: مر١: ١٤-٩: ٥	= متى٤: ١٢-١٨: ٣٥؛ لو٤: ١٤-٩: ٥٠
الصعود إلى اورشليم: مر١٠	= متى١٩-٢٠؛ لو٩: ٥١-١٩: ٢٨
الرسالة في اورشليم: مر١١-١٣	= متى٢١-٢٥؛ لو١٩: ٢٩-٢١: ٣٨
روايات الآلام: مر ١٤ - ١٥	= متى ٢٦- ٢٧؛ لو ٢٢- ٢٣
روايات القيامة: مر ١٦	= متى ٢٨؛ لو ٢٤

ب- الترتيب المرقسي لدى متى، حيث نجد الترتيب ذاته ما عدا المقطوعات في متى ٤: ٢٣- ١٣: ٥٨ (على سبيل المثال متى ١٤: ١-٢٨: ٢٠ = مر ٦: ١٤-١٦: ٨ مع وجود بعض التغيير داخل المقطوعات.

جـ - الترتيب المرقسي لدى لوقا الذي يتبعه عن كثب مع انقطاع بمواد خاصة (مثال: لو٥: ١٢-٦: ١٩ = مر١: ٤٠-٣: ١٩، وينقطع سياق لوقا بمادة خاصة تمتد من ٦: ٢٠-٨: ٣).

اما بشأن مصدر "الاقوال" (م) الثنائي بين متى ولوقا، فلقد استخدمه كل منهما بشكل مستقل -الى جانب مصادر خاصة- ونستدل على استقلاليتهما حين نجدهما لا يدرجان التقليد الثنائي المشترك في ذات السياق المرقسي...

وبالرغم من أصالة مرقس، هناك علماء صححوا نظرية المصدرين عبر دمجها بفكرة انجيل أولي (متى الارامي او ترجمته اليونانية؟) كمصدر مشترك.. او عبر فكرة "مرقس المتوسط" بحسب نظرية "المصادر المتعددة والمراحل المتوسطة" حيث نجد ثلاث وثائق اصلية قد صبّت فيه.. قبل ان نحصل على انجيل مرقس الحالي.

ويمكننا ان نلخص نظرية المصدرين بالرسم التالي:

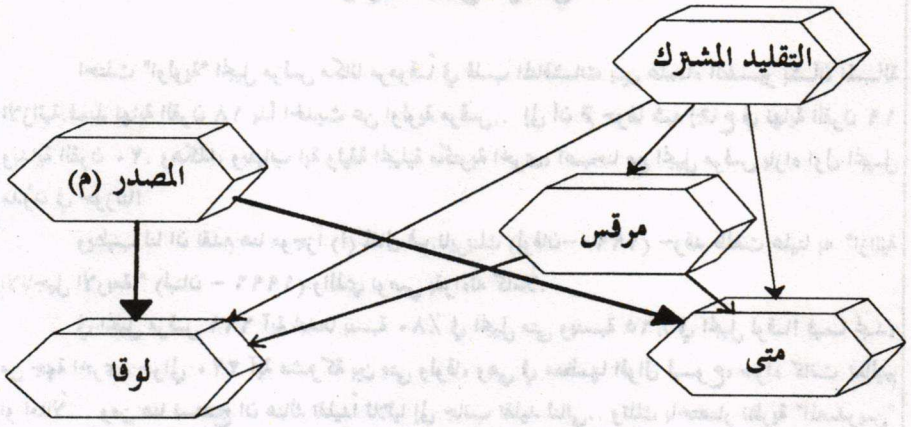

هناك بعض المآخذ على هذه النظرية، واولها صعوبة التوفيق بين ما يقوله التقليد عن اولوية "متى الارامي" وعن الاصول البولسية لانجيل لوقا، إلى جانب مشكلة اتفاق متى ولوقا في بعض النصوص ضد مرقس (حوالي ٢٠٠ آية)، او مشكلة إهمالهما نصوصاً كثيرة من مرقس[٧]. ومع ذلك فانها تحظى برضى عدد متزايد من العلماء والمفسرين، كونها تتمتع بعوامل تجعلها تبدو اكثر منطقية وتماسكا لتفسير المسألة الازائية.

جـ- نظرية المصدرين المصححة:

لقد اجرى عالم التفسير الشهير ليفي (Levie) تصحيحاً على نظرية المصدرين يقوم على افتراض وجود، في الاساس، مصدر اساسي واحد للاناجيل الازائية، هو في اغلب الظن انجيل "متى الارامي" المفقود، اوأقله - بحسب فاغاني (Vaganay)- النسخة اليونانية له.. فيكون كلاهما (متى الارامي والنسخة اليونانية له) قد اثّرا في انجيل متى اليوناني الذي بين ايدينا من جهة، وفي انجيل لوقا من جهة اخرى. وتبقى النظرية تقول بالتقليد الثلاثي(او بهذا التقليد عبر مرقس)، فضلاً عن تقاليد اخرى خاصة بكل من متى ولوقا الحاليين. ويمكننا ان نوجز نظرية "المصدرين المصحّحة"[٨] في الرسم التالي:

---

[٧] يغفل انجيل متى النصوص التالية من مرقس (١: ٢٣-٢٧؛ ٤: ٢٦-٢٩؛ ٥: ١٨-٢٠؛ ٧: ٣٢-٣٧؛ ٨: ٢٢-٢٦الخ...) بينما لا يحتفظ انجيل لوقا إلا بحوالي ٣٥٠ آية من أصل ٦٦١آية يتألف منها انجيل مرقس! كما ان هناك حوالي فصلين في مرقس (٦: ٤٥-٨: ٢٦) غائبان تماماً عن إنجيل لوقا!.

[٨] تنطلق هذه النظرية من افتراض مصادر عديدة، كان قد طرحها منذ القرن ١٨ ليسينغ وايشهورن، وتبناها في القرن ٢٠ العلماء سبيتا وكابوري وفاغاني - وهذا الاخير قد شدد عام ١٩٤٥ على افتراض متى الارامي (المفقود)، سواء في ترجمته اليونانية او في التكييف اليوناني له، وافتراض ان متى اليوناني (والمفقود أيضاً) قد أثر في متى الحالي

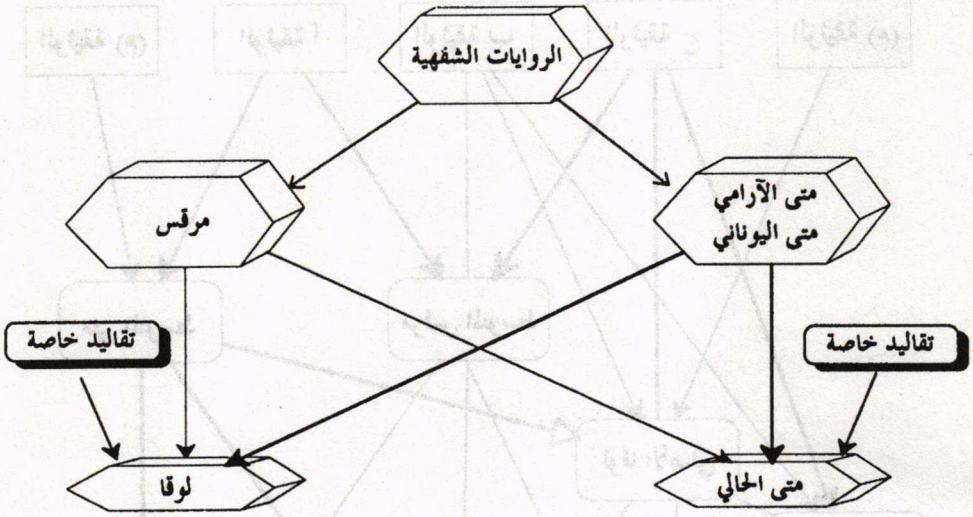

د- نظرية المصادر المتعددة والمراحل المتوسطة:

تنطلق هذه النظرية التي خرج بها الابوان ب. بنوا وماري-إيميل بوامار (١٩٧٢) من وجوب وجود مصادر اصلية عديدة يُرْمَز إليها بالحروف أ،ب،ج،م، وتمثل محاولات انجيلية اولية: فتكون الوثيقة (أ) من مرجع فلسطيني (حوالي عام ٥٠)، والوثيقة (ب) بمثابة نسخة يونانية عنها (حوالي عام ٥٥)، والوثيقة (ج) تعكس تعليما مستقلاً قد يتعلق بتعليم القديس بطرس في فلسطين.. فيما تبقى الوثيقة (م) تعني "مصدر الاقوال"، وترجع الى ما قبل عام ٧٠. وهذه الوثائق الاولية قد اصبحت في مرحلة ثانية ما يمكن تسميته: متى المتوسط ومرقس المتوسط ولوقا الاصلي، فضلاً عن مصدر الاقوال(م) المشترك بين متى ولوقا. وفي مرحلة ثالثة فقط اصبحنا بازاء اناجيلنا الحالية!

وتجدر الاشارة إلى ان اصحاب هذه النظرية يأخذون على نظرية المصدرين عجزها عن حل مشكلة الاتفاق بين متى ولوقا ضد مرقس، وعدم تفسيرها لظاهرة انفراد كل من متى ولوقا بمواد خاصة لا ترجع إلى المصدر (م). ويوجز الرسم التالي هذه النظرية التي تتمتع بمؤشرات كثيرة على منطقيتها ومعقوليتها...

المدون باليونانية ما بين الاعوام ٨٠ و ٩٠، والذي يحتمل ان يكون مؤلفه مستقلاً عن متى الارامي لسلامة لغته اليونانية وجهله العبرية.

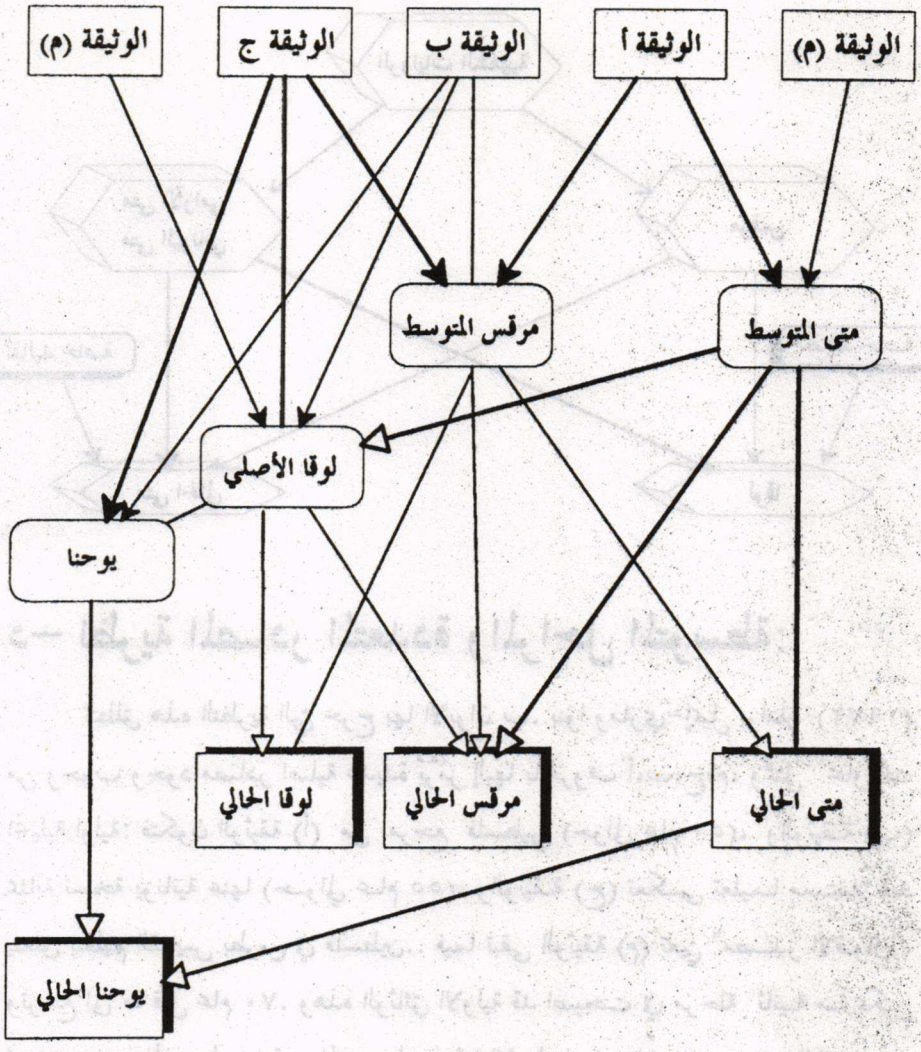

ويمكننا ان نوجز العلاقات بين الاناجيل بموجب هذه النظرية على الوجه التالي:

- فمرقس المتوسط هو نتيجة دمج الوثائق الثلاث (أ،ب،ج)وإن كانت الوثيقة (ب) هي اساسه الاول وتعكس صيغته الاصلية، فيما كان للوثيقة (أ) ومن ثم للوثيقة (ب) اثرهما عليه. ولن نصل إلى انجيل مرقس في صيغته الحالية إلا انطلاقا من "مرقس المتوسط" مروراً بتأثير مشترك من لوقا الاصلي (المنحدر من الوثيقة ج) ومتى المتوسط.
- وانجيل متى المتوسط هو نتيجة الوثيقة (أ) و المصدر (م). وبتأثير من الوثيقة (ب) عبرمرقس المتوسط، كان لنا انجيل متى في صيغته الحالية.

• اما لوقا الأصلي فهو نتيجة دمج الوثائق (ج، ب،م). وبتأثير من لوقا الاصلي ومرقس المتوسط كان لنا انجيل لوقا الحالي.

• وتذهب النظرية في البحث عن اصول انجيل يوحنا لتجدها في الوثيقتين (ب و ج) فضلاً عن لوقا الاصلي -ومن هنا القربى بين الاثنين- إلى جانب تقاليد خاصة بالمدرسة اليوحنانية عكست ما ينفرد به انجيل يوحنا في بنيته وتفاصيله...[٩]

هذا الاستعراض السريع والموجز لبعض الحلول المطروحة للمشكلة الازائية وضعنا امام الاشكالات اتي تبرز لدى المقارنة الدقيقة بين النصوص!

ومهما يكن من تنوع النظريات والآراء بشأن المسألة الازائية، فان الدراسة العلمية الرصينة للنصوص تجعلنا نكتشف "وحدات ادبية" مشتركة بين الانجيليين الازائيين، وقد نقلوها كما تسلّموها من التقليد (انظر الوحدة المشتركة بين مر٨: ١ت ومتى ١٥: ٣٢ت ولو٩: ١٠ت حيث تتعاقب معجزة الخبز والسمك وطلب الآية - متى ومرقس فقط - وخمير الفريسيين وشهادة بطرس والانباء الاول بالآلام... وحتى التجلي وطرد شيطان والانباء الثاني بالآلام)، او استخدمها كل انجيلي في اطار مختلف (انظر مثل الملح في مر ٩: ٥٠ت ومتى ٥: ١٣ت ولو١٤: ٣٤ ت)، إن لم نقل في اطار مصطنع وفق مخططه الخاص، كما فعل متى بالعظة على الجبل (٥-٧) وبالمعجزات العشر المتتالية (٨-٩)...

ومن هنا كان الاكتشاف الاكبر! حين انكب اهل الاختصاص على دراسة وتحليل دور الانجيلي في تنسيق وتأطير وتوظيف " الوحدات الادبية ".. وهذا ما قامت به مدرسة "تاريخ تحرير الاناجيل" التي سعت إلى ابراز دور الانجيلي كمؤلف حقيقي، وليس كناقل وثائق، في جمع مصادره وانتقاء ما يخدم منها مخططه وأهدافه، واستخدام الفنون الادبية المناسبة وتوظيفها في عملية التعليم والوعظ التي استهدفها من وراء "انجيله".

---

[٩] إلى جانب المقدمة المكثفة (ص١٥-٥٩) التي تصدّرت الجزء الثاني من إزائية الابوين بنوا-بوامار بالفرنسية (١٩٧٢) -وقد اعتمدنا مخطط النظرية كما خرجت به طبعة عام ١٩٨٠-
(B.Benoit-M.E.Boismard:Synopse des quatres Evangiles,Ed.du Cerf, Paris, 1980)
نشير إلى ملخص النظرية في " ازائية الاناجيل الاربعة " (الرابطة الكتابية ١٩٩٦) عبر مقال بعنوان "تدوين الاناجيل منذ المسيرة الاولى" (ص ٦٧٧- ٦٨١). ويبدو ان الاب بوامار ذاته يعيد حالياً النظر فيها ليخرج علينا من ثم بآخر ما توصلت إليه ابحاثه العلمية الرصينة.

وسنبقى مدينين إلى هذه المدرسة بما حملته من اضواء ساعدت على قراءة الاناجيل وفهمها، **بفضل تاريخ الكتابة الذي جعلنا، قبل كل شيء، نكتشف المسافة التي تفصل اناجيلنا عن الاحداث، ونفهم ان ما نقلته من احداث فانما نقلته في ضوء الايمان بقيامة المسيح**، وندرك الثراء الذي اكتسبته خلال نصف قرن من حياة الجماعات المسيحية وتساؤلاتها وحاجاتها...

ولكي تكون لنا فكرة عن كيفية التعامل مع النصوص الازائية بهدف اكتشاف الفروقات[١٠]، سواء كانت ائتلافات ام اختلافات، واسبابها الادبية واللاهوتية.. سنعرض ادناه نماذج لمعجزة ومثل ورواية، وردت لدى الانجيليين الازائيين، فيما نقدم للحال نموذجاً[١١] بالارقام والمراجع لجدول ازائي ببعض الفصول، فنرى كيف رتّب كل من الانجيليين الثلاثة المواد التي كانت في حوزته (أنظر الجدول).

تدل "الشارحة" (-) في احد الاعمدة على ان النص غائب لدى ذاك الانجيلي (فعلى سبيل المثال، لا يروي مرقس ومتى ما رواه لوقا في ٤: ١٦-٣٠ بشأن مجيء يسوع إلى الناصرة ودخوله المجمع...). وتشير الأقواس ( ) إلى ان النص موجود لدى الانجيلي، ولكن في مكان آخر (رفض أهل الناصرة ليسوع في لوقا ٤: ٢٣-٣٠ نجده لدى مرقس في ٦: ١-٣ ولدى متى في ١٣: ٥٣-٥٧). كما ان رواية دعوة التلاميذ الاربعة الواردة في متى ٤: ١٨-٢٢ وفي مرقس ١: ١٦-٢٠، قبل يوم كفرناحوم، سنجدها في لوقا بعد يوم كفرناحوم، في اعقاب الصيد العجائبي (٥: ١-١١).

ويرينا الجدول كيف رَكّب مرقس موجزاً لاعمال يسوع وبعض معجزاته في "يوم كفرناحوم" (١: ٢١-٣٩)، بينما وضعه لوقا ضمن وحدة اكبر (٤: ١٦-٤٤) بدأت بمجمع الناصرة -حيث لقي يسوع استقبالاً حافلاً تمخض بالتالي عن رفض عدائي. كما يمكننا ان نرى موقع معجزة " تسكين العاصفة " في كل من الاناجيل الثلاثة، كما سنتناولها بالتحليل أدناه.

---

[١٠] في " الدليل" يشير الاب شربتييه إلى طريقة مبسطة لاكتشاف الفروقات، باستخدام الخطوط الملونة: نضع خطاً احمر تحت كلمة ينفرد بها متى، وخطا ازرق لمرقس واصفر للوقا. وتحت الكلمة المشتركة بين متى ومرقس نضع خطاً بنفسجيا (احمر + ازرق)، والمشتركة بين متى ولوقا خطاً برتقالياً(احمر+اصفر) والمشتركة بين مرقس ولوقا خطاً اخضر(ازرق+ اصفر)، والمشتركة بين الثلاثة نضع خطاً كستنائياً (احمر+اصفر). ونجد تطبيقاً لها في معجزة شفاء حماة بطرس (أنظر الدليل/ ص ١٣٠).

[١١] الدليل/ ص ١٣١.

متى	مرقس	لوقا
١٢/٤ – ١٧ : ذهاب يسوع الى الجليل	١٤/١ – ١٥ : ذهاب يسوع الى الجليل	١٤/٤ – ١٥ : ذهاب يسوع الى الجليل
–	–	١٦ – ٣٠ : الى مجمع الناصرة
–	–	١٦ – ١٢ : استقبال حماسي
(٥٣/١٣ – ٥٧)	(١/٦ – ٣)	٢٣ – ٣٠ : رفض
١٨ – ٢٢ : دعوة التلاميذ الاربعة	١٦ – ٢٠ : دعوة التلاميذ الاربعة	(١/٥ – ١١)
	يوم كفرناحوم	
(٢٨/٧ – ٢٩)	٢١ – ٢٢ : عظة في المجمع	٣١ – ٣٢ : عظة في المجمع
–	٢٣ – ٢٨ : ابراء رجل فيه روح نجس	٣٣ – ٣٧ : ابراء رجل فيه روح نجس
(١٤/٨ – ١٥)	٢٩ – ٣٢ : شفاء حماة بطرس	٣٨ – ٣٩ : شفاء حماة بطرس
(١٦/٨ – ١٧)	٣٢ – ٣٣ : شفاء مرضى ومسوسين	٤٠ – ٤١ : شفاء مرضى ومسوسين
–	٣٥ – ٣٨ : يسوع يغادر كفرناحوم	٤٢ – ٤٣ : يسوع يغادر كفرناحوم
٢٣ – ٢٤ : موجز: اعمال يسوع	٣٩ : موجز : اعمال يسوع	٤٤ : موجز اعمال يسوع
–	–	١/٥ – ١١ : صيد عجائبي
(١٨/٤ – ٢٢)	(١٦/١ – ٢٠)	دعوة التلاميذ الاربعة
(١/٨ – ٤)	٤٠ – ٤٥ : ابراء أبرص	١٢ – ١٦ : ابراء أبرص
(١/٩ – ٨)	١/٢ – ١٢ : شفاء مُقعد	١٧ – ٢٦ : شفاء مُقعد
	(١٣/٢ الى ٣٠/٣)	٢٧/٥ الى ١٩/٦)
يسوع مقتدر بالاقوال	(جدال مع الفريسيين ومعجزات واختيار الاثني عشر)	
٥ الى ٧ : عظة على الجبل	–	٢٠/٦ – ٤٩ : عظة على الهضبة
٢٨/٧ – ٢٩ : ختام العظة	(٢٢/١)	(٣٢/٤)
يسوع مقتدر بالاعمال		
١/٨ – ٤ : أبرص (يهودي)	(٤٠/١ – ٤٤)	(١٢/٥ – ١٤)
٥ – ١٣ : قائد مئة (وثني)	–	١/٧ – ١٠ : قائد المئة
١٤ – ١٥ : الحماة (تلميذ)	(٢٩/١ – ٣١)	(٣٨/٤ – ٣٩)
١٦ – ١٧ : أشفيه كثيرة		
(١ ش ٥٣/٤)	(٣٢/١ – ٣٤)	(٤٠/٤ – ٤١)
(٢/١١ – ١٦)	–	١١/٧ – ٣/٨ : يسوع نبي. يوحنا المعمدان
(٤٦/١٢ – ٥٠)	٣١/٣ – ٣٥ : اسرة يسوع الحقيقية	(١٩/٨ – ٢٦)
(١/١٣ – ٥٣)	١/٤ – ٣٤ : امثال	٤/٨ – ١٨ : امثال
(٤٦/١٢ – ٥٠)	(٣١/٣ – ٣٥)	١٩ – ٢١ : اسرة يسوع الحقيقية
١٨ : مدخل الى العاصفة	٣٥/٤ : مدخل الى العاصفة	٢٢ : مدخل الى العاصفة
١٩ – ٢٢ : رجلان يريدان اتباع يسوع		(٥٧/٩ – ٦٢)
٢٣ – ٢٧ : تسكين العاصفة	٣٥ – ٤١ : تسكين العاصفة (مساءً)	٢٢ – ٢٥ : تسكين العاصفة (نهارًا)
٢٨ – ٣٤ : مسوسان عند الجدريين	١/٥ – ٢٠ : مسوس عند الجراسيين	٢٦ – ٣٩ : مسوس عند الجراسيين
١/٩ – ٨ : مقعد	(١/٢ – ١٢)	(١٧/٥ – ٢٦)
٩ : دعوة متى	(١٣/٢ – ١٤)	(٢٧/٥ – ٢٨)
١٠ – ١٣ : دعوة الخاطئين	–	–
١٤ – ١٧ : العتيق والجديد – الصوم	(١٨/٢ – ٢٢)	(٣٣/٥ – ٣٩)
١٨ – ٢٦ : المتزوفة وابنة يائير	٢١ – ٤٣ : المتزوفة وابنة يائير	٤٠ – ٥٦ : المتزوفة وابنة يائير
٢٧ – ٣١ : اعميان	–	–
٣٢ – ٣٤ : مسوس اعمى	–	–
(٥٣/١٣ – ٥٧)	١/٦ – ٦ : يُرفض يسوع في الناصرة	(٢٣/٤ – ٣٠)
٣٥/٩ الى ٤٠/١٠ : رسالة الاثني عشر	٧ – ١٣ : رسالة الاثني عشر	١/٩ – ٦ : رسالة الاثني عشر
...	...	...
١٣ : امثال	(١/٤ – ٣٤)	(٤/٨ – ١٨)
...	...	...
–	–	٥١/٩ ت : الصعود الى اورشليم
–	–	٥٧ – ٦٣ : ثلاثة رجال يريدون اتباع يسوع
(١٩/٨ – ٢٢)	(١/٦ – ٦)	(٢٣/٤ – ٣٠)
٥٤/١٣ – ٥٨ : يُرفض يسوع في الناصرة		

ثانيا: دراسة نصوص ازائية

في هذه الفقرة نتناول تباعاً تحليل معجزة "تسكين العاصفة" ومثل الكرّامين القتلة "ورواية "تأسيس الافخارستيا".

ا- معجزة "تسكين العاصفة"

قد تكون روايات المعجزات من اكثر النصوص التي يلتقي فيها الانجيليون الازائيون، وهي تمثل جزءًا مهما من كل انجيل (**انظر الاطار ٣٧: معجزات الاناجيل**). وقد سبق ان قلنا بانهم لا يروون "خوارق" بقدر ما يروون "علامات" تهدف إلى ايقاظ الايمان لدى قرائهم وترسيخه... لذا كثيرا ما نكتشف البعد التعليمي الذي اضفاه الانجيليون على رواياتهم..

بحيرة طبرية في قلب الجليل حيث علم يسوع وصنع معجزات... وفي مقدمتها معجزة "تسكين العاصفة": مالكم خائفين يا قليلي الإيمان (رواية متى).

لدى الحديث عن هذه المعجزة في سياق استعراضنا الفنون الادبية (الفصل الرابع) اكتشفنا ان عنصر الايمان كان قد خرج عن "القالب" الروائي للمعجزة. وها نحن نتناولها بالبحث في اطار المقارنة الازائية بين الروايات الثلاث بحسب

معجزات الاناجيل

في كـراس مـن "سلسـلة دراسـات في الكتـاب المقدس" (رقـم ٣- دار المشـرق، بـيروت ١٩٨٧) بعنـوان "المعجزات في الانجيـل" لمجموعـة مـن الاختصـاصيين، هنـاك جدول بـالمعجزات بحسـب الانجيليـين الاربعـة، نعرض هنـا خلاصته:

- هناك ١١ معجزة مشتركة بين الازائيين، نشبتها مشيرين إلى مرجعها في انجيل مرقس: شفاء حماة بطرس (١: ٢٩)، الابرص (١: ٤٠)، المقعد (٢: ١)، الرجـل ذو اليـد اليابسـة (٣: ١)، تسـكين العاصفـة (٤: ٣٥)، ممسوس الجراسـيين (٥: ١)، ابنـة يائـيرس (٥: ٢١)، المنزوفة (٥: ٢٥)، تكثير الارغفة (٦: ٣٠)، الصبي المصاب بالصرع (٩: ١٤)، اعميا اريحا (١٠: ٤٦).
- وهناك معجزات مشتركة بين مرقس ومتى فقـط: تكثير الارغفـة الثاني (مر ٨: ١)، ابنـة الكنعانيـة (٧: ٢٤)، يسوع يمشي على الماء (٦: ٤٥) -وهذه المعجزة مشتركة مع يوحنا! كما ان هناك معجزة مشتركة بين مرقس ولوقا: ممسوس كفرنـاحوم (مر ١: ٢١)، ومعجزتـين مشتركتين بين متى ولوقا: موظف الملك في كفرناحوم (متى ٨: ٥)، الممسوس (الاعمى) والاخرس (متى ١٢: ٢٢). فضلاً عن معجزات ينفرد بها كـل انجيلي: ينفـرد مرقس بالأصم الابكم (٧: ٣١) واعمى بيت صيدا (٨: ٢٢)، وينفرد متى بالاعميين (٩: ٢٧)، فيما ينفرد لوقا بالصيد العجائبـي (٥: ١) -وهنـاك مـا يقابلـه لـدى يوحنـا (٢١: ٣)- واحيـاء ابـن ارملـة نائيـن (٧: ١١)، والمرأة القوساء (١٣: ١٠) والمصاب بالاستسقاء (١٤: ١) والـبرص العشـرة (١٧: ١١) واذن خـادم رئيس الكهنة (٢٢: ٥٠).

اما انجيل يوحنا فيتضمن ٧ "آيات" منتقاة، محمّلة بالمضمون اللاهوتي المتميز، ينفرد باربع منها وهي: عرس قانا الجليل (٢: ١)، مقعد البركـة (٥: ١)، المولود اعمى (٩: ١)، احياء لعازر (١١: ١). وفيما يلتقـي بمعجـزة واحدة مع الازائيين: تكثير الارغفة (٦: ١-١٥)، يشـترك بواحدة مع مرقس ومتى (يسوع يمشي على الماء ٦: ١٦-٢١، راجع مر ٦: ٤٥؛ متى ١٤: ٢٢)، وباخرى مع متى ولوقا (موظف الملك في كفرناحوم ٤: ٤٦، راجع متى ٨: ٥؛ لو ٧: ١).

مرقس ومتى ولوقـا، سـيما وان رواية هذه المعجزة بـالذات تتميز، لا مـن حيـث الاختلافـات بـين الانجيليين في الاسـلوب والكلمـات المستخدمة حسب، وانما من حيـث المضمـون اللاهوتي الـذي أضفـوه عليها.

تأتي الرواية بحسـب مرقـس (٤: ٣٥-٤١) في اعقـاب سلسـلة مـن الامثـال الصغـيرة الـتي ضربهـا يسـوع وهـو يعلّـم علـى شـاطىء البحر، ومن على السـفينة (٤: ١) -وكـان قـد سـبقها حديـث عـن أسـرة يسـوع الحقيقيـة. ويضـع مرقـس اطـارا لهـا في "مسـاء ذلـك اليوم عينه" حين قال يسوع: "لنعبر إلى الشاطيء المقابل". وتليها ثلاث معجزات: طرد الـروح النجـس في ناحية الجيراسيين (٥: ١ت) وشفاء المنزوفة واحيـاء ابنـة يائـيرس، بعـد العـودة إلى الشـاطيء المقـابل (٥: ٢١ت)، وتختم برفض وطن يسوع له (٦: ١ت).

وتأتي الروايـة بحسـب لوقـا (٨: ٢٢ -٢٥) في اطـار يشـبه اطار مرقس في مـا يتعلّـق بالامثـال الـتي تسبقها وأسـرة يسـوع (٨: ٤ت) والمعجزات الثلاث التي تليها (٨: ٢٦ت)، علمـاً بـأن لوقـا -كعادتـه- لا يحـدد ظـروف المعجزة، فيقول: "في احد الايام"!

اما الرواية بحسب متى (٨: ١٨-٢٧) فتبتعد عن اطار الامثال في روايتي مرقس ولوقا، لتأخذ مكانها بين المعجزات العشر التي تظهر يسوع مقتدراً بالعمل -فهي الرابعة وتليها معجزة طرد الشياطين من ممسوسَي الجدَريين كما في مرقس ولوقا-، ولكنها تسبح في جو من الدعوة إلى اتباع يسوع عبر اولئك الذين أرادوا اتباعه قبل المعجزة (٨: ١٩-٢٢)، وعبر دعوة متى إلى اتباعه (٩: ٩) من ثم. وينفرد متى في روايته بـ "امر" يسوع بالعبور إلى الشاطئ المقابل -ويضعه متى دوما في المقدمة حيث يبدو انه هو الذي يأمر التلاميذ فيتبعوه (٨: ٢٣).

• معجزة تسكين العاصفة •

متى ٨: ١٨-٣٧	مرقس ٤: ٣٥-٤١	لوقا ٨: ٢٢-٢٥
١٨ ورأى يسوع جموعاً	٣٥ وفي اليوم نفسه	٢٢ وذات يوم ركب سفينة
كبيرة حوله فأمر بالعبور	قال لهم عند المساء: لنعبر	ومعه تلاميذه فقال لهم: لنعبر
الى الشاطئ المقابل	إلى الشاطىء المقابل	إلى شاطىء البحيرة المقابل
(١٩-٢٢)		
	٣٦ فتركوا الجمع وساروا به	فأقلعوا
٢٣ وركب السفينة	على حالته في السفينة	
فتبعه تلاميذه إليها	وكان معه سفن اخرى	
٢٤ وإذا البحر قد اضطرب	٣٧ فهبّت عاصفة هوجاء	٢٣ ب فهبّت على البحيرة عاصفة
اضطراباً شديداً		
حتى الامواج	واخذت الامواج تندفع	
غمرت السفينة	حتى كادت السفينة تمتلىء	٢٣جـ فكاد الماء يغمرهم
اما هو	٣٨ وكان هو في مؤخرها	
فكان نائما	نائما على وسادة	٢٣ أ ثم نام
		وهم سائرون
		٢٣جـ وأصبحوا على خطر
٢٥ فدنوا منه		٢٤أ فدنوا منه
فأيقظوه وقالوا له:	فأيقظوه وقالوا له:	فأيقظوه وقالوا:
ربنا! نجّنا	٣٩ أ يا معلّم! أما تبالي	٢٤أ يا معلّم! يا معلّم
لقد هلكنا:	اننا نهلك	لقد هلكنا
٢٦ فقال لهم:	٤٠ ثم قال لهم:	٢٥أ فقال لهم:
ما لكم خائفين	ما بالكم مضطربين هذا	
	الاضطراب؟	
يا قليلي الايمان؟	أ إلى الآن لا ايمان لكم؟	اين ايمانكم؟
ثم قام فزجر الرياح والبحر	٢٩ب فقام وزجر الريح	٢٤ب فقام وزجر الريح والموج
	وقال للبحر، اصمت! إخرس!	
	فسكنت الريح	٢٤جـ فسكنا
فحدث هدوء تام	وعاد هدوء تام	وعاد الهدوء

٢٧ فتعجب الناس	٤١ فاستولى عليهم خوف شديد	٢٥ فخافوا
وقالوا:		وأعجبوا
من هذا؟	وقالوا بعضهم لبعض:	وقال بعضهم لبعض:
حتى الرياح والبحر	من تَرى هذا؟	من تَرى هذا؟
تطيعه؟	حتى الريح والبحر	حتى الرياح والامواج
	تطيعانه!	يأمرها فتطيعه!

وتجدر الاشارة للحال إلى ان رواية المعجزة لدى الازائيين[١٢] يتخللها توبيخ يسوع بشأن الايمان: فيأتي لدى مرقس (آ٤٠) بعد اسكات العاصفة وقبل ردة الفعل، وكذلك لدى لوقا (آ٢٥)، فيما يأتي لدى متى (آ٢٦) بين طلب النجدة وزجر الرياح. وغني عن القول ان موضوع الايمان -والذي يعتبر خروجاً عن "قالب" رواية المعجزة- سيحتل المكانة الرئيسة في الرواية، كونه يكشف عن القصد اللاهوتي العميق الذي يختفي وراءها... لنتوقف ونمعن النظر في كل من الروايات الثلاث لنكتشف ما ينطوي عليها من قصد لاهوتي:

أ- رواية مرقس

لاشك ان للرواية مضموناً يختلف مع الآية ٤٠ او بدونها. فبدونها تصبح رواية معجزة مستوفاة الشروط، هدفها الكشف عن شخصية يسوع ومسيحانيته: "من ترى هذا حتى الريح والبحر يطيعانه؟". ومعها تصبح موجهة إلى تلاميذ لم يكتشفوا بعد سر يسوع كاملاً، ويحق لهم ان يتساءلوا: من هو هذا؟ ذلك لان لله وحده السلطة على عناصر الطبيعة! وفي هذا الاطار يمكن للآية ٤٠: " أ إلى الآن لا ايمان لكم؟[١٣] أن تعبر عن ايمان بيسوع لم يبلغ ذروته بعدُ!

إلا ان الرواية مع الآية ٤٠، كجزء اساسي منها، تتجاوز القصد المسيحاني لتصبح للحال "تعليما مسيحياً" موجهاً إلى مؤمنين يعلمون من هو يسوع، ولكن ايمانهم به يُساوره الخوف والشك (ولقد سبّقنا في النص الآية ٤٠ على آ ٣٩ب في مرقس، والآية ٢٥أ على آ ٢٤ب في لوقا للتوازي مع انجيل متى (آ ٢٦) الذي جعل موضوع الايمان يسبق المعجزة!). فمرقس -وقد سمي انجيله " انجيل ما قبل الفصح"!- هو ذاك التلميذ الذي يساعدنا على اكتشاف يسوع، على آثار بطرس والاثني عشر، ويحاول ان

---

[١٢] تبنّينا النص الازائي الذي اثبته الاب فاضل سيداروس في كتابه "تكوين الاناجيل"، ونستوحي تحليله للمعجزة (ص٨-١٤)، فضلاً عن تحليل الاب شربتتيه (الدليل/ص ١٨١).

[١٣] قد يحق لنا أن نرجع مثل هذا التعبير إلى أجواء ما قبل القيامة والتي يحاول الانجيلي ان يضعنا فيها، وإن كان كل ما يكتبه هو في ضوء القيامة! ولكنه يصبح بعد القيامة بمثابة دعوة إلى ايقاظ الايمان وترسيخه!

يقدّم لنا قراءة مجددة لحياته في ضوء القيامة. وهكذا يتضح قصده التعليمي من هذه المعجزة التي تحتوي مفرداتها على مجموعة من التعاليم.

- **"لنعبر إلى الشاطىء المقابل"**: انه بحر الجليل او بحيرة طبرية التي ضفتها الغربية يهودية وضفتها الشرقية وثنية. وهوذا يسوع يقود تلاميذه مراراً إلى الضفّة الوثنية ليعدّهم للرسالة بين الوثنيين والتي لم يكن بوسعهم ان يفهموا ابعادها آنذاك.
- **"وزجر الريح..."**: إنها العبارة ذاتها التي تستخدم لاخراج الشيطان. ذلك لأن البحر هو رمز لقوى الشر المتمثّلة بالشيطان. وهكذا يتجلّى سلطان يسوع على كل قوى الشر (راجع أي ٧: ١٢؛ رؤ ٢١: ١).
- **"ما بالكم خائفين هذا الخوف؟"**: انفرد مرقس بالتركيز على موضوع "الخوف". ولهذه الكلمة مدلول عميق، وقد وردت في العهد الجديد ٣ مرات فقط بعين المعنى: في انجيل يوحنا (١٤: ٢٧) بصيغة فعل (لا تضطرب قلوبكم)، وفي ٢ طيموتاوس ١: ٧ بصيغة اسم (الله لم يعطنا روح الخوف)، وفي سفر الرؤيا (٢١: ٨) بصيغة صفة (وهو يعدّ "الخائفين" مع غير المؤمنين والقتلة والسحرة...)... ذلك ان مثل هذا الخوف يدلّ على قلّة الثقة بالله، هو الذي يسهر على أحبائه، حتى وإن بدا "نائماً"[١٤]! ففيما يدل نوم يسوع على ثقته بالله يدلّ "خوف" التلاميذ على قلة ثقة بذاك الذي هو معهم، وإن كان نائماً! ألسنا أمام هدف تعليمي واضح موجه إلى مؤمنين يتعرضون للخوف ابان المحن؟
- وحين تلي هذه المعجزة معجزة طرد الشياطين في الاناجيل الثلاثة، فذلك يدعونا إلى الاستنتاج بأن "خوف" التلاميذ لا مبرر له طالما أن يسوع وضع حدّا لسلطان الشيطان ولكل قوى الشر.. وتلك علامة مميزة للازمنة المسيحانية -وقد رأى المسيحيون اكتمالها في يسوع.

ب - رواية لوقا

ان اطار رواية لوقا شديد الشبه باطار مرقس: فيسوع "ركب سفينة هو وتلاميذه"! وتلك من خصائص لوقا الذي يجعل التلاميذ -الاولين واللاحقين- بمعية يسوع دوماً.. يسيرون "وراءه" ويتبعونه! فالتركيز كله على التلاميذ، لا على السفينة: فهم "السائرون"، وهم الذين "غمرهم" الماء فاصبحوا في خطر، وهم الذين "دنوا" منه باحترام وايقظوه منادين مستنجدين: يا معلّم يا معلّم لقد هلكنا! ان لوقا هو انجيلي ذاك المخلص الذي يستجيب بحب وحنان إلى من يتضرع إليه بثقة وتواضع -قارن مع

---

[١٤] ورد في المزمور (٤٤: ٢٤): "قم ايها السيد لماذا تنام، استيقظ..." (راجع مز٣٥: ٢٣؛ ٥٩: ٦؛ ٧٣: ٢٠). ألم يكن هذا المزمور حاضراً في فكر الانجيليين وهم يروون كيف هرع التلاميذ إلى ايقاظ يسوع؟

استنجاد التلاميذ في مرقس: "اما تبالي اننا نهلك؟!". وهكذا سيكون عتاب يسوع بحسب لوقا اقل حدّة من عتابه بحسب مرقس، فهو يقول لهم: اين ايمانكم؟ بمعنى انه يوقظ فيهم ذاك الايمان الذي كان في حالة رقاد، حتى انهم "خافوا وتعجبوا" (آ ٢٥). ألسنا بازاء هدف تعليمي واضح من دون ان يغيب الهدف المسيحاني الحاضر في الروايات الثلاث: "من ترى هذا حتى الرياح والامواج يأمرها فتطيعه!".

ومن الجدير بالذكر ان لوقا وضع، قبل المعجزة مباشرة، قصة مجيء امه واخوته -ولم يستطيعوا الوصول إليه بسبب الزحام- وجواب يسوع: "امي واخوتي هم الذي يسمعون كلمة الله ويعملون بها" (٨: ٢١). ونتساءل: ألم يهدف لوقا إلى القول بأن باب الايمان قد فتح للوثنيين -والمعجزة تجري في شاطىء البحيرة المقابل! وان القرابة مع يسوع ستتجاوز حدود القرابة الدموية أو القومية، لتصبح حقا يتمتع به كل من "يسمع كلمة الله ويعمل بها"، من أية امة تحت السماء؟!

جـ -رواية متى

هوذا متى يختار مدخلاً إلى المعجزة عبر أحداث "إتّباع" على لسان كاتب: "اتبعك حيث تمضي" (٨: ١٩)، أو على لسان يسوع جواباً لتلميذ: " اتبعني ودَع الموتى يدفنون موتاهم" (٨: ٢٢)، أو على لسان الانجيلي: "وركب السفينة فتبعه تلاميذه" (٨: ٢٣). فالذي يهمه هو ان يجعل من يسوع -وهو المقتدر بالقول والفعل- شخصا جديراً بالثقة.. فيحق له من ثم أن يطالب بايمان مطلق! ومثل هذا الايمان مطلوب بالدرجة الاولى من "كنيسته" التي ترمز إليها السفينة! فالتركيز كله لدى متى ينصبّ على يسوع والسفينة: " اما هو فكان نائما"! -قارن مع مرقس ولوقا- وتلك هي احدى خصائص متى حيث يسلّط في لوحاته الأضواء على يسوع أو الشخص أو الشيء المعني! إنها "السفينة" في هذه الرواية حيث يبرز الهدف واضحا: تربية الايمان وتنميته! وهذا البعد التعليمي التربوي لا ينفي البعد المسيحاني.. ذلك لأن لكل انجيلي هدفين على الاقل: ان يخاطب غير المؤمنين فيثير لديهم السؤال: "من هو هذا؟" -وهو الهدف المسيحاني-، ويخاطب المؤمنين ليحملهم على ايقاظ ايمانهم (مرقس) وترسيخه (لوقا) واكتماله (متى). لنتوقف عند بعض الملامح الرئيسة في لوحة متى[١٥]:

- واول ما يستوقفنا، في رواية متى "اضطراب" البحر (والكلمة اليونانية المستعملة هنا تعني "زلزال")، فنجدنا في مناخ "آخر الازمنة" -وقد استخدمها بهذا المعنى كل من مرقس (١٣: ٨) ومتى (٢٤: ٧) ولوقا (٢١: ١١) في الحديث عن "زلازل" ترافق نهاية العالم.

---

[١٥] الدليل /ص ١٨١، ١٨٥

إلا ان متى استخدمها ٦ مرات اخرى بصيغة الفعل او الاسم، فتحدث عن "اضطراب" (زلزال) البحر(:٨ ٢٤)، وكيف ضجت (زلزلت) اورشليم لدى دخول يسوع إليها (:٢١ ١٠)، أو كيف "زُلزلت" الارض بعد صلب يسوع (٢٧: ٥١) فتفتحت القبور، بحيث آمن قائد المئة والحراس لما رأوا "الزلزال" (٢٣: ٥٤).. وكذلك في فجر القيامة حين حدث "زلزال" شديد (٢٨: ٢) واستولى الاضطراب (الزلزال) على الحراس وصاروا كالاموات (٢٨: ٤). وهكذا يصبح لهذه الكلمة مدلول عميق يشير إلى ان الكنيسة -وقد قامت بثمن آلام ربها يسوع وقيامته- هي اشبه بسفينة تهزها الرياح و"تُزلزلها" امواج البحر، وان عليها ان تصمد بوجه هذا الاضطراب/ "الزلزال" حتى منتهى الدهر، واثقة من ان ربها -حتى وان بدا نائما!- هو معها "كل الاجيال حتى انقضاء الدهر" (٢٨: ٢).

- لم نتوقف عند مناداة التلاميذ ليسوع بعبارة "يا معلم" لدى مرقس ولوقا، كونها تبدو مناسبة ومألوفة. اما لدى متى فعبارة " يا رب نجّنا " تستوقفنا وتثير دهشتنا، سيما حين نعلم انها مرادفة لعبارة (يا رب ارحمنا = كيرياليسون) التي كانت ولا تزال دعاء طقسيا على لسان كل المؤمنين بيسوع، بعد ان جعلت منه القيامة "ربّا" و"مخلصاً"... وهكذا يتضح لنا جليا ان انجيل متى هو "الانجيل الكنسي" إذ يجعلنا نشعر بأننا داخل هذه الكنيسة التي تكرّم "ربّها" القائم من بين الاموات في وسطها! وهكذا تصبح هذه الطلبة /الاستغاثة، في كنيسة مهددة بالضعف والتراجع وفقدان الايمان، دعوة إلى احياء الثقة بذاك الذي وحده يستطيع أن ينجيها ويحميها ويخرجها سليمة وقوية من عمق اللجج (الاضطهادات)...
- ويأتي عتاب يسوع في رواية متى متميّزاً: "ما لكم خائفين يا قليلي الايمان؟" فيحتل المركز من الرواية، قبل ان يزجر الرياح والبحر ويحدث الهدوء.. ذلك لانه عتاب موجه إلى مؤمنين ما زالوا بحاجة إلى مزيد من الايمان والثقة...[١٦]
- ومن المفارقة في رواية متى انها تضع، مقابل " قلة ايمان " التلاميذ، ايمان " الناس" (٢٧آ): ويحق لنا أن نتساءَل من اين أتوا و لم يكن هناك سوى سفينة واحدة بحسب متى! (خلافا لمرقس الذي يذكر سفنا اخرى). ويقصد متى بالناس، كعادته، جماعة "غير المؤمنين" الذين يبدون تجاه يسوع ايمانا يستحق الثناء والاعجاب: في شفاء المقعد دهش يسوع من ايمانهم (٩: ٢)، ونسب شفاء المنزوفة إلى ايمانها (٩: ٢٢)، واثنى بشكل خاص على ايمان الوثنيين -و لم ير مثله في اسرائيل!- من امثال قائد المئة

---

[١٦] تجدر الاشارة هنا إلى ان لمتى (١٤: ٢٢ت) رواية مماثلة: سير يسوع على المـــاء (انظر٦: ٤٥ت؛ يو ٦: ١٦ت) ينفرد فيها بطلب بطرس بالسير إليه على الماء، وكيف يستنجد به حين تملّكه الخوف: "يارب نجني!" فيأتي جواب يسوع مماثلاً: "يا قليل الايمان لماذا شككت؟". ومن الطريف ان تسفر الرواية عن "سجود الذين في السفينة " (آ: ٣٣) واعلانهم: "انت ابن الله حقاً"!

(٨: ١١) والكنعانية (١٥: ٢٨)... وهكذا يضعنا متى، كما فعل لوقا، في قلب الرسالة باتجاه الوثنيين، حين يروي لنا معجزة طرد الشياطين بعد معجزة تسكين العاصفة مباشرة.

٢- مثل "الكرامين القتلة"

تتخذ الامثال حيزا هاماً في الاناجيل الازائية، إلا ان الامثال المشتركة بين الازائيين لاتتجاوز الاربعة[١٧]! وها نحن ننكب على تحليل مثل " الكرامين القتلة"، وقد ورد لدى كل من مرقس (١٢: ١-١١) ومتى (٢١: ٣٣-٤٤) ولوقا(٢٠: ٩-١٨). انه نموذج مميّز للصراع الذي بلغ أوَجَه بين يسوع وخصومه من الفريسين ورؤساء الكهنة.. وكيف عرضه كل من الانجيليين، وما أضفوه عليه من معان ومضامين تصلح للكرازة والتعليم. كما ان هذا المثل يكشف لنا بصورة بيّنة عن "التطّور" الذي شهده هذا النص عبر مروره بمراحل ثلاث: من يسوع الذي ضرب المثل في الاساس، إلى الجماعة المسيحية في ضوء خبرة ايمانية طويلة مع يسوع الحي القائم من بين الاموات، وانتهاءاً بالانجيليين الذين نقلوا هذا المثل محمّلاً باهتماماتهم بشأن مصير الملكوت.

لقد سبق لنا ان تكلّمنا عن المثل بصفته احد الفنون الادبية المألوفة في زمن يسوع، ورأينا ان المثل هو في جوهره مقارنة تهدف إلى جعل السامع يدلي بحكم على نفسه، ايجابيا كان أم سلبيا، بحيث يحمله على تغيير موقفه او سلوكه. واجمل ما في المثل هو حين لا يشعر السامع انه معني إلا في النهاية.. وحينذاك قد يتخذ موقفا جدّيا وعنيفاً، لاسيما حين يكون معنياً بشكل فاضح، تماماً كما جرى لداود الملك حين حكم على نفسه بالموت من حيث لا يدري، عبر المثل الذي قصّه عليه ناتان النبي، فتحوّل إلى تائب يسعى إلى التكفير عن خطيئته (٢صم١٢: ١-١٥)! ولنا في المثل الذي نتناوله هنا خير نموذج عن ادراك السامعين (عظماء الكهنة والكتبة) انهم معنيون[١٨]!

---

[١٧] انها بحسب مرقس: مثل الزارع (٤: ٣ت)، حبة الخردل (٤: ٣٠ت)، الكرامون القتلة (١٢: ١ت)، التينة النابتة (١٣: ٢٨ت). وفيما هناك اربعة أمثال مشتركة بين متى ولوقا: الخميرة (متى١٣: ٣٣ت)، الخروف الضال (متى ١٨: ١٢ت)، الوليمة (٢٢: ١ت)، الوكيل الامين (متى ٢٤: ٤٥ت)- إلى جانب ستة امثال اخرى تكشف عن قربى بين الإنجيليين، كما في مثل الوزنات (متى) والامناء (لوقا) اللذين سنتناولهما بالتحليل أدناه- هناك مثلان ينفرد بهما مرقس (الزرع الذي ينمو من ذاته ٤: ٢٦، الرجل المسافر ١٣: ٣٤)، وعشرة امثال ينفرد بها متى، وخمسة عشر مثلاً ينفرد بها لوقا! ولا نكاد نجد مثلا يحصر المعنى في انجيل يوحنا!

[١٨] ان الطابع المجازي يولي هذا المثل مكانة فريدة بين امثال يسوع: فالكرم يرمز إلى الشعب اليهودي، والكرامون إلى ملوكه ورؤسائه، وصاحب الكرم هو الله، والمرسلون هم الانبياء، والابن هوالمسيح، ومعاقبة الكرامين يرمز إلى نبذ الشعب اليهودي، و " الشعب الآخر " إلى كنيسة الوثنيين (امثال يسوع/ص ٥٩).

ويهمنا من خلال هذا التحليل، ان نبرز كيف استخدمت الجماعة المسيحية امثال يسوع وطبقتها على واقعها وحياتها، مما ادّى احياناً كثيرة إلى تغيير في وجهة المثل ومعانيه واهدافه... ويصح ذلك بشكل خاص في امثال الملكوت -وقد تم فيها انتقال من امثال ضربها يسوع ليعلن ملكوت الله وملامحه وصفاته ومتطلباته.. إلى امثال تكشف عن "حلول" هذا الملكوت بيسوع، وتسعى من ثم إلى حمل الناس على اتخاذ موقف منه يحدّد بالتالي خلاصهم او هلاكهم!

يأتي هذا المثل في غضون المرحلة الاخيرة من رسالة يسوع التي بلغت ذروتها في المدينة المقدسة، وقد دخلها يسوع لينجز فيها سرّه الفصحي. انه يأخذ مكانه في سلسلة من مواجهات يسوع مع خصومه: فمرقس يضعه بعد "لعن التينة" وطرد الباعة من الهيكل، وبعد جدال حول "سلطة يسوع". ويتبع متى تقريباً الترتيب ذاته، ولكنه يُسبق طرد الباعة، على لعنة التينة، ويضعه بعد "مثل الابنين" (٢١: ٢٨-٣٢) -وقد انفرد به، فكان خير مدخل إلى مثل الكرامين- وقصد به الذين يعرفون ماذا عليهم ان يفعلوا ولا يفعلون! أما لوقا فيضعه في بدء المواجهة، بعد طرد الباعة وبعد الجدال حول سلطة يسوع.

• مثل الكرامين القتلة •

مرقس ١٢: ١- ١١	متى ٢١: ٣٣-٤٤	لوقا ٢٠: ٩-١٨
١ واخذ يكلمهم بالامثال قال:	٣٣ اسمعوا مثلا آخر:	٩واخذ يضرب للشعب هذا المثل قال:
غرس رجل كرما فسيّجه	غرس رب بيت كرما فسيّجه	غرس رجل كرما
وحفر فيه معصرة وبنى برجاً	وحفر فيه معصرة وبنى برجاً	
وآجره بعض الكرامين	وآجره بعض الكرامين	فآجره بعض الكرامين
ثم سافر	ثم سافر	وسافر مدة طويلة
٢ فلما حان وقت الثمر	٣٤ فلما حان وقت الثمر	١٠ فلما حان وقت الثمر
ارسل خادماً إلى الكرامين	ارسل خدّمَه إلى الكرامين	ارسل خادماً إلى الكرامين
ليأخذ منهم نصيبه من ثمر الكرم	ليأخذوا ثمره	ليؤدّوا إليه نصيبه من ثمر الكرم
٣ فأمسكوه	٣٥ فأمسك الكرامون خدّمَه	
وضربوه	فضربوا احدهم	فضربه الكرامون
وارجعوه فارغ اليدين		وصرفوه فارغ اليدين
٤ فأرسل إليهم خادماً آخر		١١ فأرسل خادماً آخر،
وهذا ايضاً شجّوا رأسه	وقتلوا غيره	وذاك ايضاً ضربوه
واهانوه	ورجموا الآخر	واهانوه وطردوه فارغ اليدين
٥ فأرسل آخر		١٢ فأرسل خادماً ثالثاً
وهذا أي ضاً قتلوه		وذاك ايضاً جرّحوه وطردوه

ثم ارسل كثيرين غيرهم
فضربوا بعضهم وقتلوا بعضهم
٦ فبقي عنده واحد
هو ابنه الحبيب فأرسله إليهم
آخر الامر
وقال:سيهابون ابني

٧ فقال اولئك الكرامون لبعضهم
هـــــوذا الوارث
هلم نقتله فيكون الميراث لنا
٨ فأمسكوه وقتلوه
والقوه في خارج الكرم

٩ فماذا يفعل رب الكرم؟
يأتي ويهلك الكرامين
ويعطي الكرم آخرين

١٠ أوَما قرأتم هذه الآية:
"الحجر الذي رذله البناؤون
هو الذي صار رأس الزاوية
١١ من عند الرب كان ذلك
وهو عَجَب في اعيننا "

١٢ ب وكانوا قد أدركوا أنه
يعرّض بهم في هذا المثل

٣٦ فأرسل ايضاً خدماً آخرين
اكثر عدداً من الاولين،
ففعلوا بهم مثل ذلك.

٣٧ فأرسل إليهم ابنه
آخر الامر
وقال: سيهابون ابني
٣٨ فلما رأى الكرامون الابن
قال بعضهم لبعض:
هوذا الوارث
هلم نقتله ونأخذ ميراثه
٣٩ فامسكوه
وألقوه في خارج الكرم
وقتلوه
٤٠ فماذا يفعل رب الكرم
باولئك الكرامين عند عودته؟
٤١ قالوا له:
يهلك هؤلاء الاشرار شر
هلاك
ويؤجّر الكـــــرم كرامين
آخرين يؤدون إليه الثمر في
وقته

٤٢ قال لهم يسوع:
اما قرأتم قط في الكتب:
"الحجرالذي رذله البناؤون
هوالذي صار رأس الزاوية
من عند الرب كان ذلك
وهو عجب في اعيننا"
٤٣ لذلك اقول لكم: ان ملكوت
الله سيُنْزَع منكم ويعطى امة
تثمـــر ثمره
٤٤ من وقع على هذا الحجر
تهشّم،
ومن وقع عليه هذا الحجر
حطمه"
٤٥ فلما سمع عظماء الكهنة
والفريسيون امثاله ادركوا انه
يعرّض بهم في كلامه

١٣ فقال ربّ الكرم:ماذا اصنع؟
سارسل ابنـــي الحبيب
لعلهم يهابونه
١٤ فلما رآه الكرامون
تشاوروا فيما بينهم قائلين:
هوذا الوارث
فلنقتله ليعود الميراث إلينا
١٥ فألقوه في خارج الكرم
وقتلوه
فماذا يفعل بهم رب الكرم؟
١٦ سيأتي ويهلك هؤلاء الكرامين
ويعطي الكـــرم غيرهم

١٧فلما سمعوا ذلك قالوا:حاشَا!
فحدّق إليهم وقال:
فما معنى هذه الآية:
"الحجر الذي رذله البناؤون
هو الذي صار رأس الزاوية

١٨ كل من وقع على ذلك الحجر
تهشّم،
ومن وقع عليه هذا الحجر
حطمه"

١٩جـ فقد أدركوا أنه بهم
عرّض في هذا المثل

١٢أ فحاولوا ان يمسكوه	٤٦ فحاولوا ان يمسكوه	١٩أ فحاول الكتبة وعظماء الكهنة ان يبسطوا ايديهم اليه في تلك الساعة
ولكنهم خافوا الجمع فتركوه وانصرفوا	ولكنهم خافوا الجمع لانهم كانوا يعدّونه نبيا	١٩ب لكنهم خافوا الشعب

أ- المثل على لسان يسوع

أيّاً كان موقع المثل، فالمهم هو ان يسوع يبدو، وكأنه يقرأ مسبقا مصيره الذي بلغ "اكتماله" عبر قراءة مكثفة في تاريخ اسرائيل (انظر مثل الوليمة الذي يلي مثل الكرامين القتلة: متى ٢٢: ١-١٤) المنسوج من سلسلة من التعامي والرفض والتحدي والخيانة... انه يرسم صورة قاتمة للملكوت الذي يريد الله ان يوطده بين الناس، وقد سعى ان يهيء مجيئه عبر رسله وانبيائه على مر الاجيال، فكان نصيبهم الاضطهاد والاهانة والرذل والموت... إلى أن لم يبقَ له سوى"ابنه الحبيب"(مرقس ولوقا). وها هم رأوا فيه " وارثا" وجب قتله ليتسنى لهم ان يستولوا على الميراث!

وها هو المثل يصبح "إدانة" لهؤلاء الكرّامين الذين ائتمنهم رب الكرم على كرمه -ومن المعلوم ان الكرمة في العهد القديم ترمز إلى اسرائيل الذي اختاره الله له شعباً واحّبه ودلّله! (انظر أش ٥: ١-٣). وهذه الادانة يستخرجها السامعون أنفسهم، مع ما يرافقها من عقاب! وهنا ينفرد متى بوضع السؤال على لسان يسوع: فماذا يفعل رب الكرم؟ (آ ٤٠)، فيأتي الجواب على لسان السامعين، وبرضاهم، وبمستوى من العدل والرؤية الواضحة، ليقولوا:" يهلك هؤلاء الاشرار شر هلاك ويؤجرالكرم كرامين آخرين يؤدون إليه الثمر في وقته"! تلك هي الخلاصة المنطقية لرفض اسرائيل وتماديه وعناده واصراره المسبق.. فمن الحق والعدل ان يُعطى الكرم (الملكوت) إلى آخرين -وهم اولئك "الفقراء" الذين يُبَشَّرون بالانجيل...

ب- المثل على لسان الجماعة المسيحية

مثل كهذا كان من الطبيعي أن تنكبّ عليه الجماعة المسيحية الاولى لتقرأ فيه مصير يسوع في ضوء نبؤة اشعيا في "العبد المتألّم" الذي رُذل واضطهد و"أُحصي مع الاثمة" (أش ٥٣: ١٢). وهكذا تحوّل هذا المثل في فكر المؤمنين الاولين إلى "تمثيل" -وهو فن ادبي شبيه بفن المثل، ولكنه يهدف بالاكثر إلى التعليم من خلال قصة تُكتشَفُ من تفاصيلها حقائق معينة -اعني انهم رأوا "المسيح" في شخص "الابن" الذي

ارسله اخيراً رب الكرم، على أمل أن الكرامين "سيهابونه"! ولكنهم أمسكوه "والقوه خارج الكرم" وقتلوه -وتلك اشارة إلى صلب يسوع في "الجلجلة"، مكان قريب من المدينة (يو ١٩: ٢)! وسيقول صاحب الرسالة إلى العبرانيين:"تالم يسوع خارج الباب المقدس... " (١٣: ١٢)! وللحال تصبح الادانة حكما ودينونة لاولئك الذين أبوا ان يروا في "الابن" مسيح الله، وهو الذي جعله الله "وارثا لكل شيء..." (عب ١: ٢)! والذي لن ينفك انجيل يوحنا عن تسميته"مرسل الآب" إلى العالم (**انظر الاطار ٣٨: مثل الكرامين القتلة: تعبير مجازي**).

اطار ٣٨

مثل الكرامين القتلة: تعبير مجازي

في سياق "التعبير بالمجاز" من كتاب "امثال يسوع" (ص ٥٧-٦٤) يحلل الاستاذ يواكيم جرمياس هذا المثل تحليلاً دقيقاً ورائعاً نوجز هنا ابرز ما جاء فيه:

١. لقد أغفل لوقا ربط المثل بنبؤة اشعيا، مما يتيح لنا القول بأن هذا الربط هو تغيير ثانوي كان الهدف منه، لدى مرقس ومتى، التعبير المجازي عن الشعب اليهودي الممثّل بالكرم.

٢. التعبير بالمجاز تم تدريجياً على المثل، كما يتبين من موضوع إرسال العبيد إلى الكرامين: فالكلام لدى مرقس عن عبد واحد خلال ثلاث بعثات -وقد بالغ باستباق مصير الابن عبر مقتل العبد الثالث! ومن ثم يُرسَل "آخرون"، يُضرب بعضهم ويُقتل بعضهم، وذلك من باب التوسع للاشارة إلى الانبياء والمصير الذي لقوه.. اما لوقا فيكتفي ببعثة عبد واحد على ثلاث دفعات، ومن دون الاشارة إلى الانبياء، مما يزيد في أصالة المثل لدى لوقا. ولكن متى هو الذي ذهب بالمجاز إلى النهاية: فمن البداية نحن بإزاء بعثة خدم كثيرين تعقبها بعثة بعدد اكبر، يلاقون جميعهم الضرب والقتل والرجم- هو مصير الانبياء الشهداء!

٣. لا يمكن لجمهور يسوع ان يرى في "ارسال الابن" إلى الكرم صورة ليسوع وتفسيراً للقب "ابن الله"! سيما وان هذا اللقب لم يكن لقبا مشيحياً لدى اليهود. إلا ان الكنيسة الاولى، منذ وقت مبكر، رأت صورة المسيح في هذا "الابن" ولاسيما حين يقتل، بحسب متى ولوقا، خارج الكرم... وتجدر الاشارة إلى ان هذه النبرة المسيحانية قد طبعت رواية مرقس عبر عبارة "الابن الحبيب" (١٢: ٦) وكأننا في عماذ يسوع أو تجليه (١: ١١و٩: ٧)! ولاسيما عبرالاستشهاد بالمزمور ١١٨ الذي كان احد البراهين المفضلة في الكنيسة الاولى عن قيامة يسوع وارتفاعه في المجد.

٤. هل للمثل اساس في الواقع، أم انه كله مجاز؟ على هذا السؤال يجيب جرمياس، مستنداً إلى أن صاحب الكرم قد يكون احد الملاكين الغرباء، في منطقة الجليل، يعيش في الخارج..ولذا استهان الكرامون بمبعوثيه وفكروا بقتل الوريث الوحيد، بحيث يصبح الكرم بعد فترة من الزمن من دون مالك، ويمكنهم من ثم ان يستملكوه! الا ان هذه السمات الواقعية لا تنفي اشارة المثل إلى الحالة التي تُجابَه بها البشرى! فتلك هي غايته الاولى، كالعديد من الامثال الاخرى التي تهدف إلى إضفاء الشرعية على توجّه بشرى الانجيل إلى "الفقراء"، ولاسيما في اعقاب رفض رؤساء الشعب "آخر المرسلين"!

ويختم الاستاذ جرمياس تحليله بان لهذا المثل بداية من التعبير بالمجاز، عبر ارتباطه بنشيد الكرم الوارد في اشعيا (٥: ١-٧): ان كرم رب الجنود هو بيت اسرائيل! فكل المستمعين كانوا يعرفون هذه الآية، وكان عليهم ان يماثلوا رؤساء الشعب اليهودي بالكرامين (مر١٢: ١٢ب؛ لو٢٠: ١٩ب). بيد ان التقليد السابق لمرقس كان قد دفع التعبير بالمجاز إلى ابعد، إذ أضاف الاشارة إلى الانبياء (ثم أرسل كثيرين غيرهم

مر ١٢: ٥)، كما أشار بوضوح إلى النبرة المسيحانية من خلال النبؤة عن القيامة (مر ١٢: ١٠).
وذهب متى إلى ابعد من ذلك إذ غدا المثل لديه (كمثل الوليمة ٢٢: ١-١٤) موجزاً لتاريخ الخلاص، من إبرام العهد في سيناء (هكذا فهم عبارة "وآجره" الواردة في الآية ٣٣)،مروراً بخراب اورشليم (آ ٤١، راجع ٢٢: ٧) وتأسيس كنيسة الوثنيين (آ ٤٣)، وحتى الدينونة الاخيرة (آ ٤٤). اما لوقا فقد بدا متحفظاً تجاه التعبير بالمجاز، ولكنه لم ينجُ منه تماماً (٢٠: ١٣، ١٥، ١٧).

وهنا سيعيد المسيحيون قراءة حياة يسوع وآلامه وموته وقيامته في ضوء الاسفار المقدسة، فيجدوا فيها ما يوطّد ايمانهم بيسوع الذي هو في قلب التدبير الخلاصي... وهكذا يأتي المزمور ١١٨: ٢٢-٢٣ ليكشف حقيقة "الابن" المرذول الذي سيكون موته سبب خلاص ورجاء، سواء جاء على لسان يسوع الذي يعيدهم إلى الكتب (متى)، ام جاء بمثابة "تفسير" للحدث الذي يشير إليه المثل (مرقس ولوقا) -سيما حين اجاب السامعون "حاشَ" ان يعطى الكرم لآخرين (لوقا)-: "أوَما قرأتم هذه الآية [الحجر الذي رذله البناوون هو الذي صار رأس الزاوية...]"؟! ولا شك ان هذا المزمور يرجع إلى نبوءة اشعيا (٢٨: ١٦): "ها اني واضع حجرا في صهيون، حجراً ممتَحَناً، رأس زاوية كريما، اساساً محكماً، من آمن به لن يتزعزع". وهذا "الحجر" كان اشعيا(٨: ١٤) قد سبق وجعل منه "حجر صدم وصخر عثار لبني اسرائيل.. فيعثر به كثيرون ويسقطون ويتحطمون..."! ألسنا أمام خيار كالذي وضعه لوقا على لسان سمعان الشيخ: "انه جعل لسقوط كثير من الناس وقيام كثيرمنهم في اسرائيل، وآية معرضة للرفض" (لو ٢: ٣٤)؟

جـ - المثل بقلم الانجيليين

ظل المثل محتفظاً بمعناه الاول في قلب الجماعة المسيحية طالما بقيت تقرأ فيه مصير يسوع -وقد اندمج مع مصير "الملكوت" ومستقبله. فها هم الانجيليون بدورهم يعكسون هذا الاهتمام الموحّد بمصير الملكوت ومصير المسيح، طالما ان يسوع جسّد في ذاته معنى الملكوت، وقد افتتحه بآلامه وموته. وهكذا يُصبح المزمور ١١٨ نشيداً فصحياً كونه يعبّر خير تعبير عن حقيقة ذاك الذي "رذله البناؤون" واسلموه للموت، ولم يكونوا يعلمون انه هو ذاك "الحجر" الاساس للبنيان والذي بدونه لا خلاص، طالما ان "الله اقامه من بين الاموات"، كما سيقول بطرس في المجلس بعد شفاء المقعد، مستشهداً بهذه الآية ذاتها من المزمور ١١٨ (رسل ٤: ١١)، وكما سيكتب في رسالته الاولى (٢:

٤-٦) داعياً المؤمنين إلى الاقتراب منه "هو الحجر الحي الذي رذله الناس فاختاره الله، وكان عنده كريماً.. فقد ورد في الكتاب: [ها أنذا اضع في صهيون حجراً للزاوية، مختاراً كريما، فمن اتكل عليه لا يخزى]"!

لقد ختم مرقس المثل بهذا النشيد الفصحي. إلاّ ان لوقا يضيف إليه النبؤة من اشعيا (٨: ١٤) التي تضع القارىء امام خيار وتحمله على اتخاذ قرار ما دام ان "من وقع على ذلك الحجر تهشم، ومن وقع عليه هذا الحجر حطّمه"! (متى ولوقا). ولكن متى هو الذي، بعد ان يورد النشيد الفصحي، يعود ليضعنا أمام المعنى الاولي في ما يتعلّق بالملكوت، لأن رب الكرم سيعطي الملكوت (الكرم) لآخرين "يؤدون إليه الثمر في وقته" (آ ٤١). وينفرد متى بكلام قاسٍ هو اشبه بدينونة لا رجعة فيها: "لذلك اقول لكم: ان ملكوت الله سينزع منكم ويعطى امة تثمر ثمره (آ ٤٣)! انها الكنيسة، الوريثة الشرعية للكرم (الملكوت).

وها نحن للحال في ذروة المثل! فالكنيسة قد شرعت ابوابها للوثنيين الذين كانوا خارج اسرائيل، بعد أن اصبحوا بالايمان، مدعوي الملكوت وشركاء في مواعيد اسرائيل... كما جاء في (لو ١٣: ٣٠): "ويأتون من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب، ويجلسون على المائدة في ملكوت الله. فهناك آخرون يصيرون اولين واولون آخرين" (متى ١٩: ٣٠؛ ٢٠: ١٦). ويخلص، على مثال لوقا، بالتأكيد على ضرورة الاختيار عبر نبؤة اشعيا، وهو يكشف مغزاها: لا احد يستطيع ان يكون حيادياً ازاء هذا "الحجر" الاساس، وحذار لمن يصطدم بهذا الحجر، وبالاكثر من يسقط عليه هذا الحجر!!

٣- روايات "تأسيس الافخارستيا"

حين نجدنا بازاء ما يُسمى بـ نصوص "تأسيس الافخارستيا"، لا نكاد نجد، ولاول وهلة، اختلافاً يذكر بين نصوص الازائيين الثلاثة، فيما يأخذنا العجب من غياب هذا المشهد في انجيل يوحنا! وأول ما يخطر ببالنا كحل لهذا الاشكال هو ان الانجيليين الازائيين اجمعوا في نقل "وقائع" ما جرى في اثناء العشاء الاخير، وإن باختلافات طفيفة، فيما سبق الانجيلي الرابع فملأ سكوته عن تأسيس الافخارستيا بخطاب رائع ودسم، على شاطىء بحيرة طبرية، في اعقاب معجزة تكثير الخبز على الشاطىء المقابل (٦: ١-٦٦)... وكثيرا ما كنا نحجّم مكانة نص رسالة القديس بولس (١قور١١: ١٧-٣٣) ونتناسى انه اول نص يعكس فيه بولس ممارسة الكنيسة الناشئة، لذكرى "عشاء الرب".. وكانت الانحرافات قد بدأت تتسرّب إلى ممارسته!

ففي رواية "تأسيس الافخارستيا" لدى الانجيليين، نجدنا بإزاء نموذج من النصوص الازائية التي لا يكفي ان نكتشف توافقها واختلافها، بل يتوجب علينا أن نقرأها في ضوء نص رسالة القديس بولس الاولى إلى اهل قورنتس من جهة، وفي ضوء رواية العشاء الاخير في انجيل يوحنا من جهة أخرى، فندرك ان النصوص الافخارستية الاربعة التي بين ايدينا تنتمي الى تقليدين: ينتظم نص مرقس ومتى في تقليد، فيما ينتظم نص بولس ولوقا في تقليد آخر.. وتبقى رواية العشاء الاخير في انجيل يوحنا (١٣-١٧) والخالية من النص الافخارستي، بمثابة الاطار اللاهوتي الذي يتجلّى فيه البعد الافخارستي عبر مشهد"تغسيل الارجل"!

واذا اخترنا روايات تأسيس الافخارستيا في نطاق دراستنا للمسألة الازائية، فذلك، **أولاً**، لأن هذه النصوص تعكس توجه الانجيليين وقصدهم اللاهوتي في موضوع هو في القلب من السر الفصحي الذي يريدون ان يُدخلوا قراءَهم فيه، طالما ان "العشاء السرّي" هو، في مفهومهم، استباق لموت يسوع الخلاصي، وطالما ان يسوع، في خلاله، وَهَبَ حياته عطية حب وذبيحة وفداء... **وثانياً** لأن هذه الروايات تتأصل في ممارسة ذكرى "عشاء الرب" أو "كسر الخبز" في الكنيسة الناشئة، وقد اخذت، منذ عهد مبكر، تحتفل بالسر الفصحي، وقرأت فيه سرّ وجودها، وهو سر الشكر -وذلك هو معنى كلمة الافخارستيا- طالما ان الكنيسة ترفع، عبر هذه الممارسة، آيات الشكر لله الذي اعطاها ابنه يسوع، وهي تحتفل بموته وقيامته في انتظار مجيئه الثاني... **وثالثاً**، لأن النصوص الازائية حول الافخارستيا تفرض علينا نظرة في اتجاهين: باتجاه ما سبقها في رسالة بولس حيث يقول انه "يسلّم ما قد تسلّم من الرب" (١ قور ١١: ٢٣)، وباتجاه ما تلاها في الانجيل الرابع من تأمل في الافخارستيا "خبز الحياة"، وما انطوى عليها من التزام الاقتسام والخدمة...

أ- نصوص من نتاج الجماعات المسيحية

نحن،إذن، بازاء نصوص يمتد تاريخ كتابتها ما بين الخمسينات (٥٤-٥٦) بالنسبة إلى الرسالة الاولى إلى قورنتس، ونهاية التسعينات بالنسبة إلى انجيل يوحنا، مروراً بالاناجيل الازائية ما بين الاعوام ٧٠-٩٠! وهذه النصوص لا تنقل حدثا بقدر ما تنقل ممارسة اكتسبت معنى عميقاً في ضوء قيامة المسيح، واصبحت من ثم "علامة" لحضور الرب الممجد في ما بين الجماعة المؤمنة. وهكذا، كما في العديد من الروايات الانجيلية، لا يسوغ لنا ان نتكلم عن " تحقيق" مباشر عن ما جرى في العشاء الاخير، وانما عما يجري في حياة الجماعات المسيحية بعد قيامة الرب ببضع سنوات، عبر صلة وثيقة بعشائه

الاخير وآلامه وموته، بعد ان كشفت قيامته عن الابعاد التي انطوت عليها هذه الاحداث.. وحينذاك لن يسوءَنا اذا عجز اهل الاختصاص عن اعادة صياغة "الوقائع" التي تمت ليلة موت يسوع وما تخلّلها من اقوال وافعال.

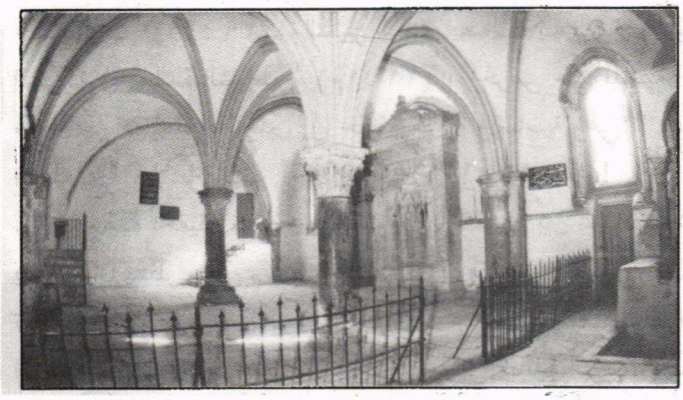

علية "العشاء الأخير" بالطراز الغوطي يرقى بناؤها الى عام ١٣٣٥ على أنقاض كنيسة من القرن الرابع هدمها الفرس عام ٦١٤. هذا المكان كان قد أصبح جامعاً عام ١٩٤٩، ويعتقد اليهود أن طابقه السفلي يحتضن قبر داوُد.

لقد نشأت اولى الروايات عن الآلام -بما فيها رواية العشاء الاخير[١٩]- في نطاق اجتماعات المسيحيين الاولين الليتورجية والتي كانوا فيها يحتفلون بذكراه، ولاسيما عبر "كسر الخبز"، وهي علامة حضوره في ما بينهم... كما سبق أن أكدنا ذلك في اطار بحثنا عن البيئة الليتورجية التي كانت وراء نشأة هذه الروايات[٢٠]. فلقد كانت هذه الاجتماعات تجري عادة في البيوت (رسل ٢: ٤٦)، وفي "اليوم الاول من الاسبوع" (رسل ٢٠: ٧) -وقد حفظ لنا لوقا في سفر الاعمال ذكرى أمسية في طرواس تمّ خلالها "كسر الخبز"، حين اطال بولس الكلام حتى منتصف الليل... وكثيرا ما كان يقترن "كسر الخبز" بـ "تعليم الرسل"، والعشاء الاخوي، ولاسيما عبر "المشاركة" في الحاجات (راجع رسل ٢: ٤٢؛ ٤: ٣٤)...

ومن حسن الحظ ان الانحراف الذي تسرّب إلى ممارسة "عشاء الرب" في قورنتس، قد حمل بولس على تقويمه عبر رسالته الاولى، حين تحدّث فيها بشكل واضح عن تأسيس الافخارستيا. فهو يحتجّ على القورنتيين الذين لم يعودوا يتناولون "عشاء الرب" طالما ان بينهم انقسامات، وطالما انهم لا يَجتمعون بحسب روحه، في الاحترام لكل ما علّمه بشأن المحبة والمشاركة والاقتسام... فكان لابد لهم أن يصبحوا أهلاً للإشتراك في عشاء الرب! وابرز علامات هذا "الاستحقاق" هو ان يعرفوا كيف "يميّزوا

---

[١٩] كانت رواية الآلام في صيغتها الاولى تبدأ من اعتقال يسوع. وسرعان ما ادرجت فيها روايتا العشاء الاخير والنزاع في البستان، بهدف إضفاء معنى على احداث الآلام: فعبر رواية العشاء نكتشف يسوع وهو يستبق موته ويحتفل به مع تلاميذه، دليلاً على حب سيذهب به إلى اقصى الحدود... كما ندرك، عبر رواية النزاع، كيف ان يسوع يقبل بالرضى موته القريب محوّلاً اياه إلى عطاء للذات في الطاعة التامة... (انظر الفصل التاسع: روايات الآلام بحسب الانجيليين).

[٢٠] راجع الفصل الثالث / البيئة الليتورجية.

جسد الرب" (١١: ٢٩). والتمييز الذي يطالب به القديس بولس يتخطى اجتناب الشركة في "مائدة الشياطين" (١٠: ٢١) او الحرص على قدسية الطقس وما يستوجبه من الاحترام، ليبلغ بالمؤمنين إلى حقيقة سامية واساسية وهي: انهم جميعهم "جسد واحد في المسيح".. لا بل إنهم "جسد الرب" (١٠: ١٦-١٧)!

ولهذه الحقيقة نتائج عملية تقوم في "التمييز" بين عشاء وعشاء: فالعشاء الاخوي يفترض ان ينتظر بعضهم بعضاً (١١: ٣٣) ويقاسم بعضهم بعضاً.. والاّ يكون هناك تفاوت يجلب "ازدراء" لكنيسة الله (١١: ٢٢)... وسيصبحون أهلاً لأن "يتناولوا عشاء الرب" (١١: ٢٠)، حين يجلسون سوية إلى مائدة الرب، ويأكلون الخبز الواحد ويقتسمون الكأس الواحدة "بقلب واحد ونفس واحدة": "فمن اكل خبز الرب أو شرب كأسه، ولم يكن اهلاً لهما، فقد أذنب إلى جسد الرب ودمه" (١١: ٢٧). وهكذا تصبح المشاركة في عشاء الرب، في الوقت ذاته، مشاركة بجسد المسيح، كما بجسده الذي هو "الكنيسة" أي جماعة الاخوة.. وكل الاخوة.. أي البشرية جمعاء!

نحن، إذن، بازاء نصوص متأخرة عن الحدث الذي ترويه بحوالي ٢٠-٥٠ سنة، كانت الجماعات المسيحية خلالها قد اكتسبت خبرة طويلة في ممارسة الافخارستيا. لذا لم يعد بالامكان اعتبار روايات تأسيس الافخارستيا وكأنها "ريبورتاجات" عن عشاء يسوع الاخير، وانما شهادات تعكس طريقة الجماعات المسيحية في الاحتفال بذكرى "عشاء الرب" منذ الخمسينات... وهذه الشهادات متأصلة بشكل وثيق في التقاليد التي ترجّع صدى ما قاله يسوع وفعله في ذلك العشاء... ويتضح ذلك من خلال إمعاننا في النظر إلى الروايات الاربع: وهذه الروايات الاربع التي تتآلف وتختلف في الوقت ذاته، يمكننا ان نوزعها إلى مجموعتين: بولس ولوقا، وهما يبرزان كيف أنّ يسوع يمنح حياته بصفته "النبي" الشهيد! ومرقس ومتى، وهما يبرزان ما في موت يسوع من طابع الذبيحة. ويرجع أهل الاختصاص هذا الاختلاف في النظرة إلى تقليدين طقسيَين يعكسان بدورهما ممارستين للافخارستيا: الاولى في فلسطين -وهي الاقدم- (مرقس ومتى)، والثانية في انطاكيا والعالم الوثني (بولس ولوقا).. ونجهل ان كان لوقا قد عرف الرسالة الى قورنتس واخذ روايته عنها، او انه استقاها من الكنائس التي أسسها بولس؟

ب- نصوص التأسيس.. في مناخ العشاء الاخير

إن قراءة يقظة لنصوص تأسيس الافخارستيا في الاطار الذي جاءت فيه، وبحسب النظرة اللاهوتية لكل مؤلف، تكشف لنا،اولا، بأن الانجيليين الازائيين وضعوا رواياتهم

للعشاء الاخير في زمن الفصح اليهودي، بحيث بدا عشاء "فصحياً" -بخلاف بولس الذي لم يهتم لذلك، اذ لم يكن هذا هدفه الاول. وكان مرقس اول من كتب (حوالي عام ٧٠)، وتبعه من ثم متى ولوقا في تثبيت هذا الاطار الفصحي:" وفي اول يوم من الفطير، وفيه يذبح الفصح..." (مر ١٤: ١٢)، ولكن من دون ذكر الحمل الفصحي في هذا العشاء الطقسي[٢١] الذي كان يحتفل فيه اليهود بذكرى الخروج من مصر وذكرى العهد في سيناء...! والمهم هو ان القرب الزمني بين الفصح والعشاء الاخير قد حمل الانجيليين -وهم يكتبون بين السبعينات والتسعينات- على ان يعكسوا ايمان الجماعات المسيحية بكون يسوع هو "الحمل" المذبوح، علامة الفداء والتحرير، وانه هو "الفصح الجديد" (١ قور٥: ٧)... الا تعني كلمة "فصح" عبوراً من العبودية الى الحرية لدى الخروج من مصر، وعبوراً من الظلمة الى النور لشعب العهد الجديد، بموت يسوع وقيامته؟

وهناك توافق بين الانجيليين الاربعة في اضفاء صفة "الوداع" على العشاء الاخير، حتى أن محادثات يسوع مع تلاميذه اتخذت صفة "خطبة الوداع" لدى لوقا -وقد احاط روايته بمقدمة وخاتمة حول الخدمة (٢٢: ١٤-٢٧)-، وصفة "وصايا اخيرة" لدى يوحنا (الفصول ١٣-١٧)... وتجدر الاشارة الى أن الازائيين وضعوا العشاء الاخير في فاتحة رواية الالام، لابراز المعنى الذي اضفاه يسوع على موته، عبر تقدمة الخبز والخمر.. ذلك ان يسوع، بعد ان اتم في العشاء طقس " البركة"[٢٢] على الخبز والخمر، وطقس "الاقتسام" في الوقت ذاته، شاء ان يضفي على هذين العملين الطقسيين المألوفين معنى جديداً، باقامة الصلة مع موته القريب (**انظر الاطار ٣٩: عشاء وداع..عشاء طقسي**).

---

[٢١] لا يرى المفسرون في العشاء الاخير عشاء فصحيا للاسباب التالية:

١- يتحدث الازائيون كثيرا عن الفصح، ولكنهم لا يدلون باية معلومات عن تفاصيل هذا العشاء الطقسي الذي لم يرد فيه قط ذكر الحمل الفصحي والذي يحتل عادة مكانة القلب في العشاء الفصحي!

٢- اذا كان العشاء قد تم، بحسب الازائيين، ليلة الفصح، فمعناه ان احداث الالام والصلب قد تمت في عيد الفصح- وذلك يستحيل بحكم فريضة العيد!

٣- يحدد انجيل يوحنا محاكمة يسوع عشية الفصح (١٩: ١٤) مما ينفي كون العشاء الاخير عشاء فصحيا -ويمنح المفسرون ثقة كبيرة لاشارات انجيل يوحنا التاريخية والجغرافية.

[٢٢] ينفرد لوقا بذكر كأسين: لقد جعل من العشاء الاخير عشاء فصحيا فيه تُقدم كأس اولى يرفعها المترئس لله مع صلوات الشكر على هباته واعماله -وفي مقدمتها عمل التحرير الذي انجزه في "الخروج". وعن هذه الكأس قال يسوع: لن اشرب بعد اليوم... (الآية ١٨ التي جعلناها في جدول النصوص تلتقي بمثيلتها لدى مرقس ومتى). اما الكأس الثانية فهي التي قال عنها يسوع: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي.." (الآية ٢٠).

• نصوص تأسيس الافخارستيا في العهد الجديد •

متى ٢٦: ٢٦-٢٩	مرقس ١٤: ٢٢ - ٢٥	لوقا ٢٢: ١٩-٢٠	١قورنتس ١١: ٢٣-٢٦
		١٥. فقال لهم: اشتهيت شهوة شديدة أن آكل هذا الفصح معكم قبل ان اتألم.	
		١٦. فاني اقوله لكم: لا آكله بعد اليوم حتى يتم في ملكوت الله.	
		١٧. ثم تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذا واقتسموه بينكم.	
			٢٣. الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها
٢٦. وبينما هم يأكلون.	٢٢. وبينما هم يأكلون،	١٩. ثم اخذ خبزا	اخذ خبزا
اخذ يسوع خبزا	اخذ خبزا	وشكر وكسره	٢٤. وشكر ثم كسره
وبارك ثم كسره	وبارك ثم كسره	وناولهم اياه	
وناوله تلاميذه	وناولهم	وقال:	وقال:
وقال:	وقال:		
خذوا فكلوا	خذوا		
هذا هو جسدي	هذا هو جسدي	هذا هو جسدي	هذا هو جسدي
		يبذل من اجلكم	انه من اجلكم
		اصنعوا هذا لذكري	اصنعوا هذا لذكري
٢٧. ثم اخذ كأسا	٢٣. ثم اخذ كأسا	٢٠. وكذلك الكأس	٢٥. وكذلك الكأس
		بعد العشاء	بعد العشاء
وشكر وناولهم اياها	وشكر وناولهم		
	فشربوا منها كلهم		
قائلا:	٢٤. وقال لهم "	فقال:	فقال:
اشربوا منها كلكم			
٢٨. فهذا هو	هذا هو	هذه الكأس هي	هذه الكأس هي
دمي، دمُ العهد	دمي، دم العهد	العهد الجديد بدمي	العهد الجديد بدمي
يُراق	يُراق	الذي يُراق	
من اجل جماعة الناس	من اجل جماعة الناس	من اجلكم	
لمغفرة الخطايا			
			كلما شربتم
			فاصنعوه لذكري
			٢٦. كلما اكلتم هذا الخبز
			وشربتم هذه الكأس
			تعلنون موت الرب
٢٩. اقول لكم:	٢٥. الحق اقول لكم:	١٨. فاني اقول لكم:	
لن اشرب بعد الآن	لن اشرب بعد الآن	لن اشرب بعد اليوم	
من عصير الكرمة	من عصير الكرمة	من عصير الكرمة	
حتى ذلك اليوم	حتى ذلك اليوم	حتى	الى
الذي فيه اشربه معكم	الذي فيه اشربه		
جديدا	جديدا		
في ملكوت ابي	في ملكوت الله	يأتي ملكوت الله	ان يأتي

اطار ٣٩

عشاء وداع.. عشاء طقسي

(...) فُسِّرت ذكرى عشاء يسوع الاخير بطريقتين: كعشاء وداع اعطى فيه يسوع تعليماته الاخيرة لتلاميذه، او كعشاء طقسي احتفل فيه يسوع بموته قبل ان يتم. إليك مثلاً: التقى ابنان ذات ليلة عند ابيهما الشيخ. فانتهز الشيخ هذا العشاء لتوزيع امواله عليهما، ثم انصرف الابنان، وتوفي الاب بعد ذلك بقليل. من المحتمل ان يروي كل منهما هذا العشاء على طريقته: فالواحد ذكر العشاء كعشائه الاخير مع ابيه (لقد اعطاهما تعليماته بان يبقيا متحدين، وان يحب الواحد الآخر...). والآخر، وهو اكثر واقعية، لم يذكر إلا توزيع الميراث!

• عشاء وداع:

ان خطبة الوداع فن ادبي معروف في العهد القديم والادب اليهودي. فمن شعر بان موته قريب، يجمع اولاده او تلاميذه ويحثهم على الفضيلة وعلى المحبة الاخوية خاصة، وكثيرا ما يعرض عليهم الاقتداء بحياته الماضية،وينبيء بالمستقبل. وقد يجري ذلك احيانا حول مائدة تجمعهم (لو ٢٢: ١٥ت؛ ٢١-٣٨؛ مر ١٤: ٢٥؛ متى٢٦: ٢٩؛يو ١٣-١٧). في هذه النصوص تذكير بالعشاء السري كعشاء وداع. فيسوع يعطي تعليماته:" إذا احب بعضكم بعضاً عرف الناس جميعاً انكم تلاميذي..."، وينبيء بمصيره مؤكداً ثقته بالله ودخوله في ملكوت الله عبر الموت، وينبيء بمصير جماعته طالباً ان يبقى تلاميذه متحدين إلى ان يأتي هذا الملكوت نهائياً. أما طريقة استمرار يسوع حاضراً في العالم، فتكمن في الجماعة المؤلفة من الذين يقاسمونه خبزه ويعيشون بناءً على ذلك.

• عشاء طقسي او بادرة نبوية:

(...) ان قيام يسوع بكسر الخبز وتوزيعه، وبصبّ الخمر، هو تحقيق سابق لبذل جسده ودمه. ولما كانت هذه البادرة عشاء (أي أمراً يمكن تكراره، مع أطعمة يمكن تناولها) فاننا نستطيع، إذا كررنا هذا العشاء، ان نتحد بشخص يسوع الذي أُسْلِمَ إلى الموت وقام من بين الاموات.

- وضع متى ومرقس ولوقا العشاء السّري في اجواء عشاء الفصح اليهودي.. ولكنهم اختلفوا في الشعور بمعناه.
- متى/ مرقس (اقرأ خر ٢٤: ٤-٨): يبدو موت يسوع على الاخص تحقيق الذبيحة العبادية التي تُتِم العهد.
- لوقا/ بولس (اقرأ ار ٣١: ٣١-٣٤؛ اش ٤٢: ٦و٤٩: ٨ و٥٣: ١٢): يبدو موت المسيح، قبل كل شيء، بذل النفس التي يجود بها النبي الشهيد. فبفضله سيتحقق العهد الجديد.

أ. شربنتييه

(عن الدليل/ ص ٢١٦)

ففي رواية مرقس نجدنا بازاء عملين طقسيين معروفين لدى اليهود أتمّهما يسوع: تلاوة صلاة البركة على الخبز والخمر، وتوزيع لقمة الخبز وكأس الخمر للجالسين على المائدة، تعبيراً عن الشكر لعطية الله. إلا انه اضفى عليهما معنى جديداً إذ ربطهما بموته القريب: فالخبز والخمر هما جسده ودمه، أي ذاته يهبها "ذبيحة" من اجل جماعة الناس... فمرقس شدد على هذا الجانب، هو الذي سيرينا يسوع في رواية الآلام سيد حياته وموته: يقدم ذاته ذبيحة عهد، عهد جديد من اجل الكثيرين...

وتتبع رواية متى عن كثب رواية مرقس لتكشف هي الاخرى عن الحركة النبوية التي اتسم بها فصح يسوع، وقد استبق وعاش موته، مضفياً عليه بُعداً فصحياً طالما ان دمه المهراق هو "لمغفرة الخطايا"! ومتى،

على غرار مرقس، وإن لم يذكر وصية يسوع باعادة هذا العمل لذكراه، فهو يوحي بأن قراءه يدركون جيداً انهم بازاء الافخارستيا التي يقيمونها احياء لذكرى موت يسوع وقيامته: انه السر الفصحي الذي تتجدد مفاعيله الخلاصية في المؤمنين عبر مشاركتهم في الافخارستيا...

اما لوقا، فبعد ان وضعنا في يوم الفطير الذي "فيه يجب ذبح حمل الفصح" (راجع مرقس)، ينفرد بالكشف عن رغبة يسوع في اكل هذا الفصح الاخير قبل آلامه، باقتسام كأس أولى مع تلاميذه، فضلاً عن وعد لهم بالجلوس الى مائدته وتنبيهات حول المحنة (٢٢: ١٥-١٧، ٢٩، ٣١-٣٢، ٣٥-٣٨). اما صيغته الافخارستية، فهي تبتعد عن مرقس ومتى لتقترب من بولس: فيسوع يعطي جسده ودمه قائلاً: "من اجلكم"، مما يضفي على موته طابع الاستشهاد والفداء... وهو إذ يدعوهم إلى تكرار هذا العمل بعبارة "لذكري"، يجعل منه فصحا جديداً يُحتفل به احياء لموته الخلاصي الذي يفتتح العهد الجديد: " هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يراق من اجلكم "! وهكذا يعود لوقا فيلتقي بمرقس ومتى، إذ يضعنا بازاء ذبيحة عهد جديد لشعب جديد. وفيما يضفي لوقا على يسوع صفة " الخادم " بدافع من تواضعه الطوعي(آ٢٤-٢٧)، يرينا إياه يَعِدُ تلاميذه بالجلوس إلى "مائدته في ملكوته"، بعد ان يكونوا قد شاركوه في "مِحَنِه"(آ ٢٨)... ذلك لأن الآلام في نظر لوقا لا تنفصل عن المجد، لا بل هي الطريق إليه...

جـ - معاني الافخارستيا وابعادها

العشاء الأفخارستي: جدارية من العهد المسيحي الأول (ديناميس سان كاليست: روما).

هذا هو جسدي (مرقس، متى، لوقا، بولس)... يبذل من اجلكم (بولس، لوقا)! هذا هو دمي، دم العهد(مرقس ومتى)... هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي (بولس ولوقا)! هذه الصيغ المختلفة توحي بأن يسوع يدرك المعنى الذي ينطوي على موته فيكشفه لتلاميذه:

فالجسد -او اللحم- في المفهوم اليهودي هو تعبير عن كيان الشخص، وكأنّ يسوع يقول: ها انا بكليتي -لحما ودماً-، هذه حياتي اهبها! ويعلّق موريس أوتاني قائلاً: "كما ان رب العائلة يشرح اثناء العشاء الفصحي، بان الخبز من دون خمير انما هو [خبز البؤس] (تث ١٦: ٣)، هكذا يفسر يسوع خبز هذا العشاء الفصحي الجديد ويختصه: انه يمنح اصدقاءه، لا خبزا للأكل حسب، وانما يمنحهم ذاته"[٢٣].

اما الدم فيضفي على هذا العطاء فكرة الذبيحة: ها انا أقدّم ذاتي ذبيحة! هكذا يستبق يسوع موته، بما فيه من عطاء وبذل وذبيحة واستشهاد: "من اجلكم" (بولس ولوقا).. "من اجل جماعة الناس" (مرقس ومتى) -ويضيف متى: "لمغفرة الخطايا"! وفيما يؤكد مرقس، ولاسيما متى، على ما في موت يسوع من طابع تكفيري، على مثال "العبد المتألم" (اش ٥٣: ١٢)، يؤوّن لوقا، بعد بولس، الخلاص بموت يسوع (اعني يجعله حاضراً وآنيا باستخدام صيغة المخاطب: "من اجلكم") دون ان ينفي طابع الخلاص الشمولي الذي يمتد إلى كل المشتركين في الافخارستيا...

والكأس التي يتقاسمها يسوع مع تلاميذه هي: "دمي، دم العهد"(مرقس ومتى) او هي "العهد الجديد بدمي" (بولس ولوقا): وذلك إنباء بالعهد الجديد الذي تكلم عنه ارميا النبي(٣١: ٣١) والذي سيقيم شعب الله الجديد: هذا العهد يُختَم بدم يسوع، مما يجعل من موته ذبيحة عهد على مثال ذبيحة سيناء (خر ٢٤)، ولكنها ذبيحة "عهد جديد" بثمن حياة مبذولة و "دم مهراق" لمغفرة الخطايا وخلاص الناس جميعاً.

ويلتقي الازائيون حول عصير الكرمة التي لن يشرب منها يسوع، بعد الان، الا في "ملكوت الله" (مرقس ومتى)- "حتى يأتي ملكوت الله"(لوقا)-! فمرقس لم يشأ ان يرجع اصول الافخارستيا الى العشاء الاخير، بقدر ما اراد ان يكشف عن سر موت يسوع الذبائحي. لذا فهو يقدم العشاء بمثابة استباق للعشاء الذي يُعِدُّ مجيء ملكوت الله، حيث تتم الوليمة المسيحانية التي تكلم عنها اشعيا (٢٥: ٦) والتي توطدت في التقليد اليهودي... وحين يقول لوقا:"... حتى يأتي ملكوت الله"، فهو إنما يوحي بان يسوع وضع حداً للفصح القديم وانشأ لتلاميذه رتبة جديدة تقوم في احياء ذكرى موته بما فيه من بُعد فصحي...

ولقد انفرد لوقا، من بعد بولس، بوصية يسوع: "اصنعوا هذا لذكري" ليدل بان عطية يسوع حياته ستكون سبيلا لكل الذين يريدون اتباعه، ولذا اصبح الاحتفال الافخارستي ذكرى دائمة! هكذا فهم بولس الافخارستيا: "كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تعلنون موت الرب الى ان يأتي"! اما متى فكان اكثرهم وضوحاً بشأن العلاقة بين ممارسة الافخارستيا والعشاء الاخير: فان روايته توحي بأن الممارسة

---

[٢٣] ملفات الكتاب المقدس (بالفرنسية): الافخارستيا، عدد ٤١، ١٩٩٢

الافخارستية انما هي امتداد لذكرى عشاء الرب، حيث يجلس المؤمنون الى مائدة "يتناولون" عليها جسد الرب ودمه، هو الذي "منذ الآن" قد اصبح "الناهض من بين الاموات والجالس عن يمين القدير" (٢٦: ٦٤). **(انظر الاطار ٤٠: منابع الافخارستيا).**

اما بشأن انجيل يوحنا، فيعتقد اهل الاختصاص انه لم يجهل رواية التأسيس، الا انه وضع عوضها رواية "تغسيل الارجل" التي تعبر، بشكل كامل، عن معنى الافخارستيا: انها رتبة ترافقها كلمات تبرز معانيها، ويطلب يسوع تكرارها (١٣: ١٥). ألم تكن حركة نبوية قام بها يسوع ليعلن لتلاميذه عن موته القريب ويعطيهم علامة حبه الكبير الذي يتجسّد

اطار ٤٠

منابع الافخارستيا

● عشاء التلاميذ مع القائم:

"... اقامه الله في اليوم الثالث وخوّله ان يظهر، لا للشعب كله، بل للشهود الذين اختارهم الله من قبل، أي لنا نحن الذين أكلوا وشربوا معه بعد قيامته من بين الاموات" (رسل ١٠: ٤٠-٤١)! ذلك هو خطاب بطرس في بيت قرنيليوس، قائد المئة الوثني المهتدي. ولا شك ان كثيراً من الروايات التي تحكي ترائيات القائم تعكس اطار عشاء. وكان التلاميذ بعد افتراقهم، في اعقاب محاكمة يسوع وموته، قد التقوا ولا شك من جديد ليتناولوا الطعام سوية، كما حين كان يسوع في ما بينهم.

هوذا لوقا يقول لنا بأن قلاوبا ورفيقه قد عرفاه لدى كسر الخبز (لو٢٤: ٣٥): ويوحنا يصف الرب ذاته وهو على شاطىء البحيرة يعدّ الخبز والسمك (يو ٢١: ٩-١٠)، هذا الغداء غير المنتظر، حين تساءل كل منهم، ولم يجرؤ احد من التلاميذ ان يسأله "من انت؟"! فانهم علموا يقينا انه الرب! وهكذا يتضح لنا ان ممارسة العشاء الافخارستي وتجلّي القائم من بين الاموات أمران مرتبطان بشكل وثيق(...)

● روايات العشاء الاخير لدى الازائيين:

تعتبر الكنيسة روايات العشاء الاخير بمثابة الاساس لممارستها الافخارستية. فلوقا(وكذلك بولس) يذكّر بأمر الرب: اصنعوا هذا لذكري! إنه امر جديد يقابل عهداً جديداً. ومهما كانت الاختلافات في انشاء النصوص، فهناك بعض السمات الكبرى:

١- المشهد المركزي للافخارستيا

- يسوع اخذ خبزا، ومن ثم كأس خمر
- شكر او بارك (قال البركة)
- كسر الخبز
- اعطاه لتلاميذه

افعال اربعة تعكس اربعة "افعال" تجري في رتبة الافخارستيا: تهيئة وتقديم العطايا، صلاة الشكر " الافخارستية " الكبرى، حركة الكسر، يليها التناول.

٢- إلى حركة الرب الاخيرة، حركة العطاء، ترجع الكلمات: "هذا هو جسدي"! فنحن إذن بالتالي امام مفتاح ندخل به إلى فهم مجمل الافعال. فالرب يعطي جسده ودمه، لا بل حياته كيانه. وما موته وذبيحته سوى عطاء ذاته -عطاء ايجابي: انه فعل شكر مسبق لله ابيه، وتقدمة ذاته إلى اخوته.

٣- سياق فصحي: أية كانت التناقضات بين يوحنا والازائيين بشأن دقة تاريخ العشاء الاخير، لايسعنا إلا ان نكتشف ارادة الانجيليين الازائيين في جعل رواية التأسيس في سياق الفصح اليهودي والعهد، فضلاً عن رغبتهم في إضفاء بُعد فصحي على الحدث: عبور المسيح من الموت إلى الحياة هو تحقيق للتحرير الجديد من الخطيئة، وقد انجزه المسيح/المخلص من اجل جماعة الناس، وليس فقط لبني اسرائيل!

ميشيل سكوارنيك

(تعريب عن"ملفات الكتاب المقدس")

الافخارستيا – العدد٤١- ١٩٩٢

احدى اللوحات النادرة حيث يجتمع مشهدا العشاء الأخير وتغسيل الأرجل! أليست الخدمة هي في الصميم من الافخارستيا؟ (للفنان باشينو دي بوناكويدا عام ١٣١٠ - فلورنسا).

في "الخدمة" -وهي تجد في غسل الارجل علامة بليغة! وسيتعين عليهم ان يجسّدوا حبهم في خدمة اخوتهم البشر؟ اليست الافخارستيا في جوهرها مكاناً نلتقي فيه، بإيمان وحب، المسيح الذي مات وقام.. عبر اقتسام الخبز والخمر، وما ينطوي على هذا الاقتسام من محبة وتضامن؟

فالى جانب خمسة فصول (١٣- ١٧) خص بها انجيل يوحنا عشاء الوداع، هناك الفصل السادس الذي يعتبر أروع تعبير عن الافخارستيا. انه يبدأ برواية تكثير الخبز -وهي المعجزة الوحيدة التي اوردها الانجيليون الاربعة!- التي تكثر فيها التلميحات الافخارستية: " اخذ يسوع الارغفة وشكر ثم وزع منها..." (٦: ١١)، ونلاحظ ان يسوع، في رواية يوحنا، هو الذي "يوزع" ويعطي كما في العشاء الاخير! ويرى المفسرون في قول يسوع: "اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شيء منها" علامة على اننا بازاء خبز يفيض، بعد ان يُشبع، ولن ينفد! ويأتي خطاب يسوع، في الغد، للتدليل بان من اشبع الجموع من " الخبز الفاني"، يستطيع ان يشبعها بـ "خبز الحياة" الذي يقود الى الحياة الابدية (٦: ٢٧)!

وهذا الخطاب يعكس ايمان الجماعة المسيحية، وهي دائبة على الاحتفال الافخارستي، وفي الوقت ذاته يرسخ ايمانها بحقيقة حضور المسيح الحي في وسطها، وقد اضحى غذاء سريا عبر علامات الخبز والخمر:"... والخبز الذي اعطيه هو جسدي، ابذله لحياة العالم"! وحين يصعب الايمان بحقيقة الافخارستيا، وتبرز التساؤلات، وتظهر الشكوك، يأتي الجواب واضحاً وقاطعاً: "إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلن تكون فيكم الحياة... من أكل جسدي وشرب دمي ثبت فيّ وثبتُّ فيه..."(٦: ٥٣- ٥٨).[٢٤]

---

[٢٤] راجع مقالنا في "الفكر المسيحي": الافخارستيا في نصوص العهد الجديد، عدد خاص (آب /ت١ ١٩٩٢)، ص ١٥١-١٥٥. ويطيب لنا ان ندعو الى قراءة سائر مقالات هذا العدد الخاص: الافخارستيا، سر الشركة والاقتسام.

ماذا نستخلص؟

خلال تحليلنا المستفيض لثلاث لوحات ازائية، لمسنا عن كثب، لا الفروقات واللمسات التي تميز بها كل من الانجيليين الثلاثة حسب، وانما المناخ اللاهوتي الذي يعيش فيه كل انجيلي والذي يعكس شخصيته وفكره واهدافه... فضلاً عن تنوع المصادر التي كانت في حوزته، وقد عرف ان يتعامل معها ويوظفها في خدمة الجمهور الذي يوجه إليه انجيله... وخلاصة القول هو ان النصوص الازائية التي انكببنا على النظر اليها" نظرة واحدة" جعلتنا نكتشف بشكل خاص عبقرية المسيحيين الاولين الذين لم يكتفوا بترديد او نقل ما قاله يسوع او فعله، وانما اضفوا على اقواله وافعاله قراءتهم لها في ضوء ايمانهم الفصحي المستنير بالاسفار المقدسة، وفي ضوء مستجدات حياتهم في مختلف أوجهها، بما في ذلك مشاكلهم ومعانياتهم وحاجاتهم وانتظاراتهم...

ولعلّ الاكتشاف الاكبر الذي بلغت بنا إليه هذه النصوص الازائية هو اننا اصبحنا ندرك جيداً، وبشكل اكثر عمقاً، اننا بازاء نصوص "مفسّرة" عكستها لنا ريشة الانجيليين انطلاقاً من الخبرة الايمانية التي عاشتها وتعيشها الجماعات المسيحية، بيقينها المكين من حضور الرب الحي في وسطها، والذي ما زال يتكلم ويعمل ويبذل ذاته وينادي ويُرسل...

ثالثا: الازائية الثنائية

(متى ولوقا)

إلى جانب النصوص الازائية "الثلاثية" التي سنبقى نكتشف دوماً ما تنطوي عليه من ثراء وعمق.. يجدر بنا أن نتوقف لدى ما يمكن تسميته "ازائية ثنائية"، حين نجدنا بازاء نصوص مشتركة بين متى ولوقا دون مرقس. وقد سبق لنا أعلاه أن تحدثنا عن المصدر (م) الذي استقى منه الانجيليان، وهو، بحسب اهل الاختصاص، مصدر "الاقوال"، أي اقوال ليسوع كان التقليد قد جمعها في وقت مبكر، فكانت بمثابة "وحدة ادبية" يُحْتَمَلُ انها انتقلت من التقليد الشفهي إلى التقليد المكتوب، على شكل "كراسة" تضم مجموعة من أقوال ليسوع حُفِظت، فاستقى منها كل من الانجيليَين ما رآه يدعم ويستكمل ويغني الصورة التي حاول ان يرسمها ليسوع...

وغني عن القول أن هذا الافتراض الذي يتمتع بقدر كبير من المصداقية يرجع إلى التحقق الذي لحظه علماء التفسير من وجود مجموعة كبيرة، في كلا الانجيلين، من اقوال يسوع وامثاله وخطبه.. سواء اجتمعت وتداخلت فكوّنت خطباً طويلة، كما هي الحال في انجيل متى، ام تناثرت وتوزعت، كما هي الحال في انجيل لوقا.

ويطيب لنا ان ننكبّ على ثلاثة نصوص مشتركة بين الانجيلَين، لها اهميتها الكبرى من حيث انعكاساتها اللاهوتية والروحية في زمن الكنيسة الاولى كما في زمننا الحاضر! وهذه النصوص هي، اولاً: **مثل الوزنات / الأمناء** -وقد سبق لنا أن قلنا بأن هناك اربعة امثال مشتركة بين متى ولوقا، الى جانب ستة امثال أخرى تُستَشَف منها قربى وثيقة بين الصيغتين، وأحدها هو هذا المثل الذي تعامل معه كل منهما بطريقته الخاص وحمّله معاني واهدافاً تنسجم مع تفكيره اللاهوتي... وثانياً: **التطويبات** في صيغتيها لدى متى ولوقا، حيث تتبادر إلى ذهننا اسئلة كثيرة بشأنها: ماذا قال يسوع بالضبط؟ أية صيغة هي الاكثر قرباً الى ما فاه به يسوع؟ هل هي صيغة متى التي احتوت تسع تطويبات، ام صيغة لوقا وقد تضمنت اربع تطويبات واربع " ويلات"؟!... وثالثاً: **الصلاة الربية** أو صلاة "أبانا" -وكثيرون يجهلون انها جاءتنا في صيغتين! وفيما نحن بازاء الصلاة الاساسية التي علّمنا اياها يسوع، نتساءل، وبأولى حجة: أية صيغة للصلاة الربية وردت على لسان يسوع؟ هل هي صيغة انجيل لوقا القصيرة، ام صيغة إنجيل متى الطويلة والتي نتداولها في صلاتنا اليومية؟ وهل نحن بازاء " تحوير " لكلام يسوع، ام بازاء ممارسة مختلفة لدى الجماعات المسيحية، عكسها من ثم كل من الانجيلَين؟

١- مثل الوزنات/ الامناء

لنا في مثل "الوزنات" بحسب انجيل متى (٢٥: ١٤-٣٠) وفي مثل " الامناء" بحسب انجيل لوقا (١٩: ١١-٢٧) -والافضل ان نسميه مثل "المُطالِب بعرش"!- خير نموذج للائتلاف والاختلاف بين الانجيلَين، سواء بسبب مصدرهما المشترك، ام بسبب ما انتاب مصدرهما من تغيير في المضمون والصيغة والهدف.. اجرته عليه الكنيسة الاولى، بحكم التغيير في هوية المستمعين-كما اسلفنا - فضلاً عن اللمسات التي اضفاها عليه كل من الانجيليين... لذا أمسى من الصعب جداً البَتّ في الصيغة التي كان عليها المثل الأصلي او المثلان الاصليان![٢٥]

لنضع المثل في سياقه كما جاء في كل انجيل. ففي انجيل متى يأتي مثل الوزنات في جملة امثال بشأن " مجيء ابن الانسان"، بعد الخطاب عن خراب اورشليم ومجيء ابن الانسان (٢٢: ٣٢-٤٥)، وبعد مثل الوكيل الامين (٢٢: ٤٥-٥١)، وفي اطار من السهر والاستعداد طالما ان ساعة المجيء غير معلومة، كما جاء في خاتمة مثل

---

[٢٥] الاستاذ يواكيم جرمياس في كتابه الشهير المذكور" امثال يسوع " يتناول الامثال، المشتركة او المنفردة، بالتحليل العلمي الرصين، في محاولة للكشف عن أصالتها، إلى جانب العمق اللاهوتي او الراعوي الذي اكتسبته... ففيما نوصي به بحدّداً، نعتمده في دراستنا لمثل الوزنات/الامناء(ص٥٢-٥٦)، إلى جانب كتاب " دراسة في الانجيل كما رواه لوقا" للأب اوغسطينس جورج (سلسلة دراسات في الكتاب المقدس/رقم ١٥-دار المشرق، بيروت ١٩٨٩).

العذارى(٢٥: ١-١٣). اما في انجيل لوقا فيأتي مثل الامناء او "المُطالِب بعرش" في ختام القسم المركزي منه، حين يبلغ "صعود يسوع إلى اورشليم" الذروة -ويقول لوقا بأن يسوع ضرب هذا المثل لانه "قرب من اورشليم، وكانوا يظنون ان ملكوت الله يوشك ان يظهر في ذلك الحين" (آ١١ب)- توطره تحيتان مشيحيتان: الاولى، قبل المثل، جاءت على لسان اعمى اريحا، وقد ناداه بلقب " ابن داود" (١٨: ٣٨-٣٩)، فيما جاءت الثانية على لسان التلاميذ "تبارك الملك الآتي باسم الرب" (١٩: ٣٧-٣٨).

• مثل الوزنات / الأمناء •

متى ٢٥: ١٤-٣٠	لوقا (١٩: ١١-٢٧)
	١١.. اضاف مثلا..
	١٢ قال: رجل شريف
	ذهب إلى بلد بعيد
	ليحصل على الملك ثم يعود
	١٣ فدعا عشرة خدام له
	واعطاهم عشرة أمناء
	وقال لهم: تاجروا بها إلى ان اعود
	١٤ وكان اهل بلده يبغضونه، فأرسلوا وفداً في إثره
	يقولون له: لا نريد هذا ملكاً علينا
١٤ فمثل ذلك كمثل رجل	
اراد السفر	
فدعا خدَمَه وسلّم إليهم امواله	
١٥ فأعطى احدهم خمس وزنات والثاني وزنتين	
والآخر وزنة، كلاً منهم على قدر طاقته وسافر	
١٦ فأسرع الذي اخذ الوزنات الخمس إلى المتاجرة بها	
فربح خمس وزنات غيرها. ١٧ وكذلك الذي اخذ	
الوزنتين فربح وزنتين غيرهما. ١٨ واما الذي اخذ	
الوزنة الواحدة فذهب وحفر حفرة في الارض ودفن	
مال سيده ١٩	
وبعد مدة طويلة رجع سيد اولئك الخدم	
	١٥ فلما رجع بعدما حصل على الملك، أمر بأن
	يُدعى هؤلاء الخدم الذين اعطاهم المال
	ليعلم ما بلغ مكسب كل منهم
وحاسبهم	
٢٠ فدنا الذي اخذ الوزنات الخمس وادّى معها خمس	١٦ فمثل الاول امامه
وزنات وقال:	وقال:
يا سيّد سلّمت إليّ خمس وزنات	يا مولاي، ان مناك
فاليك معها خمس وزنات ربحتها	ربح عشرة أمناء
فقال له سيده: احسنت ايها الخادم الصالح الامين.	١٧ فقال له: احسنت ايها الخادم الصالح.
كنت امينا على القليل	كنت امينا على القليل
فسأقيمك على الكثير. ادخل فرح سيدك	فليكن لك السلطان على عشر مدن
٢٢ ثم دنا الذي اخذ الوزنتين فقال:	١٨ وجاء الثاني فقال:
يا سيد سلّمت إليّ وزنتين	يا مولاي
فاليك معهما وزنتين ربحتهما	ربح مناك خمسة أمناء
٢٣ فقال له سيده: احسنت ايها الخادم الصالح الامين!	١٩ فقال لهذا ايضاً:
كنت امينا على القليل، فسأقيمك على الكثير	
ادخل إلى فرح سيدك	وانت كن على خمس مدن
٢٤ ثم دنا الذي اخذ الوزنة الواحدة فقال:	٢٠ وجاء الآخر فقال:

يا سيد
عرفتك رجلا شديداً
تحصد من حيث لم تزرع
وتجمع من حيث لم تزرع
٢٥ فخفت وذهبت فدفنت وزنتك في الارض. فاليك
مالك
٢٦ فأجابه سيده:
ايها الخادم الشرير الكسلان!
عرفتني احصد من حيث لم ازرع
واجمع من حيث لم اوزّع
٢٧ فكان عليك ان تضع مالي عند اصحاب المصارف
وكنت في عودتي استردّ مالي مع الفائدة

٢٨ فخذوا منه الوزنة
واعطوها الذي معه الوزنات العشر

٢٩ لأن كل من كان له شيء يُعطى فيفيض
ومن ليس له ينتزع منه حتى الذي له
٣٠ وذلك الخادم الذي لا خير فيه
ألقوه في الظلمة البرانية
فهناك البكاء وصريف الاسنان.

يا مولاي، هوذا مناك قد حفظته في منديل
٢١ لاني خفتك. فأنت رجل شديد
تأخذ ما لم تستودع
وتحصد ما لم تزرع

٢٢ فقال له:
بكلام فمك ادينك ايها الخادم الشرير!
عرفتني رجلاً شديداً، آخذ ما لم استودع
واحصد ما لم ازرع
٢٣ فلماذا لم تضع مالي في بعض المصارف؟
وكنت في عودتي استرده مع الفائدة
٢٤ ثم قال للحاضرين
خذوا منه المنا
واعطوه صاحب الأمناء العشرة
٢٥ فقالوا له: يا مولانا عنده عشرة امناء
٢٦ اقول لكم: كل من كان له شيء يُعطى
ومن ليس له شيء ينتزع منه حتى الذي له

٢٧ اما أعدائي اولئك الذين لم يريدوني ملكا عليهم،
فأتوا بهم إلى هنا واضربوا اعناقهم امامي.

إذا كان متى، على حد تعبير الاستاذ جرمياس، قد حفظ لنا اقدم رواية للمثل -وإن اضفيت عليه سمات ثانوية جعلت منه مثلا من " أمثال المجيء"، فضلاً عن عناصر مجازية على صعيد التفسير المسيحاني، كما سنرى ادناه-، فان لوقا قد انفرد في اضفاء عناصر جديدة على المثل بحيث يحق لنا أن نتساءل إذا ما كان هناك في الاصل مثلان دُمِجَا من ثم في تقليد سابق للوقا؟ ذلك لأن مثل "المطالب بعرش" يمكن فصله عن مثل " الامناء" فنصبح امام "رجل شريف" يسافر للحصول على الملك (آ ١٢) فيما يسعى اعداؤه إلى إحباط طموحه عبر مؤامرة احتجاج (آ ١٤). وحين يعود وقد تقلّد الملك (آ ١٥) يقيم الخدم الاوفياء على " المدن " (آ ١٧ و ١٩)، وينفذ حكم الاعدام بأعدائه الذين أبوا ان يملك عليهم (آ ٢٧)! وهكذا يصبح هذا المثل مثلاً مستقلاً تُسْتَذْكَرْ فيه محاولة ارخلاوس، بعد وفاة والده هيرودس الكبير(٤ ق.م.)، في استحصال، من روما، السلطة على مقاطعة اليهودية، وكيف توجه وفد من خمسين يهودياً ليطالب بوقف ملك الهيرودسيين والحاق المقاطعة بروما مباشرة! -كما جاء لدى المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس الذي يضيف بأن ارخلاوس عاد من روما وقد تقلد الملك، ولكنه لا يذكر انتقامه من معارضيه، وانما يشير، في مكان آخر، إلى شراسته، وفقا لما جاء في المثل الانجيلي (آ ٢٧). ويقول الاستاذ جرمياس: "يبدو ان يسوع قد استخدم هذه الذكرى

لتحذير مستمعيه، في احد [امثال الازمة]، ضد أي أمان زائف: ان الدمار سينقضّ عليكم بصورة مفاجئة مثلما جرى الأمر لدى عودة ارخلاوس وانتقامه الرهيب من خصومه"[٢٦].

مهما يكن من موضوع دمج المثلين في انجيل لوقا، فان المثل، في الصيغة التي يعرضها علينا لوقا، يبدو بحسب الاستاذ جرمياس، وكأنه جواب إلى الذين خُيل إليهم ان "مجيء الرب" قريب، بينما يعلن يسوع عن مهلة تسبقه ستكون بمثابة اختبار لأمانة التلاميذ. ففي نظر لوقا، يمثل الرجل الشريف "ابن الانسان" الصاعد إلى السماء والعائد ليدين العالم! فنحن، إذن، أمام توسُّع في غير محلّه أجْرَتهُ الكنيسة الاولى على المثل! إذ كيف يستقيم هذا التوسّع مع صفات الرجل الذي "يأخذ ما لم يستودع ويحصد ما لم يزرع" (آ ٢١)؟! وكيف يصح ان يشبَّه يسوع بالتالي بطاغية ينفذ حكم الاعدام بخصومه وامام عينيه (آ ٢٧)؟!

وهكذا هي الحال مع متى الذي فهم المثل وكأنه احد "امثال المجيء" بحيث انه حمّله تفسيراً مسيحانيا تجاوز المثل. ويلفت الاستاذ جرمياس الانتباه إلى عبارتين توحيان بهذا التفسير: (١) "ادخل إلى فرح سيدك" (آ ٢١،٢٣) والتي تلمح إلى "الوليمة" المسيحانية التي يشترك فيها الاخيار، (٢) "الظلمة البرّانية" (آ ٣٠) التي ستكون نصيب العبد الشرير الذي هو غير أهل بالملكوت- ويحلو لمتى ان يضيف إليها عبارة "هناك البكاء وصريف الاسنان"، وهي علامة العقاب الابدي! (انظر متى ٨: ١٢؛ ١٣: ٤٢،٥٠؛ ٢٤: ٥١). ويكتب جرمياس: "لم يعد المتكلم تاجرا ارضيا، بل هو مسيح المجيء الذي يشرك احباءه الاوفياء في العالم الجديد، ويقضي على غير الامناء بالهلاك الابدي. ولا يشكل هذان التفصيلان جزءًا من الحالة الاولى للمثل، كما تُبيّن ذلك الاقوال المُهَدِّدَة (متى ٢٥: ٣٠)"[٢٧].

فلو جردنا المثل من كل التوسعات الاخلاقية والمجازية التي لصقت به، أمسينا تجاه قصة رجل حريص على امواله، يهمّه ان يستثمرها "خدامه" بامانة في غيابه، ويطالبهم من ثم بمدى اجتهادهم في استثمارها. ولدى المحاسبة يكافيء الخادمين الامينين ويكل إليهما مسؤوليات اكبر، فيما يؤنّب الخادم الكسول ويعاقبه، وقد حمله كسله -او فطنته المفرطة!- على التذرع بحجج واهية لتبرير تصرفه الغريب: وقد كان، بحسب لوقا، اكثر غباءً، إذ عرّض مال سيده للسرقة حين وضعه "في منديل"! وازاء هذا المثل هل يمكننا ان نتوقع ما هي ردات فعل مستمعي يسوع؟ إلى اية فئة ينتقل بهم الفكر لدى سماعهم تصرف الخادم الذي دفن وزنته؟

---

[٢٦] امثال يسوع /ص ٥٣

[٢٧] المصدر ذاته /ص ٥٤

لا شك في ان جمهور يسوع، وهو يسمع هذا المثل، انتقل به التفكير إل الكتبة الذين وُكِلَتْ إليهم كلمة الله، ولكنهم لم يعملوا كل ما في وسعهم من اجل انمائها، وانما سلكوا احيانا كثيرة كالخادم الكسلان، حين افقدوها روحها وديناميكيتها، وتصرفوا بها بشكل لا مسؤول...وهكذا يمكننا الاعتقاد بان المثل ضُرب لهم أصلاً! وحين طبقت الكنيسة الاولى هذا المثل على اوضاعها، رأت فيه ذاتها بصفتها مؤتَمَنَة على بشرى الانجيل، ويترتب عليها من ثم ان تسعى كي تجعلها تثمر...! ولكن سرعان ما اتخذ المثل في صفوفها شكل تعليم اخلاقي بشأن الاجتهاد او التهاون في الموهبة التي يمنحها الله لابنائها مجاناً. وينطلق هذا التعليم من الخاتمة - وقد هيّأ لها أمر السيد: "خذوا منه الوزنة واعطوها الذي له الوزنات العشر، لان كل من كان له شيء يُعطى فيفيض، ومن ليس له ينتزع منه حتى الذي له" (آية ٢٩ في متى، آية ٢٦ في لوقا).

وهكذا نجدنا ننتقل إلى "تعميم" في المغزى، وإلى إضفاء تفسير في اتجاه واحد على المثل برمّته: الخادم الامين يُكافأ بالمزيد، والخادم الكسلان يعاقب بانتزاع ما لديه! وحين يعبر لوقا عن دهشة المستمعين: "يا مولانا، عنده عشرة امناء!" (آ ٢٥)، تأتي الخاتمة (آ ٢٦) لتقول بان ذلك هو عدل الله،وأن تلك هي مسرّته! فحذار من التهاون بموهبة الله! وهذا التحذير موجه إلى الجماعة المسيحية وإلى مسؤوليها بشكل خاص. وها نحن في قلب التعليم الاخلاقي حيث ذهب التركيز باتجاه تفصيل ثانوي!

ويذهب الاستاذ جرمياس في ختام تحليله للمثل إلى القول: "في وقت مبكر جداً، اضيف إلى هذا التطبيق الاخلاقي للمثل تطبيق آخر: فقد وصفوه في صلة مع ابطاء المجيء، الامر الذي ادّى إلى مجازية بعض السمات. فبينما كانوا في الاصل يشيرون فقط إلى سفر السيد وغيابه، في سبيل شرح المهلة المتروكة للعبد، اصبحت هذه التفاصيل الثانوية تحتل الان مكانة مركزية أكثر فاكثر.. فيغدو التاجر لدى متى رمزا مجازيا إلى المسيح: يُشبَّه سفره بالصعود، وعودته بعد مهلة طويلة (آ ١٩) بـ"المجيء" الذي يُدخِل الواحد إلى "الوليمة المشيحية" ويُلقي الآخر في "الظلمات البرانية"! وتذهب رواية لوقا إلى ابعد من ذلك في طريق التعبير بالمجاز: فيغدو التاجر ملكاً، والغاية الوحيدة التي يتوخاها المثل هي تبرير ابطاء المجيء (آ ١١)"![٢٨]

---

[٢٨] المصدر ذاته/ ص ٥٥-٥٦. فيما يذهب اوغسطينس جورج في تحليله للمثل إلى القول بأن لوقا الذي توسّع في المثل بحسب متى أضفى عليه بُعداً مسيحانياً، جاعلاً في الصدارة حصول يسوع على الملك وممارسته لدور "الديّان" في آخر الازمنة: فيسوع الذي هو ملك منذ مولده (١: ٣٢-٣٣ت) كان عليه أن يرحل و "يصعد" إلى اورشليم، المدينة المقدسة (٩: ٥١) ليحصل على سلطانه الملوكية (١٩: ١٢) والتي سيتقلدها بقيامته المجيدة المشروطة بآلامه وموته (٢٢: ٦٩؛ ٢٣: ٤٢؛ ٢٤: ٢٦) -وقد سبّبها رفض اسرائيل! وفيما تلقى اورشليم في نظر لوقا عقابها العادل بسبب رفضها ملوكية يسوع (١٩: ٤١-٤٤)، سيتقلّد تلاميذه مسؤوليات اكبر في خدمة الملكوت... وهكذا يأتي هذا المثل على عتبة القسم الثالث من انجيل لوقا ليعلن، مع مشهد السعانين، عن السر الفصحي الذي سيُنجَز في اورشليم!

٢- التطويبات

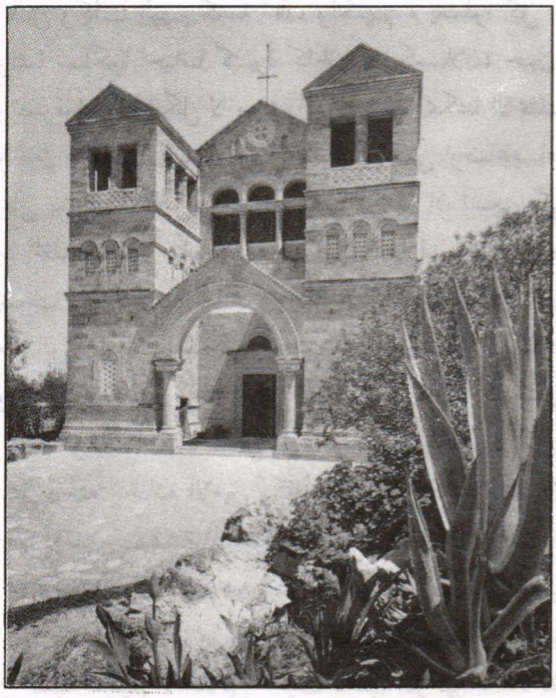

"التطويبات" تفتتح العظة على الجبل - وبني مزار يطل على بحيرة طبرية يدعى "جبل التطويبات" وفي هذه الصورة نرى جبل طابور حيث أقيمت كنيسة فخمة احتفاءً بتجلي الرب.

تأتي "التطويبات" في انجيل متى في مفتتح موعظة يسوع على الجبل (٥: ٣-١٢)، بينما تأتي في انجيل لوقا في مفتتح خطاب يسوع في السهل (٦: ٢٠-٢٦)! فهي إذن جزء، وجزء مهم، من تعليم يسوع كما ينقله الينا الانجيليان، وإن ببنية تبدو لأول وهلة مختلفة تماماً، حتى اننا لا نعود ندري ماذا قال يسوع بالضبط؟! ولكي نبلغ إلى فهم عميق لمضمون التطويبات، لابد لنا من وضعها في اطار "العظة" ككل والتي تحتل في انجيل متى مساحة كبيرة (١٠٧ أيات) تمتد على ثلاثة فصول (٥: ٣-٧: ٢٩)، بينما لا تتجاوز في انجيل لوقا ٣٠ آية (٦: ٢٠-٤٩).

ويمكننا للحال ان نقول بان خطاب يسوع بحسب لوقا هو صيغة اكثر قدماً من صيغة العظة على الجبل بحسب متى! كما ان باستطاعتنا ان نؤكد بأن متى يقدم لنا، في الفصول الثلاثة، مجموعة من اقوال وخطابات يسوع توخى من خلالها ان يُظهر يسوع بصفته "مسيح الكلام"(وهو موسى الجديد على الجبل!) ويُظهره من ثم بصفته "مسيح الفعل"، من خلال فصلي المعجزات (٨- ٩)، بحيث تجلّى حاملاً روح الله بالقول والفعل[٢٩]. اما فيما يتعلّق بخطاب يسوع بحسب لوقا، فيمكننا القول، مع الاستاذ جرمياس، انطلاقا من ادلّة علمية ومنطقية، بانه "مجموعة اقوال معزولة فاه بها يسوع في مناسبات مختلفة... وقد جمعت فيما بعد فقط في حديث واحد". فلقد كان في الاساس

---

[٢٩] انظر كتاب "اقوال يسوع" (العظة على الجبل - الصلاة الربانية) تأليف ي. جرمياس/ تعريب الاب يوحنا عيسى (بغداد ١٩٨٦). وسنرجع مرارا إلى هذا الكتيّب القيّم في دراستنا للتطويبات وللصلاة الربية.

من العظة على الجبل بحسب متى، وهي الاخرى كانت بمثابة " شرح مفصّل للخطاب في السهل، باضافة اقوال يسوع "[٣٠].

وإذا كانت العظة، سواء كانت على الجبل ام في السهل، مجموعة اقوال ليسوع اضيف بعضها إلى بعض فاصبحت خطاباً متواصلاً، فلا بد لنا من ان نتساءل: لمن هي موجهة؟ انها اشبه بـ "تعليم مسحي"[٣١] موجّه، من خلال حضور التلاميذ (متى٥: ٢؛ لو٦: ١٧)، إلى كل الذين يختارون السير وراء يسوع ويرغبون في التتلمذ له[٣٢] -وقد اختاروا ويختارون اتباع يسوع بفعل اهتداء عميق جعلهم يدركون ان "الانجيل" بشرى سارة اشبه بـ "لؤلؤة ثمينة" تقتضي ممن لقيها أن يجعل منها هدفاً لحياته ومحطاً لآماله... وهكذا اصبحت العظة مجموعة اقوال تصلح للتثقيف المسيحي، مما جعلها تحتّل مكانة رئيسة في تعليم الموعوظين (وسيعكس لوقا في سفر الاعمال هذه " المواظبة على تعليم الرسل" ٢: ٤٢)، او ترسيخ البشرى لدى المؤمنين الجدد.

لا يسعنا أن نبرز الابعاد التي تنطوي على " العظة" بحسب كل من متى ولوقا[٣٣]، وانما نقتصر هنا على الفقرات الاولى منها بشأن التطويبات. انها تضعنا للحال في مناخ البشرى السارة التي يعلنها يسوع بعبارة "طوبى"، بمعنى: هنيئا لكم.. ما اسعدكم! ذلك لأن تعليم يسوع هو، في جوهره، بشرى فرح وسعادة. ولكن سرعان ما تأخذنا الدهشة امام التطويبة الاولى، وقد جاءت بصيغة المخاطب لدى لوقا: "طوبى

---

(٣٠) المصدر ذاته/ ص ٤١.

(٣١) ينبغي ان نميّز ما بين "الكرازة" -وهي المناداة او الاعلان الاول الموجه إلى اليهود او الوثنيين بشأن يسوع الناصري المصلوب الذي اقامه الله وجعله ربا ومخلصا..- وبين التعليم او "الديداكي" -وهو الكرازة أو الوعظ الموجه إلى الجماعة المسيحية. ويشمل، إلى جانب المضمون الاساس، مجموعة من المتطلبات والمثل التي هي بمثابة قاعدة للحياة المسيحية.

(٣٢) يحاول الاستاذ جرمياس في كتيبه المذكور أن يوضح لنا مضمون هذا التعليم الموجه إلى تلاميذ، فينطلق من الآية ٢٠ من الفصل الخامس من انجيل متى: "إن لم يَفُقْ بِرُّكُمْ برَّ الكتبة والفريسيين لا تدخلوا ملكوت السماوات"، ليكشف ان العظة تدعو إلى تجاوز برّ الكتبة (اللاهوتيين علماء الشريعة) وبرّ الفريسيين (العلمانيين الاتقياء) لتصل إلى البرّ الذي يجب ان يتصف به تلاميذ يسوع. فالقسم الاول (٥: ٢١-٤٨، وهو يتضمن التضادات الستة:... اما انا فاقول لكم) يكشف عن معارضة يسوع مع "برّ" الكتبة وتفسيراتهم الكتابية. والقسم الثاني (٦: ١-١٨ وهو يتضمن تعليمات بشأن الصدقة والصلاة والصوم) يتجاوز "بر" الفريسيين في مظاهر التقوى تلك. اما القسم الثالث (٦: ١٩-٧: ٢٧) فهو يشرح لتلاميذ يسوع "البر" الجديد الذي يجب ان "يفوق" بر الكتبة والفريسيين! (المصدر ذاته /ص ٤٧-٤٩).

(٣٣) نحيل القارىء بحدّدا إلى كتيّب الاستاذ جرمياس (الصفحات ٥٠-٦٦) حيث يتناول اقوال يسوع الواردة في العظة على الجبل (ولا سيما تلك الموجهة إلى التلاميذ، مبينا ان هذه الاقوال لن تُفهم إلا بمنظور ما سبقها من تعليم، وفي اطار كرازة يسوع عن ملكوت الله. فاقوال يسوع التي تضمنتها العظة هي بالتالي جزء من البشرى السارة التي تقول للتلاميذ انهم انتقلوا إلى زمن الخلاص واصبحوا -بيسوع- ابناء ملكوت الله وبُناته في العالم. (اقرأ "دراسة في الانجيل كما رواه متى" للاب اسطفان شربتيه: سلسلة دراسات في الكتاب المقدس، رقم١٢/دار المشرق، بيروت١٩٨٨ (ص٣١-٣٨).

لكم ايها الفقراء..."، فيما يوردها متى بصيغة المجهول مضيفا إليها بُعداً روحياً: "طوبى لفقراء الروح..."! ونتساءل: لماذا هذا الاختلاف في الصيغة والمبنى؟ وماذا تعني هذه التطويبة؟ هل هي تحذير للفقراء من خلال حملهم على القبول بحالتهم والتطلع إلى السعادة في عالم آخر؟! ما هو الفقر المقصود لدى كل من لوقا ومتى؟

وقبل ان نخوض في التطويبات كما جاءت في الانجيلين، لابد لنا من ان نبحث عن جذورها في العهد القديم، ولاسيما في سفرَي اشعيا الثاني والثالث اللذين يعلنان البشرى (الانجيل) للمساكين، في اعقاب تجربة الجلاء إلى بابل: انهما نبيان، يتكلم الاول في زمن الجلاء حين واجه الشعب اقسى محنة في تاريخه، ويتكلم الثاني في زمن ما بعد الجلاء مباشرة ليحمل التعزية لهذا الشعب المحطم ويعلن البشرى بـ "ملك الله"، ولاسيما للمساكين الذين طالما انتظروا خلاصه (اش ٤٠: ٩؛ ٥٢: ٧؛٦٠: ٦؛ ٦١: ١...).

من هنا نفهم الصلة الوثيقة بين التطويبات وتبشير يسوع بملكوت الله، ذلك لأن البشرى التي اعلنها الانبياء تكمن في الاعلان عن قرب مجيء الله الذي سيوطد بين الناس ملك العدل والحب والسلام... وفي مقدمة علامات مجيء ملكوت الله يأتي التحرير وزوال الامراض والآلام... (انظر اش ٣٥: ٥-٦). ألسنا للحال امام جواب يسوع لموفَدَي المعمذان اللذين جاءا يسألان يسوع: أأنت الآتي ام ننتظر آخر؟ إنه جواب مجمّع من نصوص عديدة من الاسفار المقدسة: "العميان يبصرون والعرج يمشون مشياً سويّاً، البرص يبرأون والصم يسمعون، والموتى يقومون والفقراء يبشرون..." (متى ١١: ٣-٥، لو٧: ٢١-٢٢)! وتجدر الاشارة إلى ان لوقا (٤: ١٦-١٩) لم يضع التطويبات في خطاب يسوع البرنامجي في مجمع الناصرة، وانما أورد نصاً من سفر اشعيا (٦١: ١-٢) "حققه" يسوع في حياته، عبر تبشيره المساكين ومناداته بالتحرير للمأسورين والبصر للعميان والفرج للمظلومين...

فمع يسوع نحن بازاء ذاك الذي ينادي بملكوت الله ويحققه عبر معجزاته التي تتوجه إلى المرضى وذوي العاهات.. وفوق كل شي عبر البشرى الموجّهة إلى الفقراء: "طوبى لكم ايها الفقراء"، بمعنى: هنيئا لكم ايها الفقراء، فها قد انتهت ازمنة الفقر! ولن يكون من بعدُ فقراء طالما ان ملك الله قد اقترب! وهكذا يتضح جليا معنى التطويبة الاولى، كونها المفتاح لكل ما يحمله هذا "الملكوت" من علامات الفرح والسعادة والغبطة. فما ان "بُشِّرَ المساكين"، فذلك دليل على ان ملكوت الله قد أتى! وسيفهم المسيحيون الاولون ما ينطوي على هذه التطويبة من ابعاد، ويدركون بأن عليهم ان يباشروا بتحقيق هذا "الملكوت" الذي افتتحه يسوع[٣٤]، فكان ذلك التوجّه العميق نحو

---

[٣٤] كنا نسيء فهم التطويبات حين كنا نستخدمها لتبرير الفقر والفقراء، او حين كنا نعتبر انفسنا بمنجى من كل التزام باتجاه محاربة الفقر وازالته، وازالة اسبابه بنوع خاص! إلا ان المشكلة تكمن الآن في هذا التساءل: إذا كان يسوع قد

الاقتسام والتضامن... -وقد عكسه لوقا في سفر الاعمال حين كتب: "وكان كل شيء مشتركا في ما بينهم، ولم يكن فيهم محتاج" (٤: ٣٢،٣٤)... وسيدرك تلاميذ يسوع، في كل مكان وزمان، انه لن يمكنهم ان يعلنوا التطويبات وينادوا بها، ما لم يسعوا، بكل طاقاتهم وامكاناتهم، إلى ازالة كل المظالم التي تلحق بالبشر وتخفي وجه ملكوت الله.

• التطويبات •

بحسب متى ٥: ٣-١٢	بحسب لوقا ٦: ٢٠ - ٢٦	
٣ طوبى لفقراء الروح	٢٠ طوبى لكم ايها الفقراء	٢٤ لكن الويل لكم ايها الاغنياء
فان لهم ملكوت السموات	فان لكم ملكوت الله	فقد نلتم عزاءكم
٤ طوبى للودعاء		
فانهم يرثون الارض		
٥ طوبى للمحزونين فانهم يُعزون		
٦ طوبى للجياع والعطاش إلى البر	٢١ طوبى لكم ايها الجائعون الآن	٢٥ الويل لكم ايها الشباعى الآن
فانهم يُشبعون	فسوف تُشبعون	فسوف تجوعون
	طوبى لكم ايها الباكون الآن	الويل لكم ايها الضاحكون الآن
	فسوف تضحكون	فسوف تحزنون وتبكون
٧ طوبى للرحماء فانهم يُرحمون		
٨ طوبى لأطهار القلوب		
فانهم يشاهدون الله		
٩ طوبى للساعين إلى السلام		
فانهم ابناء الله يُدعون		
١٠ طوبى للمُضطَهَدين على البر		
فان لهم ملكوت السموات		
١١ طوبى لكم	٢٢ طوبى لكم	٢٦ الويل لكم
إذا شتموكم واضطهدوكم	إذا ابغضكم الناس ورذلوكم	
وافتروا عليكم كل كذب	وشتموا اسمكم ونبذوه	إذا مدحكم جميع الناس
	على انه عار	
من أجلي	من اجل ابن الانسان	
١٢ افرحوا	٢٣ افرحوا في ذلك اليوم	
وابتهجوا	واهتزّوا طربا	
ان اجركم في السموات	فها ان أجركم في السماء	
عظيم	عظيم	
فهكذا	فهكذا	فهكذا
اضطهدوا الانبياء من قبلكم	فعل آباؤهم بالأنبياء	فعل آباؤهم بالانبياء الكذابين

بشر المساكين، فلماذا لا يزال الفقراء كثرا، ولا تزال اسباب الفقروالمرض والآلم وكل المظالم قائمة؟ وهذا السؤال يطرح في الواقع قضية معنى ايماننا بالمسيح وجدواه! وهنا نتبنى جواب الاب شربنتييه الذي كتب: " كان الناس ينتظرون من المسيح ان يفعل كل شيء هو وحده. لكن يسوع حررنا من هذا الاغراء المسيحاني. فهو قد جاء فعلا ليؤسس ملك الله. ولكن ما فعله، هو انه افتتح هذا الملك تاركاً لنا أمر انجازه نحن بانفسنا.. ان ملاحظتنا استمرار وجود الفقراء هو إقرار منا باننا لم ننجزعملنا... "! (من الاناجيل /ص١١)

لننظر الآن بشكل دقيق إلى النصوص (عن الدليل/ ص ١٩٣) في محاولة لاكتشاف مواطن الائتلاف والاختلاف، سعياً للوصول إلى اقرب ما يكون إلى النص[٣٥] الذي حفظه التقليد عن كلام يسوع، والذي منه انطلق متى ولوقا في بناء نصيهما اللذين يخاطبان قرّاءً هم، بحسب لوقا، تلاميذ تُعْلَنْ لهم بشرى مليئة بالرجاء، بينما هم، بحسب متى، كل انسان مدعو إلى ان يدخل "ملكوت السماوات" عبر استعدادات روحية محورها المحبة[٣٦].

ان نصَّي متى ولوقا هما بمثابة قرائتين مجددتين لنص سابق يتضمن ولاشك التطويبات الثلاث الاولى بحسب لوقا، وما يقابلها لدى متى، كما يتضمن تطويبة مشتركة باتجاه تلاميذ يُضطهَدون من أجل المسيح. والتطويبات الثلاث هي:

طوبى (لكم) للفقراء(بالروح)	فان (لكم) لهم ملكوت الله
طوبى (لكم) للجائعين	(فانكم) فإنهم يُشْبَعون (تَشبعون)
طوبى (لكم) للمحزونين	(فانكم) فانهم يُعَزَّون (تَعزون)

وغني عن القول ان الفقراء -ويندمج معهم "الودعاء" الذين تخصهم التطويبة الثانية لدى متى- والجائعين والمحزونين هم هؤلاء " البؤساء" الذين جُرِحوا في حقوقهم وكرامتهم وانسانيتهم، والذين تتوجه إليهم بشرى السعادة التي حُرِموا منها! فيسوع يكشف عن وجه ذلك الإله الذي هو في الواقع "إله المساكين" الذي يرى بؤسهم ويصغي إلى انينهم، ويبادر، بكل ما لديه من قدرة ومحبة، إلى انقاذهم من جشع الاغنياء وجور الاشرار والظالمين الذين غالبا ما يكونون في أصل بؤس الفقراء وجوعهم وآلامهم... وهكذا تبشر التطويبات الثلاث باقتراب زمن عدل الله ورحمته أي وقوفه إلى جانب كل المحرومين والمظلومين... وتدخّله من اجل اسعادهم. فهي بالتالي تعكس نظرة لاهوتية تتمحور حول إله كله حب وعطف وعناية وحنان... كما انها تتضمن

---

[٣٥] عرض احد المفسرين نظرية معقولة لما كان عليه نص التطويبات في صيغته الاولى:
- طوبى للفقراء فان لهم ملكوت السموات
- طوبى للمحزونين فانهم يعزون
- طوبى للجياع (والعطاش) فانهم يشبعون
- طوبى لكم اذا أبغضوكم وشتموكم واطلقوا عليكم اسماً سيئاً من اجل ابن الانسان
افرحوا وابتهجوا، فان اجركم في السموات عظيم
فهكذا اضطهوا الانبياء الذين من قبلكم.

[٣٦] نستلهم دراسة للاب جاك ديبون: "رسالة التطويبات"، سلسلة دراسات في الكتاب المقدس / رقم ٥، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

مغزى مسيحانياً إذ تقدم لنا مسيحاً هو قبل كل شيء مناد ببشرى الخلاص، ومحققٌ اياه عبر مواقفه تجاه الفقراء والمرضى والمسجونين والهامشيين والخطأة.

أما التطويبة الاخيرة المشتركة (الرابعة لدى لوقا والاخيرة لدى متى) باتجاه المضطهدين، فهي:

- "طوبى لكم إذا شتموكم واضطهدوكم وافتروا عليكم كل كذب من اجلي..." (متى).
- "طوبى لكم إذا ابغضكم الناس ورذلوكم وشتموا اسمكم ونبذوه على انه عار، من اجل ابن الانسان... " (لوقا)

وبإزاء هذه التطويبة الاخيرة نجدنا للحال امام تغيّر في النبرة والتوجه: فالانجيليان يوجهان التطويبة، بصيغة المخاطب الجمع، إلى التلاميذ الذين سيواجهون الاضطهاد وسيتعرّضون للشتم والافتراء (متى)، والبغض والرذل والشتم والنبذ (لوقا)، على يد اليهود الذين سبق لهم ان "اضطهدوا الانبياء من قبلُ" (متى)، والذين "هكذا فعل آباؤهم بالانبياء" (لوقا).. وكل ذلك من أجل يسوع -وهو المتكلم: من اجلي (متى) من اجل ابن الانسان (لوقا). ولكنهم سيحصلون بالمقابل على مكافأة خاصة في ملكوت الله، وهم أبناؤه أصلاً، بعد ان يكونوا قد عانوا كل تلك الآلام بدافع من امانتهم ليسوع. وهكذا يتضح ان هذه التطويبة تضعنا في جو الكنيسة الاولى، وهي تواجه الاضطهاد والمقاومة والاستشهاد من أجل ايمانها بالرب يسوع وامانتها له.

ان هذا الاختلاف في النبرة والتوجه بين التطويبات الثلاث الاولى "اللاهوتية" -وقد تمحورت حول "إله المساكين"- وبين التطويبة الاخيرة "المسيحانية" بحكم تركيزها على المسيح الذي "بسببه ومن اجله" سيتألم المسيحي.. لاينبغي أن يقودنا إلى تجاهل الائتلاف العميق في ما بينها. فالبشرى التي أعلنها يسوع باقتراب مجيء ملكوت الله، عبر التطويبات الثلاث، كان هو بالتالي رسولها ومجسّدها -وقد اختص ما جاء في نبؤة اشعيا (٦١: ١-٦)- ذلك لأنه إذ اعلن الطوبى للبؤساء، كان بوسعه ان يحقق لهم تلك السعادة عبر علاماتها المشرقة التي تجسدها مواقفه واعماله ومعجزاته...

وستبلغ هذه السعادة أوجَها حين سيقبل تلاميذ يسوع ان يعانوا الاضطهاد من أجله، لا بل سيعتبرون انفسهم "سعداء" إذا ما تألموا واهينوا من أجل اسمه! ومن هنا كان ذلك التركيز على الفرح في القسم الثاني من التطويبة: " افرحوا وابتهجوا، ان اجركم في السموات عظيم..." (متى)، " افرحوا في ذلك اليوم واهتزّوا طرباً، فها ان اجركم في السماء عظيم"(لوقا). انه فرح بالمكافأة النهائية التي ستكشف "في ذلك اليوم"، يوم الدينونة، من هم ابناء الملكوت، والتي ستتم على يد ذاك الذي سيعطى له أن يدين لانه " ابن البشر" (راجع متى ١٦: ٢٧؛ ٢٥: ٣١ت؛ يو ٥: ٢٢،٢٧...).

وهكذا يتضح معنى الفرح الذي سيغمر يوم الدينونة اولئك الذين تألموا من اجل يسوع، وقد انيطت به مهمة القبول في ملكوت الله طالما ان "الله اقامهُ ديانا للاحياء والاموات" (رسل ١٠: ٤٢،راجع ٢ قور ٥: ١٠؛ ٢طيم ٤: ١، ٨).

وسرعان ما سيتخذ هذا "الألم من اجل يسوع" بُعداً فصحياً، طالما أن من شأن الألم ذاته ان يوثّق عرى الاتحاد بين التلميذ والرب يسوع. ولنا الكثير من الشواهد في العهد الجديد عن الألم الذي يتقبله المؤمن، لا بسبب يسوع ومن اجله حسب، وانما معه ايضاً، ليصبح من ثم شريكاً له في المجد.. ونجد ابلغ هذه الشواهد في رسائل القديس بولس (فل ١: ٢٩؛ ٣: ١٠؛ ٢قور ١٢: ١٠؛ روم ٨: ١٧...).

أ- التطويبات بحسب لوقا

سبق ان قلنا بان تطويبات يسوع بحسب لوقا موجهة، في الثمانينات، إلى جمهور التلاميذ من المسيحيين الذين يعانون من الفقر والجوع والألم والاضطهاد... ويضيف لوقا عبارة "الآن" على تطويبتي الجائعين والباكين -وما يقابلهما من الويلات: ويل لكم ايها الشباعى الآن.. الضاحكون الآن- والمقصود، في فكر لوقا على الاقل، أن الخلاص آت وان "آنيّته" لابد أن تمر بالامتحان: "طوبى لكم ايها الجائعون الآن فسوف تُشبَعون"... ونتساءَل مع الاب ديبون: هل نحن بازاء وعد يتحقق في مستقبل بعيد؟ وهل هذا المستقبل الذي تحيلنا التطويبات إليه هو "يوم مجيء المسيح الثاني" أم هو يوم موتنا؟

يبدو ان هناك اسباباً وجيهة تدعو الى الاعتقاد بأن وجهة النظر الفردية هي الغالبة على تفكير لوقا[٣٧]، وان "آنية" الخلاص لديه -ولوقا هو اكثر من استخدم عبارة "اليوم" في انجيله- هي صفة الحياة الحاضرة! ذلك لأنه يؤمن بأن الصعوبات والمضايق، وفي مقدمتها الاضطهادات، هي امر يلازم التلميذ الذي يسير على خطى سيده، مدركاً أن قبوله هذه الآلام اليومية -على مثال المسيح الذي عانى الآلام قبل ان يدخل إلى مجده (لو٢٤: ٢٦)- سيُحقق له السعادة الحقة...

وينفرد لوقا باضافة اربع "ويلات" توازي الثلاث الاولى منها التطويبات الثلاث الاولى (الفقراء/الاغنياء، الجائعون/الشباعى، الباكون/الضاحكون) وتختلف الرابعة حيث يقوم التضاد على الشكل التالي: طوبى لكم إذا ابغضكم الناس.../ويل لكم إذا مدحكم الناس! ومن الواضح ان الويلات الثلاث الاولى لا تتوجه إلى المسيحيين، وانما تخاطب الفئات الثلاث -وهي ترجع بالتالي إلى فئة واحدة، هي فئة الاغنياء وبضمنهم الشباعى والضاحكون- تماما كما توجهت التطويبات إلى فئة الفقراء وبضمنهم الجائعون

---

[٣٧] رسالة التطويبات /ص٣١

والباكون. وإذا جمع لوقا في انجيله الكثير من تعليم يسوع بشأن الغنى والاغنياء، وانفرد بكثيرمن الاقوال والامثال المتعلقة بالغنى[٣٨]، فلأنه يدرك المخاطر الكبيرة التي تنطوي عليه والتي تشكل بالتالي عقبات بوجه الانسان، ذلك لأن بوسع الغنى ان يزج الانسان في انانية مقيتة تقودهُ الى اللامبالاة بالغير.. وقد يحدث ان يتحول الغنى إلى صنم يحتل مكان الله!

وهكذا يتضح لنا ان الويلات الثلاث تخاطب الاغنياء الذين يضعون كل سعادتهم في جمع المال، بالطرق المشروعة وغير المشروعة، أو الذين ينطوون على ذواتهم بانانية لا تدع مكاناً للاقتسام والتضامن، أو الذين ينقادون إلى عبادة المال بعد ان يكون قد اصبح سيّداً ينافس الله... الا انها تخاطب ايضاً المسيحيين الذين قد يتعرضون لمخاطر الغنى، وتحذّرهم من مغبّة الانسياق في تيار عبودية المال.

ولابد من ان نقول كلمة في "الويل" الاخير الذي لا يبدو، لأول وهلة، نقيضاً للتطويبة الرابعة، طالما انه لا يتكلم سوى عن "المديح". إلا ان امعان النظر فيه، على ضوء كتابات لوقا وخبرته، يحملنا علىالقول بأنه يصب في مجرى التطويبة، أي ان الويل موجّه إلى تلاميذ يهددهم خطر الوقوع في حبائل المديح الذي تستحثه مواقفهم وتصرفاتهم الانجيلية، وقد يصبح عقبة في طريق اتباع المسيح الذي يجب ان يبقى محفوفا بالمذلة والألم.. ويصمد امام الاضطهاد كما امام المديح!

ب- التطويبات بحسب متى

يبدو، لأول وهلة، انها تسع تطويبات، وان خمسا منها تبدو جديدةً. إلا اننا في الواقع بازاء ثلاث تطويبات جديدة فقط، فضلاً عن التطويبات الاربع التي تقابل تطويبات لوقا[٣٩].

وإذا استثنينا التطويبة التاسعة التي تتميز باستخدام صيغة المخاطب الجمع وتتوجه توّاً إلى التلاميذ المضطهَدين، وتشكل بالتالي عنصراً انتقاليا يدخلنا في جو الصفات التي يجب ان يتحلى بها التلاميذ: "انتم ملح الارض.. انتم نور العالم" (متى٥: ١٣-١٦)

---

[٣٨] راجع مثل الغني الجاهل (١٢: ١٦-٢١) وما يليه من اقوال في التجرد والثقة بالعناية الالهية... وكذلك مثل الوكيل الخائن (١٦: ١- ٨) وما يليه من تعليم في التنافس بين الله والمال... وهو يختم بمثل الغني ولعازر (١٦: ١٩-٣١) الخ...

[٣٩] الخامسة: الرحماء، السادسة: انقياء القلوب، السابعة: فاعلو السلام - اما التطويبة الثانية عن " الودعاء" فهي اشبه بمرادف للتطويبة الاولى بشأن "الفقراء"، طالما ان متى يتحدث عن الاستعداد النفسي الداخلي. وكذلك الحال مع التطويبة الثامنة " المضطهدين من اجل البر" التي تعتبر تكراراً للتطويبة التاسعة بشأن المضطهدين من اجل يسوع: ويُرجِّع " البر" الذي يُضطهد عليه المسيحي صدى الافتراء الذي يتعرض له، مما يزيد من حساسة الاضطهاد الذي يطاله!

-وهي بالتالي مدخلٌ إلى القسم الثاني من الموعظة-، فسنجدنا بازاء ثماني تطويبات قصيرة تكوّن وحدة ادبية كاملة من سلسلتين تتضمن كل منهما أربع تطويبات ويجمعهما "تضمين" (وهو صيغة يُكرَّر بموجبها في الختام ما قيل في البداية) بين الاولى والثامنة: طوبى لفقراء الروح، فان لهم ملكوت السماوات/ طوبى للمضطهدين على البر، فان لهم ملكوت السماوات.

ولعل ابرز ما يستوقفنا في تطويبات متى هو اضافة "بالروح" إلى التطويبة الاولى بشأن الفقراء، مما يجعلنا ننتقل للحال إلى المستوى النفسي والروحي. كما تستوقفنا عبارة "البر" التي يستخدمها متى كثيرا، لمضمونها العميق، في رسم واجبات الانسان تجاه الله والقريب، ويستخدمها مرتين في التطويبات: تطويبة الجائعين" إلى البر"(الرابعة) والمضطهدين " على البر" (الثامنة). وهكذا نجدنا في قلب برنامج روحي لحياة مسيحية متأصلة في قداسة الله، يُفتَرَض أن يعيشها كل انسان يريد الدخول إلى ملكوت الله. فمتى الانجيلي يهمّه ان يكون للانسان من الاستعداد الروحي ما يمكّنه من العيش بحسب مشيئة الله، وذلك هو " البر" الذي يؤهله للدخول إلى ملكوت السموات...

ان التطويبة الاولى، باضافة عبارة " الروح " إلى الفقراء، تضفي نبرة الاستعداد الروحي المطلوب على تطويبة الفقر كما على سائر التطويبات. فلسنا بازاء فقراء على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، وانما بازاء "فقراء" بالروح[٤٠] على الصعيد الباطني، اعني اولئك الذين يتصفون بروح الفقر، بما يرافقه من تجرد وتواضع ووداعة وحلم وصبر... وهكذا نجد التقارب الوثيق بين الفقر والوداعة، بحيث يصبح مضمون التطويبتين الاولى والثانية مضموناً مشتركاً[٤١] (انظر أش ٥٧: ١٥؛ ٦٦: ٢؛ متى ١١: ٢٨-٣٠؛ قول ٣: ١٢؛ أف ٤: ٢...).

اما التطويبات الثلاث التي يمكننا ان نعتبرها جديدة، إذ ليس لها ما يقابلها لدى لوقا، فهناك التطويبتان الخامسة (طوبى للرحماء..)والسابعة (طوبى للساعين إلى السلام...) اللتان تصبّان في اتجاه واحد، لانهما تقصدان القريب وتتوجهان إلى ذوي النفوس الرقيقة والمقدامة في آن واحد، فتحملها على الاتصاف بمشاعر "الرحمة" تجاه الغير، أي بالالتفات المليء بالحب والحنان والعدل والاخوة والتسامح والغفران.. إلى

---

[٤٠] يقول الاب جاك ديبون، في كتابه المذكور، بشأن كلمة "عناو" (فقير) العبرية (وجمعها "عناويم") -بمعنى الانسان المسكين والمذلول والعاجز عن انتزاع حقوقه- بانه وردت في مخطوطات قمران عبارة: "عناو روح" (فقراء الروح)، ووردت مقلوبة: "روح عناوه" (روح الفقر) والتي تدل على موقف الانحناء الباطني، بحيث يبدو " فقراء الروح" اناساً لا يقاومون ولا يتمردون، يميزّهم موقف روحي يتصف بالوداعة والتواضع...

[٤١] نُحيل القارىء إلى تحليل عميق للتطويبتين يكشف فيه الاب ديبون عن ان تطوية الودعاء مقتبسة من المزمور (٣٧: ١١): "الودعاء يرثون الارض"، وان كلمة "ودعاء" هي ترجمة لكلمة "عناويم" العبرية (رسالة التطويبات/ ص ٤٦-٥٣).

كل الذين هم ابناء الله وهم بالتالي اخوتنا.. كما تحملها بشكل جاد إلى "السعي إلى السلام" أي إلى الالتزام بالعمل على تحقيق المصالحة بين الناس وتوطيد اسس الالفة والمحبة والوفاق[٤٢]... وتبرز بالتالي التطويبة السادسة (طوبى لأطهار القلوب فانهم يشاهدون الله) التي ينفرد بها متى والتي توجّه الانظار إلى تحقيق الاتحاد بالله والبلوغ إلى مشاهدته، عبر السعي الجاد إلى نقاوة القلب أي القداسة[٤٣].

٣- الصلاة الربية

لقد اعتدنا تلاوة الصلاة الربية بحسب ما جاءت في انجيل متى (٦: ٩-١٣)، وقلّما تساءلنا عن الصيغة المقتضبة التي ينقلها الينا لوقا (١١: ٢-٤) في اطار يختلف عن اطار العظة على الجبل. وقد يجهل الكثيرون ان للصلاة الربية صيغة قريبة من صيغة متى جاءتنا في كتاب الديداكي (تعليم الرسل) من نهاية القرن الاول، وفيه يُطلب من المؤمنين ان يصلوا "كما طلب الرب في انجيله"، وقد جاءت مذيّلة بحمدلة: "لأن لك القوة والمجد إلى الدهور".

وكانت الصلاة الربية تُعدّ من بين كنوز الكنيسة الاكثر قدسية.. فكانت تحيطها رهبة كبيرة تدل عليها التوطئة التي تسبقها في كل الطقوس حيث يعلن الكاهن: وامنحنا يا رب ان نتجاسر ونقول...، فيما كانت محفوظة لأعضائها الكاملين وتدعى "صلاة المؤمنين"[٤٤].

واليكم جدولاً بالصيغ الثلاث للصلاة الربية[٤٥]:

---

[٤٢] نحيل القارئ إلى شرح مفصل لتطويبتي الرحماء والساعين إلى السلام، حيث يتخذ مفهوم "الرحمة" بُعدين: الغفران واسعاف المتضايقين، وحيث يصبح "المسعى إلى السلام" دعوة إلى اولئك الذين، يدافع من المحبة والرحمة، يتجندون لإشاعة المحبة والصلح والسلام بين الناس (رسالة التطويبات/ص٥٤-٥٩)

[٤٣] نحيل القارىء من جديد إلى التحليل الذي يقوم به الاب ديبون لهذه التطوبية انطلاقاً من مفهوم "طهارة القلب" في العهد القديم وفي بحمل انجيل متى، ومن مفهوم "مشاهدة الله" عبر الكتاب المقدس...(رسالة التطويبات/ص ٦٠-٦٨).

[٤٤] يواكيم جرمياس: اقوال يسوع (القسم الثاني منه في الصلاة الربية، ص ٦٩-١١٦) والذي نعتمده في هذه الدراسة. كما نشير إلى كتاب "الصلاة الربية" للاب فرنسيس يوسف المخلصي، ترجمة الأب بطرس حداد (بغداد ١٩٨٤). راجع أيضاً مقالنا في "الفكر المسيحي": الصلاة الربية.. صلاة المؤمنين (ت٢/ك١ ١٩٩٣).

[٤٥] لم تكن تظهر فروقات في الصلاة الربية بين نصي متى ولوقا في بعض الترجمات العربية القديمة، ونخص بالذكر ترجمة جمعية الكتاب المقدس- وكانت قد تجاوزتها في الدقة ترجمة الخوري يوسف داود: طبعة الاباء الدومينيكيين، الموصل ١٨٧١. وبعد اكتشاف العديد من المخطوطات العريقة في القدم، انطلقت ابحاث نقدية جادة على نصوص الكتاب المقدس، ونصوص العهد الجديد بنوع خاص، بحيث اصبحنا اليوم بازاء ترجمات هي اقرب ما يكون إلى الأصل (**انظر الاطار ٤١: الترجمات العربية للكتاب المقدس**).

الترجمات العربية للكتاب المقدس

بعد الترجمات الكبرى، في القرون الاولى، إلى اللاتينية والسريانية والقبطية والحبشية والارمنية..، كان لا بد ان تكون الترجمة العربية، اقله للعهد الجديد، قد أبصرت النور في عهد مبكر، قبل الإسلام... وفيما يؤسفنا غياب الوثائق عن اولى الترجمات –وقد تمت ولا شك عن النص السرياني– يمكن ان نجعل من عام ٦٣٩ تاريخا اول لترجمة عربية للانجيل، على طلب من عمر بن سعد ابن ابي وقاص... وهناك ادلة على ترجمة للكتاب المقدس قام بها الاسقف يوحنا حوالي عام ٧٥٠ في اشبيلية، فضلاً عن ترجمة مفقودة قام بها حوالي عام ٨٧٠ المترجم السرياني الشهير حنين بن اسحق عن اليونانية وعن الترجمة السبعينية، ولكل الكتاب المقدس!

واقدم ترجمة عربية معروفة (التوراة وسفر اشعيا) ترجع إلى العالم اليهودي المصري سعدي الفيومي (٨٨٢–٩٤٢)، وقد نشرت عام ١٩٨٣. ومنذ القرن التاسع بدأت تتكاثر الترجمات العربية عن النص السرياني، ومن ثم في القرن العاشر عن النص القبطي فاليوناني واللاتيني...

اما اقدم مخطوطة عربية لاتينية، فهي صفحة من رسائل بولس ترجع إلى عام ٨٦٧ –وقد نشرها هارفي ستال عام ١٩٨٥– فيما تلفت انتباهنا مخطوطة عربية من القرن ١٢ للدياطسرون (راجع الاطار ٢٠/ الفصل ٣) لطيطانس (الاناجيل الاربعة في واحد) هي اقدم ما لدينا عنه. كما لابد من الاشارة إلى مخطوطة كاملة للعهد الجديد من عام ١٢٦٤، واخرى للعهد القديم من عام ١٥٢٦، وكلتاهما محفوظتان في روما.

اما اول طبعة عربية للاناجيل الاربعة فقد تمت في روما عام ١٥٩١ (راجع "الفكر المسيحي"، ت٢/ك١ ١٩٩٢). ومنذئذ صدرت طبعات في لندن– هولندا (العهد الجديد: ١٦٢٥) وباريس (التوراة: ١٦٥٤) ولندن (التوراة: ١٦٥٧)... ولا شك ان اول ترجمة وطبعة للكتاب المقدس برمته صدرت في روما عام ١٦٧١ وهي تحمل النص العربي إلى جانب النص اللاتيني –وهي الطبعة المعروفة بـ "بروبغندا".

وفيما نضرب صفحاً عن طبعات عربية للكتاب المقدس او لأجزاء منه تمت منذ اوائل القرن ١٨ في الشرق والغرب –ولعل ابرزها طبعة لندن (١٨٢٢)، وللعهدين، لهنري مارتن– نتوقف لدى ابرز الترجمات:

- ١٨٥٧: لندن (فارس الشدياق ووليم واطس). جدد نشره عام ١٩٨٢ الاب ابراهيم شروح
- ١٨٦٥: بيروت (بطرس البستاني والانجيليان عالي سميث وكرنيليوس فانديك)
- ١٨٧١–١٨٧٨: الموصل (الخوري يوسف داود) –مطبعة الاباء الدومينيكيين
- ١٨٧٦– ١٨٨١: بيروت (الاب اوغسطينس رووه وابراهيم اليازجي)–مطبعة الآباء اليسوعيين
- ١٩٨٢– ١٩٨٧: بيروت (صدرت هذه الترجمة الجديدة للعهد القديم عن دار المشرق للاباء اليسوعيين باربعة اجزاء، ومن ثم بمجلد واحد للعهدين القديم والجديد عام ١٩٨٩)
- ١٩٨٨: بيروت (كتاب الحياة – ترجمة تفسيرية)
- ١٩٩٣: بيروت (جمعية الكتاب المقدس)

وهناك مجموعة من الترجمات (المزامير، العهد الجديد، الاناجيل الاربعة) في القدس والقاهرة وبيروت.. ونخص بالذكر طبعات العهد الجديد: للاباء البولسيين (الاب جورج فاخوري/١٩٥٣)، والمطبعة الكاثوليكية (دار المشرق/١٩٦٩)، وجمعية الكتاب المقدس (١٩٧٨)، وجامعة الروح القدس (الكسليك/لبنان، ١٩٨٧ – ١٩٩٢)...

وتجدر الاشارة إلى ان الاختلافات في نص الترجمات العديدة ترجع إلى التباين في قدرة المترجمين على اداء المعنى عن النص اليوناني من جهة، وإلى اختلاف القراءات في المخطوطات المعتمدة من جهة اخرى. وفيما لا ينبغي ان يسوءنا الاختلاف في النص العربي بين ترجمة واخرى، نطمح ان يُصار في شرقنا العربي إلى تبنّي الكنائس، أقله في الليتورجيا، ترجمة عربية موحدة... تكون اولى نتائجها نصّاً موحّداً للصلاة الربية!

(اعتمدنا في المعلومات الواردة: المرشد إلى الكتاب المقدس–١٩٩٦)

• الصلاة الربية •

لوقا (٢: ١١-٤)	متى (٦: ٩- ١٣)	الديداكي (٨: ٢-٣)
ايها الآب	ابانا	ابانا
	الذي في السموات	الذي في السماء
(١)- ليُقدَّسْ اسمك	(١)- ليُقدَّسْ اسمك	- ليتقدس اسمك
(٢)- ليأت ملكوتك	(٢)- ليأت ملكوتك	- ليأت ملكوتك
	(٣)-ليكن ما تشاء	- لتكن مشيئتك
	في الارض كما في السماء	كما في السماء كذلك على الارض
(٣)- ارزقنا خبزنا	(٤)- ارزقنا خبز يومنا	- خبزنا الجوهري أعطنا
كفاف يومنا	اليوم	اليوم
(٤)- وأعف لنا خطايانا	(٥)- وأعفُ لنا ما علينا	- واترك لنا ما علينا
فاننا نعفو نحن ايضا لكل من لنا عليه	فقد عفونا نحن ايضا لمن لنا	كما نترك نحن لمن لنا عليه
(٥)- ولا تعرّضنا للتجربة	عليه	- ولا تدخلنا في تجربة
	(٦)- ولا تعرّضنا للتجربة	- لكن نجنا من الشرير
	(٧)- بل نجنا من الشرير	لأن لك القدرة والمجد
		إلى الاجيال

ويتبين لاول وهلة ان نص لوقا اقصر إذ لا يتضمن سوى خمس طلبات، فيما يبدو نص متى محكماً ذا ايقاع، بسبع طلبات، ومن دون الحمدلة التي وردت في نص الديداكي. وقبل أن ندرس مسألة أي من النصين هو الاصلي، نحاول أن نضعهما في السياق الذي جاءا فيه بحسب كل من الانجيليين. واول ما نقول بهذا الصدد هو ان الصلاة الربية، لدى كل من متى ولوقا، جاءت في سياق حديث ليسوع حول الصلاة.

ففي انجيل متى تأتي الصلاة الربية في اواخر "العظة على الجبل" وفي اطار شجب لاشكال التباهي التي تتخذها الممارسات الثلاث (الصدقة والصلاة والصوم) لدى المرائين.. ففيما يخص الصلاة نجد تعليما بثلاثة عناصر: (أ) عدم التظاهر، (ب) عدم الثرثرة، (جـ) الغفران المسبق والمصالحة. وهكذا تصبح الصلاة الربية نموذجاً للصفات التي يريد يسوع أن تمتاز به صلاة تلاميذه!

اما في انجيل لوقا فنرى الصلاة الربية مدرجة في سياق تعليمي حول الصلاة (١١: ١-١٣)، وعبر اسلوب يتميز كليا عما جاء في انجيل متى. ويمكننا أن نتبين اربعة عناصر في نص لوقا الرائع:

- يسوع يصلي.. مما حمل التلاميذ على الطلب اليه:" علّمنا ان نصلي"! فتأتي الصلاة الربية بمثابة استجابة لطلبهم (١١: ١)

- مثل الصديق الذي لا يَنِي يلحُّ في الطلب حتى وإن لم يُستَجَب طلبه على الفور (١١: ٥ت)
- كلام يسوع بصيغة الامر: اسألوا تُعطوا... (١١: ٩-١٠)
- الخاتمة التي تكشف عن وجه الاب السماوي الذي يمنح العطايا الصالحة -لا بل الروح القدس- لابنائه (١١: ١١-١٣)

وينسب الاستاذ جرمياس اختلاف الاطار الذي يحيط بالصلاة الربية، لدى كل من الانجيليين، إلى اختلاف الناس الذين يتوجهان إليهم. ففيما يتوجه متى إلى اناس تعلّموا الصلاة منذ الطفولة وهم بحاجة إلى الخروج عن الرتابة والسطحية (جماعة مسيحية من اصل يهودي في كنيسة يهودية - مسيحية)، يتوجه لوقا إلى اناس هم في خطواتهم الاولى على طريق الصلاة ويحتاجون إلى الدعم والتشجيع (جماعة مسيحية من اصل وثني في كنيسةالامم). وهكذا نجدنا "بازاء نصّين لكنيستين: فينقل لنا كل انجيلي الصلاة الربية بحسب النص الذي كان يتلى آنذاك في كنيسته"[٤٦].

وفي بحثه عن "التأليف الأصلي" يتناول الاستاذ جرمياس المسألة من وجهتين: الاقتضاب الذي يميز نص لوقا، مما يشفع في اصالته من جهة، والمضمون المشترك الذي يحملنا تميُّز عباراته على ترجيح أسبقية نص متى، من جهة اخرى.

- ان ما يرجح الأصالة في نص لوقا هو ايجازه (النداء المجرد "ابّا"، غياب "لتكن مشيئتك"، وإهمال "لكن نجنا من الشرير")، سيما وان "اضافات" متى متضمنة في صيغة لوقا القصيرة -ويُستبعد انه اختزل النص! ولعل اعظم دليل على ذلك صيغة النداء الموجز: "ايها الآب" -وهي أصلاً "أبّا" (بمعنى "بابا"، ايها الاب الحبيب) والذي ترجّع صداه رسائل القديس بولس (روم ٨: ١٥؛ غلا ٤: ٦). ومن الجدير بالذكر ان تلك الاضافات هي سمة النصوص الليتورجية التي تسعى إلى التوسّع، وهي بمثابة " إطالة " للنص تحدث ايقاعاً، وقد جاءت في النهايات: نهاية الدعاء (ابانا.. الذي في السموات)، ونهاية الطلبات الامنيات (ليكن ما تشاء.. في الارض كما في السماء)، ونهاية الطلبات الالتماسات (لا تعرِّضنا للتجربة.. بل نجنا من الشرير).
- هذه الاطالة هي التي جعلت نص متى ينقسم إلى ست طلبات، وليس إلى سبع طلبات كما اعتدنا ان نقول: ثلاث طلبات بصيغة الامنية تقابلها ثلاث طلبات بصيغة الالتماس، علماً بان الطلب الاخير"لا تعرّضنا للتجربة"، يلحق به طلب تضاددي: "بل نجنا من الشرير" هو من قبيل التوسع في الفكرة ذاتها.

---

[٤٦] اقوال يسوع /ص٨٢

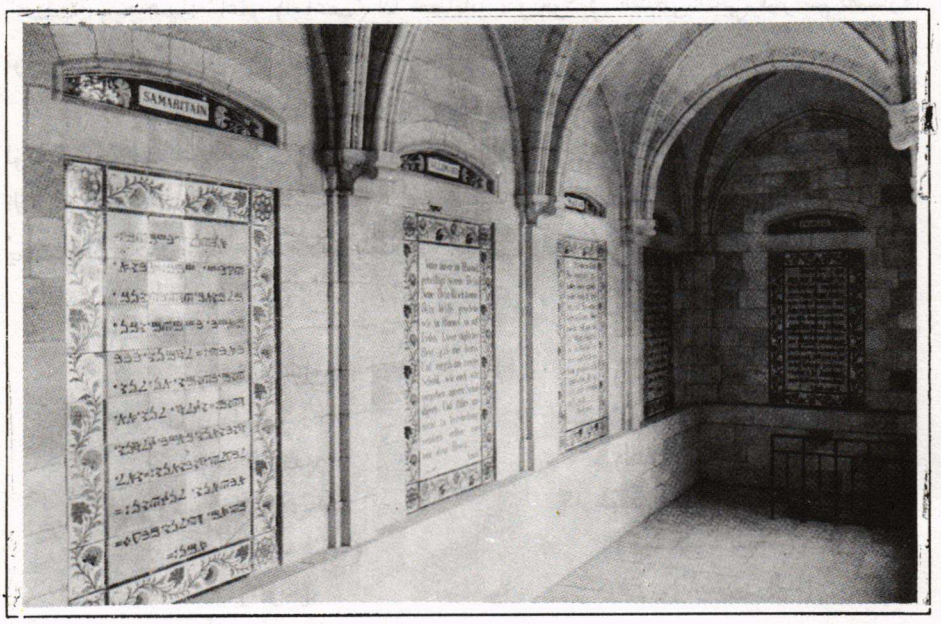

كنيسة "الأبانا" على جبل الزيتون: تزين أروقة دير الكرمليات الصلاة الربية بحوالي ٨٠ لغة! -هذه الكنيسة الحديثة (١٨٦٨) قامت على أنقاض كنيسة القديسة هيلانة من القرن الرابع...

فاذا كانت كنيسة الامم قد حفظت لنا اقدم نص للصلاة الربية (لوقا)، فلقد اعطت الكنيسة اليهودية – المسيحية المتمرسة بالطقوس صيغة جديدة لها بحيث "فرض نص متى ذاته على الكنيسة جمعاء، لكونه الاكثر زخرفة"، على حد تعبير جرمياس.

- اما بشأن المضمون المشترك بين النصين، فان التحليل اللغوي الذي يقوم به جرمياس يلقي ضوءا على مسألة النص الأصلي. وتتمحور اكتشافاته حول بعض الاختلافات الصغيرة في القسم الثاني من الصلاة الربية، في ما يتعلّق بالخبز الكفاف واعفاء الدَين. وقد تكون هذه الاكتشافات مؤشرات على قدم صيغة متى:

– **الخبز الكفاف:** في صيغة متى "ارزقنا اليوم خبزنا كفافا (للغد)" يذهب التركيز إلى التضاد "غداً/ اليوم"، في حين ان صيغة لوقا "ارزقنا كل يوم خبزنا كفافاً" تجعل "اليوم" يمتد إلى "كل يوم"، بحيث يبدو ان التضاد "غداً/اليوم" قد ازيل لصالح توسّع في طلب الخبز لكل يوم!

– **اعفاء الدَين:** يأتي موضوع الغفران بحسب متى في صيغة "أعفُ لنا ما علينا"، بينما يأتي في صيغة لوقا: "اغفر لنا خطايانا"! ففيما يترجم متى حرفيا لفظة "حوبا" الارامية (ومعناها:"دَين" وتدل على الخطيئة) بعبارة " أعف لنا ما علينا"، يستبدل لوقا – خدمة للناطقين باليونانية – لفظة " حوبا" (وهي لا تستعمل باليونانية بمعنى الخطيئة) بكلمة

"خطيئة" ويترجمها: "اغفر (أوأعفُ) لنا خطايانا"، ويعود في الشطر الثاني فيترجم بعبارة توحي بوجود " الدَين" في الاصل: "فاننا نعفو لمن لنا عليه"[٤٧].

ويختم الاستاذ جرمياس تحليله بتقريب التأليفين للصلاة الربية فيقول: "ان نسخة لوقا قد حفظت لنا الفحوى القديم نظراً الى الطول، بيد ان نص متى هو اقرب إلى الاصل في صياغته للقسم المشترك"[٤٨]... ولقد حاول ان يثبت صيغة للصلاة الربية يُحتمل ان يكون يسوع قد تلاها بلغته الارامية[٤٩]:

١- آبّا (ايها الآب)

٢- يتقدّش شماخ
(لِيُقدَّس اسمُك)
تيثي ملكوتاخ
(ليأت ملكوتك)

٣- لحمان ذلِمحار
(خبزنا للغد)
هب لان يَومَا دين
(أعطنا هذا اليوم)

٤- وشبوق لآن حَوبَينان
(واغفر لنا ذنوبنا)
[ديوننا]
كد شبَقنَن لحيّابينان
(كما غفرنا للمذنبين الينا)
[للمدينين إلينا]

٥- ولا تَعلّينَن لِنسيون
(ولا تدخلنا في التجربة)

وبعد أن أوصلنا البحث في صيغتي الصلاة الربية بحسب متى ولوقا إلى صيغة موحّدة تستند إلى نص لوقا القصير -مع بعض الاختلافات في صياغة التعابير بحسب متى- يجدر بنا ان نتوقف قليلاً عند فحواها العميق، فلا نعود ازاء صيغة نتلوها، وانما ازاء نموذج لما ينبغي ان تتضمنه كل صلاة نرفعها إلى الله حين نجسر ان ندعوه " آبّا" (بابا) على مثال يسوع[٥٠].

---

[٤٧] إذا كان هذا الشطر الثاني، بحسب لوقا: حرفيا "لاننا نغفر لمن أساء الينا"، فلقد جاء بحسب متى في صيغة الماضي: "كما عفونا نحن لغيرنا ما لنا عليه"، مما يحمل على الاعتقاد، خطأً، بأن غفراننا يسبق غفران الله، إن لم نقل بانه نموذج له!! وهنا يوضح جرمياس: "ان الصيغة الارامية الضمنية للماضي التي يستخدمها متى، هي صيغة الحاضر التام وتدل على فعل يتم في اللحظة ذاتها، بحيث تصبح الترجمة الصحيحة لعبارة متى: ونحن، فيما نتلفظ بهذه الكلمات نعفو لمن لنا عليهم! اما لوقا، فلقد بدّد الالتباس باستخدام فعل "غفر" بصيغة الحاضر: "لاننا نحن ايضا نغفر لمن أساء الينا" - وصيغة المفرد "اساء" هي بمثابة دعوة إلى ألا نستثني احداً من غفراننا!

[٤٨] اقوال يسوع / ص ٨٨.

[٤٩] أنظر النص بالارامية وبالحرف الكلداني كما حاول صياغته بعض كبار المختصين انطلاقا من نص لوقا: دالمان (١٩٠٢) وشوارز (١٩٨٥) من جهة، وجرمياس (١٩٤٥) وغريلو (١٩٨٤) من جهة اخرى (انظر: مرقس على لسان يسوع /ص ٤٣).

[٥٠] إقرأ الفصل عن الصلاة (ص ٤٧-٦٠) في كتاب "دراسة في الانجيل كما رواه لوقا" للأب اوغسطينس جورج/ سلسلة دراسات/ رقم ١٥ -وسنستشهد به.

فيسوع لم يعلّم صيغة واحدة للصلاة، وانما علّم خطّاً في الصلاة رسم فيه الملامح التي يجب ان تتسم به الصلاة، كل صلاة... وهكذا نجدنا بازاء اربعة محاور اساسية:

أ. النداء "أبّا" – ايها الآب الحبيب

ب. الامنيتان المتوازيتان: ليُقدَّس اسمك، ليأت ملكوتك

جـ. الالتماسان المتوازيان: ارزقنا اليوم خبزنا للغد،واعفنا كما نحن ايضا نعفو للمدينين الينا

د. الالتماس الاخير (طلب الحماية): ولا تدَعنا نسقط في التجربة

ويلفت جرمياس انتباهنا إلى ملاحظة قد تبدو ثانوية: بينما تتجاور الامنيتان، نرى الالتماسات الثلاثة الاخيرة مقترنة بـ "واو العطف"، مما يشير للحال إلى اختلاف في مستوى الطلبات!

أ– النداء: "ابّا"، ايها الاب الحبيب

إذا كان الله قد دُعي "أباً" في ١٤ آية من العهد القديم، إلا انه لم يجسر احدٌ قط أن نادى الله بلفظة الالفة الحميمة" أبّا" (بابا) التي ينادي بها الطفل أباه! وذلك ما فعله يسوع دوماً في صلواته التي رجّع الانجيليون صداها –وقد ترجموها لنا إلى اليونانية بعبارة "ايها الآب" او "ابتاه"، او "يا ابتِ"! ولعل لوقا الانجيلي كان اكثر من اصدى لصلاة يسوع ولمناداته الله بعبارة " أبّا"[٥١].

وتجدر الاشارة إلى ان مناداة يسوع "الطفولية" للآب هي، على حد تعبير جرمياس، "بمثابة التعبير عن معرفة الله الفريدة التي منحه اياها الآب، وبمثابة التعبير عن سلطاته الكاملة لكونه الابن. فإن لفظة "أبّا" هذه هي التعبير النهائي عن سر رسالته"[٥٢]. وسيكون بوسع يسوع –"وقد نال من الآب ملء معرفة الله"– ان يمنح تلاميذه وكل اتباعه الحق في مناداة الله، بدالّة، على مثاله، بلفظة " ابّا"، مشركا اياهم في بنوّته الالهية وفي القدرة على التحدث إلى الله بثقة الاطفال ودالّتهم وبساطتهم، من دون كلفة أو تصنّع[٥٣]. وفي هذا الاطار نفهم ما يقوله القديس بولس حين كتب إلى اهل روما: "لم تتلقوا روح عبودية لتعودوا إلى الخوف، بل روح تبنّ به ننادي [أبّا]، يا ابتِ" (روم ٨: ١٥؛ انظر غلا ٤: ٦).

---

[٥١] صلاة الشكر البنوية على كون الله اخفى اسراره عن الحكماء وكشفها للصغار (١١: ٢٥)، صلاته في بستان الزيتون(٢٢: ٤٢)، صلاته من أجل صالبيه ٢٣: ٣٤، مناداته وتسليم روحه بين يدي الآب (٢٣: ٤٦)...

[٥٢] اقوال يسوع / ص ٩٧.

[٥٣] يحمل نص الصلاة الربية بحسب متى لفظة " ابانا" مضافاً إليها " الذي في السموات"، وهذه العبارة، خلافا لمرقس ولوقا، ترد كثيرا في انجيل متى: كونها تعكس ايمان الجماعة اليهودية المتنصرة با لله الذي هو" أب" قريب إلى ابنائه، وفي الوقت ذاته هو "في السماء" فوق متناول ايدينا!

ب– الامنيتان المتوازيتان:
ليُقدَّسْ إسمُك، لِيأتِ ملكوتُك

هاتان الامنيتان تمثلان وجهين لما ينبغي على الابن ان يقوله لأبيه السماوي، ولهما مضمون متكامل: فـأنْ يُقدَّس اسم الله.. فذلك يُفضي إلى القول بان يمجّده البشر ويسبحوه، ويطلبوا إليه ان يوطّد ملكه عليهم، ويحقق فيهم مواعيده الخلاصية... فحين

نقول: "ليُقدَّس اسم الله"، فإنما نتمنى على الله، على حد تعبير اوغسطينس جورج، أن يُظهر مجده بتطهير شعبه وتقديسه، ونطلب اليه أن يكشف عن ذاته إلهاً مخلّصاً... ولكَم يصح ذلك حين ندعو كي "يأتي ملكوته" بين البشر...

ويكشف الاستاذ جرمياس عن قربى ادبية بين الامنيتين وبين صلاة "قدّيش" الارامية القديمة التي كانت تُختَم بها الصلاة في المجمع، وكانت صيغتها القديمة تتضمن هذه العبارات:

"ليتمجد ويتقدس اسمه العظيم
في العالم الذي خلقه بحسب مرضاته.
لينصر ملكوته
في حياتك وفي كل ايامك
وفي حياة كل الشعب
سريعا وفي وقت قريب
وقل: آمين".

فمن خلال اوجه الشبه بين الصلاة الربية وصلاة "قدّيش"، يتضح أن ما يتوخّاه المؤمن في صلاته هو اعتلان ملك الله في آخر الازمنة. فكما يُرافق الاكرام والتبجيل حفل التنصيب لملك أرضي-على حد تشبيه جرمياس- هكذا ستكون الحال بالنسبة إلى مجيء الرب: فالناس سيستقبلونه ويؤدون له الاكرام الواجب بتقديس اسمه: "قدوس قدوس قدوس، الرب الاله القدير الذي كان وهو كائن وسيأتي"(رؤ ٤: ٨).. وسينطرح من ثم الكون كله على قدَمَي ملك الملوك:" نحمدك ايها الرب الاله القدير الذي هو كائن وكان، لانك أعمَلتَ قوَّتك العظيمة وملكت..." (رؤ ١١: ١٧).

إن الطلب الذي يُلحقه متى بالامنيتين (ليكن ما تشاء، في الارض كما في السماء) لا يضيف شيئا إلى الجوهر.. مما يحمل جرمياس على القول بأن الامنيتين"تستدعيان اذن الاكتمال النهائي، الساعة التي فيها سيُمجَّد اسم الله المُهان والمدنّس، ويعتلن ملكه حسب ما كان موعوداً به: فاقدّس اسمي العظيم الذي دُنّس في الامم... (حز ٣٦: ٢٣)". وهكذا يتضح،على حد تعبير اوغسطينس جورج، بان "الطلبات الثلاث الاولى تطالب، في آن واحد، بمجد الله وخلاص البشر. فنحن هنا امام قُطبَي حياة يسوع وحياتنا كلها، وصلاة يسوع وصلاتنا كلها، وعمل يسوع وعملنا كُلِّه.. إذ لا يمكن الفصل بين الأفقي والعمودي: فلا مجد لله إلا في خلاص البشر، ولا خلاص للبشر إلا في مجد الله".

هذه الامنيات هي صرخة من عمق البؤس يرفعها تلاميذ المسيح من اجل اعتلان مجد الله: "فان الجماعة التي تصلي مع [قديش] من اجل الاكتمال، تتحرك في ظلمة

العالم الحاضر. اما تلك التي تصلي بكلمات الصلاة الربية ذاتها، فهي تعلم ان المنعطف الكبير قد أُتخذ: فلقد بدأ الله عمل نعمته وخلاصه. وليس عليها من ثم سوى ان تطلب الاعتلان الكامل لما نالته"[٥٤].

ج- الالتماسان المتوازيان: الخبز والغفران

■ **خبزنا للغد اعطنا إياه اليوم**

يتكوّن الالتماسان، بخلاف الامنيتين، من جزئين، تقوم بين مضمونهما صلة وثيقة، ويشكلان العنصر الجديد الذي اضافه يسوع إلى طلبات "قدّيش"، فيحتلاّن من ثم مكانة القلب من الصلاة الربية. فالالتماس الاول هو في اتجاه الخبز اليومي.. إلا ان الاستاذ جرمياس، استناداً إلى شهادة القديس هيرونيمس، يشير إلى أن لفظة [اليومي] كانت في الاصل الارامي تتضمن معنى [الغد] بحيث كان مضمون الالتماس، على لسان المسيحيين الناطقين بالارامية: "خبزنا للغد أعطنا اياه اليوم"! وان لفظة [الغد] كانت تدل في المفهوم اليهودي "ليس على اليوم التالي حسب، بل أيضاً على الغد الكبير والاكتمال النهائي"... ذلك بان [خبز الغد] فُسّر في الكنيسة الاولى" بمعنى خبز زمن الخلاص، خبز الحياة والمن السماوي"[٥٥].

وإذا خُيّل للكثيرين بان هذا التفسير الفريد ينزع عن الصلاة الربية الطلب الوحيد الذي كان من مستوى الواقع اليومي، أي الخبز الكفاف، فان الاستاذ جرمياس يطمئنهم بأن لا اثر للتضاد في فكر يسوع بين خبز الارض وخبز السماء، طالما أن "خبز الحياة" ينطوي على أبعاد عميقة في اطار مفهوم "ملكوت الله"، حيث يتخذ كل شيء في الحياة معنى جديداً. ومن هنا كان الخبز الذي اقتسمه يسوع مع الخطأة: خبز كل الايام.. وفي الوقت ذاته علامة ورمزاً لخبز الحياة! كما تضمنت كل وجبة طعام اقتسمها يسوع مع تلاميذه بُعداً أواخرياً، طالما انها كانت استباقاً للوليمة المسيحانية، وليمة الخلاص! وهكذا كان "العشاء الاخير"، بأولى حجة، فرصة ليسوع كي يعطي، عبر علامة الخبز، جسده المبذول للموت من أجل حياة الكثيرين.. كما كان اجتماع المسيحيين الاولين اشتراكاً في "عشاء الرب" واستباق الجلوس إلى مائدة ملكوت الله... ففي هذا الاطار يتخذ "خبز الغد" معنى يشمل كل شيء في الحياة "من دون ان يقطع ملكوت الله عن الحياة الارضية": انه يتضمن خبز كل يوم، من دون الاكتفاء به!

ان هذا الادراك العميق لمعنى الخبز يعطي للتضاد "غداً/اليوم" كل قيمته، حيث يذهب التركيز كله إلى "هذا اليوم"! ويخلص جرمياس قائلاً: "ففي عالم منفي عن الله،

---

[٥٤] اقوال يسوع / ص ١٠١- ١٠٢.

[٥٥] المصدر ذاته/ ص ١٠٤.

عالم الجوع والعطش، بوسع تلاميذ يسوع ان يتجاسروا ويقولوا هذا [اليوم]: منذ الآن، منذ هذه الارض، منذ اليوم، اعطنا خبز الحياة"![٥٦]

■ **واغْفُ... كما نحن نعفو**

اما الالتماس الثاني بشأن الغفران، غفران الله وغفراننا، فهو الآخر يأتي في اطار الدينونة الاخيرة حيث يتجلى مجد الله عبر الغفران المجاني الذي يحظى به المؤمنون. إلا ان الجديد في هذا الالتماس هو ان تلاميذ يسوع لا يطلبونه لساعة الدينونة حسب، وانما يطلبونه منذ اليوم، ليقينهم بأن زمن الخلاص قد أتى بيسوع القائم من بين الاموات. أليست القيامة افتتاحاً لزمن الغفران هذا؟: "كتب ان المسيح يتألم ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث، وتُعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الامم..." (لو ٢٤: ٤٦-٤٧).

ويتضمن هذا الالتماس وجهين، حيث نجد صلة وثيقة بين غفران الله لنا وغفراننا نحن لاخوتنا، مما يشكل الشيء الفريد في الصلاة الربية: "ذلك لأن من يطلب الغفران من الله ويناله، يجب ان يكون هو نفسه على استعداد للمغفرة. ففي هذا الاطار المشترك للغفران نفهم هذا الالتماس -كما جاء اعلاه-، في صيغته الارامية، على الشكل التالي: "وأعفُ لنا ما علينا، كما نحن ايضاً الآن، إذ نتلفظ بهذه الكلمات، نعفو لمن لنا عليهم". ذلك لانه لا يمكننا البتة، ان نطلب غفران الله ونحصل عليه، ما لم نكن مستعدين للصفح عن كل الذين لنا عليهم "دَين" (انظر مر ١١: ٢٥؛ متى ٥: ٢٣...)، أي: إذا كنا على اهبة للصفح عن اخوتنا، يكون بوسعنا ان نتلقى من الله الغفران.. وكأننا نقول، بتعبير جرمياس: " اننا ننتمي إلى العهد المشيحي، عهد الرحمة. فالغفران الذي ننالـه، نحن مستعدون ان نمنحه.. فوزّع علينا، ايها الآب الحبيب، غفرانك الذي هو نعمة زمن الخلاص، منذ الآن، منذ اليوم، ومنذ هذه الدنيا"[٥٧]. ويخلص جرمياس إلى القول بان هذين الالتماسين (الخبز والغفران) يتخذان كل ابعادهما في منظور الاكتمال النهائي، بحيث يبدوان "تأوينا" للامنيات: "فالامنيات كانت تستدعي كشف مجد الله، واما الطلبات فتتجاسر وترغم، بالصلاة، على تحقيق هذا الاكتمال، منذ الآن، منذ هذه الدنيا"[٥٨].

---

[٥٦] أقوال يسوع/ ص ١٠٧.

[٥٧] المصدر ذاته/ ص ١٠٩.

[٥٨] المصدر ذاته/ ص ١١٠.

د- الالتماس الاخير: ولا تَدَعنا نسقط في التجربة

ها نحن ازاء التماس هو بمثابة طلب الحماية، وقد جاء -بخلاف الامنيات والالتماسات المتوازية- وحيداً، معزولاً، يحمل سمة السلبية: لا تعرّضنا للتجربة.. وسيردفه متى بعبارة توضيحية: بل نجّنا من الشرير!

يلفت جرمياس الانتباه إلى ان النص اليوناني هو حرفياً: "ولا تقدنا إلى التجربة"! -ولا يمكن لله ان يجرّبنا، كما جاء في رسالة يعقوب (١: ١٣)!- ولن نفهم معنى الفعل " قاد" المنسوب إلى الله، إلا بالرجوع إلى صلاة المساء اليهودية القديمة:

"لا تقد رجليّ إلى سلطان الخطيئة
ولا تجرّني إلى سلطان الهفوة
ولا إلى سلطان التجربة
ولا إلى سلطان العمل المشين".

وهكذا يتضح ان عبارة "لا تقد" تعني: "لا تسمح"، اذا ما تعرّضنا للتجربة، أن نقع في فخاخها! وهكذا يُصبح الالتماس الاخير من الصلاة الربية بمثابة طلب الحماية وقت التجربة، وليس تجنّبها! ذلك لأن التجربة اختبار يمرّ به كل مؤمن، ولكنه يتوسّل إلى الله كي يسنده ابان التجربة ليقوى على التغلب عليها...

وبالتالي يذهب الاستاذ جرمياس في تحليله إلى القول بان المقصود بالتجربة، هي تلك التجربة الاخيرة الكبرى التي ستمرّ على العالم حين يتعرّض تلاميذ المسيح للغربلة من قبل الانبياء الكذبة، وحين تصبح تجربة الجحود خطراً يهدد ايمانهم... ويخلص إلى القول: "فالطلب الاخير للصلاة الربية يتوخى القول، إذن: يارب احفظنا من الجحود! هكذا فهمها تقليد متى.. لذا فهو يضيف: [بل نجنا من الشرير] بغية التماس الخلاص النهائي من القوة الشريرة التي تسعى إلى زجّ الانسان في الهلاك الابدي"[٥٩].

اما بشأن الحمدلة "لأن لك الملك والقوة والمجد" التي لم ترد لا في انجيل لوقا ولا في انجيل متى، بحسب اقدم المخطوطات -وقد وردت للمرة الاولى في الديداكي بصفتي "القدرة والمجد"- فيقول الاستاذ جرمياس بانه لا يعقل ان تنتهي الصلاة الربية بكلمة (التجربة)، وانه "كان من الشائع في الديانة اليهودية انهاء العديد من الصلوات (بختم) أي بتمجيد مقتضب يُترك لمبادرة المصلي الحرة -وتلك كانت ولا شك نية يسوع بشأن الصلاة الربية "[٦٠]

---

[٥٩] المصدر ذاته/ص ١١٣.

[٦٠] المصدر ذاته/ ص ١١٤.

الفصل السادس

مداخل الى أسفار العهد الجديد

الفصل السادس

اولاً: مدخل عام الى الأسفار

ثانياً: قراءة في رسائل بولس

١-رجاء ملكوت الله
(١ و ٢ تس)

٢-الخلاص بيسوع المسيح في الكنيسة
(١ و ٢ قور، غلا، روم، فل)

٣- يسوع المسيح سيد العالم
(قول، أف، ف)

٤- الوصايا الاخيرة
(١ و ٢ طيم، طي)

ثالثاً: الرسالة الى العبرانيين والرسائل العامة

(عب، ١ و ٢ بط، يع، يهو)

رابعاً: قراءة في بشارة الإنجيليين

١- الاناجيل الازائية
أ. الانجيل كما رواه مرقس
ب. الانجيل كما رواه متى
ج. مؤلف لوقا بجزئين

٢- المؤلفات اليوحنانية
(إنجيل، ١ و ٢ و ٣ يو، رؤيا)

الاطارات

٤٢)نص العهد الجديد
٤٣)قانون العهد الجديد
٤٤)محطات في حياة القديس بولس
٤٥)هيكلية رسائل القديس بولس

مداخل الى أسفار العهد الجديد

وكان لابد لقراءتنا المجدّدة للأناجيل أن تمتد الى سائر اسفار العهد الجديد، وهي بمثابة "انجيل" طالما أنها كلها تحمل بشرى يسوع، سواء كانت شبه "تقرير" عن مسيرة الكنيسة الناشئة، ام اتخذت طابع "رسالة"موجهة، ام كانت في صيغة عظة او ارشاد او رؤيا... لذا كانت هذه المداخل!

فبعد مدخل عام يوضح مكانة هذه الاسفار في "العهد الجديد" -وقد قطعت "قانونيتها" ردحاً من الزمن قبل ان تستقرا-، نجدنا في جولة مكثفة اعتمدنا خلالها التسلسل الزمني لظهورها، وسعينا الى رسم خطوطها العريضة ولفت الانتباه الى مواضيعها الرئيسة.

واولى الكتابات المسيحية كانت رسائل القديس بولس التي توزعت على اربعة محاور: رجاء ملكوت الله، وقد تناولته الرسالتان الى اهل تسالونيقي. الخلاص بيسوع المسيح، وهو محور الرسالتين الى قورنتس والرسائل الى غلاطية وروما وفيلبي. وفيما بدا يسوع سيداً للعالم في الرسائل الى قولسي وافسس وفيلمون، تبدو الرسالتان الى طيموتاوس والرسالة الى طيطس بمثابة الوصايا الأخيرة.

وفيما نتناول على حدا الرسالة الى العبرانيين -وهي عظة لكاتب مجهول- والرسائل العامة الاربع (رسالتا بطرس، رسالة يعقوب، رسالة يهوذا)، ننكب على قراءة مركّزة في بشارة الانجيليين: فنبدأ بقراءة في الاناجيل الازائية كما رواها كل من مرقس ومتى ولوقا -وهو صاحب المؤلّف ذي الجزئين، وقد اصدرنا لزمن يسوع وزمن الكنيسة-، لنخلص الى قراءة ما درجت تسميته بـ "المؤلفات اليوحنانية"، بدءً بالانجيل بحسب يوحنا، مروراً بالرسائل الثلاث وانتهاءً بسفر الرؤيا - وهو كتاب الرجاء الذي يسند مسيرة كنيسة مضطَهَدة، ويَعِدُها بالنصر النهائي مع المسيح الظافر.

مدخل

تناولنا في الفصل الثالث مراحل تكوين العهد الجديد.. ولكننا في الواقع لم نتناول بالبحث سوى مراحل تكوين الاناجيل! وبقينا نشير ونلمّح الى ان اولى الكتابات المسيحية كانت رسائل القديس بولس... كما اننا كثيراً ما اعتمدنا سفر "اعمال الرسل" بمثابة دليل للدخول الى بيئة العهد الجديد، ولَكَم مدّنا بالعون لمواكبة مسيرة الكنيسة الناشئة، من اورشليم، مروراً بالسامرة، والى أقاصي الارض! ولَكَم طغت شخصية القديس بولس، رسول الامم، الذي احتلّ مسرح الاحداث وعلى امتداد فصول من سفر الاعمال..!

وكان لا بد ان تستقطب الاناجيل إهتمامنا لما احتوته من بلاغات أساسية تخدم ايماننا بالمسيح وتوطّده على اسس راسخة... ولذا انكببنا على البحث في المراحل التي سبقت فترة تدوينها، وهي المراحل ذاتها التي سبقت كتابة الرسائل البولسية والرسائل الاخرى التي سبق بعضها تدوين الاناجيل! ذلك لأن البيئات الثلاث (الاعلانية والليتورجية والتعليمية) -وهي الخلفية التي تبلورت فيها بشرى الانجيل، وتمّ خلالها الانتقال من مرحلة التقاليد الشفهية الى الاناجيل المكتوبة- كانت هي ذاتها الاطار لظهور رسائل هي أشبه بأناجيل، طالما انها هي الاخرى تعلن بشرى يسوع وتتوسع في انعكاساتها ومتطلباتها، ولا سيما بعد أن أخذت الجماعات المسيحية الاولى تسعى الى عيشها في الواقع اليومي.

وإذا كنا في الفصل الرابع قد انكببنا على الانجيل بصفته فناً أدبياً متميزاً، وانكببنا من ثم على الفنون الادبية المختلفة في الاناجيل، فذلك لأننا لمسنا حاجة القراء الى ان تكون لهم ألفة عميقة مع الاساليب الادبية التي استخدمها الانجيليون في إبلاغ بشرى يسوع[1].. بينما تنتمي رسائل القديس بولس وغيرها من الرسائل -ما خلا الرسالة الى العبرانيين وسفر الرؤيا- الى اسلوب واحد مألوف هو اسلوب "الرسالة"! وغني عن القول ان للرسائل مضموناً لاهوتياً عميقاً، الى جانب طابع الوعظ والارشاد، باتجاه سلوكية مسيحية تنطلق من وحي الايمان ومتطلباته الملحّة... وهكذا نجدنا مع "الرسائل"، سواء كانت رسائل بولس ام "رسائل عامة"، بإزاء إرث مسيحي دسم هو نتاج من والى الجماعات المسيحية التي في كنفها تحولت البشرى الانجيلية الى حياة معاشة! انها بالتالي "انجيل" كالاناجيل.. لا بل هي شهادة ايمان مُلزمة!

---

[1] من هنا كانت الفائدة التي توخيناها من دراسة عدد من النصوص الانجيلية، سواء في نطاق الفصل الرابع (ونخص بالذكر انجيل الطفولة) ام في نطاق الفصل الخامس الذي تناولنا فيه المسألة الازائية وانكببنا على تحليل مجموعة فريدة من النصوص، بدءً بمعجزة تسكين العاصفة وانتهاءً بالصلاة الربية، مروراً بمثلين (الكرامين القتلة والوزنات /الامناء)، فضلاً عن رواية تأسيس الافخارستيا والتطويبات.

اولاً: مدخل عام الى الاسفار

في مسيرتنا نحو اكتشاف اسفار العهد الجديد -وقد منحنا الاناجيل الاولوية في اهتمامنا- يطيب لنا ان نقول بأننا، بقصد ام بغير قصد (!)، قد سرنا على منوال الكنيسة الناشئة التي أولت، في بدء مسيرتها، مكانة للأناجيل تفوق سمواً سائر "مؤلفات الرسل" التي كانت في منزلة ثانية، وفي مقدمتها ولا شك "رسائل بولس". وكان ينبغي ان تمضي فترة من الزمن قبل ان تتخذ هذه "المؤلفات" أهمية ايمانية، وتُحصَى من ثم في مجموعة الاسفار التي ستكوّن نصوص "العهد الجديد". ولا شك ان أول سؤال يتبادر الى الذهن هو كيف وصلتنا هذه النصوص مجتازة قرابة الفي عام؟ (**انظر الاطار ٤٢: نص العهد الجديد**).

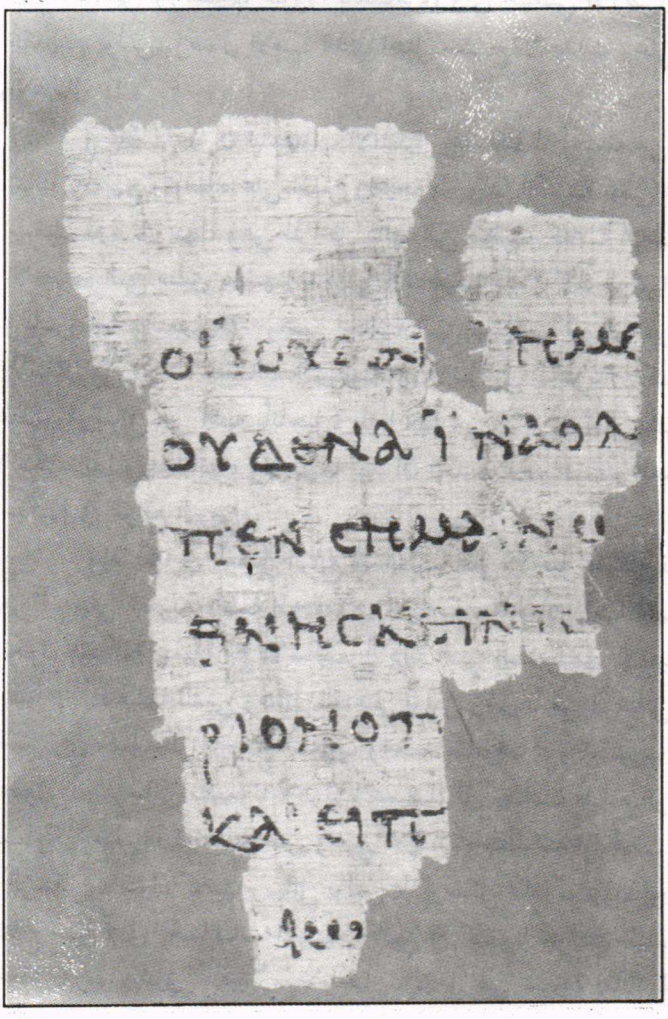

أقدم بردية من مخطوطة لإنجيل يوحنا باليونانية ترقى الى أوائل القرن ٢، اكتشفت في نجع حمادي بمصر ونشرت عام ١٩٣٥ -الآيات ٣١-٣٣ (وجه) من الفصل ١٨: "... اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحداً...".

الا ان هناك سؤالاً آخر يفرض نفسه: كيف اصبحت اسفار العهد الجديد (اناجيل ورسائل...) "ملحقاً" بالاسفار المقدسة المعتمدة والتي اطلق عليها المسيحيون من

نص العهد الجديد

كيف نطمئن الى مصداقية نص العهد الجديد وسلامته من التحريف او التشويه، وقد مضت قرابة ألفي عام على كتابته؟ وفي غياب النسخة الاصلية لأسفار العهد الجديد، رسائل كانت أم اناجيل، كيف نثق بأن النصوص التي بين ايدينا هي مطابقة لما كانت عليه في زمن كتابتها أو بعده بقليل؟

من الجدير بالذكر أولاً ان كل اسفار العهد الجديد كتبت أصلاً باليونانية الشائعة، وعلى رقوق لم يصلنا منها سوى قصاصات لمخطوطات يَرقى أقدمها الى منتصف القرن ٢! وعوض ان نستغرب، علينا ان نقف معجبين، ولا سيما حين نعلم بأن عدداً كبيراً من الكتّاب والمؤرخين والفلاسفة من الزمن الغابر لم تصلنا كتاباتهم الا عبر نسخ من مخطوطات تفصلها عن وفاتهم مئات السنين!! بينما نملك قصاصة لانجيل يوحنا ترقى الى أقل من ٥٠ عاماً بعد كتابته!

كما يجب ان نعرف ايضا بأن من بين أكثر من ٥٠٠٠ مخطوطة متفاوتة في القِدم وصلتنا عن اسفار العهد الجديد، هناك مخطوطات تحمل ترجمات لاتينية وسريانية وقبطية وأرمنية...- وكلها أسهمت في ضبط النصوص التي بين أيدينا! وتلك كانت مهمة نقد النصوص التي تجند لها علماء التفسير طيلة القرون، حتى استقر النص في أحسن حالة له، وبالصيغة الاكثر قرباً من النص الاصلي...

وانطلاقاً من مصادر عديدة اعتمدناها، ندرج لائحة مقتضبة بأقدم مخطوطات العهد الجديد، بعضها على البردي(من ليف الشجر) وبعضها على الرق (من جلد خروف او غزال...).

١- بردي "ريلاندس ٤٥٧": اكتشف في نجع حمادي (مصر) ونشر عام ١٩٣٥، ويرجع تاريخه الى الاعوام ١٣٠-١٥٠ ويحتوي على الآيات ٣١-٣٣ (وجه) والآيات ٣٧-٣٨ (ظهر) من الفصل ١٨ من انجيل يوحنا! وهذا المقطع هو الى حد الآن أقدم نص لدينا من العهد الجديد، ويدل على كون انجيل يوحنا كان قد انتشر في مصر بعد بضع سنوات فقط من كتابته!

٢- برديات "مجموعة شستربيتي": ترقى الى القرن ٣ وتضم مخطوطة اولى تحتوي على ثلث الاناجيل الاربعة وسفر اعمال الرسل، ومخطوطة ثانية تحتوي على تسع رسائل لبولس، ومخطوطة ثالثة تحتوي على ثمانية فصول من سفر الرؤيا.

٣- برديات "مجموعة بودمر": وترقى أقدم مخطوطاتها الى حوالي العام ٢٠٠ وتحتوي على انجيل يوحنا كاملاً تقريباً، فضلاً عن مخطوطة من القرن ٣ تحتوي على ٣/٢ من انجيلي لوقا ويوحنا. الى جانب مخطوطة من اوائل القرن ٤ تحتوي على رسالة يهوذا ورسالتي يوحنا الاولى والثانية، وكلها بحالة جيدة.

٤- مخطوطات القرن ٤ و ٥: وانطلقت حركة عارمة في عالم المخطوطات في أعقاب الاعتراف الرسمي بالديانة المسيحية عام ٣١٣ (مرسوم ميلانو)... ولدينا حالياً مخطوطتان ثمينتان جداً:" الفاتيكانية" (القرن ٤- محفوظة في المكتبة الفاتيكانية) وتحتوي على العهدين القديم والجديد -وقد أصابها تلف ونقص في بعض الاسفار (تكوين، مزامير، عبرانيين، الرسائل الراعوية، الرؤيا)-، والمخطوطة "السينائية" (منتصف القرن ٤ - محفوظة في المتحف البريطاني)، وهي أحدث بقليل، ولكنها تحتوي على العهد الجديد كاملاً وعلى معظم أسفار العهد القديم. ويأتي من حيث الاهمية والقدم: المجلد "الاسكندري" ومجلد "افرام" ومجلد "بيزا" (وكلها من القرن ٥)... والاختلافات طفيفة في ما بين كل هذه المخطوطات، وفي قراءات ثانوية لا تمس الجوهر!

وتجدر الاشارة الى ان محاولات لمعالجة الاختلاف بين المخطوطات كانت قد بدأت منذ أواخر القرن ٢، فأسفرت عن "التحقيق الانطاكي او السوري" من جهة، وعن "التحقيق الاسكندري او المصري" من جهة ثانية، وعلى أساسها تمت أولى الترجمات الى اللاتينية بين الاعوام ١٦٠- ١٨٠، ومن ثم الى السريانية والقبطية... كما قام، مع مطلع القرن الخامس، تحقيق جديد عمّ الكنائس الناطقة باليونانية، والذي على أساسه تمت بعض الترجمات القديمة -ويسمى خطأ النص "الغربي"! كما تم توحيد نص الترجمات: فكانت

الترجمة اللاتينية "الفولكاتا" (الشائعة) على يد القديس هيرونيمس (وللعهدين القديم والجديد) بين الاعوام ٣٨٤- ٣٩٥. وتبعتها الترجمة السريانية "الفشيطتا" (البسيطة)، والترجمة الارمنية...

وبعد اختراع الطباعة وظهور أول طبعة للكتاب المقدس باللاتينية عام ١٤٥٥ بهمة ج. كوتنبرغ، نشر ايراسموس، وفي عام ١٥١٦ بالتحديد، ترجمته انطلاقاً من ست مخطوطات فقط -وهي التي كانت تعتمدها الطبعات البروتستنتية حتى عهد قريب. وفي عام ١٥٢٢ صدرت، على اساس رصين، الترجمة "المتعددة اللغات" (وتدعى "القلعة" وتسمى ايضاً باسم الكردينال كسيمينس)، وعمد صاحب المطبعة روبير استيان الى طباعتها عام ١٥٥١ بعد مراجعتها على ضوء طبعة ايراسموس الذي كان، إذن، اول من أصدر طبعة للعهد الجديد وفقاً لمخطوطات ترقى الى القرن الخامس. ومنذئذ توالت الطبعات في القرنين ١٧ و ١٨، مشيرة الى قراءات مختلفة استجدت بفضل الاكتشاف التدريجي للمخطوطات...

ومع القرن ١٩، وبفضل علماء بتحقيق ونقد النصوص، وفي اعقاب اكتشاف المخطوطتين الشهيرتين الفاتيكانية والسينائية (وكان تيشيندورف قد نشر الفاتيكانية قبل ان يكتشف المخطوطة السينائية عام ١٨٤٤ في دير القديسة كاترينة في صحراء سيناء)، بدأ التخلي عن النص الموحّد الذي كان يعتمد مخطوطات ترقى الى القرن الخامس فقط، فكان في النصف الثاني من القرن ١٩ التحقيق في نص يوناني مجدد بهمة تيشيندورف ووايس وستكوت هورث -ومن اشهر الطبعات واكثرها انتشاراً طبعة نستلي آلاند. وما زالت الترجمات الجديدة باللغات الحديثة تعتمد اساساً هاتين المخطوطتين. فضلاً عن المقارنة مع سائر المخطوطات التي تحمل النص اليوناني او ترجمات عنه.

ثم عبارة "العهد القديم"؟! -ولا يخفى ما ينطوي على هذا التعبير من خطأ (!) طالما أن هناك "عهداً" [٢] واحداً أبرمه "يهوه" مع بني اسرائيل، وقد أتمّه "في ملء الزمن" بيسوع المسيح، هذا "الابن" الذي كلّمنا به الله في آخر الايام، بعد ان كلّم الآباء قديماً بالانبياء... (غلا ٤: ٤؛ عب ١: ١).

إن الكنيسة الناشئة ما انفكت ترجع الى الاسفار المقدسة (تنخ) لتفسّر حدث يسوع.. ولكنها **سرعان ما أخذت تجد في "الرب" مصدر الهام اساسي لايمانها وحياتها وسلوكها**. وهي تقصد بعبارة "الرب" كل ما كانت الجماعات المسيحية تتداوله من التعاليم التي جاء بها يسوع، وتتناقله عبر الكرازة الشفهية اولاً، وعبر اولى محاولات التدوين من ثم، كما اسلفنا... ولنا شاهد على استناد القديس بولس في رسائله الى "اقوال الرب"،حين كتب بشأن ضرورة عيش المبشر من البشارة:"هكذا قضى الرب..." (١قور ٩: ١٤)، أو حين تناول قضية المتزوجين واستحالة الفراق بينهم، في الرسالة ذاتها (٧: ١٠)، أو لدى حديثه عن عشاء الرب حين كتب للقورنثيين مسلّما ما

---

[٢] تدل لفظة "عهد" (الحقوقية) اولاً على العهد المبرم مع ابراهيم (خر ٦: ٤؛ تك ١٧: ٧) والذي أخذ أبعاده مع عهد سيناء (خر ١٩-٢٠) حين اختص "يهوه" بني إسرائيل: "أنا الرب الهك الذي أخرجك... من دار العبودية " (خر ٢٠: ٢)، وكانت "الشريعة" (تورا) بمثابة العلامة المميزة لهذا العهد: أنا إلهكم وأنتم شعبي.. اذا حفظتم شريعتي، وبمثابة "الشاهد على الشعب" (تث ٣١: ٢٦). هذا العهد سيجدده الله طيلة التاريخ عبر الأنبياء، الى أن يتخذ كل غناه وبُعده في يسوع الذي سيكون موته وقيامته فاتحة عهد جديد! فبالمسيح ينفتح الخلاص لكل الشعوب.. ويصبح كل المؤمنين بالمسيح "شعب الله" الجديد، تسيّره شريعة العهد الجديد.

تسلّمه هو نفسه من الرب (١١: ٢٣). وسيكون القديس بولس اول من يطلق عبارة "العهد القديم" على الاسفار المقدسة (٢قور ٣: ١٤) -وقد أدرك انه وسائر الرسل "خدام عهد جديد، عهد الروح، لا عهد الحرف..." (٢قور ٣: ٦)!

وان بولس الذي كثيراً ما اعترف بأنه "اصغر الرسل" وغير اهلٍ لأن يُدعى رسولاً بسبب اضطهاده كنيسة الله (١قور ١٥: ٩)، أُعتبر، وفي وقت مبكر، بمنزلة "الرسول"[٣]، طالما ان الرب تراءى له آخر الكل، هو "السقط"(١قور ١٥: ٨)، فأصبح من ثم "شاهداً" لقيامته، وان كان لم يرَه في الجسد (٢قور ٥: ١٦-١٧)! ولَكَم سيعلن بأن سلطة التعليم التي يمارسها قد استمدها من الرب الذي وَكَل اليه مهمة التبشير بالانجيل (١قور ١: ١٧، اف ٣: ٧ الخ...)، فيما يعترف بانه يبالغ احياناً في الافتخار بالسلطان الذي اولاه اياه الرب (٢قور ١٠: ٨،١٨)!

فحين اخذ بولس يوجّه رسائل الى الكنائس، سواء أسسها هو، ام اراد ان يُسهم في استكمال تنشئتها وبنيانها، لم يكن يدور البتة في فكر اولئك المسيحيين انهم بإزاء "مؤلفات" ستأخذ مكانها بين الاسفار المقدسة! وذلك بالرغم من القيمة التعليمية التي احتوتها رسائله، وبالرغم من المكانة التي احتلتها في حياة الجماعات المسيحية.. وقد كانت تقرأها في اجتماعاتها وتتبادلها من ثم مع جماعات اخرى، كما كان بولس نفسه يطلب ذلك (١تس ٥: ٢٧، قول ٤: ١٦).

وكان ينبغي ان يموت آخر الرسل كي يزداد شعور المسيحيين بضرورة "حفظ" كلام الرب الذي بدأت محاولات اولى لتدوينه بهدف التعليم وترسيخ الايمان... كما كان ينبغي ان تمر سنوات على كتابة "الرسائل" و"الأناجيل" الاربعة ذاتها قبل ان تُطرح مسألة هذه "المؤلفات" وموقعها من الاسفار المقدسة! ويبدو ان مسيحيي اواخر القرن الاول الميلادي لم يكونوا ينظرون الى هذه الكتابات المسيحية نظرتهم الى " اسفار مقدسة"! ولم يتم ذلك الا تدريجياً، ومع تقدم الزمن، ولا سيما بعد ان كانت قد

---

[٣] ان "رسولية" بولس ترسخت شيئاً فشيئاً بفعل العمل التبشيري الكبير الذي قام به! ونراه في رسائله يطالب بهذه الصفة طالما ان القائم من بين الاموات قد كشف له عن ذاته، على طريق دمشق، مسيحاً ممجداً: "... ألست رسولاً؟ أوما رأيت يسوع ربّنا؟" (١قور ٩: ١). فهو، بفضل هذا اللقائي، قد اصبح رسولاً لا يقل منزلة عن اولئك الرسل الاكابر (٢قور ١١: ٥)! سيما وان دعوته الرسولية قد استمدها من الرب يسوع مباشرة، وبفضل اختيار يحاني:"... رسول، لا من قبل الناس، ولا من مشيئة انسان، بل بمشيئة يسوع المسيح والله الآب..." (غلا ١: ١، راجع روم ١: ١؛ ١قور ١: ١)، وهو لايني يؤكد ان "بشارته" ليست على سُنّة البشر، لانه تلقّاها "بوحي من يسوع المسيح" (غلا ١: ١٢)! ولَكَم سيسعى لوقا في سفر الاعمال الى اضفاء الصفة الرسولية على بولس، وكأنه أصبح في منزلة "الاثني عشر"! وقد جعل على لسان يسوع هذه العبارة التي وردت في سياق رواية بولس لدعوته: "... وجعلت منك خادماً وشاهداً لهذه الرؤيا التي رأيتني فيها..." (رسل ٢٦: ١٦)!

ترسخت لديهم عادة قراءة نصوص من الاناجيل في اجتماعات الاحد[٤]. وتجدر الاشارة الى ان رسالة بطرس الثانية -وهي من زمن متأخر قد يرقى الى اوائل القرن الثاني- أشارت الى ما في رسائل بولس من "حكمة"، بالرغم من احتوائها "اموراً غامضة يحرّفها الذين لا علم عندهم ولا ثبات، كما يفعلون في سائر الكتب" (٣: ١٦)!

ولقد **اتخذت هذه "المؤلفات" الجديدة مكانة مقدسة لسببين: اولهما، أنها كانت تصدي لأخبار "الرب" وأقواله.. وثانيهما، كونها مؤلفات "رسولية"**، أي ان نسبتها الى الرسل بصفتهم "شهود الرب" كانت تضفي عليها قيمة اكبر، ولا سيما في اعقاب ظهور عدد من المؤلفات التقوية التي تشبهها في الظاهر، ولكنها كانت تحتوي على مضامين اتسم بعضها بالانحراف والهرطقة والسذاجة.. ونخص بالذكر الكتابات المنحولة[٥]. وهكذا، ومع مر الايام، **بدت الحاجة ملحة في الكنيسة الى تحديد "قانون" للاسفار التي اطلق عليها من ثم عبارة "العهد الجديد"** واضيفت الى الاسفار المقدسة بعد أن اطلق عليها عبارة "العهد القديم"، للدلالة على الاسفار السابقة للمسيح.

ومن الجدير بالذكر ان الاناجيل الاربعة، ورسائل بولس من ثم، حظيت، بحسب اقدم الشهادات التي في حوزتنا، بالاحترام والقدسية، كونها عكست شهادة صادقة عن الرب... وهذه الوثيقة عن "قانون" العهد الجديد، في اولى ملامحه، ترقى الى حدود الاعوام ١٦٥-١٨٥ وتحمل اسم "قانون ميراتوري"[٦]، وتعرض جدولاً بالاسفار التي اعتمدتها كنيسة روما،وهي: الاناجيل الاربعة وسفر اعمال الرسل ورسائل القديس بولس، عدا الرسالة الى العبرانيين! **(انظر الاطار ٤٣: قانون العهد الجديد)**. وان ما حرّك في الكنيسة بالاكثر فكرة تحديد "الاسفار القانونية" هو، من جهة، تأليف الغنوصيين[٧]، منذ اوائل القرن الثاني، اناجيل ورسائل كاذبة منسوبة الى الرسل؛ ومن جهة اخرى، رأي مرقيون (+ ١٦٠) الذي يعبر عن موقف بعض المسيحيين القادمين من الوثنية، وكان قد دعا الى نبذ سلطة العهد القديم، كما رفض بعض مؤلفات العهد

---

[٤] ان اقدم شهادة لدينا عن مجموعة النصوص الانجيلية التي كانت موضوع إجلال وإلزام، هي ما كتبه القديس الشهيد يوستينس في الدفاع الاول (٦٧/ ٢-٧)، في حوالي عام ١٥٠، واصفاً فيه اجتماعات المسيحيين الافخارستية: "... في اليوم المدعو بيوم الشمس يجتمع في مكان واحد سكان المدينة او الريف، وتقرأ مذكرات الرسل وكتب الانبياء بقدر ما يسمح الوقت. وعندما ينتهي القارئ، يوجّه المترئس موعظة ينبّه فيها الحضور ويحثّهم على الاقتداء بتلك التعاليم الجميلة..."! وغني عن القول ان هذه الشهادة تعكس ممارسة "ليتورجيا الكلمة" في بدء كل افخارستيا، حين كانت تقرأ نصوص من الاسفار المقدسة (تنخ) الى جانب نصوص من "اقوال الرب"،سواء كانت اناجيل ام رسائل.. وتلي القراءة عظة للشرح والتفسير والتأوين...

[٥] راجع الاطار ٢٦ بشأن "الاناجيل المنحولة" / الفصل الرابع.

[٦] باسم الكاهن الايطالي الذي اكتشف عام ١٧٤٠ مخطوطة من القرن الثامن تضمنت جدولاً بالاسفار المعتمدة في كنيسة روما في حدود العام ١٨٠.

[٧] راجع الاطار عن "الغنوصية" /الفصل الرابع.

"قانون " العهد الجديد

كان ترتليانس (+٢٢٠) اول من استخدم عبارة "العهد الجديد" للتحدث عن اسفاره، مقابل عبارة "العهد القديم" الذي كان القديس بولس اول من أطلقها في حديثه عن القناع الذي ما زال قائماً لدى قراءة اليهود للأسفار المقدسة (٢ قور ٣: ١٤)، وكرّسها من ثم ميلتون الساردي حوالي العام ١٧٠. وكان ينبغي من ثم مرور قرابة قرنين قبل أن تُعَدّ المؤلفات المسيحية اسفاراً مقدسة وتُحدد "قانونيتها" فتنضم الى لائحة الاسفار المقدسة...

لقد عدد اوسابيوس القيصري (+٣٤٠) صاحب "التاريخ الكنسي" الاسفار التي تؤلف "العهد الجديد" مع الاشارة الى ان الكنائس لم تُجمع على "قدسية" الاسفار التالية: رسالة بطرس الثانية، الرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا، رسالة يعقوب، رسالة يهوذا، رؤيا يوحنا. وكما أصدت شهادات آباء الكنيسة لأسفار العهد الجديد، كذلك أصدت للترددات بشأن عدد متباين من هذه الاسفار.. علماً بأن هناك مؤلفات قديمة من اوائل القرن ٢ كانت قد أُدرجت ضمن "القانون" في وقت مبكر، ومن ثم أُخرجت منه: الديداكي، رسالة كليمنتس الروماني، الرسالة الأولى الى القورنثيين، كتاب الراعي لهرماس، رسالة برنابا، رؤيا بطرس...

وكشفت مخطوطة "قانون ميراتوري" مقاييس "قانونية الاسفار"، وفي المقدمة قِدَمُها من جهة، ونسبتها الى الرسل بصفتهم الشهود المميزين لأقوال الرب، من جهة أخرى. الا ان هذين المقياسين لم يكفيا، وسرعان ما فرض مقياس آخر نفسه: ان تكون المؤلفات ملهمة من الروح القدس، وتُعتَبَر عنصراً مهماً في بنيان الجماعة المسيحية وترسيخ ايمانها! -وكان لهذا المقياس، ازاء الهرطقات الاولى والتيارات المتطرفة، دور كبير في تحديد قانون العهد الجديد الذي احتفظ بمؤلفات تفيد الايمان، فعدّها ملهمة و مقدسة، فيما تخلّى عن مؤلفات أخرى، حمل بعضها طابعاً تقوياً، فيما اتصف بعضها الآخر بالسطحية او الشطط...

ولقد حظيت الاناجيل الاربعة، منذ البدء، وفي كل مكان، بالمكانة الاولى. وتلتها رسائل بولس الثلاث عشرة -ولنا في رسالة بطرس الثانية (٣: ١٦) ما يشهد على مكانتها المرموقة ومنزلتها "القدسية"- وسفر الاعمال ورسالة بطرس الاولى. وفيما تم شبه إجماع على رسالة يوحنا الاولى، حامت ترددات حول الرسالة الى العبرانيين و ٢ بطرس ورسالتي يعقوب ويهوذا ورسالتي يوحنا ٢ و ٣ وسفر الرؤيا! وتقول مقدمة طبعة دار المشرق بأن "الاسفار التي ظل شك في صحتها حتى القرن ٣، هي تلك الاسفار نفسها التي قام نزاع على صحة نسبتها الى الرسل في هذا الجانب او ذاك من الكنيسة. وكانت الرسالة الى العبرانيين والرؤيا موضوع أشد المنازعات، وقد أُنكرت صحة نسبتها الى الرسل انكاراً شديداً مدة طويلة، فأنكرت في الغرب صحة الرسالة الى العبرانيين، وفي الشرق صحة الرؤيا. ولم تُقبَل من جهة أخرى، الا ببطء، رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا".

ولقد ظل الاختلاف قائماً في "القانون" بحسب الكنائس اليونانية او السريانية او اللاتينية، حتى نهاية القرن الرابع، حين أقرّ مجمع لاوذكية (عام ٣٦٣) لائحة بأسفار العهد الجديد، وإن لم يكن قراره ملزماً، إذ كان مجمعاً اقليمياً. ولنا في كتابات القديس اثناسيوس في العام ٣٦٧ تحديد واضح لقانون العهد القديم والجديد كما هو اليوم! وقد تبناه القديس هيرونيمس في ترجمته اللاتينية للكتاب المقدس والمسماة "الفولكاتا" ما بين الاعوام ٣٨٤- ٣٩٥. كما كان لنا عام ٣٩٧ لائحة مماثلة أقرها مجمع قرطاجة... ومع ذلك فاننا نشهد تردداً، اقله في الشرق، ظل قائماً حتى القرن العاشر بشأن قانونية سفر الرؤيا!

وفي زمن الاصلاح، فيما كان لوثر يمنح سلطة ادنى للرسالة الى العبرانيين ولرسالتي يعقوب ويهوذا ولسفر الرؤيا، وضعت الكنيسة الكاثوليكية في المجمع الترينتيني (١٥٤٦) حداً لهذه الترددات، محددة "قانونا" باسفار العهدين القديم والجديد (راجع الاطار بشأن الاسفار القانونية للعهد القديم / الفصل ٢).

الجديد ذات الصلة بالعهد القديم -ويبدو انه لم يعترف الا بقانونية انجيل لوقا! وهكذا، ومنذ اواخر القرن الثاني، ترسخ في الكنيسة الوعي بضرورة تثبيت جدول بالاسفار التي تعتبر قاعدة للايمان... **الا ان محتوى هذا "القانون" ظل متأرجحاً ردحاً من الزمن الى ان استقر في نهاية القرن الرابع.**

سنقوم في هذا الفصل بجولة مكثفة في اسفار العهد الجديد، وفقاً لتسلسلها الزمني. فنبدأ، في فقرة أولى، بقراءة في رسائل القديس بولس، نبدأها باستعراض موجز لملامحه البارزة والمحطات الكبرى في فكره اللاهوتي، وصولاً الى قراءة مكثفة لكل من رسائله الثلاث عشرة. وفي فقرة ثانية نتناول الرسالة الى العبرانيين مع الرسائل العامة (بطرس، يعقوب، يهوذا). وبعد قراءة في بشارة الأنجيليين الازائيين، كما رواها كل من مرقس ومتى ولوقا، نختم بالمؤلفات اليوحنانية، حيث ننكب على تقديم الانجيل والرسائل الثلاث، ليصل بنا المطاف الى سفر الرؤيا.

ثانياً: قراءة في رسائل القديس بولس

سبق لنا، في معرض دراستنا لمراحل تكوين العهد الجديد، ان تناولنا مكانة القديس بولس في الكنيسة الناشئة. ولا بد لنا هنا من ان نستكمل ملامح وجهه كي يتسنى لنا ان ندخل الى صميم فكره اللاهوتي الذي سنستشفه من خلال رسائله.

فريّسي من طرسوس، عاصمة قيليقية (بالقرب من مرفأ مرسين-تركيا)، حيث تلقى الثقافة في مدارسها، ومن ثم واصلها في اورشليم على يد رابّي غمالائيل من كبار ربانيي زمانه (رسل ٢٢: ٣)، فتشبّع من الشريعة. وتمتع شاول/ بولس بسمات الثقافتين اليهودية والهيللينية، مجيداً اللغتين العبرية واليونانية -ومن هنا اسماه اليهودي (شاول) واليوناني (بولس)- مما جعله في مفترق بين حضارتين سيسعى، بفضل ايمانه بالمسيح القائم، الى التوفيق بينهما... وكان ولا شك متزوجاً -اذ لم يكن التبتل مألوفاً في الديانة اليهودية- يمارس مهنة حياكة الخيام (رسل ١٨: ٣؛ ١قور ٤: ١٢)... وكانت له بالولادة حقوق "المواطن الروماني"، وقد استخدم منها الحق في رفع دعواه الى محكمة القيصر (رسل ٢٥: ١٠ت، انظر ١٦: ٣٧؛ ٢٢: ٢٥ت؛ ٢٣: ٢٧).

عبر رسائله نعرف جانباً من مشاعره واحاسيسه[٨] ولا سيما صلابته وحزمه وحماسه وشدة تمسكه بقناعاته، سواء كانت تلك التي حملها وهو فريسي حريص على

---

[٨] هناك سفر منحول بعنوان "اعمال بولس وتقلا" يرقى الى النصف الثاني من القرن ٢، يطلعنا على اسفار بولس في آسيا الصغرى... ففي انطاكيا نراه يقيم ميتاً فيقابَل بالرجم ويضطر الى الهرب! ونجد رفيقين له سرعان ما نكتشف انهما غنوصيان! وفي السفر ذاته وصف لملامح بولس كثيراً ما استوحى منها الفنانون! وقد جاء فيه ان اونيسفورس (انظر ٢ طيم ١: ١٦؛ ٤: ١٩) كان قد سمع ببولس ولم يكن قد رآه.. وحين علم بقدومه الى ايكونيوم خرج

ملّته ودين اجداده، ام تلك التي اكتسبها في ظل ايمانه المسيحي. ونعرفه بالاكثر مما رواه لنا لوقا في سفر الاعمال - وقد عكس قصة "دعوته" على ثلاث دفعات: مرة اولى، من وجهة نظر كنيسة انطاكيا (رسل ٩: ١-٣٠) حين هرب من دمشق وجاء الى اورشليم حيث قدّمه برنابا للرسل، ومن ثم رُحِّل الى قيصرية فطرسوس؛ ومرة ثانية، على لسان بولس في دفاعه عن نفسه امام اليهود مؤكداً امانته على دين آبائه (رسل ٢٢: ١-٢١)؛ ومرة ثالثة، ابان احتجازه في سجن قيصرية حين سمح له الوالي فسطس بالتحدث امام الملك اغريبا وزوجته برنيقة (رسل ٢٦: ٢-٢٣). وهذه الرواية الاخيرة ترجع صداها الرسالة الى غلاطية حيث يقول بولس ان الله "كشف" له "ابنه" ليبشر به بين الوثنيين (١: ١١-١٧)، بعد ان كان يضطهد كنيسة الله ويحاول تدميرها بكثير من الحمية... (انظر ١قور ١٥: ٨-١٠؛ فل ٣: ٤ت).

ويمكننا ان نتبين في حياة بولس (**انظر الاطار ٤٤: محطات في حياة بولس الرسول**) مرحلتين اساسيتين:مرحلة "ماقبل" دعوته، حين كانت الشريعة تهيمن على كيانه حتى جعل منها هدف حياته، وحارب باسمها اولئك الذين جعلوا من يسوع الناصري المصلوب مسيحاً في مستوى الالوهية! اما مرحلة "مابعد"، فهي حين استطاع، بفضل نعمة الله المجانية، ان يشخّص المسيح الحي في يسوع الناصري المصلوب... ومنذئذٍ اخذ يعتبر "كل شيء خسرانا من اجل معرفة يسوع المسيح" الذي،بالايمان به، يُنال البر (فل ٣: ٨-٩)، واستطاع ان يرى في يسوع معنى حياته: "الحياة عندي هي المسيح"! (فل ١: ٢١؛ غلا ٢: ٢٠).

ومن هنا نشأت قناعته الراسخة بدعوة اليهود والوثنيين معاً الى الايمان بيسوع لنيل الخلاص، طالما ان "ملعون" الصليب بحسب الشريعة (تث ٢١: ٢٣ = غلا ٣: ١٣) قد مجّده الله، مبطلاً حكم الشريعة! ومنذئذٍ **اصبح جميع الناس، يهوداً كانوا ام وثنيين، مدعوين الى الايمان الذي يمنح الخلاص، دون العبور بالختان وسائر الممارسات اليهودية**... وسيحمل بولس لواء الدفاع عن حرية المؤمنين الجدد من الوثنيين تجاه الممارسات المتعلقة بالشريعة التي كان بعض المسيحيين "المتهوّدين" والمتزمتين يريدون ان

للقائه واستضافته، وتعّرف عليه من وصف طيطس له:" كان يتبع الطريق الملوكي المؤدي الى لسترة، وهو يسعى دون انقطاع الى اكتشافه، عبر تفحصه ملامح العابرين وفقاً لاشارات طيطس. فرأى بولس يتقدم: رجلاً قصير القامة، اصلع، ذا قدمين مقوستين، قوي البنية، ذا حاجبين متصلين وانف معقوف، وكله لطف. وكان يبدو تارة كإنسان، وكان له تارةً اخرى وجه ملاك"! (عن:ملفات الكتاب المقدس (بالفرنسية) العدد ٦٥ - ت٢ ١٩٩٦ بعنوان "الاناجيل المنحولة").

ومن رسائله نستشف انه نحيل (٢قور ١٠: ١٠)- وقد تكون اشارة الى معنى اسمه باليونانية!- ولا ندري ماذا قصد حين تكلم عن "شوكة في جسده" (٢قور ١٢: ٧): هل هي عاهة ام اشارة الى المرض المزمن الذي عانى منه وعرّضه للهزء (غلا ٤: ١٣-١٥)- وقد ذهب بعض المفسرين الى القول باحتمال عاهة في العين، سيما وانه يشهد على استعداد اهل غلاطية لقلع اعينهم وإعطائها اياه!

اطار ٤٤

محطات في حياة بولس الرسول

٥-١٠:	مولد شاول / بولس في طرسوس
٣٦-٣٧:	استشهاد اسطفانس وتشتت الجماعة (رسل ٧: ٥٤)
	دعوة بولس (رسل ٩: ١ت)
حوالي ٣٩:	هرب بولس من دمشق (رسل ٩: ٢٥؛ ٢قور ١١: ٣٢)
	زيارته الاولى للكنيسة في اورشليم (غلا ١: ١٨)
٣٩-٤٣؟:	لجوءه الى طرسوس ومكوثه فيها
حوالي ٤٣:	تبشيره مع برنابا في انطاكيا (رسل ١١: ١٩)
٤٥-٤٩:	رحلته التبشيرية الاولى (رسل ١٣-١٤)
حوالي ٤٨:	مجاعة في اليهودية (رسل ١١: ٢٧ ت)
٤٨-٤٩:	مجمع اورشليم (رسل ١٥: ٥ت)
٥٠- ٥٢:	رحلته التبشيرية الثانية (رسل ١٥: ٣٦ت)
شتاء ٥٠-	
صيف ٥٢:	بولس في قورنتس (رسل ١٨: ١-١١)
٥١-٥٢:	الرسالتان الى اهل تسالونيقي (رسل ١٧)
ربيع ٥٢:	مثوله امام غاليون (رسل ١٨: ١٢)
صيف ٥٢:	بولس في اورشليم ثم في انطاكيا (رسل ١٨: ٢٢)
٥٢- ٥٨:	رحلته التبشيرية الثالثة (رسل ١٨: ٢٣ت)

يخضعوهم لها! وسيُصادق مجمع اورشليم في حوالي العام ٤٩-٥٠ على توجهاته الرئيسة بالرغم من ضغوط التيار المحافظ[٩]! وهكذا سجّل هذا التوجه الجديد منعطفاً بارزاً في حياة الكنيسة الاولى.

فبولس، ذاك الفريسي العنيد، المخلص والنزيه، ما ان اكتشف في يسوع غاية الشريعة وخلاصتها، واذا به يتجند بكليته للتبشير بحقيقة المسيح المصلوب والممجّد، جاعلاً من التبشير بالانجيل "ضرورة" ملحة: "الويل لي إن لم أبشّر!" (١قور٩: ١٦). وسوف يبقى بولس طيلة حياته رسول محبة الله المتجلية في المسيح يسوع، يعلنها لكل من يرتضي ان يتقبلها بالشكر، بدءً باليهود. وما دوّنه لوقا في سفر الاعمال عن رحلاته التبشيرية طيلة اكثر من عشرين سنة، وفي كل مناطق حوض البحر المتوسط، حيث أسس الكنائس، سيجد له امتداداً في تلك الرسائل النابضة بالحياة والموجّهة الى الجماعات المسيحية، والتي عكست فكره اللاهوتي على الصعيدين العقائدي والمسلكي -وقد كتبها او أملاها في حدود السنوات الخمس عشرة الاخيرة من حياته (**انظر الاطار ٤٥: نموذج لهيكلية رسائل بولس**).

---

(٩) مهّد لوقا في سفر الاعمال لمجمع اورشليم بالحديث عن اولئك الذين نزلوا من اليهودية منادين بضرورة اختتان الوثنيين (١٥: ١)، مما أوجب انعقاد المجمع لحسم الخلاف بينهم وبين بولس وبرنابا... وفي المجمع نشهد توازناً ووفاقاً بين التيارين: بطرس وبولس من جهة، ويعقوب اخو الرب (اول اسقف لاورشليم) من جهة اخرى (١٥: ٥-٣٥)! وسيروي بولس في الرسالة الى اهل غلاطية (٢: ١ت) ماجريات المجمع من وجهة النظر التي توجهها تتخذ رسالته بين الوثنيين دعماً من قبل الرسل "أعمدة الكنيسة" في اورشليم... وفي هذه الرسالة بالذات (٢: ١١-١٤) يروي بولس مواجهته لبطرس ومأخذه عليه حيال موقفه المتأرجح بتأثير من تيار جماعة يعقوب! وقد جاء في الرسالة: "... قاومته وجهاً لوجه لانه كان يستحق اللوم... وقلت: اذا كنت انت اليهودي تعيش عيشة الوثنيين لا عيشة اليهود، فكيف تلزم الوثنيين ان يسيروا سيرة اليهود؟" -ولَكَم أسالت من الحبر مسألة التوفيق بين رواية لوقا عن مجمع اورشليم وبين الرسالة الى اهل غلاطية!

خريف ٥٤-	
ربيع ٥٧:	مكوثه في أفسس (٢٧ شهراً)
	بعد جولة في غلاطية وفريجية (رسل ١٩: ٨-١٠)
	الرسائل الى قورنتس وغلاطية (وفيلبي؟)
شتاء ٥٧-٥٨:	بولس في قورنتس (بعد أثينا) (رسل ٢٠: ٣)
	الرسالة الى اهل روما
فصح ٥٨:	بولس في فيلبي (رسل ٢٠: ٦) ثم في قيصرية (٢١: ٨)
صيف ٥٨:	بولس في اورشليم للمرة الاخيرة
عنصرة ٥٨:	توقيفه في الهيكل ومثوله أمام المجلس (رسل ٢١-٢٣)
	استجوابه امام فيلكس في قيصرية (رسل ٢٤: ١٠ت)
٥٨- ٦٠:	بولس أسير في قيصرية طيلة سنتين (رسل ٢٤: ٢٤ت)
٦٠:	بولس يمثل امام فسطس ويرفع دعواه الى القيصر (رسل ٢٥: ١ت)
خريف ٦٠:	الرحلة الى روما -عاصفة وشتاء في مالطا (رسل ٢٧-٢٨)
٦١-٦٣:	في روما تحت الحراسة لمدة سنتين (رسل ٢٨: ١٦ت)
	الرسائل الى فولسي وأفسس وفيلمون (وفيلبي؟)
٦٤-٦٧؟:	احتمال أسر ثان؟
٦٧؟:	استشهاده في روما؟

هذه الرسائل هي بمثابة "انجيل" طالما انها تحمل بشرى يسوع المسيح القائم من بين الاموات، الى جماعات مسيحية ناشئة، فتجيب الى تساؤلاتها وتعالج مشكلاتها وتدعوها الى العيش بمنطق الانجيل ومتطلباته في الحياة اليومية... وهنا يفرض السؤال نفسه: ما هو سر العمق اللاهوتي الذي اتسمت به رسائل بولس، وهي لا تعكس شيئاً من اقوال يسوع او امثاله او معجزاته او مجادلاته..؟ وهذا السؤال يعيدنا الى ما سبق وقلناه بشأن الانجيل الشفهي، حين أكدنا على كون التلاميذ الاولين استناروا بالحدث الفصحي ليقرأوا على ضوئه حياة يسوع برمّتها، كما انهم استناروا بالاسفار المقدسة كي يفسّروا حياة يسوع في ضوئها... وهكذا استطاعوا، في جو من الايمان، ان يشخّصوا "المسيح" في يسوع الناصري المصلوب والممجد! وتمّ كل ذلك بفضل الجماعات المسيحية الفتيّة التي كانت بمثابة المختبر الذي ساعد على تظهير ملامح يسوع...

اما بالنسبة الى القديس بولس الذي استولى عليه الرب الممجد على طريق دمشق (فل ٣: ١٢)،فلقد تلقى وحياً حمله على تجديد قراءته للاسفار المقدسة -وهو الخبير فيها!- فوجد فيها تدبير الله الخلاصي في "المسيح المتألم" (على صورة "العبد المتألم" في اشعيا ٥٣) والممجّد من ثم، بحيث انه استطاع ان يشخّص في المصلوب هذا المسيح المتألم والممجد! ومنذئذٍ **اصبح ايمانه وتبشيره من ثم متمحوراً حول المسيح المصلوب الذي أقامه الله**[١٠] **وجعله "رب المجد"!** وقد لخّص خبرته الايمانية هذه في

---

(١٠) قيامة المسيح هي المحور الاساس الذي بنى عليه بولس تفكيره اللاهوتي وعكسته رسائله من ثم! ولما كنا قد خصصنا لموضوع القيامة الفصلين السابع والثامن حين نصدي فيهما بكثرة للرسائل، نحجم هنا عن الاصداء لها الا لماماً!

نموذج لهيكلية رسائل بولس

من: – بولس عبد المسيح يسوع، دُعي ليكون رسولاً... (روم ١: ١)
– بولس وهو رسول، لا من قِبَل الناس... بل بمشيئة يسوع المسيح... ومن جميع الاخوة الذين معي... (غلا ١: ١ت)
– بولس وسلوانس وطيموتاوس (١ تس ١: ١)

الى: – القديسين المؤمنين الذين في المسيح يسوع (أف ١: ١)
– جميع القديسين... الذين في فيلبي، مع اساقفتهم وشمامستهم (فل ١: ١)
– كنيسة الله في قورنتس... الذين قُدّسوا في المسيح... (١ قور ١: ٢)

تحية: – عليكم النعمة والسلام من لدن الله ابينا والرب يسوع المسيح (روم ١: ٧؛ فل ١: ٢؛ غلا ١: ٣ الخ...)

شكر: – اني اشكر الله دائماً في امركم على ما أُوتيتم من نعمة الله في المسيح يسوع... (١قور ١: ٤)
– تبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح... (٢ قور ١: ٣)
– ابدأ بشكر الهي بيسوع المسيح في امركم اجمعين... (روم ١: ٨)

صلاة: –... وتذكركم في صلواتنا... (١ تس ١: ٢)
–... ونحن نصلي من أجلكم بعد ان سمعنا بايمانكم.. (قول ١: ٤)

المواضيع: (وهي متنوعة بحسب كل رسالة)

دعاء الختام: – قدّسكم اله السلام نفسه... لا ينالكم لوم في مجيء ربنا يسوع المسيح (١ تس ٥: ٢٣)
– ليكن الرب معكم أجمعين (٢ تس ٣: ١٦)
– لتكن نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس معكم جميعاً (٢ قور ١٣: ١٣)
–... لتكن النعمة على جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح حباً لا يزول (اف ٦: ٢٤)
– محبتي لكم جميعاً في المسيح يسوع (١قور ١٦: ٢٤)

وصايا اخيرة: – استحلفكم بالرب ان تقرأ هذه الرسالة على الاخوة أجمعين (١تس ٥: ٢٧)
– إذا قرئت هذه الرسالة عليكم، فاسعوا لأن تقرأ في كنيسة اللاوذكية... (قول ٤: ١٦)
– إن كان أحد لا يحب الرب، فليكن محروماً! مارانا تا (١ قور ١٦: ٢٢)

تحيات أخيرة: – صلوا من أجلنا... سلّموا على جميع الاخوة بقبلة مقدسة... (١تس ٥: ٢٥– ٢٦)
– يسلم عليكم ابفراس ابن بلدكم... سلّموا على الاخوة في لاوذكية، وعلى نمفاس والكنيسة المجتمعة في بيته (قول ٤: ١٢،١٥)
– سلموا على كل من القديسين في المسيح يسوع. يسلّم عليكم الاخوة الذين معي (فل ٤: ٢١)
– ليسلّم بعضكم على بعض بقبلة مقدسة... (٢ قور ١٣: ١٢)

توقيع: – هذا السلام بخط يدي انا بولس. تلك علامتي في جميع رسائلي، وهذه كتابتي (٢تس ٣: ١٧)
– هذا السلام بخط يدي انا بولس. اذكروا قيودي... (قول ٤: ١٨)
– انظروا ما اكبر الحروف التي اخطها لكم بيدي... (غلا ٦: ١١)
–... وانا طرطيوس كاتب هذه الرسالة اسلّم عليكم في الرب! (روم ١٦: ٢٢).

الرسالة الاولى الى اهل قورنتس: "... نبشر بمسيح مصلوب، عثار لليهود وحماقة للوثنيين... وقد صار لنا حكمة من لدن الله وبراً وقداسة وفداء" (١: ٢٣، ٣٠)! وستنكشف له صورة المسيح الحي والحاضر في قلب الجماعات المسيحية، حين ستحمله اوضاعها واسئلتها ومشاكلها والاسئلة المطروحة عليها.. على الغوص في عمق سر المسيح والكشف عما فيه من "غنى لا يُسبر غوره" (أف ٣: ٨).. وعلى ايجاد اجوبة تعكس فكر المسيح وارادته (١ قور ٢: ١٦)، وعلى مختلف الاصعدة! وسيكون بوسعه إن يحثّ المؤمنين على الاقتداء بالمسيح ويبلّغهم ما يوحي به اليه روح يسوع الناطق فيه...

وها نحن نقوم بقراءة موجزة لرسائل القديس بولس[١١] وفقاً للتسلسل الزمني لظهورها، وليس بحسب طولها الذي بموجبه ادرجت في كتاب العهد الجديد! ونوزعها وفق مراحل تفكير بولس، وقد عرف تدرّجاً يمكّننا من أن نتبين فيه اربعة محاور:

١. رجاء ملكوت الله (الرسالتان الى اهل تسالونيقي)

٢. الخلاص بيسوع المسيح في الكنيسة (الرسالتان الى اهل قورنتس والرسائل الى غلاطية وروما وفيلبي)

٣. يسوع المسيح سيد العالم (رسائل الأسر: قولسي وافسس وفيلمون)

٤. الوصايا الاخيرة (الرسائل الراعوية: الرسالتان الى طيموتاوس والرسالة الى طيطس)

ولا بد لنا من القول بأن العرض الذي نقدمه لكل رسالة يرسم الخطوط العريضة لها ولا يغني أبداً عن قراءتها...

١- رجاء ملكوت الله

• الرسالتان الاولى والثانية الى اهل تسالونيقي (حوالي الاعوام ٥١-٥٢)

تسالونيقي مرفأ تجاري كبير في أعلى بحر إيجه، شمال اليونان.. كانت آنذاك عاصمة مقدونية، ويسكنها حوالي ٣٠٠٠٠٠ نسمة. توجّه اليها بولس مع سيلا ابان رحلته الثانية في صيف عام ٥٠ (رسل ١٧: ١ت) حيث بشّر في مجمع اليهود، فانضم الى الايمان عدد من اليهود، الى جانب عدد كبير من الوثنيين من " خائفي الله"، مما أثار

---

[١١] ندعو القراء الى مراجعة المدخل الذي تصدّر كل رسالة في طبعة الكتاب المقدس (دار المشرق- بيروت ١٩٨٩). وهذه المداخل مأخوذة عن الترجمة المسكونية (بالفرنسية .T. O. B) -وقد استلهمناها في تقديمنا للرسائل وسائر الاسفار. كما ندعو الى مراجعة "الدليل" (ص ١٦٢-١٦٦) وكتاب "من الاناجيل" (ص ٣٣-٣٨)، فضلاً عن "مدخل الى رسائل القديس بولس" للاب فاضل سيداروس: سلسلة دراسات في الكتاب المقدس / رقم ١٧، دار المشرق - بيروت ١٩٨٩.

حسد اليهود وسخطهم... واضطر بولس ان يترك جماعة مسيحية فتية ما زالت في بدء تنشئتها الايمانية، ويغادر الى أثينا، ومن ثم الى قورنتس حيث أقام قرابة سنتين. فمن قورنتس، وفي شتاء عام ٥١، كتب بولس رسالته الاولى الى اهل تسالونيقي -وهي اول رسالة له وتعتبر اولى كتابات العهد الجديد على الاطلاق!- بعد ان كان قد أرسل اليهم طيموتاوس ليُتم تعليمهم ويطمئن على ثباتهم في الايمان الذي تلقوه حديثاً وتعرضوا بسببه للاضطهاد... (١تس ٣: ١ت).

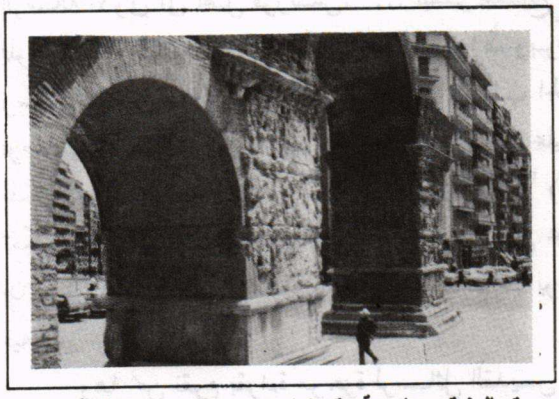

تسالونيقي عاصمة مقدونيا وتسمى اليوم سالونيك في شمال اليونان -قنطرة غالبريوس التي كان يمر من تحتها الطريق الروماني...

أ- الرسالة الاولى الى تسالونيقي

انها رسالة مفعمة بالشكر لله على ايمانهم وثباتهم، ومليئة في الوقت ذاته بالتحريض على المثابرة في السلوك المسيحي الجديد والسير في طريق القداسة، انطلاقاً من ضرورة التجاوب مع نعمة الله الذي دعاهم ليحقق مقاصده الخلاصية.. ولَكَم تمنى بولس ان يعود اليهم كي يكمِّل "ما نقص في ايمانهم"... ومن خلال ما حمل اليه طيموتاوس من اخبار (٣: ١-١٠)، ردّ بولس على اولئك الذين يبلبلون افكارهم، وهم انما يهدفون الى الطعن بإخلاصه ونزاهته، وتحجيم مكانته لدى اهل تسالونيقي الذين راح يحثهم على التحلّي بالصبر واحتمال الشدائد (٢: ١-١٦)...

لقد كانت الجماعة المسيحية الفتية تعيش في الرجاء باقتراب عودة الرب في المجد (١: ١٠؛ ٢: ١٩؛ ٤: ١٦). وبولس نفسه، من منطلق ايمانه بأن قيامة المسيح هي إيذان بالدينونة الاخيرة، كان على يقين من ان مجيء الرب وشيك، وانه هو نفسه قد يكون حياً لدى مجيئه الثاني! ولذا طمأنَهم حول مصير الذين سبقوا فماتوا، مؤكداً ان الاحياء الباقين الى مجيء الرب لن يسبقوا الاموات، طالما ان الله الذي أقام يسوع "سينقل بيسوع ومعه" الاموات اولاً والاحياء من ثم [١٢]، ليكونوا جميعاً "مع الرب دائماً ابداً" (٤: ١٣-١٨). والخلاصة هي ان الرسالة دعت الى وجوب السهر في انتظار "يوم الرب الذي يأتي كالسارق" (٥: ١-١١)...

---

[١٢] لقد تناولنا مضمون هذه الرسالة في موضوع القيامة / الفصل السابع. ولذا لا نطيل الحديث عنها هنا!

ب- الرسالة الثانية الى تسالونيقي

بعث بولس هذه الرسالة بعد الرسالة الأولى بفترة وجيزة. الا ان مضمونها وبعض التميز في مفرداتها والتبدل في لهجتها، حمل بعض المفسرين على التردد في صحة نسبتها الى بولس! فتعليم الرسالة الثانية لا يشير الى الشكل المفاجئ ليوم الرب، وانما يصف المراحل التي تسبق تجلي مجد المسيح على غرار اسلوب الرؤى (٢: ١-١٢)، من "ارتداد عن الدين" و"ظهور رجل الالحاد" وما يرافقه من اعمال شيطانية...

فإزاء قلق اهل تسالونيقي بشأن ما شاع بينهم من ان "يوم الرب قد حان" -وقد نسبت هذه المزاعم الى بولس نفسه! (٢: ٢)-، وإزاء قلق اولئك الذين راحوا يشعرون بتأخر هذا المجيء، كانت الرسالة الثانية بمثابة جواب. وتقول مقدمة دار المشرق بهذا الصدد:"من المعقول ان كاتباً مسيحياً كان مسؤولاً عن احدى الجماعات ومتضلعاً من تعليم بولس، رأى لزاماً عليه ان يُصوّب، في ظل الرسول، تفسيراً خاطئاً لا يخلو من خطر حول انتظار عودة المسيح". ومهما يكن، فإن هذه الرسالة، بالرغم من تلميحاتها الغامضة، أكّدت على ان الرجاء الثابت بشأن مجيء الرب لا ينفي السهر الدائم، طالما اننا بقيامة المسيح دخلنا في أجواء الازمنة الاخيرة! ومن هنا جاءت تلك التأنيبات لأولئك الذين أخذوا يسيرون بالباطل، مهملين أعمالهم (٣: ٦-١٢)، مخلصاً الى القول بأن "من لا يعمل لا يأكل"!

وهكذا يبقى رجاء ملكوت الله قائماً في المؤمن، دون ان يصرفه عن العمل او يعدل به عن السهر: فعليه ان يعيش بُعد الرجاء في الايمان بمجيء الرب القريب.

وكان لنا في ختام الرسالة هذه العبارة: "هذا السلام بخط يدي انا بولس" (٣: ١٧) مؤكداً على ان تلك هي علامته في جميع رسائله (١قور ١٦: ٢١؛ غلا ٦: ١١؛ قول ٤: ١٨)!

٢- الخلاص بيسوع المسيح في الكنيسة
(الرسائل الكبرى)

- **الرسالتان الى اهل قورنتس (ربيع ٥٦ - خريف ٥٧)**
- **الرسالة الى اهل غلاطية (٥٦-٥٧)**
- **الرسالة الى اهل روما (ربيع ٥٧ أو ٥٨)**
- **الرسالة الى اهل فيلبي (؟- الارجح بين ٥٦-٥٧)**

تسمى "الرسائل الكبرى"، لا لطولها حسب، وانما للقضايا العقائدية والمسلكية التي تناولتها، والتي تحوم حول موضوع الخلاص، بيسوع المسيح -ومنه يستمد المسيحي هويته، كونه انساناً قد خلّصه يسوع وفداه! الا ان هذه الرسائل تندرج في سياق تاريخي طالما ان بولس وجّهها الى جماعات مسيحية هي بالاحرى "كنائس الله" التي في قورنتس او روما او فيلبي... ومن المرجح انه كتب الرسالتين الى قورنتس والرسالة الى غلاطية في فترة مكوثه في افسس (ربيع ٥٦ - خريف ٥٧)، فيما كتب الرسالة الى اهل روما ما بين ٥٧-٥٨، ابان اقامته الثانية في قورنتس التي استغرقت ثلاثة اشهر (رسل ٢٠: ٢).. وكانت اقامته الاولى فيها مدة سنة وستة اشهر حين جاءها عام ٥٠ من مقدونية مبشراً (رسل ١٨: ١-١٨)، في اعقاب فشله الذريع في أثينا (رسل ١٧: ١٠-٣٤)!

في قورنتس (هذه المدينة التجارية الكبرى -على بعد ٧٥كم من أثينا- ذات المرفأين [على بحر إيجه والبحر الادرياتيكي] والتي يبلغ سكانها ٦٠٠٠٠٠ نسمة، ويشكل العبيد حوالي الثلثين)، يتواجد اناس من جنسيات مختلفة تتفشى بينهم الانحرافات الخلقية، وتتجاذبهم ديانات وفلسفات وتيارات متضاربة... وكان على بولس، في هذه المدينة اليونانية الرومانية ان ينادي بالمسيح المصلوب، حتى وإن خدّشت كرازته الآذان..تاركاً للروح أن يقوم بفعله!

في ما بين هؤلاء المسيحيين الجدد -ومعظمهم من طبقات اجتماعية وضيعة- سيبحث بولس واياهم عن "الهوية المسيحية" في قلب المجتمع الوثني، عبر المسائل الواقعية التي يطرحها الوجود المسيحي على الحياة اليومية، وحيث يترتب على المسيحي ان يشق طريقه الى نمط جديد من العيش واسلوب جديد في السلوكية... وهكذا **سيتمكن بولس، من خلال كرازته في قورنتس او عبر رسائله اليها، من ان يرسم ملامح اخلاقية مسيحية تنطلق من المتطلبات التي يفرضها، على مسيحيين جدد، الايمان بالمسيح المصلوب** الذي هو "قدرة الله وحكمة الله" (١قور ١: ٢٤).

أ- الرسالة الاولى الى قورنتس

كتبها بولس من افسس في ربيع ٥٦ -ويبدو ان هناك رسالة سبقتها قد فقدت (١قور ٥: ٩)- عالج فيها اموراً بلغت مسامعه، كما أجابت الى اسئلة طرحها عليه، كتابة، اهل قورنتس (٧: ١). وتكاد الرسالة كلها تكون بمثابة دليل للسلوكية المسيحية حول مسائل واقعية في حياة الجماعة، يمليها الايمان بالمسيح وتفرضها متطلبات المعمودية، وهي: التحزّب والانقسام (١: ١٠-٤: ٢١)، مسألة مساكنة شخص امرأة ابيه (٥: ١-١٣)، التقاضي لدى المحاكم الوثنية (٦: ١-١١)، أحداث الفجور (٦:

١٢-٢٠)، المفاضلة بين الزواج والبتولية (٧)، مسألة أكل اللحوم المذبوحة للأوثان (٨: ١-١١: ١)، الفوضى في اجتماعات كسر الخبز (١١: ٢-١٤: ٤٠)، التردد في عقيدة قيامة الاموات (١٥)...

لقد سعى بولس، في معالجته لكل هذه المشاكل والقضايا المطروحة، الى ان يحمل اهل قورنتس على اكتساب موهبة التمييز وشق الطريق الى سلوكية تنسجم مع روح الانجيل، وهكذا دشّن عملية تجذّر الانجيل في قلب الحضارات المختلفة!

قورنتس على بعد ٧٥كم من أثينا.. من أكمتها الشهيرة نطل على بقايا أعمدة من معبد أبولو الفخم.

من هذا المنطلق، تضحي الانقسامات بين المؤمنين والتحزّب لهذا الرسول او ذاك تحجيماً للبشارة الانجيلية الواحدة وعقبة بوجهها: "أترى المسيح انقسم؟" (١: ١٣). فليس المبشرون سوى خدام لهذه البشارة، (٣: ٥) ووكلاء مطالَبين بالامانة (٤: ١-٢)! وازاء تيارين أقصيين: اباحية مفرطة من جهة، واحتقار الجسد الى حد العزوف عن الزواج من جهة اخرى، دعا بولس الى التمييز والحكمة انطلاقاً من هذا المبدأ: "كل شيء يحلّ لي، ولكن ليس كل شيء ينفع" (٦: ١٢)، والذي بموجبه يتخذ المؤمن موقفا تمليه عليه المحبة تجاه مسألة اللحوم المذبوحة والمقربة للأصنام. ذلك لأن المحبة هي مقياس الحرية وحدودها، فكان لنا ذلك النشيد الرائع في المحبة (١٣)! وهي التي يجب أن تسود اجتماعات العبادة -وهكذا حصلنا على أقدم نص للافخارستيا (١١: ١٧-٣٤)-، كما عليها ان تنظم المواهب من اجل بنيان جسد المسيح الذي هو جماعة المؤمنين (١٢: ١-٣٠). وسيكون السؤال عن قيامة الاموات دافعاً لبولس كي يدلي بأقدم قانون ايمان بقيامة المسيح التي هي في الاساس من ايماننا [١٣] -ولا عجب ان تختم الرسالة بهذه العبارة الطقسية: "مارانا تا" (ربنا تعال)! وستبقى

---

[١٣] انظر التفسير الذي سندلي به في الفصل السابع عن هذه الرسالة بصدد قيامة المسيح وقيامة الموتى (الفصل ١٥).

هذه الرسالة حالية، اذا استطاعت كنائسنا في ضوئها ان تبحث عن اجوبة ملائمة لتساؤلات بني عصرنا، وتجد سبلاً جديدة لعيش الانجيل في قلب المجتمعات المختلفة.

ب- الرسالة الثانية الى قورنتس

بعد رسالته الاولى - وتعد الثانية بعد الرسالة المفقودة - ذهب بولس الى قورنتس ليعالج الفوضى، وما نتج عنها من أزمة في العلاقات، ويعاقب المخالفين (٢: ١).. الا انه تعرّض للمقاومة والتطاول من قبل أحدهم، بحيث عاد فكتب رسالة قاسية "والدموع تفيض من عينيه" (٢: ١-١١) -وقد فقدت هي الاخرى وتعدّ الثالثة من حيث العدد (٧: ٨)- أدّت مفعولها.. فحملته على كتابة رسالة أخيرة (وتعد الرابعة)، وهي القانونية الثانية، وذلك في حوالي خريف ٥٧ حين كان يتأهب للذهاب الى قورنتس للمرة الثالثة والاخيرة (١٢: ١٤) -وكان قد سبق فأرسل طيطس لتسوية الامور وتلطيف الاجواء (٧: ١٣).

هذه الرسالة هي بمثابة "بطاقة شخصية" تكشف لنا عن وجه بولس وهو يدافع عن نفسه وعن رسالته تجاه خصومه، ليعيد الامور الى نصابها، وذلك بلهجة جياشة يمتزج فيها الحب والانفعال، والحمية والحنان، وحتى المفاخرة والمكابرة (الفصول ١٠-١٣)! -ويعتبر بعض المفسرين هذه الفصول بمثابة الرسالة الثالثة المفقودة!

والرسالة في جزئها الاول (الفصول ١-٧) تعكس العلاقة الوثيقة التي تربط بولس بأهل قورنتس الذين هم أبناؤه في الايمان، ولا سيما من خلال الخدمة الرسولية التي كرس لها كل طاقاته بشعور عميق بالمسؤولية: انها خدمة لعهد جديد (٣: ٦) تفوق في المجد خدمة العهد القديم، إذ يُدعى المؤمنون فيه الى ان يعكسوا "صورة مجد الرب" ويتحولوا الى تلك الصورة... ليَشُعَّ فيهم "نور معرفة مجد الله الذي على وجه يسوع" (٣: ١٨-٤: ٦)! ولا عجب اذا رافقت هذه الخدمة شدائد ومحن (٤: ٧ - ٧: ٦) طالما ان هذه الشدائد هي السبيل لمزيد من الاتحاد بالمسيح، بتلك الثقة من ان الله "سيقيمنا مع يسوع"... وهكذا يبرز بولس قوة القيامة في حياته وحياة الجماعة:" الموت يعمل فينا والحياة تعمل فيكم " (٤: ١٢).

وفي الفصلين ٨-٩ يتجلّى وعي بولس العميق بالوحدة بين الكنائس والتضامن الذي هو دليل الشركة القائمة بين كنيسة اورشليم التي تعاني من الفاقة وكنائس العالم الوثني، طالما ان المؤمنين جميعاً جسد واحد في المسيح.

وتشكّل الفصول ١٠-١٣ ذلك الدفاع النابض بالحيوية والصراحة، مع بعض الكلام الشديد واللاذع احياناً، والذي اراد بولس من خلاله ان يبين أصالة "رسوليته" ويبرز علاماتها المميزة، وقد مكّنته من تحمل اشكال الشدائد، ومنحته تلك الجرأة على اعلان البشرى، بالرغم من ضعفه وشعوره بحدوده!

جـ- الرسالة الى اهل غلاطية

يشمل اسم غلاطية ولاية رومانية في وسط تركيا الحالية أنشأ فيها بولس "كنائس" ابان رحلته التبشيرية الاولى (رسل ١٣-١٤)، واجتاز فيها خلال رحلتيه التاليتين (رسل ١٦: ٦؛ ١٨: ٢٣). ومع هذه الرسالة التي كتبها على الارجح من افسس بين عامي ٥٦-٥٧ الى كنائس غلاطية الشمالية -وقد زارهم ثانية (غلا ٤: ١٣)-، نجدنا بإزاء مقالة لاهوتية حول الخلاص بيسوع تدحض الضلالات التي يروّجها الخصوم من المسيحيين المتهوّدين القائلين بوجوب فرض شريعة موسى، بما فيها الختان، على المهتدين من الوثنيين -وقد دغدغ هذا "التهوّد" بعضهم! ويتلخّص جواب بولس لهم: الايمان المسيحي كاف للخلاص من دون الحاجة الى ممارسة اعمال الشريعة، ذلك لان الخلاص هو عطية الله المجانية بيسوع لكل من يؤمن.. وبخلافه تتحطم بشارة الانجيل وتتقلص الحرية التي دُعُوا اليها، ويبطل صليب المسيح! أليست الشريعة في جوهرها "حارساً يقودنا الى المسيح لنُبَرَّر بالايمان" (٣: ٢٤)؟

ينطلق بولس من "انجيل المسيح" الذي يريد الخصوم تبديله، معلناً ان "بشارته" (١: ١١) -ويصح الحديث عن "انجيل" بولس (روم ٢: ١٦)- تلقاها مباشرة من المسيح الناهض لخلاص المؤمنين، يهوداً كانوا ام وثنيين، وانها حظيت بالمصادقة من قبل كنيسة اورشليم (١: ١١-٢: ١٠).. ليخلص الى القول: "آمنّا بالمسيح لكي نبرّر بالايمان بالمسيح، لا بالعمل باحكام الشريعة " (٢: ١٦).. فلا حياة الا بالمسيح (٢: ٢٠)!

وفي القسم الثاني من الرسالة (٣-٦)، وعبر استعراض مكثف لتاريخ الخلاص (ابراهيم، موسى)، يرينا بولس قمته في "ملء الزمان" حين "ارسل الله ابنه" (٤: ٤) لنصبح به ابناء الله.. والدليل على ذلك ان "الله ارسل روح ابنه الى قلوبنا لينادي:[أبّا]" (٤: ٦)! وهكذا يتحقق عبورنا من الحياة بحسب الجسد الى الحياة بحسب الروح -ومثالنا في ذلك اسحق ابن الموعد!-، ويتم انتقالنا من العبودية الى "حرية ابناء الله"، بفضل العماذ الذي جعلنا "واحداً في المسيح يسوع"! فهل يمكن من ثم ان نُستعبَد من جديد؟ وهوذا بولس يناشدنا قائلاً:"المسيح حرّرنا تحريراً. فاثبتوا ولا تدَعوا أحداً يعود بكم الى نير العبودية" (٥: ١)!

في هذه الرسالة برمتها نلتقي بولس كله غيرة وحمّية وحزم -ولكَم تستوقفنا لهجته الشديدة الصارمة- هو الذي، في تأمله العميق بالصليب، اكتشف حب الله في يسوع: "أحبّني وجاد بنفسه لأجلي" (٢: ٢٠)! وهو الذي ارتضى ان يصير "لعنة لأجلنا" (٣: ١٣) كي يهبنا الحياة ويجعل منّا خليقة جديدة (٦: ١٥)، نحيا ونتصرف بحسب الروح... الا تطرح الرسالة على كنائسنا هذا السؤال الخطير: الى أي مدى تدعو كنائسنا المؤمنين الى عيش "حرية ابناء الله" في الروح؟!

د- الرسالة الى اهل روما

لم تكن أقدام بولس، رسول الامم، قد وطأت روما حين وجه الى مسيحييها هذه الرسالة التي هي بحق بحث لاهوتي عميق ومتكامل في "الخلاص بيسوع المسيح". ومن الراجح انه كتبها من قورنتس خلال زيارته الثالثة حيث قضى ثلاثة اشهر (رسل ٢٠: ١-٣)، وذلك في اول الربيع من عام ٥٧ او ٥٨، حين كان متأهباً للتوجه الى اورشليم لحمل الاعانة لكنيسة اورشليم (١٥: ٢٢-٢٨)، على أمل التوجه من ثم الى روما (رسل ١٩: ٢١)، وهو في الطريق الى اسبانيا! إلا أن هذا المشروع لم يتحقق..! فلَكَم تمنى ان يذهب اليها بدافع من الشركة الايمانية (١: ١٠ت)، ولكنه لن يدخلها الا اسيراً في حدود العام ٦١ حين أُقتيد ليمثل امام محكمة القيصر (رسل ٢٧-٢٨).

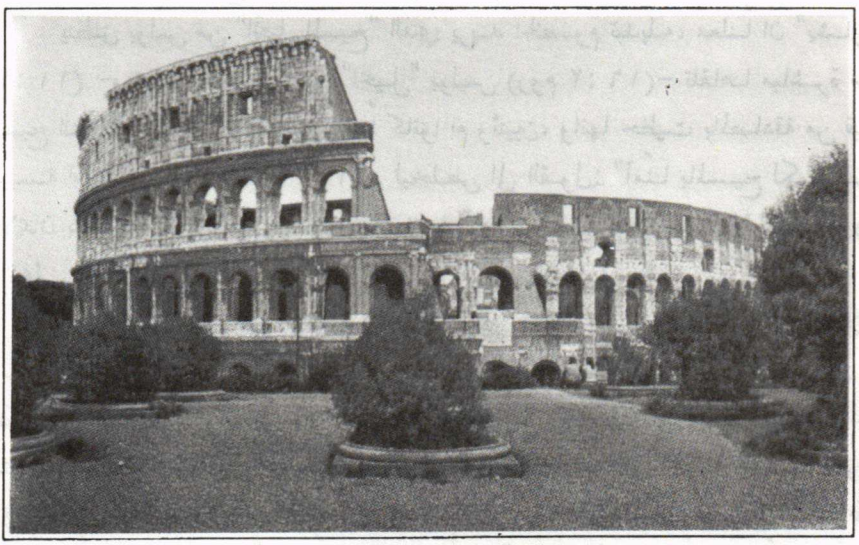

مسرح الكوليزيوم الشهير الذي كان يتسع لحوالي ١٠٠ ألف مشاهد! حيث كانت تقام مختلف العروض. إنه شاهد على عظمة روما في عهد الأباطرة -الآثار الشاخصة منه ترجع الى عام ٢١٧م لدى استبدال الخشب بالحجر في طابقه العلوي.

ليس من شك ان روما كانت تحتضن جالية مسيحية كبرى من اليهود والوثنيين، ولا نعلم السبب المباشر الذي دفع بولس الى الكتابة اليهم! وفيما سعى بولس الى التوفيق ما بين الوجهتين العقائدية والراعوية، الا ان البنية اللاهوتية المتماسكة تبقى تطبع هذه الرسالة التي تعرض "انجيله" وفهمه لسر الخلاص بشكل اكثر متانة مما فعله في الرسالة الى اهل غلاطية: فهو يبدو ذاك المعلم الرصين الذي يستخدم مختلف فنون الخطابة ليحمل قراءه على استيعاب فكرته التي تناولها من زوايا اربع!

ومهما قيل في طابع الرسالة العقائدي الشامل، فهي مع ذلك تعكس واقع الانقسام الذي تعرضت له الكنيسة في زمن بولس، وفي مناطق عدة، بين الجماعتين: الجماعة اليهودية المتنصرة التي لا تزال تنظر الى الماضي، والجماعة الوثنية المتنصرة التي جعلها الايمان المسيحي على الفور في مستوى الاولى! ولا شك انه اراد من خلال هذه الرسالة/ البحث ان يضفي على الطروحات التي تناولها في الرسالتين الى اهل قورنتس، والرسالة الى اهل غلاطية بشكلٍ خاص، مناشداً الجماعتين الى المصالحة والوفاق والتقبل المتبادل (١٥: ٧) والسعي بفعل الروح القدس الى بناء وحدتهما الجوهرية في المسيح (الفصل ٨).

يختلف المفسرون بشأن تصميم الرسالة، سيما وان الفصول ٩-١١، حول مصير اليهود، تبدو مستقلة جزئياً عن الفصول الاولى ١-٨... الا اننا نثبت، على منوال ما جاء في طبعة دار المشرق، تقسيماً مقترحاً باربع مراحل يصف كل منها شقاء الجنس البشري ازاء انتصار البشرى الانجيلية، ووفق اربعة أوجه أو أصعدة: الحقوقي، الاسراري (الايماني)، الروحي (السايكولوجي)، التاريخي.

١. شقاء الوثنيين واليهود وقد حكم الله عليهم (١: ١٨-٣: ٢٠) وتبرير جميع الذين يؤمنون بيسوع بفضل نعمته (٣: ٢١- ٤: ٢٥). (الصعيد الحقوقي)

٢. شقاء الجنس البشري لانه شريك آدم الاول (٥: ١-١٤) وخلاصه بمشاركته ليسوع المسيح عبر المعموذية (٥: ١٥ - ٦: ٢٣). (الصعيد الاسراري/الايماني)

٣. شقاء الجنس البشري المستعبَد للشريعة (٧: ١-٢٥) وتحريره بالروح القدس (٨: ١-٣٩). (الصعيد الروحي / السايكولوجي)

٤. شقاء اسرائيل لرفضه المسيح (٩: ١-١٠: ٢١) وخلاصه بالتالي طالما ان "اسرائيل الجديد" مكوّن من اليهود والوثنيين (١١: ١-٣٦). (الصعيد التاريخي)

هذا التقسيم يساعد على فهم اسلوب بولس في اعلان "انجيله" للجماعتين، وفي دعوتهما بالتالي (١٢-١٥) الى عيش متطلبات الايمان والمحبة والوحدة والتضامن في ما بينهم من جهة، ومع الناس أجمعين، من جهة اخرى.

وفيما تبقى الرسالة الى الرومانيين، مع صعوباتها، أكثر رسائل بولس قوة وعمقاً وشمولية في المواضيع المطروحة، ولا سيما في موضوع مجانية الخلاص والتبرير -وهو في قلب المجادلات التي كانت وراء حركة الاصلاح اللوثري- فهي، مع ذلك، لا تعكس كل أوجه الايمان المسيحي وانعكاساته في فكر القديس بولس!

ويسوغ لنا الآن ان نستعرض بعض ابرز الفقرات التي تشهد لعمق رؤياه بشأن سر المسيح الذي " جُعل ابن الله في القدرة... بقيامته من بين الاموات" (١: ٤) لخلاص كل مؤمن، "اليهودي اولاً ثم اليوناني"! -وتدور الرسالة كلها حول برّ الله الممنوح لهاتين الجماعتين، من دون ان يكون للواحدة فضلٌ على الاخرى! ذلك لان جميع الناس "بُرِّروا مجاناً بنعمته بحكم الفداء الذي تمّ في المسيح يسوع" (٣: ٢٤). انه تجلي عظمة محبة الله: المسيح مات من اجلنا ونحن خطأة (٥: ٨)!

أما ما يقوله بولس في الخطيئة الاولى[١٤]، فهو لإبراز عظمة الخلاص بيسوع، آدم الجديد، الذي حررنا من عبودية الخطيئة والموت والشريعة. ويتم هذا التحرير في المعموذية، سر الموت والحياة مع المسيح: "دفنّا معه بالمعموذية لنحيا حياة جديدة، كما أُقيم المسيح من بين الاموات بمجد الآب..." (٦: ٤). وهكذا لم يعد للخطيئة علينا من سلطان: "انكم أموات عن الخطيئة، أحياء لله في يسوع المسيح" (٦: ١١).. وحُلِلْنا من الشريعة طالما اصبحنا "في نظام الروح الجديد، لا في نظام الحرف القديم" (٧: ٦).

وها نحن بإزاء هذه الخلاصة: "لم يعد بعد الآن من حُكْمٍ على الذين هم في يسوع المسيح" (٨: ١)! وما ذلك الا لأنهم اصبحوا تحت قيادة الروح القدس الحالّ فيهم -ومن هنا كان التعارض بين الروح والجسد (ويعني لدى بولس الانسان بكيانه حين يتنكر لله). وهكذا "فالذين ينقادون لروح الله يكونون ابناء الله حقاً" (٨: ١٤)، ويستطيعون من ثم ان ينادوا الله "أبّا"! وهوذا الفصل ٨ الذي يرسم صورة للمسيحي طبقاً لصورة المسيح الممَجّد -وهو "بكر لاخوة كثيرين" (آ ٢٩)- يُختَم بنشيد في محبة الله (آ ٣١-٣٩) المتجلية في المسيح، والتي ليس بوسع أي شيء ان يفصلنا عنها!

أما بشأن القسم "الاخلاقي" من الرسالة (١٢-١٥)، فيبدأ بولس بدعوة المؤمنين الى العبادة الحقة، بتقديم ذواتهم "ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله"، كلٌّ بحسب موقعه من الجسد، وبحسب موهبته، وذلك في نطاق المحبة الاخوية بكل عمقها وابعادها، طالما هي "كمال الشريعة" (١٣: ١٠). فهي التي تملي السلوكية المطابقة لروح المسيح، من مراعاة ضعيف الايمان، الى تجنب الادانة، الى الخدمة... ولا ينبغي ان يدهشنا ما

---

[١٤] ان مفهوم الخطيئة الاصلية لا يرجع الى سفر التكوين بل الى رسالة بولس الى روما (الفصل ٥)، وما تأكيده عليها سوى لإبراز حقيقة الخلاص الذي كنا بحاجة اليه. ودليله ان آدم هو كل انسان، وخطيئته هي خطيئة كل انسان... ومن هنا كان الخلاص بيسوع "آدم الجديد" شاملاً، أي اننا جميعاً خطأة مخلّصون بيسوع المسيح: خطأة نالوا العفو بذاك الذي أحبّنا (٨: ٣٧).

أوصى به بولس في وجوب الخضوع للسلطات (١٣: ١ت) طالما انه يعكس حالة "السلام" الذي أُقر في الامبراطورية، وحظي بمردوداته اليهود والمسيحيون، ولا سيما في السنوات الاولى من حكم نيرون (٥٤-٦٦) -وكان قد أرجأ تطبيق المرسوم الذي أصدره قلوديوس عام ٤٩ بطرد اليهود من روما. وكم سيتغيّر هذا الاطار في السبعينات ونهاية التسعينات حين ستمثّل السلطة بالوحش في سفر الرؤيا!

وتختم الرسالة بقائمة من التحيات "من والى" يذيلها كاتب الرسالة، طرطيوس، بسلامه (١٦: ٢٢)!

هـ - الرسالة الى اهل فيلبي

هذه المستعمرة الرومانية التي يرجع اسمها الى فيلبس ابي الاسكندر المقدوني، جاءها بولس بين الاعوام ٤٩-٥٠ ابان رحلته الثانية برفقة سيلا وطيموتاوس ولوقا ولا شك -وقد أخذ، في سفر الأعمال، يكتب بصيغة الجمع (١٦: ١٠ت)! وكانت قد نشأت جماعة نشطة معظمها من الوثنيين المهتدين وجه اليهم بولس هذه الرسالة التي يرى فيها اهل الاختصاص مجموعة من ثلاث رسائل صغيرة نابضة بالحب والمودة والانشراح: فيها فتح قلبه لهم وترك العنان لعواطفه.. ومنهم وحدهم تقبّل المساعدة (٤: ١٠ ت؛ ٢قور ١١: ٨) على يد ابفرديطس احد اعضاء كنيسة فيلبي (٢: ٢٥ ت؛ ٤: ١٨ ت)... وفيما يرى بعض المفسرين انه كتبها من سجن روما بين الاعوام ٦١-٦٣، يُرجح أغلبهم انه كتبها في الاعوام ٥٦-٥٧ من سجن افسس (٢قور ١: ٨).

انها، مع الرسالة الى فيلمون، تعكس الطابع الشخصي الذي يتّسم به فن الرسائل، دون ان يتناسى بولس المواضيع الايمانية العزيزة على قلبه: انه يرى في "قيوده" فرصة لترسيخ البشرى طالما انه يتقبلها بفرح "في سبيل المسيح" (١: ١٣)، وهي تؤول بالتالي الى خير اهل فيلبي عبر جهادهم في سبيل الايمان، على مثال المسيح " العبد المتألم" الذي رسم سرّه نشيدٌ قديم (٢: ٦-١١) تضمن اجمل تعبير عن قيامة الرب بمفردات الرفع والتمجيد! فإلى عيش حياة متأصلة في المسيح هم مدعوون...

وفي الفصل الثالث تباغتنا تحذيرات بولس من خلال المتهودين الذين يعتمدون على "الجسد" -الممارسات اليهودية- وتلك كانت الفرصة ليعلن، وهو الفريسي العنيد، ان ما كان يعتبره "ربحاً"، عدّه "خسراناً" من اجل "معرفة يسوع المسيح ربّي".. هذه المعرفة التي تجد اكتمالها في الاتحاد بموت المسيح وقيامته (٣: ٧-١١). ولَكَم تستوقفنا عباراته:"يسوع ربي" (٣: ٨)، "قبض عليّ يسوع المسيح" (٣: ١٢)! وهو على يقين من أن عليه ان يحث الخطى للحاق به...

وفي الختام يدعو بولس اهل فيلبي الى ان يقتدوا به - بإزاء اولئك الذين "يسيرون سيرة اعداء صليب المسيح" - مناشداً اياهم الى الوفاق والسلام ولا سيما الفرح الدائم: "افرحوا في الرب دائماً. اكرر القول: افرحوا"! (٤: ٤ت)... فلا عجب اذا سميت هذه الرسالة التي تتميز لهجتها عن سائر رسائل بولس "رسالة الفرح": الفرح بقبول البشرى، الفرح بعيشها بروح الخدمة، الفرح باعلانها والشهادة لها! -انها رسالة تُقرأ دفعة واحدة!

٣- يسوع المسيح سيد العالم
(رسائل الأسر)

- **الرسالة الى اهل قولسي** (٦١-٦٣)
- **الرسالة الى اهل افسس** (٦١-٦٣)
- **الرسالة الى فيلمون** (٦١-٦٣)

خلاص الله بيسوع المسيح! وسرعان ما اصبح يسوع نفسه يجسّد هذا الخلاص: ما من اسم آخر... ننال به الخلاص (رسل ٤: ١٢)! وها هو المسيح، في رسائل بولس الاخيرة من السجن، يتجلى "ربّا" على مستوى العالم والتاريخ.. وسيكون بعض التيارات المنحرفة دافعاً له الى توسيع رؤيته للمسيح، فضلاً عن سنوات الأسر الاربع (٥٨-٦٢) في قيصرية، وروما من ثم (قول ٤: ٣؛ اف ٣: ١؛ ٤: ١؛ ف ٩ت) والتي ستمكنه من تنسيق تفكيره اللاهوتي في سر المسيح عبر الرسالتين الى أهل قولسي وافسس، وعبر البطاقة الشخصية الى فيلمون.

أ- الرسالة الى اهل قولسي

هذه المدينة الصغيرة على بعد ٢٠٠ كم الى الشرق من افسس، لم يبشرها بولس، بل تلميذه ابفراس من قولسي ذاتها -وقد وسّع تبشيره الى لاوذكية وهيرابوليس المجاورتين (١: ٣؛ ٤: ١٣). لذا يطلب بولس ان تُقرأ رسالته في لاوذكية وبالعكس (وهذه الرسالة الى لاوذكية مفقودة، الا اذا اعتبرناها انها الرسالة الى افسس بحسب اجتهاد عدد من المفسرين).

لا شك ان بولس بَلَغته أخبار بالخطر الذي يهدد ايمان المسيحيين: فإلى جانب نزعة التهوّد التي اتخذت منحى باطنياً، هناك تيار تفلسفي يجعل من المسيح كائناً في مصف الملائكة والقوات السماوية.. وكأنه مجرد حلقة وصل! فكان عليه ان يغوص في

سر المسيح عبر قراءة مجددة في الاسفار المقدسة، ولا سيما في الاسفار الحكمية، ليجد ما يعبّر عن كيان المسيح "الأزلي" الذي هو "صورة الله" (١: ١٥، راجع ٢ قور ٤: ٤). ويقول الاب شربتييه: "وعند تأمل بولس في هذه الحكمة الالهية عبر الاسفار المقدسة، وادراكه ان يسوع لا يعلن عن الملكوت حسب بل هو نفسه هذا الملكوت، اكتشف ان يسوع لا يمتلك الحكمة حسب، بل يجسّدها بشخصه. وتتكشف قمة تفكيره في نشيد المسيح الكوني (١: ١٥-٢٠)"[١٥].

ولما كانت هذه الرسالة تحمل ميزات كثيرة لا نجدها في غيرها من رسائل بولس (على صعيد الفكر والانشاء واللغة والمفردات) -عدا الرسالة الى افسس، حتى إن أوجه الشبه الكثيرة بينهما تثير مشكلة!- طُرِحَتْ بين المفسرين صحة نسبتها الى بولس: ففيما يرى بعضهم انها من وضع احد تلاميذ بولس في آخر القرن الاول، يرجح آخرون انها، مع رسائل الأسر (افسس وفيلمون)، من نتاج بولس في ختام حياته الرسولية، وقد ضمنها خلاصة تفكيره اللاهوتي في سر المسيح، والذي سيبلغ أوَجَه في الرسالة الى افسس.

"لقد حسن لدى الله ان يَحِلَّ به الكَمَالُ كلّه" (١: ١٩)! هذا هو موقع المسيح في عالم الله. اما بالنسبة الى العالم والكون، فهو الذي "كل شيء خلق به وله، هو قبل كل شيء، وبه قوام كل شيء" (١: ١٦-١٧). وهو ذاته "راس الجسد أي راس الكنيسة" (١: ١٨) التي ستكون المكان الذي فيه تتم مصالحة البشرية، وذلك عبر البشارة وما يرافقها من "شدائد".. وكلها تؤول الى جعل "كل انسان كاملاً في المسيح" (١: ٢٨)!

وفيما تُحَذِّر الرسالة من كل اشكال التضليل التي تستعبد المؤمن وتخضعه "لأركان العالم"، يتجلى انتصار المسيح على كل القوى، ومعه كل المؤمنين: "دُفنتم معه بالمعمودية، وبها ايضاً أُقمتم معه..." (٢: ١٢) -هم الذين اصبحوا "احياء"، قادرين على الظفر بكل اشكال العبودية (٢: ١٦- ٣: ٤). وتخاطب الرسالة المؤمنين، من جديد، بصيغة الماضي التي تعبر عن شركة مع المسيح قد بلغت تمامها -اما وقد "قمتم" مع المسيح (٣: ١)-، داعية اياهم الى بناء ملكوت الله منذ الآن، بخلع الانسان القديم والاتشاح بالانسان الجديد الذي "يتجدد على صورة خالقه" (٣: ١٠)، شريطة ان يتصفوا بصفات المسيح عبر كافة أوجه الحياة اليومية (٣: ٥- ٤: ٦) التي تتخذ، في المسيح، معنى جديداً.

وتحمل الخاتمة نكهة الاخبار الشخصية: بولس يبعث طيخيقس ليحمل اليهم اخباره، ومعه ابن قولسي، اونيسمس -وقد كان عبداً لفيلمون-، فيما يبلّغهم تحيات "مرقس ابن عم برنابا" وابفراس ولوقا الطبيب...

---

[١٥] من الاناجيل/ ص ٣٨.

ب- الرسالة الى افسس

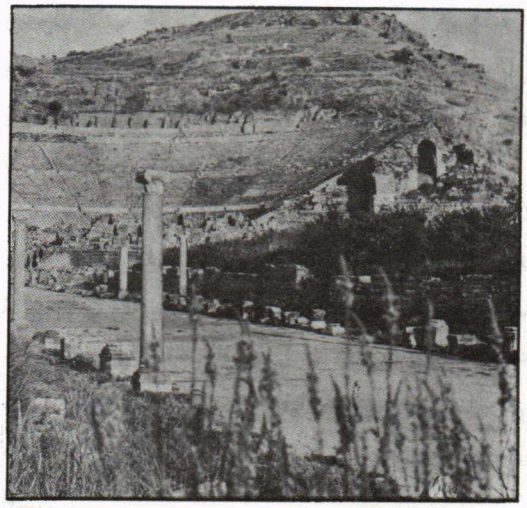

افسس مدينة هامة في قلب آسيا الصغرى (تركيا اليوم) قضى فيها بولس قرابة ثلاثة أعوام -بقايا الأعمدة على طرفي الطريق تشهد على عظمة أفسس وروعة هياكلها...

قد لا تكون هذه الرسالة موجهة الى أهل افسس -وهي المدينة الشهيرة بالقرب من الساحل الغربي لتركيا الحالية، التي جاءها بولس مبشراً (رسل ١٩) وأمضى فيها قرابة ثلاث سنوات (رسل ١٩: ١٠؛ ٢٠: ٣١)- وإن قال عنهم انه "سمع بإيمانهم" (١: ١٥)!! سيما وان بعض المخطوطات القديمة قد أغفلت ذكرهم في الآية ١! وقد تكون هي ذاتها الرسالة المفقودة الموجهة الى لاوذكية (قول ٤: ١٦)، او بمثابة رسالة عامة الى الكنائس في غرب آسيا الصغرى -وهي المنطقة ذاتها التي توجّه الى كنائسها السبع كاتب سفر الرؤيا (١: ١١)...

كُتبت ولا شك في ظروف مشابهة لرسائل بولس في الأسر (قولسي وفيلمون، وقد تكون ايضاً الرسالة الى فيلبي؟)، ولها اوجه شبه كثيرة ومتميزة مع قولسي، وعلى اكثر من صعيد، مما يثير مسألة انتسابها الى بولس او احد تلاميذه: ففيما هناك اسباب كثيرة حملت بعض المفسّرين على جعلها من جيل ما بعد الرسل، وفي بيئة متأثرة كثيراً بتعليم بولس (فإلى افسس ترجع الرسائل الراعوية والمؤلفات اليوحنانية).. رأى غيرهم، في أوجه الشبه والتميز، مؤشراً الى ان بولس، بعد الرسالة الى قولسي، عهد الى تلميذ له بهذه الرسالة الاخرى الى الجماعات المسيحية، مستكملاً فيها حصيلة فكره... وقد يكون، على حد تعبير مدخل طبعة دار المشرق، "ان الرسول بعث بهاتين الرسالتين، في وقت يكاد يكون واحداً، الى كنيستين، فاستوحى من الاولى (قولسي) ما كتب في الاخرى (افسس)، فتكون عندئذٍ الرسالة الى اهل افسس المرحلة الاخيرة لفكر بولس".

ومهما يكن من أمر الانتساب، فإن الرسالة الى افسس تتألق في "العلو والعمق والطول والعرض" في الكشف الرائع عن "سر تدبير" الله الازلي الذي "حققه بالمسيح يسوع ربنا" (١: ٩،١١؛ ٢: ٧؛ ٣: ٩ت)، وقد تجلى بأبهى مظاهره في الكنيسة

"جسد المسيح" بصفتها حقيقة شاملة ومشخّصة... فالرسالة قمة في التأمل اللاهوتي بسر المسيح والكنيسة.. تقرأ، ولمرات عديدة، في جو من الصلاة والشكر والسجود!

ويمكن ان نتبين فيها قسمين: في الفصول ١-٣ نجد "الكنيسة" في القلب من تدبير الله الخلاصي. فالله "أبو ربنا يسوع المسيح" الذي شاء "ان يتبنّانا بيسوع المسيح" (١: ٥) -بعد أن " أقامه من بين الاموات وأجلسه عن يمينه.. وجعل تحت قدميه كل شيء"- وهبه لنا "رأساً للكنيسة التي هي جسده وملء ذاك الذي يمتلئ تماماً بجميع الناس" (١: ٢٢-٢٣). فالمُعمَّدون جميعاً مدعوون الى التأمل في عظمة الخلاص الذي انجزه الله بالمسيح.. هو الذي: "... لحبه الشديد الذي أحبنا به، مع اننا كنّا أمواتاً بزلاتنا، أحيانا مع المسيح..." (٢: ٤-٥). فنحن اذن اناس "قاموا" مع المسيح ورُفعوا معه في المجد! ولعل ابرز مظهر لعمل نعمة الله، هي تلك المصالحة التامة بين اليهود والامم: "انه سلامنا، فقد جعل من الجماعتين جماعة واحدة، وهدم في جسده الحاجز الذي يفصل بينهما..." (٢: ١١-٢٢). وهكذا اصبح الوثنيون "أقارب بدم المسيح" و"من اهل بيت الله"! وفي كل هذا "التدبير"، يبدو بولس ذاك الرسول الذي "أُطلع على السر بوحي" (٣: ٣)، وها هو ينشد لنعمة الله، جاثياً ومتضرعاً من اجل رسوخ ايمانهم (٣: ٨-٢١)...

اما في القسم الثاني (٤-٦) فنجدنا بإزاء ارشادات تبدو وكأنها جزء من رتبة العماذ وما يُرافقه من التزامات في قلب الكنيسة "شعب الله" و"جسد المسيح"، طالما ان المؤمنين مدعوون الى "وحدة الايمان بابن الله"، والبلوغ الى "القامة التي توافق كمال المسيح" (٤: ١٣). وهكذا تُقرأ صفحات رائعة في المناشدة بالتزام الوحدة والسلام "لبنيان جسد المسيح" (٤: ١-١٦)، وفي الدعوة الى الحياة الجديدة بحسب المسيح، في التجدد الباطني والسلوك السوي، عبر علامات المحبة والتضامن والتسامح... وبكلمة تناشد الرسالة المؤمنين: "سيروا سيرة أبناء النور!" (٤: ١٧- ٥: ٢٠).

وتقول مقدمة طبعة دار المشرق بشأن "الكنيسة" بانه قد تمّ انتقال من مفهوم كنائس محلية الى "حقيقة شاملة تكاد تكون أشبه بشخص"... "كانت الكنيسة مرتبطة بالزمن، تعيش في التاريخ، فأخذت تبدو كأنها ابدية"! وهكذا اصبحت تظهر بصفتها "عروس المسيح"، المدعوة الى الاتحاد الوثيق به، طالما انه رأسها -"وهي جسده، وهو مخلّصها ". وهذا الإتحاد هو نموذج للاتحاد القائم في الزواج: "احبوا.. كما احب المسيح الكنيسة..." (٥: ٢١ ت).

لقد ادرك كاتب الرسالة الى افسس ان تدبير الله كُشف بالتالي للكنيسة، بمفهومها الشمولي، فاستبق ورأى فيها ملامح الملكوت النهائي: انها المكان الذي فيه يُقام "التسبيح بمجد الله" والذي تشارك الخليقة كلها فيه "على يد الكنيسة"!

جـ - الرسالة الى فيلمون

هذه البطاقة الصغيرة (٢٥ آية فقط!) ذات الطابع الشخصي هي الاخرى "رسالة" بكل معنى الكلمة، سيما وان بولس يوجهها الى صديقه فيلمون والى الكنيسة التي تجتمع في بيته، في قولسي. وقد يكون حملها اليه طيخيقس ومعه اونيسمس(قول ٤: ٧-٩)، "العبد" الذي بشأنه كتب بولس الى فيلمون راجياً ومستعطفاً، وبعبارات تتسم بالكياسة واللباقة! وقد كتبها ولا شك من السجن، بالتزامن مع الرسالة الى قولسي. انها رسالة تقرأ بالدموع!

ويرجح ان يكون اونيسمس "العبد" قد هرب من دار "سيده" فيلمون لسبب ما (آ١٨). وبعد اهتدائه (١٠) -وقد أصبح أخاً حبيباً (١٦)- لم يشأ بولس ان يحتفظ به دون موافقة فيلمون الذي يحق له ان ينزل به العقاب الشديد. وهوذا بولس يعيده اليه ومعه رسالة تشفع يطلب اليه فيها، ومن دون أمر، وباسم المحبة (٨-٩)، ان يعفو عن اونيسمس الذي أصبح في الايمان الجديد "نافعاً" -وهو معنى اسمه- و"أخاً" لكليهما: "... لم أشأ ان افعل شيئاً دون رضاك لكيلا يكون منك الاحسان كرهاً، بل طوعاً" (١٤). وبولس إذ يثني على محبة فيلمون وايمانه وسخائه (٤-٧)، يخطو نحوه بثقة وجرأة: "... لا ليكون عبداً بعد اليوم، بل أفضل من عبد، أي أخاً حبيباً "، وذلك بدافع من الانسانية والايمان (١٦). ولا يتردد الرسول من الطلب الى فيلمون ان يقبل اونيسمس قبوله لله شخصياً (١٧)، مخلصاً الى القول: "كتبت اليك واثقاً بطاعتك، عالماً بأنك ستفعل أكثر مما اقول" (٢١)! وهنا تتضح رغبة بولس في إعتاق اونيسمس، كما يتجلى موقفه من العبودية بشكل أوضح مما عكسته رسائله الاخرى والتي، وإن لم يطالب فيها بإلغاء الرق الذي كان سائداً، لكنه دعا الى تحطيم الحواجز في المسيح بين العبيد والاسياد (غلا ٣: ٢٨)، والى العيش بمحبة في ما بينهم (روم ١٢: ٢٠). ومع الرسالة الى فيلمون، فهو يخطو باتجاه "الاخوّة" في المسيح... وهكذا قضى على العبودية في نحرها!

٤- الوصايا الاخيرة (الرسائل الراعوية)

- **الرسالة الثانية الى طيموتاوس (٦٤-٦٧ او نهاية القرن الاول؟)**
- **الرسالة الاولى الى طيموتاوس (٦٣ او نهاية القرن الاول؟)**
- **الرسالة الى طيطس (٦٣-٦٧ او نهاية القرن الاول؟)**

هذه الرسائل الثلاث الموجهة الى طيموتاوس وطيطس، ومن خلالهما الى الكنائس التي يشرفان على مسيرتها (افسس، كريت...)، غالباً ما تنسب الى القديس بولس في

آخر حياته، فتنضمّ الى رسائله العشر الاولى. ومع مطلع القرن ١٨ اكتسبت لقب "الرسائل الراعوية" لكونها تتضمن توجيهات لرعاية القطيع أي الكنيسة. ولنقلها منذ الآن: ان هذه التوجيهات الراعوية ذاتها حملت ذوي الاختصاص على القول بأنها رسائل تتوجه الى كنيسة ذات بنية متماسكة يسودها نظام متطور، وانها من ثم رسائل كتبت بعد موت الرسول، بقلم كاتب استخدم اسمه وسلطته ليعالج المسائل والمشاكل اللاحقة لزمن بولس...

ونجد في هذه الرسائل، ولا سيما في الرسالة الثانية الى طيموتاوس، معلومات تاريخية لا تتوافق البتة مع خاتمة سفر الاعمال (٢٨: ٣٠) بشأن إقامة بولس سنتين في روما - علماً بأن هذه الخاتمة ذاتها لا تعكس بالضرورة نهاية حياة بولس!- مما حمل القائلين بصحة نسبة الرسائل الراعوية الى بولس على الافتراض بأنه قد أُسر في روما مرة ثانية بين الاعوام ٦٤-٦٧، فكتب خلالها هذه الرسالة الثانية قبيل استشهاده ابان اضطهاد نيرون ما بين الاعوام ٦٤-٦٨. الا ان هناك نسبة كبيرة من العلماء يرجئون كتابتها الى نهاية القرن الاول او الى بداية القرن الثاني[١٦].

اما الرسالة الاولى الى طيموتاوس فترجع، بمضمونها وأخبارها ومفرداتها، الى عين الفترة. ففي حالة صحة نسبتها الى بولس تكون قد سبقت الرسالة الثانية، وبخلافه تكون قد تلت الثانية! ذلك لأننا نجد فيها معلومات تجعلنا نتجاوز افتراض أسر ثان لنخلص الى القول بتاريخ لاحق للرسالة الثانية، وفي فترة ترقى الى نهاية القرن الاول على اقل تقدير! وهكذا هي الحال مع الرسالة الى طيطس.

وطيموتاوس يذكره سفر الاعمال كونه "تلميذاً" من لسترة، من ام يهودية وأب يوناني (١٦: ١ت)، لازم القديس بولس منذ شبابه (١طيم ٤: ١٢) -وقد دعاه بولس "الاخ" و"المعاون" و"الابن"- وتقبل من الشيوخ "وضع الايدي" (١طيم ٤: ١٤؛ ٢ طيم ١: ٦)، ورافق بولس في رحلاته (رسل ١٧: ١٤؛ ١٨: ٥؛ ٢٠: ٤)، واقترن اسمه باسم بولس في الرسائل الموجهة الى تسالونيقي والثانية الى قورنتس وروما وفيلبي وقولسي وفيلمون! وقام بمهمة الموفد الى جماعة تسالونيقي (١تس ٣: ٢،٦) وقورنتس (١قور ٤: ١٧).

اما طيطس فلم يأتِ ذكره في سفر الاعمال. وهو من اسرة وثنية، اقتبل الايمان على يد بولس (طي ١: ٤) الذي لم يفرض عليه الختان -كما فعل مع طيموتاوس- وقد اصطحبه الى مجمع اورشليم (غلا ٢: ١-٣). وتجدر الاشارة الى أن طيطس نجح في مساعيه لدى اهل قورنتس لصالح معلّمه (٢قور ٧: ٧ت) الذي كان قد أوفده اليهم...

---

[١٦] يقدّر ريمون براون الاختصاصي بالمولفات اليوحنانية بأن ٩٠٪ من المفسرين ينفون نسبة الرسائل الراعوية الى بولس! راجع كتابه النفيس المترجم من الانكليزية الى الفرنسية بعنوان: "كنيسة ورثناها عن الرسل "

Raymond E. Brown: L'Eglise héritée des Apôtres , Les Ed. du Cerf , Paris 1987

كما عهد اليه امر تنظيم الجماعة المسيحية في كريت (طي ١: ٤). وآخر خبر عنه انه ذهب الى دلماطية (٢طيم ٤: ١٠).

هناك تجانس، بقدر التضارب في التفكير اللاهوتي، مابين الرسائل الراعوية والرسائل الاخرى. ففي أوجه الشبه، على صعيد المضمون، هناك ما يحمل على القول بأن الرسائل الراعوية كتبت، على اقل تقدير، تحت تأثير الفكر البولسي، بينما تضطرنا اوجه الاختلاف على صعيد الفكر والاسلوب والمفردات -وهي أكثر من أوجه الشبه، وتعكس طروحات تعالج اوضاعاً تتطلب تنظيم الخدمات الكنسية وثباتاً وامانة في الايمان ومقاومة شديدة للبدع والانحرافات- الى الشك، ومن دون حرج، في صحة نسبتها الى القديس بولس، اقله في بعض أجزائها. ففي استعراضنا السريع لهذه الرسائل، نحاول اكتشاف هذه الطروحات المستجدة، مع الانتباه الى بعض الاناشيد التي تعكس ليتورجيا الكنائس القديمة (١طيم ٢: ٥؛ ٣: ١٦؛ ٦: ١٥؛ ٢طيم ٢: ١١...).

أ- الرسالة الثانية الى طيموتاوس

بعد رفع الشكر لله، يُدعى طيموتاوس الى "إذكاء الموهبة" التي نالها بوضع اليد في خدمة البشارة التي ترافقها مشقات يدرك الرسول انها تؤول الى نجاحها:"لا تستحي بالشهادة لربنا ولا تَستَحي بي أنا سجينه" (١: ٨). ذلك لان المشقات، مهما عظمت، لا تقوى على "تقييد كلمة الله" (٢: ٩)، وفقاً لهذا النشيد الكنسي:"اذا متنا معه حيينا معه. واذا صبرنا ملكنا معه... " (٢: ١١ت). ومن هنا تبدأ المقاومة تجاه المعلمين الكذبة (٢: ١٤-٣: ١٣) -وبينهم من يقول ان القيامة قد حدثت!- لتخلص الى حثّ طيموتاوس على التمسك بالتعليم القويم الذي تتضمنه الكتب المقدسة:"كل ما كتب هو من وحي الله يفيد في التعليم والتفنيد والتقويم والتأديب في البر..." (٣: ١٦)، ومناشداً إياه إلى "اعلان كلمة الله"، في وقته وغير وقته، وبكل وسائل الوعظ والتعليم والتوبيخ (٤: ١-٥)!

وترينا الرسالة بولس في أيامه الاخيرة:"... اقترب وقت رحيلي. جاهدت جهاداً حسناً وأتممت شوطي وحافظت على الايمان... "(٤: ٦ت). انه يطالب طيموتاوس بالمجيء اليه سريعاً - وقبل الشتاء!- بعد ان بقي وحده مع لوقا! والا ينسى ان يجلب له "رداءه" الذي تركه في طرواس، مع "الكتب وصحف الرق" (٤: ٩-١٣). وفيما يذكر انه كان وحيداً في الدفاع الاول (٤: ١٦)، ينسب نجاته الى قوة الرب التي مكّنته من اعلان البشارة، وعلى أحسن وجه!

ب- الرسالة الاولى الى طيموتاوس

تتضمن هذه الرسالة أخباراً تنقصها الدقة.. مما حمل العلماء على القول بانها، مع الرسالة الى طيطس، لم تسبق الرسالة الثانية الى طيموتاوس.

في هذه الرسالة نجد للحال تحذيراً من خطر المتهودين الداعين الى تعليم الشريعة (١: ٣-١١). ألم يكن بولس نفسه، فيما مضى، "مضطهداً عنيفاً" قبل ان تُفاض عليه نعمة الرب في المسيح يسوع؟ ولذا تأتي التوجيهات الى طيموتاوس في خط "التعليم السليم"، وقوفاً بوجه الذين ينبذون الايمان الصحيح (١: ١٨-٢٠).

وفيما تدعو الرسالة الى الصلاة من أجل جميع الناس (٢: ١) المدعوين الى الخلاص عبر "الوسيط بين الله والناس... المسيح يسوع الذي جاد بنفسه فدى لجميع الناس" (٢: ٥-٦)، تعطي تعليمات حول مشاركة النساء في الاجتماعات المسيحية، وتحدد مواصفات "الاسقف" -وهو الرقيب على الجماعة، على غرار "الشيوخ" و"الشمامسة"- مع ابرز الفضائل التي يجب ان يتحلّوا بها (٣: ١-١٣) طالما انهم أُقيموا على الخدمة في "بيت الله". وكان لنا هذه النشيد في مجد المسيح الذي " أُظهر في الجسد، وأُعلن باراً في الروح، وتراءى للملائكة، وبُشّر به عند الوثنيين، وأُومن به في العالم، ورُفع في المجد" (٣: ١٦)!

وتعود الرسالة في الفصل الرابع الى التنديد بالبدع -كالتي تنهى عن الزواج وعن بعض الاطعمة- ومناشدة "خادم المسيح" بالتزام الوعظ والتعليم والقدوة الحسنة.. لتخلص الى ارشادات عامة بشأن الارامل (٥: ١-١٦) والشيوخ (٥: ١٧-٢٢) والعبيد (٦: ١-٢)، فضلاً عن دعوة الى حسن التعامل مع العالم وتجاربه، ومع الغنى بنوع خاص، طالما ان "حب المال اصل كل شر " (٦: ١٠). وكان لنا في خاتمة الرسالة مجدلة في ملك الله الشامل (٦: ١٥-١٦).

جـ - الرسالة الى طيطس

تُرك طيطس في كريت (١: ٥-٩) لينظم امور الجماعة المسيحية ويقيم لها شيوخاً، وفق مواصفات كالتي وردت في الرسالتين الى طيموتاوس، ولا سيما قدرة "الرد على المخالفين" والمعلمين الكذبة، وخاصة المتهودين منهم... وتوصيه الرسالة "بالتعليم السليم" لكل فئات المؤمنين، شيوخاً وعجائز، شابات وشباناً، دون ان تنسى العبيد.. على ان يكون لهم، هو نفسه "قدوةً في الاعمال الصالحة" (٢: ١-١٠)، "فلا يُجدَّف على كلمة الله"، ولا يقوى أحد "ان يقول سوءاً فينا"! وهكذا تتجلى "نعمة الله، ينبوع الخلاص لجميع الناس" (٢: ١١ت)، في انتظار "تجلي مجد الهنا العظيم ومخلصنا يسوع

المسيح..."، وتشدد الرسالة على كون هذا الخلاص ليس من "اعمال برّ عملناها نحن، بل على قدر رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني والتجديد من الروح القدس الذي أفاضه علينا وافراً بيسوع المسيح مخلصنا" (٣: ٥ت).

ثالثاً: قراءة في الرسالة الى العبرانيين والرسائل العامة

١- الرسالة الى العبرانيين

بعد المداخل الى الرسائل الثلاث عشرة التي تحمل اسم بولس، نفرز فقرة خاصة بالرسالة الى العبرانيين، اولاً لكونها ليست من تأليف بولس وفق شبه اجماع لدى المفسرين، وثانياً لأنها لا تشبه فن الرسائل في بنيتها واسلوبها، بل هي بالاحرى عظة موجهة الى مسيحيين، قد يكونون من اصل يهودي، مضى زمن على ايمانهم، فانتابتهم ترددات وشبه وحشة لممارسات العبادة اليهودية، وأصبحوا وكأنهم متغرّبون في ايمانهم المسيحي! وان تسميتها بالرسالة الى "العبرانيين" -ولم ترد هذه التسمية في الرسالة!- قد تم في وقت لاحق، وذلك ولا شك بسبب مضمونها الذي تعرّض لأركان الدين اليهودي من جهة، وبسبب كثرة استشهاداتها بالعهد القديم من جهة أخرى...

ولما كان لهذه الرسالة /الموعظة اهمية كبرى في توسيع التفكير اللاهوتي بشأن المسيح -وهي، دون غيرها من الكتابات، تضفي عليه لقب "الكاهن" و"الكاهن الاعظم"، "وسيط عهد جديد"-، يجدر بنا ان نستعرض بايجاز بعض أبرز التساؤلات التي أُثيرت حولها، فنخلص الى رسم الأفكار الرئيسة التي تناولتها[١٧].

وفيما كانت الكنائس في الشرق تعدّها بين رسائل بولس - ويرجّع آباؤها مصدرها اليه بالرغم من اكتشافهم فرقا بينها وبين رسائله الاخرى-، كانت كنائس الغرب حتى القرن الرابع تبدي ترددات بشأن نسبتها، لا بل بشأن قانونيتها! وعادت

---

[١٧] نشير لمن يرغب في التعمق، الى قراءة المدخل في طبعة دار المشرق والذي تضمّن معلومات مكثفة حول قانونية الرسالة ومسألة صحتها وظروف كتابتها ولا سيما بنيتها وأبرز مواضيعها -وقد اكتفينا هنا بالتلميحات فقط. كما نتمنى عليه الانكباب على الرقم (١١) من "سلسلة دراسات في الكتاب المقدس" بعنوان "دراسة في الرسالة الى العبرانيين" للاب البير فانوا، دار المشرق- بيروت ١٩٨٨.

المسألة على السطح في زمن الاصلاح اللوثري مع الترجيح بأنها ليست من عمل بولس، فيما دافعت الكنيسة الكاثوليكية عن صحة نسبتها اليه وان لم تحسم الموقف...

اما اسباب هذا التردد فترجع الى الاختلاف في الاسلوب والانشاء والالفاظ والتراكيب، لا بل حتى في طريقة فهم سر المسيح.. من دون ان تعني هذه الاختلافات انتفاء كل صلة لها بالفكر البولسي! فإن هذه الصلات بيِّنة وفي مواضيع رئيسة كثيرة (طاعة المسيح في آلامه، قلة جدوى الشريعة، معنى الفداء...). ومهما افتُرض بشأن الكاتب من حيث صلته ببولس، (ابلّس، لوقا، احد تلاميذ بولس...)، فإن اسمه يبقى مجهولاً. وأغلب الضن أن هذا الكاتب المجهول ألْقى موعظة لجماعة من المؤمنين -والطابع الخطابي واضح فيها- استهلّها بمطلع رائع:" بأنواع كثيرة... كلّم الله آباءنا... وفي آخر الايام كلّمنا بابنه..."! وقد تكون الخاتمة القصيرة (١٣: ٢٢-٢٥) التي يرد فيها ذكر طيموتاوس، بطاقة اضيفت -وبقلم آخر، قد يكون قلم بولس- على هذه الموعظة التي دُوِّنت من ثم وأُرسِلت الى مؤمنين آخرين. اما بشأن تاريخها، فهناك اسباب وجيهة حملت المفسرين على جعله في حدود العام ٧٠، وفي مقدمتها ان كليمنتس الروماني قد استشهد بها في كتاباته في نحو العام ٩٥.

قد يبدو ان لهذه الرسالة /العظة قسماً عقائدياً (الفصول العشرة الاولى)، وآخر اخلاقياً (الفصول الثلاثة الاخيرة). الا ان هذا التقسيم لا يتفق مع هدف الكاتب الذي سعى، على مدى الرسالة، الى اقامة الصلة الوثيقة بين الايمان والحياة (انظر ٢: ١-٤؛ ٣: ٧ت؛ ٥: ١١ت...). ولقد رأى فيها مفسرون كثر بنية محكمة ذات فن أدبي، ورأوا فيها خمسة أقسام سنصدي لها مع التركيز على أبرز الطروحات اللاهوتية المدعومة بآيات من العهد القديم.

- **القسم الاول (١: ٥- ٢: ١٨)**: بعد ان يعلن المطلع ان الله كلّمنا بابنه الذي هو "شعاع مجده وصورة جوهره" يحدد الكاتب، عبر المقارنة مع الملائكة، مكانة "الابن/الكلمة" في عالم الله (١: ٥-١٤)، مستشهداً بالمزمور ١١٠: "فَلِمَن من الملائكة قال الله يوماً: إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك؟". اما مكانته في عالم البشر (٢: ٥-١٨)، فبيِّنة من ان الله "كلّله بالمجد والكرامة"، بعد ان ذاق الموت، تشبهاً بإخوته، "ليكسر بموته شوكة... ابليس". ومن هنا كان المدخل الى كهنوت المسيح: "عظيم كهنة... إبتُلِيَ هو نفسه بالآلام فاستطاع ان يغيث المُبتَلَيْن" (٢: ١٨).
- **القسم الثاني (٣: ١-٥: ١٠)**: في المسيح تحققت ميزتا الكهنوت الرئيستان: انه اولاً "مؤتمن على بيته لكونه ابناً"، فله من ثم مجد يفوق مجد موسى بما لا يقاس! ويدرج الكاتب هنا تحريضاً مسهباً بشأن ضرورة الاستجابة "اليوم" لصوت الروح

القدس، دون تقسية القلب، كما جرى لبني اسرائيل في البرية... (٣: ٧- ٤: ١٤)؛ وثانياً انه متضامن مع البشر، طالما ان يسوع ابن الله هو "عظيم الكهنة" الذي "اجتاز السموات"، وهو عينه "امتُحن في كل شيء مثلنا ما عدا الخطيئة " (٤: ١٥).. لذا فإن له كهنوتاً يفوق كهنوت هارون بقوة المجد الذي تلقاه من الذي قال له: "أنت ابني وانا اليوم ولدتك" (مز ٢: ٧) و"انت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق" (مز ١١٠: ٤)... وهكذا يخلص الكاتب الى القول بأن هذا الابن الذي تعلم الطاعة، "لما بُلِغَ به الى الكمال، صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص ابدي، لأن الله أعلنه عظيم كهنة على رتبة ملكِصادق"(٥: ٩-١٠)!

- **القسم الثالث (٥: ١١- ١٠: ٣٩)**: في هذا القسم المركزي من العظة نجد تعبيراً كاملاً عن حقيقة كهنوت المسيح وفاعليته. فبعد مدخل الى الموضوع يضعنا ازاء تعليم جدير بأن نمنحه كل الثقة -وحذار من التراجع والسقوط مما قد يجعل العودة الى التوبة شبه مستحيلة (٦: ١٦)!-، هوذا الكاتب يرسم لنا في شخص ملكيصادق صورة سابقة للمسيح (٧: ١-٢٨)، وجل غايته ان يقول بأن كهنوت المسيح هو أبدي، لا ككهنوت اللاويين: ذلك لأنه كاهن "بحسب قوة حياة لا زوال لها"! وهكذا تبطل الشريعة امام مثل هذا الرجاء الافضل: فيسوع صار "كفيل عهد افضل"! وبما أن له "كهنوتاً فريداً"، فهو من ثم "قادر ان يخلص الذين يتقربون به الى الله، خلاصاً تاماً، لأنه حي دائماً ابداً ليشفع لهم" (٧: ٢٥). فلقد كانت الشريعة تقيم عظماء الكهنة ليقربوا الذبائح عن خطاياهم وخطايا الشعب، الا ان يسوع كان "عظيم الكهنة الذي يلائمنا" إذ "فعل ذلك مرة واحدة حين قرب نفسه"!

ويبلغ الطرح قمته مع ذبيحة المسيح التي تفوق الى ما لا نهاية كل ما عرفته عبادة العهد القديم (٨: ١-٩: ٢٨). ذلك لان لنا عظيم كهنة أصبح، بجلوسه عن يمين عرش الله، "خادماً للقدس والخيمة الحقيقية"، وبالتالي "وسيط عهد افضل"، كما سبق ارميا ورسم ملامح "العهد الجديد". فالمسيح دخل مرة واحدة "خيمة أكبر وأفضل لم تصنعها الايدي"، لا بدم الحيوانات، كما كان يدخل عظيم الكهنة الى قدس الاقداس، مرة في السنة، في يوم "التكفير"، بل بدمه، "فحصل على فداء أبدي "(٩: ١٢). كما انه "لم يدخل قدساً صنعته الايدي" بل "دخل السماء عينها... ليزيل الخطيئة بذبيحة نفسه" (٩: ٢٤ت). فبالمسيح، اذن، نلنا مغفرة الخطايا: "... اما هو فقد قرّب ذبيحة واحدة كفّارة للخطايا ثم جلس عن يمين الله للأبد" (١٠: ١٢). وهكذا انتفت فائدة الذبائح القديمة! ويذيل الكاتب هذا القسم بخاتمة هي تحريض على الدنو من هذا الكاهن الاعظم، بما ينبغي من مشاعر الايمان والرجاء (١٠: ١٩-٣٩)، فضلاً عن تحذير من خطر الارتداد او التنكر للمسيح وذبيحته...

- **القسم الرابع (١١: ١-١٢: ١٣)**:ويستخلص الكاتب حاجة المسيحيين الى ايمان راسخ على منوال الاجداد -فكان لنا استعراض رائع وشامل لوجوه العهد القديم (فصل ١١)- وضرورة الصبر والصمود على مثال المسيح ذاته "مُبْدئ ايماننا ومتمّمه".
- **القسم الخامس (١٢: ١٤- ١٣: ١٨)**: وفي هذا القسم الختامي رسم الكاتب ملامح الحياة المسيحية بكل متطلباتها، مع الامانة التامة للمسيح الذي "هو هو، امس واليوم وللأبد" (١٣: ٨)، ولمن يمثلونه في التعليم والسيرة -وهم الساهرون على النفوس! وما أجمل الخاتمة (١٣: ٢٠-٢١) وفيها الاعتراف الايماني والصلاة والمجدلة.

٢- الرسائل العامة

- **رسالة بطرس الاولى** (٦٤؟ او ٨٠-٩٠)
- **رسالة يعقوب** (قبل ٧٠؟ او ٨٠-٩٠)
- **رسالة يهوذا** (٨٠-٩٠)
- **رسالة بطرس الثانية** (١٢٥؟)

نجد في نهاية "العهد الجديد" مجموعة من سبع رسائل أُطلق عليها اسم "الرسائل الجامعة" او العامة، لكونها رسائل موجهة الى جماعات مسيحية من دون تعيين أو تشخيص، ومنسوبة الى رسولين: بطرس ويوحنا، والى تلميذين: يعقوب ويهوذا -وكان بالامكان ان تنضم اليها الرسالة/ العظة الى العبرانيين لولا التقليد الذي ألحقها برسائل بولس! ومن الجدير بالتذكير بأن بعض آباء الكنيسة القدامى كان يساورهم الشك والتردد في "قانونية" هذه الرسائل العامة، ما خلا رسالة بطرس الاولى[١٨] التي حظيت دوماً بالاحترام والقدسية، حتى ان الكتّاب في كل مكان، ومنذ القرون الاولى، استشهدوا بها... وهكذا هي الحال مع رسالة يوحنا الاولى التي حظيت هي الاخرى بشبه إجماع خلافاً للرسالتين الثانية والثالثة!

وفيما سنتناول بالبحث رسائل يوحنا الثلاث في نطاق المؤلفات اليوحنانية (بما فيها الانجيل وسفر الرؤيا)، نستعرض هنا بإيجاز مضمون الرسائل العامة الاربع.

---

[١٨] يوسم القارئ الذي يصبو الى المزيد ان يطالع الدراسة المعمقة لأدوار كوتنه بعنوان "رسالتا بطرس" في: سلسلة

أ- رسالة بطرس الاولى

"... الى المشتتين في البنط وغلاطية وقبدوقية وآسية وبتينية"! من هي هذه الجماعات المسيحية التي يوجه اليها بطرس رسالته من روما؟ وفي أي زمن؟

يبدو ان هؤلاء "المشتتين" هم مسيحيون، اغلبهم من اصل وثني، ومن طبقات وضيعة -ولهم معرفة بالاسفار المقدسة- يقطنون خمسة أقاليم رومانية في آسيا الصغرى، ويعيشون وضعاً قلقاً: فهم، تارةً، معرّضون للهزء من قبل مواطنيهم غير المؤمنين، من وثنيين ويهود، ومعرّضون تارةً اخرى، للاضطهاد الذي أخذت بوادره تلوح في أعقاب حريق روما، على يد نيرون عام ٦٤.

ويزداد اليوم عدد العلماء القائلين بصحة نسبة الرسالة الى بطرس الرسول -وقد أملاها على "سلوانس" الذي يُحتَمَل ان يكون سيلا المذكور في اعمال الرسل (١٥: ٢٢، ٤٠؛ ١٨: ٥؛ ٢قور ١: ١٩). اما المتشككون في صحة نسبتها، فان لهم أدلّتهم في ذلك (اللغة اليونانية الجيدة التي كتبت بها الرسالة، اوجه الشبه بينها وبين تعليم بولس، قلّة معرفة الكاتب بحياة يسوع وبعض تعاليمه، الاضطهادات العلنية التي ترجع الى الامبراطور دوميثيانس في نهاية القرن الاول)، وإن قابلتها ردود ليست أقل شأناً! وهكذا يمكن ان يُحدّد تاريخ الرسالة في حوالي العام ٦٤، أي قبيل استشهاد الرسول، أو ما بين ٨٠-٩٠ إذا افتُرض ان احد تلاميذ بطرس قد كتبها بعد موته.

اما على صعيد وحدة الانشاء، فهناك أيضاً آراء مختلفة أهمها: ان الرسالة تتضمن في اصلها رتبة معمودية امتدت على أربعة الفصول (١: ٣-٤: ١١) واتخذت من ثم صيغة رسالة ذات طابع تعليمي وخلقي، سيما وان تغييراً يُلاحَظ اعتباراً من (٤: ١٢) حيث يجري الحديث عن اقتراب المحنة... وهنا أيضاً يبرهن عدد كبير من المفسرين على وحدة الرسالة في اللغة والانشاء، وعلى كون الهدف منها، على حد تعبير المدخل في طبعة دار المشرق، هو حث وتشديد "مسيحيين كانوا على خطر في ان تفتر همتهم، وقد امتحنت مختلف الشدائد عزيمتهم. ولذلك استند الكاتب الى تعاليم كان المسيحيون قد سمعوها لدى اهتدائهم وقبولهم المعمودية".

يبدو من الصعب البحث عن تصميم منطقي لهذه الرسالة التي يقترن فيها الارشاد بالاسس العقائدية. الا ان هناك بالاحرى تدرّجاً في ثلاثة ارشادات تمتد الى (٤: ١١) يعقبها ارشاد أخير يبدأ في (٤: ١٢) ويختم بتوجيهات خاصة. وهكذا يمكننا ان نتبين في الرسالة قسماً عقائدياً (**الارشاد الاول**) يستند الى ابرز الموضوعات في الاسفار المقدسة التي على ضوئها يُفسَّر سر المسيح: الخروج من مصر، العبد المتألم، الحجر المرذول الذي صار رأس الزاوية... ففي هذا الارشاد (١: ١- ٢: ١٠)، وبعد التحية ورفع الشكر لله

-وقد "ولَدَنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع"- على الخلاص الذي أُنجز به، يُدعى المسيحيون المهتدون من الوثنية الى قداسة السيرة على مثال بني اسرائيل في خروجهم، بثقة من أُفتدوا "بدم الحمل الذي لا عيب فيه..."، والالتزام بمتطلبات العيش في الجماعة المسيحية. وما ذلك الا لأن الله اختارهم ليكونوا "جماعة كهنوتية مقدسة" (٢: ٥)، فيرفعون ذبائح شكر مقبولة، ويبنون لله بيتاً روحياً على اساس المسيح، وهو "الحجر الذي صار رأساً للزاوية وحجر صدم وصخرة عثار" (٢: ٧ = مز ١١٨: ٢٢؛ اش ٨: ١٤). وهكذا أصبح لهم وضع جديد طالما انهم "ذرية مختارة وجماعة الملك الكهنوتية وامة مقدسة وشعب اقتناه الله..." (٢: ٩).

وفي القسم الخلقي من الرسالة تُستخلَص المتطلبات العملية: فنجد في **ارشاد ثانٍ** (٢: ١١-٣: ١٢) ملامح سلوكية مسيحية متميزة بين الوثنيين تكشف بطلان افترائهم.. وذلك بدءً بعلاقات سليمة مع السلطة، وبين الخدم والاسياد -ولهم في المسيح المتألم مثال اعلى، هو الذي كان يُشتَم ولا يَشتُم... (٢: ٢١ت)-، وبين الزوجين، وبين الاخوة.

اما **الارشاد الثالث** (٣: ١٣-٤: ١١) فما أروعه! ففيما يمنح الطوبى للمتألمين من أجل البر، يناشدهم: **"كونوا دائماً على استعداد لأن تردّوا على من يطلب منكم دليل ما انتم عليه من الرجاء"** (٣: ١٥)! وهذه الشهادة للرجاء تجد اساسها في الثقة بالنصر الذي ناله المسيح بقيامته -فكان لنا، في نشيد قديم، شهادة ايمان عن يسوع الذي "أميت في جسده ولكنه أُحيي بالروح"-، وهي التي تفرض على المؤمن ان يبدأ حياة جديدة، بعيداً عن "هذا السيل الجارف من الفجور"! يعيشها ساهراً في الصلاة والمحبة والخدمة " فيُمجَّد الله في كل شيء بيسوع المسيح" (٤: ١١).

ومع **الارشاد الرابع** تصل الرسالة الى خاتمة تتخذ من "المحنة" القريبة فرصة لدعوة "المختارين" الى فرح المشاركة في آلام المسيح، على امل ان يستقر فيهم "روح المجد، روح الله": طوبى لكم إذا عيروكم من اجل اسم المسيح (٤: ١٤)! ويختم بطرس "الشيخ والشاهد لآلام المسيح" رسالته بمناشدة الشيوخ الى حسن الرعاية للقطيع الموكل اليهم (٥: ١-٤)، وحث المؤمنين على التواضع والرسوخ في الايمان بالرغم من الآلام التي هي عربون المجد (٥: ٥-١١). ويبلّغهم اخيراً تحيات "المختارين في بابل"، أي روما، مع تحيات مرقس "ابنه" الذي هو ولا شك الانجيلي ذاته!

ب- رسالة يعقوب

يرجع سبب التردد في القرون الاولى بشأن قانونية رسالة يعقوب، ولا سيما في الغرب -وقد تجدّد الشك في القرن ١٦ في نظر لوثر- الى كونها ذات نغمة غير مألوفة

في المؤلفات المسيحية في القرن الاول، ولا سيما في ما يتعلّق بقضية "الايمان والاعمال".. حيث يعكس الجدال في (٢: ١٤-٢٦) شبه ردّ على تعليم بولس حول الخلاص بالايمان من دون اعمال الناموس! وفيما نسبها التقليد الى يعقوب "اخي الرب" (مر ٦: ٣؛ متى ١٣: ٥٥) الذي اصبح فيما بعد "عمود" (او اسقف) كنيسة اورشليم (غلا ١: ١٩) -وهو الذي كانت له مواقف متشددة في قضية "المتهودين" قبل وبعد مجمع اورشليم (غلا ٢: ٩، ١٢؛ رسل ١٢: ١٧ت؛ ٢١: ١٨ت)-، إلا أن نسبتها اليه تثير مشكلة من حيث لغتها اليونانية واسلوبها الهيللينى، وان تخللته أحياناً صيغ سامية...

لقد قُدّمت حلول كثيرة لهذه المشكلة.. ولعل أبرزها هو ان هناك أقوالاً ليعقوب استخدمها كاتب ما ووظّفها في مؤلّف نسبه الى يعقوب ليتخذ قيمة وسلطة. فبموجب هذا الحل يصبح تاريخ الرسالة في ما بين الاعوام ٨٠-٩٠، بينما يرى بعضهم انه يرجع الى ما قبل العام ٧٠، وفي رأيهم ان الرسالة تشن حملة على الكنائس المتمسكة بذكرى بولس -وهي التي كانت تشدد على أولوية الايمان! وفي كل الاحوال تبدو الرسالة موجهة الى جماعة مسيحية (من اصل يهودي في أغلب الظن) لتحملها على ايمان بالمسيح يفرض عليها التزاماً أكبر بالقيم والاخلاق الكتابية. وهكذا تبقى رسالة يعقوب نابضة بالتعليم والمناشدة التي توقظ الضمير المسيحي وتدفع بالمؤمن الى سلوكية ملتزمة، فكانت أحياناً بمثابة صرخة لا تخلو من تقريع وعنف، ولا سيما في ما يتعلق بالغنى-وما أجمل ما جاء في مطلعها بشأن "التجربة": ان الله لا يجرّب احداً! (١: ١٣).

ولما كان من العسير ايجاد تصميم لهذه الرسالة الملأى بالتوجيه والارشاد، نستعرض اولاً الفقرات الثلاث (٢: ١-٣: ١٣) التي تتضمن تحاملاً على الكنائس "البولسية" التي قطعت كل صلة باليهود وتعرضت لبعض الاعوجاجات: دعوة الى توقير الفقراء دون محاباة (٢: ١-١٣) طالما ان "الله اختار الفقراء في نظر الناس فجعلهم أغنياء بالايمان..."، وتوجيه بشأن "المعلمين" الذين ينبغي ان يتحكموا بلسانهم -وهو "بليّة.. ملؤه سُمّ قاتل" (٣: ١-١٣)-، ومناشدة الى جعل الاعمال تقترن بالايمان وتشهد له، إذ من دون اعمال المحبة والرحمة (إكساء العريان وإطعام الجائع...) يضحي الايمان عقيماً وميتاً (٢: ١٤-٢٦)!

اما الفقرات التي هاجمت الاغنياء، فهي لا تزال تحتفظ بقوتها وآنيّتها: لقد بدأت بالكشف عن الاغنياء الظالمين (٢: ٦) لتزثي لثروة تفسد وذهب يصدأ..! ووجهت إليهم انذاراً شديداً (٤: ١٣-٥: ٦) يستصرخ السماء: "ها **ان الاجرة التي حرمتموها العملة الذين حصدوا حقولكم تصرخ...**"!

وتضمنت الرسالة حِكَماً وارشادات دون بنية، وهي تعكس تقليداً قد يرجع الى اقوال يسوع او اقوال يعقوب: فكانت لنا دعوة الى الثبات في المحن (١: ٢ت)، وكلمة

في "التديّن" القائم على "افتقاد الايتام والارامل" (١: ٢٧)، وعبارات رائعة تجهل مصدرها (٤: ١-١٢؛ ٤: ٧-١٢)، وتعليمات بشأن المرضى ومسحهم بالزيت على يد "شيوخ الكنيسة" وغفران خطاياهم (٥: ١٣-١٥)...

جـ - رسالة يهوذا

يهوذا "اخو يعقوب"! وهل هو أحد "اخوة" يسوع، أم هو يهوذا احد الاثني عشر (غير الاسخريوطي)؟ أهو ابن يعقوب أم أخوه (لو ٦: ١٦)؟... يرجح ذوو الاختصاص ان الكاتب هو عضو في حلقة تكرم اخوة يسوع وتتناقل اقوالهم، فجعل رسالته تنتسب الى يهوذا اخي الرب! وهكذا يعطى لها تاريخ ما بين الاعوام ٨٠-٩٠. ولعلّ التردد في قانونيتها، ولا سيما في الشرق، يرجع الى بيئتها الغاطسة في الادب الرؤيوي، واقتباسها من مؤلفات منحولة مثل "كتاب اخنوخ" و"صعود موسى" (انظر الآيات ٩، ١٤،١٥)...

إنها رسالة صغيرة (فصل واحد) تكشف للحال عن هدفها في تثبيت المؤمنين في الايمان، وتحذيرهم من مثيري الشقاق والخارجين على الايمان -ويصعب تحديد هويتهم ومعتقدهم. وقد تحاملت عليهم الرسالة بشدّة وبلغة الدينونة والعقاب، مستلهمة أحداثاً من العهد القديم لتجد تأويناً لها في شخص هؤلاء "الكفّار" والفجّار الذين "في هذيانهم ينجّسون الجسد ويزدرون العزة الالهية ويجدّفون على اصحاب المجد " (٨). فلا عجب ان يكون مصيرهم كالملائكة الساقطين واهل سدوم وعمورة وقايين وبلعام وقورح...

وعلى المؤمنين ازاءهم ان "يذكروا ما أنبأ به رسل ربنا يسوع المسيح" (١٧) من خطر اناس الكفر في آخر الزمان -وهؤلاء "الكفّار" ينكرون المسيح (٤)-، فيبنوا انفسهم على الايمان المقدس، عبر "الصلاة بالروح القدس" (٢٠)، بيقين ان الله يصونهم من كل زلل ويبلغ بهم الى مجده فرحين (٢٤).

د- رسالة بطرس الثانية

تبدو هذه الرسالة "وصية" وخطبة وداع، اكثر منها رسالة! تناول فيها كاتبها فيما تناول ايضاحات في عدد من المسائل الفريدة: الهام الاسفار المقدسة وتفسيرها (١: ٢٠-٢١)، قانونية الاسفار -وتوضع كتابات الانبياء ورسل المسيح في مستوى واحد (١: ١٩؛ ٣: ٢)-، مجموعة رسائل بولس وكونها جزءاً من الاسفار القانونية (٣: ١٥-١٦)..! الا ان الهدف منها مُعْلَن: حملة عنيفة على المعلمين الكذبة المتسلّلين الى قلب الجماعة المؤمنة، وبعبارات قاسية هي أشبه بشتائم (الفصل ٢)! انهم مهتدون قد

ارتدوا، ويشكلون من ثم خطراً على المؤمنين (٢: ١٦، ٢٠ت).. وخطرهم هو على الصعيدين اللاهوتي والخلقي: كونهم ينكرون المسيح والملائكة، فضلاً عن إنحطاطهم في الفسق والفجور (٢: ١٠-١٤)...

وتتبين للحال القربى بينها وبين رسالة يهوذا، وعلى اكثر من مستوى، ولاسيما في الالفاظ المتشابهة والبيئة اليهودية المسيحية التي تسبح فيها الرسالتان اللتان تستخدمان الادب الرؤيوي فضلاً عن الكتاب المقدس... وهذا التشابه في الهدف والمضمون يكشف عن تبعيتها لرسالة يهوذا حيث تلاحظ كثرة الاقتباسات. ولأسباب كثيرة، أهمها اختلافها الكبير عن رسالة بطرس الاولى وبعدها الزمني عنها -وهنا يكمن التردد في "قانونيتها"-، يرجع أغلب المفسرين تاريخها الى بدء القرن الثاني، حين كانت الكنيسة محاطة بالخصوم من كل جانب، مما ينفي انتسابها الى بطرس الرسول.

اما الاشارات الواردة على لسانه (الانباء بموته القريب ١١: ١٤، مشاهدته تجلّي الرب ١١: ١٨، التذكير بالرسالة الاولى ٣: ١)، فهي تعود الى فن "الوصية"، إذ يُحتَمَل ان يكون الكاتب قد جعل نفسه "لسان حال" رسول ذي منزلة رفيعة كبطرس!

وتحث الرسالة المؤمنين على القداسة طالما انهم دُعوا، بيسوع، الى أن **"يصيروا شركاء الطبيعة الالهية"**(!)، في الامانة على تعليم الانبياء والرسل الذين تكلموا بالهام الروح القدس.. ذلك لانه "ما من نبؤة في الكتاب تقبل تفسيراً يأتي به احد من عنده، اذ لم تاتِ نبؤة قط بارادة بشر..." (١: ١٢-٢١). ويشكل الفصل ٢ تنديداً عنيفاً بالمعلمين الكذابين الذين "يحدثون بدعاً مهلكة"، وقد سبقوا فاستحقوا الحكم على نفوسهم، كما جرى للملائكة الخاطئين، واولئك الذين أصابهم الطوفان، واهل سدوم وعمورة.. لأنهم "اداناس خلعاء... لهم عيون مملوءة فسقاً، منهومة بالخطيئة... ولهم قلوب تعودت الطمع، وهم بنو اللعنة..."! وخطرهم يكمن في اجتذاب "النفوس التي لا ثبات لها" والتي يخشى انها تتراجع عن "طريق البر"، فيصحّ فيها المثل:"عاد الكلب الى قيئه يلحسه" (٢: ٢٢)!

وتتناول الرسالة في الخاتمة مسألة تأخر مجيء المسيح الذي يتشدّق به "المستهزؤون".. فكان لنا هذا التعليم حول الفرصة التي يمنحها الرب للتوبة لجميع الناس (٣: ٣-١٠)، وتلك المناشدة الرائعة الى القداسة في انتظار وعد الله بـ "سموات جديدة وأرض جديدة يقيم فيها البر" (٣: ١٣) -وقد استشهد الكاتب برسائل الاخ الحبيب بولس"، على قدر ما أُوتي من الحكمة، شأنه في جميع الرسائل كلما تناول هذه المسائل..." (٣: ١٥ت)!

رابعاً: قراءة في بشارة الانجيليين

سبق ان قدّمنا في الفصل الثالث عرضاً لمراحل تكوين الاناجيل ورسمنا بالخطوط العريضة وجه كل انجيلي الى جانب لوحته لوجه يسوع.. وها نحن ننكب على قراءة مكثفة لكل انجيل بصفته "بشارة" مدوّنة بحسب ما رواها كل من الانجيليين الاربعة.. بشارة قطعت مسافة قبل ان تصلنا بصيغتها النهائية التي بين أيدينا! وغني عن القول ان هذه المداخل الى القراءة هي بمثابة مفاتيح تمكننا من الولوج الى عمق النصوص، واستقراء ما احتوته من بشرى خاطبت قراء كانوا ولا شك على قدر كبير من القدرة لفهم واستيعاب الرسالة التي حملتها اليهم تلك "البشارة" المدوّنة -ونحن مدعوون اليوم الى ان نفهمها في سياقاتها ومضامينها ليتسنى لنا من ثم ان نجعلها تخاطبنا اليوم!

انها مجرد "مداخل" لا تغني قط عن قراءة البشارة "كما رواها" كل من الانجيليين، لا بل حسبها ان تختفي لتَدَعَنا نستمتع بقراءة ستكون في الواقع أشبه بتأمل في سر المسيح، إن لم نقل نداء ينتظر منا جواباً...

١- الاناجيل الازائية

في سعينا للولوج الى عمق الشهادة الايمانية التي عكسها كل انجيلي -وسنستمتع بقراءة كل شهادة على حدا، كما بالشهادات مجتمعة!- سنتوقف اولاً لدى بشارة الازائيين الذين تشدهم قربى في التوجّهات الرئيسة، بحكم المصادر والتقاليد المشتركة التي اعتمدوها...

ففي فقرة اولى نبدأ بعرض قراءة في الاناجيل الازائية، بدءً بقراءة في الانجيل كما رواه مرقس -بحكم اولوية انجيله-، مروراً بمتى، ووصولاً الى قراءة في مُؤلّف لوقا ذي الجزئين، وقد انفرد بتقديم البشرى بوجهيها: في زمن يسوع وزمن الكنيسة!

وفي فقرة ثانية، ننكب على قراءة مكثفة في "المؤلفات اليوحنانية" ذات المسار المنفرد والمتميز في آن واحد، بدءً بالانجيل، مروراً بانعكاساته في الرسائل، وصولاً الى سفر الرؤيا، سفر الأمل والرجاء الذي يختم العهد الجديد ويدعه مفتوحاً لانتظار مليء بالفرح...

أ- قراءة في الانجيل كما رواه مرقس

سواء كان مرقس قد عرف مصادر مكتوبة بشكل "وحدات أدبية" (رواية الآلام، أمثال، معجزات، مناظرات...) اعتمدها في مؤلّفه، أم كان هو الذي جمع التقاليد

الشفهية وجعل منها "رواية" مكتوبة ذات بنية أدبية، فهو على كل حال أول من حوّل البشرى الى "انجيل" أي بشرى مدوّنة! وكان بالتالي أول من حدد اطاراً جغرافياً لحياة يسوع: عماذه في الاردن (اليهودية)، تبشيره في الجليل، صعوده الى اورشليم، مناظراته وآلامه وصلبه في اورشليم. ويختم هذا الاطار بموعد التجمع في الجليل للقاء القائم من بين الاموات.

ولمرقس جغرافية تبرز التعارض بين الجليل ("جليل الامم"! وقد أصبح رمزاً للإنفتاح بحسب نبؤة أشعيا ٨: ٢٣) واورشليم (وقد اصبحت رمز المدينة المنغلقة حيث يتمركز التقليديون والمتشددون)... فهي بالتالي جغرافية لاهوتية تريد ان تشدد على عمق الصراع بين يسوع وخصومه: يسوع الذي ولد وعاش وبشّر في الجليل (وسيكون منطلقاً للكرازة الانجيلية باتجاه الوثنيين)، والخصوم الذين اتخذوا من اورشليم معقلاً لمهاجمته وتسديد انتقاداتهم له والتي ستسفر عن رفض قاطع يتمخض عن خطة لإبادته -وسيكون خرابها مؤشراً لعهد جديد!

مرقس لاهوتي، اذن، حاول ان يدخلنا في سر يسوع الذي يكشف عنه منذ الآية الاولى: "بدء بشارة يسوع المسيح ابن الله"! فالمعمذان يعلن انه "سابقٌ" للمسيح، والآب يكشف في العماذ عن ان يسوع هو "ابنه الحبيب"! يريد مرقس أن يكتشف قراؤه بأنفسهم حقيقة هذين اللقبين، عبر مسيرة طويلة في إثر التلاميذ الذين لم يكن اكتشافهم لسر يسوع بالامر الهيّن، ولن يعرفوه حقاً الا بعد القيامة وبنورها!

ومرقس يجعلنا نلمس ان هناك مأساة تجري، ويحملنا على الدخول فيها بالرغم من اطّلاعنا المسبق على خاتمتها! وقد سعى، من خلال روايته المقتضبة والمكثفة في آن واحد، الى ان يرسم لنا صورة ليسوع يبدو فيها محيّراً ومثيراً للتساؤل: فهو يعرف من هو، والشياطين نفسها تعرفه، ويكتشفه بعض الناس. ولكنه يفرض على الجميع الصمت والكتمان، رافضاً ان يعلن عن هويته ومحذّراً الشياطين من افشاء سره! انه "السر المشيحاني" الذي يُعتبر ميزة انجيل مرقس، إذ يجعلنا ندخل في قلب المأساة، ويدعونا الى ان نعيشها بدورنا بحكم كوننا تلاميذ المصلوب!

فبموجب هذه القراءة لانجيل مرقس نجدنا بازاء قسمين كبيرين:

- في **قسم اول** (١: ١٤- ٨: ٢٦) يعلن يسوع البشارة في الجليل، بأقواله واعماله. وفيما لا يني مرقس يقول بأن يسوع يُعَلّم، يعكس لنا بالاكثر تعليمه بالاعمال، مصدياً لعدد من المعجزات. وفيما يرى الكثيرون في يسوع ذاك الذي يقهر قوى الشر، تبرز معارضة الكتبة والفريسيين الذين يتهمونه بأنه أداة في يد رئيس الشياطين! اما التلاميذ فيبقون ملازمين إياه، وإن خفيت عليهم هويته وأغلق عليهم كل سبيل لفهم سره... وهنا نفهم معنى "السر المشيحاني": فلو كشف يسوع عن كونه

المشيح لكانت الجماهير قد انساقت وراءه في مسار خاطئ، ولكانت رسالته ذاتها قد تعرضت لخطر سوء الفهم، وتحول هو ذاته في ذهن الجماهير الى مشيح قومي! وهكذا رفض يسوع هذا اللقب قبل ان يذهب في رسالته الى مشارف الآلام والموت، بفعل مواقفه الحرة والجريئة والمثيرة في آن واحد..!

- وفي **قسم ثان** (٨: ٢٧- ١٦: ٨)، وبعد ان يكون بطرس قد توصل وأعلن، باسم اخوته، اعترافه بيسوع انه "المسيح"، هوذا يسوع ينهى عن "ان يخبروا أحداً بامره"، وهو يخشى ان يؤدي هذا اللقب الى اعتباره ذاك الذي يعيد بناء مملكة داود الارضية بقوة السلاح! وسيحوم الالتباس عينه حول لقب "ابن داود" المرتبط بالمشيحانية القومية! ومن هنا يبدأ الانباء الاول عن كون "ابن الانسان" سيعاني الآلام والرذل والقتل.. فيما يلقى بطرس درساً قاسياً حين أخذ يعاتب يسوع على كونه "مسيحاً يتألم"! -وتلك مفارقة لا تُحتَمَل في نظره! وستكون هذه المفارقة دليلاً لعلماء الناموس على استحالة مصداقية "مسيحانية" يسوع! و تكمن المأساة حين يتأزّم الصراع بين مفهوم يسوع ومفهوم الرؤساء.. صراع قال عنه الأب أ. شربنتييه: "اشتدّ التناقض بين هذين التصورين حتى وجب ان يموت أحدهما: او ان يموت المسؤولون عن الفكرة التي كوّنوها لانفسهم فيقبلوا هذا المسيح المحيّر، او ان يتشبّثوا بفكرتهم ويموت يسوع"[١٩].

وبعد سلسلة من المناظرات بين يسوع وخصومه (الفصول ١١-١٣)، زالت خلالها كل الأحلام بشأن مشيحانية زمنية، كشف يسوع امام مجلس اليهود عن كونه "المسيح"، ابن الانسان، "الجالس عن يمين القدير"! وحينذاك يصدر الحكم عليه بالموت (الفصول ١٤-١٥). وعند أقدام الصليب يتم الاعتراف بيسوع "ابن الله"، على لسان قائد مئة وثني، فيلتقي باعلان البداية! وكأني بمرقس يقول لقرائه، وهم يعانون من الاضطهاد -ويقول لنا من بعدهم- ان المسيح الحي المنتصر على الموت، هو عينه المسيح المصلوب الذي تجلى على الصليب "ابن الله" و "مسيحاً"، واياكم ان تخطئوا في تشخيصه.. لا بد لكم اولاً ان تقبلوه مسيحاً محيّراً وتسيروا في إثره، بالرغم من سوء الفهم بشأنه، إذ لا مناص لكم من المرور بالآلام والموت، على مثاله، كي تتجلّى فيكم من ثم قوة قيامته![٢٠]

---

[١٩] الدليل / ص ١٧٣

[٢٠] نتمنى على القارئ المتتبع ان ينكب على قراءة "دليل الى قراءة الانجيل كما رواه مرقس" للأب جان ديلورم: "سلسلة دراسات في الكتاب المقدس" (رقم ١٤)، دار المشرق - بيروت ١٩٨٩. ونجدر الإشارة هنا الى أننا اعتمدنا، في تقديم الاناجيل، "المدخل" التي تصدّرت طبعة دار المشرق، فضلاً عن "الدليل" عبر القراءة الاجمالية لكل انجيل.. وعن كتاب "من الاناجيل الى الانجيل" (ص ٥٣- ٨٣).

ويمكننا اكتشاف قراءة ثانية لانجيل مرقس من زاوية الاشخاص الذين لهم دور في المأساة، بحسب كونهم "مع" او "على" يسوع! وبوسعنا ان نميز ثلاث فئات: التلاميذ، الجموع، الخصوم. **فالتلاميذ**، وقد اختارهم يسوع منذ البدء "ليكونوا معه"، يتبعون يسوع من دون ان يفهموا جيداً المغامرة التي يدفعهم اليها، وكثيراً ما يختلي بهم يسوع ويسندهم.. **والجموع** حاضرة دوماً ابان كرازة يسوع واعماله، ويسوع يحبها ويهتم بها، ولكنها تبقى عرضة للتقلّبات. اما **الخصوم** فهم يشهرون السلاح منذ البدء، وستبلغ مقاومتهم ليسوع الى التآمر والحكم عليه بالموت. ومن هنا يمكن، مع عدد من اهل الاختصاص، ان نتبيّن في انجيل مرقس ست مراحل تتوزع على ٣ أقسام كبرى:

- **القسم الاول (١: ١٤-٦: ٦أ)**

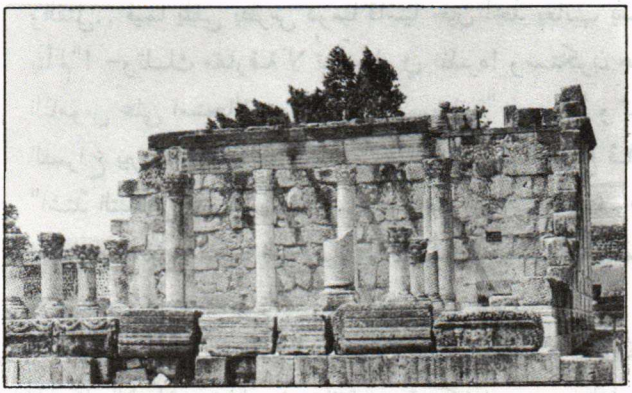

كفرناحوم، مدينة في الجليل طالما بشّر فيها يسوع وصنع معجزات... -بقايا مجمع كفرناحوم الذي يرجع بناؤه الى القرن ٣ الميلادي على أنقاض المجمع القديم في زمن يسوع.

في مرحلة اولى (١: ١٤- ٣: ١٢) يتم اختيار التلاميذ للعيش مع يسوع الذي يهتم بهم.. -ويعكس اهتمامه بهم ما سمي بـ "يوم كفرناحوم" (١: ٢١-٣٨) حيث نجده ملازماً تلاميذه... وفي **مرحلة ثانية** (٣: ١٣- ٦: ٦أ)، وتجاه الخصوم الذين يسجلّون مواقف على يسوع، يحظى التلاميذ بتعليم متميز وتنشئة خاصة، ويشهدون مع الجمع معجزات باهرة.

- **القسم الثاني (٦: ٦ب- ١٠: ٥٢)**

في مرحلة ثالثة (٦: ٦ب- ٨: ٢٦) يكشف مرقس عن ان التلاميذ لم يفهموا رسالة يسوع ولا رسالتهم -وقد أرسلهم باتجاه الشاطئ الوثني من بحيرة طبرية وجعلهم في خدمة الجميع على مائدته، عبر معجزتي تكثير الخبز. وازاء بطء فهمهم وتأرجحهم، تبدو حاجتهم ملحة الى السماع والرؤية، من خلال معجزتي شفاء أصم وأعمى! انهم لا يقوون على ادراك الطريق الوعر الذي يُسيّرهم فيه يسوع (**المرحلة الرابعة** ٨: ٢٧-١٠: ٥٢). وهذا الطريق الذي يمرّ بالألم والموت كشفه لهم يسوع في اعقاب اعتراف بطرس في قيصرية، وقد كرر كشفه والانباء به ازاء عدم فهم تام، إن لم نقل ازاء استنكار ورفض! وهذا الطريق يتحتم على كل مؤمن ان ينتهجه حاملاً الصليب وراء

السيّد. ولعل في معجزة اعمى اريحا (١٠: ٤٦-٥٢) الذي يبصر فيتبع يسوع في الطريق.. دعوة الى اسقاط القشرة عن عيون التلاميذ الذين يصعب عليهم فهم طريق يسوع...

• **القسم الثالث (١١: ١- ١٦: ٨)**

وتجري أحداثه في اورشليم حيث يصبح يسوع وتلاميذه وجهاً لوجه مع الخصوم. ففي **المرحلة الخامسة** (١١: ١- ١٣: ٣٧)، هناك مناظرات ومجابهات بلغت ذروتها في مثل الكرامين القتلة والتينة الملعونة التي ترمز الى الطريق المسدود الذي بلغ اليه الخصوم... وفي **المرحلة السادسة** (١٤: ١- ١٦: ٨) بلغت المأساة أوَجَها، وتمخضت عن صفحة الآلام التي يعيشها يسوع وحيداً، بعد ان هرب تلاميذه وتخلّى عنه الجميع!... ويختم مرقس انجيله ببشرى القيامة حين يعطي الملاك موعداً للقاء التلاميذ المبددين مع المسيح الحي في جليل الامم -كما سبق وأنبأ يسوع بأنه يتقدمهم الى الجليل- وهو العالم أجمع، كما هو أقصى التاريخ[٢١].

اما خاتمة مرقس (١٦: ٩-٢٠)، فهي مضافة في وقت لاحق، ولم ترد في المخطوطات القديمة[٢٢].

ب- قراءة في الانجيل كما رواه متى

كان انجيل مرقس ولا شك مصدراً أساساً لانجيل متى[٢٣]. الا ان كاتب هذا الانجيل تميز كثيراً عن مرقس، في تصميمه وبنيته وترتيب مواضيعه.. سيما وقد كان له مصدر آخر مع لوقا -هو مصدر "الاقوال"- إذ يشترك معه بـ ٢٤٠ آية، فيما ينفرد عنه وعن مرقس بـ ٣٣٠ آية![٢٤] ولئن كان انجيل متى قد تبنى اطار مرقس الجغرافي، الا انه لم يشدد مثله على التضاد بين الجليل واورشليم! فالجليل تبقى المنطقة الفلسطينية التي تتلقى تبشير يسوع -وقلما تجاوز حدودها، كونه "أُرسل الى الخراف الضالة من آل اسرائيل" (١٠: ٢٤).. لا بل نجده يحذّر تلاميذه من التوجه الى السامريين والوثنيين (١٠: ٥ ت)! وذلك يعكس المسار الذي سلكته البشرى كي تنطلق، بعد القيامة، من

---

[٢١] سنتناول في الفصل الثامن روايات القيامة، وفي الفصل التاسع روايات الآلام بحسب كل من الانجيليين الاربعة، لذا نكتفي هنا بالتلميح اليها.

[٢٢] انظر بشأنها رواية القيامة بحسب مرقس في الفصل الثامن.

[٢٣] بحسب ريموند براون (المصدر المذكور اعلاه/ ص ٢٠٧) يتبنى انجيل متى ٦٠٠ آ من أصل ٦٦١ آ التي يتكوّن منها انجيل مرقس! وقد عُدّ أطول الاناجيل وأكثرها إصداء لأقوال يسوع، حتى انه غطى لفترة طويلة على انجيل مرقس!

[٢٤] راجع المسألة الازائية في الفصل الخامس.

الجليل الى العالم. ففي الجليل يتراءى الرب الممجّد لتلاميذه ليحّملهم مهمة التبشير بالانجيل لكل الامم (٢٨: ١٩)!

وللحال نجدنا بازاء انجيل يشدد على كون المسيحيين يؤلفون "شعب الله الجديد" المتجذر في عمق الخبرة الايمانية المرسومة في الاسفار المقدسة. ولا عجب ان نتبين بأن هويتهم أخذت تتميز في اعقاب الصراع مع اليهودية الرسمية التي رسم ملامحها فرّيسيو يمنيا في الثمانينات، مما أدّى الى شبه قطيعة كان لها أثرها في رسم ملامح الهوية المسيحية لتلاميذ يسوع. ومن هنا كانت تلك "العدوانية" التي نراها في انجيل متى متجسدة في مواقف الكتبة والفريسيين تجاه يسوع، والتي أسفرت من ثم عن تلك الهجمات العنيفة التي جاءت على لسان يسوع، وهي تعكس في الواقع "ردود الفعل" الدفاعية لمسيحيي الثمانينات، وكأنّ مؤلف الانجيل لسان حالهم!

وهكذا كان لنا في انجيله "خطب" (وفي مقدمتها الخطبة على الجبل) هي بمثابة خلاصة للقيم الانجيلية بوجه "التقاليد" اليهودية..! ولا عجب من ثم ان يعكس الانجيل توجّه الكنيسة الاولى نحو الوثنيين بعد ان رفض اليهود رسالة المسيح.. ولها ما يرسّخها في توجهها هذا: فإن اليهود كانوا أول المعنيين بخلاص الله، بشهادة الاسفار المقدسة كلها، ولما رفضوا قبوله والدخول فيه، هوذا يتحقق ما أنبأ به الله على لسان الانبياء (وأشعيا بنوع خاص) من ان بشرى الخلاص تتوجه الى جميع الامم، وفقاً لهذه الخلاصة:"ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تثمر ثمره" (مثل الكرامين القتلة ٢١: ٣٣-٤٥)..! ونلاحظ بيسر كثرة الاستشهادات في انجيل متى المقتبسة من الاسفار المقدسة، ولنا منها ١٣٠ شاهدة، ولا سيما من أسفار الانبياء والمزامير.

ويحتل اعلان "ملكوت السماوات" في انجيل متى مكان الصدارة. فيسوع يفتتح "ملك الله" الذي طالما انتظره الشعب. و"ملك الله" لا يمكن ان تحجمه الاحلام السياسية التي دغدغت اليهود، كونه مُلكاً يحقق ارادة الله في الحق والعدل والمحبة والاخوّة والسلام.. ملكاً رسم يسوع ملامحه: فالمعجزات هي علامات مجيئه، والامثال تكشف عن ميزاته وصفاته... ويحملنا الانجيلي على ان ندرك بأن قيامة يسوع هي الافتتاح الرسمي له: فبها حلّ ملكوت الله وأُنجز.. وفي الوقت ذاته يبقى اكتماله رهناً بعمل الكنيسة. ومن هنا التمييز بين الكنيسة وملكوت الله: فالكنيسة مؤتمنة على اعلان وتحقيق ملكوت الله بيسوع: انها علامته، والمكان المميَّز لاعتلانه! ولذا فهي، مع تقلّدها "مفاتيحه"، لا تني تضرع الى الله " ليأتِ ملكوته"! وما اعظم ما تضعه عليها هذه الصلاة من مسؤوليات...

وسمي الانجيل بحسب متى "الانجيل الكنسي" -وقد انفرد بكلمة "كنيسة"- لانه يعكس وضع كنيسة منفتحة، تدرك ان ايمانها بيسوع "الرب" يفرض عليها ان تعلنه

"رباً" للعالم أجمع، هو الذي وعدها أن يكون معها (عمانوئيل) حتى منتهى التاريخ! هكذا بدأ الانجيل ببشرى: "ويدعى اسمه عمانوئيل: الله معنا"، ليُختَم ببشرى تحملها الكنيسة الى العالم.. ويضمن الرب الممجد حضوره فيها ومعها! فكل الانجيل مبني على ايمان الكنيسة بالرب الحي في قلب الجماعة المسيحية. وعلى ضوء القيامة، يعود الانجيلي، مستعيناً بشواهد من العهد القديم، ليقرأ حياة يسوع، عاكفاً على "تأوين" أقواله وأعماله في حياة الكنيسة الناشئة التي يتعين عليها ان تكتشف المسيح الحي، في كل أوجه نشاطاتها الليتورجية والتبشيرية، وفي كل المنعطفات التي ستعيشها ولا سيما ابان الصعوبات والاضطهادات... ولَكَم تصبح ناطقة وبليغة، في هذا الاطار، رواية الامثال والمعجزات التي يوردها كاتب الانجيل.. وهكذا يُوَفّق المؤلف، بكتاب واحد، الى دمج زمن الكنيسة بزمن يسوع!

ويسوع في انجيل متى هو موسى الجديد، لا بل المشترع الاكبر والمفسر الاعظم لإرادة الله. والكنيسة هي تحقيق لصورة "شعب الله" كما رسمتها "التوراة"، لا بل هي علامة حضور الرب يسوع في العالم. وقد رأى اهل الاختصاص في انجيل متى تركيبة من خمس "خطب" كبرى جمعها المؤلف ونسّقها ضمن "كراريس" او مجموعات روائية من أقوال يسوع مقترنة بأعماله -وذلك على مثال موسى في اسفار التوراة الخمسة- وقد خُتِمت كل خطبة بعبارة "ولما أتمّ يسوع هذا الكلام" (٧: ٢٨؛ ١١: ١؛ ١٣: ٥٣؛ ١٩: ١؛ ٢٦: ١)، وتناولت: "بر الملكوت" او العظة على الجبل (٥-٧)، ووصايا للمنادين بالملكوت او خطبة الايفاد للرسالة (١٠)، والكشف عن اسرار الملكوت او التعليم بالامثال (١٣)، وابناء الملكوت او قاعدة حياة الجماعة (١٨)، ومجيء الملكوت او الخطبة حول نهاية الازمنة (٢٤- ٢٥).

ويمكننا ان نعرض، على منوال الأب شربنتييه[٢٥]، بنية لانجيل متى تقوم على قسمين رئيسين، تسبقهما روايات الطفولة (١-٢) التي هي مقدمة لاهوتية تكشف عن سر يسوع في ضوء القيامة[٢٦]...

• في القسم الاول (٣-١٦) يعلن يسوع عن ملكوت الله ويمهّد السبيل للكنيسة.

في بدئه تلعب فقرة (٣-٤) دوراً انتقالياً: الاب يعلن ابنه، والشيطان يجرّبه! وتمهد عبارة منها لبدء خدمة يسوع الرسولية: "وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادي فيقول: توبوا، قد اقترب ملكوت السموات" (٤: ١٧). ويسبقها اعلان لقب "الابن الحبيب" يوصف به يسوع عبر الصوت الالهي الذي ارتفع في العماذ، وتلي الاعلان تجربة يسوع من قبل الشيطان في البرية (٤: ١ت)!

---

[٢٥] الدليل / ص ١٨٤- ١٨٥.

[٢٦] راجع روايات انجيل الطفولة بحسب متى/ الفصل الرابع.

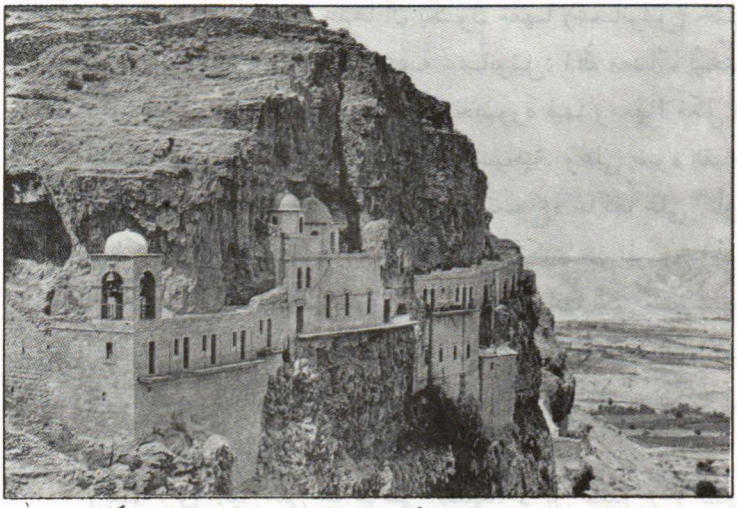

جبل التجربة أو "جبل الأربعين (القرنطل!) يطل على سهل ايريحا الفسيح -دير الروم الأرثوذكس وقد بني عام ١٨٩٥ لذكرى صوم يسوع وتجربته.

• **وفي القسم الثاني (١٧-٢٨) يهيئ يسوع كنيسته للقيام بمهمتها في ملكوت الله.**

وتلعب فقرة (١٦: ١٣- ١٧: ٢٧) في وسط الانجيل دوراً انتقالياً: الكنيسة تعترف بربّها وتجرّبه! وتمهد عبارة منها لتحوّل هام في حياة يسوع وخدمته: "وبدأ يسوع من ذلك الحين يُظهر لتلاميذه انه يجب عليه ان.. يتألم..." (١٦: ٢١). ويسبقها اعلان لقب "المسيح ابن الله الحي" يطلقه بطرس في قيصرية فيلبس، تليه تجربة من قبل بطرس ذاته الذي انتهره يسوع بقسوة، واصفاً اياه بـ "شيطان"!

وهكذا نجدنا بإزاء بنية متوازية في القسمين: القسم الاول يحتوي، باستثناء "انجيل الطفولة"، على "الكراريس" او المجموعات الروائية الثلاث، والتي تتضمن الخطب الثلاث (العظة على الجبل، الايفاد للرسالة، التعليم بالامثال)، فيما يحتوي القسم الثاني على الكراسين الاخيرين والخطبتين اللتين يتضمنانهما (قاعدة حياة الجماعة والخطبة عن نهاية الازمنة).

• **القسم الاول**

٥ الكراس ١: اقترب ملكوت السماوات (٤: ١٧- ٩: ٣٤)

وضعتنا الفقرة الانتقالية (٣-٤) بإزاء يسوع مهّد له يوحنا المعمذان الطريق، واعلنه الآب انه "ابنه الحبيب"، هو الذي عاش بنجاح تجربة الصحراء "في البر"، وأنجز "الخروج"، ودشّن "الملكوت" الذي يرمز اليه "انفتاح السماوات"... وهذا القسم الاول يبدأ في الجليل حيث يعلن يسوع "بشارة الملكوت" القريب، وذلك عبر أقواله (العظة على الجبل) وافعاله (١٠ معجزات متتالية) -وتلك خطة مقصودة شاء المؤلف من ورائها ان يظهر يسوع مقتدراً بالقول (٥-٧) والفعل (٨-٩). وازاء هذا "النبي" الجديد تتعجب الجموع وتتألب حوله، فيما يُعدّ الفريسيون هجماتهم...

٥ الكراس ٢: التلاميذ يُرسلون للتبشير، ويسوع هو الذي يبشر بالملكوت (٩: ٣٥- ١٢: ٥٠)

نحن بإزاء فريق التلاميذ الذين يخصهم يسوع بخطبة (١٠) هي بمثابة وصايا للرسالة الموكلة اليهم والتي سيقومون بها في الواقع بعد القيامة، إذ لا يمكنهم ان يحققوا هذا البرنامج الرسولي العسير والمليء بالمتطلبات، قبل ان يختبروا السر الفصحي الذي يوحّدهم بموت المسيح وقيامته. ولذا نرى يسوع هو الذي يذهب في الواقع الى التبشير: انها رحلة تبشيرية تمتد على فصلين (١١-١٢) يتجلى خلالها وجه يسوع الذي يرسم أشعيا النبي ملامحه: "... أجعل روحي عليه فيبشر الامم بالحق..." (أش ٤٢: ١ت؛ متى ١٢: ١٨).

٥ الكراس ٣: ازاء الملكوت لا بد من الاختيار (١٣: ١-١٧: ٢٧)

لن ينتهي القسم الاول من دون ان يحدد السامعون موقفهم من الملكوت الذي ينادي به يسوع. وهنا يتضح الفرق بين التلاميذ وبين الجموع التي يخاطبها يسوع ويكشف لها اسرار الملكوت عبر الامثال (١٣)، لا بل إنها لاتقوى على الفهم! وتلك ايماءة من المؤلف على كون الجماهير قد حددت موقفها بالابتعاد عن يسوع. إلا أنه، في الوقت ذاته، يرينا يسوع يفسّر الامثال -ولنا منها سبعة، وهو رقم رمزي كثيراً ما يستخدمه الكاتب- لتلاميذه الذين يبدون أكثر فهماً كونهم أكثر تفهماً.. وهو انما يخصّهم بهذه التنشئة الخاصة، كونهم النواة الاولى لكنيسة يترتب عليها ان تواصل رسالته.

ويواصل يسوع (١٣: ٥٣- ١٦: ١٢) معجزاته باتجاه الجموع التي ما زالت تتبعه، وهو يشفق عليها (معجزتا تكثير الارغفة)، ويخص تلاميذه بتعليمه، هم الذين يزداد شعورنا بوحدتهم والتفافهم حول المعلّم.. وهكذا يهيؤنا الانجيلي لاعتراف بطرس في فقرة انتقالية (١٦: ١٣- ١٧: ٢٧) تسبق القسم الثاني.

♦ القسم الثاني

اعتراف بطرس وحصوله على لقب "الصخرة" التي يبني عليها يسوع "كنيسته"، وتقلُّدُهُ "مفاتيح ملكوت السماوات".. ارادها الانجيلي بمثابة همزة الوصل بين قسمَي انجيله. فلقد شاء ان يضعنا بإزاء جماعة التلاميذ المتماسكة التي تنطق بلسان رئيسها بطرس. انها الكنيسة التي ترجّع صدى صوت الآب، كما في الفقرة الانتقالية الاولى، فتعلن بأن يسوع هو "المسيح ابن الله".. ولكنها في الوقت ذاته، هي التي تجرّبه بلسان بطرس الذي لم يكن قادراً ان يتقبل مسيحاً متألماً! وهكذا نجدنا في قلب الفقرة الانتقالية حيث نواجه الإنباء الاول بالآلام، وندرك أن التلميذ لن يشارك في مجد المسيح (التجلي/ فصل ١٧) الا بعد ان يكون قد قبله مع آلامه وصليبه. ففي هذا القسم الثاني نجد الكراسين اللذين يحتويان الخطبتين الاخيرتين.

٥ الكراس ٤: ملكوت الله ينتقل الى الكنيسة (١٨: ١-٢٣: ٣٩)

ويتمحور الانجيل حول الكنيسة.. هذه الجماعة المؤمنة بيسوع والتي يرسم الانجيلي ملامحها وقاعدة حياتها: انها جماعة تعيش قيم الرحمة والغفران، كما علّمها يسوع وحدد مواصفات اعضائها "ابناء الملكوت" (١٨). ونرى يسوع "بعد ان أتمّ هذا الكلام" (١٩: ١) يتوجه من الجليل الى اورشليم، مواصلاً تعليمه لتلاميذه، بالرغم من مواقف الخصوم الرافضة والتي ستتمخض عن انفجار، ولا سيما في اعقاب بعض المواقف وبعض الامثال التي عرّضت مباشرة بعظماء الكهنة والشيوخ، وفي مقدمتها مثل الكرامين القتلة! فضلاً عن تنديده الشديد بالكتبة والفريسيين "المرائين" (٢٣)...

٥ الكراس ٥: السر الفصحي يفتتح ملكوت الله (٢٤: ١- ٢٨: ٢٠)

في هذه المجموعة الروائية الخامسة والاخيرة يضع الانجيلي على لسان يسوع، وعلى مدى فصلين (٢٤-٢٥)، خطبة طويلة، بأسلوب رؤيوي، حول مجيء ملكوت الله النهائي في شخص يسوع "ابن الانسان" -وستكون "الزلازل" احدى ابرز علامات هذا المجيء. فإزاء هذه النهاية الوشيكة، تدعى الجماعة المؤمنة (الكنيسة) الى السهر الدائم، في انتظار مجيء "ربها" (أمثال الوكيل الامين والعذارى والوزنات).

وفي الفصول الثلاثة الاخيرة (٢٦-٢٨) نجدنا ازاء رواية للآلام والقيامة هي بمثابة بدء افتتاح مجيء ملكوت الله. ففي رواية الآلام تعود الجموع التي كانت قد توارت لتشهد الاحداث وتصبح طرفاً فيها، بعد ان استطاع رؤساء اليهود ان يحوّلوها الى موقف العداء تجاه يسوع الذي طالما أحبها وشفى امراضها..! ويتمخض مشهد الآلام عن مشهد القيامة -وقد جعلت من يسوع "العبد المتألم"، ذلك "الرب" الممجَّد، "ابن الانسان" الذي "أوتيَ كل سلطان في السماء وعلى الارض"، وأُقيم سيد العالم! انها سيادة الرب القائم.. وعلى الكنيسة ان تسعى الى جعلها تشمل كل الامم[٢٧].

جـ - قراءة في مؤلَّف لوقا: الانجيل واعمال الرسل

مع لوقا نجدنا بصحبة كاتب يبدو مؤرخاً يفتتح مؤلفه بمقدمة رائعة على غرار مؤلفي زمانه. وهذه المقدمة التي يفتتح بها الانجيل (١: ١-٤) -ونجد صداها في مقدمة سفر اعمال الرسل- كانت في مقدمة الادلة على وحدة المؤلف، فضلاً عن الوحدة الواضحة في المضمون والانشاء... ولعل ابرز ما في المقدمة هو انه يُعلن عن تصميمه بتقديم رواية "مرتّبة" للبشرى، وبهدف تعليمي يرمي الى جعل المسيحيين المهتدين من الوثنية "يتيقنون من صحة ما تلقوا من تعليم"! وغني عن القول انه لم يعرف يسوع، وانما

[٢٧] نوصي القارئ الراغب في المزيد بقراءة "دراسة في الانجيل كما رواه متى" للأب أ. شربتتيه في "سلسلة دراسات في الكتاب المقدس" (رقم ١٢)، دار المشرق - بيروت ١٩٨٨.

عرفه بصفته "الرب" الممجد الذي تجلّى لمعلمه بولس على طريق دمشق -وإن كان من الصعب جداً، بحسب عدد من العلماء، التأكيد على كون الكاتب رفيقاً لبولس!

وتلعب الجغرافية دوراً متميزاً في مؤلّف لوقا ذي الجزئين: فتبدو اورشليم في المركز من الإنجيل، إذ فيها (وفي الهيكل بالذات) يبدأ، وفيها وفيه ينتهي! نرى يسوع "يبشر" في الجليل لكي "يصعد" من ثم الى اورشليم حيث يُتم سرّه الفصحي -وقد بنى لوقا على هذا "الصعود" القسم المركزي من انجيله (٩: ٥١-١٩: ٢٨). اما سفر الاعمال فيرينا كيف ان البشرى تنطلق من اورشليم لتشمل اليهودية والسامرة وحتى أقاصي الارض، وفقاً لوصية الرب (رسل ١: ٨) التي وجدت تحقيقها في روايات هذا السفر -وهو يُرينا حضور المسيح الحي في الكنيسة، عبر المبشرين، وفي مقدمتهم بولس، الذين حملوا "الكلمة" الى ارجاء الامبراطورية، وحتى روما عاصمتها التي كانت تُعَد نهاية العالم المعروف!

ولما كان لوقا "مؤرخاً مؤمناً"، فقد شاء أن يكشف عن معنى الاحداث في نور القيامة. وما يرويه من حياة يسوع أو حياة الكنيسة الناشئة، فهو انما يرويه مدفوعاً بايمانه الذي يجعله يتبيّن كيف ان "التدبير الخلاصي" يتم وفقاً للأسفار المقدسة، وقد استخدمها كأرضية لمؤلفه فتعلن ما ينطوي على الأحداث من معنى... لذا فجلّ همه هو ان يُشعر القارئ بانه معنيٌّ بهذه الاحداث، وان عليه من ثم ان يحدد موقفه منها "اليوم"! ذلك لأن الخلاص المعروض عليه يحمله على اتباع يسوع والتتلميذ له والسير وراءه... ومن هنا كان له، في ضوء الايمان، تصوّر للتاريخ بثلاثة أزمنة: **زمن الموعد، وزمن يسوع** -يشترك بهما مع مرقس ومتى-، **وزمن الكنيسة**. وهكذا جعل يسوع يحتل موقع المركز من التاريخ، كونه في الوسط بين زمن الموعد الذي هو زمن العهد القديم، وبين زمن الكنيسة التي فيها يجد عمل يسوع تحقيقه وتأوينه بقوة الروح القدس. فبينما عكس مرقس، ولا سيما متى، في مؤلّف واحد، زمن يسوع في كنيسته ومعها -وقد رسم لنا متى، بشكل خاص، وجه يسوع الحي في جماعته-، تناول لوقا في الجزء الاول (الانجيل) كرازة يسوع وسره الفصحي، وتناول في الجزء الثاني (اعمال الرسل) عمل الروح القدس في الجماعة المؤمنة... ويؤسفنا ان يكون "قانون" العهد الجديد قد فصل سفر الاعمال عن الانجيل الثالث، ووضعه في مرتبة ثانية بعد الاناجيل (!)، بينما هو في الواقع تواصل وامتداد للانجيل -وتجدر الاشارة الى ان تسمية "اعمال الرسل" ترجع الى القرن الثالث فقط! وهكذا يتضح لنا بأننا لسنا بإزاء "اعمال الرسل" بقدر ما نحن بإزاء "اعمال الروح القدس" في الكنيسة!

إلا أن هذا التمييز بين زمن يسوع وزمن الكنيسة لا يعني الفصل بينهما. فهدف لوقا هو ان يبرز مراحل التدبير الالهي في تاريخ الخلاص: فالخلاص هو محور البشرى!

وقد كشف لوقا، منذ بدء انجيله، عن انه تمّ "اليوم"، وتطلّع الى ان يراه يمتد ليشمل "كل بشر" عبر نبؤة أشعيا (٤٠: ٣-٥) التي انفرد بنقلها كاملة دون الانجيليين:"... ويعاين كل بشر خلاص الله" (لو ٣: ٤-٦)! هذا الخلاص توجه الى اليهود اولاً، ومن ثم الى الوثنيين، كما رسم مساره سفر الاعمال الذي تؤكد خاتمته ان "خلاص الله أُرسل الى الوثنيين" (٢٨: ٢٨)، وهكذا يتم الوصل بين فاتحة الانجيل وخاتمة الاعمال! ولذا سمي لوقا بحق "انجيلي المخلص"، وقد انفرد دون الانجيليين باطلاق لقب "المخلص" على يسوع، كما أكثَرَ من اضفاء لقب "الرب" على يسوع، وكلاهما لَقَبان الهيّان!

١- زمن يسوع: الانجيل

زمن يسوع يسبقه "زمن الموعد" -زمن العهد القديم- الذي تنتهي حلقاته بيوحنا المعمذان، وقد تسلّم مهمة إعداد الطريق امام النبي الآتي (٣: ١-١٨). وفي الواقع لن يبدأ "زمن يسوع " الا في الخطبة البرنامجية في مجمع الناصرة حيث يعلن يسوع:" اليوم تمّت هذه الآية على مسامعكم" (٤: ٢١)! ويمكننا ان نعتبر مدخل انجيل لوقا الممتد على الفصول الاربعة الاولى (١: ٥- ٤: ١٣) بمثابة الاطار الذي يمهّد لزمن يسوع. فباستثناء روايات الطفولة (١-٢) التي هي مقدمة لاهوتية لكتاب لوقا بجزئيه -وفيها يوجز سرّ يسوع[٢٨] عبر سلسلة من "البشارات" على لسان الملائكة- نجد تمهيداً لرسالة يسوع (٣: ١- ٤: ١٣) في ثلاث حلقات: العماذ والتجربة يتوسطهما نسب يسوع، وهي تدلي بأن يسوع يمثل شعب الله في مسيرة جديدة (العماذ) يخرج منها ظافراً (التجارب)، ويتضح من خلال (النسب)، بحسب لوقا، ان يسوع يرقى الى آدم ابن الله! وتلك اشارة اخرى الى ان خلاص الله معروض لكل البشر.

وهكذا يدخلنا لوقا في زمن يسوع الذي يبدأ من الجليل، ومن الناصرة بالذات، فيوزّع مواده -وقد استقاها ولا شك من مرقس مع تقاليد ينفرد بها، فضلاً عن مصدر "الاقوال" الذي يشترك فيه مع متى- بطريقة فريدة، موظّفاً اياها في خدمة تدبير الخلاص من زاوية فكره اللاهوتي. ويمكننا اكتشاف ثلاثة أقسام:

- **القسم الاول:** بدايات الرسالة (٤: ١٣- ٩: ٥٠) -ينبئ يسوع بسره الفصحي.
- **القسم الثاني:** الصعود الى اورشليم (٩: ٥١- ١٩: ٢٨) -يصعد يسوع الى سره الفصحي.
- **القسم الثالث:** السر الفصحي (١٩: ٢٩- ٢٤: ٥٣) -يُنجز يسوع في اورشليم سره الفصحي.

---

[٢٨] راجع روايات انجيل الطفولة بحسب لوقا / الفصل الرابع.

ΙΣ
ΧΣ

وهكذا نجد "السر الفصحي" في القلب من الانجيل بحسب لوقا الذي لا يني يرسم ملامح الرب الحي، بصفته ذاك الذي "كان يجب ان يعاني الآلام ليدخل الى مجده" -ومن المعلوم اننا لسنا امام " قَدَر" يسوع، وانما بازاء "مصيره" الذي كشفت عنه القيامة! وحين أعاد المسيحيون قراءته في ضوء الاسفار المقدسة، تبيَّن لهم المعنى العميق من آلامه وموته في التدبير الالهي. وتجدر الاشارة هنا الى ان لوقا يعرض في مؤلفه ذي الجزئين السر الفصحي في أوجهه الثلاثة: (القيامة والصعود والعنصرة) وهي تعكس حقيقة واحدة خارجة عن منطق أحداث متتالية في الزمن، كما قد تؤدي بنا الى الاعتقاد قراءة سطحية للقيامة (في ثالث يوم) وللصعود (بعد أربعين يوماً) وللعنصرة (في اليوم الخمسين)!

■ **بدايات الرسالة (٤: ١٤- ٩: ٥٠)**

وضع لوقا في مستهلّها قراءة من أشعيا تمت في مجمع الناصرة (٤: ١٦-٣٠) هي بمثابة البرنامج الذي سينجزه يسوع، حاملاً البشرى الى "المساكين" الذين ما فتئوا ينتظرون خلاص الله.. خلاصاً سيشمل الوثنيين أيضاً. وهذا الخلاص يعلنه يسوع في الجليل بأقواله ومواقفه، ولا سيما بمعجزاته التي هي علامات حب الله ورحمته، ينجزها للذين هم أسرى الشر الروحي والجسدي -وغني عن القول ما اتّسم به الانجيل الثالث من مواقف كشفت عن محبة الله للخطأة، وتجسدت في مخالطة يسوع لهم ومبادرته الى "شفائهم"، كونهم "مرضى" بحاجة الى طبيب...

ونتبين في هذا القسم الاول جزءاً اولَ (٤: ٣١-٦: ١١) يتبع فيه لوقا عن كثب مرقس، حيث تتضح مواقف يسوع من الجمع والتلاميذ والخصوم، عبر معجزاته ومجادلاته. وفيما ينفرد لوقا بجزء ثان (٦: ١٢- ٧: ٥٢) يُصدي فيه احياناً لروايات متى، ولا سيما في خطبة يسوع في السهل[٢٩] -وقد ألقاها على الاثني عشر الذين اختارهم-، يعود في جزء ثالث (٨: ١- ٩: ٥٠) فيلتقي بمرقس في بعض الامثال والمعجزات، كما في رواية الايفاد للرسالة ومعجزة تكثير الخبز الوحيدة، ويبتعد عنه قرابة فصلين (مر ٦: ٤٥-٨: ٢٦) ليعود فيلتقي به (مر ٨: ٢٧-٩: ٤٠) في مشهد اعتراف بطرس والانباء بالآلام، بلوغاً الى المجد الذي يستبقه مشهد التجلي! ويُختم القسم الاول بإنباء ثان عن كون "ابن الانسان يُسلَّم الى ايدي الناس"، وهو أشبه ما يكون بـ "العبد المتألم" بحسب أشعيا النبي.

■ **الصعود الى اورشليم (٩: ٥١-١٩: ٢٨)**

لقد أثبت لوقا في هذا القسم قدرته على الابتكار حين جعل يسوع "يصعد" من الجليل الى اورشليم (صعوداً لاهوتياً اكثر منه صعوداً جغرافياً!) في رحلة طويلة

---

[٢٩] راجع الموازاة والمقارنة بين لوقا ومتى في نص التطويبات / الفصل الخامس.

برية اليهودية بين ايريحا وأورشليم.. وهي آخر الطريق الصاعدة من الجليل الى أورشليم. وروى لوقا رحلة طويلة ليسوع تخللتها تعاليم وأمثال رائعة، كمثل السامري.. -وقد بنى الصليبيون على الطريق "فندق السامري الصالح"!

"مصطنعة" نحو سرّه الفصحي، وقد استهلّها بهذه العبارة ذات المغزى اللاهوتي: "ولما حانت أيام ارتفاعه عزم على الاتجاه الى اورشليم" -والمعنى الحرفي لكلمة "عزم" هو "قسّى وجهه" على مثال العبد في سفر أشعيا (٥٠: ٧) الذي، ازاء الاضطهاد، جعل وجهه كالصوّان لئلا يتراجع! ذلك لأن يسوع كان على يقين من ان "صعوده" او "خروجه" الى اورشليم، انما هو "ارتفاعه" على الصليب، وهو في الوقت ذاته "ارتفاعه" في المجد...

في هذا القسم المركزي من الانجيل وزّع لوقا مواده -وينفرد بنسبة كبيرة منها- على عشرة فصول شملت بدرجة اولى، امثالاً وتعاليم (استنارت كلها بنور الفصح) أدرجها في اطار الرحلة الى اورشليم، المدينة التي لا يهلك نبي خارجاً عنها (١٣: ٣٣)! وأورشليم هي التي رفضت ان ترى في يسوع ذاك "الآتي باسم الرب" -ولقد أشار عدد من المفسرين الى ثلاثة أجزاء، بعدد التذكيرات بتوجه يسوع نحو اورشليم (٩: ٥١؛ ١٣: ٢٢؛ ١٧: ١١) والتي تخللتها توجيهات الى التلاميذ (الاثنين والسبعين) حول رسالتهم واهمية الصلاة والتجرد عن المال والتخلي عن الذات وحمل الصليب... فيما اتخذت تعاليم يسوع باتجاه الكتبة والفريسيين نبرة المجابهة والحزم، واتخذت باتجاه الجمع، والخطأة بنوع خاص، نبرة الرحمة والدعوة الى التوبة والسهر...

وكان لنا من الامثال ما لا مثيل له في الاناجيل: السامري، الغني الجاهل، المدعوون الى العشاء، الوكيل الخائن، الغني ولعازر، القاضي الظالم، الفريسي والعشار... ولا يسعنا الا ان نقف مشدوهين امام مثل "الابن الضال" (١٥) الذي هو بالاحرى مثل محبة الله، وقد تجسدت في غفرانه الذي سبق توبة الابن الضال وعودته الى ابيه..! كما كان لنا تعاليم -نجدها مبعثرة في اناجيل اخرى- تُشعرنا بأننا بازاء تلاميذ سيترتّب

عليهم، بعد "رفع" معلمهم، ان يثبّتوا اخوتهم. ولَكَم برزت في تعليم يسوع، بحسب لوقا، الجرأة في اعلان الحقيقة والمثابرة في البحث عن ملكوت الله وضرورة الدخول فيه، سيما وقد اتضح أنه"في ما بيننا"! وهكذا هي الحال مع بعض المعجزات التي ينفرد بها لوقا..! ولَكَم تجلّت ألفة يسوع مع الآب في الصلاة التي سبقت كل الخطوات الكبرى في حياته...

وفيما يعود لوقا في ١٨: ١٥ فيلتقي في الوقت ذاته بمرقس (١٠: ١٣-٥٢) ومتى (يسوع والاطفال، الشاب الغني، خطر الغنى، الانباء الثالث بالآلام، شفاء اعمى اريحا). ينفرد من جديد برواية لقاء يسوع مع زكا (١٩: ١-١٠)، كما ينفرد بمثل الامناء (١٩: ١١-٢٧)، وهو بالاحرى مثل المُطَالِب بعرش[٣٠].. وبه ينهي هذا القسم المركزي ليفتتح القسم الثالث والاخير بدخول يسوع الملوكي -ولَكَم شدد على ملوكية يسوع!- الى المدينة الرافضة والصالبة:"قال هذا ثم تقدم صاعداً الى اورشليم" (١٩: ٢٨).

■ **السر الفصحي في اورشليم (١٩: ٢٩- ٢٤: ٥٣)**

.. وأورشليم التي تستقبل "الملك الآتي باسم الرب"، هي التي يبكي عليها يسوع ويطرد الباعة من هيكلها حيث يلقي تعليمه الذي يمتد على الفصلين ٢٠-٢١. ويشبه هذا التعليم، الى حد كبير، ما ورد لدى مرقس ومتى، ويتخذ شكل مناظرة تسفر عن عناد اورشليم في شخص رؤسائها، فيسفر بالتالي عن دينونة وحكم هما بمثابة علامة على مجيء ابن الانسان..! وتأتي رواية الآلام (٢٢-٢٣) بكثير من التفاصيل التي ينفرد بها لوقا، وفيها يتجلى يسوع ذلك "البار" الذي يشهد للحق فيستشهد.. -وقد جعل لوقا طريق الآلام طريقاً للمؤمنين يحملون "صليبهم" وراء يسوع! وما أروع الفصل الاخير (٢٤) الذي جعله لوقا يوماً فصحياً طويلاً تجري أحداثه كلها في اورشليم -وليس في الجليل- حيث يتم اللقاء بالرب الحي الذي يفتح أذهان التلاميذ ليفهموا بأن قد "كُتب ان المسيح يتألم ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث..." (٢٤: ٤٦). وفيما يؤكد لوقا على مهمة "شهود القيامة" ولا سيما بعد ان "يُلبَسوا قوة من العلى"، يترك الباب مفتوحاً كي نتابع في الجزء الثاني مسيرة الشهود الذين يسندهم الروح...

ولا بد لنا من ان نشير أخيراً الى اوجه الشبه بين انجيل لوقا وانجيل يوحنا، والتي تتمثل في المفردات أكثر منها في النصوص (ذكر مرتا ومريم، حَنّان عظيم الكهنة، الصلة بين الصيد العجائبي وتقليد مفاتيح السموات لبطرس،حديث يسوع مع التلاميذ في العشاء الاخير، اعتراف بيلاطس ببراءة يسوع، خيانة يهوذا المنسوبة الى الشيطان، ترائي يسوع القائم للتلاميذ في اورشليم، النظرة الى القيامة بصفتها ارتفاعاً ومصدراً لهبة

---

[٣٠] راجع مقارنة لهذا المثل مع مثل الوزنات لدى متى/ الفصل الخامس.

الروح...). ولا شك ان هذه الصلات المشتركة ترجع الى تقاليد سابقة للأناجيل، استخدمها لوقا ووظّفها بشكل فريد في انجيله، كما فعل مع مصدره المرقسي ومع مصدر "الاقوال" المشترك مع متى - وينفرد لوقا بحوالي ٥٠٠ آية من أصل ١١٥٠، مبرهناً على براعة وإبداع في التأليف[٣١].

٢- زمن الكنيسة: سفر الاعمال

في هذا الجزء الثاني نكتشف للحال اننا بإزاء "تاريخ" للكنيسة الناشئة.. وسرعان ما نجد انفسنا بصحبة "مؤرخ" يبدو وكأنه شاهد على الاحداث التي يرويها، منذ "صعود الرب" وحلول الروح القدس، الى حياة الجماعة المؤمنة في اورشليم والسامرة وحتى انطاكيا وروما، مروراً بآسيا الصغرى واليونان..! وتستوقفنا ولا شك الفقرات التي يستخدم فيها لوقا ضمير المتكلم بصيغة الجمع والتي تبدو وكانها "يوميّات" لرحلات بولس التبشيرية، سواء كان لوقا كاتبها ام مؤلف آخر -وهي تبدأ في بعض المخطوطات[٣٢] من ١١: ٢٨، أي قبل الفقرات الاربع المألوفة (١٦: ١٠-٤٠؛ ٢٠: ٥-٢١؛ ٢١: ١-١٨؛ ٢٧: ١-٢٨: ١٦).

ويجمع المفسرون على ان هذا السفر الرائع يستند الى وثائق عديدة، شفهية كانت أم مكتوبة، عرف لوقا كيف يعيد صياغتها ويرتبها بما يخدم هدفه اللاهوتي الذي بدأه في الانجيل وتابعه في الاعمال: ان ليسوع الحي شهوداً -سواء كانوا من الرسل الاثني عشر أم من غيرهم- حملوا بشرى قيامته الى اقاصي الارض! وقد أدّى اكتشاف قسمين متميزين على صعيد البنية الادبية (قسم اول ينتمي الى المناخ السامي وتبدو فيه الوحدات الادبية متتالية، وقسم ثان تبدأ أحداثه خارج فلسطين، ويبدو أكثر تلاحماً وتنسيقاً، وبلغة أكثر متانة) الى افتراض ان هناك عدداً من الوثائق كانت في حوزة الكاتب، وانه سعى الى دمجها وتنسيقها بحيث يمكن اكتشاف عملية "التركيب" هذه. وهذه الوثائق هي في أغلب الظن:

١. "ذكريات" او معلومات عن نشاط بطرس في حياة كنيسة اورشليم (١-٥)
٢. نشاط اسطفانس رئيس السبعة (٦-٧)
٣. تبشير فيلبس احد السبعة في السامرة (٨)

---

[٣١] للمزيد من التعمق ندعو الى قراءة: "دراسة في الانجيل كما رواه لوقا" للأب اوغسطينس جورج: سلسلة دراسات في الكتاب المقدس/ رقم ١٥، دار المشرق - بيروت ١٩٨٩.

[٣٢] وصلنا سفر الاعمال عبر المخطوطات في نصّين: السوري او "الانطاكي"، والمصري او "الاسكندري" -ويطلق عليهما، لتقاربهما، "النص الشائع" الذي اعتمدته معظم الترجمات. الا ان هناك صيغة ثالثة للنص -ترقى الى القرن الخامس- وهي المسماة "الغربية": انه نص عريق كثر انتشاره في الشرق والغرب ويحمل اضافات ذات فائدة، ولكنه لا يمثل، في نظر العلماء، النص الاصلي للسفر.

٤. دعوة بولس على طريق دمشق (٩) وتبشيره مع برنابا في آسيا الصغرى (١٣-١٤)
٥. "مستندات" كنيسة انطاكيا حول نشأتها على يد الهيللينيين (١١: ١٩-٣٠)
٦. "محضر" مجمع اورشليم (١٥: ٣-١٣) وانعكاسات "مجلس محلي" برعاية يعقوب اسقف اورشليم (١٥: ١٣-٣٥)
٧. "يوميات" دُوِّنت ابان الرحلات الرسولية (الفقرات بصيغة الجمع)

وفيما يقصّ علينا هذا السفر "روايات" ذات نكهة، تتخللها الاعاجيب والخوارق التي تعكس عمل الروح في الجماعات المؤمنة، يطلع علينا بـ "خطابات" كثيرة -حتى انه سمي "سفر الخطب" (٢٤ خطبة: ٨ لبطرس، ٩لبولس، ٧ لغيرهما كاسطفانس ويعقوب...)- لم يلتقطها لوقا من فم اصحابها، وانما صاغها على غرار مؤلفي زمانه، (استناداً الى مضامين الكرازة المسيحية الاولى التي تنطلق من ان "الله اقام يسوع رباً ومسيحاً")، ووضعها على لسان شخوصه وبهدف لا يخفى[٣٣]!

وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه الروايات والخطب -وهي بمثابة اللُّحمة والسدى لسفر الاعمال- تعكس ولا شك معطيات تاريخية لا غبار عليها، يؤيدها التاريخ العام وعلم الآثار، ولكن من دون ان تكون "تقارير" كتبها مراسل على الفور، ومن موقع الاحداث! ذلك لأن الكاتب "مؤرخ مؤمن"، همه الاكبر ان يقدم "تاريخاً" بمفهومه الواسع، وان يعطي بالأكثر لهذا التاريخ تفسيراً في ضوء الايمان! فالروح هو الذي يسيّر التاريخ ويعمل فيه عبر "المبشرين" الذين هم بحق "خدام الكلمة".. ولذا كان للخطب أهمية كبرى كونها "تقرأ" الاحداث بنور الروح الذي يُلهم العاملين في الكنيسة عبر تحركاتهم وخطاباتهم... ألم يكن "الامتلاء من الروح القدس" وراء تعليم بطرس واسطفانس وفيلبس وبرنابا وبولس..؟ أليس بفعل الروح القدس خرجت الكنيسة الاولى من تجربة الانطواء على ذاتها في حدود فلسطين، ومن الأفق الضيقة لـ "جمعية اصدقاء يسوع"(!)، لتنفتح على آفاق الامم الواسعة وتعانق العالم أجمع حتى أقاصي الارض، فتصبح كنيسة من أجل العالم؟!

ويمكننا ان نتبين في سفر الاعمال هذا التحول، إن صح التعبير، من كنيسة "يهودية مسيحية" الى كنيسة "وثنية مسيحية"! وان نتبين، بأولى حجة، امكانية التعايش

---

[٣٣] يمكننا ان نتبين على سبيل المثال مخططاً واحداً وبنية واحدة في سبع خطب: خمس لبطرس (يوم العنصرة ٢: ١٤-٤١، بعد شفاء المقعد ٣: ١٢-٢٦، امام مجلس اليهود على دفعتين ٤: ٩-١٢ و ٥: ٢٩-٣٢، وفي بيت قرنيليوس ١٠: ٣٤-٤٣) وخطاب لبولس في انطاكيا بسيذية (١٣: ١٦-٤١) و"خطبة" ليسوع على مسمع تلميذي عماوس (لوقا ٢٤: ١٤- ٢٧)... وكلها تصدي لحدث يسوع (موته وقيامته) الذي تفسره الكتب المقدسة لتخلص الى ضرورة التوبة لنيل الغفران... (انظر تحليلاً لمضمون هذه الخطابات في الفصل السابع).

بين مؤمنين من أصل يهودي ومؤمنين من اصل وثني، يُوحّد بينهم الايمان بقيامة الرب يسوع، وتحتضنهم "كنائس" هي مكان لعيش المحبة والالفة والتضامن... لذا نرسم ادناه الخطوط العريضة التي تناولها هذا الجزء الثاني من مؤلف لوقا، وقد شمل قسمين رئيسين: يتناول القسم الاول "بدايات الكنيسة في اورشليم" (١- ١٥: ٣٥)؛ اما القسم الثاني (١٥: ٣٦- ٢٨: ٣١)، فيحتل فيه بولس مسرح الاحداث حتى يكاد يكون "بطل الساحة" الوحيد! ولذا يمكننا ان نعطي لهذا القسم عنوان "تبشير بولس حتى سجنه في روما". في هذا التقسيم يبدو "مجمع أورشليم" (١٥: ١-٣٤) بمثابة حلقة الوصل بين القسمين.

هوذا تصميم[٣٤] مبسّط لهذا السفر -ولا شيء يعوض عن قراءته دفعة واحدة!

باب دمشق في أورشليم: شيد عام ١٥٣٧ وتميز بزخرفته، ويدعى أيضاً باب العامود وباب النصر لأن الجيوش المنتصرة كانت تدخل أورشليم منه... وقد كان المدخل الرئيس الى القدس القديمة.

●القسم الاول: بدايات الكنيسة في اورشليم

بعد مقدمة تتواصل مع مقدمة الانجيل، يضعنا لوقا بازاء يسوع هو صورة مجددة لايليا النبي، فيرينا اياه يهيء تلاميذه (١: ١-١١)، على مدى ٤٠ يوماً، لقبول "روحه" الذي سيمنحهم القدرة على مواصلة رسالته، بعد ان يكون "الصعود"[٣٥] قد وضع حداً لحضوره الجسدي بينهم.

١. جماعة اورشليم (١: ١٢- ٥: ٤٢)

(أ) اختيار متيا ليكون من "الاثني عشر" عوض يهوذا (١: ١٢-٢٦)

(ب) العنصرة وخطبة بطرس الاولى (٢: ١-٤١)

- ملخص اول عن حياة الجماعة الاولى: جماعة صلاة (٢: ٤٢-٤٧)
- شفاء مقعد على يد بطرس، وخطبة ثانية (٣: ١-٢٦)

---

[٣٤] نتبنى التصميم الذي اعتمده عدد من الباحثين في "سلسلة دراسات في الكتاب المقدس" (رقم ٨) بعنوان "اعمال الرسل"، دار المشرق - بيروت ١٩٨٧، ونشدد على قراءته بامعان كونه مصدراً ممتعاً ومدخلاً لا غنى عنه الى هذا السفر الرائع والممتع معاً!

[٣٥] فيما جعله لوقا في انجيله في نهاية اليوم الفصحي (لو ٢٤: ٥١) ذاته، يحدده هنا بعد ٤٠ يوماً (انظر رواية القيامة بحسب لوقا / الفصل ٨، وبضمنها الإطار ٥٩: "صعود يسوع في الإنجيل وأعمال الرسل").

- توقيف بطرس ويوحنا، وخطبة ثالثة (٤: ١-٢٢)
- صلاة الجماعة وهي تواجه الخطر (٤: ٢٣-٣١)
- ملخص ثان عن حياة الجماعة: جماعة مشاركة وتضامن (٤: ٣٢-٣٥)
- نموذج للمشاركة في الخيرات: برنابا (٤: ٣٦-٣٧)
- الخطيئة الاولى في الجماعة: حنانيا وسفيرة (٥: ١-١١)
- ملخص ثالث عن حياة الجماعة: جماعة تجري فيها المعجزات (٥: ١٢-١٦)

(جـ) توقيف الرسل وخطبة بطرس الرابعة (٥: ١٧-٤١)

(د) الخاتمة: الرسل يعلنون البشرى (٥: ٤٢)

في هذا الجزء من القسم الاول نجدنا بازاء جماعة متماسكة، استحوذ عليها الروح القدس يوم العنصرة، فحوّلها الى جماعة جريئة تشهد للرب الحي في وسطها، ترافقها المعجزات التي قد يكون أعظمها نمو الجماعة وازديادها! ويرسم لوقا لوحة نموذجية عن بدايات[٣٦] الكنيسة وعن ما يجب ان تكون عليه كل جماعة مؤمنة "في المحبة والشركة" -وما قصة حنانيا وسفيرة سوى اشارة الى الثلمة التي فتحتها الخطيئة في قلب هذه الجماعة المتماسكة! فكان لنا تلك الخلاصات المليئة بالتفاؤل، كالتي وردت في ٤: ٣٢-٣٥: "وكان جماعة الذين آمنوا قلباً واحداً.. وكان كل شيء مشتركاً بينهم. وكان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع تصحبها قوة عظيمة.. ولم يكن فيهم محتاج...".

٢- نحو كنيسة منفتحة (٦: ١-١٥: ٣٥)

(أ) نشاط الهيللينيين الرسولي

- "الرؤساء السبعة"، خطبة اسطفانس واستشهاده (٦: ١- ٧: ٦٠)

(شاول يوافق على موت اسطفانس ٨: ١، وتشتت التلاميذ يتيح لهم حمل البشرى الى خارج اورشليم ٨: ١-٤)

- فيلبس يبشر في السامرة (٨: ٥-٢٥)
- فيلبس يعمذ حبشيا (٨: ٢٦-٤٠)
- دعوة بولس وتبشيره في دمشق واورشليم (٩: ١-٣١)

(ب) نشاط بطرس الرسولي

- معجزتان (٩: ٣٢-٤٣)
- بطرس يعمذ قرنيليوس الوثني وخطبة هامة (١٠: ١- ١١: ١٨)

(جـ) نشاط كنيسة انطاكيا الرسولي

- تأسيسها على يد الهيللينيين (١١: ١٩-٢٦) وقد شُتتوا في ٨: ٤

---

[٣٦] رأى بعض المفسرين توازياً بين "طفولة يسوع" في الفصلين الاولين من الانجيل وبين "نشأة الكنيسة" في الفصلين الاولين من سفر الاعمال!

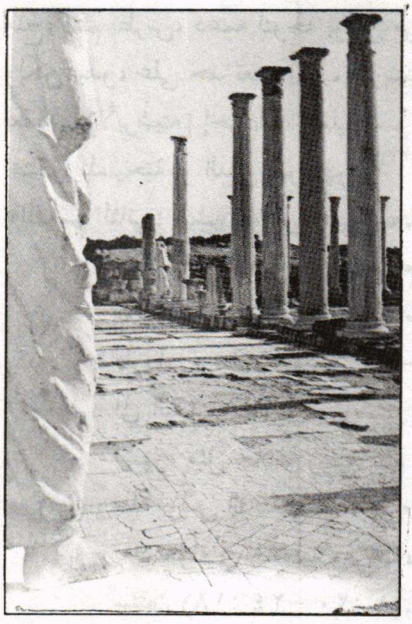

سلامين، أول مدينة بشّر فيها بولس وبرنابا في جزيرة قبرص، ومعهما يوحنا مرقس! -بقايا هياكل رومانية.

- ايفادها برنابا وبولس للتبشير في آسيا الصغرى (الرحلة الاولى بين الاعوام ٤٥- ٤٩، الفصلان ١٣-١٤، والخلاصة: فتح الله باب الايمان للوثنيين)
- وقفة: بطرس في السجن ونجاته، ومقتل يعقوب الرسول اخي يوحنا (ف ١٢)
- بولس، بعد عودته من الرسالة، يوفَد لحمل الاعانات الى كنيسة اورشليم (١١: ٢٧-٣٠، ١٥: ٣-٤)

(د) "مجمع" اورشليم

- بعد تقرير بولس بشأن اهتداء الوثنيين، طرحت مشكلة قبولهم في الجماعة دون المرور باليهودية (١٥: ٥-١١)

(هـ) اجتماع "مجلس محلي" برعاية يعقوب أخي الرب بشأن التعايش بين المسيحيين من أصل يهودي والمسيحيين من أصل وثني (١٥: ١٣-٣٥)

في هذا الجزء الثاني من القسم الاول الذي امتد على عشرة فصول (٦-١٥) نشهد امتداد حلقة التبشير على يد الهيللينيين ورؤسائهم السبعة، وفي مقدمتهم اسطفانس -ولَكَم تحجّمت مكانته حين لُقّبَ بالشماس!-، بدءً بالسامرة معقل السامريين، فانطاكيا التي شهدت نشاطاً متميزاً في أعقاب دعوة بولس (٩) الذي سيعمل يداً بيد مع برنابا في التبشير بين الوثنيين! -وكان لا بد ان تأتي المبادرة من الروح القدس، وتتم الخطوة الاولى نحو الوثنيين على يد بطرس هامة الرسل! فكانت قصة اهتداء قرنيليوس. وكانت عنصرة قيصرية (١٠-١١)! الا ان الخطوة الحاسمة في هذا الاتجاه، فقد تمت بفضل الهيللينيين الذين بادروا الى مخاطبة اليونانيين في انطاكيا حيث "دُعي التلاميذ مسيحيين" للمرة الاولى (١١: ٢٠ ت). وهكذا اصبحت انطاكيا مركزاً للرحلات التبشيرية، بدءً بقبرص وآسيا الصغرى (١٣-١٤)، بفضل برنابا وبولس اللذين أُفرزا للعمل الذي دعاهما اليه الروح القدس.. وعادا من رحلتهما الاولى فرحين يحدّثان "بما أجرى الله معهما وكيف فتح باب الايمان للوثنيين" (١٤: ٢٧)!

وكان لا بد ان يَطرح دخولُ الوثنيين في الكنيسة مُشْكِلةً قامت على التساؤل بشأن إلزامهم بالختان وإخضاعهم للشريعة.. فكان "مجمع" اورشليم (عام ٤٩؟) الذي

منح، بفم بطرس، دعمه لتوجّه بولس من ان الخلاص يتم عبر الايمان بيسوع المسيح! ولكن يبدو، على حد تعبير الأب شربنتييه، "ان مجلساً مصغراً عقد بعد ذلك، اتخذ فيه يعقوب [لأبرشيته] إجراءات عملية تسوّغ للمسيحيين العيش بتفاهم مع اليهود الذين اعتنقوا المسيحية او الذين بقوا يهوداً"[٣٧]!

- **القسم الثاني: تبشير بولس حتى سجنه في روما**

(أ) رحلة بولس الثانية (بين الاعوام ٥٠-٥٢)

- بعد افتراقه عن برنابا بسبب مرقس، انطلق بولس مع سيلا، من انطاكيا الى طرواس وفيلبي.. (١٥: ٣٦- ١٦: ٤٠)، ومن ثم تسالونيقي وبيرية، وصولاً الى أثينا ومنها الى قورنتس (١٧: ١- ١٨: ٢٣) حيث أقام سنة وستة أشهر، مثل خلالها (ربيع عام ٥٢) امام الحاكم غاليون.

(ب) رحلة بولس الثالثة (بين الاعوام ٥٢-٥٨)

- بعد جولة في غلاطية وفْريجية، جاء بولس الى افسس حيث أقام أكثر من سنتين (١٨: ٢٤- ٢٠: ١). ويبدو انه قضى شتاء ٥٧-٥٨ في قورنتس ومنها توجّه الى اورشليم (٢٠: ٣- ٣٨).

(جـ) بولس يصعد الى اورشليم حيث يُعتقل ويقضي سنتين في سجن قيصرية بين الاعوام ٥٨-٦٠.

(د) بولس يرفع دعواه الى قيصر ويُقاد الى روما في رحلة بحرية طويلة (٢٧- ٢٨).

- في روما يظل تحت الحراسة بين الاعوام ٦١-٦٣، يبشر بملكوت الله بجرأة وحرية (٢٨: ١٦-٣١).

في هذا القسم الثاني المخصص كله لبولس، أراد لوقا أن يرينا بولس -وقد أصبح "رسولاً"- يحمل بشرى الانجيل الى كل أرجاء الامبراطورية.. وبهذا يكون بلوغ الانجيل الى أقاصي الارض قد تمَّ على يده! ولَكَم تجلّت صورة بولس "رسول الامم" مشرقة في كل مدينة حلَّ فيها! ولَكَم أصدى لوقا لخطابات برزت فيها براعة بولس وقدرته على الاقناع -وإن أصدى لفشله في اريوباغس أثينا (١٧: ٢٢-٣٢)! ونخص بالذكر خطابه الوداعي المؤثر لشيوخ كنيسة أفسس (٢٠: ١٧-٣٥)، وخطابه في أهل اورشليم (٢٢: ١-٢١)، ودفاعه في حضرة الملك أغريبا (٢٦: ١-٢٣).

وفي روما مكث بولس سنتين، يواصل، بالرغم من قيوده، التبشير "بملكوت الله"، معلّماً بجرأة "ما يختص بالرب يسوع" (٢٨: ٣١). تلك هي خاتمة سفر الاعمال! ولا يسوغ لنا ان نعتقد بأن بولس كان على قيد الحياة حين كُتِب سفر الاعمال! ذلك لأن لوقا لا يهمه ان يدلي بمعلومة حول موت بولس، وانما يهمه بالاكثر ان يختم سفر

---

[٣٧] من الاناجيل / ص ٧٧.

"الاعمال" كما بدأه: فلقد كتب في مقدمته انه كان قد خص الكتاب الاول بجميع "ما عمل يسوع وعلّم"، وان يسوع القائم، قبيل صعوده، كلّم تلاميذه عن "ملكوت الله" (١: ١-٣).. وها نحن في الخاتمة نجد بولس يبشر بملكوت الله ويعلّم كل ما يختص بالرب يسوع! فنحن إذن امام مؤلّف يحدّثنا بالاحرى عن "بشرى" ملكوت الله التي ما زالت تُعلَن بجرأة وحرية ومن دون قيود! انها كلمة الانجيل التي تلقّتها روما وستبقى معروضة على العالم أجمع.. ولكنها كلمة موجهة الآن الى كل إنسان وتنادي كل إنسان يسمعها.. على أمل ان يقبلها و"يحفظها في قلبه"، فيصطف في عداد "الشهود" للرب الممجد! هذه الكلمة صادقة وجديرة بالتصديق (١ طيم ٤: ٩)، وهي تحمل في طياتها بشرى فرح ورجاء...

٢- المؤلفات اليوحنانية

تحت هذا العنوان سنتناول بالعرض كُلاً من الانجيل بحسب يوحنا والرسائل الثلاث المنسوبة اليه، وأخيراً سفر "الرؤيا" الذي سيكون لنا معه تعامل خاص. فالتقليد الكنسي العريق ينسب هذه الكتابات الى يوحنا الرسول احد الاثني عشر وأخي يعقوب الرسول -وهما إبنا زبدَى. الا ان اهل الاختصاص يميلون الى الاعتقاد، أكثر فأكثر، بأن هذه المؤلفات ترجع الى ما درجت تسميته بـ "المدرسة اليوحنانية" التي نشأت حول تعليم يوحنا الرسول، فكانت بمثابة الجواب الايماني على التساؤلات المتداولة في أواخر القرن الاول، إن لم نقل بمثابة الرد على المقولات والاضاليل التي كانت تروّجها التيارات الفكرية التي أخذت تشق طريقها الى المسيحيين أنفسهم -ويصح ذلك بنوع خاص في انجيل يوحنا الذي يحمل طابع الدراما، بحكم المواجهة الدائمة مع "اليهود" والتي تعكس الصراع بين النور والظلمة.. بين الخير والشر!

ولا بد لنا من الاشارة الى هذه التيارات التي تعكس البيئة الفكرية للمؤلفات اليوحنانية:

ويأتي في المقدمة **الفكر الهيللينـي** حيث نجد في الانجيل محاولة استخدام بعض المفردات التي تجعل الايمان المسيحي يتغلغل في الحضارة اليونانية.. كمحاولة إضفاء لقب (لوغوس= الكلمة) على يسوع!

وهناك **الفكر اليهودي** الذي في مداره نشأ الإنجيل، حيث نجد الاقتباسات الكثيرة من العهد القديم، مباشرة كانت أم غير مباشرة، فضلاً عن العبارات الارامية الكثيرة. ولَكَم اتخذت معاني جديدة مواضيع كتابية عكسَ المؤلف من خلالها حالة انفصال المسيحية عن اليهودية، كصورة الخروج والحمل الفصحي والخبز والمن والماء والكرمة والراعي والهيكل...

وفي هذا الاطار اليهودي يندرج **تيار الحسيديم**، والأسّينيّين بنوع خاص، والذي نجد بعض أوجهه في المؤلفات اليوحنانية، من دون ان نجعل من التشابه تبعية! ومن أبرز أوجه هذا التشابه دور روح الحق الذي يرشد، والايمان بافتتاح الازمنة الاخيرة، والتضادّ الثنائي في حياة الايمان والاخلاق بين: النور والظلمة، الحق والكذب، الروح والجسد، الأعلى والأسفل...

اما التيار الرابع فهو **الغنوصية** التي أخذت ملامحها ترتسم منذ نهاية القرن الاول، وتُلَخّص في كون أصحابها يعتقدون بإمكانية الخلاص عن طريق المعرفة عبر تعليم سري يتلقونه، وبفضل أعمال تطهير يمارسونها.. فلا عجب إذا كانت المؤلفات اليوحنانية قد تصدّت للنزعة الغنوصية في الجماعات المسيحية، وركّزت على أن يسوع "كاشف" لأسرار الله طالما انه الكلمة الذي "كان منذ البدء... وصار بشراً وسكن بيننا..."!

وهكذا يبدو من الافضل أن نتحدث عن "الجماعات اليوحنانية" التي، فيها ولها، نشأت المؤلفات المنسوبة الى يوحنا، سواء كانت هذه الجماعات في أفسس أم في غيرها من المناطق التي تعايشت فيها ثقافات وتيارات مختلفة. فنبدأ بقراءة في الانجيل بحسب يوحنا، ومن ثم في الرسائل الثلاث، لننتهي بسفر الرؤيا.

أ- قراءة في الانجيل بحسب يوحنا

نشأ الانجيل الرابع في بيئة تنتسب الى يوحنا، ليجيب الى حاجات جماعة تتجاذبها تيارات متضادة وتتقاسمها خيارات عديدة ومتناقضة. وكان الهدف من كتابته ترسيخ الايمان بيسوع المسيح، ابن الله، الذي بوسعه ان يمنح الحياة (٢٠: ٣٠-٣١)!

وان إطلاق أسم "الانجيل الروحي" عليه لا ينزع عنه قط واقعيته التي تتجلى، بنوع خاص، في جغرافيته ومعلوماته الدقيقة عن المؤسسات اليهودية والرومانية، والاشارات الزمنية التي يعكسها -وقد أخذ المفسرون يمنحون ثقة متزايدة للإطار التاريخي الذي ثبّته وللمواقع الجغرافية التي حددها (البركة ذات الخمسة أروقة الى الشمال من هيكل اورشليم، على سبيل المثال) وللأحداث التي رواها... فبفضله عرفنا ان حياة يسوع العلنية قد امتدت على أكثر من سنتين طالما انه صعد الى اورشليم في فصحين على الاقل (٢: ١٣؛ ٥: ١؛ ٦: ٤؛ ١١: ٥٥). كما أن إطار رواية الآلام لديه أكثر موافقة للواقع من الازائيين، ولا سيما حين يدلي (١٩: ١٤) بأن صلب يسوع قد تمّ عشية عيد الفصح، مما ينفي كون العشاء الاخير عشاء فصحياً كما أوحى الازائيون بذلك!

ومع ذلك يصعب، في انجيل يوحنا، ايجاد تسلسل زمني للأحداث أو الكشف عن قاعدة واحدة في التأليف، سيما وإننا بازاء مواضيع كبرى رتّبها المؤلف ليكشف من

خلالها تطور المجابهة بين يسوع وخصومه من جهة، والمراحل التي مرّت بها مسيرة المؤمنين عبر مسيرة يسوع من الجليل الى اورشليم من جهة أخرى. ولكن المهم هو انه في كل هذه الوحدات الادبية سعى الى الكشف عن سر المسيح من أحدى الزوايا.

ويكتشف القارئ بيسر الاختلاف الواضح بين انجيل يوحنا والاناجيل الازائية من حيث المواضيع والمفردات والانشاء... فهو ينتقي عيّنات من الاحداث (سواء كانت على شكل لقاء ليسوع مع شخص، أو كانت آية إجترحها لشخص) غالباً ما تكون الفرصة لخطاب يوظفه في زرع الايمان وإنمائه. وإذا أصدى لأحداث وردت في تقاليد الازائيين، الا انها امتازت لديه بالطرافة والنكهة (رسالة يوحنا المعمذان، عماذ يسوع، دعوة التلاميذ الاولين، طرد الباعة من الهيكل، شفاء ابن عامل الملك، تكثير الارغفة، السير على الماء...)، في حين ان هناك مواضيع في التقليد الازائي لا وجود لها في الانجيل الرابع (التجربة في البرية، التجلّي، نص تأسيس الافخارستيا، النزاع في البستان، الى غير ذلك من المعجزات والتعاليم...). غير ان الانجيل الرابع ينفرد بمواد جديدة لا أثر لها في التقليد الثلاثي، ونخص بالذكر: آية قانا الجليل، اللقاء مع نيقوديمس، الحوار مع السامرية، الخطاب في خبز الحياة، النقاش بشأن شفاء الاعمى منذ مولده، إحياء لعازر، غسل أرجل التلاميذ...

وإذا كان مؤلف الانجيل الرابع مطّلعاً على التقاليد الازائية، وتقليد لوقا بنوع خاص -وهو يفترض قرّاءه مطّلعين عليها-، فلقد سعى، بما كان لديه من مواد، أن يستخدمها بحرية كبرى وثقة عالية بالنفس: فكانت لنا سبع "آيات" (معجزات) ينفرد بأربع منها (آية قانا الجليل ٢: ١ت، شفاء المقعد ٥: ١ت، الاعمى منذ مولده ٩: ١ت، احياء لعازر ١١: ١ت)، ولكنه يُعطيها حقّها من التفصيل والبُعد، مستخلصاً معانيها العميقة! وكانت لنا أحاديث مكثفة هي من الروعة بمكان، ونخص بالذكر أحاديث الوداع في إطار العشاء الاخير والتي امتدت على خمسة فصول (١٣: ٣١- ١٧: ٢٦)! كما كانت لنا رواية رائعة للآلام والقيامة (١٨-٢٠) تتسم بالشموخ والمجد -وغني عن القول ان الانجيل كله مشبع بنور الفصح، إذ أنه أعاد قراءة كل شيء في ضوء "المجد" الذي تجلّى في قيامة المسيح!

وكان لا بد من هبة الروح القدس -وهو عطية قيامة الرب (٢٠: ٢٢)- لكي يبلغ المؤمن، وبنور الكتاب، الى فهم سر المسيح: وهكذا كانت لنا، من جهة، تلميحات الى الفهم الذي حصل عليه التلاميذ بعد ان "مُجِّد يسوع" (بشأن الهيكل ٢: ٢١-٢٢، والدخول الى أورشليم ١٢: ١٦)، وتلميحات، من جهة أخرى، الى الفهم الذي يمنحه الروح القدس بعد تمجيد يسوع (٧: ٣٩؛ ١٤: ٢٦؛ ١٥: ٢٦-٢٧). أليست فاتحة الانجيل الرائعة ذاتها خلاصة لسر المسيح، وقد كشفت عنه القيامة، في نور الروح

القدس، بحيث انها أوجزت -على غرار انجيل الطفولة لدى متى ولوقا، وإن بأسلوب حكمي يختلف عن أسلوب الميدراش أو البشارات- عمل "الكلمة" المتجسد الذي "رأينا مجده، مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق" (١: ١٤).. هو الذي سيمكّن المؤمنين باسمه "ان يصيروا ابناء الله" (١: ١٢)!

فمع الانجيل بحسب يوحنا، نجدنا بازاء حصيلة تأمل عميق ونضج طويل.. ومع ذلك لا ينبغي ان نعجب حين نكتشف بعض التفكك في الفقرات، أو نشهد عدم تواصل بعض الفقرات بسياق الكلام... وما ذلك الا لأن الانجيل، كما وصلنا، قد خضع لانشاء نهائي على يد تلاميذ اضافوا بعض التعليقات (٤: ٢؛ ٤: ٤٤؛ ٧: ٣٩؛ ١١: ٢؛ ١٩: ٣٥)، كما أضافوا الفصل ٢١ برمته، -ويبدو ان رواية المرأة الزانية (٧: ٥٣- ٨: ١١) قد أُدرجت في وقت لاحق، وهي غائبة عن ابرز المخطوطات القديمة! وتقول مقدمة دار المشرق: ليس هناك دليل واضح، من الانجيل، على مؤلفه وتاريخ كتابته -ويأخذنا العجب حين نعلم بأن اسم يوحنا الرسول لم يرد قط في الإنجيل الرابع! وقد يكون ذلك مقصوداً: إذ يجب أن يُركّز الانتباه، لا على الشاهد، بل على من هو موضوع البشارة والتأمل (١: ٨؛ ٣: ٢٩؛ ٤: ٤١)! ومن هنا نفهم أن الآية ٢٤ من الفصل ٢١ المضاف وحّدت بين المؤلف وبين "التلميذ الذي كان يسوع يحبه".. وقد جرى الحديث عنه مراراً في أحداث الفصح (١٣: ٢٣؛ ١٩: ٢١؛ ٢٠: ٢)، ويرجح انه هو ذاته "التلميذ الآخر" الذي ورد ذكره دون ان يسمى (١: ٣٥-٣٩؛ ١٨: ١٥)...

ويمكننا ان نرى في هذا الانجيل تركيزاً على صفات "التلميذ" عبر علاقة وثيقة وشخصية بالرب يسوع -ويتضح ذلك في الكثير من المواقف التي كانت الاولوية فيها للتلميذ الذي يحبه يسوع (١٣: ٢٢ت؛ ١٩: ٢٦؛ ٢٠: ٨؛ ٢١: ٧، ١٨، ٢٣، ٢٤).. فتلك ميزة الانجيل الرابع الذي يمنح للحب الاولوية في علاقة المؤمن بالمسيح! ومن هنا ندرك معنى التأكيد على لسان يسوع: انا خبز الحياة.. انا نور العالم.. انا الراعي الصالح.. انا الكرمة... وكلها تشير الى الحياة التي يستمدها المؤمن من علاقته الحميمة مع يسوع.

وقد يبدو من الصعب، لاول وهلة، اكتشاف تصميم في الانجيل الرابع! الا ان هناك كلمات تتكرر، تساعد في الكشف عن فكر المؤلف أو المؤلفين الذين وضعوا لمساتهم الاخيرة: الآيات، ساعة يسوع، الحياة، الموت، الحب... ولا يسعنا إلا أن نستلهم قراءة الأب أ. شربنتييه[٣٨] لإنجيل يوحنا، وقد ميزت فيه قسمين كبيرين: كتاب

---

[٣٨] الدليل / ص ٢٠٨-٢٠٩، و"من الاناجيل... " / ص ٧٩-٨٢.

الآيات (١-١٢) وكتاب "ساعة يسوع" (١٣-٢٠)، وهي قراءة بين قراءات اخرى ممكنة[٣٩].

ان "ساعة يسوع" التي كثيراً ما نكتشف، في القسم الاول، انها لم تأت بعدُ (٢: ٤؛ ٧: ٣٠؛ ٨: ٢٠) -ونجدها من ثم قد اقتربت وأتت (١٢: ٢٣-٢٧)-، تحملنا على اكتشاف مرحلة من الانجيل استعدّ فيها يسوع لساعته، وذلك عبر "الآيات" (ومجموعة من الاعمال هي بمثابة علامات تجلّت عبر الاقوال والمعجزات) التي كان من شأنها ان تحمل التلاميذ على الدخول في المعنى العميق لسر "ساعة" يسوع، أي ساعة موته -وهي في الوقت ذاته ساعة رفعه وتمجيده وعودته الى الآب. ولذا نجد هذه العبارة الفخمة في مطلع الفصل ١٣ والتي تنقلنا الى أجواء الفصح: "... كان يسوع يعلم بأن قد أتت ساعة انتقاله من هذا العالم الى أبيه... "!

وبموجب الخاتمة (٢٠: ٣٠-٣١) بشأن "الآيات" التي "كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه"، ندرك للحال بأن القسم الاول (١-١٢) يضعنا بازاء "آيات" تحيلنا الى حقيقة أكثر عمقاً، الا وهي "فصح" يسوع، أي ساعة عودته الى الآب -هو الذي كان منذ الأزل في حضن الآب، وقد جاء وسكن بيننا ليكشف لنا عن سر الله، ويمنحنا المعرفة الحقة التي بها نبلغ الى الحياة! أليست الحياة في منطق الايمان، هي: "ان يعرفوك انت الاله الحق وحدك، ويعرفوا الذي أرسلته يسوع المسيح" (١٧: ٣)؟ وهكذا نجدنا في قلب القسم الثاني (١٣-٢٠) أي في قلب "الساعة" التي يتمجّد فيها ابن الانسان (١٣: ٣١-٣٢).

الا ان هذا الايمان -وهو الهدف من الانجيل كله- نجده يقسم الناس الى قسمين: الجموع تتركه، والخصوم يحوكون المؤامرات، فيما الاثنا عشر يعترفون به! ففي إثر الخيار الذي عرضه يسوع على التلاميذ في التخلي عنه -ونجدنا بإزاء اعتراف (٦: ٦٨) يقابل اعتراف قيصرية فيلبس لدى الازائيين-، تأخذنا الدهشة ونحن نقرأ تعقيباً في (٧: ٥) يدل على عدم ايمان "اخوته"، حتى اننا نرى التلاميذ قد تركوا يسوع يواجه خصومه لوحده حتى موعد "الساعة"! ولن نجد الايمان يتجلى لديهم من جديد الا بعد القيامة ولا سيما، بفم توما المرتاب:"ربي والهي"! -وهو أعظم فعل ايمان يُطالَب به الذين يريدون ان يحظوا بالطوبى التي خصّها يسوع كل الذين "يؤمنون ولم يروا" (٢٠: ٢٨- ٢٩)!

الحياة، الموت، الحب! انها "الكلمات/ المفاتيح" التي يقول عنها الأب شربنتييه (في الدليل) انها موزعة بنسبة ذات معنى: ثلاثة أرباع استخدام كلمة "الحياة" نجدها في

---

[٣٩] نتمنى على القارئ ان ينكب على "قراءات في انجيل يوحنا " للأب دوناسيان مولاّ اليسوعي: سلسلة دراسات في الكتاب المقدس/ رقم ٧، دار المشرق - بيروت ١٩٨٧. ففي هذه القراءة يرى الأب مُولاّ قسماً اولاً يسميه "كتاب الاعياد اليهودية" (١: ١٩- ١٢: ٥٠)، فيما يُسمّي القسم الثاني "كتاب ساعة يسوع" او الفصح الجديد (١٣-٢٠).

الفصول ١-٦ حيث نلقى الآيات التي تبشر المؤمنين بالحياة، وثلاثة أرباع استخدام كلمة "الموت" نجدها في الفصول ٧-١٢ حيث نجدنا بازاء الذين يرفضون الايمان بيسوع ويحكمون من ثم على انفسهم بالموت، وثلاثة ارباع كلمة "حب" ترد في القسم الثاني (١٣-٢٠) حيث يتجلّى حب يسوع "حتى النهاية" ويبلغ به الى موت الصليب الذي هو نبع حياة، طالما ان يسوع، بفصحه، يفيض الروح القدس على العالم!

ويتميز الانجيل الرابع بمكانة الروح القدس في حياة المؤمنين، وهو ذلك "المؤيد" (١٤: ١٦ت) الذي يرسله الآب باسم يسوع ليذكّر بجميع ما قاله يسوع (١٤: ٢٦) ويرشد الى الحق كله (١٦: ١٣ت)! وهوذا يسوع يمنحه لهم، يوم الفصح بالذات، حين ينفخ فيهم ويقول: "خذوا الروح القدس..." (٢٠: ٢٢)! ألسنا بازاء الأوجه الثلاثة للحقيقة الواحدة التي أصدى لها لوقا، وخُيِّلَ إلينا أنها أحداث متتالية: قيامة، ارتفاع بالمجد (صعود)، عطية الروح (عنصرة)؟ ألسنا بالتالي في زمن الكنيسة التي يعمل فيها روح يسوع؟

١- كتاب الآيات (١-١٢)

أ- الآيات تبشر بالحياة التي يهبها الله (١-٦)

ينفتح هذا القسم بمطلع نجد فيه شهادة ايمان مكثفة تدلي بها الجماعة بشأن سر "الكلمة" المتجسد الذي، به جاءت "النعمة والحقيقة" (١: ١٨)، فضلاً عن شهادة المعمذان والتلاميذ الاولين... وللحال نجدنا بازاء "آيات" تبشر بعطية الحياة: قانا الجليل (٢: ١-١٢)، وطرد الباعة من الهيكل وهو "آية" جسده (٢: ١٣-٢٥)! فيما نجدنا مع نيقوديمس (٣: ١-٢١) والسامرية (٤: ١-٤٢) بازاء ايمان هو

في سوخار (السامرة)، بالقرب من نابلس الحالية، وعلى حافة بئر يعقوب، كان لقاء يسوع بالسامرية... -كنيسة السامرية قامت (١٨٦٠) على أنقاض كنيسة الصليبيين التي شيدت بدورها على أنقاض كنيسة من القرنين السادس والرابع.

ولادة جديدة ونبع حياة لا ينضب. وفي اعقاب مجموعة من النصوص تضمنت آيات وخطباً حول الكلمة التي تهب الحياة، نبلغ الى الذروة في خطبة "خبز الحياة" (٦) التي تسفر عن تخلي الجموع واعتراف الاثني عشر...

ب- يسوع والذين يريدون موته (٧-١٢)

هذا الجزء الثاني من القسم الاول تكتنفه الظلمة، وهي تخيّم على خصوم يسوع الذين، برفضهم اياه، يختارون الموت. فنجدنا في قلب مجابهات "اليهود" الذين تجد محاربتهم ليسوع امتداداً لها في محاربتهم المؤمنين -وقد رشحت منها تلك العداوة التي أدت الى طرد المسيحيين من المجامع (٩: ٢٢ت؛ ١٢: ٤٢؛ ١٦: ٢)! وهكذا تصبح عبارة "يهود" تعني كل الذين يرفضون الايمان! وبالرغم من الآيات التي سيفعلها يسوع (الاعمى منذ مولده، احياء لعازر)، يزداد الرافضون عناداً وتصميماً على إبادته وإسكات صوته.. وقد أصدى الانجيل لأحاديث تخللت الأحداث وكشفت عن ان يسوع هو نور العالم، ومرسل الآب، والراعي الصالح، وابن الله، وبالتالي: القيامة والحياة! وإزاء كل هذه الآيات التي تكشف عن يسوع، كأني بمؤلف الانجيل الرابع يريدنا نشعر باقتراب ساعته، ما دام الخصوم قد شهروا السلاح مصممين على البقاء في الظلمة، كونهم العميان الحقيقيين (٩: ٣٠ت)! وهكذا يحكمون على انفسهم بالموت، بينما المؤمنون ينتقلون من الظلمة الى النور، ومن الموت الى الحياة... لا بل لن يذوقوا الموت (١١: ٢٦)!

وها نحن في مطلع "الساعة" حين تتلاحق الاحداث (١١: ٤٦- ١٢: ٥٠)، بدءً من قرار قيافا بموت واحد دون الامة، وانتهاءً بعمى اليهود الموجب الدينونة (١٢: ٣٧-٥٠)، مروراً بدخول يسوع اورشليم حيث يصل الحسد والحقد أوَجَهما، مما يحمل يسوع على اعلان مجيء الساعة -ولنا في هذا المقطع (١٢: ٢٣-٣٦) ما يوازي الصلاة في البستان لدى الازائيين!

٢- "ساعة" يسوع (١٣-٢٠)

يجري القسم الثاني في اطار العشاء الاخير، ويدور في جو من الحب بلغ به يسوع الى ذروته، أي حتى نهايته، طالما انه بذل ذاته عن أحبائه (١٥: ١٣). انها "ساعة" الفصح التي سيعيشها يسوع في الطاعة التامة لأبيه عبر "ارتفاعه" على الصليب.. وستكشف القيامة انها كانت في الوقت ذاته ساعة "ارتفاعه في المجد"! وهكذا يتضح ان الصليب كان عرش المجد الذي ارتقى به يسوع الى الآب، وان موته على الصليب هو في الوقت ذاته تمجيده، طالما انه بدا عليه سيد الحياة الذي يهب حياته حباً.. وليس بوسع أحد من ثم ان ينتزعها منه (١٠: ١٨)..!

وهكذا يرسم لنا الانجيل، في بدء هذا القسم، وجه يسوع "الخادم" الذي يغسل أقدام التلاميذ (١٣: ١-١٧)، ويفسح المجال لخطبة طويلة (١٣-١٧) هي بمثابة خطبة

وداع خصّ بها يسوع كنيسته.. وسميت "خطبة ما بعد العشاء الاخير"، إذ يخيل الينا، على حد تعبير شربنتييه، "ان افقها يمتد الى التاريخ برمته"!- وقد وصفها بـ "اعمال الرسل بقلم يوحنا "! "فمن خلالها يشار الى حياة الجماعة المؤمنة حتى نهاية الازمنة.. حياة لحمتها وسداها الخصومات والبحث عن الحب الاخوي، حياة ينعشها الروح"[٤٠]. وهذه الخطبة هي في رأي شربنتييه خطبتان: في الاولى (١٣: ٣١- ١٤: ٣١) يُعبَّر عن جوهر سر الصعود (تمجيد يسوع): انا ذاهب (!) والعنصرة (حضور يسوع الجديد بالروح القدس):انا آتٍ (!) وفي الثانية (١٥-١٧)، يُركّز على الكنيسة في مثل الكرمة (١٥)، وعلى دور الروح القدس (١٥: ٢٨-١٦: ١٥) الذي يؤيد المؤمنين بيسوع.. وهم الذين يترتب عليهم ان "يلدوا" المسيح في العالم، ترافقهم الصلاة (١٧) -وهي "الصلاة الكهنوتية"- التي حملها يسوع طوال سره الفصحي مجتذباً ايانا معه الى الآب!

هذا السر الفصحي يعبّر عنه كاتب الانجيل بمفردات فوق/تحت: ذلك ان هناك، في نظره، "عالمين": عالم الله الذي يتسم بصفات الحياة والحب والنور.. والعالم السفلي حيث الظلمة والبغض والموت! فيسوع ينتمي منذ الأزل الى عالم ما فوق بصفته "كلمة الله" الذي نزل الى عالم الظلمة، فأدى الرسالة الموكلة إليه وعاد الى أبيه، بعد أن جمع شمل "ابناء الله المشتتين" (١١: ٥٢)! ونكتفي بالاشارة الى ان رواية الآلام بحسب الانجيل الرابع ترينا يسوع "يدين" العالم، وان موته كان ينبوع حياة، إذ "من جنبه المفتوح بالحربة يخرج الينبوع الذي أُنبئ به في حزقيال (٤٧: ٢) وزكريا (١٣: ١) -وهو رمز المعموذية والروح القدس"[٤١]. اما رواية القيامة فستكون برمتها تحت شعار الايمان الذي يمنح الحياة!

ب- رسائل يوحنا الثلاث

أول ما يقال عنها ان لثلاثتها كاتباً واحداً، طالما انها عكست أزمة حادة في الكنيسة في أوائل القرن الثاني. ولقد ظهرت هذه الأزمة بشكل جلي في الرسالة الاولى بنوع خاص -وهي الرسالة التي اعتبرت قانونية في وقت مبكر، عبر إجماع في نسبتها، مع الانجيل الرابع، الى يوحنا الرسول-، بخلاف الرسالتين الثانية والثالثة اللتين حام التردد حول قانونيتهما حتى القرن الرابع! ويرجع السبب في ذلك ولا شك الى ان كاتبهما وصف نفسه بأنه "الشيخ"، مما حمل على الظن انه يوحنا الذي شاخ! -وهو على الارجح "يوحنا الشيخ أو القس"- بينما لمّح مطلع الرسالة الاولى الى أن كاتبها هو شاهد عيان، وانه يوحنا الرسول بأولى حجة! الا ان معظم اهل الاختصاص يميلون الى

---

[٤٠] من الاناجيل / ص ٨٢

[٤١] الدليل / ص ١٠٩.

أطلال مدينة أفسس.. وقد كانت في القرن الأول الميلادي مركزاً مسيحياً نشطاً ترجع اليه في أغلب الظن معظم المؤلفات اليوحنانية!

القول بأن كاتب الرسائل الثلاث لا يمكن ان يكون يوحنا الرسول، لا بل انه يختلف عن كاتب الانجيل الرابع، ويرجحون انها كتبت بعده بعشر سنوات على الاقل[٤٢] ، لتردّ على "المنشقين" عن خط التعليم الذي حمله الانجيل الرابع. ولكنها في الوقت ذاته تتوجه الى عين "الجماعات اليوحنانية" التي تنتسب الى تعليم الرسول، وهي جماعات تعيش في آسيا الصغرى، وفي أفسس بشكل خاص، وقد كانت عرضة لتيارات ونزاعات على الصعيدين العقائدي والمسلكي...

فنحن إذن بازاء انشقاق كبير في قلب الجماعة، مما حمل الكاتب على استخدام اسلوب رؤيوي لوصفه: "... سمعتم بأن مسيحاً دجّالاً آتٍ، وكثير من المسحاء الدجّالين حاضرون الآن... من عندنا خرجوا ولم يكونوا منّا... (١يو ٢: ١٨ت)! وقد أصبحت محاربتهم ضرورة، طالما انهم انتشروا في العالم (٢يو ٧)! ويعزو ريموند براون هذا الانشقاق الى رد الفعل المختلف تجاه الطروحات التي جاء بها الانجيل الرابع، وكان قد نشأ، على حد تعبيره، في مناخ من الصراعات والمواجهات.. ويحدد عناصر هذا الانشقاق في الرد الذي تضمنته الرسالتان الاولى والثانية على هؤلاء "المنشقين" الذين يُنعتون بالكذابين والمضلّين والمنقادين لروح الضلال..!

ويمكننا ان نُرجع، مع براون، العوامل الكبرى لهذا الانشقاق الى اربع نقاط تعرّض لها الانجيل الرابع وما لحق به من تفسيرات مغايرة: الرؤية الاحادية بشأن ألوهية يسوع المسبقة، الاطار الجدلي الذي كان وراء تحجيم التراث الكتابي المشترك بين المسيحيين واليهود، العداء المكشوف تجاه "اليهود" -وقد لمسنا أثره في الانجيل- وكل الذين يقاومون الايمان القويم، التاكيد على مساندة الروح القدس للمؤمنين- وكان المنشقون يدّعون مساندته لهم كونهم ينتسبون أيضاً الى الانجيل الرابع[٤٣]!

وفيما ردّت الرسائل الثلاث، في الامانة لروح الانجيل الرابع، على ادّعاءات المنشقين، سعت في الوقت ذاته الى دعم ايمان الجماعات المسيحية بوجه اولئك الذين يدّعون انهم يعرفون الله، وهم ينكرون الوحي الالهي ويسيرون سيرة تخالف السلوك

---

[٤٢] نوصي بالفصل الرابع بعنوان "إرث التلميذ الحبيب ورسائل يوحنا" من كتاب ريموند براون: "كنيسة ورثناها عن الرسل" (المصدر المذكور أعلاه بالفرنسية).

[٤٣] ريموند براون: المصدر ذاته/ ص ١٨٥-٢٠٥.

المسيحي السوي. ويتضح ذلك من خاتمة الرسالة الاولى التي تلتقي مع خاتمة الانجيل:"كتبت اليكم بهذا لتعلموا ان الحياة الابدية لكم، انتم الذين يؤمنون باسم الله" (٥: ١٣). فالذي يهم الكاتب بدرجة اولى هو ان يحمل المؤمنين على ان يحيوا في شركة مع الله، ويدلّهم على شروط هذه الشركة وعلاماتها. وسيتناول هذه الفكرة الرئيسة في الرسالة الاولى بعبارات كثيرة ومتجانسة، ولوحات متشابهة ومتجاورة.. وجل غايته ان يوصلهم الى خبرة إيمانية يعيشها التلميذ الذي يشهد لكلمة الحياة...

١) الرسالة الاولى:

بعد مقدمة هي شهادة نابعة عن إختبار ايماني أصيل "لكلمة الحياة"، يدخلنا الكاتب في خبرة الاتحاد الوثيق بالله والشركة بحياته، ويرسم مقاييس هذه الشركة، في عرض أول (١: ٥-٢: ٢٨)، عبر السير في النور، بعد التحرر من الخطيئة، وحفظ وصية المحبة، والصمود في الايمان بوجه المسحاء الدجّالين. وفي توسّع ثان (٢: ٢٩- ٤: ٦). يصف علامات هذه الشركة، وهي تقوم اساساً في العيش كأبناء الله، شرط اجتناب الخطيئة، وحفظ الوصايا وفي مقدمتها المحبة، والتمسك بالايمان القويم الذي يشهد ليسوع المسيح بوجه العالم. وفي عرض ثالث وأخير (٤: ٧-٥: ١٢)، يذهب التركيز نحو المحبة والايمان بحثاً عن مصدرهما الالهي. فالمحبة من الله: "فليحب بعضنا بعضاً لأن المحبة من الله، وكل محب مولود لله وعارف بالله. ومن لا يحب لم يعرف الله، لأن الله محبة" (٤: ٧-٨)! وكذلك الايمان: "من آمن بأن يسوع هو المسيح فهو مولود من الله... من الذي غلب العالم؟ إن لم يكن ذلك الذي آمن بأن يسوع هو ابن الله؟" (٥: ١،٥).

وتقول مقدمة طبعة دار المشرق بصدد التفكير اللاهوتي الذي تضمنته الرسالة الاولى ان "الموضوع العظيم في الرسالة هو مشاركة المؤمنين لله "، وان الكاتب قد سعى الى ابراز مظاهر ثلاثة "يتجلى فيها سر الله للمؤمن: الله نور، الله بار، الله محبة ".

- الله نور: وفي يسوع كشف عن الحياة الابدية، أي عن حياة الآب وحياة الابن الكلمة...
- الله بار: وتجلّى بر الله في عمل الخلاص الذي يدفع المؤمن إلى عمل البر على مثال يسوع
- الله محبة: هو الذي أحبنا الاول، وتجلّت محبته في خلاصنا. فيترتب علينا ان نجعل محبة الله تتم فينا عبر المحبة التي تشدّنا الى الاخوة، والتي هي طريقنا الى معرفة الله!- فنحن في ذروة الوحي: "لسنا نحن أحببنا الله، بل هو أحبّنا فأرسل ابنه... الله محبة،

فمن أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه... من أحب الل،ه فليحّب أخاه أيضاً" (٤: ٧-٢١).

ولابد لنا من القول بأن لا شيء يُجدي أكثر من قراءة تأملية لهذه الرسالة التي هي بالاحرى تأمل عميق في سر الله، وقد دُعينا، بيسوع، الى المشاركة في حياته! فمن شأن هذا التأمل أن يساعدنا لنختبر بأنفسنا الاختبار الذي عاشه الشهود الاولون، لنتمكن من أداء الشهادة على مثالهم: "... ما تعرفون به روح الله هو ان كل روح يشهد ليسوع المسيح الذي جاء في الجسد، كان من الله" (٤: ٢)... "من آمن بابن الله كانت تلك الشهادة عنده... وهذه الشهادة هي ان الله وهب لنا الحياة الابدية، وأن هذه الحياة هي في ابنه..." (٥: ١٠-١١).

٢) الرسالتان الثانية والثالثة:

نجد في هاتين الرسالتين، بخلاف الاولى، العناصر المكوّنة للرسالة: فهما تبدآن بـ: "مني أنا الشيخ" الى "السيدة المختارة والى ابنائها الذين أُحِبُّهُم في الحق" (الثانية)، أو: "الى الحبيب الذي أحبه في الحق" (الثالثة)! ونجد بينهما أوجه شبه كثيرة على صعيد الانشاء والمفردات. وفيما يجمع اهل الاختصاص على وحدة المؤلف، يرى بعضهم ان الرسالتين الثانية والثالثة قد سبقتا الاولى، ودليلهم ان الكاتب وجّه في الرسالتين تحذيراً الى كنيسة محلية، وعاد فوجّه تحذيرات وإرشادات عامة الى مجموعة من الكنائس كانت خاضعة لسلطته، بعد أن رأى تفشي خطر الضلال...

- في **الرسالة الثانية** ينطلق الكاتب من الخطر الذي يهدد ايمان إحدى الكنائس، بسبب "المضلّين" الذين ينكرون حقيقة تجسّد الكلمة ويتنكرون لتعليم المسيح، فيدعوهم الى سلوك "سبيل الحق" في المحبة الاخوية، والى رفض استقبال من لا يحمل هذا التعليم القويم.. ويختم بالقول أن له أموراً كثيرة كان يود ان يكتبها، ولكنه يمنّي النفس بإبلاغها مشافهة لدى زيارته...
- اما **الرسالة الثالثة**، فهي ذات طابع شخصي كونها موجهة الى غايس "الحبيب" الذي يسير في الحق.. ويبدو ان ديوتريفس، أحد أعضاء او رئيس جماعة مسيحية ما، لم يكن على وفاق مع كاتب الرسالة، مما اضطر هذا الاخير الى توجيه رسالته الى غايس الموالي له كي يواصل دعمه للاخوة الذين يتنقلون بين الكنائس مبشرين وواعظين، لا كما كان يفعل ديوتريفس الذي "يهذي في أحاديثه الخبيثة عنا... ولا يقبل الاخوة، ويمنع الذين يريدون ان يقبلوهم ويطردهم من الكنيسة"! ويختم الرسالة، على منوال الثانية، بأمل ان يرى غايس قريباً لتتم بينهما مشافهة... وهذه

الرسالة، وإن لم تحذّر من المضلّين بشكل صريح، الا ان تحاملها الشديد على ديوتريفس يتيح لنا الظن بأنه قد انجرف في تيار الضلال، أو أقله في تيار المقاومة "للشيخ" الذي كان له ولا شك سلطة على تلك الكنيسة.

هذه الرسائل ما زالت تتوافق مع عصرنا الذي يشهد نشوء البدع وانتشارها.. وليس من سبيل سوى قدرة الكنيسة والمؤمنين على التمييز بنور الروح القدس: "ايها الاحباء، لا تركنوا الى كل روح، بل اختبروا الارواح لترَوا هل هي من عند الله..." (١يو ٤: ١)؟

جـ- سفر الرؤيا:

نبدأ بطرح هذا السؤال: هل كان "العهد الجديد" يكتمل من دون سفر الرؤيا؟ وسفر الرؤيا نفسه يعطي الجواب: ذلك لأن ملكوت الله الذي افتُتِح بقيامة يسوع، بقي على الكنيسة ان تعيشه في الرجاء، سيما وهي تشهد ما يهدد ثقتها به ويعرّض أمانتها له للخطر... انه "سفر الرجاء" طالما أنه تضمن دعوة الى الالتزام ابان الازمات، وأزمة الاضطهادات في المقدمة! ولنقلها مسبقاً: انه سفر سيبقى يرافق الكنيسة في مسيرتها، وهي لا تني تنادي ربّها بهذه العبارة التي تختم السفر وتختم الكتاب المقدس برمته: مارانا تا (ربنا تعال)، تعال ايها الرب يسوع!

هذا السفر، مع سفر دانيال في العهد القديم، هما سفرا الرؤيا الوحيدان في الكتاب المقدس، وقد كتبا بأسلوب "رؤيوي"[٤٤] -ونجده في مقاطع من اسفار الانبياء (أشعيا، حزقيال، زكريا...) وحتى في بعض أسفار العهد الجديد- يهدف الى الكشف، في زمن المحنة، عن نهاية التاريخ، وإزاحة الستار الذي يحجب رؤية آخر الازمنة! ولا عجب إذا ما بدا هذا الكشف متسماً، حيناً، بالتشاؤم ازاء رؤية الشر المستفحل، ولكنه ينفتح بالتالي على رؤية مليئة بالتفاؤل.. طالما ان النصر النهائي هو في آخر الامر لله سيد التاريخ حتى اكتماله...

وبقدر ما يُخيَّل الينا ان هذا الاسلوب يحبط العزائم ويحمل على الكفّ عن العمل والجهد، أو البقاء في انتظار سلبي للنهاية، فهو على العكس يدعو الى الصمود والالتزام وانتظار النهاية بالسهر والثبات! ويصح ذلك بشكل خاص في رؤيا يوحنا: فقيامة يسوع هي إيذان بحلول نهاية الازمنة، لذا يترتب على المؤمنين أن ينتظروا مجيء الرب في السهر والفرح، ساعين الى المساهمة في بناء الملكوت الذي افتتحه يسوع، والذي هو في الواقع

---

[٤٤] راجع ما كتبناه عن الاسلوب الرؤيوي / الفصل الرابع - ونشير الى ما تضمنته مقدمة دار المشرق لسفر الرؤيا من عناصر لفهم الأدب الرؤيوي. كما ندعو الى الانكباب على قراءة "رؤيا القديس يوحنا" / سلسلة دراسات في الكتاب المقدس / رقم ٦ (مجموعة من الباحثين)، دار المشرق - بيروت ١٩٨٧.

العالم الجديد الذي يعيد الله خلقه في يسوع: "ها أنذا أجعل كل شيء جديداً" (٢١: ٥)! وليس هذا التطلع باتجاه المستقبل من قبيل الحلم، وانما هو تطلّع متجذر قلب التاريخ الحاضر.

ويشبّه الأب شربنتييه هذا الاسلوب بالقفز العالي: حين يرجع القافز الى ما وراء نقطة الانطلاق، فيقفز الى امام، والى أبعد ما بوسعه! وكتب قائلاً: "يستخدم الكاتب تقنية لاعب القفز العالي، فيرجع في الزمن متظاهراً بأنه شخصية شهيرة من شخصيات الماضي.. ويستطيع هكذا ان (ينبئ) بالمستقبل القريب وبالمستقبل الأخير الذي تنقصه المعلومات عنه، مما يجبره على استخدام صور مبهمة!"[٤٥]. فهو، بدافع من ايمانه، يخلع على النهاية ما يعرفه من سلوك الله في التاريخ! وهكذا، ومن زاوية الايمان، يمكننا أن نعتبر سفر الرؤيا كتاب "نبوة"، لا بمعنى التنبؤ بالمستقبل، وانما كمحاولة لتفسير الاحداث الحاضرة في ضوء الايمان، والكشف عما تخفيه من معان عميقة -وغني عن القول ان سفر الرؤيا مشبع بتلك الرؤية الايمانية التي حملتها قيامة المسيح، وهي محور التاريخ!

من هذا المنطلق نجد توافقاً -على حد تعبير مقدمة دار المشرق- بين "الوقت الحاضر" و"العصر الجديد"، بحيث تبدو الكنيسة "حقيقة اخيرية، أي في الوقت نفسه تمام النبؤات والباكورة النبوية لنهاية الازمنة". وفي هذا الاطار يتخذ "التفكير اللاهوتي الذي يتناول المسيح والكنيسة مكان الصدارة على الوصف الرؤيوي. فالرجاء المسيحي لن يقتصر على انتظار مجيء وشيك حسب، بل على المشاركة في الحاضر بمعركة المسيح المظفّرة ايضاً"!

ويأتي السؤال على الفور بشأن كاتب هذا السفر الثمين الذي نسبه تقليد من القرن ٢ الى الرسول الحبيب يوحنا؟ ومع ذلك فقد لازم التردد "قانونيته" طيلة أجيال! ويعود السبب، بشكل رئيس، الى الشك في مصدره وثبوت انتسابه الى يوحنا الرسول -وقد سمّى الكاتب نفسه "يوحنا" وعرّف بنفسه انه "نبي" و"شاهد المسيح الحي"، وانه يكتب من بطمس...

هناك شبه إجماع بين المفسرين على فك ارتباطه عن الانجيل الرابع، وإن كانت هناك أوجه شبه بينهما، ولكن العكس أيضاً صحيح! ففيما يصرّ بعضهم على كونه يرقى الى الجماعات اليوحنانية في اقليم أفسس، يميل غيرهم الى القول بأن صلته غير مباشرة مع الانجيل الرابع، وانه موجّه الى قرّاء غير قرّائه.. وقد تكون صلته بالرسائل أكثر احتمالاً بسبب رؤيته المشتركة للأزمنة الاخيرية[٤٦]. الا ان جميع العلماء يؤكدون

---

[٤٥] الدليل / ص ٢١٩.

[٤٦] ريموند براون: المصدر السابق / ص ٣٠-٣٥.

على انه معاصر للانجيل الرابع، وانه كتب في التسعينات وإن تظاهر مؤلفه بأنه يكتب في الستينات!

اما الفصول الثلاثة الاولى -وهي لا تنتمي الى الاسلوب الرؤيوي- فترشدنا الى ان الكاتب يوجّه مؤلفه، من خلال "الكنائس السبع التي في آسيا" (١: ٤)، الى الكنيسة جمعاء، كونها تتجاوز هذه الجماعات المسيحية المتواجدة حول أفسس عاصمة أقليم آسيا. وتجدر الاشارة الى ان هذا المطلع الرائع يجعل سفر الرؤيا متجذّراً في الواقع الكنسي، طالما ان الكنيسة هي بمثابة الطعم المسبق لنهاية الازمنة: اورشليم الجديدة النازلة من السماء (٣: ١٢؛ ٢١: ٢)!

كثيراً ما تبدو لنا قراءة سفر الرؤيا مخيفة، إذ تُشْتَمُّ منه رائحة النار والكبريت! وقد تحيرنا مفرداته وأرقامه، ولا سيما أوصافه التي يخيل الينا انها تذهب بعيداً في الخيال واللاواقعية[٤٧]... ومع ذلك فنحن نلج اليه من هذا المطلع (١-٣) النبوي الرائع بشأن الكنائس السبع! فالسفر في وضعه الحالي يبدو لنا بمثابة "تأمل في الكنيسة"، على حد تعبير الأب شربنتييه، كنيسة "ترتبط حياتها با لله سيد التاريخ، وبيسوع الشاهد الامين، وبالروح القدس الذي يصلّي فيها ومن خلالها"[٤٨].

ولا يخفى ان الجزء الرؤيوي من السفر يمتد على ألـ ١٩ فصلاً الاخيرة، وقد تضمنت العناصر التي تمهد لنهاية الازمنة (٦: ١-١١: ١٩) والمحن التي ترافقها (١٢: ١-٢٠: ١٥) حتى التجلي الاخير (٢١: ١- ٢٢: ٥)، فيما اقتصر الجزء النبوي على الفصول الثلاثة الاولى (١: ٩-٣: ٢٢) والتي تضمنت "الرسائل" السبع. وبطيب الخاطر نتبنى قراءة الأب شربنتييه[٤٩] لهذا السفر الرائع والممتع معاً، وقد ميّز فيه ثلاثة أقسام: الكنيسة المتجسدة (١-٣)، الكنيسة الملتزمة (٤-٢٠)، الكنيسة المتجلية (٢١-٢٢). وهو نفسه لا يخفي بان هناك قراءات أخرى ممكنة[٥٠]...

---

[٤٧] راجع الاطار في معاني الالوان والارقام والصور / الفصل ٤.

[٤٨] من الاناجيل / ص ٨٥.

[٤٩] الدليل / ص ٢٢٠- ٢٢٣.

[٥٠] ترى مقدمة دار المشرق أنه من العسير رسم تصميم للسفر، ونجد صعوبة كبرى في تفسير تعاقب الرؤى: هل انه اشارة الى زمن اقتراب مجيء المسيح، أم انه اطار خيالي استخدمه الكاتب لعرض أوجه انتصار المسيح ومنزلة الكنيسة ودينونة العالم؟ وهكذا يبدو تفسير السفر رهناً باعتماد أحد الجوابين: فالتفسير الزمني يفترض تبديل مكان عدد من الرؤى، او القبول بأنها أُضيفت... ويذهب التفضيل في الاتجاه الثاني، والذي لا يرى في محاذاة الرؤى، وفي العناصر التي تحمل الرقم ٧ سوى "اصطلاح أدبي"، وذلك لأن "الحقائق المتيقّنة نفسها والبلاغ نفسه تؤكّد في كل المؤلّف، ولكن ذلك كله لا ينفك يكرَّر في صور مختلفة ليعبَّر بها عن معان جديدة، ولتوضَح بعض الامور ايضاحاً جديداً".

١- الكنيسة المتجسدة (١-٣)

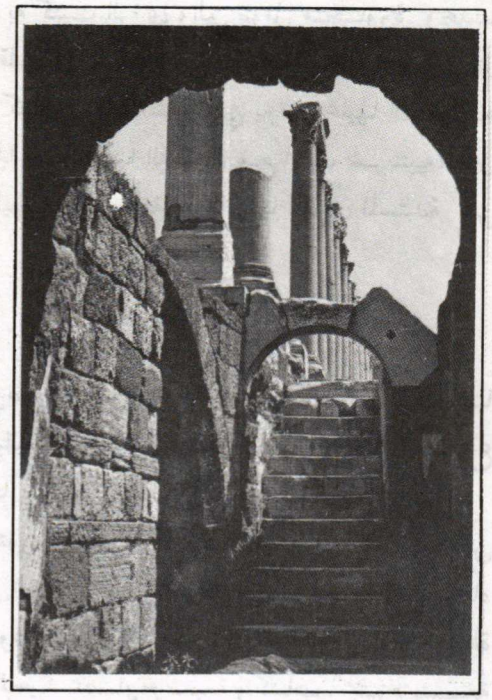

ازمير، إحدى المدن السبع في غرب آسيا الصغرى، والتي توجه صاحب سفر الرؤيا برسائل الى كنائسها.. -ما تبقى من ساحتها العامة.

بعد المقدمة (١: ١-٣) التي تضعنا في أجواء الازمنة الاخيرة، وبعد استمطار "النعمة والسلام من لدن الذي هو كائن وكان وسيأتي" ومن "يسوع المسيح الشاهد الامين والبكر من بين الاموات"، نجدنا بازاء رؤيا ابن الانسان (١: ٩-٢٠؛ راجع دا ٧: ٩-١٤)، "الحي" والممجد، وهو يوجّه رسائل الى "ملاك" الكنائس السبع ليكشف لها، بفم الروح القدس، وبعبارات متشابهة، ما فيها من صفات وفضائل.. الى جانب ما اعتراها من أخطاء ونقائص! فنحن إذن بازاء كنائس هي جماعات بشرية تقترن فيها المخاوف مع الرغبة في خدمة الرب، وكلها مدعوة الى اشبه ما يكون بمراجعة حياة!

هذه المراجعة المطلوبة من الكنائس السبع طالت التخلي عن الحب الاول (أفسس) والشدة التي تتطلب الامانة حتى الموت (ازمير) وتسّرب بعض الاضاليل (برغامس وتياطيرة) او التعرّض لتجربة التأرجح والتقلب (سرديس) والفتور (لاوذكية)... ومع ذلك، فهي موعودة بالغلبة إذا كان لها "أذنان سامعتان"، وإن هي عرفت ان تستجيب لما يقوله الروح القدس لها! ولا يسعنا الا ان نرى في مختلف العطايا الموعود بها الغالب، في خاتمة كل رسالة، اشارة الى الاسرار: فالملابس البيض (سرديس)، والاكليل (ازمير وفيلادلفيا) والاسم الجديد (برغامس).. تذّكرنا بالمعموذية. كما ان المنّ (برغامس) وثمار شجرة الحياة (أفسس) والعشاء (لاوذكية) تذكرنا بالافخارستيا! ومن الجدير بالذكر ان هذه العطايا سيعود ذكرها في الفصلين الاخيرين حيث يشرب الغالب "من ينبوع ماء الحياة مجاناً" (٢١: ٦)، ويجلس الى مائدة الحمل (١٩: ٩)... وهكذا نجد، في هذا القسم، سفر الرؤيا كله مُلخّصاً، وفي ضوئه يتسنّى لنا أن نقرأ سائر الفصول التي ترسم ملامح الكنيسة، بأسلوب رؤيوي ينبغي ان نألف مفرداته وبنيته وصولاً الى ما يهدف...

٢- الكنيسة الملتزمة (٤-٢٠)

هنا يبدأ الاسلوب الرؤيوي الذي به كتبت الرؤى والتي تتوالى متجاورة. ونجدنا عبر هذه الفصول بازاء كنيسة تعيش في قلب الازمات، وهي تكافح وتجاهد وتتعثر في مواجهتها لمشاكل عصرها -وكأننا امام كنيسة كل العصور التي يترتب عليها ان تواجه الازمات والتحديات من كل جانب! لذا يسوغ لنا التمييز، مع الأب شربنتييه، بين شكلين من المعضلات: علاقة الكنيسة باليهودية من جهة، ومجابهتها للقوى المستبدة من الجهة الاخرى.

أ- الكنيسة وبنو اسرائيل (٤-١١)

في هذه الفصول يعكس الكاتب وضع كنيسة تواجه اليهودية، وقد أدركت انها تؤلف شعب الله الجديد، كونها تلك "البقية" الأمينة على العهد الذي حدده الله بيسوع المسيح. ولكنها في الوقت ذاته تعي كونها كنيسة باتجاه كل الشعوب والامم...

وأول ما يطالعنا في هذا القسم "ليتورجيا سماوية" (الفصلان ٤و٥ - ولعلّهما من أروع الفصول!) تجري امام "الجالس على العرش"، وحوله ٢٤ عرشاً عليها ٢٤ شيخاً، وفي وسطه وحوله "الحيوانات الأربعة" -وهي تمثل العالم المخلوق بآفاقه الاربعة- منشدة "قدوس". فنحن في ليتورجيا تسبيح وتمجيد بمصابيح سبعة وكتاب "مختوم بسبعة أختام".. وهي الاسفار المقدسة التي سيفتحها يسوع الحي، "الحمل القائم كأنه ذبيح" (٥: ٥-٦) والذي يُؤدَّى له "نشيد جديد": "انت اهل لأن تأخذ الكتاب وتفضّ أختامه، لأنك ذُبحت وافتديت لله بدمك اناساً من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة..." (٥: ٩). وهكذا يُجرى تجديد على الليتورجيا اليهودية، حيث يمتد التسبيح الى المسيح "الحمل" الذي أنجز الخروج النهائي وجعل من المؤمنين "مملكة كهنة".. وهذا التسبيح ترفعه "كل خليقة في السماء وعلى الارض وتحت الارض..." (٥: ١٣)!

وهوذا الحمل يفضّ الاختام السبعة، وهي تكشف ما يختفي وراء الاحداث، وما تحمله علامات الازمنة الاخيرية في طياتها. وقبيل فض الختم السابع يضعنا الكاتب بازاء رؤيا شعب الله في آخر الازمنة، حين يُشاهَد "اربعة ملائكة قائمين على زوايا الارض الاربع" (٧: ١)، لن يُنزلوا العقاب الا بعد ان "يُختَم عبيد الله على جباههم"، وعددهم ١٤٤٠٠٠ (٧: ٣-٤)! وهؤلاء المختارون الذين هم على عدد اسباط اسرائيل (١٢ ×١٢×١٠٠٠) -وتلك اشارة الى كثرتهم-، انما هم المؤمنون من أصل يهودي، الى جانب المختارين من أصل وثني، الذين يقول عنهم انهم "جمع كثير لا يُحصى، من كل أمة وقبيلة وشعب ولسان" (٧: ٩). وكلهم إذ "قد غسلوا حُلَلَهم وبيّضوها بدم

الحمل"، لا ينون يعبدون الله ليل نهار، فيما "الحمل الذي في وسط العرش يرعاهم ويهديهم الى ينابيع ماء الحياة..." (٧: ١٤-١٧). وحين يُفَض الختم السابع (٨: ١)، يسود السماء سكوت..!

اما في الارض فنحن على قاب قوس من "اليوم العظيم" حين ينفخ الملائكة السبعة بالابواق السبعة التي تنذر بالعقاب (٨: ٦- ١١: ١٩). وقبيل النفخ بالبوق السابع، ينقلنا الكاتب الى رؤية ملاك هابط من السماء، "وبيده كتاب صغير مفتوح" يُطلَب من "النبي" ان يبتلعه، "فيملأ جوفه مرارة وفمه حلاوة" (١٠: ٨-١١، راجع حز ٣: ٣) -كونه الكتاب الذي بموجبه تجري الدينونة! وفيما يُقْسِم بأن لا مهلة بعدُ، يعلن أن الوثنيين "سيدوسون المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهراً" (١١: ٢)! انها ولا شك الكارثة الكبرى التي حلّت باورشليم وهيكلها عام ٧٠، فدشّنت الانتقال الى زمن الكنيسة التي أخذت مكان "الشاهدين" (موسى وإيليا).. وحينذاك، ومع نفخ الملاك السابع، تتعالى الاصوات في السماء: "صار مُلْك العالمين لربنا ولمسيحه" (١١: ٣-٩)!

ب- الكنيسة والقوى المستبدة (١٢-٢٠)

ونصبح امام منعطف مع رؤيا "المرأة والتنين"، رمز الكنيسة التي ولدت "المشيح" عبر مخاض الجلجلة، هو الذي "سيرعى جميع الأمم بعصا من حديد"! (١٢: ١-٦، راجع مز ٢: ٩)، كونه ذاك الذي جعلت منه القيامة ربّاً ومسيحاً وسيداً على الكون، بفعل من قال له: انت ابني وأنا اليوم ولدتك... (مز ٢)! وتتوالى الرؤى لتصوير الصراع بين الكنيسة وقوى الشر. ونجدنا للحال بازاء قتال شديد بين ميخائيل وملائكته، والتنين وأعوانه -"الحية القديمة الذي يقال له ابليس"-، يسفر عن اندحار الشيطان وغلبة يسوع (١٢: ٧-١٨). وسيبقى المؤمنون الذين "عندهم شهادة يسوع المسيح" يحاربون "وحش البحر" (١٣: ١-١٠)، رمز الدول المستبدة وفي مقدمتها الامبراطورية الرومانية. كما يحاربون "وحش البر" المؤتمِر بأمره (١٣: ١١-١٨)، وهو رمز الايديولوجية التي انتهجتها السياسة الرومانية في قهر الشعوب المغلوبة، وانتزاع حريتها في الايمان والعبادة -وكان دوميثيانس (٨١-٩٦) قد أوجب اداء العبادة له كإله!-، وسفك دماء المقاومين سياستها الاستبدادية... وبازاء قوى الشر يتجلّى "الحمل على جبل صهيون، ومعه مئة وأربعة وأربعون الفاً، كتب على جباههم اسمه واسم أبيه" (١٤: ١): انهم هؤلاء المختارون المفتدون الذين لهم من قوة ايمانهم ما يمكنهم، من الشهادة بجرأة ومن دون خوف...

وفيما ينذر الملائكة بالدينونة (١٤: ٦-١٣) قوى الشر الممثّلة ببابل (روما)، تتجلى "ساعة ثبات القديسين" وانتصارهم، عبر آلامهم التي تشركهم بآلام المسيح

-وهم الذين سُحقوا في معصرة الصليب (١٤: ١٤-٢٠)- فأصبح بإمكانهم ان ينشدوا (١٥)، ويشهدوا "أكواب سخط الله السبعة" تُصَبّ على الدول المستبدة الممثلة ببابل "البغي المشهّرة" (١٦-١٧)! وهكذا نجدنا وكأننا بازاء السخط الذي انقضّ على مصر عبر الضربات العشر: القروح والمياه المحولة الى دم والظلام والضفادع والرعد والبَرَد..؟ وما رؤيا "المرأة الراكبة على وحش قرمزي..."، سوى للدلالة على كونها "سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع" (١٧: ٦)! اما الوحش، فلقد زال من الوجود، وعاد من ثم لزمن قليل في شخص الملوك الذين "سيحاربون الحمل، والحمل يغلبهم لأنه رب الارباب وملك الملوك، ويغلب الذين معه، المدعوون المختارون الأمناء" (١٧: ١٤).

وفيما يعلو صوت الملاك: "سقطت، سقطت بابل العظيمة"، ويُرثى لها (١٨)، تصدح اناشيد الظفر من فم المختارين (١٩: ١-١٠): "هللويا! الخلاص والمجد والقدرة لالهنا..."! وكان لهذا الصوت الآتي من السماء صدى: "مثل صوت جمع كثير... يقول: هللويا! لأن الرب الهنا القدير قد ملك... فقد حان عرس الحمل، وعروسه قد تزينت..."، فيقول الملاك: "أُكتب: طوبى للمدعوين الى وليمة عرس الحمل"! (١٩: ٦-٩).

وتُختَم هذه الرؤى برؤيا المعركة الاخيرة في "السماء المفتوحة" (١٩: ١١-٢٠: ١٥) والتي فيها يحرز المشيح انتصاراً حاسماً -وهو مُشَبَّهٌ بالفارس "الامين الصادق" واللابس "رداء مخضّباً بالدم، واسمه كلمة الله" (١٩: ١١-١٣)-، وعلى صعيدين: ففي السماء يظهر المسيح بالثوب الاحمر رمز دمه المسفوك على الارض، وبعد ان يوثق الشيطان لألف سنة، يتجلّى الشهداء "الذين ضُربت أعناقهم من أجل شهادة يسوع وكلمة الله، وقد عادوا الى الحياة وملكوا مع المسيح ألف سنة" (٢٠: ٤)! ولطالما فُسّرت "الالف سنة" وكأنها علامة لنهاية العالم وفق المثل الشائع ان "الألفين" لا "تُؤلِّفان"!! بينما المقصود هو اننا في زمن الكنيسة والتي، منذ القيامة، أصبحت تنتظر بالسهر والثبات مجيئه الثاني...

٣- الكنيسة المتجلية (٢١-٢٢)

هذا القسم الثالث والاخير من سفر الرؤيا هو أشبه بسمفونية تشيد بـ "اورشليم السماوية"، وكأننا في الفردوس كما اراده الله منذ البدء: "ورأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة..." (٢١: ١)! ومع ذلك فلسنا امام مقطوعة تعكس الحنين الى الفردوس المفقود، وانما نحن بازاء رجاء فسيح ينفتح على رؤيا ملكوت الله الذي افتتحه المسيح

بقيامته. وهذا الملكوت تجسّده الكنيسة "شعب الله" على الارض، بعد ان أعاد الله خلقها في صورة "المدينة المقدسة، اورشليم الجديدة، النازلة من السماء من عند الله، والمهيأة مثل عروس مزيّنة لعريسها" (٢١: ٢)! فالكنيسة هي منذ الآن ملكوت الله، طالما انها أصبحت المكان المختار لسكناه وسكنى الحمل، والذي فيه تلتقي كل الشعوب وتشعر انها في بيتها.. فيما يكون الله، في ملكوته، كلاً للكل:" هوذا مسكن الله مع الناس، فسيسكن معهم وهم سيكونون شعوبه، وهو سيكون [الله معهم]. وسيمسح كل دمعة من عيونهم. ولن يبقى للموت وجود بعد الآن، ولا للحزن ولا للصراخ، ولا للألم لن يبقى وجود بعد الآن، لأن العالم القديم قد زال" (٢١: ٣-٤)! ألسنا بازاء انبياء الجلاء وهم يتحدثون عن "خلق جديد" لشعب اضناه الجلاء وسحقته المحنة..؟ ألسنا بالأحرى بازاء الخلقة الأولى، ولكن من دون الشيطان والخطيئة واللعنة..؟! (راجع تك ٣: ٢، اش ٢٥: ٨...).

ولا يسعنا الا ان ندع الرؤيا تنطق: "وقال الجالس على العرش: ها أنذا أجعل كل شيء جديداً.. أنا الألف والياء.. سأعطي العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً. والغالب سَيرِث ذلك النصيب، وسأكون له إلهاً وهو سيكون لي ابناً" (٢١: ٥-٧).

وتجسّد رؤيا المدينة المقدسة النازلة من السماء ملامح الكنيسة الارضية (اورشليم)، وقد ملأها "مجد الله": انها سكنى الله بين البشر -ولا بد من الرجوع الى اشارات الانبياء (٢ صم ٧: ١٤، اش ٧: ١٤، حز ٣٧: ٢٧...)-، وهي عروسه (٢١: ٩، انظر اش ٥٢: ١...). لسورها إثنا عشر اساساً مع اثني عشر باباً، بعدد "رسل الحمل"، أركان الكنيسة التي رأسها المسيح (٢١: ١٤، انظر اش ٥٤: ١١ ت، حز ٤٠)، ولكن من دون هيكل "لأن الرب الاله القدير هو هيكلها، وكذلك الحمل" (٢١: ٢٢). وهذه المدينة هي بمثابة الفردوس الجديد حيث "لا يكون هناك ليل" ولا يدخلها سوى "الذين كُتبوا في سفر الحياة، سفر الحمل" (٢١: ٢٧)! الا تعيدنا هذه الرؤيا الى كنيسة سرديس حيث لن يُمحى اسم الغالب من سفر الحياة (٣: ٥؛ ١٣: ٨؛ ١٧: ٨...)؟ وفي هذا الفردوس يجري "نهر ماء الحياة.. ينبثق من عرش الله والحمل" (٢٢: ١)! ألسنا امام الماء الحي الذي خرج من جنب الحمل الذبيح، دلالة على الروح (انظر يو ٧: ٣٧ت؛ ١٩: ٣٤؛ حز ٤٧: ١-١٢؛ زك ١٣: ١-٣)؟!

وما أروع الخاتمة حين يفهمنا الكاتب ان هذه الرؤيا هي هدف تسعى اليه الكنيسة في مسيرتها حتى مجيء الرب.. لذا فهو يضعنا امام يسوع، وقد بعث ملاكه ليشهد بهذه الامور (٢٢: ١٦) فيقول: "أجل، إني آتٍ على عجَل".. فيأتي الجواب (٢٢: ٢٠) على لسان الكنيسة التي يلهمها الروح ان تصلي وتنادي قائلة: "آمين! تعال

ايها الرب يسوع"! وهكذا أصبح بوسع الكاتب ان يستودع قرّاءه: عليكم جميعاً نعمة الرب يسوع!!

ان ملكوت الله بيسوع حقيقة حاضرة، بحيث يدعى المؤمن في كل حين الى توضيح موقفه منه، وتجديد انتمائه اليه، عبر القيام بمراجعة حياة لمعرفة مدى مساهمته في مجيئه... وسفر الرؤيا يدفع به الى الالتزام، مذكراً اياه، على حد تعبير مقدمة دار المشرق، "ان السيد المسيح هو في نهاية التاريخ كما هو في بدئه، وان امور الارض هي رهينة التدبير الالهي، وان بدا خلاف ذلك في الظاهر. ولكنه يستعمل الكثير من الرموز الطقسية، فيدعو جماعة المؤمنين الى ان تجعل اقامتها شعائر العبادة تلاقياً حاضراً بينها وبين المسيح، ودعوة الى موافقة لفصح الرب وإعلاناً وانتظاراً لظهور اورشليم السماوية، وما جماعة المؤمنين سوى استباقها وعلامتها"!

الفصل السابع

قيامة المسيح: حقيقة إيمانية

الفصل السابع

اولاً: الحياة والموت في تاريخ شعب العهد القديم

١- من الخروج الى الجلاء
٢- محنة الجلاء
٣- من بعد الجلاء...

ثانياً: القيامة في زمن يسوع

١- فكرة يسوع عن القيامة
٢- يسوع إزاء موته..
٣- التلاميذ إزاء موت يسوع وقيامته

ثالثاً: قيامة يسوع في إيمان المسيحيين الأولين

١- مضمون بشرى القيامة
٢- المناداة بحقيقة القيامة
٣- صيغ التعبير عن القيامة
٤- أولى الشهادات الإيمانية
٥- خبرة القديس بولس

الاطارات

٤٦) الإنسان الكتابي كله في الأرض!
٤٧) الأسفار المنحولة في العهد القديم
٤٨) "إله حق وإنسان حق"
٤٩) "قام في اليوم الثالث... "
٥٠) ملكوت الله قد حل!
٥١) ثلاثة من الموتى
٥٢) معنى قيامة يسوع
٥٣) معنى "الترائي"
٥٤) بولس يواجه موته الشخصي

قيامة المسيح: حقيقة إيمانية

لما كانت أسفار العهد الجديد على الإطلاق قد كتبت في ضوء قيامة المسيح -وهي الحدث المؤسس للإيمان المسيحي- كان لابد أن نتناولها بالبحث الدقيق، بدءً بخلفياتها في العهد القديم، مروراً بحقيقتها "التاريخية" ومضامينها العميقة في الكرازة الرسولية وفي الكتابات المسيحية الأولى، وانتهاءً بانعكاساتها في حياتنا... هذه الحقيقة الكبرى يتناولها هذا الفصل عبر ثلاث محطات:

•ففي المناخ الذي تعكسه الأسفار المقدسة، كان ينبغي ان يختبر اليهود، في القرن ٢ قبل الميلاد، محنة الإضطهاد وموت الشهداء المبكر كي ينشأ لديهم الإعتقاد بقيامة ينجزها يهوه لاصفيائه في آخر الأزمنة...

•وفي زمن يسوع لم يكن الإيمان بقيامة الأموات قد ترسخ إلا لدى أوساط الفريسيين الذين شاركهم يسوع نظرتهم الى الحياة والموت... أما تلاميذه، فقد أصيبوا بخيبة أمل مريرة إزاء موته، كما بدهشة شديدة إزاء قيامته التي لم يتوقعوها البتة...

•كيف أدرك التلاميذ أن الله أقام يسوع؟ هذه الحقيقة كشفها الله لهم وقبلوها في الإيمان.. وفي ضوئها جددوا قراءة حياة يسوع كما جددوا قراءة الأسفار المقدسة! ونجدها متجسدة في "إيمان المسيحيين الأولين" الذين سعوا الى التعبير عن مضمون هذه البشرى، ومفادها: أن الله فعل فعله إذ أقام يسوع، معلناً بذلك تأييده الكامل لكل ما قاله يسوع وعمله -وغني عن القول أن فعل الله هذا لم يكن له شهود عيان!

هذه البشرى سرعان ما تحولت الى "كرازة" استُخدِمت فيها مختلف أساليب التعبير.. فكانت شهادات إيمانية عريقة عكسها القديس بولس في رسائله -وقد عرف خبرة إيمانية فريدة على طريق دمشق-، كما كانت خطابات متمحورة حول حقيقة القيامة عكسها سفر أعمال الرسل...

ولكم ستلقي "إطارات" هذا الفصل من أضواء على مضمون القيامة ومدلولاتها...

مدخل

كان موضوع القيامة حاضراً أبداً على مدى الفصول السابقة! وقلما تحدثنا عن أسفار العهد الجديد، والاناجيل بنوع خاص، ما لم نذكر خلفيتها الايمانية الكامنة في حقيقة قيامة المسيح من بين الاموات! فلقد كانت القيامة بمثابة النور الذي يلقي الضوء -وأي ضوء!- على ما تناقلته الكرازة الرسولية حول بشرى يسوع، وما تداولته الجماعات المسيحية الناشئة بشأن التقاليد التي عكست وجه يسوع الناصري، وما دوّنه من ثم الانجيليون الذين كانت قيامة الرب المنطلق الأساس لبشارتهم.. وهم الذين طالما قلنا عنهم انهم "لاهوتيون" عبّرت كتاباتهم عن ايمانهم وايمان جماعاتهم بالمسيح الحي القائم من بين الاموات... -وقد سبقهم في ذلك بولس الرسول الذي ارتكز "انجيله"، هو الآخر، على حقيقة قيامة ذلك الناصري المصلوب، فرجّعت رسائله صدى هذا الايمان، وكانت وما زالت نداء الى التأصل في حياة الرب الحي والممجّد: "إن كان المسيح لم يقم، فتبشيرنا باطل، وايمانكم أيضاً باطل..." (١ قور ١٥: ١٤)!

لقد **كانت القيامة الحدث المؤسس للايمان المسيحي برمته**.. كما كان الخروج، من قبل، لبني اسرائيل، الحدث المؤسس الذي جعل منهم شعب الله، طالما انهم رأوا فيه ذاك الاله الحي الذي كشف عن كونه "منقذاً" أعاد إليهم الحياة، حين أخرجهم من "موت" العبودية وقطع معهم عهداً أبدياً في سيناء... فلولا حقيقة القيامة، ولَكَان يسوع الناصري، وفي أحسن الاحوال، نبياً -خلت من قبله الانبياء!- لم يسمع له شعبه، فأضافه الى قائمة شهدائه الكثر، إذ وضع حداً لادّعاءاته بالموت صلباً!

ان قيامة المسيح حقيقة ايمانية كبرى، وهي أعظم من أن تكون معجزة.. كونها تفوق كل المعجزات عظمة وقوة وتألقاً..! ولَكَم يسوءنا حين نرى هذه الحقيقة الفائقة قد أُدرجَت، في فكر المسيحيين، في مصفّ المعجزات الباهرة، وأُفرغت من مضمونها الأساس وما ينطوي عليه من أبعاد لاهوتية وروحية لا حدّ لها ولا حصر..! أليس من قبيل التحجيم القول بأن يسوع الذي أقام ابنة يائيرس وابن الارملة ولعازر.. أقام نفسه أخيراً؟! أوَليس تشويهاً لمفهوم القيامة العميق ان نتخلّى عن استخدام عبارات الكرازة الرسولية الاولى -وهي تؤكد، وعلى مدى صفحات العهد الجديد، أن "الله أقام يسوع"- لصالح مقولات تؤكد على قدرة يسوع الخاصة في قيامته الذاتية..؟! أوَليس من قبيل التحجيم والتشويه معاً ان يُصار الى التعبير عن القيامة بفكرة "إحياء جثة"، باتحاد نفس يسوع بجسده، وكأن قيامة يسوع وقيامة لعازر او ابن الارملة او ابنة يائيرس سواء بسواء!!... وهكذا، ومنذ البدء، نريد أن نلفت الانتباه الى اننا، مع قيامة المسيح، بازاء حقيقة كبرى تفوق تصوّراتنا البشرية، كونها ذات مضامين عميقة وأبعاد واسعة

ومتشعبة، وتستحق بالتالي ان تستوقفنا (وعلى مدى فصلين!) علّنا نَلِج الى عتبة هذا السر الكبير، سر موت المسيح وقيامته... ولنقلها منذ الآن: لن نبلغ إليه إلا بالايمان!

وهكذا أرجأنا حتى الفصول الاخيرة من الكتاب الخوض في غمار هذا الموضوع الدقيق، وإن كنا، في كل سانحة، وعلى امتداد الفصول السابقة، لم نكفَّ عن ان نشير ونلمّح إلى بعض اوجه هذه الحقيقة الايمانية الكبرى! ويقيننا أن بمقدور القارئ الآن -وقد ألف اسلوب الطرح البيبلي وطريقة التعامل مع النصوص الكتابية، والروايات الانجيلية بنوع خاص- أن يلج الى أجواء سر الفصح، عبر المفاتيح التي ستمنحه اياها قراءة مستنيرة للاسفار المقدسة... ذلك لأن الاسئلة المهمة التي يجب أن نطرحها هي أولاً: ما هي مفاهيم الحياة والموت في تاريخ شعب العهد القديم؟ كيف تطور مفهوم القيامة لدى بني اسرائيل حتى زمن يسوع؟ وفي زمن يسوع، اين وصل الايمان بالقيامة، وماذا كانت مضامينه؟ وما هي فكرة يسوع وتلاميذه عن القيامة بشكل عام، وقيامته بشكل خاص؟..

الا ان السؤال المفتاح الذي يجب ان يبلغ اليه بحثنا يكمن في هذا التساؤل: حين اعلن الرسل، غداة العنصرة، ان "المسيح قام من بين الاموات في اليوم الثالث، كما في الكتب".. **ماذا ارادوا أن يقولوا؟ وما هو المضمون الذي احتوته هذه البشرى السارة؟ وما هي الابعاد التي انطوت على هذا الاعلان الخطير؟...**

هذا السؤال سيفرض علينا للحال بحثاً مكثفاً في المفردات والمصطلحات الكتابية، قبل المسيح وفي زمنه، كي نصل الى فهم أفضل وأعمق للمفردات التي استخدمتها الجماعة المسيحية الاولى في التعبير عن ايمانها بالمسيح القائم، وعكستها من ثم كتاباتها التي دُوّنت كلها في ضوء القيامة، بدءً برسائل القديس بولس التي تنطلق من الايمان الفصحي -وقد كُتبت قبل ان يباشر الانجيليون بتدوين رواياتهم عن الآلام والقيامة، ونخص بالذكر روايات القبر الفارغ التي يبدو ان بولس يجهلها! كما يبدو انه يجهل تفاصيل روايات التزائيات وتفاصيل روايات الآلام! ومع ذلك لم تبدُ "كرازته" بقيامة الرب، عبر رسائله، ناقصة ولا أقل عمقاً وديناميكية!

نحن، إذن، بازاء موضوع بالغ الاهمية والدقة، بحيث يتوجب علينا ان نميز جيداً ما هو من صلب الايمان، وما هو من قبيل التعبير عن هذا الايمان... **فأن نقول: قام المسيح! فذلك فعل ايمان بحقيقة قيامة الرب يسوع!** اما الروايات الانجيلية عن قيامة المسيح، فهي في مجملها تعبير ايماني متعدد الصيغ عن هذه الحقيقة الكبرى..! ولنقلها منذ الآن: سنقع في ضلال ونذهب في متاهات إن نحن تعاملنا مع نصوص الروايات بحسب الانجيليين وكأنها تحقيقات (او ريبوتاجات!) مباشرة من موقع الاحداث! ولكَم سنصطدم حينذاك بمشكلة الاختلافات الكثيرة في الروايات بمحوريها: القبر الفارغ

والتزائيات! ولا نخال أحداً يحلم -بعد كل الذي قلناه بصدد الاناجيل ومراحل تكوينها حتى بلوغها الى صيغتها النهائية- بمحاولة إعادة بناء قصة متكاملة لرواية "القبر الفارغ" من خلال التفاصيل التي جاء بها هذا أو ذاك من الانجيليين، أو تثبيت جدول زمني لسلسلة التزائيات التي جرت لبعض الشهود المميّزين.. وقد ذهب كل من الانجيليين في منحى خاص للإصداء لهذه التزائيات التي هي أولاً وآخراً اختبارات إيمانية...

فلكي نفي هذا الموضوع الأساس حقه، وهو قاعدة ايماننا ومحوره، نتناول في هذا الفصل، وفي نقطة اولى، **مفهوم الحياة والموت** في تاريخ شعب الله.. وننكب، في نقطة ثانية، على **مفهوم القيامة في زمن يسوع**.. لنصل، في نقطة ثالثة، الى البحث عن **قيامة المسيح في ايمان المسيحيين الاولين**[1]. فيما نخصّ الفصل التالي روايات القيامة بحسب الانجيليين الاربعة.

اولاً: الحياة والموت في تاريخ شعب العهد القديم

١- من الخروج الى الجلاء

نتناول القيامة في سياق الايمان بالاله الحي الذي هيمن على تاريخ شعب العهد القديم، وذلك منذ ان رأى فيه بنو اسرائيل "اله العهد" الذي تجلّت امانته وتجسّد حبه عبر التاريخ، بأنواع كثيرة، بدءً بالخروج من مصر الذي سجّل اول وأبرز فعل تحرير أنجزه الله معه! ففي الخروج، وعبر الفصح (العبور)، أدرك الشعب ان الله خلّصه من الموت المحتوم الذي كان فرعون سينزله به، كما أدرك ان الله "خلقه" من جديد حين

---

(١) الى جانب موضوع "حدث الفصح" في "الدليل" / (ص ١٤٧-١٥٧) للأب أ. شربنتييه، نعتمد بشكل رئيس كتابه "المسيح قام": سلسلة دراسات في الكتاب المقدس / رقم ٤، دار المشرق - بيروت ١٩٨٧. وكذلك كتاب الاب آلان مرشدور: "الموت والحياة في الكتاب المقدس" في عين السلسلة / رقم ١٠ بيروت ١٩٨٩. وفيما نتمنى على القراء الاحاطة بكتاب الاب مرشدور، نوصيهم بقراءة كتاب الاب شربنتييه الذي يقدم طرحاً رصيناً، متحذراً في الاصول الكتابية ومستنيراً بالدراسات البيبلية الحديثة، لموضوع بات من الواجب الملح على المسيحيين أن ينكبوا عليه ليكتسبوا رؤية إيمانية، يكون بوسعها ان تقلب حياتهم كما قلبت حياة الرسل والمسيحيين الاولين من قبل... علماً بأن هذه الدراسة العميقة في قيامة المسيح تهدف ان توصلنا الى الفهم الذي كان لها في فكر المسيحيين الاولين وقلبهم -وقد ضعف لدينا هذا الفهم وتحجّم بحكم الفاصل الزمني الذي بات يفصلنا عن مدار المناخ الكتابي للعهدين القديم والجديد!

جعل منه شعبه وقطع معه "العهد" في سيناء، عهداً "للحياة وللموت"! وسيبقى بنو اسرائيل طيلة تاريخهم الطويل يقرأون الاحداث التي ستمر بهم، في ضوء ايمانهم بالاله الحي، طالما ان اول عمل قام به، لدى دخوله تاريخهم، كان هبة الحياة!

ففي ضوء هذا الايمان استطاع بنو اسرائيل ان يجدوا جواباً لتساؤلاتهم بشأن الحياة والموت، عبر يقين ذي ثلاثة أوجه: يهوه هو الاله الحي.. والدخول في عهد معه هو اختيار للحياة.. والحياة التي يهبها هي ذات طابع ارضي تقوم على: الوعد بأرض والحصول على نسل والشبع من الايام (انظر تث ٣٠: ١٥-٢٠)، (**انظر الاطار ٤٦: الانسان الكتابي كله في الارض**). ولنقلها منذ الآن، بأن الايمان بالقيامة لدى شعب العهد القديم، ليس هو نتيجة اليقين بمبدأ خلود النفس الذي توصل اليه المصريون والبابليون واليونانيون، في زمن مبكر! فلقد تأخر هذا الايمان لديه ولم يتبلور الا في حدود القرن الثاني قبل المسيح[٢]!

وخلال اكثر من ١٠٠٠ سنة، وعبر تلمسات كثيرة، ولا سيما امام مشكلة الموت المبكر[٣]، سيتوصل شعب العهد القديم الى ان يطرح على نفسه، وبقوة، قضية الثقة بالاله الحي، بحيث يفقد الموت جانبه المأساوي، وتصبح الحياة حياة با لله وفيه ومن اجله.. وبموجب هذا المفهوم أصبح الموت بمثابة انفصال عن الاله الحي، في مثوى الاموات، كما اصبحت الارض المقدسة بمثابة عطية من ا لله لتمكين الشعب من أداء العبادة لإلهه.. وتمحورت الحياة كلها حول العيش بحسب الشريعة!

---

(٢) يرى آلان مرشدور في تأخر الايمان بالقيامة، لدى اسرائيل عن باقي الشعوب "طرافة" الوحي الذي هو بمثابة "حسّ وكلمة لا تزال تلقي ضوءاً على تاريخ بشري لا يخلو من الالتباس. انها نور يتقدم بخطوات بشرية وئيدة ويرافق مسيرة طويلة يسيرها شعب متأصل"! وما البون الشاسع بين لقاء ا لله بشعبه في سيناء والتأكيد الصريح على وجود حياة ما وراء الموت، سوى دليل على "ان الوحي تجسّد في الثقافة السامية حتى انه تقيد بقيودها الانتروبولوجية" (الموت والحياة / ص ٩).

(٣) امام المرض والموت المبكر، ولا سيما حين يتعرض لهما احد الابرار، عكست المزامير موقف بعض المؤمنين، من صرخة لا جواب عليها (مز ٨٨) الى صرخة ايمان عميق بالاله الحي (مز ١٦، ٤٩، ٧٣) الذي يعجز الموت عن أن يقطع الصلة به... ومثل هذا الايمان هو فعل ثقة كبيرة بحب ا لله تجسّد لدى "فقراء ا لله" (عناويم) الذين يستودعون ارواحهم بين يديه (مز ٣١: ٦). فقال صاحب المزمور ١٦: "لن تدع صفيك يرى الهوة"! وقال صاحب المزمور ٧٣: "اخذت بيدي اليمنى... وراء المجد تأخذني"! وكلاهما يعبّران عن الحب المُختَبَر بين المؤمن والهه: حب هو أشدّ من ان ينال منه الموت، وهو حب قادر ان يبقى إلى ما بعد الموت! ويقول شربنتييه: "لم يبلغ العهد الجديد الى اعمق من ذلك! لكنه استند الى حدث: هو ان ا لله أخرج يسوع من الهوة (رسل ٢: ٢٧). لذلك استطاع بولس ان يوضح قائلاً: "بعد الموت سنكون للأبد مع المسيح"! (راجع: المسيح قام / ص ١٧؛ الموت والحياة / ص ٢٤-٢٦).

٢- محنة الجلاء

وفي عام ٧٢١ ق. م. سقطت مملكة الشمال (السامرة) على يد الاشوريين، وجلي قسم من الشعب الى نينوى... وفي عام ٥٨٧، وعلى يد البابليين، هذه المرة، سقطت مملكة الجنوب (يهوذا) ايضاً، وتهدمت اورشليم مع هيكلها المقدس، وجُلي الشعب مع ملكه الى بابل... وهكذا اختبر الشعب محنة لم يسبق لها مثيل: فلم يعد له، لا ارض ولا هيكل ولا ملك! انه اختبار قاس "للموت" حمل الشعب على طرح تساؤلات جادة على الهه. وهكذا كان الجلاء في بابل بمثابة البوتقة التي مكّنت الشعب من اعادة النظر في المسائل الهامة والمصيرية.. ولا سيما في وجوده كشعب، بدون ارض ولا هيكل ولا ملك! وبفضل حزقيال، هذا الكاهن النبي الذي نفي مع المجلوّين، تمّ تحوّل في التفكير، من مفهوم التضامن الجماعي لتفسير مصيبة ما، الى مفهوم المسؤولية الفردية. وهكذا أدّى الجلاء الى تجاوز المقولة التي كانت تهيمن على تفكير

اطار ٤٦

الانسان الكتابي: كُلُّهُ في الارض!

كثيرون تعلموا في دروس "التعليم المسيحي" ان الانسان مركّب من نفس وجسد. وغالباً ما ننسى ان هذه الرؤية الثنائية للانسان لا تنتمي الى التراث البيبلي، وانما تأتي من الحضارة اليونانية. فالفيلسوف أفلاطون وعدد كبير من كتّاب الحضارة القديمة، في إثره، كانوا يقبلون هذا التصوّر الذي بموجبه يكون مصير الجسد الموت، فيما تكون النفس مدعوة الى الخلود. والمسيحيون، منذ الاجيال الاولى، شاءوا ان يجمعوا بين التراثين.. ومن المؤسف ان يكون المفهوم الكتابي قد تحجّم وتشوّه!

يعلم الانسان اليهودي، وفق منطوق تصوّره للعالم، انه ينتمي الى الارض. انه "لحم" (باسار)، اي انه متضامن مع الارض ومع عالم الحيوانات -وهو في القمة منه. واسم آدم، قبل ان يصبح اسم علم، الا يعني الانسان بصفته خارجاً من الارض، وقد جُبل منها (آداما = الأدَم). وتنفسه يدل على انه يشارك في الحياة عبر نفخة (رواخ=روح) الله، هذه الروح التي كانت ترفرف على وجه المياه في بدء الخليقة (كما ورد في فاتحة سفر التكوين). وهذا "اللحم" الذي أحياه روح الله، أصبح يُدعى "نيفيش" -وتترجم هذه الكلمة بالعربية بـ "نفس"، والافضل ان تترجم بعبارة "كائن حي": "ونفخ (الله) في انفه نسمة حياة، فصار الانسان نفساً حية (كائناً حيّاً)" (تك ٢: ٧).

ان واقعية الانثروبولوجيا الكتابية لا يمكنها ان تقود الى التصوّر بأن الانسان، حين يموت، يتلاشى في جسده (لحمه)- العائد الى التراب الذي صُنع منه (أي ١٧: ١٦) - بينما نفسه تبقى لتطير الى مسكنها الحقيقي في السماء! بل ان الموت يطال الشخص البشري كله، حين تُنتَزَع منه روح الله: فالانسان يغيب في "جسده" (اي كيانه البيولوجي، والواقعي بالتالي)، كما في "نفسه" (كيانه المفعم حياة، أي "الكائن الحي").

لذا كان الرجاء، بالنسبة الى المؤمن في العهد القديم، مقتصراً على هذه الحياة الارضية. فمسألة "ما وراء" لم يكن لها مكان في تفكيره، -على غرار الاساطير المصرية او اليونانية التي كانت تتحدث عن رحلة النفس بعد الموت. ولم ينشأ الاعتقاد بالقيامة ولا التفكير بمكافأة الصدّيقين الا في القرنين الاخيرين قبل ظهور يسوع. ومع ذلك، فإن لغة العهد الجديد، بشأن الموت، ستبقى متأصلة بشكل عميق في رؤية اليهود هذه عن الانسان والكون.

ستيفان اولارد

ترجمة عن الفرنسية للعدد ٥٤ "ما وراء الموت"

(ملفات الكتاب المقدس / ايلول ١٩٩٤)

الشعب والقائلة: "الاباء أكلوا الحصرم وأسنان البنين ضرست" (حز ١٨: ٢).. وراح المؤمن، مع شعوره العميق بالتضامن، يبحث عن تفسير لآلامه وموته خارجاً عن خطايا شعبه!

كما كان الجلاء فرصة لاختبار جماعي: فالمجلوّون كانوا قد أصبحوا أشبه بهياكل عظمية، بعد أن تحطمت كل آمالهم! وهوذا سفر حزقيال (٣٧: ١-١٤) يروي كيف ان الروح ينقل النبي الى سهل مليء بالعظام البشرية اليابسة، ويأمره ان يتنبأ عليها لتسمع كلمة الرب فتحيا: "فتنبأتُ، كما أمرني، فدخل فيهم الروح فعاشوا وقاموا على أرجلهم جيشاً عظيماً جداً جداً"! ويتلقى النبي شرحاً عن كون هذه العظام هي "بيت اسرائيل" الذين بعد ان صرخوا قائلين: "قد يبست عظامنا وهلك رجاؤنا وانقطعنا"، سيسمعون الرب يقول: "ها أنذا افتح قبوركم وأُصعدكم من قبوركم يا شعبي، وآتي بكم الى ارض اسرائيل..."! هذا المثل/"الرؤيا" يقدم دليلاً ساطعاً على رجاء اسرائيل في الهه الذي هو وحده قادر أن يمنحه الحياة!

ومن عين المنطلق حاول نبي من زمن الجلاء، أشعيا الثاني، ان يجد خصوبة في الألم الذي عاناه الانبياء في الماضي البعيد او القريب (موسى، ارميا...)، بحثاً عن معنى للألم الذي يعانيه المؤمن، إن هو ظلّ واثقاً بالهه القادر ان يخلصه من العذاب ويمنحه الحياة... وهكذا كانت لنا تلك الفصول الرائعة في "العبد المتألم" -وهي تعكس آلام المؤمنين الحقيقيين- الذي، إذ يتبنى هذا العذاب والموت ويجعل منهما تقدمة وذبيحة فدائية، يحصل بالتالي على مجد أعظم (اش ٥٢: ١٣- ٥٣: ١٢).. وسنرى كيف طبق المسيحيون صورة "العبد المتألم" على آلام يسوع وموته الفدائي. ولقد أنبأ هذا النبي ذاته عن تحرر قريب يكون بمثابة خروج جديد من مصر، طالما ان الجلاء كان عبودية جديدة -وسيتم هذا التحرر على يد قورش عام ٥٣٨، فيما يبقى الشعب يتطلع الى تحرر كامل ونهائي...

٣- من بعد الجلاء
وحتى اضطهاد السلوقيين

ويتراوح التفكير، بعد العودة من الجلاء، في اتجاهات مختلفة: من موقف الاستسلام امام حتمية الموت، كما في سفر الجامعة، الى الحوار المباشر مع الله، كما في سفر أيوب، بشأن الألم والموت وعقاب الاشرار ومكافأة الابرار... انها الاسئلة الكبرى التي يجيب عنها اصدقاء أيوب، وفقاً للمفاهيم التقليدية بكون الألم والموت نتيجة

للخطيئة، فيما سيصمد ايمان أيوب بالهه الحي وتبقى ثقته وطيدة به (اقرأ أي ١٩: ٢٥-٢٧)[٤]. وهكذا تعتبر فترة ما بعد العودة من الجلاء (بدءً من عام ٤٠٠ ق. م.) فترة "صمت الله"، ولا سيما بعد ان سكتت آخر الاصوات النبوية (حجاي، زكريا، ملاخي)، وخُيِّلَ للشعب بأن السموات قد أقفلت طالما ان روح الله لم يعد يتكلم في الانبياء! وقد تعمق الشعور بتخلي الله عن شعبه في اعقاب موت الاسكندر (٣٢٣) وانشطار امبراطوريته بين قواده، حين اصبح الشعب، أولاً، تحت حكم البطالسة في مصر (٣٣٣- ١٩٨)، ومن ثم تحت نير السلوقيين القساة في سوريا (١٩٨-٦٣).

هذه الحقبة التاريخية التي طبعتها الاضطهادات -وقد شنّها الملوك السلوقيون ضد ايمان الشعب وخصوصياته الدينية والثقافية- ستكون المنعطف الكبير الذي يتبلور فيه الايمان بالقيامة، من خلال اولئك الابرار الذين سيقبلون العذاب والموت أمانةً لإلههم... وهذا الكشف عن إله يلتزم جانب أحبّائه، سيحمله الينا أصحاب "الرؤى"[٥]، خلفاء الانبياء! ذلك لأن المعنى العميق للأحداث غالباً ما لا ينكشف الا فيما بعد، وقد لا يُكشَف إلا في نهاية التاريخ... وهكذا هي الحال ازاء الواقع المحيّر الذي تعرّض له شعب الله: الاشرار يُحْكِمُون قبضتهم، والابرار يموتون ظلماً امانة لاله يظل صامتاً! وهنا يقوم أصحاب الرؤى بدور هام حين يسعون الى الكشف عن المعنى الأخير، فينبئون بتدخل الله النهائي وافتتاح عالم جديد كما يريده الله: انه يأتي ليحل العدل والحق، ويعزّي الابرار الأمناء، ويحكم على الاشرار والجاحدين...

ولنا في سفر دانيال أعظم نموذج للأدب الرؤيوي.. فيما تشهد السنوات السابقة واللاحقة للمسيح تدفق أدب رؤيوي غزير نجده في أسفار لم تدخل في لائحة الاسفار القانونية (**انظر الاطار ٤٧: الاسفار المنحولة في العهد القديم**). انه كاتب إتخذ اسم دانيال، اراد ان يشدد عزائم شعب شنّ عليه انطيوخس الرابع ابيفانيوس أقسى اضطهاد بين الاعوام ١٧٥-١٦٤. وقد كتبه في حدود العام ١٦٥ لأنه يعلم، من جهة، "شناعة الخراب" التي أقامها انطيوخس حين نصب مذبحاً للاله زفس على مذبح المحرقات.. ويجهل، من جهة أخرى، موت الطاغية في نهاية عام ١٦٤! وازاء هذا الاضطهاد الرهيب نشأت حركة مقاومة على ايدي رجال أتقياء (حسيديم) وغيارى على الشريعة بزعامة يهوذا المكابي (انظر ١ مك ٢: ٤٢).

---

[٤] بشأن سفر أيوب الذي هو تساؤل عميق في معنى الألم، نشير الى كتاب "أيوب الكتاب": سلسلة دراسات في الكتاب المقدس / رقم ١٦، دار المشرق، بيروت ١٩٨٩.

[٥] بشأن الاسلوب الرؤيوي، راجع الفصل ٤. انظر الدليل /ص ٨٩-٩١.

اطار ٤٧

الاسفار المنحولة في العهد القديم

هناك اسفار منحولة تنتسب الى شخصيات او أحداث من العهد القديم، وقد أُلّفت هذه الكتابات ما بين القرون الثلاثة الاخيرة ق. م. والقرون الاولى للمسيح. وهي معروفة عبر مخطوطات تبتعد عن زمن تأليفها بعشرات السنين، وببعض القرون احياناً كثيرة! وقد اكتشفت في قمران مخطوطات قديمة لبعض هذه الاسفار... وغني عن القول ان هذه المؤلفات لم تندرج في "قانون" الاسفار المقدسة -ومن هنا صفة "المنحولة" التي تطلق عليها- ولكنها ذات فائدة كبرى لمعرفة البيئة الدينية اليهودية، خارجاً عن الاسفار المقدسة، كونها تعكس الافكار والمفاهيم السائدة لدى اليهود في زمن يسوع وما بعده.

وباستثناء الأسفار "القانونية الثانية" السبعة (راجع الاطار ١٣/ الفصل ٢)، يحصي "القاموس الانسكلوبيدي للكتاب المقدس" (بالفرنسية) ٧١ سفراً منحولاً تتناول أجواء العهد القديم، يرقى بعضها الى ما قبل المسيح، فيما بعضها الآخر يرقي الى القرون الاولى للميلاد -ويعكس مفاهيم وأفكاراً من وحي الايمان المسيحي، او من وحي التيارات المنحرفة عنه كالغنوصية..! وتجدر الاشارة الى ان الادب الرؤيوي يمثل نسبة كبيرة من هذه المؤلفات.

وعلى سبيل المثال نذكر عدداً من هذه الاسفار التي تستعير اسم شخوص العهد القديم، فتحكي سيرتهم وترسم ملامح شخصيتهم.. او تعكس جوانب من تحركاتهم ومغامراتهم.. وهي تحمل عناوين متنوعة، سواء كانت على شكل سفر ام رؤيا ام وصية: آدم (سفر آدم، رؤيا آدم، وصية آدم، اولاد آدم...)، حواء (انجيل...)، آدم وحواء (حياة، قتال، طرد، موت)، نوح، شيت، أخنوخ (سفر بالحبشية ويتضمن: الامثال، الفلك، الاحلام... فضلاً عن سفر بالعبرية يتضمن "رحلة" أخنوخ)، ابراهيم (رؤيا، وصية)، اسحق (وصية، صعود)، يعقوب(سلّم، وصية)، يوسف، موسى (صعود، انتقال)، داود، سليمان (اناشيد، مزامير، وصية)، عزرا(السفر الثالث، السفر الرابع، وحي)، باروك (رؤيا باليونانية والسريانية)، سفر اليوبيلات، المكابيين (الثالث، الرابع)...

حاول دانيال ان يرسم الملامح المحجوبة لاؤلئك الذين رفضوا الانصياع لأوامر الملك، وآثروا الموت على الابتعاد عن الاله الحي او خيانته.. وذلك عبر نصّين هامين:

أ- "رفع" ابن الانسان (دا ٧: ١-٢٧)

انها رؤيا (١-١٤) روت خروج اربعة حيوانات مخيفة، وآخرها أكثرها هولاً! وأُحضر **"مثل ابن انسان"** امام عرش الله، فأُوتي سلطاناً ابدياً على جميع الامم..! ويأتي تفسيرها (آ١٥-٢٧) ليشير الى فتك الحيوان الرابع (انطيوخس) الذي فاق قسوة الملوك الثلاثة الذين اضطهدوا الشعب طيلة قرون.. ويرسم، عبر وجه الانسان، صورة شعب المؤمنين المضطَهَدين الذين ينالهم الموت، ولكنهم سيُؤتَون بالتالي الغلبة على العالم!

وهكذا حُلّت مشكلة موت الابرار بشكل لم يسبق له نظير، عبر رؤيا كشفت عما يُعِدُّهُ الله من المجد لأحبائه الاوفياء: "وإذا بمثل ابن الانسان آتياً على غمام السماء... وأُوتي سلطاناً ومجداً ومُلكاً...". وكان هذا التمجيد بمثابة "رفع" (من تحت الى فوق) الى الحياة مع الله، في آخر الازمنة.

وغني عن القول ان "رفع" ابن الانسان الذي كان من نصيب الشهداء،

ابان الاضطهاد السلوقي، سرعان ما اتسع ليشمل جمع "القديسين" الذين يرون انفسهم في وجه "ابن الانسان" هذا، عبر مطابقة وفائهم وأمانتهم على وفائه وامانته..! وحين سيختص يسوع لنفسه لقب "ابن الانسان"[٦]، سيطابق بينه وبين كل انسان: "... كنت جائعاً فأطعمتموني" (متى ٢٥: ٣١-٤٦). كما ان **صورة "ابن الانسان" التي كانت ترمز الى شعب القديسين، كانت في الوقت ذاته ترمز الى سيّد هذا الشعب..** ولذا حين طبق يسوع على ذاته لقب "ابن الانسان الآتي على غمام السماء" (مر ١٤: ٦٢)، عُدّ تصريحه تجديفاً!

ب- "قيامة" القديسين

لقد طرح وضع الشهداء مشكلة الموت بكل عنفها: إذا كان الله قد وهب الحياة، فهو قادر أيضاً على أن يعيد الحياة! وكان هذا السؤال: هل يمكن ان يكون مصير الشهداء في مثوى الاموات متساوياً مع كل المائتين؟ وهكذا نشأ الايمان بقيامة هي من نصيب اؤلئك الشهداء الابرار الذين جادوا بحياتهم بدافع من امانتهم لإله العهد. الا ان مفهوم "القيامة" هذا، كان قد سبق ان أُطْلِقَ معنوياً على الشعب[٧]، قبل ان يطلق، وبشكل واقعي، على الشهداء، ومن ثم على كل الابرار.

ان هؤلاء الشهداء الموعودين بـ"رفع" من لدن الله لقاء امانتهم، قد ماتوا وانحدروا الى مثوى الاموات.. فماذا يعني "رفعهم"؟ هذا الطرح أتاح لكاتب سفر دانيال ان يقوم بخطوة الى امام، حين طبق مفهوم القيامة على الافراد: انهم "سيقومون"! **وتوحي كلمة "قيامة" بحركة النهوض او الاستيقاظ، بحيث بدا الموت وكأنه رقاد بوسع الله وحده ان يوقظ منه، أو انحدار الى "مثوى الاموات" بوسع الله ان يُنهض منه...** ذلك لأن الله الذي استطاع ان يَرُدَّ الحياة لشعبه ابان المحن الكبرى، منذ الخروج والى ما بعد الجلاء، فبوسعه أيضاً أن يغلب الموت -ولا سيما الموت المبكر- لاخصّائه

---

[٦] راجع الاطار ٣٢ بشأن "ابن الانسان" / الفصل ٤.

[٧] اثر كرازة هوشع النبي (القرن ٨)، في مملكة السامرة، أدرك الشعب الاسرائيلي انه قد "مات" بسبب خطاياه، فقرر ان يتوب، وكله ثقة ورجاء بالاله الحي القادر ان "يقيمه": "... الله ضرب وهو يعصب. بعد يومين يحيينا، وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (٦: ١-٦). وحل ما كانت تقصده هذه العبارات هو ان الله، في فترة قصيرة، سيعيد الشعب الى الحياة ويجدد معه العهد -وسنرى ادناه كيف ستتخذ هذه العبارات، فيما بعد، معنى اواخرياً، فيصبح اليوم الثالث: اليوم الذي فيه يحيي الله الاموات...

وهكذا حين شعر الشعب المجلو الى بابل انه في حكم الموت والاضمحلال، جاءت رؤيا حزقيال (٣٧) في "العظام اليابسة" لتكشف عن أن الله سيقيمه ويخلقه من جديد وينفخ فيه روحه... وستصبح موهبة الروح علامة نهاية الازمنة، كما جاء في نبوة يوئيل (٣: ١-٥) التي سيستشهد بها بطرس يوم العنصرة (رسل ٢: ١٧-٢١). وهكذا استمرت فكرة "قيامة" يحققها الله لشعبه حين يعيده الى الحياة، وبقي هذا الرجاء لدى اسرائيل راسخاً، وهو يتطلع باتجاه الازمنة التي فيها يوطّد الله ملكه في العالم ويُعلن انتصاره النهائي.

الذين يُقتَلون ظلماً، طالما انه الاله الحي والاله العادل الذي "يشقّ عليه موت اصفيائه" (مز ١١٦: ١٥)! وهو فوق كل شيء، الاله الامين على "العهد" الذي يبرِّئ أحباءه في دينونة اخيرة، ويعلن انتصارهم على أعدائهم...

من هذا المنطلق تأمل كاتب سفر دانيال فأعلن انتصار الله النهائي في آخر التاريخ، حين تتم دينونة المؤمنين والكافرين: "في ذلك الزمان... كثيرون من الراقدين في أرض التراب يستيقظون، بعضهم للحياة الابدية، وبعضهم للعار والرذل الابدي" (دا ١٢: ٢). واولئك "الذين جعلوا كثيرين ابراراً" -ويعني بهم رؤساء الشعب الروحيين الذين سقطوا بحد "السيف واللهيب والسبي والنهب" (١١: ٣٣)- "سيضيئون كضياء الجلَد، كالكواكب أبد الدهور" (١٢: ٣). ومن الواضح في فكر الكاتب ان "القيامة" تخص، اولاً، اولئك الشهداء، ومن ثم كل الابرار -ولا يبدو انه يفكر بقيامة الاشرار! وتجدر الإشارة الى أنه لا يفكر بقيامة تكون بمثابة "عودة الى الحياة"، **وانما بتحوّل الى عالم الله**، عالم غير قابل للفساد او الاضمحلال... وبكلمة، انه يتطلع الى دخول الابرار في حياة الله، بحيث يكونون مشعّين كالكواكب![٨]

هذه الآيات تعَدُّ قمة الوحي في العهد القديم، وقد جاءت، على حد تعبير آلان مرشدور، "من التقريب الى حد لا يُحتَمَل بين طرفين: من جهة اولى، من الشر البالغ أقصاه عبر المسعى الشيطاني الذي قام به انطيوخس ابيفانيوس، متحدِّياً اله اسرائيل في هيكله.. ومن جهة أخرى، من التقوى الممارَسة حتى التعرض الاخير للاستشهاد". ويضيف: بأن هذا التناقض ولّد الايمان بالقيامة، فوجدت مسألة المكافأة حلاً، طالما ان الاله القدير العادل سينتشل شهداءه من مثوى الاموات، ليكافئهم مكافاة لا نهاية لها"[٩]. ومنذئذٍ توقف الاستعمال المجازي لكلمة "قيامة"!

---

[٨] في اسفار منحولة معاصرة للعهد الجديد، هناك تصوّرات حول الحياة بعد الموت -وهي متأثرة جزئياً بالفكر اليوناني عن الخلود-: ففي سفر "حياة آدم وحواء" نجد وعداً بالقيامة لكل البشر:"... ومن حديد أعدك بالقيامة مع كل جنس البشر الذي خرج من زرعك"! وفي "كتاب عزرا الرابع" نقرأ كيف" تنسحب النفس من الجسد وتعود الى ذاك الذي وهبها ". ونجد شرحاً عن الاماكن التي تُحتَجَز فيها نفوس الموتى في "كتاب رحلة اخنوخ". ويدور الكلام عن قيامة الموتى في آخر الازمنة، في سفر "امثال اخنوخ": "... سيرّد الشيئول ما تلقاه، وستعيد المنازل السفلى ما هي مدينة به "، فيما تكشف "رؤيا باروك " عن عودة الاموات الى الارض: "فلا بد من الكشف للاحياء عن كون الموتى يحيون، وعن كون الذين رحلوا يأتون.. وحينئذ تبدأ الدينونة". وعن وصف الدينونة يؤكد "كتاب عزرا الرابع" ان "يوم الدينونة حاسم إذ يكشف للكل عن ختم الحقيقة.. ولن يكون بمقدور أحدٍ ان يشفع لغيره..."، في حين تكشف "امثال اخنوخ " عن ان الدينونة ستعلن انتصار المختارين ضد مضطهديهم: "في تلك الايام ستقفز الجبال كالغزلان، وستنهض التلال كالحملان المشبعة من الحليب، وسيصبح الكل (الابرار) كالملائكة في السماء". وتصف "رؤيا باروك" بأن الابرار "سيتبدّل منظر وجههم الى جمال بهي ليتسنى لهم ان يحصلوا على العالم (الجديد) "...

[٩] الموت والحياة / ص ٣٩.

وهكذا يتبين لنا بوضوح ان سفر دانيال يضعنا ازاء صورتين لوفاء الله مع قديسيه: **صورة "الرفع" التي حظي بها ابن الانسان**، بصفته ممثلاً لشعب القديسين، والتي توحي بأننا ازاء "تمجيد" يتخذ شكل **صعود من "تحت" (الارض) الى "فوق" (السماء)**، حيث يدعى القديسون الى الحياة مع الله. اما الصورة الثانية فهي **صورة "القيامة"** التي تكمل صورة "الرفع"، إذ تشدد على فكرة النهوض او الاستيقاظ، وتعني بالتالي، بالنسبة الى الموتى، **الانتقال** -انتقال يفترض قيامة الاجساد في الانتروبولوجية السامية والمفهوم الكتابي- الى **حياة الله الابدية**. وغني عن القول ان كِلْتَي الصورتين تسبحان في اطار آخر الازمنة، اعني يوم يُجري الله الدينونة ويُدخل الابرار معه الى حياة جديدة.

لقد رأى شعب العهد القديم في إلهه، اولاً، "الاله الحي الذي يهب الحياة"... وها هو الآن يعترف به الهاً قديراً، "بوسعه ان يعيد له الحياة"! ويقول الاب شربنتييه بأن الفكرة التي كانت قد أصبحت يقيناً، والتي بموجبها يعيد الله شعبه الى الحياة، "اتخذت مكاناً ضمن إطار واسع جداً، وهذا امر هام".. ويضيف: إذا كانت بعض الشعوب قد أكدت ايمانها بحياة "بعد الموت"، في وقت مبكر، خلافاً لشعب الله الذي لم يوضح هذه المسألة الا قبل الميلاد بقرنين، فلقد كان له رجاء واحد وطيد: "الامل في انتصار الله على الشر، وفي مجيئه لاحلال ملك سلام في العالم"، حتى انه "حين اكتشف القيامة الشخصية، اتخذ هذا الايمان مكاناً في رجاء أوسع، رجاء تجدد العالم كله: [ها أنذا أجعل كل شيء جديداً] (رؤ ٢١: ١-٥)"[١٠].

ويعبر كاتب مجهول في حوالي السنة ١٠٠ ق. م.، في سفر المكابيين الثاني، عن هذا الرجاء، بفكرة القيامة التي سيحظى بها اولئك المؤمنون الذين يُقتَلون بدافع من امانتهم للاله الحي، والتي ستدفع بهم الى الموت في سبيله! مثل هذا اليقين بالقيامة كان ينعش الاخوة السبعة لدى مواجهتهم الاستشهاد: "انك ايها المجرم تسلبنا الحياة الدنيا، ولكن ملك العالم، إذا متنا في سبيل شرائعه، سيقيمنا لحياة أبدية" (٢مك ٧: ٩ ت).. وبعين النبرة عبّرت امهم عن ايمانها بالله الذي سيخلق من جديد هؤلاء الشهداء الابرار (آ ٢٣ت)!

وكان سفر الحكمة (حوالي عام ٥٠ ق. م.) آخر اسهام في مسألة موت الابرار، حين طرح كاتبه فكرة الخلود (او عدم الفساد) التي كانت شائعة في الفكر اليوناني، مؤكداً على عدل الله الذي "بيده نفوس الصديقين.. فلا يَمسها عذاب... في اعين الاغبياء يبدو ان الابرار ماتوا، وحُسب ذهابهم مصيبة.. اما هم ففي السلام، ورجاؤهم كان مملوءاً خلوداً..." (٣: ١-٤). ذلك لأن نفوس الابرار باقية، و"الامناء في المحبة

---

[١٠] المسيح قام / ص ٢٢.

سيلازمون الله" (حك ٣: ٩)! وإذا شدد الكاتب على الخلود، متجنباً الحديث عن "قيامة الجسد"، فلكي لا يخدش مسامع قرائه الذين يصعب عليهم الايمان بقيامة الاجساد.. فكان التركيز باتجاه حياة مع الله بعد الموت!

ثانياً: القيامة في زمن يسوع

بين سفر الحكمة -وهو آخر سفر من العهد القديم- وبين اولى رسائل القديس بولس في بدء الخمسينات، هناك مئة عام تبلورت خلالها المفاهيم اليهودية بشأن الحياة والموت والقيامة، والتي يمكن اكتشافها عبر النتاجات الادبية في تلك الفترة وما بعدها. وحين يتاح لنا أن نتعرف على ايمان الجماعات الدينية، في زمن يسوع، بشأن القيامة، نكتشف في الوقت ذاته ماذا كان مفهوم يسوع والرسل بشأنها.. فندرك بالتالي كيف تلقّى الرسل الاولون وحي القيامة، ولماذا تركتهم هذه الحقيقة في دهشة وحيرة كبيرتين، تماماً كما وضعهم موت يسوع على الصليب امام حيرة وخيبة أمل مريرة...

إن انتظار مجيء ملكوت الله كان هاجساً لدى اليهود المؤمنين الذين كانت تغمر قلوبهم ثقة وطيدة بتدخل الله لصالح شعبه، بدافع من امانته لعهده. وكانت مِحَن بني اسرائيل قد بلغت أَوْجَها في القرنين الاخيرين ق. م.، ولا سيما في اعقاب الاحتلال الروماني، بحيث لم يعودوا يحلمون -كما في الماضي- بمشيح زمني، من سلالة داود، يعيد لهم كرامتهم ومجدهم الغابر (٢ صم ٧؛ حز٣٤؛ زك٩-١٤ الخ...). ولذا اتجهت أنظارهم كلها نحو الله الذي هو وحده يقدر أن ينقذهم ويحررهم، ويجري انقلاباً وتغييراً في الاوضاع.. وكان يقينهم ان هذا التغيير سيشمل الكون كله، ويسفر عن عالم جديد يعيد الله خلقه!

ومن الجدير بالذكر أن **المؤلفات الرؤيوية** التي ازدهرت في القرن الاول ق. م. قد روَّجت **مفهوماً للمشيح هو أقرب الى الله منه الى البشر**.. حتى ان بعضها اطلق عليه لقب "ابن الانسان" الذي غالباً ما كان له وجه سماوي، بعيد عن واقع البشر، وغير قابل للألم او الموت..[11] هو الذي على يده سيأتي ملكوت الله، ويكون ملكوتاً شاملاً يتم في آخر الازمنة! -ولقد رجَّعَ انجيل يوحنا صدى هذا المفهوم الشعبي لدى اليهود، عن كون المشيح لا يموت، حين تكلّم يسوع عن "ساعة" ارتفاعه.. فكانت ردّة فعل الجمع: "نحن عرفنا من الشريعة ان المسيح يبقى للأبد، فكيف تقول انت انه لا بد لابن الانسان ان يُرفع. فَمَن ابن الانسان هذا (يو ١٢: ٣٤)؟!

---

[11] راجع الاطار ١٥ بشأن "التيار الرؤيوي في زمن يسوع" / الفصل ٢ (عن المدخل الى العهد الجديد في طبعة دار المشرق).

وكثيراً ما كان هذا الانتظار مقترناً بفكرة القيامة العامة -سواء سبقت بمجيء هذا المشيح ام تَلَتْهُ- والتي فيها يتحقق ملك الله الموعود به في آخر الازمنة. ذلك هو، بنوع خاص، ايمان "الفريسيين" الذين كانوا، في زمن يسوع، يعتقدون بأن **المشيح متى جاء فستتم القيامة ويحصل الموتى الراقدون في مثوى الاموات على حياة "مُحَوَّلَة"!** وعلى العكس، لم يكن الصدوقيون -وهم الذين كانوا يرفضون كل اجتهاد خارجاً عن التوراة- يستسيغون فكرة قيامة الاموات التي دخلت في التقليد الكتابي في وقت متأخر.. وقد أصدى العهد الجديد لهذا الموقف (انظر متى ٢٢: ٢٣ وما يقابله لدى مرقس ولوقا؛ رسل ٢٣: ٨)، وكتب عنهم المؤرخ اليهودي يوسيفوس بأنهم "ينكرون الخلود والعقاب والمكافأة في الآخرة"!

إن رَدّ يسوع على الصدوقيين الذين عرضوا عليه مسألة المرأة التي تزوجها بالتتالي الاخوة السبعة (!) يضع الامور في نصابها: "... انكم لا تعرفون الكتب ولا قدرة الله! فعندما يقوم الناس من بين الاموات، فلا الرجال يتزوجون، ولا النساء يُزَوَّجْنَ، بل يكونون مثل الملائكة في السموات..." (مر ١٢: ١٨-٢٧).. ويضيف مؤكداً ان "اله ابراهيم واسحق ويعقوب" هو "اله احياء، لا إله اموات"، مشيراً بذلك الى ان الله لا يمكنه ان يتخلى عن الآباء الذين سيكون لهم معه نصيب في عالم آتٍ (انظر لو ٢٠: ٢٧-٤٠). ويقارب الاب شربنتييه بين هذا النص ونص من سفر "امثال اخنوخ" المنحول حيث جاء: "في تلك الايام.. ستنهض التلال كالحملان المشبعة من الحليب، وسيصبح الكل (الابرار) كالملائكة في السماء" (١ أخنوخ ٤٥: ٤)، مخلصاً الى القول: "كان معاصرو يسوع يقرأون ويفسرون في هذا الضوء جميع نصوص العهد القديم التي من شأنها ان تحمل هذا الرجاء"[١٢].

١- فكرة يسوع عن القيامة

ومما لا شك فيه ان يسوع كان، في توجهه الروحي كما في تعليمه، أكثر قرباً من الفريسيين الذين شاركهم ايمانهم بقيامة الموتى.. وسيمكننا من خلال قراءة مجددة للاناجيل ان نستشف رؤيته للحياة والموت ونَتَلَمَّس "ايمانه بقيامته الشخصية"، من خلال المعنى الذي أضفاه على موته.

---

[١٢] المسيح قام/ ص ٢٧. حفظ لنا "الترجوم" تفسيرات لنصوص من العهد القديم تدلنا على المفاهيم المتداولة في زمن يسوع، بشأن القيامة. ونخص بالذكر الترجوم المتعلق بالعظام اليابسة لدى حزقيال (٣٧) والترجوم الذي يفسر نص أشعيا (٢٦: ١٦-١٩) والذي يعلن عن الانبعاث الجديد الذي سيعقب المحن: " ستحيا موتاك وتقوم جثثهم... ". كما نلفت الإنتباه الى الترجوم الذي يفسر نص هوشع (٢: ٦) "بعد يومين يحيينا وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا امامه "، وقد أصبح في الترجوم: "يعيدنا الى الحياة في يوم التعازي الآتية، وفي اليوم الذي يحيي فيه الاموات، يقيمنا فنحيا امامه"! (انظر أدناه الاطار ٤٩: قام في اليوم الثالث كما في الكتب).

اطار ٤٨

"إله حق وانسان حق"

قد يستغرب القارئ ان نطرح السؤال التالي: "آيّاً كان وعي يسوع لنفسه ولرسالته "؟ بما أنه إله، فهو يعلم كل شيء... لكن بعض النصوص، كالذي يصرّح فيها يسوع بجهله ليوم الدينونة (مر ١٣/٣٢)، تجيز لنا طرح السؤال.

اننا هنا امام سر، ولا يسعنا الا ان نقبض على طرفي السلسلة دون ان نعرف كيف يتمّ ارتباط الواحد بالآخر: يسوع هو إله تماماً وانسان تماماً.

حين نجد أنفسنا امام أحد الاسرار، نميل عادةً الى اهمال أحد وجوهه، او على الأقل الى تفضيل أحدها على سائر الوجوه. وان طريقة معالجة هذا السر يدفعنا طبعاً إلى التركيز على أحد وجوهه. خلال قرون عديدة، كان تفكيرنا اللاهوتي تفكيراً "نازلاً": فإنه تناول سر "ابن الله المتأنس"، منطلقاً من هذه الحقيقة بأن "يسوع هو إله"، ليبيّن انه كان انساناً تماماً. أمّا التفكير اللاهوتي الحاضر، فهو بالاحرى تفكيراً "صاعداً": يعترف بأن يسوع هو إنسان تماماً، فيبحث في الاناجيل عمّا يُظهر، في اعماله واقواله، صلة خاصة وفريدة بالآب يرى فيها لاهوته.

شدّد التلاميذ الاولون على الوجه الالهي خاصة. عرفوا يسوع وعاشوا معه، فكان واضحاً لهم انه كان انساناً مثلهم. فبقي عليهم ان يُثبتوا أنه إله (...)

فالمسيحي يؤكد بوضوح، وفقاً للعهد الجديد والتقليد كلّه، ان يسوع هو ابن الله منذ اللحظة الاولى من الحبل به. وليس في طرح السؤال عن وعي يسوع لنفسه أي شك في هذا الايمان، بل هناك مجرّد محاولة لتحديد وضع هذا الايمان من مصير ذلك الشخص الذي هو انسان تماماً.

فرأي يسوع بقيامة البشر مُستَمَد من الاعتقاد اليهودي، كما عبّر عنه الادب الرؤيوي في أعقاب سفر دانيال. وليس من الغريب **أن يكون يسوع قد تبنى بعمق هذا الرجاء اليهودي بحياة محوّلة**، يحصل عليها الاموات في آخر الازمنة (القيامة العامة)، طالما ان يهوه، اله ابراهيم واسحق ويعقوب، "ليس اله اموات، بل اله احياء" (مر ١٢: ٢٧). **وهذا التحول الجذري الذي تتسم به الحياة في العالم الآتي، ترافقه دينونة أخيرة تكون بمثابة الكلمة الاخيرة التي يقولها الله**، وبها يتم الفصل بين المختارين والهالكين على يد "ابن الانسان". ومما يلفت الانتباه أن الاناجيل عكست كيف اختص يسوع لقب ابن الانسان ووظيفته -وكان سلطانهُ على الدينونة في الذروة من هذا اللقب: "... واولاه سلطة اجراء القضاء لانه ابن الانسان" (يو ٥: ٢٧؛ راجع متى ٢٥: ٣١-٤٦؛ يو ٣: ١٨، ٣٦؛ رسل ١٠: ٤٢).

اما رأي يسوع بقيامته الشخصية، فذلك يفترض معرفة أعماق فكر يسوع إزاء الموت! وكيف يمكننا التوصل الى معرفة خبرة يسوع امام الموت، ونحن نعلم ان الانجيليين لم يكن همهم ان يعكسوا لنا حالات يسوع النفسية، وانما كتبوا بهدف التعليم، في ضوء ايمانهم بقيامته.. علماً بأنه من العسير جداً التمييز بين ما قاله يسوع وبين التفسير الذي أضفته الجماعة المؤمنة على اقواله في ضوء القيامة... ومع ذلك فمن الطبيعي أن نبحث عن أصول القيمة الايمانية التي علّقها

المسيحيون الاولون على موت يسوع، والتي ترجع ولا شك الى موقف يسوع من موته، وثقته المطلقة بيهوه اله الاحياء!

٢- يسوع ازاء موته...

ما هو المعنى الذي أضفاه يسوع على موته؟ هل كان على يقين من ان الله سيقيمه؟! وهذان السؤالان يفرضان سؤالاً ثالثاً: ما معنى انباءات يسوع المتكررة بشأن موته الأليم وقيامته "في اليوم الثالث"؟

يقول آلان مرشدور ان يسوع اكتشف نفسه "كائناً من اجل الموت"! ولا يسوغ لنا القول بأن "ألوهية يسوع قد نجّته من الحدود المخجلة التي يشكلها التساؤل والقلق امام الموت"[١٣]، والا نكون قد نزعنا عنه احد اهم العناصر والملامح التي تكوّن الانسان (**انظر الاطار ٤٨: "اله حق وانسان حق"**). ويلفت مرشدور انتباهنا الى ان الانجيل يفيدنا بالاكثر "عن المعنى العميق الذي أضفاه يسوع على الحياة"، بحيث ان الصورة التي رسمها الانجيليون هي بالاولى صورة رجل في خط الانبياء الذين كانوا يغتذون بكلمة الله: "طعامي أن اعمل بمشيئة من ارسلني وأتمّ عمله" (يو ٤: ٣٤).

وهكذا لم تتوجه حياته نحو الموت بقدر ما توجهت نحو الرسالة الموكلة اليه. وما الموت الذي سيواجهه يسوع سوى نتيجة حتمية لما اتّصفت به رسالته من تحدّ كان لا بد ان يبلغ به الى الموت! أليس اختياره "مشيحانية" تخيّب الآمال سبباً لموته؟ أليست حريته تجاه الشريعة

من المُسَلَّم به، منذ البدء، ان يسوع تما وجاع وبرد وتألم، وتعلّم الكلام والصلاة... ولكن، من كان انساناً -وهذا أمر نشعر به اليوم شعوراً خاصاً- كان حُرّاً، أي استطاع ان يختار، وان يبحث عن طريقته في الحياة، وان يخاطر! وإذا صحّ ان يسوع كان انساناً، فهذا يعني انه كانت له نفسية وحرّية كنفسيتنا وحريتنا.

ظنّ يسوع اولاً، على الارجح، انه سيتوفّق في رسالته بمجرّد قيامه بالتبشير. ولكنه، امام ما لاقاه من المقاومة، واجه امكانية موته قتلاً واعطاه معنى. لم يمثّل تمثيلية في نزاعه في بستان الزيتون.. فقد دخل طوعاً في آلامه، متيقّناً، بحسب المعتقد الفريسي الذي كان معتقده أيضاً، من ان الله سيقيمه في آخر الازمنة، في "اليوم الثالث".

اليك تشبيهاً بشرياً يساعدك على فهم كلامنا، نعلم بأن الطفل "انسان" منذ اللحظة الاولى من حياته، وانه لن يعي ذلك الا تدريجياً. فالاحداث والتفكير تساعده، طوال حياته، على ان يكتشف من هو وما هي مهمته. يجوز لنا ان نعتقد بأن هذا ما جرى ليسوع. كان ابن الله تماماً منذ الحبل به، ولكنه وعى ذلك تدريجياً، وقد ساعدته على ذلك تلك الاختبارات الكبرى التي أنعم الله عليه بالقيام بها، كالمعمودية والتجلي، وتلك القدرة التي اكتشفها في نفسه على شفاء الاجساد وتحويل القلوب.

فإذا أكّدنا ان يسوع "عاش وضعنا البشري في كل شيء ما عدا الخطيئة"، فنحن لا نقلّل بشيء من لاهوته، بل نزداد شعوراً بـ "تواضع الله"، بإله صار انساناً، انساناً تماماً، لكي نصبح الله.

أ. شربنتييه
(عن الدليل / ص ٢٣١)

---

[١٣] الموت والحياة / ص ٤٢.

والسبت (مر ٢: ٢٣-٣: ٦ وما يقابله لدى الانجيليين)، ولا سيما مفهومه عن الله الذي يريد خلاص الخطأة -وقد جسّده يسوع في تعامله معهم (لو ٥: ٢٩؛ ١٥: ٢ت)- مبرراً كافياً للحكم عليه؟ أليست مواقفه الجريئة تجاه زعماء شعبه الدينيين من شيوخ وكهنة وكتبة، وتشهيراته بهم -وقد فضح رياءهم وعبادتهم السطحية- في أصل التحالف والتآمر على قتله؟ ولنا في الاناجيل شواهد كثيرة عن مواقف وتشهيرات كلامية "عجّلت أجَلَه" وجعلته يواجه خطر الموت المبكر والمجبول بالدم! لنتوقف مع الاب مرشدور لدى أربعة مشاهد:

١. ففي انجيل لوقا (١٣: ٣٢-٣٣) نقرأ: " إذهبوا وقولوا لهذا الثعلب: ها اني أطرد الشياطين وأجري الشفاء اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث ينتهي أمري. ولكن يجب ان أسير اليوم وغداً، واليوم الذي بعدهما، لأنه لا ينبغي لنبي ان يهلك في خارج اورشليم"! هذا النص يشير بوضوح الى حسّ داخلي لدى يسوع بدنوّ أجله، ولكنه في الوقت ذاته يشير الى شعوره بأنه يموت موت الانبياء في اورشليم "قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها" (لو ١٣: ٣٤).

٢. وفي انجيل مرقس (١٤: ٦-٨) نقرأ رواية المرأة التي تدهن يسوع بالطيب في بيت عنيا، وجواب يسوع للمستائين: " دعوها... فقد عملت عملاً صالحاً... طيّبت جسدي سالفاً للدفن"! ففي هذا الجواب نكتشف كيف فسّر يسوع عمل المرأة بأنه التعزية المسبقة الممنوحة له، هو الذي شعر بمؤامرة الخصوم على قتله، وتحسس مسبقا انه سيموت موت المجرمين، ويُدفن محروماً من دهن الاموات!

٣. ولا بد من التوقف عند مشهد الجتسمانية حيث واجه يسوع موته المحتّم بثقة تامة في الآب: "نفسي حزينة حتى الموت... يا أبت، انك على كل شيء قدير، فاصرف عني هذه الكأس. ولكن لا ما انا اشاء، بل ما انت تشاء" (مر ١٤: ٣٤-٤٢؛ انظر ما يقابله في متى ٢٦: ٣٦-٤٦؛لو ٢٢: ٤٠-٤٥). انه موقف كل انسان ازاء الموت، وما يُحدثه من حزن وقلق وعزلة... ولعلّ أقسى ما شعر به يسوع من ألم، وهو يواجه دنوّ أجله، هو أنه يموت وكأن حياته ذهبت سدى، طالما ان رسالته رُفِضَت! وما صلاته لتأجيل هذا الموت القريب، الا رغبة منه في محاولة أخيرة لهداية شعبه! الا ان يسوع، وهو ينادي أباه بعبارة "أبّا" (بابا) -ومناداة الله بهذه الدالة كان أمرا جديداً وغريباً، كما أسلفنا!-، يعلن عن قبوله الدخول في مرحلة الصمت مع البشر، تاركاً لأبيه زمام الامور، ومستسلماً لمشيئته بثقة تامة ملؤها الحب والخضوع...

٤. وفي مشهد الجلجلة حيث نرى يسوع على قاب قوسين من الموت، هوذا يطلق صرخته الاخيرة: "ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال: ايلي ايلي لمّا شبقتاني، أي: الهي الهي لماذا تركتني؟" (متى ٢٧: ٤٦ وما يقابلها لدى مرقس ١٥:

٢٤). انها الكلمات الاولى من المزمور ٢٢ الذي تلاه يسوع في ساعة موته، وقد أوردها متى ومرقس ليفهمانا ألم يسوع في موته، واستغاثته با لله الذي بدا وكأنه قد تخلّى عنه (!)، ويكشفا في الوقت ذاته عما في هذا المزمور من صلاة واثقة عميقة تلاها يسوع -وهو ينهي حياته الانسانية في الفشل الظاهري طالما انه مات معلقاً على صليب!! الا ان هذه الحياة التي عاشها في الطاعة التامة، يسلمها بين يدي أبيه، في ثقة لا حدّ لها! وتجدر الاشارة هنا الى ان لوقا (٢٣: ٤٦)، خشية ان يُسيئ قراؤه فهم هذه الصلاة، استبدلها بصلاة من المزمور ٣١، كلها ثقة واستسلام بنوي: "يا أبت، بين يديك أجعل روحي"!

لقد أدرك يسوع بموته على الصليب انه في عداد انبياء العهد القديم وشهدائه الابرار الذين، ساعة موتهم او استشهادهم، ظلوا يرون في الله محاوراً أخيراً جديراً بأن يؤدوا له الشهادة حتى الموت، وأن يجعلوا من موتهم شهادة على أمانتهم. الا ان يسوع لم يعلن عن ان الله، بالنسبة له، محاور أخير حسب، وانما كشف ايضاً عن صلته الوثيقة وألفته العميقة به كونه "أبا"! كما انه أضفى على مصيره الشخصي الخاص قيمة شمولية نستشفها من العبارات الكثيرة التي وضعها الانجيليون -ويوحنا بنوع خاص- على لسان يسوع، وهو يتحدث عن موته جاعلاً منه علامة خلاص! ولا سيما تلك التي ترددت في ساعاته الاخيرة، منذ العشاء الاخير وحتى ساعة الموت: "هذا هو دمي، دم العهد يراق من أجل جماعة الناس" (مر ١٤: ٢٤)...

وهنا تجب الملاحظة بأن المسيحيين الاولين حين أعادوا قراءة حياة يسوع، في ضوء ايمانهم بقيامته، كان لا بد لهم من ان يُضفوا ايمانهم على ما قاله يسوع ابان حياته، وما قام به من أعمال، وما اتخذه من مواقف. ومن هذا المنطلق يتوجب علينا، بأولى حجة، ان نقرأ ما رواه الانجيليون عن آلام يسوع وموته، وما يتعلق بشكل خاص **بإنباءاته المتكررة عن موته** والتي طالما تضمنت **انباءات بقيامته** في اليوم الثالث... وسيكون من غير المعقول ان أن نرى في يسوع انساناً يعرف مسبقاً ما سيؤول اليه مصيره، ونتخيله يبحث عن الآلام والموت صلباً، ليسفر من ثم عن قيامة من القبر بعد ثلاثة أيام!!

ففي **الانباء الاول** بحسب مرقس (٨: ٣١-٣٣) نقرأ: " وبدأ يعلمهم ان ابن الانسان يجب عليه ان يعاني آلاماً شديدة، وان يرذله الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة، وان يُقتل، وان يقوم بعد ثلاثة أيام". ويأتي **الانباء الثاني** في ٩: ٣١ مقتضباً، **والانباء الثالث** في ١٠: ٣٤ أكثر تفصيلاً (انظر ما يقابلها لدى متى ١٦: ٢١-٢٣؛ ١٧: ٢٢-٢٣؛ ٢٠: ١٧-١٩ ولو ٩: ٢٢؛ ٩: ٤٣-٤٥؛ ١٨: ٣١-٣٤). ويمكننا ان نقول، دون تردد، بأن هذه الانباءات الثلاثة هي، على حد تعبير الاب آلان مرشدور،

"نبؤات (بعد حدوثها) دُوّنت بعد الفصح! وهذا الافتراض تثبته الدقة في وصف الإذلال الذي عاناه يسوع"[١٤].

وتجدر الاشارة الى ان كل هذه الانباءات تتضمن الانباء بالقيامة، والقيامة "في اليوم الثالث" او "بعد ثلاثة ايام". ويؤكد مرشدور اننا "امام فقرة من أكثر الفقرات تعبيراً عن المعنى الذي أراد يسوع ان يضفيه على موته". ذلك **لأن لعبارة "اليوم الثالث"، في زمن يسوع، معنى أخيرياً يؤكد على تدخل الله النهائي في آخر الازمنة!** فيسوع لم ينبئ بقيامته في ثالث يوم، أي غداة اليوم الثاني بعد موته، وانما كان يقصد "يوم التعازي الذي فيه يحيي الله الاموات"! وهكذا يتضح ان يسوع عبّر، بمفردات كتابية لها مدلولها اللاهوتي، عن يقينه العميق بتدخل الله في مصيره، باتجاه الانتصار النهائي..! ويستخرج مرشدور الخلاصة: "إذا كانت عبارة (في اليوم الثالث) تشير الى القيامة العامة، فلم تعد في غير مكانها على لسان يسوع، بل كانت، والحالة هذه، التعبير الاكثر صراحةً عن المعنى الذي أضفاه يسوع على موته، **إذ ان يسوع أكّد ان في موته يَتمّ الحدث المتوقع حدوثه في آخر الازمنة، وفي سبيل الجماعة كلها"**[١٥] **(انظر الاطار ٤٩: "قام في اليوم الثالث كما في الكتب").**

٣- التلاميذ إزاء موت يسوع وقيامته

لن نغالي إذا قلنا بأن تلاميذ يسوع الذين رافقوه في حياته العلنية، وسمعوه يعلّم ورأوا معجزاته.. لم تتضح لهم هويته "المشيحية" قبل قيامته. ولم يكن بوسعهم ان يروا فيه ما اتضح لهم بعدئذ، هم الذين، بعد القيامة، أخذوا يعيدون قراءة حياته كلها في ضوء الاسفار المقدسة. وليس تأكيدنا هذا اعتباطياً، سيما بعد ان قلنا مراراً ان كل ما روته الاناجيل، انما روته في ضوء القيامة، وان ما نسب الى يسوع من تصريحات حول بنوّته الالهية وسيادته المسيحانية.. انما هي تصريحات مُحمَّلة بالوحي الإلهي بشأن قيامته. كما ان كثيراً مما نسب الى الرسل والتلاميذ من إعلانات ايمانية، خلال معايشتهم ليسوع -ولعل من أعظمها اعتراف بطرس به انه "المسيح ابن الله الحي" (متى ١٦: ١٦)-، إنما هي اعترافات واعلانات أضفيَ عليها غنى الإيمان الفصحي! وهكذا هي الحال مع العديد من الروايات التي دوّنها الانجيليون وضمّنوها ايمانهم وايمان جماعاتهم بيسوع القائم من بين الاموات -وهو "المسيح الرب"-، وتأتي في المقدمة روايات الطفولة لدى كل من متى ولوقا[١٦]، وما يقابلها من تأمل في أصل يسوع الالهي في انجيل يوحنا...

---

[١٤] الموت والحياة / ص ٤٥.

[١٥] المصدر ذاته / ص ٤٦.

[١٦] راجع ما قلناه عن أناجيل الطفولة / الفصل ٤.

إطار ٤٩

"قام في اليوم الثالث كما في الكتب"

انها صيغة عريقة جداً للتعبير عن الايمان المسيحي بقيامة يسوع من بين الاموات. ولطالما استخدمها الرسل والمسيحيون الاولون في مناداتهم وكرازتهم بالرب يسوع، فأصبحت اشبه بـ "قانون ايمان" سلّمه القديس بولس -كما تسلّمه هو- الى اهل قورنتس (١ قور ١٥: ٤)، وهكذا يكون اول من حفظ هذا التعبير الايماني، وقبل تدوين الاناجيل...

"كما في الكتب"! ما أعظم هذه العبارة التي تُـهمَل او يُحَجَّم مفهومها.. في حين ان قيامة المسيح تندرج في تدبير الله الخلاصي الذي تعكسه الاسفار المقدسة! ففيها، وبنور الروح القدس، نكتشف سر القيامة الذي ستوجزه الكرازة الرسولية، وترجّع صداه من ثم الاناجيل، عبر انباءات يسوع بموته وقيامته "في اليوم الثالث"، او عبر رواية القبر الفارغ... وينفرد لوقا بترديد عبارة "اليوم الثالث"، مرة اولى، على لسان الملاك للنسوة: ".. اذكرن كيف كلّمكن.. فقال: يجب على ابن الانسان.. ويقوم في اليوم الثالث" (٢٤: ٧)؛ ومرة ثانية، على لسان يسوع ذاته لدى ترائيه للأحد عشر حين فتح اذهانهم وقال لهم: "كُتب ان المسيح يتألم ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث..." (٢٤: ٤٦).

ولكي نفهم مدلول عبارة "اليوم الثالث"، يجب ان نضعها في سياق المعنى الذي كان لها في زمن يسوع، ولا سيما المعنى الذي اتخذته على لسان المسيحيين الاولين: هل نحن بازاء اشارة زمنية (غداة اليوم الثاني) ام ازاء مضمون لاهوتي؟

لقد وردت عبارة "اليوم الثالث" في العهد القديم (تك ٢٢: ٤، حز ١٩: ٦، يون ٢: ١...) وبمدلول يتجاوز احياناً المعنى الحرفي والعددي (انظر تك ٢٢: ٤- وقد فسّر الربانية اليهود اليوم الثالث بأنه "اليوم الذي فيه تُردّ الحياة للاموات"! , ولعل أبرز نص يُجمع المفسرون على انه وراء مضمون لاهوتي عن القيامة، هو نص هوشع (٦: ٢) - وقد عرف تفسيره ثلاثة مستويات: ويبدأ بشبه عودة جماعية الى التوبة: " هلموا نرجع الى الرب، لأنه هو افترس، وهو يشفينا...

النص العبري	النص اليوناني (الترجمة السبعينية)	النص الارامي (الترجوم)
بعد يومين	بعد يومين	في يوم التعازي
يحيينا	يشفينا	يعيدنا الى الحياة
وفي اليوم الثالث	وفي اليوم الثالث	وفي اليوم الذي فيه
يقيمنا	نقوم	يحيي الاموات يقيمنا
فنحيا امامه	فنحيا امامه	فنحيا امامه

وهكذا نرى عبر "الترجوم" كيف تمّ الانتقال من مجرد صورة النهوض في الاساس، الى تأكيد القيامة، ومن مجرد ملاحظة زمنية في البدء (يومين او ثلاثة)، الى معنى لاهوتي بشأن قيامة الموتى (المسيح قام / ص ٢٧)، بحيث أصبحت عبارة "اليوم الثالث" تعني "يوم آخر الازمنة" أي يوم "إحياء الاموات" او بتعبيرنا "يوم القيامة العامة"!

ويقول الاب شربتييه (الدليل / ص١٥٠) بأن التلاميذ حين تكلموا عن "اليوم الثالث كما في الكتب"، لم يقصدوا تاريخاً معيناً (ولا نعرف متى جرى الحدث.. والنصوص تصرح فقط بأن النساء لاحظن القبر الفارغ يوم الاحد صباحاً)، وانما كانوا يعلنون ايمانهم، أي ان يوم القيامة العامة (اليوم الثالث) قد أتى مع قيامة يسوع، وان قيامتنا نحن هي وراءنا، طالما انها تمت في يسوع".

لقد توسّم الرسل الاثنا عشر في معلمهم يسوع ملامح "المشيح" الآتي، باسم يهوه، ليوطد ملكوته، ويضع حدّاً للمعانيات التي يعيشها "شعب العهد" -وإن كان يكتنف تلك الملامح غموض بين صورة المشيح الزمني التي كانت تدغدغ بعضهم، وبين صورة "ابن الانسان" التي كان يروّجها أصحاب الرؤى. وقد تكون دغدغتهم أحلام حول موقعهم في مملكة يكون فيها معلمهم ذاك المشيح الملك، الذي يقيم عرش داود، كما عكسه هتاف السعانين بحسب انجيل مرقس: "تبارك الآتي باسم الرب، تباركت المملكة الآتية، مملكة ابينا داود" (١١: ٩-١١)! ألا يرجّع طلب التلميذين، ابني زبدى (مر ١٠: ٣٥ت، وما يقابله في متى ٢٠: ٢٤ت)، صدى هذه التطلعات؟! **(انظر الاطار ٥٠: ملكوت الله قد حل)**.

وسرعان ما أصبح الرسل في مأزق حرج.. وقد أخذوا يشهدون تطور الاحداث باتجاه سلبي، ويلمسون المخاطر التي كانت تهدد حياته، وهو الذي كثيراً ما اتصفت أقواله بالجرأة النادرة، ومواقفه بالحرية المطلقة، فكاد لا بد ان تتمخض عن مأساة! ولطالما ساورتهم الشكوك والتساؤلات، بالرغم من حبهم واحترامهم لهذا المعلّم وتعلقهم به: فإذا كان يسوع هو النبي الآتي، الناطق باسم الله، فكيف يمكن لله أن يترك أعداءه يتغلبون عليه وينفذون مؤامرتهم للقضاء عليه؟ وإذا كان يسوع هو المشيح الملك، فكيف يمكن ان يتعرض

اطار ٥٠

ملكوت الله قد حلّ!

"ملكوت الله" -او "ملكوت السموات"، تحاشياً لذكر اسم الله بدافع الاحترام- عبارة كثيراً ما وردت في الاناجيل الازائية (١٤ مرة لدى مرقس، ٣٢ مرة لدى متى، ٣٩ مرة لدى لوقا)، على لسان المعمذان بشأن اقتراب زمن الملكوت (مر ١: ١٥، متى٣: ٢)، ولا سيما على لسان يسوع (متى ٤: ١٧)، سواء تحدث عنه بالامثال -وهي كثيرة- ام بكلام صريح، كما حين تحدث عن ابناء الملكوت الذين يُطردون منه، فيما يتكئ فيه اناس من المشرق والمغرب (متى ٨: ١١ت؛ لو ١٣: ٢٨ت)..!

وكلمة "الملكوت" كانت تعني أصلاً "مملكة"، وتستخدم للتعبير عن "مُلك" الله -وذلك لأن المُلك ليهوه، وهو وحده الملك! وما الملوك سوى ابنائه وممثليه في وسط شعبه.. فكان عليهم من ثم ان يعكسوا برّ الله وعدله وسلامه... وحين يختبر بنو اسرائيل فشل الملكية الارضية، ولا سيما ابان الجلاء الى بابل مع آخر ملك، كانت الابصار تتطلع بأمل باتجاه يهوه، كي يمسك بزمام الامور ويقيم ملكه ويتصرف كملك أوحد، يوطد الحق والبر والعدل والسلام (أشعيا الثاني: ٤٠-٥٥). ويلفت الاب شربنتييه الانتباه (الدليل / ص ١٧٩) الى ان هذا الانتظار تغذى بفكرة "المشيحانية" التي بموجبها يقيم الله ملكه بواسطة "مشيحه" الذي تنعكس ملامحه في صورة "ابن داود" المثالي (٢ صم، حز ٣٤، زك ٩-١٤، مز ٢...)، بينما كانت الرؤى التي ازدهرت في القرنين الاخيرين ق. م. تتطلع الى مُلك شامل ينجزه الله في آخر الازمنة على يد "ابن الانسان" (دا ٧)...

ويشير الاب شربنتييه الى ان وظيفتي الملك الرئيستين في فكر بني اسرائيل (الحرية والعدل) سيقوم بهما الله على الوجه الاكمل: كان على الملك ان يؤمّن الحرية لشعبه فيسحق اعداءه -ومن هنا كانت تطلعات بعض الجماعات اليهودية في زمن يسوع الى اليوم الذي فيه ينشئ

الله ملكوته، وينجز تحرير شعبه من الاحتلال الروماني (انظر لو ٢٤: ٢١)! وغني عن القول ان يسوع تجنب كلياً هذا الوجه السياسي للملكوت الله وللمشيحانية. كما كان على المَلك، بحسب قلب الله، ان يُحلّ العدل بين الشعب، متخذاً جانب المساكين والمظلومين والمقهورين.. حاملاً اليهم بشرى الخلاص والتحرير... ومن هنا كان اعلان اشعيا الثاني بشرى "ملك الله" الذي يرافقه زوال الظلم والبؤس بكل اشكالهما... ولقد عكست كرازة يسوع بشرى التحرير هذه (انظر التطويبات/ الفصل الخامس)، فيما جسّدتها مواقفه من المرضى والمعذبين والصغار والهامشيين، وفي مقدمتهم الفقراء والخطأة (لو ٤: ١٦ت = إش ٦١: ١). فلقد كانت معجزاته علامة مجيء ملكوت الله الحافل بالخلاص (متى ١١: ٢ت؛ لو ٧: ١٨ت= أش ٢٦: ١٩؛ ٣٥: ٥؛ ٦١: ١ ت).. ولعل أعظمها كانت قدرته على وضع حدّ لسلطان الظلمة عبر إخراج الشياطين: "... إذا كنت انا بروح الله أطرد الشياطين، فقد وافاكم ملكوت اله " (متى ١٢: ٢٨؛ لو ١١: ٢٠)!

فلا عجب إذا ما رأى الرسل والتلاميذ الأولون، في قيامة يسوع من بين الاموات، العلامة الكبرى والحاسمة لحلول ملكوت الله! ذلك لأنهم، ما ان أدركوا -في الايمان- بأن الله أقام يسوع، أدركوا في الوقت ذاته ان الله صادق على كل ما قاله يسوع وفعله، جاعلاً منه "ربّاً ومسيحاً"، ومنصّباً اياه "ابنا لداود"، وملكاً ابدياً على عرش لا يزول.. معلناً انه "ابنه الحبيب" الذي يجب ان يسمع له الجميع! كما ادركوا للحال ان الله أقامه "في اليوم الثالث" لكونه بدء الازمنة الاخيرة! وأخذوا يفهمون ان يسوع الناصري المصلوب قد نُصّب في دور "ابن الانسان" الذي أولي كل سلطان.. وأصبح من ثم "ديّاناً للاحياء والاموات"...

وهكذا كانت قيامة المسيح إيذاناً بافتتاح ملكوت الله، أي بدء عالم جديد يرسو على القيم والمثل التي جاء بها يسوع. وسيترتب على المؤمنين بقيامته ان يسعوا الى مواصلة بناء هذا الملكوت..!

للرفض ويخضع للألم والموت، وأي موت؟ انها المفارقة الكبرى! فحين أصبح هذا المعلم الذي أحبوه وتبعوه، تحت رحمة خصومه من الكهنة والكتبة والشيوخ، كان ذلك لهم دليلاً واضحاً وكافياً بأنهم خسروا الرهان! -وكانوا قد راهنوا على كون يسوع هو ذاك "الذي يفتدي اسرائيل"(لو ٢٤: ٢١)!!

ولا عجب والحالة هذه ان يصاب الرسل وجمع التلاميذ الاولين بحيرة شديدة لدى موت يسوع مصلوباً، ويُمنوا بخيبة أمل مريرة. ولعل هربهم في ساعة المحنة ونكران بطرس.. أبلغ تعبير عن خيبة الامل التي عرفوها! وليست خيانة يهوذا ذاتها بعيدة عن هذه الخيبة التي مني بها، هو الذي كان قد علّق على يسوع آمالاً كبيرة -يشاركه فيها كثيرون من زملائه!- وفي مقدمتها طرد المستعمر الروماني وإعادة مملكة اسرائيل... أوَلم يصدي لوقا لهذه الاحلام في وجدان الرسل، حين وضع على لسانهم هذا السؤال الذي طرحوه على يسوع القائم من بين الاموات: "يا رب أفي هذا الزمن تعيد الملك الى اسرائيل؟"(رسل ١: ٦، راجع لو ١٩: ١١؛ ٢١: ٨؛ ٢٤: ٢١)! ولكَم أصدت الأناجيل لسوء فهم التلاميذ وعجزهم عن تحمّل بعض أقوال يسوع أو مواقفه!

ان الاناجيل مليئة من هذه الاشارات التي انزلقت من ريشة الكتّاب، بقصد أو بغير قصد! فإلى جانب ما ذكرناه

أعلاه عن إصداء إنجيل يوحنا لسوء الفهم لدى التلاميذ، في مواقف ثلاثة على الاقل (٢: ١٩ت؛ ٧: ٣٧ت؛ ١٢: ١٦)، انجلت من ثم في ضوء القيامة وبنور الروح القدس الذي قام بعمل "المُذَكِّر" (١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٣).. هناك موقف نموذجي لسوء الفهم جاء على لسان بطرس -ويا للمفارقة!- بعد اعترافه بمشيحانية يسوع في قيصرية فيلبس، حيث نقرأ في انجيل مرقس كيف أن يسوع بدأ "يعلّمهم" بشأن آلام "ابن الانسان"، وبشكل صريح! وما ان أدرك بطرس ان "يسوع" الذي اعترف به "مسيحاً" سيعاني آلاماً شديدة.. هوذا ينفرد به و"يعاتبه"! ويأتي جواب يسوع واضحاً، حازماً، قاسياً وزاجراً: "انسحب! ورائي! يا شيطان، لأن افكارك ليست افكار الله بل افكار البشر" (مر ٨: ٣٢-٣٣، انظر ما يقابله في متى ١٦: ٢٢-٢٣ حيث يضيف: "فأنت لي حجر عثرة!"، فيما أغفل لوقا هذا المشهد!).

الا ان سوء الفهم لدى التلاميذ ينكشف بشكل جلي في ما يتعلّق بمفهوم قيامة الاموات، وبأولى حجة في ما يتعلّق بانباءات يسوع عن قيامته في اليوم الثالث! ولقد سبق لنا ان قلنا بأن الايمان اليهودي بقيامة الاموات لم يكن قد عمّ اليهود في كل مكان. فلا عجب إذا كان الرسل الذين اختارهم يسوع من الصيّادين البسطاء في الجليل، يجهلون تطوّر الفكر الديني الذي كان من نصيب الأوساط الدينية في اورشليم، والاوساط الفرّيسية بنوع خاص. ويقول الاب مرشدور بهذا الصدد: "لا عجب ان يغفل صيادون جليليون عن نقاش يهم اللاهوتيين خاصة. ففي مثل هذا الجهل قد نجد فائدتين: من جهة اولى، نرى لماذا لم يفهموا إنباء يسوع بالقيامة؛ ومن جهة اخرى، يدل ذلك على ان الايمان بالقيامة قد فُرض عليهم من الخارج"[١٧]!

وتزداد القناعة لدينا حين نقرأ رواية التجلي في إنجيل مرقس: فمرقس لم يتردد من ان يرينا بطرس -وهو معجب بمظهر يسوع بمعية ايليا وموسى اللذين كانا يكلمانه!- يقترح نصب ثلاث خيم.. ليصفه من ثم بهذه الكلمات: "... ولم يكن يدري ماذا يقول"!! الا ان بيت القصيد هو ان يسوع اوصاهم "الا يخبروا أحداً بما رأوا الا متى قام ابن الانسان من بين الاموات"! ويأتي تعليق مرقس بهذه العبارات: "فحفظوا هذا الامر واخذوا يتساءلون: ما معنى القيامة من بين الاموات؟"! (٩: ٢- ١٠). وهناك قراءة ثانية للآية الاخيرة: ما معنى "متى قام من بين الاموات"؟ انظر ما يقابله لدى متى ١٧: ١ت، ولوقا ٩: ٢٨ت، وكلاهما يوحيان ايضاً بأن الرسل الثلاثة ائتمروا بوصية يسوع دون ان يفهموا شيئاً!

فإذا كان سوء الفهم قد بدا على التلاميذ لدى الحديث عن قيامة الاموات، فلَكَم إنكشف سوء فهمهم لدى إنباء يسوع بقيامته في اليوم الثالث! فلقد عكس لنا الازائيون

---

[١٧] الموت والحياة / ص ٤٢.

في الانباء الاول -كما رأينا أعلاه- عدم فهم التلاميذ الذي اتضح عبر تدخل بطرس ومعاتبته ليسوع، رافضاً فكرة "مشيح" يتألم ويرذل ويقتل.. وفي الانباء الثاني بحسب مرقس، نجدنا بازاء هذا التعليق: "فلم يفهموا هذا الكلام وخافوا ان يسألوه"! (مر ٩: ٣٢)، بينما اكتفى متى بالقول: "... فحزنوا حزناً شديداً" (١٧: ٢٣). فلو فهموا معنى "قيامته في اليوم الثالث" لما حزنوا!! أمّا لوقا الذي كتب: "ان ابن الانسان سيسلم الى ايدي الناس" -ويبدو ان هذه الصيغة هي الاكثر قدماً من سائر الانباءات- فلقد أضاف تعليقاً مسهباً بقوله: "... فلم يفهموا هذا الكلام، وكان مغلقاً عليهم، فما أدركوا معناه، وخافوا ان يسألوه عن ذلك الأمر" (٩: ٤٥)!

وبعد الانباء الثالث يروي لنا مرقس طلب ابني زبدى الذي يكشف هو الآخر عن سوء فهم كامل لطريق يسوع، او على الاقل يكشف على الأقل عن أحلام بشأن مشيحانية زمنية، طالما انهما يرومان الجلوس عن اليمين وعن اليسار.. (١٠: ٣٢ت)! وهكذا فعل انجيل متى (٢٠: ١٧ت)، بينما لم يرو لوقا طلب ابني زبدى، بل اكتفى بتزديد ما سبق ان قاله بشأن الانباء الثاني: "... فلم يفهموا شيئاً من ذلك، وكان هذا الكلام مغلقاً عليهم، فلم يدركوا ما قيل" (١٨: ٣١ت).. ولكنه سيعود فيصدي للجدال بين التلاميذ، في من هو الأكبر، مؤكداً على تعليم يسوع بشأن الخدمة (٢٢: ٢٤-٣٠).

وغني عن القول ان ما أدهش الرسل وتركهم في حيرة وتساؤل وعدم فهم هو كلام يسوع ذاته عن قيامته الشخصية وموعدها القريب! وهم الذين كان باستطاعتهم، في أحسن الاحوال، ان يتوقعوها في آخر الازمنة، وبعد مجيء "المشيح"!! ذلك لأن سياق الحديث في الاناجيل عن "قيامة في اليوم الثالث"، يكشف عن حقيقة أخرى ليست من قبيل المعجزات التي اجترحها يسوع، حتى وان كانت معجزة إحياء موتى! فلم يكن من العسير على مؤمنين ان يروا اصبع الله[١٨] في انبيائه واصفيائه...

والخلاصة هي ان التلاميذ، كما أصابتهم خيبة أمل مقترنة بالحيرة ازاء موت يسوع على الصليب.. هكذا **ستصيبهم دهشة أكبر وحيرة أعظم حين سيتلقون وحي**

---

[١٨] كثيراً ما يُصدي الانجيليون لقدرة الله التي كانت تشفي المرضى على يده (لو ٥: ١٧، انظر يو ١١: ١)، كما مكّنت من قَبلُ النبيين ايليا واليشاع من صنع معجزات باهرة، كتكثير الارغفة واحياء موتى (١ مل ١٧؛ ٢ مل ٤-٥)!.. وكثيراً ما كانت معجزات يسوع تحمل على تمجيد الله: لدى شفاء مقعد كفرناحوم (لو ٥: ٢٥؛ مر ٢: ١٢؛ متى ٩: ٧) ولدى احياء ابن ارملة نائين (لو ٧: ١٦) حين هتف الجمع: "قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه"! كما بعد شفاء البرص العشرة وعودة السامري وهو يمجد الله (لو ١٧: ١٥)، وبعد شفاء اعمى اريحا (لو ١٨: ٤٣).. ذلك لأن المعجزات هي علامة زمن الخلاص الذي تم بيسوع. ومن هنا كان جواب يسوع لموفدي المعمذان: "اذهبا فأخبرا يوحنا بما سمعتما ورأيتما: العميان يبصرون، العرج يمشون مشياً سوياً، البرص يُبرأون والصم يسمعون، الموتى يقومون، الفقراء يُبشَّرون..." (لو ٧: ٢٢، انظر متى ١١: ٢ت)! -ورأينا أعلاه كيف ان تبشير "الفقراء" كان العلامة المميزة لخلاص الله (لو ٤: ١٨ت - أش٦١: ١-٢).

القيامة -و لم يكونوا البتة يتوقعون حدوثها في ثالث يوم بعد موت يسوع! والا لكانوا رابطوا امام القبر ليشاهدوا الحدث!! فلو كانوا قد أدركوا معنى قيامته.. لَمَا هربوا وتبددوا، ولما أصيبوا بالهلع ابان الآلام والصلب.. ولَمَا انكر بطرس، ولَمَا خان يهوذا!!! ونحن نعلم أن وحي القيامة -وقد فُرِضَ عليهم من فوق- تقبّله الرسل والتلاميذ الاولون في الايمان، و لم يكن بوسعهم ان يشاهدوا ما لا يشاهَد الا بعيون الايمان!

ثالثاً: قيامة يسوع في ايمان المسيحيين الاولين

ان السؤال الأساس الذي نطرحه في هذه الفقرة هو: كيف استطاع التلاميذ والمسيحيون الاولون ان يوفّقوا بين رجائهم باتجاه "اليوم الثالث" بصفته يوم آخر الازمنة -وفيه يقيم الله الاموات ويُجري الدينونة- وبين ايمانهم بأن يسوع الناصري المصلوب قد أقامه الله من بين الاموات "في اليوم الثالث كما في الكتب"؟ الا ان هذا السؤال يفترض اولاً ان نكون قد أجبنا على الشق الثاني من السؤال: كيف أدرك الرسل والتلاميذ الاوائل حقيقة قيامة يسوع، وهم الذين لم يكونوا يتوقعونها البتة في حاضر قريب؟ وكيف تلقوا هذا الكشف عن قيامته، بحيث أصبح منطلقاً لمناداتهم بهذه الحقيقة الكبرى على رؤوس الملأ، وبجرأة وشجاعة لا نظير لهما؟! ما هو في الواقع مضمون هذه البشرى؟ وما هو معنى مناداتهم التي توجزها هذه العبارة: "قام المسيح من بين الاموات... ونحن شهود"! وبكلمة: ما هو المضمون الإيماني الذي احتوته هذه البشرى بقيامة المسيح؟[١٩].

إنها الاسئلة الاساسية التي تحملنا على الانكباب على هذه الحقيقة الكبرى في ايماننا المسيحي، في محاولة جادة للدخول الى مضامينها واكتشاف انعكاساتها الايمانية وابعادها الروحية في حياتنا المسيحية... وسنتناولها في خمس نقاط:

١-مضمون بشرى القيامة

٢-المناداة بحقيقة القيامة

٣-صيغ التعبير عن القيامة

٤-اولى الشهادات الايمانية عن القيامة

٥-خبرة القيامة في حياة القديس بولس ورسائله

---

[١٩] راجع مقالنا في مجلة الفكر المسيحي عبر ملفين في عددين متتاليين (نيسان وآيار ١٩٩٠) بعنوان: "القيامة في ايمان المسيحيين الاولين".

وفيما نخوض غمار هذا الموضوع الجوهري والدقيق، نؤكد من جديد بأننا على عتبة سر سام، عجيب ومدهش.. واننا سنتلمّس طريقنا اليه بنور الروح القدس الذي هو وحده قادر ان يجعلنا نقول عن يسوع انه "الرب" (١قور ١٢: ٣)، باعترافنا بأن الله قد أقامه وجعله "ربّاً"! لا بل "ربّ المجد"!

١- مضمون بشرى القيامة

في سياق المفاهيم البيبلية التي استعرضناها أعلاه، يتضح لنا ان حقيقة قيامة المسيح هي من طراز لاهوتي فائق وفريد، وقد كانت وما تزال منعطفاً غيّر مجرى التاريخ.. الا انها حقيقة من مستوى الايمان والخبرة الايمانية! انها بشرى كبرى يتمحور حولها **حدثان تاريخيان** مثبتان بالشواهد والبراهين التاريخية: "**حدث**

"... وهذا هو المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه"
- في هذه اللوحة لفرا أنجيليكو (١٣٨٧-١٤٥٥) نجدنا بإزاء القبر الفارغ.. وملاك يكشف وهي القيامة، فيما نشاهد المسيح الممجد.

صلب يسوع الناصري"، و"حدث نشوء جماعات مسيحية"، ومنذ الثلاثينات، في فلسطين وعلى امتداد حوض البحر الابيض المتوسط، وهي تعترف به "الرب" الحي والحاضر في وسطها! ذلك لأن **حقيقة قيامة يسوع تندرج بين الحدثين:** فمنها انطلق ايمان هذه الجماعات، وعليها يرسو كقاعدة صلبة... وهذه الحقيقة الثابتة والاكيدة لا نبخسها حقها إذا قلنا بأنها ليست حدثاً من التاريخ -إذ لم يكن بوسع أحد أن يشاهد هذا الحدث الذي هو فعل الله!-، ولكنها في الوقت ذاته حقيقة تاريخية[٢٠] في نتائجها وانعكاساتها.. من خلال ايمان الجماعة المسيحية التي ما زالت، منذ الفي عام، تشهد للمسيح القائم من بين الاموات! وهنا يكمن البرهان الساطع على القيامة...

ويفرض السؤال نفسه: كيف تم الانتقال، لدى الرسل والتلاميذ

اطار ٥١

ثلاثة من بين الموتى...

تنقل لنا الاناجيل ثلاث روايات "إحياء" موتى. ويمكننا القول بأن الانجيليين ارادوا، من خلال هذه التجليات الخارقة الثلاثة لقدرة يسوع وشفقته، ان يطلعونا على شيء من سره، وعلى المصير الذي ينتظر كافة التلاميذ الذين يسمعون كلمته الحية.

● *ابنة يائيرس (مر ٥: ٢٢-٤٣)*

يروي الانجيلون الازائيون الثلاثة إحياء ابنة يائيرس، كل بحسب عبقريته الخاصة. ويمكننا ان نلاحظ القالب المسرحي المتدرّج في الرواية: الفتاة مريضة جداً بحسب مرقس.. وقد اشرفت على الموت بحسب لوقا.. وقد توفيت الآن بحسب متى.

لنركّز اهتمامنا على نص مرقس لا غير كي نبرز بعض ملامحه:

الفتاة على ابواب الموت، وهي بحاجة الى وسيط. هوذا والدها، يتحرك للحصول على تدخل يسوع. هذا الوالد، هو من أشراف اليهود، كما يوحي اسمه. وتشدد الرواية على قوة ايمانه.. انه يؤمن بقدرة يسوع الشفائية. اما ثقته فقد صمدت تجاه خبر موت ابنته -موت جعل تدخّل يسوع يبدو عبثاً! الا انه حين قبل كلام يسوع القائل: "لا تخف، آمن فقط"، فقد وجد في ذاته انساناً قريباً الى الله.. مما يؤهله لأن يستفيد من قدرته الالهية على اعادة الحياة!

وبقدر ما يقترب يسوع من الفتاة، نجد الرواية تطول: فالمسافة بعيدة! وها نحن يزاء خبر وفاة الفتاة.. ويتم إقحام رواية المرأة المنزوفة منذ اثنتي عشرة سنة... وقد اتخذ هذا القالب المسرحي قوة بفعل السر الذي أحاط تدخل يسوع النهائي: فالجميع يختفي، ويسوع لا يدع أحداً يرافقه عدا بطرس ويعقوب ويوحنا، الشهود المميزين في التجلي والنزاع في الجثسمانية. وحين يصل الى البيت يطرد الهازئين، ولا يبقى سوى الرسل الثلاثة ووالدي الفتاة. وكلام يسوع ينهض الفتاة من رقادها: ذلك لأن الموت بالنسبة الى يسوع، هو أشبه برقاد يستفيق منه من يرتضي بأن يسمع صوته! فما ان أُفيقت الفتاة، وإذا بها تستعيد حياتها وتعود الى الواقع اليومي عبر امر يسوع باطعامها. وتنتهي القصة بشكل مفاجئ بمشهد فرض الصمت! الا ان الرواية تبدو وكأنها تقول لنا بأن زمن الصمت قد انتهى: ذلك لأن المؤمنين يدركون الآن بأن ليسوع سلطاناً على الموت: فكل الذين يسمعون صوته يدخلون الحياة منذ الآن!

---

[٢٠] راجع الاطار ٣: "ما هو الحدث التاريخي؟" / الفصل الاول.

• ابن ارملة نائين (لو ٧: ١١-١٧)

انفرد لوقا بذكر الحدث الخارق الذي يروي مشهد شاب ميت يُحمَل الى القبر. وخلافاً لرواية مرقس السابقة، نرى لوقا يعطي المشهد أقصى ما يمكن من الاعلام: نحن بازاء لقاء جمعين كبيرين: جمع يتبع يسوع، وجمع يشيّع الشاب الميت.

ويظهر يسوع بصفته سيد الحياة، الممتلئ من قدرة الله والمدفوع بالحنان.. فلقد أخذته الشفقة امام دموع الارملة. وبكلمة واحدة منه، ينتصب الشاب ويستعيد قدرته على النطق، ويرجع الى حضن الاسرة.. ولا يقال شيء حول مصيره اللاحق. فيسوع هو محور الرواية: حضوره، هو في حد ذاته، سلاح ضد الموت، وشهرته امتدت الى كل المنطقة! فازاء سلطان الموت الذي ذهب بالشاب الى الاختفاء التام، هوذا صوت يسوع الحي يضع له حداً، وبشكل فاعل. ولوقا حين دبّج روايته، استذكر رواية مشابهة تجلّت من خلالها قدرة الله العاملة بالنبي ايليا (١ مل ١٧: ١٧-٢٤)!

• لعازر، صديق يسوع (يو ١١)

قيامة لعازر يوردها لنا إنجيل يوحنا وحده. انها أكثر الروايات الثلاث إثارة. اربعة ايام انقضت منذ ان وضع في القبر صديق يسوع، وها ان الرائحة أخذت تنبعث من جثته! ويشدد الانجيلي، أكثر من مرقس، على عنصر الرقب في إثر تأخر يسوع عن الوصول الى القبر!

لنقارن هذه الروايات التي لا تخلو من نقاط مشتركة. ان دور الوسيط هو من الاهمية بمكان: فالشفقة على الام هي التي تستحث المعجزة الثانية. وهنا في قيامة لعازر، نقرأ تدخل الاختين في صالح اخيهما المريض. وفي الحالات الثلاث يبدو الموت بمثابة رقاد، بوسع كلام يسوع القدير ان يوقظ منه. وتنتهي الروايات الثلاث بطابع يكاد يكون مبتذلاً ومدهشاً لأول وهلة: فيسوع يرد الشاب الى امه، ويأمر ان تُعطى الفتاة طعاماً، ويعيد لعازر الى الحياة اليومية! ومن الملاحظ ان (الناهضين) الثلاثة يبقون صامتين: فلا شيء عن ردود فعلهم.. كما لو ان الراوي تعمّد ابقاء الصفحة بيضاء كي يكون بمقدورنا، نحن القراء، ان نملأ ها.. كما أنشد، بحق، القديس غريغوريوس النيزي:

على كلمتك رأى النور ثلاثة من الاموات
ابنة الامير، ابن الارملة،
ولعازر الذي خرج من القبر نصف متفسّخ
اجعلني اكون الرابع!

آلان مرشدور

ترجمة عن الفرنسية للعدد ٢٧ "الحديث عن القيامة"
(ملفات الكتاب المقدس/آذار ١٩٨٩)

الاولين، من خيبة الامل التي أصيبوا بها ازاء صلب يسوع، الى اليقين المكين من ان الله أقامه من بين الاموات وجعله "ربّاً ومسيحاً"؟ وكيف تحوّلوا من رجال اكتنفتهم الحيرة والشكوك، الى شهود ينادون عالياً بقيامة المسيح، وبيقين الايمان الراسخ حتى الشهادة بالدم؟!

لقد كان على الرسل ان يمضغوا، وعلى مدى سنين، هذه الحقيقة التي كشفها لهم الله وقبلوها في الايمان. وهي **تندرج في سياق الايمان بالله العهد، الاله الحي، الامين، الوفي، العادل**.. الذي يسعى دوماً الى خلاص شعبه. وسيدركون مضمونها وابعادها في ضوء الاسفار المقدسة التي تحكي قصة امانة يهوه لعهده مع شعبه... ففي هذا السياق يجب ان نفهم حقيقة قيامة يسوع، كون يهوه، الله العهد، الذي هو أقوى من الموت، "يقيم اصفياءه في دينونة أخيرة على اعدائهم! إنها **فعل وفاء الله**:

يحقق ويثبّت العهد في يومه والى الابد -وما (اليوم الثالث) سوى (يوم يهوه)، يوم الدينونة الاخيرة..."[٢١]. فليست قيامة يسوع معجزة تمت في اطار مبدأ خلود النفس، مما يجعل منها عملية اتحاد نفس يسوع بجسده بعد انفصالهما بالموت! -مثل هذه الثنائية غريبة عن التفكير الكتابي والانتروبولوجيا الساميّة، سيما ونحن نعلم كم تأخر لدى اليهود الايمان بالقيامة!

لن نتعامل مع قيامة يسوع على انها مجرد عملية "عودة الى الحياة" او احياء جثة، كما جرى لبعض الذين أحياهم يسوع وماتوا من جديد!(**انظر الاطار ٥١: ثلاثة من بين الموتى**). كما اننا لن ننساق الى القول بأن يسوع قد قام من الموت بقوته الشخصية.. لا لشيء الا لان هذه المقولة تحجّم حقيقة القيامة، وتناقض المضمون الذي احتوته التعابير الايمانية في نصوص العهد الجديد -وهي أكثر من ان تحصى-، وكلها تؤكد بأن "الله أقامه من بين الاموات"! ولنقلها منذ الآن بأن الروايات الانجيلية ذاتها التي تشير الى ان التلاميذ "شاهدوا" المسيح القائم ولمسوه وأكلوا معه..، فهي انما تعكس هدفاً دفاعياً يسعى الى ترسيخ الايمان! علماً بانها لم تقل قط ان الرسل شاهدوا يسوع وهو قائم من القبر، كما ستفعل الاناجيل المنحولة!! فالروايات الانجيلية -ولن نملّ التكرار- ليست تقارير عن حدث القيامة، وانما هي شهادات تعكس خبرات ايمانية بقيامة الرب...

إن ما حدث في قيامة يسوع لهو شيء جديد وفريد وغير متوقع البتة! فليس يسوع نبياً اضطهده شعبه وأذاقه الألم والموت، فأحصي من ثم في عداد الشهداء الكثيرين الذين امتلأ بهم تاريخ اسرائيل! كما ان التلاميذ لم يواصلوا حركة معلّمهم، بدافع من حبهم وتعلقهم واخلاصهم لهذا النبي الذي نبذه شعبه وعلّقه على خشبة! ان ما حدث لهو شيء في غاية الجدة جعل الرسل في دهشة لا مثيل لها! ومفادها، على حد تعبير الاب كوب: "**ان هذا [النبي] الذي ما انفك يعلن ان ملك [اله العهد] قريب.. هو النبي الاخير، لا بل كلمة الله الأخيرة والحاسمة، فعل الله النهائي**"، وان قيامته من بين الاموات هي فعل وفاء الله الكامل لمن كانت حياته كلها حباً وعطاءً وغفراناً وشفاء وفرحاً وحرية.. وشركة مع المساكين والمرذولين، ودفاعاً عن المظلومين والمستضعفين... وهذا "النبي" الاخير الذي جسّد في حياته كل ما في الله من حب وعدل ورحمة وحنان وغفران وخلاص.. رفضه البشر ورذلوه، لا بل استأصلوا اسمه من سفر الحياة، ويقينهم أنهم أغلقوا عليه الى غير رجعة!

---

[٢١] نعتمد كراسة بالرونيو (٨ صفحات فولسكاب) للاب لوسيان كوب المخلصي بعنوان "بشارة القيامة"، ونستلهمها في هذه النقطة بنوع خاص، فيما سنعتمدها لدى تناولنا الروايات الانجيلية عن القيامة في الفصل التالي. وسنشير اليها لدى اقتباسنا منها بعبارة: "بشارة القيامة".

وازاء رفض البشر ليسوع وحكمهم عليه بالموت، هوذا الله يقول: "انت ابني الحبيب... عنك رضيت" (مر ١: ١١)! فلقد تدخّل الله واجرى عملاً لا نظير له: "أقامه من بين الاموات.. وأقامه في اليوم الثالث"! بمعنى ان **"يوم يهوه" قد بدأ في يسوع! وان يوم الدينونة واجراء الحكم قد جاء بيسوع! طالما ان قيامته هي فعل مصادقة الله على كل ما قاله وفعله.** وهكذا يتضح جلياً ان يسوع كان على حق في كل بشارته، جملة وتفصيلاً! فهو كلمة الله الاخيرة والحاسمة: هذا هو ابني الحبيب... له اسمعوا (مر ٩: ٧)! **(انظر الاطار ٥٢: معنى قيامة يسوع).**

وهكذا نجدنا في قلب الازمنة الاخيرة، لا بل في قلب الدينونة: ألم يطبق بطرس على يسوع ما سبق ان قاله موسى: "سيقيم لكم الرب الهكم من بين اخوتكم نبياً مثلي..." (رسل ٣: ٢٢-٢٣؛ انظر أيضاً ٧: ٣٧ حيث يطبق استفانس النص ذاته)؟! وبهذا المعنى كتب القديس بولس بشأن "بشارة الله" التي سبق ان وعد بها في الكتب المقدسة "في شأن ابنه الذي وُلد

اطار ٥٢

معنى قيامة يسوع

في صباح الفصح، اتخذ الله موقفاً حاسماً ونهائياً الى جانب يسوع.. ابنه الذي صار انساناً. وأصبح يسوع ابناً بكليته، حين أجاب أباه من صميم وجوده، كإنسان حوّله الروح. اجل، سبق للآب ان قال ليسوع في ايام حياته الارضية: "انت ابني..."، في العماذ، حين باشر مهمته كمشيح.. وفي التجلي على الجبل، حين اتّجه هذا المشيح بعزم وتصميم الى اورشليم، ليكون، بموته، ذلك العبد المتألم. أمّا الآن، فالله يستطيع، في سكوت القيامة الخفي، ان يوّجه اليه الكلام الحاسم: "انت ابني، وانا اليوم ولدتك" (رسل ١٣: ٣٣ وعب ١: ٥). ولهذه (التسمية) معنيان:

- الله أقام يسوع "ابن الله" بمعنى المشيح، ابن داود، سيد العالم بأسره، كما ورد في المزمور ٢. وبذلك تمّ ذلك التدبير، تدبير المحبة، الذي ما زال الله يعدّه منذ الازل للبشرية والعالم. وهو ان الله سيقيم، بمشيحه، في "يوم الله" (اي في آخر الازمنة)، ملكوته على العالم كله، على عالم محوّل لا يكون فيه لا دموع ولا موت.. عالم أخوي "يرعى فيه الاسد مع الحمل، بحسب الصور الكتابية (اش ١١). فيسوع أقيم اذاً مشيحاً بالفعل، وهذا العالم الجديد قد بدأ فعلاً.
- قد يكون من الممكن ان نفهم هذه الجملة "انت ابني..." بمعنى أقوى، وإن تعسّرت الاحاطة به. كل الصور التي يستخدمها العهد الجديد ("الصعود الى السماء" و "الدخول في المجد"...) تُشعرنا بأن تغيُّراً قد طرأ على كيان يسوع. فيسوع القائم من الموت قد دخل حقاً في نوع جديد من الحضور، ينم عن معرفة ومحبة لأبيه! وبصفته "بكر المولودين من بين الاموات" (قول ١: ١٨)، فهو آدم الجديد، اول انسان من البشرية الجديدة. والله الذي تجلّى، طوال العهد القديم، كالاله الحي الذي يهب الحياة، يكشف بذلك قوة حياة روحه: فسبق ان بيّن في رؤيا لحزقيال كيف صار الاموات احياء حين استولى الروح عليهم (حز ٣٧). وقد اجتهد بولس، بوجه خاص، ان يُظهر لنا القيامة بكونها عمل روح الله (روم ٨: ١١ مثلاً). وفي آخر الامر، لم يعد يسوع القائم من الموت يموت (روم ٦: ٩)، لأن قوة الحياة المستمدة من روح الله أصبحت مبدأ حياته!

أ. شربنتييه

(عن: المسيح قام / ص ٥٩)

من نسل داود بحسب الطبيعة البشرية، وجُعل ابن الله في القدرة، بحسب روح القداسة، بقيامته من بين الاموات، الا وهو يسوع المسيح ربنا" (روم ١: ٤)!

وهنا يفرض السؤال نفسه: **ما معنى، إذن، قيامة يسوع؟**[٢٢]

أ- **انها فعل الله:** ذلك لأن قيامة يسوع هي تعبير عن ايماننا بيهوه، الاله الحي الذي بوسعه ان يخلق ويحيي.. ومن هنا أهمية التعبير الايماني "بحسب الكتب" (١قور ١٥: ٤)، وهي تعكس في كل صفحاتها "امانة الله لذاته وللناس ولأبنه". ذلك لأن يهوه اله اسرائيل هو اله يسوع.. وحين نقول انه أقامه، فذلك دليل على صدق الله ووفائه على مدى التاريخ، وقد بلغ أَوَجَهُ في يسوع!

ب- **انها فعل الله بيسوع:** قيامة يسوع هي التعبير الامثل عن فعل الله بيسوع، ذلك الانسان النموذج، البشير الشهيد، الذي تجلّى كونه "الله معنا" (عمانوئيل)، الكلمة (والكلمة الاخيرة)، ابن الله، ابن الانسان.. هو الذي "أيده الله" في كل ما قال وفعل، وصادق على حياته كلها، ولا سيما على موته "الخلاصي". فقيامة يسوع هي الدليل على ان ملكوت الله قد حلَّ.. وان خلقة جديدة قد بدأت.. وان عالماً جديداً قد دُشّن!

جـ- **انها فعل الله لصالح البشر:** قيامة يسوع هي اعلان مصادقة الله ورضاه عن ابنه الذي اعلن الطوبى للفقراء، وفتح عيون العميان، واعلن الرحمة والغفران للخطأة، ومنح الرجاء والامل للمظلومين والمقهورين والصغار والمهمَّشين.. وهكذا تصبح بشرى القيامة للحال بشرى حب وفرح وسلام وعدل.. بشرى حياة جديدة، وعلى اسس جديدة -وبقي ان يعرف جميع الناس ما فعله الله الينا! فمن هذه الوجهة، لا مناص من القول بأن قيامة يسوع هي فعل تاريخي، طالما ان يسوع الناصري الذي عاش على أرضنا ومات.. قد أقامه الله من بين الاموات، وهو حي في جماعة المؤمنين الذين ما زالوا، منذ الفي عام، يسعون الى بناء "ملكوت الله" الذي افتتح بقيامة يسوع، عبر نضالهم في بناء عالم جديد على اسس الحب والحق والعدل والسلام والحرية والاخوة والتضامن...

لم يكن بوسع التلاميذ ولا شك ان "يشاهدوا" هذا الفعل الالهي! كما كان يستحيل عليهم، بقواهم الذاتية، ان يدركوا ما فعله الله! ذلك لأن هذه الحقيقة الكبرى كانت تفوقهم وتتجاوزهم.. وما زالت تفوقنا وتتجاوزنا نحن ايضاً! وهنا لابد لنا من السؤال: كيف عرف التلاميذ حقيقة قيامة يسوع من بين الاموات -ومفادها: الله أقام يسوع.. وأقامه "في اليوم الثالث"..؟! وكيف أصبحت هذه الحقيقة لديهم يقيناً.. حملهم

---

[٢٢] يوجز الاب كوب معنى القيامة في ثلاثة اوجه: فعل الله.. بيسوع.. لصالح الناس - وهنا نحن نستعرضها ونُبَرِّرُهَا/بشارة القيامة.

على الشهادة لها؟ وازاء هذين السؤالين المتلازمين تتبادر الى ذهننا كل الصيغ التي استخدمها القديس بولس في رسائله للتعبير عن هذه الحقيقة السامية.. ولعلّ أبرزها ما كتبه في الرسالة الى أهل أفسس، هو الذي لم يكفّ عن شكر الله على ايمانهم بالرب يسوع، مشيداً بقوة هذا الايمان الفائقة "والموافقة لعمل قدرته العزيزة الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من بين الاموات وأجلسه الى يمينه في السموات، فوق كل صاحب رئاسة وسلطان وقوة وسيادة..." (١: ١٩ ت). ونجد الى جانبها كل الشهادات عن قيامة الرب في خطابات سفر الاعمال، على لسان بطرس او اسطفانس او فيلبس او بولس.. فيما تنتصب في ذاكرتنا كل الروايات الانجيلية بشأن القيامة، بما فيها رواية القبر الفارغ وروايات التراءيات.

وأول ما نقوله في هذا الموضوع هو أنه يترتب علينا **أن نميّز جيداً بين الشهادة لفعل الله في إقامة يسوع** -ولم يكن لهذا الفعل، بالطبع، شهود عيان!- **وبين كل الصيغ والشهادات التي تعبّر عن الايمان بحقيقة القيامة**، علماً بأن الروايات الانجيلية هي بمثابة توسّع في مضمون بشرى القيامة -وقد كتبت بدافع الدعوة الى الايمان بها، في اعقاب سنوات طويلة من المناداة الشفهية-، ولَكَم سنكتشف، في الفصل التالي، عمق الخبرة الايمانية التي عكستها وتعكسها هذه الروايات.

فأن يكون الرسل والتلاميذ الاولون، والمسيحيون من ثم، قد أدركوا يقيناً ان الله أقام يسوع من بين الاموات، وان يوم يهوه -يوم آخر الازمنة- (اليوم الثالث) قد أتى بيسوع.. وأن الله جعله "ربّاً ومسيحاً"، "دياناً للاحياء والاموات"، لا بل "كلمته" الاخيرة والحاسمة... **فذلك كشف الهي ووحي سماوي أُعلِن لهم وتقبلوه في جو من الايمان!** ويترتب علينا من ثم، نحن أيضاً، ان نتقبل، في الإيمان، سر القيامة! وهذا الايمان ذاته بحقيقة قيامة يسوع -وقد أصبح المسيح الحي، الرب الممجد، ابن الله الحي...- هو الذي قلب حياتهم رأساً على عقب.. وبوسعه ان يقلب حياتنا ايضاً!

٢- المناداة بحقيقة القيامة

ان حقيقة القيامة ملأت بالنور حياة الرسل والمسيحيين الاولين، فأعطت لها معنى.. مما جعل منهم للحال شهوداً و"رسلاً" ومبشّرين! إلا أنهم وجدوا صعوبة في التعبير عن هذه الحقيقة التي عانقت كل ما تضمنته الاسفار المقدسة من آمال وتطلعات ومواعيد... ولعل أول جهد قاموا به، كان في **الرجوع الى هذه الاسفار ليقرأوا فيها ما وعد الله ان ينجزه من مواعيد في آخر الازمنة، وسرعان ما قرأوا تحقيقها في يسوع!** وكان عليهم من ثم ان يلجأوا الى المفردات الكتابية والى الكثير من الصور والرموز

"النزول الى الجحيم" (ايقونة بيزنطية)

نحن بإزاء المسيح الممجد بحلته البيضاء الناصعة، وبحريته التي لم يقو عليها الموت.. وفي يده ملف الأسفار المقدسة
لتي وجدت فيه اكتمالها. إنه نازل الى مثوى الأموات –وقد داست قدماه أبواب الجحيم– ليقيم الراقدين الذين أشرق عليهم
ور الصليب.. وهاهو ينتشل آدم وحواء –رمز البشرية جمعاء– فيما يسرع كل الأبرار الى استقباله...

والاستعارات.. ليؤدوا مضمون البشرى بأكثر ما يمكن من الصدق والاخلاص والدقة. وسيتحتّم علينا نحن، كي نفهم ما عبروا عنه، ان نفك تلك الرموز والمعاني التي انطوت عليها مفرداتهم.

الا اننا نجدنا للحال امام مشكلة: ليس لنا من كرازتهم وتعابيرهم الايمانية الا ما خلّفته لنا أقلام الكتّاب بعد النصف الثاني من القرن الاول، وفي مقدمتهم بولس في رسائله، والانجيليون من ثم. لذا يتوجب علينا ان نستشف مضمون الكرازة الاولى مما عكسته وأكدت عليه رسائل بولس، من جهة، ومما رشح من خطابات نقلها -او بالاحرى اعاد تأليفها- لوقا في سفر الاعمال، من جهة اخرى. ويمكننا ان نوجز هذا المضمون في ٣ محاور:

أ- حدث يسوع الناصري الذي عاش وعلّم وصنع المعجزات.. وأُسلِمَ للموت صلباً، وأقامه الله من بين الاموات.

ب-هذا الحدث تفسره الكتب المقدسة. ذلك يعني ان لحياة يسوع وموته وقيامته مكانها في تدبير الله الخلاصي. وهكذا تدخل قيامة المسيح في سياق امانة الله العهد.

جـ- وهو يناديا ويفرض علينا موقفاً. ذلك لأن قيامة المسيح هي نداء الى التوبة يوجهه الله الينا، ويترتب علينا من ثم أن نتخذ موقفاً يكون ملزماً للحياة.

هذه المحاور الثلاثة تتجلى بشكل واضح من خلال سبعة خطابات: ستة منها في سفر الاعمال -وقد جاءت خمسة منها على لسان القديس بطرس، الى جانب خطاب واحد على لسان بولس:

١) يوم العنصرة (٢: ١٤-٤١)
٢) في اعقاب شفاء المقعد (٣: ١٢-٢٦)
٣) امام المجلس، مرة اولى، بعد المعجزة (٤: ٩-١٢)
٤) امام المجلس، مرة ثانية، بعد نجاة الرسل من السجن (٥: ٢٩-٣٢)
٥) في بيت قرنيليوس الوثني (١٠: ٣٤-٤٣) -ويضاف اليها:
٦) خطاب واحد هام للقديس بولس خلال تبشيره في مجمع انطاكية بسيذية (١٣: ١٦-٤١)
٧) رواية تلميذي عماوس في انجيل لوقا (٢٤: ١٤-٢٧) حيث نجد المحاور ذاتها عبر الحوار الرائع بين يسوع الناهض والتلميذين العائدين الى عماوس.

ومما يلفت النظر في هذه النصوص السبعة التي نجد فيها بصمات لوقا -وقد انطلق من مواد استقاها من التقاليد الشفهية او المدونة، ورتّبها في شكل خطابات ضمّنها جوهر الكرازة ووضعها على لسان شخوصه- انها تُستَهَل بخلاصة عن حياة يسوع،

فتضعها في سياق الاسفار المقدسة التي تعطي للحدث معناه العميق، وتتوجه من ثم بنداء الى التوبة...

لنر هذه المحاور عبر الخطاب/النموذج يوم العنصرة (٢: ٢٢-٤١) الذي استهله بطرس، لتفسير ظاهرة حلول الروح، بنبؤة يوئيل (٣: ١-٥) -وقد سردها ليكشف فعل الروح في "الايام الاخيرة" التي اتت بقيامة المسيح!

أ- حدث يسوع:

* **حياته:**... ان يسوع الناصري، ذاك الرجل الذي أيده الله لديكم مما أجرى عن يده بينكم من المعجزات والاعاجيب والآيات... (آ ٢٢)
* **موته في تدبير الله:** ذاك الرجل الذي أُسْلِم بقضاء الله وعلمه السابق، فقتلتموه إذ علّقتموه على خشبة بأيدي الكافرين... (آ ٢٣ و ٣٦)
* **قيامته كما في الكتب:** قد أقامه الله وأنقذه من أهوال الموت... (آ ٢٤- ٣١). فيسوع هذا قد أقامه الله ونحن بأجمعنا شهود على ذلك (آ٣٣)
* **صعوده وحلول الروح:** فلما رفعه الله بيمينه (آ ٣٣) نال من الآب الروح القدس الموعود به فأفاضه... (آ ٣٣)

ب- تفسِّره الكتب المقدسة

* **لقب القدوس** (مز ١٦): ... لأنك لن تترك نفسي في مثوى الاموات ولا تدع قدوسك ينال منه الفساد... (آ ٢٧)
* **لقب المسيح:** ... (داود النبي) رأى من قبل قيامة المسيح وتكلم عليها... (آ ٣١) فليعلم يقينا بيت اسرائيل اجمع ان يسوع هذا الذي صلبتموه..
* **لقب الرب والمسيح:** ... قد جعله الله رباً ومسيحاً (آ ٣٦)
* **الرب الجالس** (مز ١١٠): فداود لم يصعد الى السموات، وهو نفسه مع ذلك يقول: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل اعداءك موطئاً لقدميك (آ ٣٤-٣٥)

جـ- وهو ينادينا (التوبة)

* **الخلاص باسم يسوع:** ... فيكون ان كل من يدعو باسم الرب يخلص (آ ٢١ = يوء ٣: ١-٥).. فان الوعد لكم انتم ولأولادكم وجميع الاباعد، على قدر ما يدعو منهم الرب الهنا (آ ٣٩ = أش ٥٧: ١٩)

* **التوبة:** فقال لهم بطرس: توبوا
* **المعمودية:** وليعتمذ كل منكم باسم يسوع المسيح
* **الغفران:** لغفران خطاياكم
* **موهبة الروح:** فتنالوا موهبة الروح القدس (آ ٣٨)

مثل هذا الخطاب/النموذج يوجز الكرازة الرسولية ويبرز مفرداتها الرئيسة، ولكن من دون ان يستوفيها.

وسيمكننا بواسطة عملية انكباب واستقصاء للخطابات الاخرى أن نحيط بأبرز محاور الكرازة[٢٣]. ويكفي ان نستعرض هنا ما يتعلق بحدث القيامة في الخطابات الستة الاخرى:

خطاب ٢) "... ان اله آبائنا قد مجّد عبده يسوع... انكم انكرتم القدوس البار والتمستم العفو عن قاتل، فقتلتم سيد الحياة، فأقامه الله من بين الاموات..." (٣: ١٣ت)

خطاب ٣) "... انه باسم يسوع الناصري الذي صلبتموه انتم فأقامه الله من بين الاموات..." (٤: ١٠)

خطاب ٤) "إن اله آبائنا أقام يسوع الذي قتلتموه إذ علقتموه على خشبة، وهو الذي رفعه الله بيمينه وجعله سيداً ومخلصاً..." (٥: ٣٠ت)

خطاب ٥) "... والذي قتلوه إذ علّقوه على خشبة هو الذي أقامه الله في اليوم الثالث، وخوّله ان يظهر، لا للشعب كله، بل للشهود الذين اختارهم الله من

---

[٢٣] ندعو الى مراجعة ص ١٥٨ من "الدليل" حيث ادرجت مراجع الخطابات السبعة في حقول متوازية وفقاً للمحاور الثلاثة. ونلفت هنا الانتباه الى بعض ابرز ما تميزت به هذه الخطابات، مشيرين اليها بحسب ارقامها من ١-٧

* حدث يسوع: أجمعت الخطابات على حكم رؤساء اليهود بالموت على يسوع. وفيما أكد معظمها بأن موته تمّ وفقاً لتدبير الله، اشار الخطاب ٦ الى كونه "بريء" - "لم يجدوا سبباً يستوجب الموت" - مضيفاً تفصيلاً بشأن الدفن في قبر (١٣: ٢٩). وفيما استخدم الخطاب ١ عبارة "أقامه"، استخدمت سائر الخطابات عبارة "أيقظه".. وقد أجمعت كلها على عبارة "ونحن شهود"!

* تفسّره الكتب: يطلق الخطابان ٢ و ٣ على يسوع لقب "العبد". وفيما يصفه الخطاب ٢ بأنه "القدوس، البار، سيد الحياة"، والخطاب ٤ بأنه "سيد ومخلص"، يلقبه الخطاب ٥ بأنه "ديان الاحياء والاموات" (١٠: ٤٢). وتستشهد الخطابات كلها بالاسفار المقدسة بشكل عام، مشيرة الى انها تحدثت عن "ايامه" (خطاب ٢ و ٥ و٦) وآلامه (خطاب ٢ و ٧) ومجيئه الاخير (خطاب ١و ٢)... الا ان الخطاب ١ (٢: ٢٥-٣٤) يستشهد بالمزمور ١٦ (لا تدع قدوسك ينال منه الفساد) والمزمور ٢ (انت ابني وانا اليوم ولدتك) والمزمور ١١٠ (اجلس عن يميني...)، والخطاب ٦ (١٣: ٣٣- ٣٧) بالمزمورين ٢ و ١٦، فيما يرد المزمور ١١٨ (الحجر المرذول) في الخطابين ٣ و ٤. وينفرد الخطاب ٦ بالرجوع الى اشعيا (٥٥: ٣) وحبقوق (١: ٥)، والخطاب ٢ بالرجوع الى تثنية الاشتراع (١٨: ١٥، ١٩) والاحبار (٢٣: ٢٩).

* وهو يناديانا: يشدد الخطابان ٥ و ٦ على الخلاص بالايمان، فيما تركز الخطابات ١ و ٣ و ٥ على الخلاص باسم يسوع. وفيما تأتي الاشارة الى التوبة صريحة في الخطابات ١ و ٢ و ٤، يُشدد معظمها (١و ٢و ٤ و ٥ و٦) على المعمودية من أجل غفران الخطايا. وينفرد الخطاب ١ بالتركيز على هبة الروح القدس (٢: ٣٨)!

قبل... وقد أوصانا ان نبشر الشعب ونشهد انه هو الذي أقامه الله ديّاناً للاحياء والاموات... "(١٠: ٣٩ ت)

خطاب ٦) "... انزلوه عن الخشبة ووضعوه في القبر، غير ان الله أقامه من بين الاموات... ونحن نبشركم بأن ما وُعد به آباؤنا قد أتمّه الله لنا نحن أبناءهم إذ أقام يسوع، كما كتب في المزمور الثاني: انت ابني وانا اليوم ولدتك... "(١٣: ٢٩ ت)

خطاب ٧) "... اما كان يجب على المسيح ان يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده..." (لو ٢٤: ٢٦)

ويمكننا ان نستخلص من هذه الجولة السريعة في خطابات سفر الاعمال -وقد احتلّ فيها سر الفصح مكانة القلب- ان التركيز في التعبير عن هذا السر الفريد هو باتجاه الكشف عن تدخل الله في إقامة يسوع من بين الاموات. ومن المعلوم ان في ذلك تشديداً على وفاء فعل اله العهد، بشكل منقطع النظير مع صفيّه "البار، القدوس"، في اللحظة التي فيها نبذه البشر واستأصلوه.. معلناً ان يوم الدينونة (يوم يهوه = اليوم الثالث) قد بدأ بقيامة يسوع، هذا "الابن الحبيب"، "النبي" الاخير، الذي تحدث عنه موسى النبي حين قال: " سيقيم لكم الرب من بين اخوتكم نبياً مثلي، فإليه اصغوا في جميع ما يقوله لكم، ومن لم يستمع لذلك النبي يُستأصل من بين "الشعب" (رسل ٣: ٢٢-٢٣؛ ٧: ٣٧.. انظر تث ١٨: ١٥، ١٩؛ أح ٢٣: ٢٩).. وهو الذي نُصِّب "دياناً للأحياء والاموات" (رسل ١٠: ٤٢).. إذ "ما من اسم آخر تحت السماء أطلق على أحد الناس ننال به الخلاص" (رسل ٤: ١٢)!

٣- صيغ التعبير عن القيامة:

هناك صيغ عديدة استخدمها التلاميذ والمسيحيون الاولون للتعبير عن حقيقة القيامة، وهي بمثابة خلاصات وجيزة تكشف عن السر الفصحي دون ان تفيه. ولدينا في رسائل القديس بولس أهم هذه الصيغ، نثبت بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

- "... ان المسيح مات من اجل خطايانا كما ورد في الكتب، وانه قبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب... " (١ قور ١٥: ٣-٤)
- "... ونعلم ان المسيح بعدما أُقيم من بين الاموات، لن يموت بعد ذلك، ولن يكون للموت عليه من سلطان" (روم ٦: ٩)
- "... فقد مات المسيح وعاد الى الحياة، ليكون رب الاموات والاحياء" (روم ١٤: ٩)

- "... لذلك رفعه الله الى العلى، ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الاسماء... فيشهد كل لسان ان يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب" (فل ٢: ٩-١١)
- "... والموافقة لعمل قدرته العزيزة الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من بين الاموات وأجلسه عن يمينه في السموات، فوق كل صاحب رئاسة وسلطان وقوة وسيادة... "(اف ١: ١٩-٢١)
- "... مع اننا كنا اموتاً بزلاّتنا، أحيانا مع المسيح... وأقامنا معه وأجلسنا معه في السموات في المسيح يسوع "(اف ٢: ٥-٦)
- "... لنحيا نحن أيضاً حياة جديدة، كما اقيم المسيح من بين الاموات بمجد الآب" (روم ٦: ٤)
- "... واذا كان الروح الذي أقام يسوع من بين الاموات حالاً فيكم، فالذي أقام يسوع المسيح من بين الاموات يحيي أيضاً أجسادكم الفانية بروحه الحال فيكم "(روم ٨: ١١)
- "... اما وقد قمتم مع المسيح، فاسعوا الى الامور التي في العلى حيث المسيح قد جلس عن يمين الله " (قول ٣: ١)
- "ان المسيح قد قام من بين الاموات وهو بكر الذين ماتوا... فالبكر هو المسيح " (١قور ١٥: ٢٠-٢٣)
- "اما ونحن نؤمن بأن يسوع مات ثم قام، كذلك سينقل الله، بيسوع ومعه، اولئك الذين ماتوا" (١ تس ٤: ١٤).
- "... انكم دفنتم معه بالمعموذية، وبها ايضاً أُقمتم معه، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذي أقامه من بين الاموات" (قول ٢: ١٢)
- "... من أجلنا نحن الذين يُحسب لنا الايمان بِرّاً، لأننا نؤمن بمن أقام من بين الاموات يسوع ربنا الذي أُسْلِمَ الى الموت من اجل زلاتنا وأُقيم من اجل بِرِّنا "(روم ٤: ٢٤-٢٥)
- "... فإذا شهدت بفمك ان يسوع ربّ، وآمنت بقلبك ان الله أقامه من بين الاموات، نلت الخلاص" (روم ١٠: ٩)

وهكذا نجدنا بازاء صيغ تحاول ان تؤدي بعض اوجه السر الفصحي الذي يفوق الوصف. ويمكننا ان نوجزها في ثلاث صور[٢٤] (صورة **"القيامة"**، وصورة **"الرفع"**، وصورة **"الحياة"**) تؤكد كل منها على جانب من حقيقة القيامة، وهي ترجع في الواقع الى وجهين رئيسين: **الانتقال من الموت الى الحياة** (قبل / بعد) من جهة، **والانتقال من**

[٢٤] نعكس بإيجاز الصور الثلاث على خطى الأب أ. شربنتييه في كتابه "المسيح قام" /ص٣٣-٣٨.

حالة التلاشي الى الرفع، ومن الضعة الى المجد (تحت/ فوق) من جهة اخرى. فلقد بحث المسيحيون الاولون في الاسفار المقدسة، عن لغة وصور ومصطلحات يعبرون بها عن هذا السر العظيم.. ولنقلها بصراحة: انهم برهنوا على جهد متميز وفريد في قراءة حقيقة القيامة على ضوء الاسفار المقدسة..! ولا نخفي الدور الذي لعبه، في هذه القراءة المجددة، عدد من الكتبة والفريسيين "المهتدين" والعارفين بالكتب من أمثال برنابا واسطفانس وفيلبس.. وفي مقدمتهم شاول/بولس الطرسوسي الذي كان له الفضل الكبير في الكشف عن سر الصليب في تدبير الخلاص -وقد خصصناه بنقطة نتناول فيها خبرته الايمانية بقيامة الرب.

أ- الله "أقام"[٢٥] يسوع:

هذا الفعل، سواء جاء بصيغة الماضي "أقام" او المجهول "أُقيم" -وهي صيغة "المجهول الالهي" تجنبا لذكر الله-، فهو انما يعلن عن تدخل الله في قيامة يسوع. وتلك هي ولا شك من أقدم الصيغ الايمانية التي كثيراً ما لقيناها في رسائل بولس، وعكسها لوقا في سفر الاعمال عبر الخطابات.

وسرعان ما تضمن هذا الاعلان عبارة "في اليوم الثالث كما في الكتب" (١ قور ١٥: ٤) والتي تكشف، كما اسلفنا، عن مضمون لاهوتي، لا زمني، تتخذ بموجبه قيامة المسيح مكانها في التدبير الالهي. كما يتخذ موت المسيح معناه العميق في ضوء القيامة.. فيصبح "من اجلنا" او "من اجل خطايانا" (١ قور ١٥: ٣) -وغني عن القول ان هذا الموت "التكفيري" قرأه المسيحيون ولا شك في ضوء نشيد "العبد المتألم" (اش ٥٣).

وحين استخدم الرسل والمسيحيون الاولون صيغة "أقام"، فهم إنما عبّروا عن ايمانهم العميق بأن **يسوع الناصري الذي عاشوا معه قبل موته، هو نفسه الذي أُقيم، وهو حي بكيانه الكامل** -لحم ودم- إذ لم يكن بوسعهم ان يتصوروا قيامته من دون شركة وثيقة بين روحه وجسده.. طالما ان الانسان في المفهوم الكتابي هو كيان موحد، وان النفس هي مبدأ الحياة الذي يحيي الجسد.

---

[٢٥] تستخدم النصوص فعل "أقام" بمعنى "أنهض" (باليونانية: انيستيمي)، وتستخدم بالاكثر فعل "ايقظ" (باليونانية: ايجيرو). وحين يطلق على الموتى، فإنما يدل على ان الموت هو انحدار الى "مثوى الاموات" او رقاد، كما رأينا في عبارة سفر دانيال: "كثيرون من الراقدين في ارض التراب يستيقظون..." (١٢: ٢). وحين تبلور الايمان اليهودي بقيامة الابرار، فإن هذا الفعل لم يكن يعني البتة عودة الى الحياة الحاضرة! وانما الدخول في عالم متحول لا يعتريه الفساد.

ففعل "اقام"، سواء بمعنى انهض او ايقظ، يوحي بانتقال "من قبل الى بعد": وهذه الصورة هي من "الطراز التاريخي حيث التركيز على الاستمرارية": فالذي مات ورقد في مثوى الاموات هو نفسه يُنهَض ويوقَظ (كما جرى في قيامة لعازر). اما ضعفها فيكمن في غموض ماهية هذه الحياة بعد الموت!

فإذا كان من حسنات هذه الصيغة أنها تعبر عن كون الذي مات قد قام هو ذاته، وان بوسع الذين عرفوه قبل موته ان يعرفوه من جديد؛ إلا ان ضعفها يكمن في انها تقال في يسوع، كما تقال في الاموات الذين أُقيموا على يد النبيين ايليا واليشاع، او على يد يسوع ذاته! فإذا كان لعازر قد "قام" من الموت فسنضطر الى القول انه عاد فمات، بينما يجب ان نقول بأن يسوع قام ولن يعود يموت! (روم ٦: ٩). ولذا كان من الضروري دعم هذه الصيغة باضاءة اخرى من عين الطراز (قبل / بعد).

ب- "أُعيد" يسوع الى الحياة بالروح:

تتضمن صورة القيامة ولا شك فكرة "العودة الى الحياة" التي تنتمي، هي الاخرى، الى الطراز التاريخي. وقد استخدمها بعض كتّاب العهد الجديد، وإن بشكل محدود، وهذه أبرزها:

- "مات المسيح وعاد الى الحياة ليكون رب الاموات والاحياء" (روم ١٤: ٩)
- "... لقد صلب بضعفه، لكنه حي بقدرة الله " (٢ قور ١٣: ٤)
- "فهو قادر ان يُخلّص خلاصاً تاماً الذين يتقربون به الى الله، لانه حي دائماً ابداً ليشفع لهم " (عب ٧: ٢٥)
- "لماذا تبحثنَ عن الحي بين الاموات؟" (لو ٢٤: ٥)

ومثل هذه العبارات تجد جذورها في العهد القديم، وهو مليئ بحضور الله الحي في قلب الشعب المؤمن -وقد كان على يقين من أن إلهه يهوه هو "الاله الحي"، سيد الحياة، الذي "يحيي ويميت.. ينزل الى الجحيم ويصعد منه" (١ صم ٢: ٦). ولقد تأصل هذا اليقين بقدرة الله على احياء الموتى، شيئاً فشيئاً، بدءً بأشعيا: "ستحيا موتاك وتقوم جثثهم" (٢٦: ١٩)، مروراً بهوشع: "يحيينا بعد يومين، وفي اليوم الثالث نقوم فنحيا امامه " (٦: ٢)، وانتهاء بسفر دانيال: "وكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون، بعضهم للحياة الابدية..." (١٢: ٢)...

وكان من الطبيعي جداً ان يجد المسيحيون في هذه العبارات ما ينير ايمانهم بقيامة المسيح. فنقرأ في رسالة بطرس الاولى (٣: ١٨): "فالمسيح نفسه مات مرة من اجل الخطايا.. أُميت في جسده، ولكنه أُحيِيَ بالروح"، ونقرأ صداها في الرسالة الى العبرانيين حيث الحديث عن كهنوت المسيح "الذي يُشهد له بأنه حي" (٧: ٨)، كما نقرأ انعكاسها في سفر الرؤيا على لسان يسوع "ابن الانسان": "انا الاول والآخر، انا الحي، كنت ميتاً وهاءنذا حي أبد الدهور" (١: ١٨؛ انظر ايضاً ٢: ٨)...

ومثل هذه المفردات التي تلتقي بمفردات "القيامة" -وإن كانت توهمنا بأننا ازاء احداث تتعاقب في الزمن، من موت ودفن وقيامة وترائيات وصعود...- تؤكد على

استمرارية كون المسيح هو هو، قبل القيامة وما بعدها. ولكنها في الوقت ذاته تعرضنا لخطر النظر الى هذه الحياة المستعادة، وكأنها على شاكلة الحياة الجسدية التي كانت ليسوع قبل الموت. لذا اضطر الكتّاب انفسهم الى إضفاء تفسير يزيل احتمال تشويه مفهوم القيامة -وهي تتجاوز حدود التاريخ الزمني! فكانت إضافة "لن يموت ثانية" على عبارة "بعدما أُقيم المسيح من بين الاموات" (روم ٦: ٩)، وكان التأكيد على انه "حي دائماً ابداً" (عب ٧: ٢٤-٢٥)... الا ان الخطوة الحاسمة في تعميق مفهوم القيامة كانت باتجاه إضفاء صفة "البكر" (١ قور ١٥: ٢٠-٢٣) على المسيح، مما يشير الى ان قيامته تتسم بصفة الشمولية، طالما انها فاتحة كون جديد وخلقة جديدة وعالم جديد.

وهكذا يتضح ان قيامة يسوع من بين الاموات ليست مجرد "عودة الى الحياة"، وانما هي القيامة "الاخيرية" التي كان المؤمنون يتوقعون حدوثها في آخر الازمنة (دا ١٢: ٢؛ ٢ مك ٧...)، وها هي قد تمت في يسوع "بكر من قام من بين الاموات" (قول ١: ١٨). فكان التعبير الايماني عنها بهذه الكلمات: "قام في اليوم الثالث كما في الكتب".

جـ- الله "رفع"[٢٦] او "مجّد" يسوع:

كان لا بد للرسل والمسيحيين الاولين ان يستكملوا عبارة "أقيم" و "عاد الى الحياة" بصور أخرى تركّز عن ان قيامة يسوع ليست مجرد عودة الى الحياة، وانما هي "رفع" بيمين الله و"تمجيد" أي شركة في مجد الله وجلوس عن يمينه... ونجد هذه التعابير، لدى كتّاب العهد الجديد، متداخلة مع تعابير "القيامة" او "العودة الى الحياة":

- "... وأطاع حتى الموت.. لذلك رفعه الله الى العلى ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الاسماء..."(فل ٢: ٩)
- "قد أُظهر في الجسد وأُعلن باراً في الروح... ورُفع في المجد" (١ طيم ٣: ١٦)
- "... ان الله.. مجّد عبده يسوع... " (رسل ٣: ١٣)
- "نؤمن بالله الذي اقامه من بين الاموات وآتاه المجد" (١ بط ١: ٢١)

---

[٢٦] هذا الفعل يحمل صورة انتقال من "تحت الى فوق". وحين يطلق على كائن ما، فهو انما يوحي بانتقاله من حياة الارض الى الحياة مع الله -ومعلوم ان الكوسمولوجيا الكتابية ترى في السماء مسكن الله، وفي الارض مسكن الانسان، فيما ينزل الاموات الى مثواهم تحت الأرض! ففي هذا الاطار نفهم رفع ايليا النبي الى حوار الله (٢ مل ٢: ١ت)، كما نفهم فكرة رفع "ابن الانسان" في سفر دانيال (٧: ١٣). انها صورة من الطراز الرؤيوي حيث التركيز على "الحياة مع الله"، أي الدخول في المجد.. ولا علاقة لهذا التمجيد مع الزمن طالما انه يتجاوز الزمن. فمن حسنات هذه الصورة انها تنبهنا الى اننا بازاء "زيادة" حياة تقوم في التمجيد (نقول بأن لعازر قام ولا نقول بأنه رُفع او مُجّدا). اما ضعفها، فيكمن في بقاء التساؤل قائماً: الى أي مدى يتسم الكائن الارضي الذي "رُفع ومُجّد" بالاستمرارية؟

"... هو الذي رفعه الله بيمينه" -الصعود في مخطوطة رومانية من القرن ١٠-١٢: مدرسة ريشنو في المانيا (المكتبة اللورنتينية - فلورنسا).

- ... وصعد الى السماء وجلس عن يمين الله بعدما أخضع الملائكة وذوي القوة والسلطان (١ بط ٣: ١٨-٢٢)
- " اذا شهدت بلسانك ان يسوع رب..."(روم ١٠: ٩)
- "... ولا يستطيع احد ان يقول "يسوع رب" الا بالهام من الروح القدس" (١ قور ١٢: ٣)
- "... وهو الذي رفعه الله بيمينه وجعله سيداً ومخلصاً..." (رسل ٥: ٣١)
- "... فيدخل في مجده" (لو ٢٤: ٢٦)

وازاء مثل هذه النصوص التي تعبّر عن حقيقة القيامة بمفردات "الرفع" و"التمجيد" و"الجلوس عن يمين الله" و الحصول على "السيادة والربوبية" والقدرة على "الدينونة".. نكتشف الابعاد التي انطوت على قيامة المسيح، فحملت الرسل والمسيحيين الاولين على البحث عن كلمات تفيها حقها[٢٧]. فلسنا إذن بإزاء صور تتعاقب في الزمن (موت،

---

[٢٧] ان محاولة التعبير عن المعاني التي انطوت على قيامة المسيح وحدت لها في اسفار العهد القديم نبعاً لا ينضب! ولن نغالي اذا قلنا بأن اعادة قراءة الاسفار المقدسة في ضوء القيامة اصبحت هاجساً لدى المسيحيين الاولين، حملهم على استخدام الكثير من الآيات كإشارات ورموز الى المسيح، وعلى توظيف كل ما من شأنه أن يدعم ايمانهم بحقيقة القيامة -ونخص بالذكر نصوص الأنبياء والمزامير...

ومن أبرز النصوص الكتابية التي كانت لهم مصدر الهام في التعبير عن حقيقة القيامة، ولا سيما في وجهها الرؤيوي الذي يؤكد على الرفع والتمجيد:

- قصيدة "العبد المتألم" (اش ٥٢: ١٣- ٥٣: ١٢) التي تشيد بأمانة "عبد يهوه" امام العذاب وما يثيره من تساؤلات جوهرية. فلقد رأى المسيحيون فيه صورة ليسوع المتألم الذي قبل الموت طوعاً، فكانت القيامة فعل وفاء الله على امانته...
- رؤيا "ابن الانسان" (دا ٧: ١٣-١٤): انها صورة شعب مُضْطَهَد سيحظى في النهاية بالغلبة ان هو ظل أميناً. وهذه الغلبة ستتجسّد في شخص "ابن الانسان" الذي يرمز، في آن واحد، الى شعب القديسين والى سيد هذا الشعب. وحين سيختص يسوع هذا اللقب ابان محاكمته، سيُتهم بالتجديف! وسيرى المسيحيون في قيامة يسوع فعل "الرفع" الذي أتمه الله لابن الانسان، إذ "أُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً" (راجع الاطار ٣٢ عن "ابن الانسان"/ ف ٤)

دفن، قيامة، صعود، جلوس عن اليمين، فيض الروح) -كما يخيل الينا لأول وهلة من قراءة سطحية للنصوص ولا سيما لمؤلّف لوقا بجزئيه- وانما امام محاولة جادة لجعل المفردات المختلفة تتضافر وتتكامل للتعبير عن السر الفصحي في أوجهه المتعددة. وهكذا نرى ان صورة القيامة والعودة الى الحياة (قبل / بعد) تضحي ناقصة، إن لم تقترن بصورة الرفع والتمجيد (تحت/فوق) التي تؤكد على **كون يسوع الذي اقيم من بين الاموات، قد رفعه الله وأدخله في مجده وجعله ربّاً وسيداً ومخلصاً وديّاناً للأحياء والاموات..** هو الذي "تجثو لاسمه كل ركبة في السموات وفي الارض وتحت الارض" (فل ٢: ١١)!

٤- اولى الشهادات الايمانية عن القيامة

في الصفحات السابقة اكتشفنا مضمون الكرازة الرسولية بقيامة المسيح، من خلال المناداة الايمانية -وقد عكستها، بشكل خاص، رسائل بولس الرسول وبعض خطابات سفر الاعمال، مما جعلنا نحيط بمختلف صيغ التعبير عن هذه الحقيقة الايمانية الكبرى. وها نحن الآن ننكب على ما يمكننا ان نسميه "شهادات الايمان الاولى" التي وصلتنا هي الاخرى عبر رسائل القديس بولس.. وهي ترجع صدى ما كان موضوع ايمان المسيحيين الاولين. ونقتصر هنا على ما يمكن أن يسمى "أول قانون ايمان"، وعلى نشيد قديم يُشِيدُ بالمسيح الممجد.

أ- أقدم قانون ايمان (١ قور ١٥: ١-١١)

في الرسالة الأولى الى اهل قورنتس، وفي معرض حديثه عن قيامة الاموات، يستشهد القديس بولس بقانون ايمان كان متداولاً ولا شك بين الجماعات المسيحية في الاربعينات او الخمسينات. وهو إذ يكتب لهم في حوالي فصح عام ٥٧، يدعوهم الى استذكار البشرى التي حملها اليهم في حدود السنوات ٥٠-٥١، مؤكداً بأن ما سلّمه اليهم، كان قد تسلّمه هو ايضاً -وقد يكون قد تسلّمه من حنانيا في حوالي عام ٣٦ او عن كنيسة انطاكيا في اوائل الاربعينات-، وهذا مضمونه: "ان المسيح مات من اجل خطايانا كما ورد في الكتب، وانه قبر وقام في اليوم الثالث كما ورد في الكتب، وانه

• تنصيب المشيح ملكا (المزموران ٢ و ١١٠): في العديد من المزامير قرأ المسيحيون ملامح يسوع، الملك الآتي باسم الرب... إلا أنهم، في هذين المزمورين بنوع خاص، قرأوا قيامته التي نصّبته ملكاً أبدياً على جميع الامم... (راجع: المسيح قام/ ص ٢٤)

بطرس ويوحنا يسرعان الخطى نحو القبر: لوحة بيرناند - متحف اورسي.

تراءى لأكثر من خمسمائة أخ معاً لا يزال معظمهم حياً وبعضهم ماتوا، ثم تراءى ليعقوب ثم لجميع الرسل حتى تراءى آخر الامر لي أيضاً انا السقط ". ويضيف معترفاً بأنه "اصغر الرسل"، ولا يستحق أن يدعى رسولاً لأنه اضطهد كنيسة الله! ولكنه مع ذلك يعتبر من الواجب عليه ان يعلن ما تسلّمه: "أفكنت انا ام كانوا هم، هذا ما نعلنه، وهذا ما به آمنتم" (آ ١١)[٢٨].

ويتضح من قانون الايمان هذا ان:

- **"المسيح مات"**: وهذا أمر لا شك فيه، وقد حدث مرة في الزمن.
- **"من أجل خطايانا كما ورد في الكتب"**: نحن امام تفسير لاهوتي لموت يسوع في ضوء نشيد "العبد المتألم" (اش ٥٣)، مما جعله موت كفارة وفداء.
- **"قُبر"**: تأكيد على موت يسوع ودفنه (راجع رسل ١٣: ٢٩).
- **"قام في اليوم الثالث كما ورد في الكتب"**: الفعل هو في صيغة المجهول بمعنى "أقيم" أي ان الله اقامه. كما انه جاء (باليونانية) في صيغة الماضي الدائم، مما يشير الى اننا امام حدث ما زالت مفاعيله حاضرة ودائمة. اما التأكيد على "اليوم الثالث كما ورد في الكتب"، فيشير الى اننا لسنا بازاء معلومة زمنية، وانما بازاء تأكيد ايماني يهدف الى القول بان قيامة المسيح تضعنا في الازمنة الاخيرة (او ما نسميه القيامة العامة) التي اتت بقيامته، واننا منذ الآن مدعوون الى القيامة مع المسيح، كونه "بكر" الناهضين. (راجع الاطار ٤٩ اعلاه: "قام في اليوم الثالث...").
- **"تراءى..."**: صيغة الفعل هنا لا تدل على المجهول "رُئِيَ"، وانما تدل ان يسوع هو الذي "أرى نفسه" أي انه أظهرها وكشفها. وما تأكيد القديس بولس على "ترائي" يسوع لكثير من الشهود، الا دلالة على **كون حقيقة القيامة تنجلي لمن يتقبلها في الايمان، وان المسيح هو الذي يكشف ذاته لمن يشاء...**

ولعل أبرز ما يرمي اليه القديس بولس من خلال تذكيره اهل قورنتس بقانون الايمان هذا، هو ان **موت يسوع وقيامته حقيقتان حاضرتان في حياته وحياة المؤمنين في كل مكان.** ذلك لأن قضية المسيح القائم من بين الاموات -وهو حي دائماً ابداً- قد

---

[٢٨] يورد الاب شربتييه تحليلاً لغوياً لهذا النص قام به ج. ديلورم الذي اكتشف ثلاثة مستويات في الحديث: (١) تفنُّن في استعمال الضمائر: انا/ انت، نحن/ انتم، مما يدل على مستوى الاتصال بين الاشخاص. (٢) بعض الافعال هي في صيغة الماضي (بشرتكم... آ ١) مما يضعنا في مستوى الرواية التي يُذكّر بها بولس قراءه. (٣) هناك افعال في صيغة الماضي وصيغة المجهول (مات المسيح... قبر... قام) تدل على ان الرواية اصبحت أمراً يُتلى وقصة يتناقلها الناس. ومما يلفت الانتباه هو ان فعل "مات" و "قبر" هما في صيغة الماضي التام (دلالة على حدث جرى في الماضي)، بينما فعل "قام" وحده هو في صيغة الماضي الدائم، مما يدل على ان أننا بإزاء حدث تَمَّ مرة واحدة في التاريخ ولكن نتيجته ما زالت حاضرة، وتلك هي حالة القيامة: ان المسيح "قام" وهو حي ابداً طالما ان الله هو الذي اقامه (راجع المسيح قام / ص ٣١-٣٢).

مسّته في الصميم من خلال "الترائي" على طريق دمشق.. وقد قلب حياته رأساً على عقب! لذا نراه يسعى الى ان تمس هذه القضية اهل قورنتس، فتحملهم على ان يحيوا بالايمان ويختبروا بأنفسهم -لا بل يروا- حقيقة المسيح الحي، فتتجدد حياتهم!

ب- نشيد للمسيح الممجَّد (فل ٢: ٦-١١)

لقد كانت الجماعات المسيحية الاولى تنشد ايمانها بالمسيح القائم، خلال اجتماعات الصلاة، ولا سيما الافخارستية منها، حيث كان الايمان الفصحي يجد فيها تعبيره الأمثل..! ولقد حفظت لنا كتابات العهد الجديد عدداً من هذه الاناشيد، أو مقتطفات منها على الاقل. ونتوقف عند نشيد ورد في رسالة بولس الى اهل فيلبي[٢٩].

في معرض حديثه عن الاقتداء بالمسيح والتمثل بتواضعه، بنوع خاص، يستشهد القديس بولس بنشيد عريق ترسم عباراته اولى التأملات اللاهوتية في المسيح الممجد: "مع انه في صورة الله" ارتضى ان "يتخذ صورة العبد"، على مثال "عبد يهوه" (اش ٥٣: ١٢)، حتى انه بعد ان "وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب"، حصل على المجد.. "لذلك رفعه الله الى العلى ووهب له الاسم..." **! ففي هذا النشيد نجد سر الفصح ملخّصاً بعبارة "الرفع"، دون اللجوء الى مفردات العودة الى "الحياة" والقيامة!**

ويمكننا ان نميّز في هذا النشيد محورين[٣٠]: يدور المحور الاول (الآيات ٦-٨) حول "المسيح يسوع" قبل الفصح، فيما يتجلى مجده بعد الفصح في المحور الثاني (الآيات ٩-١١):

- **"مع انه في صورة الله، لم يَعُدَّ مساواته لله غنيمة"**: في هذه العبارة نجدنا ازاء انعكاس كيان الله في يسوع، حتى ان مساواته لله لم تكن اختلاساً او غنيمة... ولا شك انها تشير الى التضاد بين يسوع وآدم: ففيما حاول آدم ان يختلس مساواته لله

---

[٢٩] هناك نشيد آخر ورد في الرسالة الاولى الى طيموتاوس (٣: ١٦) بصدد "سر التقوى" الذي كُشِفَ لنا، بشأن المسيح الذي "أظهِرَ في الجسد، وأُعلن باراً في الروح، وتراءى للملائكة، وبُشّر به عند الوثنيين، وأُومن به في العالم، ورُفع في المجد"! ونجدنا بازاء ستة افعال تنتظم -على حد تعبير الاب شربنتييه (المسيح قام / ص ٣٧)- في ثلاثة تناقضات: جسد/ روح، ملائكة/ بشر، عالم/ مجد... بحيث يبدو البناء مرتكزاً على عبارتين: أظهر في الجسد/ رفع في المجد، أي على صورة تحت/ فوق!

ويلفت شربنتييه الانتباه الى ان "هذا السر الخفي أُظهر في الجسد، أي في حياة يسوع الارضية... وكونه بُرر يفترض ان يكون بين الله والعالم دعوى خرج منها يسوع المتّهم منتصراً، وقد احرز هذا الانتصار بفضل الروح". وهكذا نشهد تجلي السر من جديد، وعلى مستويَين: "[فوق]، طالما أن سر المسيح الذي رُفِعَ في المجد، ظهر للملائكة... و[تحت]، طالما ان خبره بلغ الى الوثنيين انفسهم وقبلوه في الايمان"!

[٣٠] راجع الدليل / ص ١٥١، المسيح قام / ص ٣٦-٣٧.

عبر كبريائه وعصيانه" (تك ٣: ٥، ٢٢)، نرى يسوع يختار، بملء ارادته، الطاعة والتواضع، ويرتضي ان يندمج كلياً بوضعنا البشري.

- **"بل تجرّد من ذاته، متخذاً صورة العبد**
  وصار على مثال البشر
  وظهر في هيئة انسان
  فوضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب"

هذه الآية تضعنا على الفور بازاء كشف لمحبة الهية فائقة تجسدت في وجه يسوع الذي، "مع انه في صورة الله"، نراه "يُخلي" (يُفرغ) ذاته..! وقد ذهبت به هذه الملاشاة الى انه اتخذ وضع "العبد"، وصار "على مثال البشر"، وظهر "في هيئة انسان"، و"وضع نفسه، وأطاع حتى الموت"! -ونجدنا بإزاء خمسة افعال (تجرد.. صار.. ظهر.. وضع نفسه .. أطاع..) يستخدمها النشيد لوصف تواضع المسيح! فنحن أمام صورة "العبد المتألم" (اش ٥٣: ١٢) الذي جسّد يسوع ملامحه، عبر محبة دفعته الى ان يكون شبيهاً بأخوته البشر في كل شيء -ما عدا الخطيئة- وعبر تضامن حمله على ان "يسلم ذاته للموت" واي موت: موت الصليب! في تواضع عميق وطاعة بنوية.

وهنا يبلغ النشيد ذروته (الآيات ٩-١١) حيث يتجلى التضاد بين "العبد المتألم" و "العبد المرفوع"!

- **"لذلك رفعه الله الى العلى"**: انها العبارة الوحيدة بهذه الصيغة في العهد الجديد، وقد جاءت لتعلن جواب الله عن طاعة يسوع، على مثال "عبد يهوه" الذي بعد ان "قدم نفسه ذبيحة اثم" (اش ٥٣: ١٠)، تمّ رفعه وتساميه... (اش ٥٢: ١٣)! ألسنا بازاء "قيامة" عُبّر عنها بكلمات الرفع والتمجيد، عبر التضاد "تحت/ فوق"؟! فيسوع الذي "وضع" نفسه، "رفعه الله".. وهو نفسه الذي "صعد" الى العلى، بعد ان نزل الى الارض، الى مثوى الاموات[٣١].

---

[٣١] في الرسالة الى اهل افسس (٤: ٧-١٠)، وفي معرض الحديث عن المواهب التي تعطى لكل واحد لبنيان جسد المسيح، يستشهد بولس بالكتاب (وبالتحديد بالمزمور ٦٨: ١٩): "صعد الى العلى فأخذ أسرى وأعطى الناس العطايا".. وهو يهدف، انطلاقاً من نص المزمور -وبالاحرى من تفسير له بحسب "ترجوم" من عصره-، الى التأمل في سر يسوع.

فبحسب الترجوم للنص العبري للمزمور، لم يعد الله هو الذي يصعد ليقيم في مسكنه، وانما موسى هو الذي يصعد الى السماء (جبل سيناء) ويتلقى الشريعة ويعطيها لبني البشر... فلم يجد بولس حرجاً من ان ينطلق، بدوره، من هذا الترجوم ليذهب في تأمله الى ابعد، ناسباً "الصعود" الى يسوع، موسى الجديد، بقوله في الرسالة: "وما المراد بقوله (صعد) سوى انه نزل ايضاً الى اسافل الارض؟ فذاك الذي نزل هو نفسه الذي صعد الى ما فوق السموات كلها ليملأ كل شيء..."! وسيستخدم لوقا في سفر الاعمال المزمور ذاته لتفسير ظاهرة العنصرة حيث يبدو الروح القدس، على لسان بطرس، عطية يسوع الممجد لكنيسته: "فلما رفعه الله بيمينه، نال من الآب الروح القدس الموعود به فأفاضه" (رسل ٢: ٣٣). (راجع الدليل / ص ١٥١).

- **"ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الاسماء،**
  كيما تبحثو لاسم يسوع
  كل ركبة في السموات، وفي الارض، وتحت الارض
  ويشهد كل لسان
  ان يسوع المسيح هو الرب
  تمجيداً لله الآب"

لقد وضع يسوع نفسه ولاشاها، حتى انه اصبح وكأنه "لا شيء"! وها هوذا الله يعطيه "اسماً" -لقب" الرب" الذي كان يُطلق على الله بحسب الترجمة السبعينية- بمعنى ان الله منح يسوع ربوبية شاملة، بصفته "ابن الانسان" (راجع دا ٧: ١٤)، تمكّنه من اخضاع كل شيء لنفسه (فل ٣: ٢١).. طالما ان الكون كله -بابعاده الثلاثة في الكوسمولوجيا الكتابية: السماء، والارض، وتحت الارض (مثوى الاموات)- مدعو الى السجود لاسم يسوع والى الشهادة له بأنه "الرب"... وهكذا يتمجّد الآب في المسيح يسوع!

٥- خبرة القيامة في حياة بولس ورسائله

وقبل ان نصل الى الروايات الانجيلية (الفصل التالي) التي سيعكس فيها الانجيليون خبرتهم الايمانية وخبرة جماعاتهم المسيحية بقيامة الرب -خبرة تستند هي الاخرى على الخبرة الفريدة التي عاشها الرسل والتلاميذ الاولون فجعلت منهم شهوداً مميَّزين-، يسوغ لنا ان نتوقف للتأمل في الخبرة التي عرفها القديس بولس، وقد احصي بين الشهود المميزين، وعبّر عنها، بعمق وأصالة، وبشتى الاشكال والصيغ، من خلال رسائله الرائعة التي سبقت الروايات الانجيلية والتي يبدو انه لم يعرفها!

في استعراضنا لصيغ التعبير عن القيامة، أثبتنا العديد من العبارات الواردة في رسائل القديس بولس والتي حاول فيها ان يعكس شيئاً من غنى السر الذي كُشِفَ له بوحي (أف ٣: ٣)، وقد أُعطي -وهو "اصغر صغار القديسين"- ان يبشّر "بما في المسيح من غنى لا يُسبَر غوره" (أف ٣: ٨)! انه سر المسيح الحي الذي التقاه بولس على طريق دمشق، فقلب حياته وقسمها الى "ما قبل"، أي الى ما قبل دعوته.. حين كان قد اعتقد من الواجب عليه ان يقاوم اسم يسوع الناصري (رسل ٢٦: ٩)؛ والى "ما بعد"، أي الى ما بعد ان "قبض" عليه المسيح يسوع (فل ٣: ١٢)!

أ- خبرة التزائي على طريق دمشق

وتتلخص خبرة بولس بالمسيح القائم، في "ترائي" يسوع الحي له على طريق دمشق.. مما جعله يبدو وكأنه آخر الشهود لقيامته! ففي "قانون الايمان" الذي جاء على لسانه، في الرسالة الاولى الى اهل قورنتس (١٥: ٥-٨)، كتب بولس: "... وانه تراءى لصخر، فالاثني عشر، ثم تراءى لاكثر من خمسمايئة اخ معا لا يزال معظمهم حياً ومعظمهم ماتوا، ثم تراءى ليعقوب، ثم لجميع الرسل، حتى تراءى آخر الامر لي ايضاً انا السقط"! وهنا يفرض السؤال نفسه: ما هو المقصود بالترائي الذي يتحدث عنه بولس؟ هل نحن امام ظهور حسّي للمسيح القائم خصّ به، بعد قيامته، بعض الشهود؟ ام نحن بازاء خبرة ايمانية عميقة مسّت بولس في الصميم، وكأنه "رأى اللامنظور"؟! (عب ١١: ٢٧).. علماً بأن التزائيات التي يذكرها بولس لا تلتقي مع التزائيات التي عكستها الروايات الانجيلية (النسوة، المجدلية، تلميذا عماوس، الاحد عشر من دون توما ومن ثم مع توما...)! هذه الاسئلة وغيرها تفرض علينا ان نتوقف قليلاً لفهم المعنى العميق "للترائي" الذي خبره بعض الشهود المميزين، وكان بولس آخرهم!(**انظر الاطار ٥٣: معنى "الترائي"**) -ونحن مدعوون الى مثل اختبارهم!

كتب بولس يقول ان المسيح الذي مات وقبر وقام... قد "**تراءى**" لبعض الشهود وفي مقدمتهم بطرس والاثنا عشر. ومن سياق حديثه يخيل الينا ان هذه التزائيات تتعاقب

اطار ٥٣

معنى "الترائي"

يتحدث القديس بولس عن ان الرب القائم "تراءى" لعدد من الشهود.. وتراءى له آخر الكل. وتتحدث الروايات الانجيلية عن "ترائيات" يسوع لبعض الشهود المميزين. وقد يوحي فعل "تراءى" او "ظهر" بأننا ازاء شبح او خيال، او ازاء حضور يخيل الينا ان بامكاننا التقاطه! الا ان صيغة الفعل اليونانية المستخدمة -على حد تعبير الاب شربنتييه (الدليل / ص ١٥١)- تعني بالاحرى "أرى نفسه"، مع التشديد على كون الرب الممجد "هو صاحب المبادرة في الكشف عن ذاته لمن شاء ومتى شاء"..! ويستشهد بالفيلسوف اليهودي فيلون، معاصر بولس، الذي قال بصدد رؤية ابراهيم لله: "ليس ابراهيم هو الذي [رأى الله]، بل الله هو الذي [أرى] (أظهر) نفسه لابراهيم"!

ويقول الاب شربنتييه بأن هذه الصيغة نجدها في العهد القديم في الحديث عن تجليات الله لابراهيم او موسى او جدعون (تك ١٢: ٧؛ ١٧: ١؛ خر٣٣: ٢٠؛ قض١٦: ٢١...) "حيث التشديد على المهمة الموكلة، أكثر مما هو على ما قد أمكن رؤيته.. وتلك طريقة للتعبير عن ان اللامنظور يُشعِر بنفسه". ويعكس سفر دانيال، بأسلوبه الرؤيوي، العناصر التي ترافق رؤيا "شبه انسان"، موصوفة بعبارات النور، يليها صوت يُسمَع فيحدث خوفاً، يرافقه "سقوط على الوجه" الى الارض، ومن ثم إنهاض وتسليم المهمة (دا ٨: ١٥ت؛ ١٠: ٥ت؛ حز١: ٢٦ت).

وفي العهد الجديد نجد هذه الصيغة، ولا سيما بقلم لوقا، لدى "ظهور" الملاك للرعاة (٢: ٩) او ليسوع المنازع (٢٢: ٤٣) او في العنصرة حين ظهرت ألسنة من نار (رسل ٢: ٣)... ونجدها في اطار اسلوب رؤيوي في روايتي التجلي والترائي لبولس - فضلاً عن سفر الرؤيا الذي ينتمي الى هذا الاسلوب (انظر ١: ٩-١٨ حيث يتجلّى بنوع خاص في رؤيا المسيح القائم).

• ففي رواية التجلي بحسب متى (١٧: ١-٨) بالأخص، نجدنا بازاء رؤيا مستبقة للمسيح القائم والممجد: فالتلاميذ يرون المسيح المتجلي، فيما "يُري" موسى وايليا ذاتهما لهم... ويُسمَع صوت، ويسقطون على وجوههم، ويستولي عليهم الخوف... واخيراً يلمسهم يسوع ويقول لهم: قوموا، لا تخافوا!

•اما في رواية ترائي يسوع لبولس (وقد جاءت بثلاث نسخ في سفر الاعمال: ٩: ٣ت، ٢٢: ٦ت، ٢٦: ١٣ت)، فإن لوقا يستخدم الاسلوب الرؤيوي ذاته: بولس يرى نوراً، يسقط على الارض، ويأتي صوت يُسمَع يدعوه الى النهوض... وتلفت نظرنا هذه العبارة عن رفاق الطريق: "... يسمعون الصوت ولا يرون أحداً" (٩: ٧)، أو هذه العبارة الاخرى: "ورأى رفقائي النور ولكنهم لم يسمعوا صوت من خاطبني" (٢٢: ٩) -ونجد صداها في دا١٠: ٧ حيث جاء: "والرجال الذين كانوا معي لم يروا الرؤيا"! كما ان هناك توافقاً بين رواية رسل ٢٦: ١٦ ورؤيا حزقيال ٢: ١ حيث التركيز على المهمة التي تلي الرؤيا، فنسمع يسوع يقول لبولس: "انهض وقم على قدميك: فانما ظهرت لك لأجعل منك خادماً وشاهداً لهذه الرؤية التي رأيتني فيها... "!

ويخرج الاب شربنتييه بهذه الخلاصة: "فالتلاميذ، لدى استعمالهم هذه الكلمة، لا يدّعون ان يسوع يتجلّى بصورة منظورة يمكن التقاطها بآلة تصوير، وانما يشددون على مبادرة يسوع، ويتركون الباب مفتوحاً امام إمكانية ان تكون هذه الترائيات اختبارات باطنية أولاً".

زمنياً، بدءً ببطرس فالاثني عشر، ومن ثم لأكثر من خمسمائة اخ مجتمعين، فيعقوب وجميع الرسل، واخيراً له! واول ما نقوله بشأن هذه الترائيات ان حقيقة القيامة قد مسّت اناساً اصبحوا في منزلة الشهود الذين سيحق لهم، بعد ان خبروا هذه الحقيقة في عمقها، ان يشهدوا لها.. وسيترتب علينا نحن المؤمنين ان نقبل شهادتهم ونختبر بدورنا حقيقتها...

ان المقصود من استخدام هذه العبارة هو الكشف عن الرسالة الموكلة الى الشهود، اكثر مما على ما امكن رؤيته. كما أن المقصود هو التشديد على ان مبادرة الكشف هي دوماً لله.. بحيث أن التركيز كله يذهب باتجاه مَنْ "يُري" نفسه -ولا يمكن ان يُرى-، فنفهم من ذلك ان الذي يحصل على "رؤية" الله او ملائكته، انما يختبر باطنياً ما يريد الله ان يكشف له وما يريد أن يحمّلَهُ من مهمّات... وبالتالي، فهو يرى بعيون الايمان ما لا يمكن رؤيته بعيون الجسد! -ألا يكمن هنا معنى قول الله لموسى: "... لن ترى وجهي، لان الانسان الذي يراني لا يعيش".. فكان الحل ان يرتضي موسى بأن يريه الله نفسه من "وراء"، ويبقى وجهه محجوباً عنه (خر ٣٣: ٢٠-٢٣)!

الا ان لترائي يسوع لبولس معنى خاصاً يختلف عن سائر الترائيات. ذلك لأن يسوع الذي "يتراءى" لشاول المضطهِد، هو يسوع الناصري المصلوب الذي يضطهده شاول في شخص تلاميذه! وهو في الوقت ذاته يسوع، الرب الممجد، الحي والحاضر في

جماعة المؤمنين به: "انا يسوع الذي انت تضطهده" (رسل ٩: ٥؛ ٢٢: ٨)! **وهكذا نجدنا للحال امام تراء من نوع خاص هو اشبه باقتحام يجريه المسيح الحي لكيان بولس، إذ يريه ذاته ممجّداً في حضن الله!** أليس من النافل، ازاء المسيح الحي، الجالس في مجد الآب، ان نتكلم عن تراءٍ حسّي منظور، يمكن التقاطه بآلة تصوير؟!

ب- حياتي هي المسيح

لقد قبل بولس، في الايمان، هذا الكشف الالهي، وقبله في الطاعة لصوت الرب الحي -طاعة عبّر عنها لوقا بكلمات وضعها على لسان بولس: ماذا عليّ ان أعمل؟ (رسل ٢٢: ١٠). فكان عليه للحال ان يعيد قراءة الاسفار المقدسة بعيون الايمان، في ضوء هذا "التراءي" الذي كشف له عن حقيقة القائم من بين الاموات. وما أن أدرك بولس موقع يسوع "المسيح المتألم" في تدبير الله الخلاصي، وأيقن أن "ملعون" الصليب هو الرب الممجد.. اصبح يسوع له كل شيء! فما كان بالأمس يعتبره مبدأ حياته، أي الاسفار المقدسة وفي مقدمتها "الشريعة"، أخذ الآن يجدد قراءتها في ضوء ايمانه بالمسيح الحي الذي أصبح له شريعة وحياة ونوراً: "ما أنا احيا بعدُ، بل المسيح يحيا فيّ" (غلا ٢: ٢٠؛ قول ٣: ٤...)! ألم يكتب في رسالته الى فيلبي: "... أعدّ كل شيء خسرانا من اجل المعرفة السامية، معرفة يسوع المسيح ربي... ولا يكون برّي، ذلك الذي يأتي من الشريعة، بل البر الذي يُنال بالايمان بالمسيح..." (٣: ٨ت)!

لقد كان بولس بحق "الشاهد" المميّز الذي استطاع ان يعبّر عن اختباره لسر الفصح، عبر رسائل هي بالاحرى تأملات لاهوتية في سر قيامة المسيح. فهو يُرجع هذه الخبرة الايمانية الى "التراءي" على طريق دمشق، حيث انضم، بعد بطرس ويعقوب وجميع الرسل، الى لائحة الشهود الذين بات يحق لهم ان يجاهروا بهذه الحقيقة الكبرى...

ويمكننا القول، مع الاب شربنتييه، بأن القديس بولس لخّص اختباره الفصحي خير تلخيص في رسالته الى اهل غلاطية، حين كان تفكيره قد اتخذ منحى لاهوتياً واضحاً حمله على أن يحكي قصة دعوته بهذه العبارات: "... لما حَسُنَ لدى الله الذي أفردني مذ كنت في بطن امي ودعاني بنعمته، ان يكشف لي ابنه..." (١: ١٥-١٦)! فالبشارة التي يحملها "ليست على سُنّة البشر"، ولم يتلقّها عن انسان، بل "بوحي يسوع المسيح" (غلا ١: ١١-١٢)! ويقول الاب شربنتييه: "لقد اصابه هذا الحدث في سيرته الشخصية، فقسم حياته الى (قبل) و (بعد). واستعان بالكتب المقدسة ليعبّر عن معنى ذلك، فأفادنا بأن ذلك التراءي كان له دعوة نبوية تشبه دعوة أرميا.. ولقد اكتشف نفسه، إذن، في هذا الاختبار وبه، [مفرداً]، في سبيل رسالة تبشير الوثنيين بالانجيل "[٣٢].

---

[٣٢] المسيح قام / ص ٤٠.

وسيبلغ هذا الاختبار لدى القديس بولس مبلغاً يسفر عن رغبة في التمثل الكامل بالمسيح. فبعد ان كتب في الرسالة الى اهل فيلبي، معلناً تنازله الكامل عن عناوين افتخاره السابقة (٣: ٤-٦) ازاء معرفة المسيح، هوذا يعلن عن رغبته الملحة في: "ان اعرفه واعرف قوة قيامته والمشاركة في آلامه، فأتمثل به في موته، لَعَلّي ابلغ القيامة من بين الاموات " (٣: ١٠-١١)! وهكذا يصبح للألم والموت في حياته معنى طالما ان القيامة هي امامه... لذا فهو يواصل تأمله في هذه المسيرة (السباق) وراء المسيح لعلّه يدركه: "لا اقول اني حصلت على ذلك او أدركت الكمال، بل أسعى لعلي اقبض عليه، فقد قبض عليّ يسوع المسيح" (٣: ١٢)! انه يستوحي تأمله من السباق حين يتحتم على المتسابق الا يتوقف في سعيه، ولا ينظر الى الوراء، بل دوماً الى الامام...

وسيعيش بولس اختبار المسيح الحي في سعيه المتواصل الى اعلان بشرى الانجيل -وهي في جوهرها بشرى القيامة- وما يرافقها من آلام ومعانيات..! انه يدرك بأن عليه، هو الاول، ان يعيش حقيقة الفصح، مرتضياً بأن "تفيض عليه آلام المسيح" (٢ قور ١: ٥)، وان "يُراق دمه على ذبيحة ايمانهم" (فل ٢: ١٧)، ليصبح، على مثال المسيح، "ذبيحة" من اجل المؤمنين، عبر الموت الذي ينتصب دوماً بوجهه كما بوجه كل مبشّر: "نحمل في أجسادنا كل حين آلام موت المسيح، لتظهر في أجسادنا حياة المسيح ايضاً... فالموت يعمل فينا والحياة تعمل فيكم" (٢ قور ٤: ٧ت)! ألسنا بازاء اختبار عميق لحقيقة القيامة، في بُعدها الرسولي الذي يجعل موت الرسول يسفر عن حياة للمؤمنين؟ ولقد ذهب بولس الى تشبيه آلامه بآلام المخاض التي تسفر عن ولادة جديدة: "انتم الذين اتمخض بهم... حتى يُصوَّر فيهم المسيح " (غلا ٤: ١٩)! كما استطاع ان يرى في آلامه امتداداً لما نقص في آلام المسيح: "يسرّني الآن ما اعاني لأجلكم، فأُتمّ في جسدي ما نقص من شدائد المسيح في سبيل جسده الذي هو الكنيسة " (قول ١: ٢٤)!

الى مثل هذا الاختبار الفصحي يدعى ايضاً المؤمنون الذين يتلقون البشرى ويَدَعونها تعمل فيهم للحياة، بدءً بالعماذ: "... قد اعتمذنا جميعنا في يسوع المسيح، فانما اعتمذنا في موته، فدُفنّا معه في موته بالمعموذية، لنحيا نحن أيضاً حياة جديدة كما أُقيم المسيح من بين الاموات بمجد الآب..." (روم ٦: ٣-٤). فنحن، بقبولنا بشرى الإنجيل، ندخل في سر الفصح ونُدْعى الى اختبار موت المسيح وقيامته... ومنذ اذ، ليس بوسع الاضطهادات وكل الآلام والمعانيات ان تفصلنا عن المسيح (روم ٨: ٣٥- ٣٩)! فهي لن تقاس مع "المجد الذي سيتجلى فينا" (روم ٨: ١٨)، لا بل تُضحي السبيل الأفضل الى التمثل بالمسيح: "... اذا اتحدنا به فصرنا على مثاله في الموت، فنكون على مثاله في القيامة (روم ٦: ٥).. ويقيننا اننا "اذا شاركناه في آلامه نشاركه في مجده ايضاً" (روم ٨: ١٧)...

جـ- المسيح بكر الاموات

"... إن المسيح قد قام من بين الأموات، وهو بكر الذين ماتوا" - نزول المسيح الى مثوى الأموات ليقيم آدم وحواء (جدارية بيزنطية من القرن الرابع عشر - استانبول).

كانت قيامة المسيح من بين الاموات، في فكر بولس، رجاءً وطيداً بقيامة الموتى! ذلك لأنه ما ان أدرك، بوحي من الروح، ان يسوع الناصري المصلوب هو حي، أدرك ان الله أقامه من بين الاموات، وأدرك في الوقت ذاته انه المسيح، رب المجد، ديّان الاحياء والاموات... ذلك **لأن قيامة المسيح من بين الاموات هي الدليل على افتتاح الازمنة الاخيرة، وبالتالي على مجيء "يوم يهوه"** -وهو "اليوم الثالث" في فكر بولس والمسيحيين الاولين- اليوم الذي فيه يقيم الله الموتى، بدءً بيسوع، بكر من قام من بين الاموات! وهكذا تقوم المعادلة التي ستشكل محور الرسالة الاولى الى اهل قورنتس: اذا كان المسيح قد قام... فالموتى يقومون! وإذا كان الموتى لا يقومون فالمسيح لم يقم!

الا ان ايمان بولس بقيامة المسيح -وعلامتها المجد الذي غمر المصلوب- سيطرح عليه بشكل حادّ مشكلة مصير الموتى! وهنا يجب ان نعلم جيداً بان تفكير بولس في هذه المشكلة عرف تطوراً امتد على بضع سنوات، وعكسته رسائله التي امتدت هي الاخرى على حوالي ١٥ سنة، بين الاعوام ٥١-٦٧، بدءً **بالرسالتين الى اهل تسالونيقي** (٥١-٥٢) -وقد بشّرهم بولس في حدود العام ٥٠ برفقة سيلا وطيموتاوس ولوقا (رسل

:١٧ ١-١٠)، وكتب لهم في عام ٥١ من قورنتس- مروراً بالرسالة الاولى الى اهل قورنتس، وقد كتبها في حدود العام ٥٦ - ٥٧، ومن أفسس في أغلب الظن، وانتهاءً بالرسائل التي كتبها من سجنه بروما (ما بين الاعوام ٦٢-٦٧).

ان بولس الذي اشرق عليه، على طريق دمشق، مجد المسيح الحي القائم من بين الاموات، أدرك ان ملكوت الله قد حلّ بيسوع.. هو الذي بقيامته افتتح هذا الملكوت. وهكذا فهم ان جماعة المؤمنين بالمسيح يؤلفون الكنيسة، جسد المسيح، وأن هذه الكنيسة هي تجسيد حي للملكوت الذي بدأ على الارض ويتواصل حتى آخر الأزمنة حين "يُسَلِّم الملك الى الله الآب"(١ قور ١٥: ٢٤)!

لقد تلقى اهل تسالونيقي الايمان بحماس كبير، وتأصل لديهم الرجاء الوطيد بلقاء الرب الحي القائم من بين الاموات، وراحوا يتوقون بشوق الى ملاقاته القريبة، سيما وان بولس كان قد أكّد مراراً على مجيء الرب القريب -وهو ذلك الفريسي الذي ادرك ان قيامة المسيح هي العلامة على اقتراب ازمنة الدينونة لدى عودته الوشيكة[٣٣]. فلقد مُنِيَ أهل تسالونيقي بالقلق ازاء الموت في الجماعة الفتية، وراحوا يتساءلون عن مصير هؤلاء الاموات لدى عودة الرب -مما يدل على ان وضعهم يعتبر استثنائياً!- سيما وأن بولس ذاته كان قد أوحى بأن الوضع الطبيعي لملاقاة الرب هو وضع "الاحياء الباقين الى مجيء الرب"(١ تس ٤: ١٥)! فكان من الطبيعي ان يُثار التساؤل بشأن وضع المؤمنين الذين سبقوا ان رحلوا، وسيكونون بالتالي متخلفين عن لقاء الرب! فكانت **رسالة بولس الاولى إلى اهل تسالونيقي** بمثابة تهدئة ومتابعة (١ تس ٤: ١٣-١٨)...

يبدأ بولس بالقول: "ولا نريد ايها الاخوة ان تجهلوا مصير الاموات لئلا تحزنوا كسائر الناس الذين لا رجاء لهم "! ومن ثم يدلي بتأكيدين: انه ينطلق اولاً من الايمان بقيامة الرب ليؤكد قيامة الموتى: "نحن نؤمن بأن يسوع قد مات ثم قام، فكذلك سينقل الله، بيسوع ومعه، اولئك الذين ماتوا" -وفي الترجمة السريانية: فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله معه"-، وذلك يتطابق كلياً مع التعليم الاساسي الذي يدعو الى عبادة الله الحي وانتظار عودة ابنه الذي أقامه من بين الاموات (١ تس ١: ٩-١٠). والتأكيد الثاني يستند الى تعليم من الرب: " اننا نحن الاحياء الباقين الى مجيء الرب لن نتقدم الاموات "! ولما كان بولس يشارك في التصورات الرؤيوية حول الازمنة الاخيرة والدينونة، فهوذا يستخدمها حين يقول: "لأن الرب نفسه، عند اعلان الامر، عند انطلاق صوت رئيس الملائكة والنفخ في بوق الله، سينزل من السماء فيقوم اولاً الذين ماتوا في المسيح، ثم اننا نحن الاحياء الباقين سنخطف معهم في الغمام لملاقاة المسيح في

---

[٣٣] نعتمد هنا طروحات أ. مرشدور الذي يتناول تطور تفكير القديس بولس في موضوع قيامة المسيح، بصفتها اساس قيامة الاموات: الموت والحياة/ ص ٥٠-٥٣.

الجو" (آ ١٦-١٧)! وهكذا يخلص الى القول بأن "الراقدين بيسوع" -أي اولئك الذين تأصلوا في الايمان واتحدوا بالمسيح وسبقونا اليه- سيكونون وايانا "مع الرب دائماً ابداً" (آ ١٧).

ويدعو بولس من ثم الى عدم البحث عن الاوقات والازمنة.. طالما أن "يوم الرب" يأتي كاللص (٥: ١-٣)! لذا لا ينبغي ان نعرِّض انفسنا للمفاجأة، بل علينا بالسهر (٥: ٤-٩) للحصول على الخلاص، بربنا يسوع المسيح، سواء كنّا "ساهرين ام نائمين" (اي سواء كنا احياء ام اموات)، هو الذي "مات من أجلنا لنحيا معاً متّحدين به"(آ ١٠).

وحين رأى بولس ما احدثته حمى انتظار عودة الرب التي تأخرت -او التي ظنوا انها تمّت (٢ تس ١-٣)- بحيث أخذ بعضهم يتوقفون عن العمل، فيما أخذ بعضهم يعيش في الفوضى (٢ تس ٣: ١٠-١٢)، يضطر، في **رسالته الثانية الى أهل تسالونيقي** الى ان يوضح بأن مجيء الرب ستسبقه تقلبات كثيرة (٢: ١-١٢)، كالتي ورد ذكرها في خطاب يسوع في الازمنة الاخيرة (مر ١٣) او في الرؤى اليهودية.. داعياً الى الثبات لنيل "مجد ربنا يسوع المسيح" (٢: ١٤) -وكان قد أكّد في رسالته الأولى (٤: ١٣-١٨) بأن الايمان بقيامة المسيح هو الضمانة لملاقاته لدى مجيئه. فالمهم هوان نكون جميعنا -الاموات الذين رقدوا في المسيح، ونحن الاحياء الباقين الى مجيئه- "مع الرب دائماً ابداً" (١ تس ٤: ١٧). **(انظر الاطار ٥٤: بولس يواجه موته الشخصي)**.

وفي الرسالة الاولى الى اهل قورنتس (١٥: ١-٥٨) -وقد مضت خمس او ست سنوات على الرسالتين الى اهل تسالونيقي- فنكتشف تطوراً في فكر بولس.. إذ تأتي توضيحاته رداً على اناس ينكرون على الاموات امكانية الحياة مع المسيح، او ينكرون وجود حياة بعد الموت! فكان لنا "قانون الايمان" المشترك بقيامة المسيح (آ ٣ ت) -وقد برَّزنا اعلاه فقراته الرئيسة. ويقيم بولس الدليل انطلاقاً من الصلة الوثيقة بين قيامة المسيح وقيامة الاموات (آ ١٢-١٩): "إن لم يكن للأموات من قيامة، فالمسيح لم يقم ايضاً. وإن كان المسيح لم يقم.. فالذين ماتوا في المسيح قد هلكوا... كلا! ان المسيح قد قام من بين الاموات، وهو بكر الذين ماتوا" (آ ٢٠)! وانطلاقاً من هذه الحقيقة يوسّع بولس الرجاء ليشمل البشرية جمعاء: "عن يد انسان اتى الموت، فعن يد انسان ايضاً تكون قيامة الاموات" (آ٢١).. وهكذا نجدنا، من خلال التوازي بين آدم الاول وآدم الجديد، بإزاء شمولية الخلاص بالمسيح: "كما يموت جميع الناس في آدم، فكذلك سيُحيون في المسيح" (آ ٢٢). ولكن كلٌّ برتبته: "البكر اولاً هو المسيح، ثم الذين يكونون خاصة المسيح عند مجيئه" (آ ٢٣)...

بولس يواجه موته الشخصي (او قيامته)

سأل اهل قورنتس بولس: "في أي جسد يعود الاموات؟".. فتوجب على بولس ان ينطلق من لفظ "الجسم" (وهو أقرب الى العقلية اليونانية منه الى العقلية الساميّة) ليأتي بتفسير، مستعيناً بالصور واللغة التي كانت في متناوله وفي ثقافته الشخصية، فقال: إن الجسم المقبل لن يشابه الجسم الحالي! فمَثَلُهُ مثل حبة حنطة تُزرع فتصبح نبتة بقدرة الله: "يكون زرع الجسم بفساد، والقيامة بغير فساد... يُزرع جسم بشري فيقوم جسماً روحانياً".

ان عبارة "جسم روحاني" -وهي فريدة من نوعها في العهد الجديد- تصعب الاحاطة بجوانب معناها. فلقد كانت النفس مبدأ حياة الجسم المقبل او بالاحرى الكائن المقبل (علماً بأن الجسم والنفس لا ينفصلان في نظر الانسان السامي). لكن، أيّةً كانت الاعتبارات الثقافية، يرى بولس ان مطابقتنا المسيح.. لها مركز الصدارة. فنحن الذين كنّا على صورة آدم الارضي (المكوّن من تراب الارض)، سنكون على صورة الآتي من السماء، يسوع المسيح الذي، بروحه، يهب الحياة (١ قور ١٥: ٣٥-٤٩).

كان الموت عدوّ الانسان اللدود (إذ انه كان يجرّده من كل وعي وكل قدرة على الحياة)، فتغلّب عليه المسيح. واختتم بولس قوله بنشيد ظفر وشكر استوحاه من أشعيا وهوشع: "قد ابتَلَعَ الظَفَرُ الموت، فأين، يا موت، ظفرك؟" (١ قور ١٥: ٥٤-٥٥).

كان بولس على يقين من أمر واحد، وهو انه يحيا مع المسيح، وانه معه للأبد (راجع ١ تس ٤: ١٧). وهو منذ اليوم يختبر هذه الحياة مع المسيح، ورغبته الحارّة هي اللحاق بالمسيح ليكون معه بشكل تام، ونهائي. لكنّ بولس كان ساميّاً، فكان لا بد له ان يطرح على نفسه هذا السؤال: إن أبطأت القيامة المقبلة ووجب عليه ان يختار الموت، أفلا يعني ذلك أنه سيفقد وعيه وينتقل الى اللاوجود؟ ان المسيح، "بكر الاموات" (١ قور ١٥: ٢٠)، قام منذ اليوم، وهو يحيا كلياً بحياة الروح. لكن بولس لا يرجو هذه الحياة التامة قبل القيامة المقبلة.. فإن وجب عليه ان يذوق الموت، بَدَل ان ينتقل مباشرة من هذه الحياة الى الحياة الاخرى، ماذا يجري له بين الحالتين؟

يَنُّ بولس حنيناً الى ارتداء لباس الابدية فوق لباسه الحالي (حياته الارضية)، معلناً: "إذا قُدِّر لنا ان نكون لابسين لا عراة" (٢ قور ٥: ٣). فهل هناك زمن يكون قد فقد فيه حياته الارضية (جسمه الحالي) ولم يكن قد ملك فيه جسمه المجيد، كونه فقدَ وعيه؟ وهل هناك زمن لا يستطيع فيه ان يحب المسيح؟ جدير بالذكر ان بولس يتجاوز هذا القلق فيقول: "ان الله أعطانا عربون الروح... فنحن إذاً واثقون، ونؤثر هجر هذا الجسد لنقيم في جوار الرب. لذلك نرغب في ابتغاء وجهه، أقمْنَا في هذا الجسد أم هجرناه" (٢قور ٥: ٥-٦).

وقصارى القول إن بولس لا يستطيع ان يتصور ان تُنزع عنه حياة الروح التي وهبها المسيح له والتي بفضلها يقول: "يا أبتاه" (روم ٨: ١٥). وهكذا يتجاوز بولس الاشكالية التي كانت تحصره فيها النظريات الساميّة القديمة. فالمهم لدى بولس ان يُرضي المسيح ويبقى منضمّاً اليه! لا يمكنه ان ينفصل عن ذلك المسيح الذي نال منه عربون الروح، حتى ولو مات قبل القيامة المقبلة (...).

آني جوبير

(عن المسيح قام / ص ٦٦)

وتنقلب الحالة التي وصفها بولس في الرسالة الاولى الى تسالونيقي. فقد أدرك الآن بأن وضع الاموات لم يعد استثنائياً، وانما وضع الاحياء.. طالما "لن نموت جميعاً" (١قور ١٥: ٥١)! إنه يطرح سؤالاً ليتسنى له الجواب من ثم: "ورب قائل يقول: كيف

يقوم الاموات؟ وفي أي جسد يعودون؟" (آ٣٥). ويستخدم مثال حبة الحنطة التي تُدْفَن في الارض لتصبح من ثم زرعاً، ليعبّر عن مفهوم للقيامة يوازن فيه بين نظريته السامية الى الانسان ذي الكيان الموحَّد، وبين مقولة خلود النفس لدى اليونانيين.. فكان هذا التعبير الجديد والفريد "الجسم الروحاني"! فكما ان حبة الحنطة التي تُزْرع يجعل الله لها جسماً (اعني انه يحدث تحول من الحبة الى الزرع)، هكذا هي الحال في قيامة الاموات: "يكون زرع الجسم بفساد، والقيامة بغير فساد، يكون زرع الجسم بهوان، والقيامة بمجد، يكون زرع الجسم بضعف، والقيامة بقوة، يُزرع جسم بشري فيقوم جسماً روحياً" (آ ٣٦-٤٤). ويسترسل بولس في المقارنة بين الجسم البشري والجسم الروحي، مخلصاً الى القول: "وكما حملنا صورة الارضي فكذلك نحمل صورة السماوي" (آ ٤٩). ومثل هذا التحوّل لا يمكن ان يتم الا بقدرة الله، تماماً كما كانت قيامة المسيح بفعل الله وقدرته.. ولذا نرى بولس يضعنا في الخط السليم: "أقول لكم ايها الاخوة: ان اللحم والدم لا يسعهما ان يرثا ملكوت الله، ولا يسع الفساد ان يرث ما ليس بفساد..." (آ ٥٠).

ومع ان بولس ظل يؤمن بأنه سيكون على قيد الحياة لدى مجيء الرب (آ٥١)، فلقد بلغ الى هذه النتيجة: جميع الناس، امواتاً كانوا ام أحياء، لدى مجيء الرب، سيتغيرون جذرياً: "يقوم الاموات بغير فساد ونحن نتبدّل"(آ ٥٢)، إذ "لا بد لهذا الكائن الفاسد ان يلبس ما ليس بفاسد، ولهذا الكائن الفاني ان يلبس الخلود" (آ٥٣). وحين يكون "هذا الكائن الفاسد قد لبس ما ليس بفاسد، وهذا الكائن الفاني قد لبس الخلود" (آ ٥٤)، يكون قد أُنجز الانتصار النهائي على الموت: "قد ابتلعَ الظفرُ الموت. اين يا موت ظفرك؟ اين يا موت شوكتك؟" (آ ٥٤-٥٥).

الا ان هذه النتيجة ايضاً تجاوزها بولس حين عبّر في **رسالته الثانية الى أهل قورنتس** (٥: ١-١٠) عن شوقه الشخصي الى عيش مغامرة اللحاق بالرب الممجد، وما يترتب عليها من "هجر" الجسد.. مخلصاً الى القول بأن المهم هو المثول لديه والبقاء معه "سواء أقمنا في هذا الجسد ام هجرناه"! وهذه المغامرة الرائعة سيتناولها بشكل أوضح في **الرسالة الى فيلبي** -وإن يختلف المفسرون في تاريخها- حين أخذ يشعر باحتمال موته، متمنياً ان يذهب ليكون مع المسيح دائماً ابداً (١: ٢١-٢٣)، ومعبراً عن شوقه الى الوطن السماوي حيث "ننتظر مجيء المخلص يسوع الذي يبدّل جسدنا الحقير فيجعله على صورة جسده المجيد" (٣: ٢٠-٢١)!

وفي رسائله الاخيرة أدرك بولس ان هذا التحوّل قد تمّ بالفعل منذ الآن، طالما أننا قد اختبرنا العماذ في المسيح: "دُفِنتُم معه في المعموذية، وأُقِمتُم معه ايضاً، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذي أقامه من بين الاموات" (قول ٢: ١٢)!

والخلاصة...

لم يصل بنا المطاف الى القديس بولس -وقد لمسنا شيئاً من خبرته الايمانية بقيامة الرب وانعكاساتها في حياة المؤمنين- الا بعد جولة سريعة في اجواء العهد القديم، تعرفنا خلالها على المراحل التي هيأت للايمان بالقيامة، في بُعديها الرؤيوي والواقعي.

ولعل أجمل ما في هذه المسيرة نحو الايمان الفصحي هي تلك التلمسات، في زمن يسوع، حين لم يكن اليقين بقيامة الاموات قد شق طريقه الى التلاميذ..! فكان من العسير عليهم أن يفهموا "إنباءات" يسوع بقيامته "في اليوم الثالث".. وهم الذين تركهم موت يسوع على الصليب أمام تساؤلات لامَسَتْ الشكوك وخيبة الامل المريرة.. ولن نغالي إذا قلنا بأن يسوع نفسه بدا لتلاميذه ذاك الانسان العاجز أمام الموت! سيما وقد عكست عجزَه هذا صرخةُ الألم في بستان الزيتون، والتي رجّعت صداها صرختُه الاخرى من على الصليب: الهي الهي، لماذا تركتني؟!- وحذار من مقولات تعكس مفهوماً يكون يسوع بموجبه قد "لعب دوراً" مرسوماً له او "مقدّراً" عليه!

وفي تلك التلمسات والتذبذبات، كان التلاميذ "على موعد" مع ذلك النور البهي الذي سيجتاحهم يوماً ويحوّل كآبتهم الى فرح، وخيبتهم الى رجاء.. فيدركون، وبكشف الهي سيتقبلونه في الايمان، بأن يسوع الناصري المصلوب، "الملعون" بحسب الشريعة، هو "رب المجد"! وكان عليهم أن يعودوا الى الاسفار المقدسة، فيجددوا قراءتها في ضوء ايمانهم بالسر الفصحي الذي أُوحِيَ لهم -وكان لهم موضوع دهشة وحيرة كبيرتين-، ويبلغوا الى هذا اليقين بحقيقة قيامة يسوع، ويقيسوا مدى ما فعله الله إذ أقامه من بين الاموات، في "يومه" (يوم يهوه = اليوم الثالث)! وهكذا يتضح ان المسيح، على حد تعبير آلان مرشدور، "جسّد امام الموت اخلص ما أنجبه الدين اليهودي، فبدا ذلك المؤمن الذي تجرد كلياً عن ذاته، وجعل حياته كلها تحت نظر الله.. فعاش عيشة ومات ميتة لم يسبق لهما مثيل! وانتشله الآب من الموت، فكشف لنا ما لم يكن في امكان عيوننا الجسدية ان تراه، إذ كان الله حاضراً فيه"[٣٤].

وبعد ازمنة الاستذكار والاستيعاب، أخذ التلاميذ ينادون بهذه الحقيقة بكل طاقاتهم، ويبذلون قصارى جهدهم للتعبير عنها والشهادة لها بصيغ عديدة تستند كلها الى المفردات البيبلية. فكانت لنا، بفضل القديس بولس، اولى الشهادات الايمانية عن قيامة يسوع، وأصبحنا بازاء عبارات تعكس ايمان الكنيسة الناشئة به بصفته: الرب الحي، الممجد، ابن الانسان، ابن الله، القدوس، آدم الجديد، بكر الخليقة الجديدة... فيما

---

[٣٤] الموت والحياة / ص ٥٦.

سيطلق عليه انجيل يوحنا ألقاباً محمّلة بالايمان الفصحي: كلمة الله، حمل الله، نور العالم، الطريق والحق والحياة، الماء الحي، الكرمة، خبز الحياة...

الا ان هذا الايمان بفعل الله -وقد قال كلمته الاخيرة والحاسمة في يسوع "ابنه الحبيب"، ووضع فيه كل رضاه- حمل المسيحيين الاولين على ان يروا في موت يسوع قيمة شمولية: فلقد أصبح موته "من أجل خطايا" جميع البشر! وأصبحت قيامته ينبوع نور ورجاء لكل الناس، مضفية على حياتهم وموتهم معاني وأبعاداً تلامس الابدية! ذلك لأن يسوع لم يشأ ان يزيل "ما للمغامرة البشرية من طابع مأساوي، هو الذي جابه دنوّ موته حتى النهاية بالدموع والدم، فتبنى رعب الانسان ساعة عبوره"[٣٥]!

فمع ما في الموت من اختبار أليم، سيكون بوسع الايمان بقيامة الرب ان يبدّل نظرة المؤمنين الى حياتهم، كما كتب القديس بولس في رسالته الثانية الى اهل قورنتس (٥: ١٥): "... قد مات من اجلهم جميعاً، كي لا يحيا الاحياء من بَعْدُ لأنفسهم، بل للذي مات وقام من اجلهم"! -ولكَم سيكون لمثل هذه العبارة من أثر حين سيبلغ لنا المطاف الى مواجهة سرّنا الفصحي، سر عبورنا مع المسيح من الموت الى الحياة! ذلك لأننا نحن المؤمنين، يتوجب علينا ان نحيا حياة تامة في الايمان والرجاء والمحبة.. وسيكون بوسعنا ان نواجه موتنا على رجاء القيامة: " إذا كنا قد متنا مع المسيح، فإننا نؤمن بأننا سنحيا معه " (روم ٦: ٧)! وستصبح جُل غايتنا ان نكون مع الرب دائماً ابداً، في الحياة كما في الموت، لأننا "إن حيينا فللرب نحيا، وإن متنا فللرب نموت..."، طالما ان المسيح هو "رب الاحياء والاموات" (روم ١٤: ٨-٩)! ألم يقل لمرتا: "أنا القيامة والحياة، من آمن بي، وإن مات فسيحيا، وكل من يحيا ويؤمن بي لن يموت للأبد" (يو ١١: ٢٥-٢٦).

ويطيب لنا في هذه الخلاصة ان نتبنى كلمات الاب مرشدور في خاتمة كتابه [٣٦]: "إن مباشرة حياة مختلفة منذ الآن، على رجاء حياة اخرى.. هذه هي رسالة الانجيل في كمالها. لقد كشف يسوع لمرتا (يو ١١) أن الحياة الحقيقية تبدأ منذ الآن. وهناك شرط واحد يُلَخّص بالعبارة الجميلة التي وردت في ١ يو ٣: ٢٣: [وصيته هي ان نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، وان يحب بعضنا بعضاً، كما أوصانا]. ان الحياة تبتدئ منذ الآن، ولا تنتهي في حياتنا الارضية: لقد شعر بنو اسرائيل بهذه الحقيقة، وأكّدها المسيح بوضوح، وجاءت القيامة فجعلت منها يقيناً"!

---

[٣٥] الموت والحياة/ ص ٥٧.

[٣٦] المصدر ذاته / ص ٥٧.

الفصل الثامن

قيامة المسيح في الروايات الإنجيلية

الفصل الثامن

قيامة المسيح في الروايات الإنجيلية

كانت حقيقة قيامة المسيح محور الكرازة الرسولية عبر صيغ إيمانية مكثفة.. أما الروايات الإنجيلية، فهي بمثابة توسيع وتفسير لتلك الصيغ الموجَزة! فقد كتبها مؤمنون لمؤمنين، بغية توطيد الإيمان لديهم بحقيقة قيامة الرب.. -وقد كان الرسل والتلاميذ الاولون "شهودها" المميزين. فلقد رأى التلاميذ، بالإيمان -ونحن من بعدهم- ما ترجمه الرب القائم من كيانه المجد في "علامات" يمكن إدراكها في هذا العالم!

فمع الروايات الإنجيلية -وهي لا تتجاوز ٥ فصول من مجمل الأناجيل الأربعة- لسنا بإزاء تقارير مباشرة من موقع الأحداث، وإنما بإزاء شهادات إيمانية سعى كتابها الى أن يحملوا قراءهم على اختبار حقيقة قيامة الرب في حياتهم، عبر الإجابة الى تساؤلاتهم وترددداتهم.. ومن هنا كان لنا بعض الروايات ذات الهدف الدفاعي! وكانت في الوقت ذاته اختلافات فيما بينها، في الطرح والمعالجة، وقد توزعت على محورين: قصة "القبر الفارغ" من جهة، وقصة "التراءيات" من جهة أخرى. وفيما تنتمي روايتا لوقا ويوحنا الى الطراز التاريخي (قبل/بعد)، تأكيداً منهما على حقيقة قيامة الجسد بوجه اليونانيين، نجد رواية متّي تنتمي في أصولها الى الطراز الرؤيوي (تحت/فوق)، تعبيراً عن "رفع" ابن الإنسان!

ونجدنا غائصين في تحليل روايات أربع تشكل جزءً مكملاً لكل إنجيل، ولا تُفهم إلا في سياقه: فيكشف مرقس في قصة القبر الفارغ وحي القيامة، مرجّعاً صدى الكرازة الرسولية.. فيما تذهب بنا رواية متّى الى رؤيا فخمة لمجد "ابن الإنسان" الذي أولىَ كل سلطان.. أما لوقا فيرسم لوحة بثلاثة مشاهد، يحتل فيها التراءي لتلميذي عماوس مكانة القلب.. في حين تتمحور رواية الإنجيلي الرابع حول شخصيتَي المجدلية وتوما لترسم لنا، في الإيمان، الطريق الى رؤية الرب القائم: طوبى للذين لم يروا وآمنوا!

اولاً: روايات القيامة في الأناجيل

١- موقعها في سياق الأناجيل

٢- روايات متباينة في تفاصيلها

ثانياً: تحليل الروايات الإنجيلية

١- رواية إنجيل مرقس (ف ١٦)

أ. طريق يسوع

ب. وحي القيامة

جـ. ويبقى "السر" قائماً!

٢- رواية إنجيل متى (ف ٢٨)

أ. القبر الفارغ

ب. حراس القبر

جـ. التراءي للمرأتين

د. التراءي للأحد عشر

٣- رواية إنجيل لوقا (ف ٢٤)

أ. زيارة النساء وبطرس الى القبر

ب. رواية تلميذي عماوس

جـ. التراءي للأحد عشر

٤- رواية إنجيل يوحنا (ف ٢١- ٢٢)

ثالثاً: القيامة في حياتنا

الاطارات

٥٥) خاتمة إنجيل مرقس

٥٦)إختلافات في روايات القيامة

٥٧)القيامة في "إنجيل بطرس"

٥٨)يسوع حي: جسم روحاني

٥٩)"صعود" يسوع...

٦٠)الفصل ٢١ من إنجيل يوحنا

٦١)القيامة دعوة الى الإلتزام

مدخل

كان لابد لنا ان نفرز فصلاً كاملاً للروايات الانجيلية عن قيامة المسيح.. نتناولها بالدرس والتحليل، لنلج إلى مضامينها العميقة ومراميها البعيدة. فهي، مع روايات الآلام التي تسبقها وتعدّ لها، من اجمل النصوص التي خلّفتها لنا ريشة الانجيليين الاربعة -وقد كان هدفهم الاكبر ان يُدخلونا الى أعماق السر الفصحي، سر موت المسيح الخلاصي وقيامته المجيدة.

لقد تجاوزنا ولاشك تلك التصورات القديمة التي كانت الروايات الإنجيلية بموجبها بمثابة "تقارير موضوعية" عن حدث القيامة! ونحن على يقين من ان القارئ اللبيب ادرك الآن جيداً بأن اولى هذه الروايات عن الآلام والقيامة -وهي رواية مرقس- متأخرة عن البشرى الشفهية بالسر الفصحي، بحوالي ٤٠ عاماً، ومتأخرة بحوالي ٢٠ عاماً عن اولى رسائل القديس بولس -ونخص بالذكر الرسالتين إلى أهل تسالونيقي! ولقد سبق لنا ان قلنا بأن بولس، الذي كانت قيامة المسيح محور رسائله، لم يعرف هذه الروايات الانجيلية، ولم يعكس شيئا من تفاصيلها، ما خلا "قانون الايمان" (١ قور١٥) الذي كان متداولاً ولا شك في الجماعات المسيحية: موت المسيح ودفنه، وقيامته في اليوم الثالث، وترائيه لبعض الشهود المميزين -وقد استشهد به بولس، كما أسلفنا، لإقامة الدليل على قيامة الاموات التي تستند هي الاخرى إلى قيامة المسيح...

اولاً: روايات القيامة في الاناجيل

إن رواية القيامة، بحسب كل من الانجيليين، تصدي لمضمون الكرازة الرسولية.. وكانت الكرازة بدورها قد أوجزت السر الفصحي بعبارات مكثفة ومركّزة، كالتي عكستها رسائل بولس، او الخطابات التي رجّع صداها لوقا واعاد كتابتها في سفره الرائع... وحين أُتيح لهذه الكرازة/البشرى -وهي في مجملها مناداة بما صنعه الله إذ أقام يسوع من بين الاموات- أن تنتقل إلى مرحلة التدوين، وتصبح من ثم "البشرى المكتوبة" (الانجيل).. فلم يكن ذلك بدافع "التوثيق"، وانما بدافع ترسيخ الايمان وتعميقه وتفعيله، لدى مؤمنين سبق لهم ان آمنوا، وهم بحاجة إلى "التيقن من صحة ما تلقوا من تعليم" (لو ١: ٤)، كما كانوا بحاجة أكبر إلى تجديد ايمانهم بأن "يسوع هو المسيح ابن الله".. كي تَجِب لهم باسمه الحياة (يو ٢٠: ٣١)!

وهكذا يتضح ان **"قصص" القيامة في الاناجيل وضعها مؤمنون لمؤمنين**، ومن اجلهم، ليعبّروا، اولاً، عن الفرح الذي غمرهم ويغمرهم بحقيقة قيامة المسيح من بين

الاموات، ويحملوهم من ثم على المجاهرة بهذه الحقيقة الفريدة..! فلقد كتبها الإنجيليون ليُعبِّروا عن خبرة ايمانية اصيلة لدى الرسل والتلاميذ الاولين بصفتهم "الشهود" المميزين، وليحملوا المؤمنين الجدد على أن يدركوا ابعاد هذا الايمان بقيامة الرب الممجد، ويمكنوهم بالتالي من اختبار فرح اللقاء الشخصي به في حياتهم اليومية... فالايمان بقيامة الرب يفرض الشهادة لها.. وما هذه الروايات الانجيلية -وهي تدلي بشهادة عن "شهود" القيامة!- سوى محفّز للمؤمنين إلى الشهادة للقائم من بين الاموات، على مثال الاحد عشر، -أو بالأحرى "الاثني عشر"، كما سيصبحون باختيار متيا (رسل ١: ١٥ ت)-، بحيث لن يعودوا يشعرون قط انهم مُنتَقَصون، في خبرتهم الايمانية، عن الرسل الذين "رأوا" الرب يسوع.. ولا يحق لهم بالتالي ان يكونوا اقل حماساً في شهادتهم للرب القائم!

وتتضمن الروايات الانجيلية بصدد القيامة محورين كبيرين: روايات "القبر الفارغ" وروايات "التزائيات"، وهي في مجملها لا تشكل سوى خمسة فصول من أصل ٨٩ فصلاً: الفصل ١٦ من انجيل مرقس، والفصل ٢٨ من انجيل متى، والفصل ٢٤ من انجيل لوقا، والفصلان ٢٠و٢١ من انجيل يوحنا! وفي ذلك دلالة على انها -مع كونها تعكس الحقيقة الكبرى في الانجيل- ليست كل الانجيل! وانما هي، مع سائر النصوص الانجيلية المشبعة بنور القيامة، تسهم في استقطاب انظارنا إلى بشرى أُعلنت.. وإلى "كلمة" اخيرة قالها الله لنا بيسوع "ابنه الذي كلّمنا به في الايام الاخيرة..." (عب ١: ١).. وهي تنتظر منا بالتالي جواباً!

وقد يخيل الينا، لأول وهلة، بأن قيمة هذه الرويات تكمن في أنها عكست اختبار الرسل والتلاميذ الأولين، فشددت على كونهم شاهدوا بعيونهم الرب القائم، ولمسوه بأيديهم، وسمعوه بآذانهم، وتحدثوا اليه، وأكلوا معه... إلا أن هذا الطرح متأثر بهدف دفاعي يبحث عن برهان ليؤسس عليه الإيمان! ذلك هو بالضبط ما سعى إليه الإنجيليون: فلقد دبَّجوا رواياتهم -وهي برمتها شهادات إيمانية- في زمن كان المؤمنون الجدد يطرحون على الكنيسة الناشئة تساؤلات كثيرة بشأن قيامة الرب؛ فكان لابد لهم أن يعكسوا جانباً من إجاباتها وردودها.. بهدف التأكيد على حقيقة القيامة، والدفاع عنها بوجه الرافضين او المتشككين او ضعيفي الإيمان...

فمن هنا **شددت الروايات الإنجيلية على حقيقة قيامة المسيح، في مؤشراتها الإيمانية وانعكاساتها الواقعية، فيما اتسمت بالصمت عن حدث القيامة في حد ذاته** -وهو حدث لم يكن له شهود عيان، ولم يكن بوسع إنسان أن يشاهده.. طالما أنه فعل الله الذي لا يُرى! ومن هنا ايضاً كان ذلك الإنطباع الذي بدت بموجبه الروايات، ولاسيما روايات التزائيات، وكأنها "تقارير مباشرة" (!) بينما هي في الواقع "شهادات"

تعكس خبرة إيمان اولئك الشهود المميزين، وتسعى الى تفعيلها لدى قراء مدعوّين، هم ايضاً بدورهم، الى القيام بمثل خبرتهم الإيمانية.

فإذا سلمنا بأن فعل الله بإقامة يسوع -وقد أصدت له نصوص العهد الجديد، باساليب وصيغ عديدة- لم يكن بوسع انسان ان يشاهده، فكيف نفسّر ما أدلت به روايات التراثيات من ان بطرس ويوحنا والاحد عشر، من دون توما او معهم، والمجدلية وتلميذي عماوس.. قد "رأوا" يسوع، او أن يسوع قد "تراءى" لهم؟[1] -ويحق لنا من ثم أن نتساءل: ماذا رأوا؟

نحن ولا شك بازاء "رؤية"! ولكنها ليست رؤية من قبيل الرؤية الحسية لأحداث وماجريات هذا العالم المادي.. انها رؤية من قبيل الاختبار الايماني، على غرار الاختبار الروحي والصوفي الذي يجعلنا نقول عن علاقتنا الشخصية بالله اننا رأيناه وتحدثنا إليه، وأنه كشف لنا ذاته وأسمعنا صوته... ويمكننا أن نكتشف، من مضمون الروايات، ان الذين رأوا، فهم إنما **"رأوا الرب يسوع! ولكن ليست رؤية من يعود من الموت في احداثيات هذا العالم.. فلقد رأوا ما ترجمه الرب القائم من كيانه المجيد في علامات يمكن ادراكها في هذه الدنيا، ودائما بالإيمان"**[2].

وهكذا يمكننا ان نعتبر روايات القيامة في الاناجيل بمثابة تفكير لاهوتي يعكس خبرة ايمانية اصيلة عن حقيقة القيامة. انها تواصل، وبشكل روائي، عمل الكرازة بقيامة المسيح، وتعتبر بمثابة امتداد لها.. بعد ان اكتسبت، خلال قرابة نصف قرن، مزيداً من العمق والبُعد بشأن هذا الحدث الفريد والمدهش -وقد أتمه الله في يسوع وكشفه من ثم لشهود مميَّزين، وكان لشهادتهم نبرة خاصة اتسمت باليقين والاصالة والعمق...

ا- موقع روايات القيامة في سياق الاناجيل

حين تناولنا في الفصل السابق "صيغ التعبير عن القيامة"، اكتشفنا ان هناك ايجازاً في التعبير عن جوهر الايمان. فلقد جاءت العبارات محمّلة بالمعاني الكبرى التي تضمنتها قيامة المسيح والتي اضفاها عليها الرسل والمسيحيون الاوائل، منذ بدء الكرازة.. ونخص بالذكر العبارة التي وردت في اول قانون ايمان نقله القديس بولس: "قام في اليوم الثالث كما في الكتب" (١قور ١٥: ٤)! ولطالما قلنا بان هذه الصيغ الايمانية سبقت الروايات

---

[1] راجع الاطار ٥٣: معنى التراثي/ الفصل السابع.

[2] الاب كوب المخلصي: بشارة القيامة -وسنعتمد أدناه طروحاته للاختلافات بين الروايات الانجيلية في محوريها.

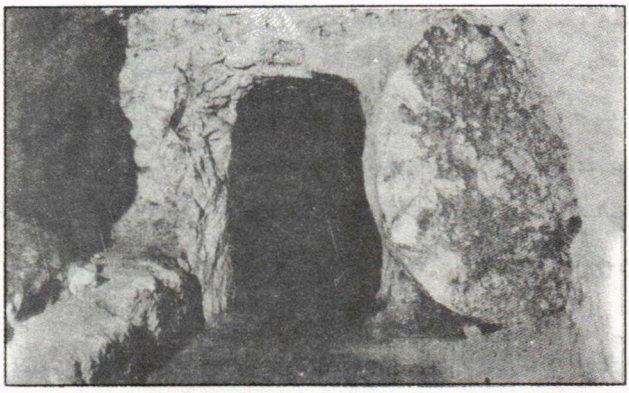

مازالت في فلسطين قبور يُدحرَج على أبوابها حجر كبير -هذا القبر اكتُشِفَ حديثاً في الناصرة ويرقى الى القرن الأول الميلادي!

الانجيلية، اقله في انشائها النهائي الذي تعكسه نصوص الاناجيل المتداولة بين ايدينا، لا بل كانت أساساً ومنطلقا للروايات الانجيلية المتأخرة عنها نسبياً. وهكذا، فانطلاقا من حداثة هذه النصوص من جهة، ومن ضآلتها النسبية في مجمل نصوص الاناجيل من جهة اخرى، يتضح لنا انها كانت بمثابة توسّع وتفصيل للعبارات الموجزة التي أدلت بجوهر الايمان، وليس العكس: كأن تكون هذه الصيغ المقتضية بمثابة مختصر للروايات!!

ان هذه النتيجة التي خرج بها اهل الاختصاص هي ذات مغزى عميق. فهي تجد أساسها في التحليل النقدي للنصوص، حيث تُستخرَج، من بين نصوص الروايات، تلك العبارات الايمانية الجوهرية.. وقد تناولتها الروايات، واضفت عليها عناصر من شأنها ان تساعد المؤمنين على قبول واستيعاب حقيقة القيامة، في ابعادها العديدة والمختلفة. وهذا التحليل يحملنا على الخروج بنتيجة اخرى هامة تقوم في كون هذه الروايات، بالرغم من اهميتها وروعتها، تتصف بالنسبية في ما يتعلق بقضية الايمان بالقيامة! وبعبارة اخرى يمكننا ان نقول بأن **الايمان المسيحي لا يطلب منّا أن "نصدّق" ما ترويه هذه القصص بشأن القبر الفارغ، ولا حتى بشأن الترائيات، بقدر ما يدعونا الى ان نؤمن بقيامة المسيح**.. وسنستفيد من ثم من هذه القصص في مسيرتنا الايمانية، طالما انها توضح لنا بعض الجوانب من الايمان المسيحي، وتلقي الضوء على الكثير من الابعاد التي ينطوي عليها هذا الايمان والتي بوسعها ان تنير مسيرتنا نحو الرب الممجد!

إلا ان في الاختلاف الذي نجده في روايات القيامة بحسب كل انجيلي، ما يحملنا على القول بأن كل رواية لا تشكل وحدة ادبية في حد ذاتها، وإنما هي متضمنة في سياق كل انجيل، وتتناول العناصر والموضوعات التي أكد عليها الانجيل ذاته في خطوطه الكبرى. لذا لابد من قراءتها في ضوء المواضيع التي تناولها الانجيلي من وجهة نظر الجماعة المؤمنة التي ينتمي اليها، وبهدف "تعليم" الجماعة المؤمنة التي يوجّه إليها انجيله... وعلى سبيل المثال نقول ان متى الذي عرض لنا، في فاتحة انجيله، وجه يسوع بصفته "عمانوئيل" -الله معنا- وجعلنا نكتشف فيه ذاك الاله الذي لا يني يعلن حبه لبني

البشر، عبر العهد مع بني اسرائيل.. هوذا ينهي انجيله بفصل القيامة ليكشف عن صورة "ابن الانسان" الذي، بفضل امانته حتى النهاية، أُوتي كل سلطان في السماء وعلى الارض.. مشيراً إلى أن هذا المسيح الممجد سيبقى "مع" كنيسته، في رسالتها التبشيرية، كل الايام حتى انقضاء الدهر!

وإذا كانت روايات القيامة، في كل انجيل، لا تنفصل عن سياق الانجيل ككل، فهي، باولى حجة، لا تنفصل عن ما يؤطّرها ويُعِدُّ لها، أي رواية الآلام التي دُوّنت برمتها في ضوء القيامة. وهكذا لا يمكن لرواية القيامة ان تتخذ كل معانيها وابعادها إلا على خلفية الآلام، ولاسيما إنطلاقاً من الموت الذي وضع حداً لحياة يسوع الناصري على الارض.

وسنكتفي هنا برسم الخطوط العريضة لروايات الآلام[٣]، بصفتها مدخلاً إلى روايات القيامة لدى كل من الانجيليين. إنها تعكس لنا يسوع الذي يبدو وكأنه "يختار" موته! أو كأنه "يختار" ايضاً طريق الآلام الذي يبلغ به إلى الصليب! متتبعين تصميم مرقس في روايته التي هي، على الأرجح، أولى الروايات المدونة...

في **العشاء الاخير** هوذا يسوع يبدو وكأنه بكليته فعل "شكر"، عبر حياته كلها، ولاسيما في موته! فهو يلبي نداء الآب بحرية تامة، مستبقا موته: "هذا هو جسدي... هذا هو دمي، دم العهد، يراق من اجل جماعة الناس" (مر ١٤: ٢٢، ٢٤). ويضفي يسوع على موته معنى، حين يحتفل بهذا العشاء في اطار فصحي يذكّر بالحمل المذبوح لدى الخروج.. -أليس فصحه خروجاً ورحيلاً؟ وهكذا يبدو لنا يسوع محتفلاً بموته "الخلاصي"، فيما تعكس رواية الآلام ما ينطوي على هذا الموت من حب وعطاء[٤]...

وفي مشهد **النزاع في بستان الزيتون**، نجدنا بازاء يسوع في حقيقة انسانيته، وهو يواجه الموت الأليم، بما فيه من رهبة وقلق.. سيما وانه يختبر هنا الفشل الذي مُنيَت به رسالته، حين تخلى عنه الجميع، في الوقت الذي وجد فيه المجرّب فرصته الاخيرة لزعزعة ثقته بجدوى موته! وسرعان ما تقترن صرخة يسوع "أبّا... إصرِف عني هذه الكأس"، بصرخة الثقة والرجاء: "ولكن: لا ما انا اشاء بل ما انت تشاء" (مر ١٤: ٣٦)!

---

(٣) لم نشأ ان نثقل هذا الفصل بروايات الآلام التي تدخلنا في الاجواء التي سبقت ورافقت موت يسوع على الصليب، لتعدّنا من ثم إلى قبول بشرى القيامة -ولن نملّ من التكرار بأن روايات الآلام استنارت بنور القيامة ودُوّنت من ثم في ضوئها، مما جعلها تتسم بطابع الرفعة والمهابة والشموخ! ذلك لانها تروي قصة الرب الحي.. يسوع الناصري المصلوب الذي اقامه الله وجعله رب المجد! ولذا طاب لنا أن نتناولها في فصل مستقل لاحق. الا اننا لن نحول دون رغبة القراء الذين يؤثرون أن يسبّقوا قراءتها، كما سنفعل حين نثبت في الملحق النصوص المتوازية للانجيليين الاربعة في تتابعها، بدءً بالآلام في محطاتها الكبرى، وانتهاءً بروايات القيامة.

(٤) راجع نصوص تأسيس الافخارستيا التي دونت هي الاخرى في ضوء القيامة، وعكست الممارسة الليتورجية للاحتفال بالرب القائم في وسط الجماعة المؤمنة /الفصل الخامس.

ولدى **مثول يسوع امام مجلس اليهود**، نراه يجيب بصراحة الى سؤال عظيم الكهنة -هو الذي غالباً ما رفض الكشف عن هويته المشيحانية (وذلك بيِّنٌ بنوع خاص في انجيل مرقس)، خشية ان يُسيئوا فهمه ويتخذوه ذلك المشيح القومي-، ويضيف: "سوف ترون ابن الانسان جالساً عن يمين القدير وآتيا في غمام السماء" (مر ١٤: ٦٢)! وهكذا يتضح، في ضوء القيامة، ان يسوع الناصري، هذا الرجل المحكوم عليه بالموت، يجسّد صورة "ابن الانسان" الذي تكلمت عنه رؤيا دانيال، والذي أولاه الله المجد والملك والسيادة على العالم...

وستبدو مسيرة الآلام نحو الصليب في مجملها -وإن اختلفت النظرة اللاهوتية إليها بحسب الانجيليين- **مسيرة "العبد المتألم"** الذي تكلَّمَ عنه اشعيا (٥٣).. وهو الذي يقبل الألم بحب، ويرتضي ان يموت موت المجرمين، بين لصّين، مستحقا اللعنة التي تلحق بالمعلّقين على الخشبة (تث ٢١: ٢٣؛ غلا ٣: ١٣)! وسيضع مرقس ومتى على لسان يسوع صرخة المزمور ٢٢: " الهي إلهي لماذا تركتني؟ " التي تعكس شكوى المتألم المضطهَد، وتتحول في الوقت ذاته إلى صلاة ثقة بالاله الحي... ولا ننسَ دور النساء في روايات الآلام، وهن اللواتي -وفي مقدمتهن مريم ام يسوع- شهدن موت يسوع ودفنه، وسيكُنَّ، في روايات القيامة، اولى "الشاهدات" على قيامة الرب...

٢-روايات متباينة في تفاصيلها:

من الواضح ان الروايات الانجيلية عن القيامة تتمحور حول حلقتين: حلقة "القبر الفارغ" التي تُفتتح بها، وحلقة "التزائيات" او "الظهورات" التي هي بمثابة الجواب على السؤال الذي أثاره خلوّ القبر... ولَكَم اعتبرنا هذين المحورين دليلين قاطعين على قيامة الرب، في حين انهما لا يشكلان برهاناً بحصر المعنى -والدليل هو أن بوسع غير المؤمن ان يشكك بهما، ومن دون عناء كبير! فاكتشاف القبر فارغا ليس، في حد ذاته، برهاناً على قيامة يسوع.. ومن هنا كانت اشاعة "سرقة الجثة" التي خرج بها رؤساء الكهنة! اما التزائيات، فمع كونها اختبارات شخصية عاشها، في الايمان، أناس استطاعوا من ثم ان يشهدوا لحقيقة لقائهم بالقائم من بين الاموات.. فمن الممكن ان يجد لها غير المؤمن تفسيرات تتراوح، من المستوى النفسي والعاطفي.. وحتى عالم الاشباح والتخيلات أو الوهم الجماعي.!!

ودفعاً لهذه الملابسات، لم نستند، في معرض دراستنا لحقيقة القيامة، في الفصل السابق، إلى هذين المحورين اللذين نُسِجَت منهما روايات القيامة في الاناجيل، وانما كان تشديدنا كله باتجاه المستوى الايماني، لكون قيامة المسيح فعلاً إلهياً انجزه الله، وكشفه

"للاثني عشر" ولكل التلاميذ الذين تقبلوا وحيه بيقين الايمان! علماً بأن الايمان الفصحي الذي انبتته الكرازة الرسولية لم يكن يستند الى رواية "القبرالفارغ" لإقامة الدليل على القيامة، ولا الى "التراثيات" التي توحي بأن الرسل "شاهدوا" القائم من بين الاموات! ولكنّ كررنا بأن هذه الروايات بشقّيها، ليست تقارير "موضوعية"، ولا يمكن من ثم ان نتعامل معها بهذه الصفة دون ان نفقدها مضمونها اللاهوتي العميق.. علماً بأن انجيل مرقس الاصلي لم يكن يتضمن ترائيات (!) وذلك دليل على ان الايمان بالقيامة لا يقوم عليها! **(انظر الاطار ٥٥: خاتمة انجيل مرقس).**

ويزداد يقيننا بانتفاء كون هذه الروايات تقارير مباشرة، حين نكتشف الاختلافات الكثيرة، وعلى مستويات عديدة، ما بين الانجيليين الاربعة من جهة، وبينهم وبين القديس بولس، بشأن التراثيات[٥]، من جهة اخرى! فهل يُعْقَل ان نسعى إلى الجمع[٦]

اطار ٥٥

خاتمة انجيل مرقس
(١٦: ٩ – ٢٠)

الآيات ٩–٢٠ من الفصل ١٦ من انجيل مرقس، بحسب معظم اهل الاختصاص، ليست من قلم مرقس، بدليل انها تبدو خاتمة مضافة استقت مضمونها من نصوص انجيلية لاحقة (التراثي للمجدلية، للتلميذين في الطريق، للاحد عشر مع الايفاد للرسالة، الارتفاع إلى السماء...)، فضلاً عن انها غائبة عن كثير من المخطوطات القديمة. ويبدو انها اضيفت في القرن الثاني، وبدافع تصحيح الشعور الذي ينتاب القارئ امام نص يبدو وكأنه لم ينته! ولقد كتب جان ديلورم: "لن نعرف يوما هل كان مرقس قد استدرك هذا الامر فكتب نهاية ضاعت لسبب من الاسباب، ام هل ظن ان كتابه انتهى بعد ان فُتح القبر وأُعلنت بشرى القيامة؟ هذه الامكانية الاخيرة معقولة جداً، لأنه ليس من الضروري، في كتابه، ان تنقل النساء إلى التلاميذ الكلام الذي حُمّلنه.. فيسوع سبق ونبّههم إلى ذلك في العشاء الاخير " (دليل إلى قراءة الانجيل كما رواه مرقس/ص ٩٧).

وتلتقي هذه الخاتمة بالروايات الانجيلية. واول ما نلاحظه فيها انها تنحي باللوم على قلة الايمان في اعقاب بشارةالمجدلية (آ ١١) وبشارة التلميذين الذاهبين إلى الريف (١٣)، فيما يأتي التوبيخ للاحد عشر بلسان يسوع (١٤)! وهوذا يسوع يوفدهم لاعلان "البشارة إلى الخلق اجمعين" (١٥–١٨)، بشارة تخلّص من يؤمن، وتدين من لم يؤمن.. طالما ان قيامة يسوع جعلت منه ديّاناً للاحياء والاموات... إلا ان هذه البشارة الرسولية ترافقها "آيات"، تماماً كما كان يسوع يعلّم ويعمل! وها هو الآن يغمرهم بالمجد الذي يحظى به لدى الله، بعد ان "رُفع إلى السماء وجلس عن يمين الله" (١٩)، ولا زال من عَلُ "يعمل معهم ويؤيد كلمته" (٢٠) في كل مكان ذهبوا إليه مبشرين!

---

[٥] سبق ان اوردنا نص القديس بولس (١ قور ١٥: ٥–٨) وفيه يعدّد الشهود الذين " تراءى " لهم المسيح القائم: تراءى لصخر، فالاثني عشر، ثم تراءى لاكثر من خمسمائة اخ معاً لايزال معظمهم حيا وبعضهم ماتوا، ثم تراءى ليعقوب ثم لجميع الرسل، حتى تراءى آخر الامر لي ايضا انا السقط! ونجد للحال شهوداً لم يرد ذكرهم في الروايات الانجيلية، فيما ذكرت الروايات شهوداً لم يذكرهم بولس! فنحن إذن بازاء تقاليد مختلفة.. والتقاليد الموغلة في القدم لم تكن تحتوي علىهذه الروايات الانجيلية، ولاسيما حلقة " القبر الفارغ " التي لا نجد لها اثرا في رسائل بولس.. ما عدا كون المسيح قد دُفن وقام...

[٦] راجع محاولة ططيانس في الجمع بين النصوص الانجيلية. انظر النموذج عن القيامة / الفصل الخامس.

والتنسيق بين التراثيات، أو وضع تسلسل زمني لها يخفي اختلافها الظاهر!! ام علينا بالحَريّ أن نتعلم التعامل مع هذه النصوص، لا بصفتها براهين على قيامة الرب، وانما كروايات/ شهادات، نشأت في وقت متأخر، كنتيجة للايمان بالقيامة وبمثابة دافع إليه؟ أليست التراثيات بالتالي خبرة شخصية عاشها الرسل والتلاميذ الاولون، في جو من الايمان العميق، بحقيقة القائم وحقيقة حضوره الحي في حياتهم؟ ألا تكمن اصالة هذه الشهادة وفرادتها في كون الرسل والتلاميذ الذين عرفوا يسوع في حياته وحتى الحكم عليه بالموت.. عرفوه من ثم المسيح الحي والرب الممجّد؟! وبهذا المعنى يختبر بولس، وبوحي إلهي، ان يسوع الناصري المصلوب هو عينه رب المجد! وسيكون بوسعنا أن نبلغ، في الايمان، إلى مثل هذه الخبرة، بحيث يتاح لنا أن نقول، مع بولس الذي كشف الرب ذاته له، آخر الأمر: "ما أنا احيا.. بل المسيح يحيا فيّ. وإذا كنت احيا الآن حياة بشرية، فَإنّي أحياها في الايمان بابن الله الذي احبني وجاد بنفسه من أجلي" (غلا ٢: ٢٠)!

وعوض ان يصدمنا او يشككنا الاختلاف في ما بين الروايات الانجيلية، فنسعى إلى التوفيق بينها بهدف بناء قصة متكاملة ومتتابعة للأحداث.. سننكب على كل من الروايات لنكتشف ما اتسمت به من الفرادة والخصوصية، وما رمَت إليه من اهداف لاهوتية وروحية تنسجم مع سياق كل انجيل؛ علماً بأن هذه الروايات، بمحوريها، ليست البتة عرضاً لسلسلة احداث متتالية في الزمن، وانما هي اضاءات تساعد المؤمن في مسيرته إلى لقاء الرب الحي، والتمتع بخبرة العيش في نور قيامته المجيدة...

ومن الجدير بالذكر ان هذه الروايات لم تكتسب صيغتها النهائية إلا عبر المرور بحياة الجماعات المسيحية الاولى التي تركت فيها بصماتها، فيما سعى الانجيليون -وهم مؤلفون بكل معنى الكلمة- إلى الغرف من التقاليد المتداولة بشأن قيامة الرب واختبارات الشهود الاوائل، فأجروا عليها من ثم عملية تركيب وتنسيق.. مضفين عليها رؤيتهم اللاهوتية وطابعهم الادبي، بحيث يمكننا بيسر أن نتبين ما ينفرد به كل انجيلي، وما تحمله روايته من تفاصيل، وما تتسم به من اضاءات...

وتجدر الاشارة هنا إلى اننا سنجد في الروايات الثلاث للتراثيات -من دون مرقس الذي كان فصل القيامة لديه ينتهي في الآية ٨!- الصورتين الرئيستين لسر الفصح: صورة "القيامة" من الطراز التاريخي (قبل/ بعد)، وصورة "الرفع" من الطراز الرؤيوي (تحت / فوق). وفيما تنتمي رواية متى، في مجملها، إلى الطراز الرؤيوي حول مجد "ابن الانسان" -ماعدا حلقة "الحراس" ذات الطابع الدفاعي!-، تنتمي روايتا لوقا ويوحنا، وبقربى مدهشة، إلى الطراز التاريخي حيث التشديد على رؤية "جسد" الرب القائم كسبيل إلى الايمان!

وفيما نتمنى على القارىء أن يُنْعِم النظر في النصوص الازائية الاربعة حيث تتجلى للحال التوافقات والاختلافات (**انظر الاطار ٥٦: اختلافات في روايات القيامة**)، نكتفي هنا بلفت الانتباه إلى بعض ابرز هذه الاختلافات في رواية "القبر الفارغ" المشتركة بين الانجيليين الاربعة:

- **شهود القبر الاولون:**
  - النساء اللواتي شهدن دفن يسوع (اختلاف في اسمائهن وعددهن)
  - مريم المجدلية لدى الاربعة (لدى يوحنا تبدو انها الوحيدة!)
  - بطرس والتلميذ الآخر (لدى يوحنا)، بطرس وحده (لدى لوقا)
- **وقت الزيارة إلى القبر**
  - صباح الاحد، "وقد طلعت الشمس" (مرقس)
  - فجر اليوم الاول/ الاحد (متى ولوقا ويوحنا) -ويضيف يوحنا: "والظلام لم يزل مخيما"، فيما يضيف مرقس ومتى: "بعد ان انقضى السبت"، ويوضح مرقس: "وقد طلعت الشمس"!

اطار ٥٦

اختلافات في روايات القيامة

في "بشارة القيامة" لفت الاب كوب الانتباه إلى اهم الاختلافات في روايات الانجيليين، مصنّفاً اياها في خمسة محاور، نوجزها بالشكل التالي:

١. **المكان:** كل شيء يجري في الجليل (مر ١٦: ٧= ١٤: ٢٨)؛ متى ٢٨: ١٦؛ يو ٢١)، بينما يجعلها لوقا (٢٤) وسفر الاعمال(١) ويوحنا (٢٠) في اورشليم. ويشدد لوقا على امر يسوع بعدم مغادرة اورشليم (٢٤: ٤٩).. ولذلك ليست لديه ترائيات في الجليل!

٢. **الزمان:** يظهر يسوع للمرأتين صباح الاحد، فيما يتوجب على التلاميذ ان يذهبوا إلى الجليل... (متى - ويتفق معه مرقس ويوحنا٢١ بشأن الترائي للتلاميذ). اما في لوقا ويوحنا (٢٠)، فالترائي للتلاميذ يتمّ يوم الاحد في اورشليم.

٣. **الظروف:** (مر ١٦: ٧): إعلام باللقاء في الجليل فقط (مرقس الاصلي لا يتضمن ترائيات)

(مر ١٦: ٨): النساء لا يقلن شيئا

(لو ٢٤: ٩): النساء يخبرن حالا الاحد عشر، ويذهب للحال بعض التلاميذ للتحقق من بشارة النساء (آ ٢٤). وها نحن بازاء بطرس وحده (آ ١٢)!

(يو ٢٠: ١-١٠): بطرس والتلميذ الآخر يسرعان إلى القبر في اعقاب كلام المجدلية

(متى ٢٨: ١٦): يبدو التلاميذ وكأن القبر لا يهمهم طالما ذهبوا حالاً إلى الجليل حيث دعاهم الرب (آ ٨ و ١٠)

٤. **وصف اللقاءات:**

(متى ٢٨: ٣٧): للحال يسجد التلاميذ

(لو ٢٤: ٣٧): يظنونه روحاً او شبحا. يخافون

(يو ٢٠: ٢٠): يغمرهم الفرح

(لو ٢٤: ١٣-٣٥): يسوع يمشي على الطريق مع تلميذي عماوس وكأنه لقاء طبيعي. ويبدو للاحد عشر ذا لحم وعظم، ويقبل ان يلمسوه (آ ٣٩) ويأكل قطعة من السمك امامهم (٤١-٤٣). وهوذا يعلّمهم ويوصيهم (٤١-٤٩) ويرافقهم إلى خارج اورشليم ليودّعهم. وينفرد لوقا بمشهد الصعود الذي ينهي فترة انتقالية.

لوقا: المسيح يعد بالروح (٢٤: ٤٩)
يوحنا: المسيح يعطي الروح حالاً (للرسالة وغفران الخطايا ٢٠: ٢٢-٢٣). فهناك ترابط وثيق بين القيامة والصعود ونزول الروح
متى: ظهور واحد. لا حاجة للّمس. كلام الرب كاف، كونه صاحب السلطان. لا يذكر صعوداً ولا نزولاً للروح. ظهور القائم مستمر: انا معكم كل الايام..
٥. الارسال: إنه متنوع جداً بحسب الانجيليين
متى: أمرّ بالعماذ (٢٨: ١٩)
لوقا: نداء إلى التوبة وغفران الخطايا (٢٤: ٤٧)
يوحنا: سلطان مغفرة الخطايا للتلاميذ (٢٠: ٢٣)
ملحق مرقس (١٦: ١٦) كرازة بخلاص موعود وقريب (لمن آمن واعتمد)، وبهلاك مقبل لمن لم يؤمن!

• **هدف الزيارة**

* أتين إلى القبر (متى ويوحنا)
* ... ليُطيّبنه (مرقس - ويوحي لوقا بذلك طالما كُنّ قد اعددن الطيوب)

• **ماذا رأين؟**

* دخلن القبر فرأين ملاكا... (مرقس)
* لاحظن القبر فارغاً.. فتراءى لهن ملاكان.. (لوقا)

* رأين الحجر قد دُحرج ("مزالاً عن القبر" بحسب يوحنا، فيما يتكلم متى عن "زلزال" وعن ملاك نزل ودحرج الحجر وجلس فوقه)

• **وحي القيامة**

* الملاك يخبرهن بالقيامة: "... انه قد قام"! ويريهن القبر فارغاً، ويعهد إليهن بمهمة البشرى للتلاميذ، ويعلن ان يسوع سيتقدمهم إلى الجليل حيث سيرونه... (مرقس ومتى)
* "لماذا تبحثن عن الحي بين الاموات" (لوقا - ويغيّر الملاكان الكلام: "اذكرن كيف كلّمكن حين كان في الجليل"!
* لقاء المجدلية مع الرب القائم الذي ما عرفته إلاّ حين ناداها... (يوحنا - ويدلي بشأن التلميذين اللذين دخلا القبر "بانهما لم يكونا قد فهما ما ورد في الكتاب من انه يجب ان يقوم من بين الاموات"!)

المسيح والمجدلية: جدارية للفرا أنجليكو (في احدى غرف دير القديس مرقس - فلورنسا).

• ردود فعل النساء

* رعب وخوف (مرقس ولوقا -ويضيف مرقس بانهن لم يقلن شيئا بسبب خوفهن! فيما نراهن بحسب لوقا يبلّغن الرسالة من دون أمر، وإن لم يصدّقوهن!)
* المرأتان يطمئنهنّ الملاك ويرسلهما إلى التلاميذ، فيمتثلان امره "بخوف وفرح"، وفي الطريق يلقاهما يسوع (متى -وينفرد برواية الحراس ومشهد الرشوة لإشاعة سرقة الجثمان!)
* في زيارة المجدلية الثانية للقبر، وبعد ان كشف لها يسوع عن ذاته، جاءت فأخبرت أن "قد رأيت الرب"، وانه قال لها... (يوحنا).

ثانيا: تحليل الروايات الانجيلية

.. ونجدنا في قلب الروايات الانجيلية التي ما ان انكببنا على تحليلها[٧]، وإذا بالدهشة تستولي علينا ازاء عمق فحواها وبُعد مضامينها اللاهوتية. وحينئذ ندرك جيداً انها، بالفعل، اكثر من تقارير لمراسلين! انها شهادات ايمانية مشبعة بحضور الرب القائم...

١- رواية القيامة بحسب انجيل مرقس (١٦: ١-٨)

ان نص رواية مرقس هو ولا شك اقصر نص، باستثناء الآيات ٩-٢٠ من الفصل ١٦ التي لم يكن يضمها النص الاصلي -وهي توجز ما جاء في الاناجيل من ترائيات- مما يحملنا على القول بأن الترائيات لم تكن تشكّل، في نظر مرقس، ضرورة قصوى للايمان بقيامة الرب! وهكذا نجدنا، إذن، بازاء ثماني آيات تحكي حدث القيامة، ولكنها تعلن بالأولى حقيقة الرب الناهض التي يكشفها الله، وهي محور الكرازة الانجيلية الاولى: يسوع الناصري المصلوب قد قام!

تحدثنا الرواية المرقسية عن ٣ نساء (مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة) يُبكرن إلى القبر، في اليوم الاول من الاسبوع، بهدف "تطييب" جسد يسوع... وها هي ذي المفاجأة: الحجر الكبير قد دحرج! وفي داخل القبر "شاب"، بحلة بيضاء، يهدّئ

---

[٧] ننطلق بدرجة اولى من طروحات الاب كوب لروايات القيامة، بدءً برواية مرقس التي تعتبر الخلفية الاساس لكل روايات "القبر الفارغ". كما نعتمد مصادر اخرى نثبتها كلما اقتضى الامر.

روعهن قائلاً: "تطلبن يسوع الناصري المصلوب. انه قام وليس ههنا، وهذا هو المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه"! ويصرفهن الملاك من القبر ليذهبن فيبشرن التلاميذ وبطرس بان يسوع قام، وانه يتقدمهم إلى الجليل حيث سيرونه..! وتنتهي القصة بهرب النساء اللواتي وقعن في "رعدة ودهش"، وقد حفظن البشرى في صدورهن، "ولم يقلن لأحد شيئاً" بسبب الخوف الذي اعتراهنّ!

هذه الرواية القصيرة تدهشنا ولاشك، لا بايجازها حسب، بل بغرابتها ايضاً! فمع انها خاتمة "البشرى السارة" (الانجيل)، لا تتحدث عن الفرح الذي يغمر الشهود، ولا توحي بلقاء مع الرب الناهض -ما عدا تلك الاشارة إلى انه "يتقدمهم إلى الجليل"-!! انها قصة يهيمن عليها جو من الاضطراب والتحيّر والخوف والكتمان! ومثل هذه الرواية لا تصمد بوجه النقد التاريخي والأدبي، كونها تبدو غير متماسكة وتثير عددا من التساؤلات: كيف تجري عملية " التطييب" لجثة في القبر منذ فترة؟ ما معنى تساؤل النساء وهن في الطريق عمّن يدحرج لهن الحجر؟ لماذا لم يفكرن مسبقاً بالموضوع ويأخذن معهن احداً من الرجال؟ وكيف يمكنهن مواصلة الطريق، وهنّ يعرفن الحجر الكبير الذي كان قد دُحرج على باب القبر..؟

ان مرقس، من دون ريب، **يقصد ان يضعنا بازاء منطق آخر غير المنطق التاريخي المتماسك!** فما يهمه بالدرجة الاولى، هو ان نكون امام وحي القيامة الذي طالما أحدث اختباره اضطراباً في نفوس الشهود.. فنحن بازاء نص، على حد تعبير آلان مرشدور، "يصف توغّل الله في تاريخ البشرية، مشيرا إلى الطابع المفاجيء والمحيّر والمدهش الذي يتسم به حادث يفوق طبيعة الانسان، والذي يتهرب به يسوع من قبضة الانسان، والذي لا يمكن ان يوحيه إلا الله"[٨].

فلكي تصبح الرواية مفهومة، لابد لنا من ان نضعها في سياق انجيل مرقس ونقرأها في ضوء الافكار الرئيسة التي تناولها، في محاولة لاكتشاف الهدف منها -وقد ارادها خاتمة لانجيله لتعبّر بعمق عن الايمان الذي يريد ان يتصف به قراؤه...

أ- طريق يسوع...

لقد وصف مرقس، في انجيله، "طريق" يسوع بكونه طريقاً إلى الصليب. فيسوع الذي أعلن مرقس عن هويته، منذ بدء الانجيل، بانه "ابن الله" (١: ١)، نراه يبقى خفيا ومجهولاً طيلة الانجيل.. ولا يعتلن بشكل واضح إلا على الصليب، حين سيدلي قائد المئة الوثني بهذه الشهادة: "كان هذا الرجل ابن الله حقاً" (١٥: ٣٩)! انها المفارقة التي

---

[٨] الموت والحياة /ص ٤٨.

يسعى مرقس من خلالها إلى إدخالنا في سر يسوع المحتجب -وقد ظل خفياً عن الرؤساء الدينيين وعن الشهود المميّزين، وفي مقدّمتهم الرسل الاثني عشر! وهكذا سيواصل انجيل مرقس دعوته للمؤمن إلى السير في طريق يسوع...

وليس طريق يسوع سوى طريق إلى الموت عبر الصليب! ولئن بدأ القسم المركزي في انجيل مرقس (٨: ٢٧-٩: ١٣) بشهادة بطرس بأن يسوع هو "المسيح"، إلا ان هذا الاعلان الرسمي يقابله يسوع بنهي تلاميذه عن البوح به، ويقرنه "بتعليم" حول مصيره: "ان ابن الانسان يجب عليه ان يعاني آلاماً شديدة..." (٨: ٣١...)، فضلاً عن توبيخ شديد اللهجة لبطرس الذي لم يستطع ان يرقى إلى "افكار الله" حين لم يحتمل صورة مسيح متألم، لا بل رفضها وتنكر لها! وهكذا يجب على المسيحي أن يقبل هوالآخر بأن يكون مرفوضاً وغير مفهوم، لابل مُضطهداً احياناً كثيرة.. وهنا تكمن عظمته! ألا تقوم تلك العظمة في كون التلميذ يسير على خطى المعلّم، مهما كلف الامر؟ ويحاول مرقس ان يقول لقرائه بأن حالة الخفاء وعدم الفهم لم تنته بموت يسوع، بل انها قائمة بعد موته وقيامته ايضاً، ولذا شددت روايته على الاضطراب والتحير اللذين اعتريا النسوة وحملاهن على الهرب بعد ان تلقين بشارة القيامة!

ان مرقس يوجه انجيله، في اغلب الظن، الى مسيحيي روما، وهم يواجهون اقسى الاضطهادات بسبب ايمانهم. انهم يؤمنون بشكل راسخ بيسوع الحي الذي جعلت منه القيامة الرب الممجّد والجالس عن يمين الله.. ولكن يصعب عليهم ان يحافظوا على صورة ذلك المصلوب، لا بل يتمنون لو اختفت تلك الصورة التي لصق بها الألم والضعف والهوان..! وإذا كانوا يعرفون نظرياً ان الرب الممجّد هو نفسه يسوع الناصري المصلوب، فهم قلّما يشعرون بضرورة السير وراءَه في طريق الصليب! وهذا ما سعى مرقس إلى "مناقشته" مع مؤمنين يعانون من الآلام بسبب ايمانهم ولا يفقهون لها معنى، وكأنه يقول لهم: ان الطريق إلى لقاء الرب الناهض من بين الاموات والممجّد، لا يمكن ان يكون سوى الطريق عينه الذي سلكه يسوع الارضي، والذي تكلّل بالآلام والموت وانتهى في القبر..!

وهكذا رأى مرقس في القبر -على حد تعبير الاب كوب- المكان المناسب لإقامة الصلة الوثيقة بين يسوع الارضي والرب الممجّد، **فجعل بشارة القيامة تنطلق من القبر بلسان "الشاب"، كونه الشاهد السماوي حامل الوحي الالهي.** كما جعل النسوة يدخلن إلى داخل القبر حيث يتلقين البشارة.. ومع ذلك يهربن! أليس الهرب علامة على السر الذي يُحيط بيسوع ما بعد القيامة، كما كان يحيط به طيلة حياته على الارض؟! وهكذا يضع مرقس، في الطريق الصحيح، المؤمن الذي يريد ان يلتقي حقاً بيسوع.. ولن يلقاه الا على نفس الطريق الذي سلكه يسوع، أي الطريق الذي بدأ في الجليل كما وصفه مرقس في صفحات انجيله...

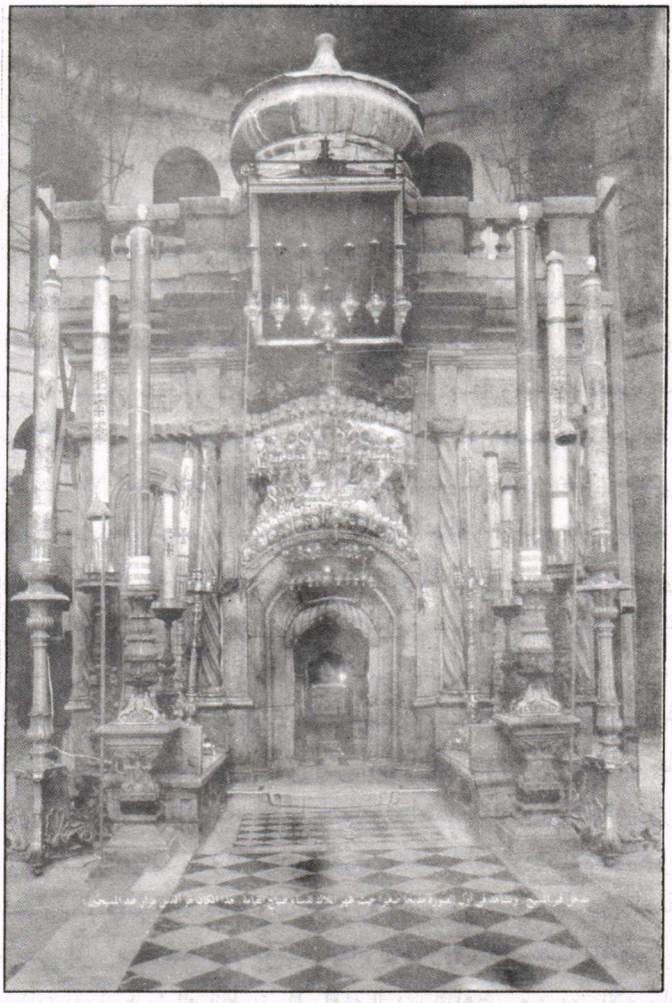

"قبر الخلاص" يقوم وسط مساحة دائرية في قلب كنيسة القيامة -القبة التي تحتضن القبر المقدس شيدت عام ١٨١٠ بحسب الفن الروسي. وعبر باب ضيق نجدنا إزاء القبر وكأننا تجاه مذبح واطئ كله من رخام.

ويؤكد الاب كوب بان قصة القيامة لدى مرقس لم تكن قصة مستقلة اقتبسها من مكان ما وجعل منها خاتمة لانجيله، انما هي جزء لا يتجزأ من قصة الآلام ومن الانجيل ككل، ولا يمكن ان تُفهَم إلا في هذا السياق. إلا ان هذا اليقين لا ينفي كون مرقس قد استخدم قصة من التقليد المتداول في الكنيسة الاولى، كانت تحكي زيارة بعض النساء إلى قبر يسوع الفارغ.. ولكن اصبح من العسير جدّاً ان نتبيّن ملامحها الاصلية في رواية مرقس الحالية[٩].

---

[٩] انطلاقاً من تحليل دقيق لنصوص القيامة، افترض علماء التفسير بأن رواية القبر الفارغ قد نشأت، في الكنيسة الاولى، في اعقاب حج كان المؤمنون يقومون به إلى قبر يسوع حيث كانوا يحتفلون بقيامته.. ويورد أ. شربنتييه خلاصة بحث قام به جان ديلورم لفت فيه الانتباه الى ان ذكرى مجيء النساء إلى القبر وعدم عثورهن على جثمان يسوع، قد "استنارت فيما بعد بالايمان الذي نشأ بفضل الترائيات، ثم صيغت في رواية تصلح للكرازة والتأمل في سرّ القيامة عند قبر يسوع "! (قام المسيح /ص٦٥).

ويفترض هؤلاء العلماء بأن هناك رواية اولى قديمة عن تقليد "القبر الفارغ"، استخدمها كل من الانجيليين فاضفى عليها عناصر تخدم رؤيته اللاهوتية، وتعبر بالاكثر عن ايمانه وايمان جماعته بقيامة الرب (انظر الدليل /ص١٥٢). ومما لا شك فيه ان مرقس كان اول من تناول هذه الرواية القديمة وجعلها اطاراً لروايته -وقد ارادها تنطلق من حيث انتهى يسوع الارضي، أي من القبر!

ب- وحي القيامة...

نحن إذن بازاء نساء بدأن باعداد الطيوب، بعد ان "انقضى السبت" (أي بعد انتهاء فريضة السبت مع مساء السبت)، وذهبن إلى القبر مع فجر اليوم الاول -ويضيف مرقس: "وقد طلعت الشمس"! وللحال يتضح بأننا لسنا بازاء اشارات زمنية، بقدر ما نحن بازاء فكرة لاهوتية تقيم مفارقة.. مفارقة تكمن في الانتقال من السبت، بصفته الزمن اليهودي الذي انتهى، إلى الزمن الكوني الذي يرمز إليه اليوم الاول من الاسبوع (الاحد) -وقد بدأ معه فجر جديد! وتشدد الرواية على الفرق بين الظلمة (مساء السبت) وبين طلوع الشمس (فجر الاحد)، وبين سواد القبر وتألق الملاك المتّشح بالبياض..! ألسنا بازاء تأكيد على ان قيامة يسوع هي انتقال من الموت الى الحياة.. ومن الظلمة إلى النور..؟ ألسنا بازاء خلق جديد؟

ويستمر مرقس في المفارقة على صعيد المكان: من القبر المغلق علىامواته إلى القبر المفتوح على النور والحياة.. ومن اورشليم (واصبحت في نظر مرقس معقل المنغلقين على افكارهم، هم الذين حكموا على يسوع -وقد كانوا امام خيارين: اما ان يموتوا عن افكارهم فيقبلوه، او يموت هو!)، إلى الجليل[١٠]، جليل الأمم، التي هي رمز الانفتاح ومنطلق بشرى القيامة إلى نهاية العالم والتاريخ... كما يسترسل مرقس في اطار المفارقة بين حثمان في عتمة القبر، وبين الشاب ذي الحلّة البيضاء -وهو الوجه الجديد ليسوع "الجالس عن اليمين"-، ومن مشهد نساء حنّن ليطيّبن حثمانا (أي ليحفظنه في الموت!) الى المشهد الذي نجدهنّ فيه يتلقين بشرى ورسالة...

وها نحن في قلب الرواية! فالنسوة يجدن جواباً لتساؤلهن الغريب بشأن الحجر: هوذا الحجر قد دُحرج! نحن إذن بازاء مفاجأة غير متوقعة.. ونجدنا للحال امام دهشة النساء اللواتي "دخلن القبر" وارتعبن "من رؤية الشاب": انه الرعب الذي يختبره الانسان في حضرة الله! وتبلغ الدهشة ذروتها حين يأتيهن الوحي الالهي بلسان الرسول السماوي الذي يريد مرقس ان يركز عليه الانتباه: "لا ترتعبن! أنتنّ تطلبن يسوع الناصري المصلوب. انه قام، وليس ههنا! ألسنا بازاء صيغة عريقة من صيغ الكرازة الاولى؟ ألا يخيل إلينا أننا نسمع بطرس يوم العنصرة يؤكد بأن "يسوع الناصري المصلوب.. قد أقامه الله..."؟... وهكذا تجد النسوة انفسهن أمام فشل المشروع الذي

---

[١٠] منطقة الجليل هي منطقة عبور إلى البلاد الوثنية حتى انها سميت "جليل الأمم" (أش ٨: ٢٣) أي الوثنيين! ولما كان الفريسيون يشكّون في صفاء ايمان الجليليين.. كان التساؤل الساخر: أَمِنَ الجليل يأتي المسيح؟ (يو ٧: ٤١ت، انظر يو١: ٤٦). ومع ذلك كان الجليل رمزاً للرجاء، وقد اعلن اشعيا ان الله سيتجلى فيه للوثنيين في نهاية الازمنة (اش٨: ٢٣-٩: ١ ت)! فكيف لا يرى المسيحيون الاولون في الجليل نقطة انطلاق بشرى الانجيل إلى العالم؟ وهكذا يتخذ مكان اللقاء مع القائم، في الجليل، بُعداً رمزياً أكثر منه جغرافياً!

تفصيل لوحة "القيامة - لا تلمسيني" بريشة اندريا دي بونابوتو (١٣٤٣-١٣٧٧) - فلورنسا.

أتين من أجله! لقد كانت هناك مفاجأة لم تخطر ببالهن قط! ويكتب جان ديلورم: **"لقد تجاوز الحدث مشروعهن. فكرّن في كل شيء ما عدا ذلك الذي حصل. مكثن في ساعة موت يسوع ولم يخرجن منه: ولكنه قام! لم يبق لهن عمل هنا. ان عمل الله يحيّر الانسان.. سبقهن الحدث، فارتعبن، لأن منطقهن البشري أخطأ[١١]"**.

ويفرض السؤال نفسه: **على مَ يقوم الوحي الالهي بالقيامة؟** كتب آلان مرشدور بأن انذهال النسوة، ومن ثم خوفهن، نشأ من خلال الثغرة التي فُتِحَت في منطق الموت: سيما وانهن لم يكنّ بازاء قبر مفتوح حسب، وانما بازاء قبر فارغ! ويؤكد على اهمية الاحتفاظ "بما للوحي من طابع اوّلي"، إذ كثيرا ما ادّى الاهتمام بالدفاع عن الايمان إلى هذه العبارة المقلوبة: القبر فارغ، إذن قام يسوع!! وهكذا "يتلاشى الوحي، ويتحول السر إلى مشكلة، وتنحصر العلامة في برهان"!! بينما يريد مرقس، من خلال كلام الملاك، ان يؤكد على حقيقة الوحي المتضمنة في هذه العبارة: "يسوع قام"! وما القبر سوى العلامة: ".. وهذا هو المكان الذي وضعوه فيه"..! وغني عن القول ان العلامة لوحدها لا تكفي، ولن تكون بليغة وفاعلة إلاّ لمن كانت له، اولا، الثقة بكلمة الله... ويواصل مرشدور قائلاً بأن هذا الوحي اثار اضطراب النساء من جديد: "جئن ليضعن حدًّا نهائياً لحياة يسوع، فلقين الله الذي قلبَ مساعيهن وحوّل إلى بداية ما كُنّ يظنّنه خاتمة[١٢]".

جـ - ... ويبقى "السر" قائماً

كيف تبدأ القصة -قصة يسوع وقصة النسوة بحسب مرقس- من جديد؟ ستنطلق من الجليل كما بدأت فيه! فإلى الجليل يتقدمهم الرب يسوع "كما قال لهم"،

---

[١١] دليل إلى قراءة الانجيل كما رواه مرقس / ص٩٦.
[١٢] الموت والحياة /ص ٤٩.

ليجمع شملهم من جديد، من أجل انطلاقة جديدة -وكانوا قد تبددوا ابان الآلام، فيما كان قد سبق فوعدهم بانه، بعد قيامته، يتقدمهم إلى الجليل (١٤: ٢٨). ويكتب الأب شربنتييه: "فالمطلوب ليس ان نبقى هنا في مشاهدة يسوع، بل يجب علينا ان نكفّ عن الرغبة في ان نتصور الذي لم يعد من هذه الدنيا صورة انسانية مبالَغاً فيها.. ويجب ان نغادر اورشليم وننطلق إلى الجليل، إلى الوثنيين (بالمعنى اللاهوتي الذي يضفيه مرقس على الجليل)، إلى اقاصي العالم والتاريخ"[١٣].

وتدهشنا خاتمة القصة (آ ٨)، سيما وانها، كما أسلفنا، خاتمة الانجيل: "فخرجن من القبر وهربن لما اخذهن من الرعدة والدهش، فلم يقلن لأحد شيئاً لانهن كن خائفات"! ويعبّر اهل الاختصاص على أن هذه الخاتمة ارادها مرقس هكذا، هو الذي يصرّ أن يبقى "السر" يحيط بقيامة يسوع، كما أحاط بحياته وموته. كما انها توافق منطق النص الذي يشدّد على ما لِوَحْيِ القيامة من أمر مفاجيء وغير متوقع... ويدلي جان ديلورم بهدفين لصمت النسوة: **"أولاً، يُظهر إلى أي حد اضطربت النسوة.. أضعن عقولهنّ! ردة الفعل هذه توافق منطق النص الذي يشدد على حيرتهن وعلى الطابع الالهي للحدث.. لم يكنّ ينتظرن ما عمله الله، فأخطأت افكارهن البشرية. ثانياً، إن صمت النسوة يجعل التجمع في الجليل وانطلاقة الانجيل الجديدة بعد القيامة، يعودان، لا إلى النساء، بل إلى مبادرة القائم من الموت"**[١٤].

وهكذا وَضَعَنا مرقس تجاه عظمة عمل الله في فعل القيامة، كونه افتتح، بيسوع، عالماً جديداً (ملكوت الله)، ودعا إليه كل الذين يرتضون ان يسمعوا ابنه الحبيب ويتتلمذوا له ويسيروا في طريقه.. وسيتحتم علينا، بحسب مرقس، ان نواصل السير إلى جليل الوثنيين -وهو ليس سوى العالم بأسره وحتى نهاية التاريخ!- ونحن على يقين من اننا لن "نرى" القائم من الموت إلا في نهاية التاريخ، حين تكون بشرى ما صنعه الله قد بلغت إلى كل الأمم..! فمرقس يختم بقوله أن يسوع الحي هو أمامنا، واننا نراه في آخر الازمنة عبر التبشير به إلى اقصى العالم!

---

[١٣] المسيح قام /ص٤٨. ولا ينفي الاب شربنتييه ان تكون عبارة "يتقدمكم إلى الجليل" تأكيداً مفتوحاً، في آن واحد، عن ترائيات قريبة، وعن توقع بمجيء المسيح.. مخلصاً إلى القول بان خاتمة مرقس (الآيات ٩-٢٠) أوجزت "أبعاد الزمن الثلاثة: ماضي الترائيات ومستقبل بمجيء المسيح وحاضر رسالة [الجليل]. فالانجيلي ينطلق من أوضاع كنيسته الراهنة (الرسالة لدى الوثنيين) ليؤسّسها في حياة يسوع (خدمة رسولية في الجليل وترائيات) ويفتح لها مجالاً مطلقاً (بمجيء المسيح)"!

[١٤] ... الانجيل كما رواه مرقس / ص٩٧.

٢- رواية القيامة
بحسب انجيل متى (٢٨: ١-٢٠)

فصل القيامة في انجيل متى قصير ايضاً، وقد استخدم كاتبه ولا شك، انجيل مرقس كمصدر اساس له، كما هي الحال في كل انجيله، دون ان يعني ذلك انه ناقل! إنه، على العكس، يعرف كيف يوجّه المعلومات التي استقاها من مرقس، توجيها يتناغم مع خطته ومقصده ورؤيته اللاهوتية. وذلك هو شأنه مع العديد من الروايات التي يتبع فيها عن كثب آثار مرقس. فهل تشذّ رواية القيامة لديه عن هذا النهج؟ في هذا الصدد نتبنى مقولة الاب كوب: هناك علماء يرون بان متى قد استخدم في رواية القيامة مصادر اخرى (كما هي الحال بصدد "مصدر الاقوال" الذي يشترك فيه مع لوقا)، ولكنه لا يرتأي ذلك، ويبدأ بتحليل رواية متى على خلفية مرقس، في محاولة للكشف عن كونها حصيلة تأمل شخصي قام به الانجيلي في ضوء مصدره المرقسي!

ولدى قراءتنا نص متى قراءة دقيقة، يتضح لنا ان هناك اربعة أقسام في الرواية: الآيات ١-٨، وفيها يتبع مرقس بتصرّف مع بعض الاضافات، والآيات ٩-١٠ تضمنت ترائي يسوع للمرأتين. أما الآيات ١١-١٥، بشأن الحراس المرتشين، فينفرد بها متى وبهدف دفاعي كما سنرى. وتأتي الخاتمة الرائعة بشأن ترائي يسوع للأحد عشر وايفادهم للرسالة (الآيات ١٦-٢٠) كتجلٍ الهي لابن الانسان...

أ - القبر الفارغ

في قصة القبر الفارغ بحسب انجيل متى، نحن بازاء نساء -هنّ اثنتان!- (مريم المجدلية ومريم الاخرى)، "بعد ان انقضى السبت"، تذهبان فجر الاحد لتنظرا القبر! وتبدأ لمسات الانجيلي في الرواية:

- تصبح المرأتان شاهدتين على فتح القبر بواسطة الملاك الذي يرافقه "زلزال"!
- المرأتان لا تدخلان القبر، كما في مرقس، وانما يدعوهما الملاك إلى ذلك.
- كل المشهد يتم حول القبر! فالملاك ليس داخل القبر، وانما جلس على الحجر الذي دحرجه تجاه القبر.

هذه الفروقات يمكن تفسيرها بيسر، في ضوء الاضافتين اللتين أدخلهما متى واللتين توطّران القصة: فمن جهة، طلب عظماء الكهنة من بيلاطس حراساً للقبر (٢٧: ٦٢ت)، ومن جهة اخرى هرع الحراس وأخبروا، ومن ثم قبلوا الرشوة مقابل اشاعة سرقة الجثة (٢٨: ١١ت)! وهكذا جعل متى النساء يشهدن مع الحراس ما يحدث خارج

القبر... وفيما يرتعد الحراس ويصبحون "كالاموات"، هوذا الملاك يطمئن النساء ويحمل اليهن بشرى القيامة في جوهرها الاساسي -ويضيف على صيغة "قام" عبارة "كما قال"! ويرينا متى، كعادته، كيف تتم الامور وفقاً لكلام يسوع او كلام الانبياء وسائر الكتب..!

ب- حراس القبر

ان اضافة مشهد الحراس على رواية القيامة بحسب متى، هي ولاشك ذات هدف دفاعي يُقصد منه دحض تهمة سرقة جثمان يسوع، -وكانت قد اصبحت حجة بيد اليهود، للرد على تبشير الرسل وعلى ايمان الكنيسة الناشئة بقيامة يسوع! فكان على المسيحيين من ثم ان يدحضوا هذه التهمة باسلوب مماثل، مشدّدين على قدرة الله التي تقوى على تحطيم كل الحواجز والقيود... إلا أن هذا المشهد الدفاعي الذي عكسه انجيل متى (**انظر الاطار ٥٧: القيامة في "انجيل بطرس"**)، تعترضه صعوبات على الصعيد التاريخي: كيف يخشى اعداء يسوع ان يقوم، وتلاميذه انفسهم لم يتوقعوا ذلك؟! وكيف يسعى رؤساء اليهود "في الغد" لدى بيلاطس؟! -وكان ذلك اليوم: "السبت" المقدس، وعيد الفصح معاً!

لقد كان لهذا الهدف الدفاعي -وهو حاضر في الكثير من روايات متى- انعكاساته الكثيرة على مشهد زيارة النساء برمته! فهوذا "الزلزال" الذي يسبق ويرافق نزول الملاك! ونجدنا للحال بازاء اسلوب رؤيوي تُستَخدم فيه صور توحي بالرعب والخوف اللذين يرافقان حضور الله -ويجسّد حضورَه ملاكٌ "منظره كالبرق"، كما لدى مجيء "ابن الانسان" (راجع متى ٢٤: ٢٧)! ونعلم ان متى يعكس ايمان "كنيسته" التي تعلن بأن قيامة المسيح هي علامة آخر الازمنة، كونها انتصار الله الاخير على الموت.. لذا يسقط اعداؤه "كالأموات"! ولقد سبق متى وتحدث عن الزلزال حين لفظ يسوع الروح (٢٧: ٥١)، مما جعل القبور تنفتح، ويقوم كثير من القديسين الراقدين ويخرجون من القبور بعد قيامته... (آية ٥٢)! أليست قيامة يسوع عربون قيامة الموتى وعلامة الدينونة الاخيرة التي ستتم على يد "ابن الانسان "؟...

ويا للمفارقة التي يبرزها الانجيلي في الادوار: بين الحراس الذين، من خوفهم، اصبحوا "كالأموات" -وقد جُعلوا لحراسة قبر "الحي".. فلم يستطيعوا ان يحولوا دون فعل الله الذي تلقّت النساء بشراه: "لا تخافا انتما.. قد قام كما قال..."!

القيامة في "انجيل بطرس" المنحول

في "انجيل بطرس" المنحول –ويرجع تاريخه إلى ما بين الاعوام ١٣٠–١٥٠، وقد عثر على جزء منه عام ١٨٨٦ في قبر راهب مصري من القرن التاسع– الذي يحتوي على ٦٠ آية تكاد تغطي احداث الآلام والقيامة، نجد حلقة الحراس (الآيات ٢٩–٤٩). وتكشف هذه الحلقة بان تقليداً من طراز دفاعي كان قائما في الكنيسة الناشئة، بهدف التشديد على كون قيامة يسوع حدثا لا مجال للشك فيه –وقد استخدمه انجيل متى لدحض تفاهة تهمة سرقة الجثة وللكشف عن وحي الله وقدرته في قيامة يسوع! ويطيب لنا ان نثبت مقتطفات من هذا النص المنحول بهدف المقارنة مع انجيل متى:

"خاف الشيوخ خوفاً شديداً فذهبوا إلى بيلاطس وسألوه قائلين: اعطنا جنداً لمراقبة قبره مدة ثلاثة ايام، لئلا يأخذه تلاميذه، فيؤمن الشعب بانه قام من بين الاموات ويسيء إلينا" (آ ٢٩–٣٠). ويذهب قائد المئة بطرونيوس مع جند، فيدحرجوا حجرا كبيرا على القبر ويختموه بسبعة اختام وينصبوا خيمة للحراسة... ويقول النص: " وفي الليلة التي بدأ فيها يوم الاحد (...) جاء صوت عظيم من السماء، ورأوا السماوات تنفتح ورجلين متسربلين بالنور ينزلان من السماء ويدنوان من القبر" (آ ٣٥–٣٦). فيتدحرج الحجر من تلقاء ذاته، ويدخل الشابان إلى القبر، فيما يوقظ الجند قائد المئة والشيوخ (!). وفيما كانوا يروون لهم ما رأوا، " إذا بثلاثة رجال يخرجون من القبر، وكان اثنان يسندان الثالث، يتبعهم صليب. وكان راس الاثنين الاولين يرتفع إلى السماء، في حين ان رأس الذي كانا يقودانه باليد كان أعلى من السماوات. وسمعوا صوتا آتيا من السماوات يقول: "هل بشّرت الراقدين؟ " (آ٣٩–٤١)...

وبعد أن سُمع جواب آتٍ من الصليب بعبارة "نعم"، عزموا أن ينقلوا الخبر إلى بيلاطس.. وفي تلك الاثناء رأوا السماء تنفتح لينزل شخص ويدخل إلى القبر! (آ ٤٤)، فيسرع الجند ليلاً إلى بيلاطس ليروا له باضطراب قائلين: كان ابن الله حقا! فيجيب بيلاطس: انا بريء من دم ابن الله، انتم اردتم ذلك (آ ٤٦). ويواصل النص: " فدنوا جميعا وسألوه متوسلين إليه ان يأمر قائد المئة والجند بألاّ يقولوا لأحد ما رأوه. واضافوا: خير لنا ان نكون مجرمين امام الله بأكبر الخطايا، من ان نقع في ايدي الشعب اليهودي ونُرجَم" (آ ٤٧– ٤٨). وكان امر بيلاطس بألا يقولوا شيئا! (اعتمدنا هذا النص عن كتاب: دراسة في الانجيل كما رواه متى/ ص٧١).

وفي الآيات الاخيرة (٥٠–٦٠) يتحدث النص عن "تلميذة الرب"، المجدلية، التي لم تكن قد اكملت واجبات الدفن، خوفاً من اليهود، فأخذت صديقاتها يوم الاحد صباحاً، ودخلن القبر وهن يقلن: "طالما لم نستطع يوم صُلب ان نبكي ونقرع صدرنا، فلنعمل اليوم ذلك على قبره" (آ ٥٢)! ولكنّهن يتساءلن: "من سيُدحرج لنا الحجر الموضوع على باب القبر كي نتمكن من الدخول والجلوس بقربه وتكميل واجبنا؟" (آ٥٣)! وفيما نرى بعض اوجه الشبه –من دون ذكر تطييب الجثة– نكتشف ان المؤلف يشير إلى عادات مختلفة بشأن طقوس الدفن...

وفيما تروي الآيات ٥٥–٥٧ قصة القبر الفارغ حيث التشديد على كون خلوّه دليلاً على القيامة.. يضع النصّ (آ ٥٩–٦٠) على لسان بطرس: "... نحن الاثني عشر، تلاميذ الرب، كنّا نبكي وكنا في حالة من القلق.. وانا سمعان بطرس واخي اندراوس، اخذنا شباكنا وانطلقنا إلى عرض البحر"! وهنا ينتهي النص الذي عثر عليه، ولا ندري كيف ينتهي السرد؟ لعَلّ بقصة الصيد العجائبي وظهور الرب، على غرار الفصل ٢١ من انجيل يوحنا؟! (عن "ملفات الكتاب المقدس" (بالفرنسية)/ العدد ٦٥ –ت٢ ١٩٩٦).

جـ - الترائي للمرأتين

وتأتي المهمة الموكلة إليهما: وهي اولاً بشرى القيامة، ومن ثم الموعد المضروب للقاء القائم: "... وقولا لهم: انه قام من بين الاموات، وها هوذا يتقدمكم إلى الجليل، فهناك ترونه" (آ ٧). وعوض السكوت لدى مرقس، تصدح البشرى، في "خوف" مقترن بـ " فرح عظيم"! انها الرسالة تُبَلَّغ! انه الأمر يُنفَّذ -وتلك هي احدى الميزات في روايات متى. إلا ان اللمسة الفريدة في روايته هي أن زيارة المرأتين إلى القبر تتكلل بلقاء الرب القائم الذي يبادر إلى لقائهما بعبارة "السلام عليكما" -وقد أضفت القيامة على هذا السلام معنى خلاصياً!-، فتُكرَّر بشارة الملاك في نصها: "لا تخافا، اذهبا فبلّغا اخوتي أن يمضوا إلى الجليل، فهناك يرونني" (آ ١٠).. ولَكم ألفنا هذا التكرار لدى متى!

ويقول الاب كوب بان متى تجاوز مرقس حين ربط بين موضوع القبر الفارغ وموضوع ظهور يسوع.. ومع ذلك فكلاهما يؤيد احدهما الآخر في جوهر قضية القيامة: فظهور يسوع للمرأتين يؤكد، من جهة، ان فراغ القبر ليس نتيجة سرقة الجسد؛ كما يؤكد القبر الفارغ، من جهة اخرى، حقيقة القيامة. وهنا ايضاً لم يكن في متناول متى، في اغلب الظن، تقاليد خاصة، إلا انه شاء، من خلال البشرى التي وضعها، مرة اولى على لسان الملاك، ومرة اخرى على لسان يسوع، أن يهيّأنا لتلك الرؤيا الفخمة التي يظهر فيها يسوع، بصفته الرب الممجّد الذي أُولي "كل سلطان في السماء وعلى الارض"، والتي شاء متى ان تكون خاتمة لانجيله.

د- الترائي للاحد عشر

هذه الخاتمة هي، في نظر المفسرين، بقلم كاتب الانجيل، نصّا وروحا! ويطلق عليها عبارة "الرؤيا"، لأنها كشفت عن سر "ابن الانسان"، بحسب رؤيا دانيال (٧: ١٤)، عبر صورة "الرفع" التي تكشف عن المجد الذي يحيط بالمسيح الناهض -وهي من الطراز الرؤيوي.

هوذا التلاميذ الاحد عشر يمتثلون الأمر ويذهبون إلى الجليل. ويضيف متى انهم ذهبوا إلى "الجبل الذي امرهم يسوع ان يذهبوا إليه"! وهذا يضعنا على الفور بازاء تصوّر لاهوتي: انه جبل التجلي، وجبل العظة حيث اعطى يسوع شرعته الجديدة، وكأننا بازاء جبل سيناء حيث بلّغ موسى الشعب شريعة الله.. وها نحن، بالفعل، بازاء موسى جديد لشعب جديد، لابل أعظم من موسى، طالما "يسجد" له التلاميذ! -وتبدو الاشارة (آ ١٧) إلى ان "بعضهم ارتابوا" في غير مكانها، وهي تنتمي إلى اسلوب من الطراز التاريخي" (قبل/بعد)، ولعلّها تعكس واقع الصراع في الإيمان لدى معشر الشهود.

ونتساءل لماذا استخدم متى عبارة "دنا اليهم يسوع".. بينما هم ساجدون له؟! ذلك لأن يسوع "الآتي" هو رب المجد، "ابن الانسان"، الذي "أولي على غمام السماء، السلطان الخاص بالله، سلطان الحكم"، على حد تعبير الاب شربنتييه الذي يضيف: "ففي اللحظات الاخيرة من حياته، حين شعر بأنه قد حُكم عليه، وقبل ان يقول من هو امام مجلس اليهود صرّح: سترون بعد اليوم ابن الانسان جالساً عن يمين القدرة وآتيا على غمام السماء (متى ٢٦: ٦٤).. وهكذا وصف نفسه بأنه الرب الممجد الذي أقيم اليوم ديانا مطلقا على العالم كله. ولذلك استطاع أن (يأتي إليهم) متّخذاً بذلك لقبا من القاب إله آخر الازمنة (الآتي)"[١٥].

ها قد تم "رفع" يسوع و"تمجيده".. فأصبح بوسعه، من ثم، أن يوفد كنيسته للرسالة لتقيم ملكوت الله الذي افتتحه يسوع بقيامته. وهذه "الكنيسة" التي كانت نصب اعين متى حين كتب، هي كنيسة " تعمّذ" باسم الثالوث[١٦]، وتوجّه اهتمامها إلى الكرازة والتعليم، ساعية إلى حمل المؤمنين على " حفظ" كل ما علّمه يسوع واوصى به.. وهكذا قام بتأوين عكسي، حين وضع على لسان يسوع ما عكسته كنيسة الثمانينات من نشاط ذي وجهين: رسولي (تلمذوا)، وليتورجي (عمّذوا).. وجهين يوجزان توصيات يسوع لتلاميذه.

وتلفت انتباهنا عبارة "تلمذوا كل الأمم"، وهي تضعنا على الفور بازاء كنيسة جامعة تعانق رسالتها العالم اجمع! وهنا ايضاً عكس كاتب انجيل متى ما شاهده ويشاهده في الكنيسة الناشئة التي خرجت من انعزالها وحدودها "الفلسطينية" لتتجه نحو الوثنيين[١٧] -ونعلم كم استغرق هذا الانتقال من وقت وجهد ومجادلات.. عكسها لنا سفر اعمال الرسل، وكان لبولس "رسول الامم" دور فاعل في هذا المنعطف الهائل من حياة الكنيسة الاولى..!

وتسفر خاتمة الرواية، وخاتمة الانجيل في الوقت ذاته، عن وعد يسوع لكنيسته، كي تقوى على اداء الرسالة الموكلة إليها: "انا معكم طوال الايام إلى نهاية العالم"! وصيغة "انا" تعيدنا إلى اسم "يهوه" (انا الكائن) -وقد تعمّد الانجيلي الذي اطلق على يسوع، في بدء انجيله، لقب "عمانوئيل" (الله معنا)، ان يجعل يسوع الحي يقول: "انا

---

[١٥] دراسة في الانجيل كما رواه متى/ص٦.

[١٦] للمرة الاولى في العهد الجديد ترد هذه العبارة الثالوثية بهذا الوضوح: "باسم الآب والابن والروح القدس"! وغني عن القول ان الوصول إلى هذه الصيغة تطلّب فترة طويلة من الحياة الكنسية، ولاسيما عبر الممارسة الطقسية وممارسة رتبة العماذ بنوع خاص -وكان يمنح اولاً باسم يسوع!-، فلم يجد كاتب الإنجيل اي حرج من وضعها على لسان يسوع!

[١٧] يأخذنا العجب ونحن نقرأ في انجيل متى تحذير يسوع للاثني عشر من الوثنيين، وحصر البشرى في "الخراف الضالّة من آل اسرائيل" (١٠: ٥-٦)! وتدهشنا بالاكثر قوة الروح القدس الذي زج بالكنيسة إلى الخارج وجعل منها "كنيسة من اجل العالم" -وقد تكرست شموليتها في مجمع اورشليم (رسل ١٥)!

معكم"! وبهذا الوعد ستتمكن الكنيسة من العيش ومتابعة السير للشهادة للرب القائم على مدى الأجيال.

"لانجد سوى مرقس في قصة القيامة لدى متى"! هذا التأكيد للاب كوب لا يعني تحجيما لميزات رواية متى، سيما وأنها شدّدت على المعنى العميق الذي انطوى على قيامة يسوع، كونها "حضور الرب الدائم والمستمر في كنيسته"! وعلى سؤال يطرحه بشأن الواقع التاريخي للحدث، يقول: "اننا ننطلق من التأكد بان لظهورات يسوع القائم اساساً تاريخياً وطيداً، ولكنه لايسعنا ان نفتش عن هذا الأساس في تصوّرات تحمل طابع الانجيلي الواضح، سيما وانه لم يقصد ان يقدّم إعلاماً تاريخياً. وهذا يعني بالواقع ان متى استخدم قصة مرقس باسلوبه الخاص، وبالنظر إلى انجيله ككل، وعلّقها بتقليد تاريخي لتراءٍ للتلاميذ من قبل يسوع"[١٨].

٣- رواية القيامة
بحسب انجيل لوقا (٢٤: ١-٥٣)

فصل واحد طويل يغطّي احداث القيامة لدى لوقا، ويعكس الاختبار الفصحي الذي لخّصه في يوم واحد طويل، كأنه استغرق اكثر من ٣٦ ساعة (!)، وفي مكان واحد (اورشليم)، للدلالة على "وحدة الحدث التي لا تتجزّأ"..! فقد بدأ بقصة القبرالفارغ وانتهى بالصعود، عقب اللقاء مع الرسل، مروراً برواية تلميذي عماوس التي ستستحوذ على انتباهنا[١٩]!

هذا الفصل الاخير من انجيل لوقا هو لوحة رائعة دبّجتها ريشة لوقا باسلوب جذّاب.. وسرعان ما نكتشف أنه قصد أن يشركنا في فرح هذا الاختبار الفصحي، على غرار النساء، والاحد عشر ومن معهم، والتلميذين. انها لوحة من ثلاثة مقاطع يحتل المقطع الوسطي (آ ١٣-٣٥) مكان القلب منها.. يؤطره من اليمين مشهد النساء وبطرس عند القبر (آ ١-١٢)، ومن اليسار مشهد التراءي للأحد عشر (آ ٣٦- ٥٣). ولن نغالي إذا قلنا بأن انتباهنا إلى المشهدين يتضاءل لصالح المشهد المركزي الذي يستقطب اهتمامنا لا محالة، كونه نداء إلينا لاختبار مماثل... أليست تلك احدى ميزات لوقا في انجيله، وقد قصد من خلال روايته "المرتّبة" أن يجعلنا "نتيقن صحة ما تلقينا من

---

[١٨] الاب كوب: بشارة القيامة.

[١٩] راجع تحليل رواية لوقا/ الفصل ١- ويتكامل التحليلان!

تعليم" (١: ٤)، فيحملنا بالتالي على السير في طريق يسوع، واختبار فرح اللقاء به، والشهادة له من ثم؟!

نتناول بالتفصيل المقاطع والمشاهد الثلاثة من هذه اللوحة اللوقاوية الرائعة:

أ- زيارة النساء وبطرس إلى القبر(آ١-١٢)

• "لماذا تبحثن عن الحي بين الاموات؟" (آ ٥)

في الآيات الخمس الاولى نتبين بسهولة ان لوقا يتبع مرقس بأمانة، دون ان تمنعه تلك الأمانة من ازالة بعض "الوعورات" (على حد تعبير الاب كوب!) التي تعترض رواية مرقس، سعياً إلى تقديم قصة اكثر تماسكاً: فالنساء، يأتين إلى القبر "حاملات الطيب الذي أعددنه" -وقد سبق لوقا (٢٣: ٥٥-٥٦) وتحدث عن عودتهن من القبر يوم الدفن، وإعدادهن الطيوب قبل أن تبدأ شريعة السبت-، وهن: مريم المجدلية وحنة ومريم أم يعقوب وسائر النسوة! ويشير الاب كوب كيف طوّر لوقا هذه الملاحظة البسيطة، جاعلاً منها "قصة قصيرة"، إذ جعل النساء يوم الدفن "يذهبن إلى القبر، يرين، يرجعن"! وهكذا نجد البنية ذاتها مع النساء اللواتي، فجر الاحد "يذهبن، يرين، يرجعن"! وكذلك هي الحال مع بطرس الذي هوالآخر "يذهب، يرى، يرجع"! فمن رحلة واحدة لدى مرقس اصبحنا بازاء ثلاث رحلات!!!

من اليسير ان نكتشف القصد من رواية الزيارات الثلاث: رؤية (او عدم رؤية) "جسد يسوع"! فبهذا الروح، يعيد لوقا كتابة رواية مرقس: يهمل قصة الحجر (ما عدا الاشارة في الآية ٢)، ويرسم لنا صورة نسوة "لم يجدن جثمان الرب يسوع"! -ويسوع المصلوب هو لديه "الرب" الممجّد!-، لأنه لا يريد ان يدع مجالاً للشك في أمر اختفاء الجسد، ويلحّ على ذلك مراراً (آ ١٢و٢٣و٢٤ فضلاً عن آ ٣)، ليس لأنه يجعل من القبر الفارغ برهاناً على القيامة، وانما ليؤكد على ان فراغ القبر يضع الشهود امام تساؤلات: النساء في حيرة (آ ٤)، بطرس يرجع متعجباً (آ ١٢) التلاميذ يحارون (آ ٢٢-٢٤)!! وفيما يلفت لوقا انتباهنا إلى ان غياب الجثة لم يحمل احداً على الايمان بالرب الناهض، يفهمنا بأن **هذا الايمان لن يولد إلا من بشرى القيامة، أي من الوحي الذي يكشف أن يسوع هو الرب الحي!**

وهذا الكشف يقوم به الله ذاته، بفم الشاهد السماوي الذي يصبح لدى لوقا شاهدين (لأن الشهادة تقوم بفَم اثنين: تث ١٧: ٦، راجع لو٢٤: ١٣؛ رسل ١: ١٠). ويُسَبِّق الصيغة الفصحية " قام المسيح"، بسؤال على لسان "الرجلين": "لماذا تبحثن عن

الحي بين الاموات؟" -ويا له من سؤال ضمّنه لوقا كل بشارة القيامة بشكل فاعل وساطع! ذلك لأن النساء جئن إلى مقبرة يبحثن فيها عن يسوع، ولن يجدنه فيها.. انهن اخطأن العنوان!!! فمن العبث أن يبحثن عنه بين الاموات.. **انه حيّ وعليهن ان يجدنه بين الاحياء!** وغني عن القول ان عبارة "الحي"[٢٠] توحي، على الفور، باللقب الالهي الذي كان شعب العهد يصف به "يهوه" (يش٣: ١٠؛ قض٨: ١٩؛ ١صم١٤: ٣٩) - وهو "الاله الحي" الذي يحيي الشعب كلما تعرّض لمحنة هي اشبه بالموت (تث ٣٢: ٣٩؛ ١صم٢: ٦؛ ٢ مل٥: ٧...)! ذلك لأن يسوع، بقيامته، سيتمكن من "ان يحيي من يشاء".. وهو الذي "يسمع الاموات صوته فيحيون" (يو٥: ٢١ت)!

• "اُذكرن كيف كَلَّمَكُنَّ في الجليل..." (آ ٧-١١)

وهنا استخدم لوقا حريته في التعامل مع نص مرقس بشأن البشارة الفصحية. فعوضاً عن موعد للقاء الرب القائم في الجليل (موعد في مرقس يجد تحقيقه في انجيل متى!)، هوذا يلحق كلمات البشارة بعبارة: "اذكرن كيف كلّمكنّ إذ كان لا يزال في الجليل، فقال: يجب على ابن الانسان ان يُسلّم إلى ايدي الخاطئين ويُصلب ويقوم في اليوم الثالث"! فلوقا الذي يهمه ان يتم السر الفصحي كله في اورشليم -لما لها من مكانة جوهرية في انجيله، والتي منها يجب أن تنطلق البشرى السارة إلى العالم أجمع[٢١]-، بدّل العبارة المرقسية بمضمون آخر مهم، ألا وهو الدعوة إلى استذكار تعليم يسوع الذي بدأ في الجليل! ذلك لأن لوقا **أدرك بان الايمان الفصحي ينضج وينمو، عبر عملية التأمل بكلمات يسوع** والتوغل في معانيها.. وبذلك تكون قد انتفت حاجة التلاميذ إلى رؤية يسوع في الجليل، لأنهم يكونون قد "رأوه" والتقوا به عبر كلامه الحي، سيما حين يرون في موته وقيامته تحقيقاً لمخطط الله وتدبيره الخلاصي...

وأضاف لوقا بأن النسوة "ذكرن كلامه"! والتزمن من ثم بعملية الاستذكار والاستيعاب.. ولذلك نراهنّ يرجعن من القبر "ليخبرن"، ومن دون ان "يُؤمَرنَ" بذلك!

---

[٢٠] نحن مدينون للوقا بهذه الصيغة الايمانية الرائعة التي تعبر حيداً عن حقيقة قيامة المسيح الذي أدخله الله في حياته وإلى الابد.. وأعطى له "اسما يفوق كل الاسماء..." (فل ٢: ٩)! وليسمح لنا ان نتساءل إن لم يكن لقب " عيسى الحي" في وجدان اخوتنا المسلمين -وهو يستند ولا شك إلى اليقين بان الله " بعثه حياً" و"رفعه إليه حيّا"- قد رجّع صدى الايمان المسيحي بقيامة المسيح؟

[٢١] سبق ان رأينا كيف ان لوقا رتّب القسم المركزي من انجيله على شكل " صعود" إلى اورشليم: صعود جغرافي بقدرما هو صعود لاهوتي (انظر ادناه الاطار ٥٩ بشأن "صعود" يسوع)! ذلك لأنها المدينة المقدسة، مدينة الملك داود، وبالتالي مدينة المشيح الآتي، والتي فيها ينتهي "طريق يسوع" -وقد اقتبسه لوقا من مرقس وطوّره! وهكذا اراد لوقا أن يتمحور السر الفصحي حول اورشليم، المدينة التي رفضت ملكها وصلبته، والتي فيها يتراءى الرب القائم، ومنها تنطلق البشرى إلى اقاصي الارض!

وهذا يعني ان القبر لم يعد له أهمية لديهن، طالما انهن وجدن الرب الحي عبر تذكّرهن كلامه! وهكذا، بتجاوزه الترائي في الجليل، اضفى لوقا قيمة دائمة لكلام الملاكين -وسيكون بوسعنا، اذن، ان نجد دوماً في كلام يسوع الحي معنى لحياتنا وحافزاً لرسالتنا...

ويختم لوقا مشهد القبر الفارغ ببشارة النسوة.. بشارة لم تلقَ لدى التلاميذ قبولاً ولا ايماناً، إذ "بدت لهم هذه الاقوال اشبه بالهذيان و لم يصدّقوهن" (آ ١١)! وهذا دليل آخر على ان القبر الفارغ يثير دهشة وتساؤلاً، ولكنه لا يُنبت الايمان بالقيامة. ويشدد لوقا على ان مشاعر الحيرة والشك إنتابت اولئك الذين نتوقع منهم موقفاً اكثر انفتاحاً: الرسل، وفي مقدّمتهم بطرس الذي يعود إلى بيته"متعجباً"! ولانخال لوقا قد استخدم، عَرَضَاً، مثل هذه العبارات.. وانما انتقاها انتقاءً ليحملنا على انتظار ما يؤدي إلى نموّ الايمان الفصحي كالقراءة "المجدّدة " للاسفار في قصة عماوس، وعملية "فتح الاذهان" التي قام بها يسوع في خاتمة مشهد الترائي للأحد عشر.

فلوقا يرسم هنا طريقا إلى الايمان بالرب القائم! ويكتب الاب كوب بهذا الصدد: "قد يؤدّي التحقّق من ان القبر فارغ إلى تساؤلات.. اما التذكرّ بكلام يسوع، أي التأمل في الانجيل، فيؤدي إلى الايمان بالرب القائم..! فالايمان الفصحي المسيحي لا يقوم على التأكد من ان الجثة غير موجودة، بل في اليقين العميق من ان الرب حي، وهذا اليقين بدوره ينمو من التذكر بكلام يسوع"[٢٢].

• بطرس "قام فأسرع إلى القبر..." (آ ١٢)

هذه الآية ناقصة في عدد من المخطوطات، الا ان هناك، في نظر المفسرين، ما يثبت أصالتها، سيما حين نأخذ بعين الاعتبار أن لوقا ما زال محافظاً على مصدره المرقسي - وبموجبه أُعْطِيَ الأمر للنسوة بابلاغ البشرى الى "التلاميذ وبطرس" (مر ١٦: ٧). وليست ردة فعل بطرس اكثر عمقاً من ردة الفعل لدى التلاميذ! فلوقا بنى مشهد زيارة بطرس إلى القبر، على شاكلة زيارة النسوة: يذهب، يرى، يرجع! لقد أسرع في ذهابه، و لم يرَ في انحنائه سوى اللفائف، ورجع إلى بيته متعجباً وليس مؤمناً! ولاشك ان لوقا توسّع قليلاً في زيارة بطرس ليمهّد للآية ٣٤ التي تعكس تقليداً عريقاً عن كون يسوع قد "تراءى لسمعان"[٢٣].

---

[٢٢] الاب كوب: بشارة القيامة.

[٢٣] يرد اسمه اولاً في لائحة الترائيات بحسب القديس بولس(١ قور ١٥: ٥). ويصدي لوقا لهذا الترائي، للتأكيد على ان يسوع أظهر ذاته للذي سيتسلم مهمة " تثبيت اخوته" (لو٢٢: ٣٢)، في الحب والامانة للمعلّم (راجع يو ٢١: ١٥ت).

ب- رواية تلميذي عماوس (آ ١٣- ٣٥)

كان مشهد زيارة النساء وبطرس إلى القبر بمثابة مقدّمة لهذا المشهد المركزي الذي يرسم فيه لوقا للمؤمن طريقاً إلى لقاء الرب الحي.. لقاء يُعدّه ويوطّده الاختبار الفصحي. وهذا الاختبار يخص به لوقا -كما هي عادته في انجيله- اشخاصاً من القاعدة.. ونحن هنا بإزاء تلميذين قد يكونان من اولئك ألـ ٧٢ (لو ١٠)! ذلك لأنه يريد أن يشعرنا بأننا معنيون بالاختبار الفصحي الذي عاشه قبلنا اناس من الهامش، لم يكونوا في عداد الاثني عشر! ولقد برع لوقا في روايته حين جعل من تلميذي عماوس دليلين لنا لتجاوز عثرة الصليب إلى مجد القيامة، عبر الرجوع إلى الاسفار المقدسة التي تبلغ بنا، في النهاية، إلى لقاء الرب الحي في الافخارستيا!

فمن العبث أن نطرح تساؤلات بشأن ما حدث في الواقع، ونحن بازاء نص اراده كاتبه اسلوباً تربوياً، نبلغ في ضوئه إلى اختبارحقيقة القيامة! إن هذه الرواية -ومثلها رواية الترائي للمجدلية في انجيل يوحنا- لا تهدف، على حد تعبير الاب شربنتييه، إلى اعلامنا أولاً بأن يسوع قد قام وتراءى، ليقيم له شهوداً رسميين.. وانما المراد بها "اشراكنا في فرح تلاميذ وجدوا ربَّهم وجدّدوا معه روابط المحبة، وإعلامنا بأننا نستطيع اليوم ان نختبر الاختبار نفسه"[٢٤]. ولنقلها منذ الآن: سيكون بوسعنا، نحن أيضاً، ان نهتدي إلى الرب يسوع، عبر وجهات ثلاث:

١) العودة إلى حياته

٢) نقرأها في ضوء الكتب المقدسة،

٣) فنجده في الاسرار، ولاسيما في الافخارستيا[٢٥].

• في الطريق إلى عماوس

التلميذان الذاهبان إلى عماوس "في اليوم نفسه" -واسم أحدهما قلاوبا- مطّلعان على ما كانت عليه حياة يسوع الناصري، "ذلك النبي المقتدر على العمل والقول عند الله والشعب كله..." (آ ١٩)! وقد نتساءل: لماذا لا يذكر لوقا اسم التلميذ الآخر؟ أليس لأنه يريدنا ان نجد انفسنا في هذا الآخر، ونحن على الطريق في تساؤل وبحث عن يسوع؟! ان التلميذين "يتحدّثان ويتحادلان" في قضية يسوع الناصري..! ولكن ما هو

---

[٢٤] الدليل /ص ١٥٤.

[٢٥] يقيم الاب شربنتييه مقاربة رائعة بين هذا النص ونص سفر الاعمال بشأن عماذ الحبشي(٨: ٢٦-٤٠) حيث نكتشف العناصر الثلاثة التي جعلت مسيرته تتكلل بالعماذ، وقد بدأت بآية من سفر اشعيا (٥٣: ٧) بشأن "العبد المتألم"، منها انطلق فيلبس فبشّره بيسوع.. (راجع الدليل/ص١٥٤-١٥٥).

مضمون حديثهما؟ انه حديث ذو شجون تلخّصُهُ هذه العبارة: "... وكنا نحن نرجو انه هو الذي سيفتدي اسرائيل" (آ٢١)! انه "رجاء خائب"، على حد تعبير الاب شربنتييه الذي رسم صورتهما قائلاً: "كان لقلاويا ورفيقه فكرة عن الانسان وعن العالم، فكرة ذات وجه سياسي هو (تحرير اسرائيل)، فكرة فيها من القوة ما حملهما على الالتزام التزاماً تاماً. ولظنهما ان يسوع سيحققها، قضيا الاشهر في اتباعه، ولكن عبثا.. فقد علّقا رجاءهما على صليب! وها هما يعودان إلى بيتهما.. إلا أن تلك المغامرة ظلت تلاحقهما، إذ بها يتحادثان في الطريق ويتناقشان برجاء لم يعد له أي مبرر"[٢٦]!

تلميذا عماوس: كريستوفانو آلوري (١٥٧٧-١٦٢١) - فلورنسا.

• بحث عن رجاء

في قلب هذه المغامرة التي يستذكرانها ويمضغانها، في مرارة وكآبة، هوذا "يسوع نفسه قد دنا منهما وأخذ يسير معهما" (آ ١٥).. ولم يعرفاه! وأجاد لوقا حين قال بأن "اعينهما حُجبت عن معرفته"، إذ كيف يمكن لتلميذين يعرفان يسوع حق المعرفة -وقد أوجزا "الامور التي جرت"، وهما على علم بزيارة النساء وبعض التلاميذ إلى القبر -أن يُخطئا في تشخيص يسوع الناهض؟ ومثل هذا التساؤل يجد للحال جواباً حين نفهم بأن **لوقا قصد أن يضعنا بازاء ضرورة تعامل جديد مع يسوع الرب الممجّد.. تعامل نحتاج فيه إلى عيون الايمان لنرى ما لا يُرى!** فيسوع هو هو، ولكن على التلميذين أن ينظرا إليه بعيون جديدة، في ضوء رجائهما العميق الذي بدا وكأنه مُسَّ بالفشل وخيبة الأمل!

لقد ظل التلميذان أسيرَي مشروع "افتداء اسرائيل"، وفقا للتصوّر الذي طالما غذّياه، بحيث اصبحا عاجزين عن اكتشاف رجاء يحققه الله بشكل يختلف كل

---

[٢٦] المسيح قام /ص ٨.

الاختلاف عن توقّعاتهما واحلامهما. وهنا، في غمرة المأزق الذي وُجدا فيه، يدخل يسوع إلى " المسرح " ليكشف عن معنى جديد لهذا الرجاء الذي كان يملأ قلبيهما. ولندع أ. شربنتييه يواصل تحليله الجذّاب: " لقد كلّمهما يسوع، لا لتغيير مشروعهما الانساني، بل لاعطائه معناه الحقيقي. لذلك بدأ من موسى وجميع الانبياء يفسّر لهما ما ورد في شأنه في جميع الكتب! انطلق يسوع مما يعيشانه من قلق، واغترف من حياتهما ملء يديه، وحدّد موقعها من مشروع الله العظيم الذي تشيد بذكره الكتب المقدسة..."[٢٧].

♦ .. أما كان يجب...

وبلغ لوقا إلى قلب اللوحة حين وضع على لسان يسوع" السائر معهما" كلمات التأنيب القاسية: "يا قليلي الفهم وبطيئي القلب عن الايمان..."! وكان من شأن هذا التأنيب/ النداء أن يعيدهما إلى الرجاء الكامن في الاسفار المقدسة: "اما كان يجب على المسيح ان يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده؟ وبدأ من موسى وجميع الانبياء يفسر لهما في جميع الكتب ما يختص به" (آ ٢٦- ٢٧)[٢٨]. وسيرينا لوقا كيف ان "قلبهما كان متّقداً حين كان يحدّثهما في الطريق ويفسّر لهما الكتب" (آ ٣٢)... **فالاولوية في هذا التحوّل هو للرب القائم الذي "يفسّر" الاسفار ويفتح الاذهان لفهمها..!** وهكذا يستعيد التلميذان معنى حياتهما، إذ يتخذ مشروعهما مكانه في تصميم الله الخلاصي الذي يجد تحقيقه في يسوع الناصري.. ولا يني لوقا يكشف عنه بشكل خطابات يضعها على لسان شهود القيامة، كما جاء، على سبيل المثال، في خطاب بطرس بعد شفاء المقعد: "... انكم عملتم ذلك بجهالة، وهكذا رؤساؤكم ايضاً، فأتمّ الله ما أنبأ به من ذي قبل بلسان جميع الانبياء، وهو ان مسيحه سوف يتألم" (رسل ٣: ١٧-١٨)..!

♦ .. وانفتحت اعينهما...

اما الحلقة الاخيرة من هذه المسيرة الايمانية في رواية تلميذي عماوس، فهي كامنة في مشهد الضيافة التي يَلِحّان على تقديمها لهذا "الغريب"! لقد جلسوا إلى المائدة ليقتسموا خبز المحبة.. وهوذا لوقا -وقد استنار بخبرته الكنسية الطويلة- يستخدم عبارات

---

[٢٧] المسيح قام / ص ٨.

[٢٨] تلك هي الاقسام الثلاثة للاسفار المقدسة والتي يشار إليها بـ "تنخ" (توراة، انبياء، سائر الكتب) -وستعكس هذه "الثلاثية" الآية ٤٤: "... كل ما كتب في شأني في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير". (راجع الاطار ٨/ الفصل الثاني).

تعكس الممارسة الافخارستية في زمنه: "أخذ.. وبارك ثم كسر وناول" (آ ٣٠).. فنجدنا للحال في قلب الافخارستيا حيث نلتقي الرب الحي ونحتفل بحضوره، تماماً كما جرى للتلميذين اللذين"انفتحت اعينهما وعرفاه" (آ ٣١)! ألسنا في الواقع امام اختبار ايماني عميق لمعنى الفصح، وهو سر موت المسيح وقيامته الذي نحتفل به كلما اجتمعنا "لكسر الخبز" -وقد أصبحت هذه العبارة تدل على سر الفصح الذي نستذكره في الشكر لما انجزه الله في المسيح يسوع.

وتأتي خاتمة الرواية منطقية إلى ابعد الحدود: فالرب القائم "يغيب عنهما"، لانه اصبح بقيامته حاضراً دائماً ابداً، وباشكال مختلفة لا تحصى.. وبقي عليهما أن يحملا البشرى على الفور! وهذا معنى قيامهما "في تلك الساعة نفسها" ورجوعهما إلى اورشليم -وكأننا في رحلة مكوكية تظهر من خلالها مكانة اورشليم-، ليضمّا شهادتهما إلى شهادة الاحد عشر: "قام الرب وتراءى لسمعان" (آ ٣٤)! ولا تخفى فرادة شهادتهما، هما اللذان "عرفاه عند كسر الخبز"..! ألا يهدف لوقا إلى لفت انتباهنا بأن في وسعنا، نحن أيضاً، منذ اليوم ان "نرى" المسيح الحي كلما اجتمعنا "لكسر الخبز".. وليس الخبز الافخارستي حسب، بل لدى كلّ اقتسام نقوم به في المحبة تجاه اخوتنا -وليس اقتسام الخبز وحده فقط!

جـ- التراثي للأحد عشر (آ ٣٦-٥٣)

يجمع الانجيليون، ومعهم بولس، على تراثي يسوع للأحد عشر(او الاثني عشر!) كي يقيمهم "شهوداً" له! ومع ان رواياتهم تختلف.. إلا أن هذا الاختلاف الذي يميز كل انجيلي، ينسجم بالتالي انسجاماً تاما مع فكره ومضمون انجيله. وهكذا يجعل لوقا التراثي للاحد عشر يتمّ يوم الاحد ذاته، وفي قاعة الاجتماع في اورشليم (!)، حيث يتجلى "القائم" في وسط التلاميذ، ويبدأ "عملية" فتح أذهان التلاميذ من اجل قراءة مجددة للاسفار المقدسة -ويلتقي يوحنا مع لوقا في عدد من التفاصيل، إذ يعكس كلاهما صورة للقيامة من الطراز التاريخي (قبل/بعد)، عبر روايات تنبض بحيوية تلامس الواقعية...

• يسوع يبدّد شكوكهم ومخاوفهم (آ ٣٦-٤٣)

يسوع هو الذي يبادر إليهم، ويقف في وسطهم، فيبدّد حيرتهم وارتيابهم.. وما ذلك إلا بقصد من لوقا الذي يؤكد بأن الرسل لم يتعرضوا لهوس او وهم جماعي! ولذا نراه يشدد على حقيقة قيامة الرب يسوع الجسدية -كونه يخاطب يونانيين يصعب

عليهم الايمان بقيامة الجسد-، ولكن من دون ان يدع المجال لتصوّر مادّي بشأن جسد يسوع الناهض، طالما انه يوحي بأنه يظهر ويُري نفسه ويغيب.. واضعا على لسان يسوع: "انظروا إلى يديّ ورجليّ. انا هو بنفسي. المسوني وانظروا، فان الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي" (آ ٣٩)! فنحن بازاء يسوع.. ناهضاً من بين الاموات، وحاملاً في الوقت ذاته آثار الآلام..! ويعذر لوقا التلاميذ (كعادته)، لكونهم "لم يصدّقوا من الفرح" (آ ٤١)! ويأتي أخيراً الأكل (قطعة سمك مشوي -وتضيف الترجمة السريانية: شهد عسل!) بمرأى منهم، ليضع حدًّا لشكوكهم!

بهذا المشهد المفعم بحركة الحواس (رؤية، لمس، سمع، مذاق) يضعنا لوقا وجهاً لوجه امام حقيقة القيامة التي تخص يسوع شخصياً، في كيانه، وليس على الصعيد النظري الذي بموجبه يكون يسوع حيا في امتداد البشارة وحسب!! إلا ان هذا المشهد يضحي هزيلاً ما لم تسنده دعوة إلى الايمان تتجاوز الحواس. فاليقين الذي توطد لدى الرسل بقيامة يسوع لن يعفيهم من المسيرة الايمانية: فيسوع، على حد تعبير شربنتييه، لا يُرينا نفسه، بالأمس كما في اليوم، لنتمتع بمشاهدته، وانما ليسيّرنا في طريق الايمان[٢٩] (انظر الاطار ٥٨: يسوع حي: "جسم روحاني").

اطار ٥٨

يسوع حيّ، "جسم روحاني"

اذا كان يسوع حياً، فلا يكون ذلك، في نظر أناس سامين، إلاّ بكل كيانه وكل شخصه. حاولوا ان يشعرونا بذلك، فاستخدموا الفاظاً تدل على الرؤية واللّمس! ليس هو شبحاً، بما أنّ في امكانهم ان يلمسوه ويأكلوا معه. لكنه حائز على حياة جديدة كليّا، لأنه يُظهر نفسه متى يشاء وحيثما يشاء ولمن يشاء. ولقد عبّر بولس عن هذه الحقيقة بعبارة يبدو أنها لا تخلو من التناقض، فقال: ان يسوع "جسم روحاني" (١ قور ١٥: ٣٥-٤٩)!

ولكن هذا الكائن الجديد تماماً، مع انه هو هو، لا يستطيع التلاميذ ان يعرفوه إلاّ في الايمان. قال بطرس: "خوّله الله ان يظهر، لا للشعب كلّه، بل للشهود الذين اختارهم الله من قبل..." (رسل ١٠: ٤١). لقد انتقلت معرفتهم اياه السابقة إلى مرحلة جديدة، حتى عرفوه. فلو كان بيلاطس وقيافا في العليّة في اثناء تلك "الوائيات"، هل كانا "يريان" يسوع؟ ان رفاق بولس على طريق دمشق لم "يَروا" القائم من الموت، بل شاهدوا الانقلاب الذي أحدثته رؤيته في بولس!

فوجود الجماعة المسيحية كان العلامة "التاريخية" الأولى التي دلّت على تجلّي سرّ الفصح، وهذا مبنيّ على الاختبار الفريد الذي أسّس الكنيسة، أي اختبار الشهود، والذي لا يمكننا ان نقوم به ثانية (...).

أ. شربنتييه

(عن: المسيح قام/ص ٦٤-٦٥)

• فتح اذهانهم ليفهموا الكتب (آ ٤٤-٤٨)

في هذه الفقرات يوازن لوقا مشهد الترائي، فيترك للمسيح الناهض أن يقوم بمراجعة وتعميق لما سبق ان قاله لهم "حين كان معهم"

[٢٩] المسيح قام /ص ٥٢.

-وهو بذلك يعيدنا الى حياته على الارض! فنسمع يسوع يقول: "انه يجب ان يتم كل ما كتب في شأني في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير" (آ ٤٤)! وهكذا ينسحب مضمون المشهد المركزي على هذا المشهد: **العودة إلى الاسفار المقدسة لفهم مكانة يسوع في التصميم الالهي**. ومثل هذا الفهم الذي بوسع روح يسوع وحده أن يهبه لهم، سيمكّنهم من ادراك ضرورة انطلاقهم للشهادة للمسيح الحي.

لقد وضع لوقا على لسان يسوع -بعد أن "فتح اذهانهم ليفهموا الكتب" (آ ٤٥)- هذه العبارات: "كتب ان المسيح يتألم ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث وتعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الأمم ابتداء من اورشليم. وأنتم شهود على هذه الامور" (آ ٤٦-٤٨)! ونجدنا للحال بازاء خلاصة للكرازة الرسولية، كما كانت الكنيسة الناشئة تنادي بها، وكما عكسها لوقا في خطابات سفر الاعمال[٣٠].. أوَليست قيامة يسوع من بين الاموات ايذاناً بمجيء ملكوت الله، حين تهتدي إلى المسيح كل الشعوب "بالتوبة"، وتحصل على الخلاص الشامل عبر "مغفرة الخطايا"..؟ ألا يُعيدنا ذلك إلى سمعان الشيخ الذي أنشد: "... رأت عيناي خلاصك الذي أعددته في سبيل الشعوب كلها. نوراً يتجلى للأمم ومجدًا لشعبك اسرائيل" (لو٢: ٣٠-٣٢)؟

• عطية الروح وارتفاع يسوع (آ ٤٩-٥٣)

في الآية ٤٩ وضع لوقا على لسان يسوع آخر وصية لتلاميذه: أن يمكثوا في المدينة كي "يرسل إليهم ما وعد به الآب"، فيحصلوا على "قوة" تمكّنهم من الشهادة له.. وهكذا نجدنا في قلب الصعود والعنصرة! ذلك لأن هبة الروح تتم حين يكون يسوع قد "ارتفع ودخل في المجد ونال من الآب الروح القدس الموعود به" (رسل ٢: ٣٣). **فنحن إذن بالتالي بازاء حقيقة واحدة ذات ثلاثة اوجه: قيامة، صعود، عنصرة** .. وليس ثلاثة أحداث متتالية في الزمن: القيامة بعد ٣ ايام من الصلب، والصعود في يوم القيامة (بحسب الانجيل)أو بعد ٤٠ يوماً (بحسب سفر الاعمال)، والعنصرة بعد ٥٠ يوماً!! فإن لوقا، حين وضع، جنباً إلى جنب، طريقتي التعبير عن الفصح (قام+ رُفع).. فهو انما قصد أن يعكس لنا وجهَي السر الفصحي غير المنفصلين، لا أن يضعنا بازاء حدثين متتاليين في الزمن! وهكذا هي الحال مع عطية الروح التي أفاضها الرب الممجّد...

من هذا المنطلق يتضح ان رواية "الصعود" في نظر لوقا هي خلاصة تفكير لاهوتي في المسيح الذي، بقيامته، دخل في عالم الله، تاركاً لكنيسته مهمة مواصلة الرسالة وبناء ملكوت الله الذي تم افتتاحه. لذا فهي تعكس المجد والبهاء اللذين اتشح بهما يسوع

---

[٣٠] راجعها في الفصل السابع، وراجع ايضاً مفهوم "اليوم الثالث" عبر الاطار ٤٩.

القائم، وقد حصل على سيادة الهية، إذ جلس عن يمين الله (لو٢٢: ٦٩): فهوذا يخرج بالاحد عشر إلى القرب من بيت عنيا، ويرفع يديه ويباركهم -وكأنه نُصّب كاهنا اعظم يبارك الشعب في نهاية احتفال ليتورجي (انظر سي ٥٠: ٢٠-٢٣)-، بينما هم ساجدون له لكونه الرب الممجد (**انظر الاطار ٥٩: "صعود" يسوع في كتابات لوقا**). وينتهي المشهد، لابل الانجيل كله، بعودة التلاميذ إلى اورشليم وملازمتهم الصلاة في الهيكل، حيث كان الإنجيل قد بدأ برواية زكريا (لو١: ٥ت)! وهكذا يضعنا لوقا بازاء النواة الاولى للكنيسة التي تسلّمت مهمة الشهادة للرب القائم، يدعمها الروح القدس، ويملأُها الفرح...

ففي جَوّ من الالفة والفرح ينهي لوقا الجزء الخاص بعمل يسوع الذي، إذ يضع حداً لوجه من اوجه حضوره، يدشّن حضوراً "سرّياً" يكشفه الروح في حياة الكنيسة. ويوجز الاب شربنتييه هذا المنعطف إذ يقول بأن المعنى العميق من رواية الصعود هو ان "التلاميذ ينتقلون من زمن (الرؤية) إلى زمن (الايمان) و(الشهادة)"[٣١]. وكما ختم متى انجيله بقول يسوع "انا معكم".. هوذا لوقا يشرح ذلك إذ يشدد على "القوة" التي سيُلبَسونها من العُلى، والتي ستؤمّن لهم حضور يسوع بروحه القدوس الفاعل في الكنيسة...

اطار ٥٩

"صعود" يسوع في كتابات لوقا

حين نستثني رواية الصعود من انجيل مرقس (وقد ذُكر في الخاتمة المضافة ١٦: ١٩) كما من إنجيلَي متى ويوحنا، ياخذنا العجب امام روايتين للصعود لدى لوقا: الاولى في الانجيل ختم بها اليوم الفصحي الطويل (٢٤: ٥٠-٥٣)، والثانية في سفر الاعمال حيث اقام الصلة بين ارتفاع يسوع وحلول الروح (١: ١-١٤)، وتحدث عن اربعين يوماً سبقت صعوده! ويحق لنا ان نتساءل: هل نحن بازاء "صعودين"؟! ام بازاء روايتين للصعود يكشف اختلافهما عن قصد لوقا الذي كثيراً ما استخدم، وبهدف تربوي، صوراً عديدة للتعبير عن حقيقة واحدة.. فاصدى لحقيقة القيامة بوجهيها (قام ورُفع)، لا بل بأوجهها الثلاثة، إذ جعل من ارتفاع يسوع ودخوله في المجد سبيلاً لنيل الروح القدس وفيضه، عبر خبر العنصرة (رسل٢: ١-٣٦).

وإذا عكس لنا لوقا روايتين للصعود، فلأنه قرأ "الحدث" قراءة لاهوتية، مُستخدماً لغة رمزية، مفادها ان يسوع حين"انفصل عنهم ورُفع الى السماء" (لو٢٤: ٥١)، دخل إلى عالم الله عبر "ارتفاعه" في المجد وجلوسه عن يمين الله. وفي الرواية الثانية قال: "حجبه غمام عن ابصارهم" (رسل ١: ٩)، للدلالة على أن يسوع أنهى حضوره الجسدي، وبدأ حضوراً فاعلاً بقوة الروح القدس...

ومما يلفت انتباهنا في رواية الصعود بحسب اعمال الرسل، هو ان لوقا رسم لنا صورة يسوع الحي "يتراءى" للذين اختارهم، مدة اربعين يوماً، ويكلّمهم عن ملكوت الله (١: ٣)، ويوصيهم ألا يغادروا اورشليم قبل ان يتلقوا "ما وعد به الآب": الروح القدس الذي سيمنحهم قوة للشهادة له حتى اقاصي الارض(١: ٨)! ويشدد لوقا على ان يسوع "رُفع بمرأى منهم" (١: ٩) -وليس لنا أي صدى لهذه "الرؤيا" في سائر كتابات العهد الجديد!- ونتساءل: ما معنى ان الرسل "رأوا" الرب يسوع وهو يُرفع عنهم؟

---

[٣١] المسيح قام/ ص ٥٣.

في كتاب "اعمال الرسل" (العدد ٨ من "سلسلة دراسات"/ص٢٠-٢١) يعيدنا اهل الاختصاص إلى العهد القديم لنفهم قصد لوقا: انه استلهم قصة "اختطاف" ايليا النبي الذي وعد تلميذه اليشاع بأن يمنحه "سهمين من روحه" إذا رآه حين يُرفع (٢مل ٢: ١ت)! وهكذا يسوع، ايليا الجديد، وهب "روحه" القدوس لتلاميذه الذين رأوه يُرفع، كي يواصلوا رسالته.. ونجدنا للحال في قلب الرواية التالية: رواية العنصرة! كما يمكننا ان نجد في نبؤة حزقيال (١١: ٢٣) بصدد مغادرة روح الله هيكل اورشليم إلى بابل، من الجبل شرقي المدينة، أساساً لرواية صعود يسوع من جبل الزيتون بالقرب من اورشليم (رسل ١: ١٢). وكذلك في نبؤة زكريا (١٤: ٤) الذي اعلن ان الله الآتي ليقيم ملكه في آخر الازمنة.. "ستقف قدماه على جبل الزيتون قبالة اورشليم"! ألسنا بازاء يسوع جعلت منه القيامة "الرب" الذي يجسّد حضور الله بين البشر.. حضوراً يتخذ الآن شكلاً جديداً بانتظار عودته بالمجد، كما قال الملاكان: "... فيسوع، هذا الذي رُفع عنكم إلى السماء، سيأتي كما رأيتموه ذاهباً إلى السماء" (رسل١: ١١)...

وهكذا تصبح "الاربعون يوماً" زمن تعليم يسوع الذي هيّأ كنيسته، وأعدها لمباشرة مهمتها الرسولية في الشهادة له، بعد ان اختبرت حقيقة قيامته عبر "الرائيات" -وقد بدا الصعود وكأنه وضع حدّاً لها! (راجع الرقم ٤٠ في حياة النبيين موسى وايليا.. فضلاً عن صوم يسوع ٤٠ يوماً!). ففيما كان لرواية الصعود بحسب الانجيل وظيفة "مسيحانية"، هكذا اصبح لها في سفر الاعمال وظيفة "كنسية".

٤- رواية القيامة

بحسب انجيل يوحنا (٢٠: ١-٣١)

رواية القيامة في انجيل يوحنا تختلف اختلافاً ملحوظاً عن سائر الاناجيل، مما حدا ببعض اهل الاختصاص إلى افتراض تقاليد كانت في متناول الانجيلي، غير التقاليد الازائية. إلا ان هناك غيرهم يرون ان الانجيلي الرابع تعامل مع التقاليد الازائية، كعادته، تعاملاً حرّاً، مضفياً عليها طابعه الشخصي، سيما وانه كتب آخرالكل -وكان الارتياب بشأن حقيقة القيامة قد شقّ طريقه إلى المؤمنين انفسهم..! ولذا فان قمة الفصل ٢٠ هي "تطويبة الايمان" (آ ٢٩) والتي حولها تدور المشاهد الكبرى: حلقة القبر الفارغ، الظهور للمجدلية، ترائي يسوع للتلاميذ من دون توما مرة، ومع توما مرة اخرى.

وفيما ينضم الاب كوب مع القائلين بمصادر يوحنا الازائية، ولاسيما بشأن القبر الفارغ والترائي للأحد عشر، يدلي بنقطتين يتميز بهما اسلوب يوحنا الذي ترك آثاره في قصص القيامة، وهما:

- من ميزات يوحنا انه "يمسرح" قصصه، إذ يصبّها في قالب روائي مسرحي.. فيجعل روايته تتمحور حول شخصية تصبح مركز القصة (نيقوديمس، السامرية، لعازر، المجدلية، توما...).

• غالباً ما يرد ذكر "التلميذ الحبيب" (او التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه)، وهو يمثّل شخصية الشاهد المتميز للكشف عن هوية يسوع الالهية -وكأن بوسعنا ان نكون ذلك "التلميذ"، إذا ما بلغ حبنا ليسوع درجة الحب الذي كان يسكن قلب التلميذ الذي أحبه يسوع!

أ- القبر الفارغ (آ ١-١٠)

لم يبق من النساء لدى يوحنا سوى مريم المجدلية التي جاءت إلى القبر، فهرعت تقول للتلميذين: "اخذوا الرب من القبر **ولا نعلم** اين وضعوه" -وتلفت انتباهنا صيغة الجمع التي تدل على ان هناك تقليداً مشتركا بشأن زيارة النساء-، وكان ذهابها إلى القبر "عند الفجر"! بينما "الظلام لم يزل مخيّما".. وتلك اشارة إلى عمق الحزن المخيم على التلاميذ بعد موت يسوع! إلا ان النور موشك ان يظهر، مع بزوغ "اليوم الاول" من الاسبوع (الاحد) الذي يفتتح الزمن الجديد! وها نحن على الفور بازاء حجر "أُزيل عن القبر" حيث تشير صيغة المجهول إلى عمل الله الذي ظفر بالموت...

"اخذوا الرب"! بهذا التعبير الفصحي أبلغت المجدلية خبر خلوّ القبر إلى "سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي احبه يسوع"! ونلاحظ كيف يضاف هنا التلميذ الآخر إلى بطرس، الشاهد الاول للقبر الفارغ، تواصلاً مع ما جاء في لوقا (٢٤: ١٢و٣٤). وهنا نجدنا امام مشهد غريب: بدافع من الاحترام ينتظر التلميذ الآخر وصول بطرس، ويَدَعُهُ يدخل القبر أولاً: فيرى اللفائف -وتلك اشارة من طرف خفي إلى استحالة سرقة الجسد!-، من دون ان يؤمن للحال.. بينما التلميذ الآخر "رأى وآمن" (آ ٨)، مما يوحي بأولوية المحبة في معمعة الايمان!

إلا ان الملاحظة الهامة التي يضيفها الانجيلي على المشهد تثير الاهتمام: " ذلك بانهما لم يكونا قد فهما ما ورد في الكتاب من انه يجب ان يقوم من بين الاموات"(آ ٩).. وبذلك يجعلهما في عداد الرعيل الاول من الشهود الذين كانوا بحاجة إلى أن يروا ليؤمنوا، كما هي الحال مع توما.. **في حين لو انهما "فهما الكتب" لما احتاجا إلى هذه الرؤية!** وتلك هي حالتنا نحن الذين نؤمن بكلام الله وشهادة الشهود! وسننال "الطوبى" على ذلك...

ب- الظهور للمجدلية (آ١١-١٨)

ويخيل إلينا أننا بازاء زيارة ثانية للمجدلية إلى القبر! فلقد بنى الانجيلي روايته هذه على غرار رواية لوقا -وقد رأينا اعلاه القربى مع لوقا بشأن فهم الكتب المقدسة، كما

سنراها بشكل أوفى في مشهد التراثي للتلاميذ، حين نجدنا بازاء صورة "القيامة" من الطراز التاريخي...

انه مشهد مليء بالحيوية والواقعية: مريم حائرة تبحث عن يسوع عند مدخل القبر باكية.. وفي غمرة حزنها ترى ملاكين يسألانها، لتجيب من جديد، وبنبرة الحب العميق ليسوع "ربها": "اخذوا ربّي ولا ادري اين وضعوه" (آ ١٣)..! وكان ينبغي ان تستدير، مولّيةً ظهرها للقبر، كي تصبح وجهاً لوجه بازاء يسوع -وقد رأته "واقفاً" ولكنها "لم تعلم انه يسوع" (آ ١٤)، بل ظنته البستاني! وللحال يفرض السؤال نفسه علينا: كيف حُجبت عيناها عن معرفته، هي التي طالما لازمته في حياته واحبته حتى الشغف؟! ألسنا بازاء بنية تشبه مشهد تلميذي عماوس في انجيل لوقا؟ إنها قصة يريد يوحنا من خلالها أن يفهمنا بأن **يسوع هو هو ذاته، ولكنه في مجد القائم من بين الاموات!** فيتوجب علينا، كي نلتقي به، أن نتجاوز وسائل الاتصال الحسّية، لأننا لسنا الآن بازاء عودة إلى الحياة السابقة وحسب!

"إذهبي الى أخوتي..."
يسوع ومريم المجدلية: شونكوير (١٤٤٥-١٤٩١) - كولمار.

فالمجدلية مازالت تعيش في ماضي يسوع، وهي تؤمل ان تستعيد علاقتها معه كالسابق.. ولكن عليها الآن ان تتجاوز هذه الرؤية الحسية إلى رؤية "الرب الممجّد" في يسوع الناهض، وتبدأ معه علاقة جديدة، وعلى أسس جديدة هي اسس الايمان والشهادة! فكانت مبادرة يسوع، بمناداتها باسمها، كافية كي تجعل النعجة تكتشف الراعي الذي ينادي خرافه بأسمائها (يو ١٠: ٣، ٢٧)! وكانت تلك المناداة فرصة لاستدارة ثانية وسبيلاً إلى انفتاح العينين لمعرفة الرب الناهض، وهو ذاك "المعلّم" (آ ١٦) الذي طالما جلست لتصغي إلى كلامه...

ويكتب الاب دوناسيان مُولاّ في تحليله لمشهد المجدلية، بالمقارنة مع مشهد عماوس: "كيف يحضر يسوع بيننا من وراء الموت؟ وكيف ندرك هذا الحضور؟ هاتان القصّتان تجيبان عن هذين السؤالين المطروحين على الضمير المسيحي.. وكل واحدة منهما تجيب من منظورها الخاص: فرفيق الدرب في قصة تلميذي عماوس، يُعرف عند

كسر الخبز الذي اصبح عندئذ العلامة السرية لحضور المسيح بين خاصته. اما رواية يوحنا فتعطي تعليما اعمق: فعلى صرخة الايمان والحب الصادرة من قلب مريم المجدلية، اجاب يسوع بهذه الكلمات الغامضة المحيّرة: " لا تمسكيني، اني لم اصعد بعدُ إلى ابي، بل اذهبي إلى اخوتي فقولي لهم: "اني صاعد إلى أبي وابيكم، وإلهي وإلهكم" (آ ١٧). ويواصل الاب دوناسيان تحليله بالقول بأن "مريم تخطيء، إن هي فكرت ان تمسكه وتحتفظ به هنا على الارض! لقد بدأ يسوع حياة جديدة.. انه الآن من علُ (٨: ٢٣).. وعليها ان تتخلى عنه، وتقبل، كما قبل تلميذا عماوس، ان يُفلت منها يسوع في اللحظة التي عرفته ووجدته من جديد"[٣٢].

لقد عرفت المجدلية يسوع حين ناداها باسمها.. وها هي ستعرفه بشكل اعمق حين تنادي باسمه في كل مكان، وتشهد لخبرتها الايمانية: **"رأيت الرب"**! انها منذ الآن مكلّفة بأن تشهد في قلب الجماعة المؤمنة حيث يسكن الرب، وتحمل اليها أمرين بشأن العلاقة الجديدة القائمة بين يسوع الناهض وبين "اخوته" (كل المؤمنين)، وهما: اولاً، انه دخل في مجد الآب، ولن يعودوا يرونه.. وثانيا، ان أباه والهه هو منذ الآن أبوهم وإلههم! الا ان هذين الأمرين -في نظر دوناسيان مولا- هما وجهان لحقيقة القيامة في اعمق معانيها: فيسوع يعود إلى حيث كان (يو٣: ٦؛٢٣: ٣٨)، بعد ان أتم العمل الذي وكله اليه الآب، اعني انه استطاع ان يجعل الذين قبلوه "ان يصبحوا ابناء الله" (١: ١٢)! وهيذي مريم تسرع إلى الاخوة لتبلغ البشرى (آ١١).. وهناك، وبعد ان يكون الايمان الفصحي قد طهّر حبّها "الاستثاري"، ستجد القائم من الموت في قلب الجماعة، بفضل الروح القدس[٣٣]...

جـ- التزائي للتلاميذ

كانت قصة القبر، كما في سائر الاناجيل، مدخلاً ملائماً لتزائي يسوع للتلاميذ -وهو لدى الانجيلي الرابع بمشهدين: مشهد التزائي للاحد عشر من دون توما، والذي يُعِدُّ للمشهد الثاني المتمحور حول شخصية توما. ففي هذا المشهد تُضفى إضاءة على موضوع الإيمان/ عدم الإيمان. ويقول الأب كوب: "لايهم المؤلف كثيرا امر توما، ذاك الشخص من الماضي البعيد، وانما يهمه توما الموجود في كل مؤمن، أي المؤمن الذي لم يكن مع التلاميذ حين جاء الرب (آ ٢٤)، وهو مدعو مع ذلك إلى الاعتراف بالرب القائم: [ربي والهي]"[٣٤].

---

[٣٢] قراءات في انجيل يوحنا /ص ١٠٩.

[٣٣] المصدر ذاته / ص ١١٠.

[٣٤] الاب كوب: بشارة القيامة.

• التزائي من دون توما (آ١٩-٢٣)

يؤكد الانجيلي على كون التزائي للتلاميذ جرى في مساء يوم الاحد بالذات. وللحال نلمس تأثير الرواية اللوقاوية على الرواية اليوحنانية، عبر التشديد على البعد الجسدي للمسيح الناهض، وإن لم يعد هذا الجسد خاضعاً للحدود البشرية: هوذا يسوع، بالرغم من الأبواب المغلقة، يجيء ويقف في "وسطهم" -كونه الرب الممجد، الغائب والحاضر معاً- ليريهم "يديه وجنبه" (آ ٢٠)! وما ذلك سوى تعبير عن الصلة بين مصلوب الأمس والرب الممجد الذي يحمل في جسده آثار الجروح، ولاسيما في جنبه المطعون بالحربة (١٩: ٣٤)، وقد تفجَّر منه نبع الحياة (حز ٤٧: ٢).. وقد سبق يوحنا فرأى "الدم والماء" رمزاً لفيض الروح في المؤمنين، عبر سرّي العماذ والافخارستيا! كما يمكننا أن نرى في تحية يسوع المكررة -"السلام عليكم"- تعبيراً عن المصالحة التي تمت بقيامته، وكأننا بازاء خلق جديد يبشر بعالم جديد يسوده السلام والفرح. ولذا كتب الانجيلي قائلاً: "ففرح التلاميذ لمشاهدتهم الرب"! ويعلّق الاب دوناسيان مُولاّ: "اننا نشهد هنا حادثة تعرّف (كما في قصة المجدلية).. وقد رافق الايمان الذي ملأ قلوبهم -ولم يرَ يوحنا حاجة لذكره- فرحٌ كبير"[٣٥].

ويبلغ المشهد ذروته حين يوفدهم الرب القائم للرسالة: "كما أرسلني الآب ارسلكم انا ايضاً" (آ٢١ راجع يو ١٧: ١٨). ويتم هذا الايفاد بنفخة الروح القدس: "... ونفخ فيهم وقال لهم: خذوا الروح القدس..." (آ ٢٢).. **وهكذا نجدنا بازاء "العنصرة" التي تعكس وجه القيامة الملموس، وتتم في يوم القيامة ذاته!** أليس هدف التزائي للاثني عشر، في الروايات الانجيلية، هو ان يُنَصَّبوا "شهوداً رسميين" للقائم من بين الاموات؟ إلا ان الايفاد للرسالة في الانجيل الرابع "ينطلق، على حد تعبير الاب شربنتييه، من قلب الثالوث. فرسالة التلاميذ تقع في امتداد ارسال الآب للابن"[٣٦]، تسندهم قوة الروح الذي يمكّنهم من"توزيع" الغفران الذي هو عطية القائم من الموت لكنيسته...

وهكذا يتضح ان رسالة التلاميذ -كل التلاميذ- لا تقل عن رسالة يسوع، على أن تكون في خطها، ودائمة الانفتاح لإلهام روح يسوع، روح الحق الذي يرشد إلى الحق كله (يو ١٦: ١٣)! ويقارب الاب دوناسيان مُولاّ بين نفخة يسوع -وهو الاستخدام الوحيد في العهد الجديد- وبين نسمة الحياة التي نفخها الله في انف الانسان الاول (تك ٢: ٧)، ويذكرّ بنبوءة حزقيال بشأن عطاء روح الله من اجل خلق اسرائيل جديد (٣٦: ٢٥-٢٧؛ ٣٧: ١ت) -وقد وجدت تحقيقها يوم الفصح-، مخلصا إلى القول: "فقد نفخ

---

[٣٥] قراءات في إنجيل يوحنا/ ص ١١٠.

[٣٦] المسيح قام /ص ٥٣.

يسوع في تلاميذه، رؤساء الشعب المختار الجديد، الروح الذي سيكون مبدأ الحياة لخلق جديد. والفصح هو نقطة انطلاق لعالم جديد"[٣٧]..!

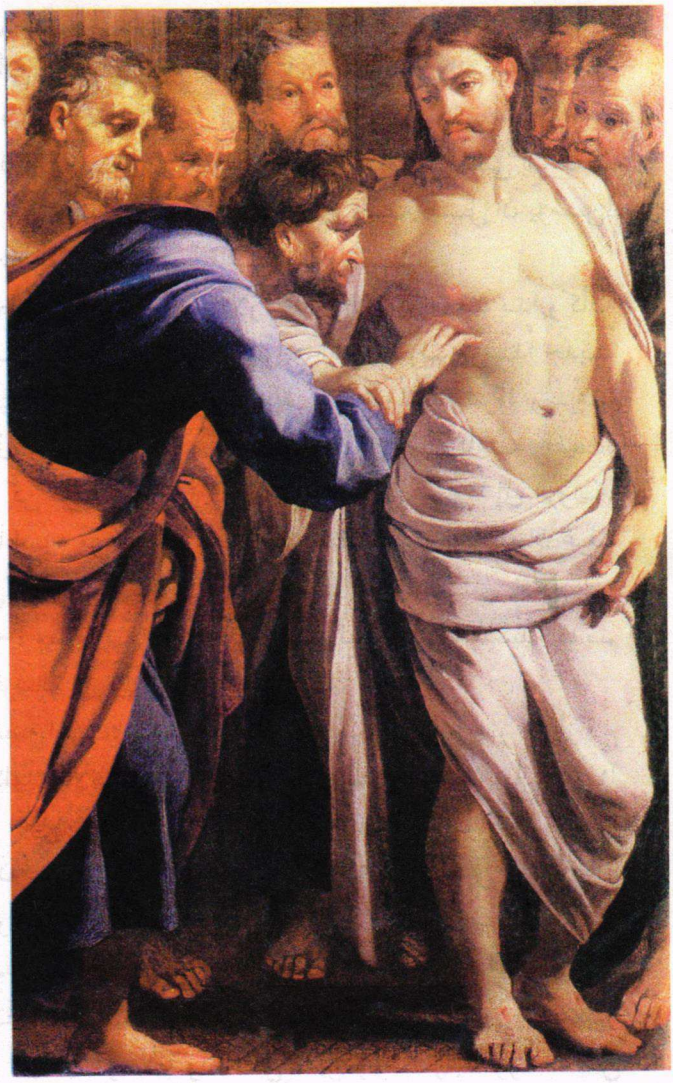

"... ولا تكن غير مؤمن"
توما ويسوع...

• التزائي مع توما (آ ٢٤-٢٩)

ومع هذا المشهد تصل رواية القيامة، لدى الانجيلي الرابع، قمتها وهدفها. فلقد ارادها تحت شعار الايمان/ الارتياب، وارادها تعكس الواقع اليومي لمؤمنين وغير مؤمنين.. يتحتم عليهم أن يجتازوا ارتيابهم او قلة ايمانهم إلى يقين الايمان.. وذلك عبر خبرة أصيلة تُحْدِث هذا التحول والانقلاب -ولقد رأينا كم تعرض التلاميذ لهذا الارتياب والشك في روايات الاناجيل، واستحقوا تأنيب يسوع (متى٢٨: ١٧؛ لو٢٤: ١١، ٣٦-٤٢؛ مر ١٦: ١٤)! هذا الموضوع الاساسي لم يغب عن انجيل يوحنا، بل تمركّز في "الدراما" التي بناها حول شخص توما الذي اصبح يمثّل كل المرتابين!

---

[٣٧] قراءات في انجيل يوحنا /ص ١١١.

فتوما هو ذاك الرسول الذي "لم يكن معهم حين جاء يسوع" (آ ٢٤)، وقد **كان احد "الاثني عشر"[٣٨]! وكأني بالانجيلي يريد أن يفهمنا بأن توما، وإن كان غائباً، كان عليه ان يؤمن بشهادة سائر الرسل: "رأينا الرب" (آ ٢٥)!** وهاهو يرسم لنا، من خلال توما، ملامح المرتاب الذي يطالب ببراهين وادلّة دامغة، ويفرض على الرب ان يدَعه يبصر اثر المسامين[٣٩] في يديه، واثر الجرح في جنبه قبل ان يؤمن! -وسنرى كيف ان كلمة الرب القائم "ستلمس" قلب توما!

وقبل ان نستمتع بنتيجة هذا الصراع بين الارتياب والايمان -وقد بدا وكأنه "مساومة"!- يلفت انتباهنا سير الرواية لدى الانجيلي الرابع الذي يضرب موعداً جديداً للقاء توما مع الرب "بعد ثمانية أيام" (آ ٢٦) -ولن يتخلف عنه توما هذه المرة! وسرعان ما نجد يسوع يداعب الرسول المرتاب، مع شيء من العتاب يختفي وراءه تأنيب خفيف: "... ولا تكن غير مؤمن بل كن مؤمنا" (آ ٢٧)! ويبقى انتباهنا مشدوداً إلى الرواية، منتظرين ردّ فعل توما إزاء ما اصابه من خجل: وها هو يلفظ اعظم فعل إيمان عرفه التقليد المسيحي: **"ربي والهي"!** -وهو التعبير الوحيد في العهد الجديد الذي يجمع بين لقبي يسوع "الرب" و"الاله"-، معترفاً بسيادة يسوع الالهية، كما عكسها النشيد القديم الذي استشهد به بولس في الرسالة إلى فيلبي (٢: ٩-١١)...

وفيما يخال لنا بأن القصة انتهت، يفاجئنا الانجيلي بتعقيب ليسوع هو في الواقع الهدف الاقصى من الرواية كلها: "ألأنك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين يؤمنون و لم يروا" (آ ٢٩)! انها التطويبة الثانية في انجيل يوحنا -وكانت الأولى تخص اولئك الذين علموا أهمية المحبة والخدمة، وعملون بهما (١٣: ١٧)- وهي بمثابة خلاصة الانجيل كله، وقد كُتب "لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه" (آ ٣١).. وبهذه الآية يُختم فصل القيامة في انجيل يوحنا! **(انظر الاطار ٦٠: الفصل ٢١ من انجيل يوحنا)**. ألسنا بازاء دعوة صامتة من الانجيلي للقارئ -على حد تعبير دوناسيان مولاّ- إلى تصديق شهادته هو، لأنه واحد من الذين رأوا الرب، وواحد من الذين سمعوا ورأوا بعيونهم وتأملوا ولمسوا كلمة الحياة (١يو١: ١)[٤٠]!

---

[٣٨] انهم في الواقع عشرة بدون توما وبهوذا! وإذ يشدد الانجيلي على كونهم "اثني عشر"، فلأن الرب يسوع ارادهم اثني عشر ليقيمهم شهوداً لقيامته، بصفتهم وارثي العهد، وهم الذين "سيدينون اسباط اسرائيل الاثني عشر" (لو٢٢: ٣٠)! وسيعيد بطرس إلى الجماعة الرسولية وحدتها التي ثلمها بهوذا بخيانته، حين ستقع القرعة على متيا الذي توهله صحبته للرسل، منذ البدء، ان يكون شاهداً لقيامة الرب (رسل ١: ١٦ت).

[٣٩] ينفرد يوحنا بذكر المسمارين في يدي يسوع، وهو لم يذكر ثقب اليدين لدى الصلب، كما لم يذكره سائر الانجيليين! الا ان قراءة المسيحيين الاولين للأسفار المقدسة في ضوء القيامة، حملتهم على تطبيق الآية ١٩ من المزمور ٢٢: "ثقبوا يديّ ورجليّ..." على يسوع المصلوب -وقد عكس الانجيليون الكثير من المقاربات من اقوال الانبياء والمزامير، على بعض الاحداث من حياة يسوع، ولا سيما في روايات الآلام-، في حين يُرجَّح ان الصلب لدى الرومان قد تمّ بالربط على خشبة، وقد تكون في الاغلب شجرة..!

[٤٠] قراءات في انجيل يوحنا / ص ١١٢.

الفصل ٢١ من انجيل يوحنا؟

اثيرت التساؤلات بشأن نسبة الفصل ٢١ من انجيل يوحنا إلى كاتب الفصول العشرين الاولى.. وذلك اولاً، كونه يبدو اضافة على الفصل ٢٠ الذي انتهى بخاتمة رائعة حول الايمان (آ ٣٠-٣١)؛ وثانيا، كون عناصر غريبة تخلّلت اسلوب الفصل ٢١، كعبارة "ابني زبدى" (آ٢) التي لم يسبق ان استعملها الانجيل الرابع... وتختلف آراء المفسرين بشأن عائديته: فبعضهم ينسبه الى احد تلاميذ يوحنا، ويرى بعضهم ان اساسه يوحناني، وأعاد كاتب ما صياغته.. فيما يرى فيه آخرون اسلوب يوحنا باستثناء الآيتين٢٤-٢٥! وفي كل الاحوال يتضح ان هذا الفصل "ممهور بطابع القديس يوحنا" -على حد تعبير الاب دوناسيان مولا اليسوعي (قراءات في انجيل يوحنا/ص١١٤)، والذي نوجز قراءته لهذا الفصل، مدعومة بقراءة لبيير مواتيل الذي قام بتحليل بنيوي للفصلين ٢٠-٢١، على غرار تحليله لرواية لوقا (راجع الفصل الاول).

١- رواية الرائي والصيد العجائبي (آ ١-١٤)

هذه الرواية الثالثة للرائي بعد قيامة الرب تهدف إلى رسم مستقبل الكنيسة من خلال وجهي بطرس ويوحنا، حيث نجد الخطوط الرئيسة لملامح شعب الله الجديد. فهي تعكس بالتالي شهادة ايمانية عن اللقاء بالرب الحي، عبر سؤالين: باية علامات يمكننا التعرف على القائم؟ وكيف نتوصل الى ان نصبح شهود الرب الحي؟

يتراءى يسوع للتلاميذ، في نهاية ليلة مضنية وفاشلة من صيد السمك.. ولم يعرفوه! وستكفي كلمة منه: "ألقوا" لتكشف، للتلميذ ولبطرس من ثم، عن كونه "الرب" الذي بكلمته امتلأت الشبكة (انظر لو ٥: ٤-١١)- ١٥٣ سمكة كبيرة ومتنوعة-! وتلك الوفرة هي علامة الشمولية التي ستميز الكنيسة! ويتحقق التلاميذ انه الرب القائم الذي، كما في كل مائدة "يأخذ ويعطي": انهما الحركتان اللتان تعبران عن حضور الرب... ويكتب الاب مولاً: "ترتسم على شاطىء بحيرة الجليل صورة عن الكنيسة القربانية لا تنفصل عن الكنيسة الرسولية. فالكنيسة هي في ذات الوقت مُرسَلَة إلى العمق لتلقي الشبكة، ومجتمعة حول ربها الذي يغذّيها بيديه! إنها حاضرة في العالم، ولكنها سرّ علوي، وهي تتبع حركة مزدوجة ودائمة الانتشار والتأمل، كحركة التنفس الضرورية لحياتها".

٢- الحوار بين يسوع وبطرس (آ ١٥-٢٣)

في هذا المشهد نجدنا بازاء القطبين، بطرس ويوحنا! يلتفت يسوع إلى سمعان بطرس ليطرح عليه سؤالاً مثلّثا: "أتحبني؟" يوازي الانكار الثلاثي.. ويحدّد له، ثلاثا، مهمة رعاية القطيع التي ستتطلب منه تخليا عن الذات، وبذلاً يجعله " يُقاد إلى حيث لا يشاء"! وتلك هي صوفية الشاهد الذي سيُمنَح القدرة على ان يحب، حتى بذل الذات الكامل على مثال يسوع (آ ١٨) -وكان بطرس قد استشهد في روما عام ٦٤ في عهد نيرون حين كُتب هذا النص.

اما بشأن مصير التلميذ الآخر الذي قال عنه يسوع: "لو شئت ان يبقى إلى أن آتي"! فيقول بيير مواتيل: كان على بطرس ان "يتبع" يسوع حتى الموت.. وكان على التلميذ الآخر أن "يبقى" ليقدم شهادته! وهكذا يسير كلاهما مع الرب القائم، وإن بدروب مختلفة.. إذ لكل واحد دعوته! وهكذا يصف الفصل ٢١ حياة المؤمنين اليومية: انهم يلبون نداء الرب إلى " صيد البشر"، وكلهم يقين من حضوره بينهم، وعلى أهبة الاستعداد للشهادة له، كلٌ بحسب دعوته...

اما الخاتمة (آ ٢٤-٢٥) بشأن "التلميذ الذي يشهد بهذه الامور ويدوّنها" -و"نحن نعلم ان شهادته صادقة"!-، فهي تعكس، على حد تعبير الاب مولاً، موقف تلاميذ يوحنا الذين يواصلون الشهادة في اثره، وقد كان هو الشاهد المميّز لمجد المعلّم!

ان ما كان يهم الانجيلي، بالتالي، هو ان يرسم ملامح توما المرتاب في كل مؤمن، ليدعوه من ثم إلى تجاوز شكوكه وضعف ايمانه، او بالاحرى إلى تجاوز ذلك المنطق الذي بموجبه يتمنى المرتاب او يطالب بأن **"يرى حتى يؤمن"**.. بينما هو مدعو، في الايمان المسيحي، والايمان الفصحي بنوع خاص، إلى **"أن يؤمن حتى يرى"!!** فإلى هذه النتيجة سعى الانجيلي الرابع أن يوصلنا.. وهي تكمن في ان الايمان هو رؤية يمنحها الروح لكل اولئك الذين، بالرغم من مظاهر الخشونة التي تبدو عليهم، لهم قلب منفتح للنور، كما سبق ان قال يسوع: آمنوا بالنور لتكونوا ابناء النور(١٢: ٣٦)!

ويطيب لنا ان نترك الاب مُولاّ يختم تحليله للفصل ٢٠ من انجيل يوحنا بالمقارنة التي أجراها بين روايتي قلة ايمان توما وحب مريم المجدلية الاستثناري: "فمن جهة نجد احساساً انثويا يحاول ان يضع يده على الشخص الذي يحبه ويحتفظ به؛ ومن جهة اخرى متطلبات نقدية لانسان يضع شروطا لايمانه، وكأنه يملي على الله السبيل الذي يجب ان يسلكه لاظهار نفسه..."! وفي الحالتين نجدنا بازاء انسان يجهل "سموّ حرية الله المطلقة في عطائه"، طالما انه يرفض عطاء ذاته لله من دون مقابل.. بينما المطلوب في الحالتين هو تسليم الذات الكامل لله: "فعلى مريم ان تتخلى عن رغبتها في امتلاك معلّمها، وان تنتظر في الايمان حضوره الحقيقي والحميم.. وعلى الرجل الذي يعقلن الامور أن يُخضع حكمته الصغيرة لحكمة الله! وعلى الاثنين معا ان يكتشفا الرب من خلال العلامات التي يعطينا اياها، هو، عن حضوره وعن حبه"[٤١].

ثالثا: القيامة في حياتنا

بعد هذا الاستعراض المسهب لروايات القيامة بحسب الانجيليين، سيكون ولا شك من النافل ان نطرح تساؤلات حول كيفية قيامة يسوع او مصير جثمانه، او حول ماهية الجسد الممجّد وصفاته وميزاته..! تلك لم تكن غاية الانجيليين، فضلاً عن ان مثل هذه التساؤلات، لا مكان لها في روايات كان جُلّ همِّها، أن تعكس ايمان الرسل والتلاميذ الاولين بالمسيح القائم من بين الاموات، وهو الرب الحي الذي غلب الموت ودخل في مجد الله.. "وسيأتي في مجده العظيم ليدين الاحياء والاموات" (قانون الايمان - انظر رسل ١٠: ٤٢).

إلا ان السؤال المهم الذي بقي علينا أن نطرحه، كخلاصة لحقيقة القيامة التي تناولها الفصلان السابع والثامن: ما هو اثر قيامة المسيح في حياتنا؟ أو بعبارة اخرى: كيف تعنينا قيامة المسيح؟

---

[٤١] قراءات في إنجيل يوحنا/ص ١١٢ - ١١٣.

الموت والقيامة: منمنمة من مخطوطة سريانية للإنجيل (٥٨٦)

تميزت هذه المخطوطة الثمينة بهذا الرسم النادر (٢٧×٢٤سم) الذي اقترن فيه مشهدا الصلب والقيامة، لفسر أحدهما الآخر.. وقد توزع عليهما الأشخاص بشكل متناسق. فالرسام ينتقل بنا من مشهد الصلب (حيث نشاهد العذراء والتلميذ من جهة، والنسوة من جهة أخرى.. فيما الجند يقترعون!) الى مشهد القيامة، فنجدنا بازاء ملاك يبشر النساء، فيما يتراءى يسوع للمرأتين، وهو متشح بالبياض، حاملاً الإنجيل بيده اليسرى ومباركاً باليمنى، فيما حراس القبر –وهو المشهد المركزي– يسقطون!

فنحن أمام مصلوب، برداء ارجواني مذهّب، وبعينين مفتوحتين، هو مسيحٌ ملكٌ على عرش المجد! إنه مصلوب لا تغادره الحياة. (المخطوطة من دير مار يوحنان/ زغبا – سوريا، وهي حالياً محفوظة في فلورنسا – ايطاليا)

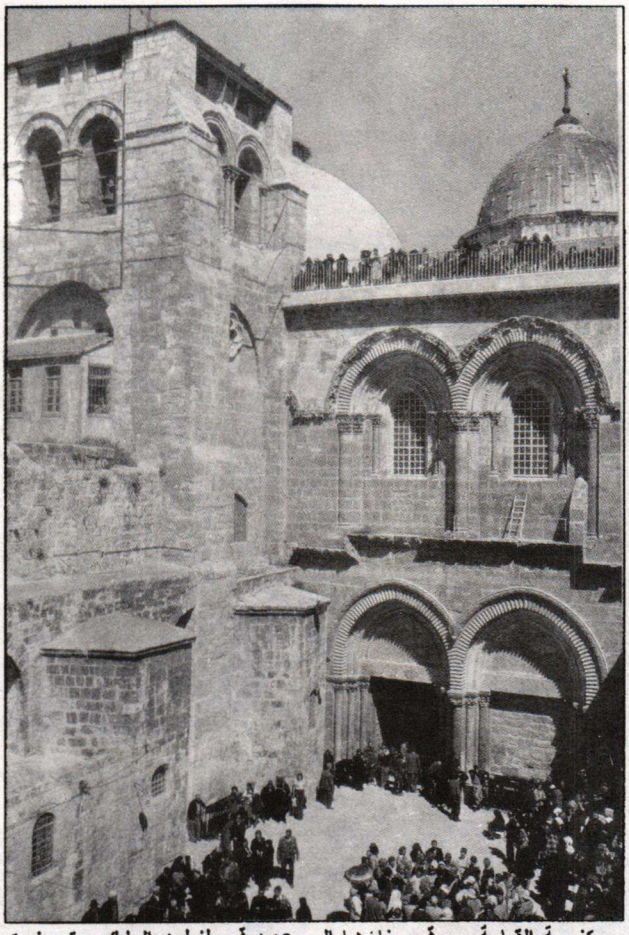

كنيسة القيامة.. يرقى بناؤها الى عهد قسطنطين الملك، وتعرضت مراراً للهدم. وفي عام ١٠٩٩ جددها الصليبيون وفق تصميم بشكل صليب. وبعد حريق شب فيها عام ١٨٠٨ أعيد بناء القبة الكبيرة عام ١٨٦٩، ونشطت فيها أعمال الصيانة والترميم منذ عام ١٩٥٤...

وأول ما نقوله في هذا الصدد هو تجنب التعامل مع حقيقة القيامة وكأنها، قبل كل شيء، عقيدة ايمانية نضيفها إلى مجموعة العقائد الاخرى..! إنها ولا شك العقيدة الكبرى، لا بل العقيدة الاساس في ايماننا المسيحي.. ومع ذلك، فان بوسعها ان تبقى على هامش حياتنا إن نحن تعاملنا معها بصفتها عقيدة حسب، ولم نتخطّ إلى مرحلة عيشها كحقيقة وجودية، أو كاختبار ايماني، بوسعه ان يقلب حياتنا رأساً على عقب، كما قلب من قبل حياة الرسل والمسيحيين الاولين! -ولا بدّ لنا من ان نبلغ يوماً إلى هذا الاختبار الذي يمكّننا من ان نقول: رأيت الرب.. وانه "تراءى" لي..!

ان حقيقة القيامة هي، في الاساس، كما رأينا، خبرة ايمانية عاشها الرسل والتلاميذ الاولون في كيانهم العميق، قبل ان يصبحوا لها "شهوداً" وخداماً. ولا مناص لنا، نحن ايضاً، وبعد الفي عام، من عيش هذه الخبرة التي بدونها يُضحي ايماننا المسيحي عقيماً، وتضحي حياتنا المسيحية بلا لون ولا معنى.. كما تُضْحي شهادتنا جوفاء، ومن دون مضمون..! ألا تنتفي، بحسب القديس بولس، منفعة الايمان في كل مظاهره (من التكلم بلغات، ونبوءة ومعرفة، وحتى نقل الجبال، لابل حتى افعال الرحمة الكبرى!) إن هو خلا من المحبة (١قور ١٣: ١ت)؟ أوَليست المحبة بالتالي هي ما ندعوه تلك الخبرة الايمانية التي تتجسد في الواقع اليومي؟ وماذا ينفعنا، بالتالي، أن نؤمن بقيامة يسوع -مع اهمية هذا الايمان- إن لم نختبر حضوره الحي والفاعل في حياتنا؟ وماذا بوسع الايمان

وحده -مع دوره الأساس والفاعل- أن يحمله إلينا، إن لم يكن بوسعه ان "يتجسّد" في قدرة على الشهادة، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، اعني: قدرة على الموت فداءً عن الانسان الذي "مات من اجله المسيح" (روم ١٤: ١٥)؟!

مثل هذه الخبرة الايمانية هي الرهان على صدق ايماننا بالمسيح القائم، وعلى مصداقية شهادتنا للمسيح القائم! ان معنى حياة يسوع لم ينكشف بكل ثقله وأبعاده إلا في القيامة.. وتلك هي حالتنا: فنحن لن نفهم معنى التاريخ، تاريخنا وتاريخ العالم، على حد تعبير الاب شربنتييه، إلا إذا "وضعنا انفسنا في نهاية هذا التاريخ"! ويتابع قائلاً: "ان ما جرى ليسوع هو ما وعد الله بتحقيقه في نهاية الازمنة، إذ ان حدث النهاية، يصبح بقيامة يسوع، حاضراً امام اعيننا"[٤٢]. وهذا يعني انه اصبح بوسعنا ان نرى، مسبقا، مصيرنا في يسوع القائم من بين الاموات، ونكتشف من ثم معنى وجودنا البشري على الصعيدين الفردي والجماعي (**انظر الاطار ٦١: القيامة دعوة الى الالتزام**).

ففي وجه المسيح الحي، يمكننا ان نكتشف ما للموت من وجه غير الذي يبدو لنا في الظاهر: انه، بالرغم من طابعه المأساوي، سيتخذ بُعد ولادة ثانية تجعلنا نبلغ إلى كينونة أكمل، كما هي الحال مع يسوع الممجد.. وقد أصبح

اطار ٦١

القيامة دعوة إلى الالتزام

(...) تمّ كل شيء بيسوع القائم من الموت، وحقّق الله وعده بالنسبة إليه وبالنسبة الينا.

ومع ذلك، لا نزال بحاجة الى عمل كل شيء. فما تمّ منذ الآن بيسوع يزيدنا انتظاراً ويحثنا على العمل ليتحقق الوعد. لا يتناول الانتظار المسيحي غير المسيح الذي تم مجيئه. لكن هذا الانتظار يتضمّن شيئاً جديداً لم يجرِ حتى الآن: يتضمّن انتظار تحقيق البر الالهي الموعود به في كل شيء، وتحقيق قيامة الاموات الموعود بها في قيامته، وتحقيق سيادة المصلوب على كل شيء الموعود بها في رَفعه الى المجد.

فإن حملنا قيامة المسيح على محمل الجدّ، كان رجاؤنا مطلباً "لتحوّل الحياة تحولاً تاريخياً"، وكان له حتماً مغزى سياسي. الرجاء هو كـ "رأس رمح" التاريخ، فهو ينازع في الحاضر ليجعل المستقبل حاضراً فيه. والمسيحيون هم شهود وعدٍ يُخرج جديداً في التاريخ ويعطيه مستقبلاً مُمكناً. فلاهوت الرجاء يصبّ في لاهوت رسالة الكنيسة. وعلى الكنيسة ان تستبق منذ الآن إمكانيات المستقبل الكامنة في الحدث بيسوعَ المسيح. وأخيرية العهد الجديد (أي آخر الازمنة الذي حُقق في يسوع) تُحوّل ولا تلغي مواعيد العهد القديم التي تبشّر بمصالحة البشرية على صعيد التاريخ. ينجم عن ذلك توسيعٌ لمفهوم الخلاص، فإن حملنا على محمل الجد تلك الخلفية النبوية والاخيرية التي يبرز منها اعلان الانجيل عن يد المسيحيين، فلا بدّ من توضيح غاية الايفاد المسيحي الى الرسالة: غايته المصالحة مع الله (٢قور ٥: ١٨ت) ومغفرة الخطايا وازالة الكفر.. ولكن يجب أيضاً ان يُفهَم الخلاص بمعنى العهد القديم، أي بمعنى الـ "شالوم". وهذا لا يعني خلاص النفس ونجاة فردية خارج عالم شرير، ومجرد عزاء ضمير يعاني المحنة، بل، الى جانب ذلك، تحقيق رجاء أخيريّ لإحلال البر، وتأنيس الانسان، واستشراك البشرية، والسلام في الخليقة كلها.

أ. شربنتييه

(عن المسيح قام /ص ٦٢)

---

[٤٢] المسيح قام/ ص ٦٠.

بوسعنا ان نرى فيه "حياة بشرية ناجحة، كما حلم الله بها لنا، صباح تكوين الخليقة، أي انساناً في صفاء تام مع نفسه، متجها في حياته اتجاها كليا نحو الله ونحو الآخرين، متحداً بدون حدود بجميع الكائنات وبالكون كله..."[٤٣]! تلك هي دعوتنا في الصميم: ان نعيش في توازن تام وانسجام كامل مع انفسنا، متجهين بحركة واحدة نحو الله ونحو الآخرين، بوحي ذاك الذي عرف ان يعيش انسانيته كاملة، في علاقة وثيقة بابيه واخوته البشر.. فحق له ان يختصّ لنفسه لقب " ابن الانسان" الممجّد، المولّى كل سيادة وسلطان -وقد اصبح بوسعه أن يُدخل معه، إلى مجده، كل الذين يسيرون على آثاره في "الطاعة" البنوية لله، مقرّبين ذواتهم هبة مجانية على مذبح الحب حتى بذل الذات...

وهكذا نجدنا للحال -ومن دون ان نزلق إلى لغة الوعظ!- بازاء قيامتنا المسبقة التي ننتظرها في الايمان والرجاء.. ذلك لاننا، منذ الآن، مدعوون -على حد تعبير القديس بولس- إلى ان "نعكس صورة مجد الرب، بوجوه مكشوفة كما في مرآة، فنتحول إلى تلك الصورة ونزداد مجداً على مجد..." (٢ قور ٣: ١٨)! ولكننا، وقبل ان نستبق "المجد المزمع ان يتجلى فينا" (روم ٨: ١٨)، نحن مدعوون إلى العمل، إذ علينا أن نسلك من جديد الطريق الذي سلكه يسوع...

ها نحن بازاء "مشروع حياة" يستحوذ على كياننا كلّه، إن نحن اخذنا على محمل الجدّ قيامة المسيح: انه مشروع مصالحة البشرية المدعوّة إلى ان تعيش "السلام"، بشكل تام وشامل! ويا لغنى ما تعنيه هذه العبارة، وما تضعه من التزامات على الصعيدين الفردي والجماعي... أليست هي الكلمة الأخيرة التي وضعها انجيل يوحنا على لسان يسوع القائم: "السلام عليكم! كما ارسلني الآب، ارسلكم أنا ايضاً" (يو ٢٠: ٢١)؟ فإلى توطيد هذا السلام نحن مدعوون -وصانعو السلام هم ابناء الله (متى ٥: ٩)!

فالمسيحي الذي يجاهر بقيامة المسيح، وهولا يزال يرى في العالم مظاهر الجوع والفقر والظلم والتفرقة والتعديات والاستلابات.. فضلاً عن الصراعات الدامية، وعلى مختلف الاصعدة، مع كل ما تفرزه من امراض ومآس وويلات.. فهو يطرح على نفسه، شاء ام ابى، سؤالاً حول معنى ايمانه..! وسيكون جوابه ولا شك، إن كان صادقاً ومنطقياً في ايمانه، انه، هو وسائر اخوته في الايمان، لم ينجزوا ما كان عليهم أن ينجزوه من "مشروع" ملكوت الله -وقد افتتحه يسوع ووكل إليهم مهمة تحقيقه ومواصلته! من أجل ذلك اعطانا يسوع "روحه" الذي ناله من الآب فأفاضه (رسل ٢: ٣٣)..! فبهذا الروح ستبقى الكنيسة تواصل الشهادة للرب الممجّد، حين تضع نفسها في خدمة البشر! انها بقوة الروح تعلن يسوع ربّاً (١ قور١٢: ٣)، وبفضله تستشعر حضوره الحي عبر "الكلمة" التي تنادي بها، وعبر "الافخارستيا" التي فيها تحتفل بموت المسيح وقيامته... وهكذا يحملها الروح على ان تضع ذاتها في خدمة البشر وتقبل من ثم أن تكون "خبزاً مقتسما" لكل الجائعين إلى الخبز وكلمة الحياة!

---

[٤٣] المسيح قام/ ص ٦٠.

الفصل التاسع

روايات الآلام بحسب الإنجيليين

الفصل التاسع

اولاً: تكوين نص الرواية

١- الآلام طريق المجد

٢- ميزات روايات الآلام

ثانياً: روايات الأناجيل الأربعة

١- رواية إنجيل مرقس (١٤-١٥)

أ. اعتقال يسوع

ب. المحاكمة اليهودية

جـ. المحاكمة الرومانية

د. الجلجلة والصلب

٢- رواية إنجيل متى (٢٦-٢٧)
(حراس القبر)

٣- رواية إنجيل لوقا (٢٢-٢٣)
(المثول أمام هيرودس)

٤- رواية إنجيل يوحنا (١٨-١٩)

أ. اعتقال يسوع

ب. المثول امام حنّان

جـ. المثول أمام بيلاطس

د. صلب يسوع

هـ. دفن يسوع

الاطارات

٦٢) آلام يسوع في ضوء القيامة

٦٣) ساعة يسوع: الجتسمانية

٦٤) ميزات رواية لوقا

ملحق

ازائية لرويات الآلام والقيامة

روايات الآلام بحسب الإنجيليين

ويأتي عمداً فصل الآلام بعد فصلَي القيامة! وذلك تأكيداً منا على أن روايات الآلام كتبت في ضوء القيامة وبنورها..! إنها روايات مفعمة بالإيمان بالمسيح الحي الذي ارتضى أن يعاني الآلام قبل أن يدخل الى مجده. لذا فهي نصوص نشأت في إطار احتفال الجماعة المسيحية بالأفخارستيا (كسر الخبز)، ووُضعت لتأمل المؤمنين في آلام المسيح كي يجدوا فيها عِبَراً لحياتهم ونوراً لمسيرتهم الإيمانية على خطاه! فمن النافل أن نرى فيها تقارير مباشرة، أو نسعى الى المزج والتوليف في ما بينها.. وإنما يترتب علينا أن نضعها في سياق كل إنجيل، فنكتشف مضامينها العميقة وما تحمله في طياتها من نداءات -ولكم سيضعنا "الملحق" أمام التوافق والإختلاف بين النصوص المتوازية لدى الإنجيليين بشأن الآلام والقيامة...

فمع مرقس، نجدنا بإزاء رواية تعرض علينا الأحداث في عُريها وواقعيتها، إذ يضعنا أمام "السر".. ولا يخشى ان يشككنا، وإنما يطالبنا بفعل إيمان عميق بيسوع الحي الذي هو ذاته الناصري المصلوب!

ويقدم لنا إنجيل متى رواية كنسية وتعليمية اتسمت بالوضوح: ذلك لأن احداث الآلام تُقرأ في ضوء إيمان الكنيسة -وقد قرأتها بنور الأسفار المقدسة التي "تمت"! وهكذا يبدو يسوع سيد الأحداث!

أما لوقا، فتتميز روايته بكونها "مرتّبة"، محكمة البناء، تحث القارئ على الوقوف الى جانب يسوع، وتحمله على التعلّق به واتباعه على درب الصليب حتى المجد! إنها تأمل في تدبير الله الخلاصي المتضمن في الكتب.. يستدعي التزام المؤمن.

وعلى خلفية إزائية، وبفرادة متميزة، يطالعنا إنجيل يوحنا برواية في منتهى الرفعة والشموخ، طالما أنها تعكس مسيرة المسيح الظافرة الى عرش الصليب! فالأحداث تتم وفقاً للكتب، ولا تتخذ كل معانيها إلا في ضوء الإيمان الذي يفيضه الروح القدس...

مدخل

طيلة الفصول السابقة، لم نكفّ عن الترديد بأن قيامة المسيح كانت نقطة الانطلاق للكرازة الرسولية.. ذلك لأنها الحدث المؤسس للايمان المسيحي: حولها تمحور ايمان الجماعات المسيحية الناشئة.. وفي ضوئها قرئت احداث حياة يسوع برمتها.. وبهديها تبلورت الروايات الشفهية بشأن اقوال يسوع وامثاله ومعجزاته ومجادلاته، ولاسيما آلامه وموته.. وبنورها دُوّنت الروايات الانجيلية التي استخدم فيها الانجيليون ما تيسر لديهم من "مصادر"، شفهية كانت أم مكتوبة، فكانت الاناجيل -وهي في الواقع "شهادات" ايمانية تعكس بشرى يسوع الناصري المصلوب الذي اقامه الله وجعله "رباً ومسيحاً"!

ولقد غرف الانجيليون الاربعة من تلك الروايات المتداولة في بيئاتهم، الشفهية والمكتوبة، ما ينسجم مع رؤيتهم الايمانية ليسوع ونظرتهم اللاهوتية إلى عمله الخلاصي عبر سرّه الفصحي، فضلاً عما يوافق حاجات قرائهم الذين من اجلهم كتبوا، ولهدف تعليمي لا يخفى... فلقد كتبوا -كما جاء في خاتمة انجيل يوحنا- كي يحملوا قراءَهم على ان "يؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله"، ويكون بوسع هذا الايمان أن يمنح لهم الحياة (يو ٢٠: ٣١)! ألسنا في قلب الايمان بأن المسيح غلب الموت ومنح الحياة للعالم؟!

ونحن عبر مسيرتنا في هذا الكتاب سلكنا الطريق ذاته، كما اتضح من خلال الفصول السابقة التي نُسِجَت منها هذه "القراءة المجدّدة للعهد الجديد"! فلقد كان موضوع القيامة لحمة الكتاب وسداه -وسيكون قد بلغ هدفه إذا خرج القارئ من مطالعته بهذا الانطباع! غير اننا ارجأنا البحث في هذه الحقيقة الكبرى وانعكاساتها في الروايات الانجيلية، لكونها على جانب كبير من الصعوبة والدقة في آن واحد..! ومع هذا الفصل الاخير عن الآلام -ولَكَم تساءَل القارئ عن سبب ارجائه إلى الآخر، بعد روايات القيامة؟!-، شئنا ان نبقى في منطق التفكير لدى الرسل والمسيحيين الاولين الذين لم ينكبوا على التأمل في آلام المسيح وموته على الصليب إلا بنور القيامة، هم الذين أدركوا جيداً ان يسوع القائم من بين الاموات، هو نفسه يسوع الناصري المصلوب، وانه يستحيل عليهم ان يلحقوا بالمسيح الحي والممجّد، ما لم يسيروا في اثره على طريق الآلام...

ولئن عكس لنا الانجيليون لوحة توحي بتعاقب الاحداث في حياة يسوع، وصولاً إلى الآلام والقيامة، إلا انهم لم يكتبوا روايات الآلام والصلب إلا في ضوء القيامة، وكما كانت تقرأها الجماعات المسيحية، في لقاءاتها الافخارستية -ولا يمكن ان تُقرأ إلا بنورها! وهكذا اتخذنا هذا الخيار عن قصد.. فأرجأنا البحث في روايات الآلام الى ما

بعد روايات القيامة، وجلّ مبتغانا ان نحمل القارئ على التأمل في حب المسيح الذي لا يستقصى (أف ٣: ١٩).. حب ذهب به إلى التخلي عن ذاته والطاعة حتى الموت، موت الصليب (فل ٢: ٧ت)..! وفي خلال هذا التأمل بالآلام سيتاح له أن يقرأ حياته برمتها في ضوء آلام المسيح الخلاصية وقيامته المجيدة: من اراد ان يتبعني فليزهد في نفسه ويحمل صليبه ويتبعني... " (مر ٨: ٣٤ ت) - ذلك لأن هذه القراءة ملزمة، وملزمة إلى حد بعيد..!

اولاً: تكوين نص الرواية

تحتل رواية الآلام مكانة مرموقة من كل انجيل، وهي تحتوي على معان عميقة، ولاسيما بعد ان ادركنا ان قيامة المسيح من بين الاموات اضفت على آلامه وموته على الصليب بُعداً لاهوتيا غزير المعنى. فنحن معها، ابعد ما يكون عن "تحقيق" مباشر للأحداث في تفاصيلها..! وكما سبق لنا مراراً ان قلنا بشأن روايات القيامة، يستحيل علينا، هنا، ايضاً ان ننتقي من كل رواية ما ينقص في الرواية الاخرى كي نبني قصة متكاملة للآلام! ولقد الححنا بما فيه الكفاية على خصوصية كل انجيلي وقصده اللاهوتي، بحيث يستحيل علينا الآن ان نتعرض لخطر تشويه الروايات، عبر عملية المزج والتوليف التي تفقدها مضمونها العميق او تخفي هدفها التعليمي الواضح... ولَكَم اكدنا ان المهم في الروايات الانجيلية بشكل عام، وروايات الآلام والقيامة بشكل خاص، هو ما تحمله من رسالة إلى المؤمنين، ومن نداء ملح يتوجه إليهم...

ان رواية اولى للآلام نشأت ولاشك، في وقت مبكّر من حياة الكنيسة الناشئة.. وفي اطار احتفال الجماعة المسيحية بالافخارستيا. فلقد كان هذا الاحتفال الليتورجي لتكريم الرب القائم واحياء ذكرى موته وقيامته، بمثابة المحيط المناسب الذي نشأت في كنفه رواية الآلام في خطوطها العريضة! وكانت تبدأ حتماً بقصة اعتقال يسوع.. واحيطت من ثم بمشاهد تضفي نوراً على الاحداث، كمشهد السعانين، والمؤامرة على قتل يسوع، ودهنه بالطيب في بيت عنيا... ولن نغالي اذا قلنا بأن رواية تأسيس الافخارستيا في غضون العشاء الاخير -وبضمنها الإنباء بخيانة يهوذا ونكران بطرس، ومن ثم الصلاة في بستان الزيتون- قد أُدرجت في الرواية لصلتها الوثيقة بموت يسوع، كونها استباقا لما كُشِفَ في ضوء القيامة، عن ان موت يسوع كان علامة "فصح" جديد لعهد جديد[1]! أليس هذا هو معنى كلمات يسوع في العشاء السرّي: "هوذا جسدي يبذل من اجلكم.. هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُراق من اجلكم" (لو٢٢: ١٩-٢٠، وما يقابله لدى مرقس ومتى)؟!

---

[1] راجع ازائية نصوص تأسيس الافخارستيا / الفصل الخامس.

وان تحليلاً ادبياً لرواية مرقس يكشف عن عنصرين في خلفية النص: رواية أساسية مقتضبة من جهة، واضافات تتسم بالحيوية من جهة اخرى. فلقد كتب الاب البير فانوا اليسوعي بان مرقس استخدم رواية تقليدية للآلام، كانت متداولة في كنيسة روما، فطوّرها من وحي كرازة بطرس..، مخلصاً إلى القول: "ان مظهر الرواية المركّب والذي نجده ايضاً لدى الازائيين الآخرين، يؤكد باننا لسنا بازاء ابتكار ادبي شخصي، وانما بازاء كرازة كنسية (راجع يو ٢١: ٢٤). فآلام يسوع هي ارث الكنيسة، وهي التي تعرضه علينا" [٢].

١- الآلام.. طريق المجد

ويحق لنا ان نتساءل عن معنى تأكيد الانجيليين على رواية الآلام.. وقد اتخذت حيّزاً اكبر من حيّز رواية القيامة؟ (فصلان طويلان لكل من الانجيليين الازائيين، فضلاً عن بضعة فصول في انجيل يوحنا في اطار العشاء الاخير!). لعل الجواب عن تساؤلنا هو عين الجواب الذي قاد الانجيليين إلى الاجابة عن تساؤلات مسيحيي زمانهم! -ولَكَم تمنوا، في سرّهم، ان تمحى هذه الصفحة من حياة المسيح الممجّد! ومثل هذا التمني يراودنا احياناً كثيرة، كما كان قد تسرّب إلى بعض المسيحيين الاولين: أن تُحَجَّم مكانة الآلام ويُعتّم عليها.. وكأنها قدَر تعيس قد آن لذكراه ان تمحى، وإلى غير رجعة، وتُسلّط من ثم كل الاضواء على مجد القيامة!!

ولَكَم يسرّنا أن نكتشف بان الكنيسة الاولى ادركت، منذ، البدء، ان قيامة المسيح لا تهرب بها إلى عالم الاساطير، ولا تخرجها من واقعها الارضي الذي عليها ان تعيشه بوجهيه المؤلم والمُبهج... فعوضاً عن أن تحتمي بعالم ما فوق "حيث المسيح في المجد"، انكبت بالاحرى على تركيز انظارها على المسيح المتألم، في تقييم عميق لكل اوجه وجوده في ما بين البشر، ولاسيما اختباره لكل اشكال الفرح والمعاناة التي لازمت حياته الانسانية. وسرعان ما تحوّل ما كان يبدو عثرة في آلام المسيح إلى علامة انتصار وافتخار..! ألم يكتب القديس بولس في رسالته الاولى إلى اهل قورنتس: "ان لغة الصليب حماقة عند الذين في سبيل الهلاك، واما عند الذين في سبيل الخلاص، أي عندنا، فهو قدرة الله.. فاننا نبشر بمسيح مصلوب، عثار الصليب لليهود وحماقة للوثنيين..."

---

(٢) La Passion selon les quatres Evangiles (Coll. Lire la Bible, N° 55) Ed. du Cerf, Paris, 1981.

سنعتمد هذا الكتاب " الآلام بحسب الاناجيل الاربعة" بقلم مجموعة من المفسرين، نخص منهم بالذكر الابوين: البير فانوا واينياس ديلا بوتري اللذين سنستشهد بهما مراراً، وقد تناول الاول روايات الآلام بحسب الازائيين، فيما تناول الثاني رواية الآلام بحسب يوحنا.

"... نبشر بمسيح مصلوب.."
- الصلب (إيقونة بيزنطية).

(١: ١٨، ٢٣)؟! وفي الرسالة إلى اهل غلاطية، يأبى بولس ان يحمله اولئك الذين يتمسكون بالشريعة والختان، على ازالة "العثار الذي في الصليب" (٥: ١١)، فيعلن في خاتمة هذه الرسالة الشديدة اللهجة: "اما انا فمعاذ الله ان افتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح..." (٦: ١٤)!

ولعل الخطوة الحاسمة التي خطتها الكنيسة الناشئة تقوم في أنها جعلت من التضاد بين الآلام -وما تعكسه من علامات الفشل- وبين القيامة التي هي اعتلان النصر على الفشل.. جعلت منه وحدة لاتنفصل: فالقيامة هي جواب الله على موت يسوع.. وهي في الوقت ذاته ثمرة حب يسوع الذي ذهب به إلى الموت، وتجلّي قيمة عطائه التام وتضحيته القصوى... وفي هذا الاطار سرعان ما انجلى للمسيحيين الاولين ما يختفي، وراء آلام المسيح وموته، من معانٍ، في ضوء تدبير الله الخلاصي الذي تعكسه الاسفار المقدسة -وقد اوجزها لوقا حين وضع على لسان يسوع هذه الخلاصة: "أما كان يجب على المسيح ان يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده؟" (٢٤: ٢٦؛ راجع لو ٩: ٢٢؛ ١٨: ٣١؛ ٢٤: ٧، ٤٦).

وهكذا راح المسيحيون الاولون ينظرون إلى آلام المسيح وموته على الصليب، نظرتهم إلى "نور" يضيء لهم دروب الحياة على خطى يسوع.. ويتأملون في آلامه، تأملهم في "كنز" يغرفون منه ما يسند نضالهم اليومي، ويجعلهم اكثر اتصالاً واكثر تمثُّلاً بالمسيح الحي الذي لا يعفيهم من الآلام، وانما يحملهم على ان يُضفوا عليها معنى ويعيشوها في السلام والثقة والرجاء... ولا يسعنا هنا أن نرجع إلى كل ما كتبه القديس بولس في رسائله بهذا الصدد.. إلى جانب رسائل اخرى لبطرس ويعقوب... بل نكتفي

بما جاء في الرسالة إلى اهل روما: "... إذا شاركناه، في آلامه، نشاركه في مجده ايضاً" (٨: ١٧؛ راجع فل٣: ١٠؛ ٢ قور٤: ١٧؛ ١بط٢: ١٩؛ ٤: ١٣؛ ٥: ١٠الخ...).

ان التركيز الذي أولته الكنيسة لآلام المسيح، طبع رسالة يسوع بطابع الوحي الذي تعكسه الكتب المقدسة، واضفى عليها اصالة متميزة، بحيث استحال على الايمان المسيحي ان يغرق في بنية اسطورية تذهب بالمؤمن إلىعالم الخيال والاحلام، أو تغرّبه عن الواقع الحياتي.. ويقول الاب أ. فانوا: "ان نور القيامة، فيما يكشف عن قيمة الآلام، يقيّم في الوقت ذاته حياتنا الواقعية" [٣]. وهكذا يتعمق وعيُنا بان علينا ان نعيش انسانيتنا كاملة، بوجهيها السعيد والأليم، ونتعلم كيف نواجه آلامنا ومعانياتنا، لابل امراضنا وموتنا، بمشاعر الثقة التامة التي يتصف بها من يقبل حياته من يد الله كعطية ثمينة، وهو في الوقت ذاته يعيشها بفرح وتفاؤل ورجاء، وعلى أتم الاستعداد لأن يعيدها اليه بالشكر ومعرفة الجميل...

٢- مميزات روايات الآلام

من هنا كانت روعة روايات الآلام بحسب الانجيليين الاربعة، وقد تميزت، لا بحجمها حسب، وانما بحيوية اسلوبها وتماسك بنيتها الادبية وقوة ايحائها بشكل خاص.. فضلاً عن مضمونها اللاهوتي ومراميها الروحية. فالرواية الاولى التي نشأت، بادئ ذي بدء، وتداولها المسيحيون في اجتماعاتهم، هي نتيجة تقليد مشترك يستند هو الآخر على الشهادة الرسولية -وقد عكسها الانجيليون الذين انطلقوا من مسودة اولى، و لم يقتصر دورهم على "نقل"، وانما على "تأليف" يتسم بطابع الابتكار!

وفيما نقف معجبين ازاء التوافق المدهش بين الازائيين الثلاثة من جهة، وبين انجيل يوحنا من جهة اخرى، في الاصداء لأبرز مشاهد الآلام، وفق تدّرج وتسلسل في الرواية يكاد يكون مماثلاً.. نقف مشدوهين ازاء الطابع الشخصي الذي اتسمت به كل رواية، وازاء التفاصيل التي انفردت بها رواية دون الاخرى: فمرقس ومتى يبدوان متقاربين.. إلا ان في روايتيهما عناصر وتفاصيل ينفرد بها كل منهما! وفيما ينفرد لوقا بكثير من المشاهد الرائعة والمُلفتة للنظر.. نجد في رواية يوحنا، بالرغم من القربى التي تشدها إلى الرواية الاصلية، خصوصية امتازت بها، إذ وضعتنا بازاء مسيرة ملوكية قام بها يسوع ظافراً على طريق الجلجلة!

وتجدر الاشارة إلى ان الاختلاف في الروايات بين الانجيليين، يكمن في النظرة الى الاحداث بما يخدم القصد اللاهوتي لكل منهم. إلا أن ذلك لا يعني انهم تمركزوا او

---

[٣] الآلام بحسب الإنجيليين الأربعة /ص١٥.

جمدوا في نظرة واحدة ضيقة، دون غيرها من النظرات والوجهات..! ويطيب لنا ان نرسم ادناه الاطار العام الذي طبع روايات الآلام، ونصدي للخلفية المنطقية لموت يسوع...

وأوّل ما نقوله بشأن الروايات، في مجملها، انها تروي قصة المسيح الحي والممجد الذي كشفت القيامة عن معنى آلامه "الخلاصية" وموته "الفدائي" على الصليب! وليسمح لنا بهذا التشبيه: ألا يطيب لنا، ان نحكي باعتزاز، قصة شخص عزيز كان قد اشرف على الموت، وشفي من ثم بشبه اعجوبة، بعد عملية جراحية ناجحة..! وحينذاك لا نجد حرجا البتة في الحديث المليء بالتفاؤل والفرح عن مرضه، والإدلاء بتفاصيل عن المعانيات التي عاشها وعشناها معه، وعلى مدى ايام واشهر، تخللتها فترات من اليأس والكآبة مع الدموع.. لا بل نجد غبطة وانشراحاً في التحدث المليء بالشموخ، عن الصراع بين الموت والحياة الذي خضناه واياه، ابان هبوط المعنويات واقتراب "الساعة".. قبل ان يكشف الشفاء عن ان الحياة كانت اقوى من الموت! ولَكَم تمتزج في حديثنا مشاعر الألم بالغبطة، وتقترن مشاعر الفرح بآيات الشكر والتسبيح..!

فالانجيليون، وقبلهم المسيحيون الاولون، كانوا يرون في قصة الآلام ما ينعش ايمانهم بالمسيح، بعد ان ادركوا انه "كان ينبغي له ان يعاني تلك الآلام..." ولماذا؟ هل لأن ذلك الموت كان قدَرَه المحتوم، ام لأن ارادة الآب هكذا قضت؟! أم لأنه، بقبوله الآلام والموت، اراد ان يطبق على ذاته ما كُتب عنه في الاسفار المقدسة.. وينجز بالتالي أمر خلاصنا؟ أم لأن حبه الصادق والأمين لله ولاخوته البشر قد أوصله إلى الموت؟... وهنا يحسن بنا ألاّ نحمّل آلام يسوع وموته مشاعر لم يكن قد حملها، كأن نقول: انه ارَاد، بطيب الخاطر، ان يموت هذه الميتة الشنيعة! وانه هو الذي بحث عنها وارادها تكون على هذا الشكل!! او أنه أقبل على الآلام والصلب وكأنه - حاشاه- لعب دوراً كان مقدّراً عليه! او انه، بصفته ابن الله، كان يعلم مسبقا ماجريات الأمور.. فتحمّل الألم على أمل ان يقوم في ثالث يوم! او انه، اخيرا، ذهب إلى الآلام والموت لكي "يتم الكتب"..! **(انظر الاطار ٦٢: آلام يسوع في ضوء القيامة)**.

إن كثيراً من هذه الاعتبارات ترجع إلى قراءة سطحية للاناجيل بشكل عام، ولروايات الآلام بشكل خاص، كما سبق ان اوضحنا مراراً[٤]. فالتلاميذ قرأوا حياة يسوع كلها، ولاسيما آلامه وموته، في ضوء قيامته.. وسرعان ما انكشفت لهم، بنور الروح القدس، الاسفار المقدسة التي مكّنتهم بالتالي من تشخيص "المسيح" في يسوع الناصرى المصلوب.. وقد اضفى الانجيليون، من ثم، فهمهم لسر المسيح المتألم، في ضوء التدبير الخلاصي، والذي يرجّع هو الآخر صدى فهم الجماعات المسيحية للسر

---

[٤] راجع ما قلناه في الفصل السابق في الفقرة بعنوان: "يسوع ازاء موته".

اطار ٦٢

آلام يسوع في ضوء القيامة

(...) كان يسوع في حياته "الانسان امام الله" الذي يحيا تماماً صلته بالله، بالخضوع التام لمشيئته والتأهب الكامل لخدمة جميع الناس. ولقد شعر، وهو امام الموت، بجميع أحاسيسنا البشرية، أي بالقلق والحاجة الى الابتعاد عن الوحشة، والشعور بأن الله نفسه قد "تركه"، وبانتفاضة الثقة أيضاً في الايمان المجرّد...

يسوع هو ايضاً انسان "مات في سبيل أفكاره".. ولم يمت تلقائياً، بل حُكم عليه بالموت. وموته هو النتيجة المنطقية لكرازته واختياراته وتصرّفاته التي كانت تعارض التفكير الرسمي (...) لكن ذلك الموت الذي كان يسوع يتوقعه، والذي كان عاجزاً امامه، لم يعانه مُكرها، بل اختاره بمحض ارادته، وتقبله ببصيرة، وجعل منه تقدمة. كان الله يطلب "الطاعة" من الانسان (من "آدم")، يطلب منه أن يعيش طوال حياته في جوّ تقدمة وتلبية، في موقف عرفان الجميل (أو الشكر).

(...) يعيش يسوع كل ذلك شخصياً، لكنه يعيشه أيضاً بالتضامن التام مع جميع البشر.. ذلك التضامن الذي يُشعرنا به الكتاب المقدس، في عهديه القديم والجديد، عبر صورة "العبد المتألم"، تلك الشخصية التي تجسد مؤمني الشعب الحقيقيين. سبق لله ان أنبأ لتلك الشخصية الغامضة بأنها ستكون عهداً لجميع الشعوب. ويسوع، بموته المقرّب، كان حقاً هذا العهد المجدّد بين الله وبيننا.

هذا ما فهمه الرسل بعد الفصح.. فلقد بدت لهم القيامة جواب الله. كان يسوع في الناء نزاعه في بستان الزيتون متضامناً مع موت كل واحد منا، وكان يخشى ان تذهب رسالته سدىً، وان تكون حياته فشلاً، وان يعجز عن ردّ شعبه الى "الطاعة".. "فرفع الدعاء والابتهال بصراخ شديد ودموع ذوارف الى الذي بوسعه ان يخلّصه من الموت".. "يا ابت، نجّني من تلك الساعة..." (عب ٥: ٧؛ يو ١٢: ٢٧).

(...) العهد الجديد بأسره يشدد على ان القيامة هي جواب الله على الصليب: فالمصلوب هو الذي قام من بين الاموات. لم يقم من بين الاموات أيُّ ميت آخر، ولم يصبّ في القيامة أي موت كان. بل ذلك الانسان الذي مات على الصليب، هو الذي دخل الحياة.. وموته، موت محبته الطائعة، هو الذي أصبح موت الموت!

أ. شربنتييه

(عن: المسيح قام/ص٥٧-٥٨)

الفصحي.. -ومن هنا كانت كثرة استشهاداتهم بنصوص الاسفار المقدسة، وقد وجدوا فيها ما ينطبق على يسوع! ولا عجب من ثم ان تتخذ الاحداث وجهاً جديداً، وتعاد قراءتها مجدّداً في ضوء الايمان.. -ويوجز الإنباء بالآلام والقيامة هذه القراءة المجدّدة، وقد سبق ان قلنا اننا بازاء انباءات بعد حدوثها!

ولن يكون ثمة حرج إذا ما بدا يسوع في الروايات -ولاسيما في روايَتَي متى ويوحنا- ذاك الذي يسير إلى أجَله "المقرر" (!) وهو عالم مسبقا بكل ما سيحدث! (انظر يو ١٣: ١، ٣؛ ١٢: ٢٠-٢٨؛ ١٨: ٤)، فيما بدا الآب "مسروراً" وراضيا عن موت ابنه! وَلَكَم بدا يسوع، في انجيل يوحنا، ذاك الذي أُرسِلَ ليعمل ارادة الآب في الطاعة التامة! فيما بدى في إنجيل لوقا ذاك الذي جاء يحقق ويتمم كل ما كتب عنه في "شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير" (لو٢٤: ٤٤)! إلا أن قراءة إيمانية لآلام يسوع حملت الرسل والمسيحيين الأولين على اكتشاف ما ينطوي، من قيمة

شاملة، على موت يسوع وقيامته، وقد اصبحا ينبوع حياة وخلاص لكل المؤمنين، كما جاء في "قانون الايمان" الذي اورده بولس: "مات المسيح من اجل خطايانا كما ورد في الكتب، وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب..." (١قور ١٥: ٣-٤)، وكما ستشدد عليه خطابات سفر اعمال الرسل: "... فمن أجلكم، أولاً، اقام الله عبده.. فيتوب كل منكم (...) ولا خلاص بأحد غيره" (٣: ٢٦؛ ٤: ١٢)!

إلا ان قيامة يسوع التي على ضوئها قرئت آلامه، لا ينبغي ان تنسينا الواقع التاريخي الذي أدّى إلى موته، هو الذي ذهبت به اقواله الجريئة ومواقفه الحرة تجاه الشريعة والتقاليد إلى حتمية الحكم عليه بالموت... ألم يكتب يوحنا حين اقتيد يسوع إلى دار عظيم الكهنة: "... وقيافا هو الذي اشار على اليهود انه خير ان يموت رجل واحد عن الشعب" (يو ١٨: ١٤)! وهكذا بدا موت يسوع تصديقا لقرار رؤساء اليهود بوضع حدّ لطروحاته وادّعاءاته..! كما أدّى موته إلى سوء فهم تام لدى تلاميذه الذين أُصيبوا بخيبة أمل مريرة، حملتهم -أقله لفترة ما- على التخلي عنه والتنكر له!

فبالرغم من مشروعية القراءة الايمانية للآلام في ضوء القيامة، يجب الحرص الكبير على عدم انتزاعها من اطارها الواقعي الذي يجد جذوره في حياة يسوع برمتها.. وبخلافه تُصبح لغزاً ومثاراً للشك! فحين نقرأها دون الاحاطة بهذه الخلفية من أقوال يسوع ومواقفه، يأخذنا العجب من عدم ايمان اليهود، ونستنكر بشدة خيانة يهوذا ونكران بطرس وهرب التلاميذ..! وقد نذهب في متاهة أكثر خطراً: فنعتبر ان يهوذا قد سخّره الله لهذه المهمة.. وأن الله هو الذي سخّر اليهود والرومان لتنفيذ هذه المأساة التي كانت مزمعة ان تصبح "مأساة الخلاص"! وكأننا بازاء إله عطش إلى الدم.. وكان لابد له أن يسكّن غضبه بموت ابنه[٥]!!!

٣- الروايات الازائية

في مرحلة اولى نتناول روايات الانجيليين الازائيين الثلاثة -ونأمل ان نكون قد اعتدنا أن ننظر إلى رواياتهم متوازية- وهي تكشف عما بينها من تلاق واختلاف في آن واحد. وفي مرحلة ثانية نتناول رواية انجيل يوحنا، وقد اعتدنا التعامل معه بقسط من الخصوصية التي تميزه...

ويطب لنا ان نبدأ برسم الخطوط العريضة لرواية كل من الازائيين، معتمدين طروحات الاب أ. فانوا[٦]:

---

[٥] راجع اللوحة التي رسمناها ليسوع الناصري في زمانه / الفصل الثالث.

[٦] الآلام بحسب الاناجيل الاربعة/ص ١٧-١٩.

أ- مرقس: اعلان الاحداث (ف ١٤- ١٥)

اعلن مرقس عن تحقيق مخطط الله الذي يبدو مخيّبا! فهو يعرض علينا رواية للاحداث في عمق واقعيتها. وكثيرا ما يبدو اسلوبه متسما بالارتجال الذي يرجّع صدى الرواية الشفهية بما فيها من حيوية.. وكأننا بازاء شاهد لا يخشى ان يشككنا، لا بل يتعمد ذلك! فيلفت انتباهنا إلى التضادّ والتعارض الظاهر: فنحن امام صليب هو سبب عثرة، ولكن سرعان ما نكتشف أن المصلوب هو ابن الله! ان رواية مرقس تجعل سر الآلام يفرض نفسه علينا، ومن حيث لا نتوقع.. وخلاصته تصب في فعل ايمان يعبر عن خضوعنا للسر وتجاوبنا معه (مر ١٥: ٣٦).

ب- متى: رواية كنسية وتعليمية (ف ٢٦-٢٧)

انها رواية تتوجه إلى جماعة مؤمنين، ولذا فقد اتسمت باسلوب يُستَشَفُّ منه الوضوح، بعيداً عن هنهنات الارتجال.. وكثيرا ما يتصف بالبساطة والايجاز ليصلح للاستخدام الليتورجي! ويتضح هذا التوجه في سياق الوقائع: فالاحداث تصبح مفهومة ومعقولة في ضوء ايمان الكنيسة. فمتى قلما يهتم بالتفاصيل الواقعية -كما فعل مرقس-، ولكنه لايدع فرصة تذهب ما لم يشدد على ان "الكتب قد تمت"، وان ليسوع معرفة سابقة بالامور، وقدرة على تسييرها! كما يهمه ان يكشف عن ضلال شعب اسرائيل وراء رؤسائه، مما يؤدي إلى ضرورة انتزاع ملكوت الله منه وإعطائه إلى امة تستثمره (٢١: ٤٣)! وهكذا تفضي الرواية الى نشوء فهم مسيحي للسر عبر المشاركة في ايمان الكنيسة.

جـ- لوقا: تعلّق التلميذ (ف ٢٢-٢٣)

غالبا ما يكشف لوقا عن توجهه كمؤرخ وكاتب: فهو يسعى إلى تقديم شبه "تقرير" عن ماجريات الاحداث، عبر رواية محكمة البناء ومتناسقة.. ومع ذلك فهو يحصّن روايته من البرودة التي غالبا ما تطبع اسلوب الراوي الذي يسعى الى الموضوعية وعدم الانحياز. ان روايته، على العكس، ترسم مسيرة التلميذ الذي يعيش بحدّدا قصة معلمه! وهكذا نجدنا بازاء رواية تعبّر عن التعلّق الشخصي بالمعلم، عبر التأكيد المتواصل على براءة يسوع، كما عبر إغفال العديد من التفاصيل التي تتسم بالاهانة والقسوة تجاه يسوع! والخلاصة هي ان الآلام نداء إلى التلميذ: يجب اتباع يسوع على طريق الصليب! وهكذا تبدو الرواية واقعية وملزمة، أي انها تستدعي التزام كل مؤمن وراء يسوع.

ولا يخفى ان هذه الملامح السريعة التي رسمناها لرواية الآلام، بحسب كل من الازائيين، تكاد تكون هي نفسها التي تجلّت في روايات القيامة، كما في بنية كل من الاناجيل الثلاثة.. وهي تعكس توجّه الانجيليين وقصدهم اللاهوتي.

- **انجيل مرقس:** هو انجيل "الاحداث" حيث الروايات تطغو على الاقوال، وهي حبلى بالسر المشيحاني.
- **انجيل متى:** مليء بالخطابات الكبرى التي تعرض تعليما كنسيا ومسيحانيا يتسم بالشمولية.
- **انجيل لوقا:** يسعى إلى "تشخيص" كلمات يسوع وجعلها تنادي كل انسان، منتظرة منه جوابا شخصيا.

ثانيا: روايات الآلام بحسب الاناجيل الاربعة

يطيب لنا ان نرسم هنا الخطوط العريضة لرواية الآلام، مقتصرين على ابرز الميزات التي اتسمت بها كل رواية، بدءً من اعتقال يسوع وحتى صلبه ودفنه، مروراً بالمحاكمة اليهودية والمحاكمة الرومانية. فنحن بإزاء خمس محطات نتوقف عندها لدى كل انجيلي... ولنبدأ بلمحة عن المشاهد التي تؤطر رواية الآلام لدى الإنجيليين الأربعة:

لقد اكدّنا بالكفاية على اولوية انجيل مرقس.. لذا، فمع يقيننا بأن هناك مسودة اولى استقى منها الانجيليون الاربعة، يسوغ لنا ان نعتبر رواية مرقس للآلام أولى الروايات المدونة التي وصلتنا، وبضمنها المشاهد الرئيسة التي هي بمثابة الاطار للرواية.

وأول مشهد يُعِدّ من بعيد الاحداث الأليمة، هو مشهد دخول يسوع "الاحتفالي" إلى اورشليم

"هوشعنا لابن داوُد"!
- الدخول الى أورشليم: جيوتو دي بوندوني (١٢٦٦-١٣٣٧)، بادوا (ايطاليا).

بهتافات "هوشعنا" -وتعني: امنح الخلاص- (مر١١؛ متى٢١؛ لو١٩: ٣٨؛ يو١٢: ١٢). وفيما يضعنا انجيل يوحنا في اجواء "ساعة يسوع" الاخيرة في غضون عشاء اخير سيكون الفرصة لخطابات الوداع الطويلة (١٣-١٧)، يطالعنا الازائيون بمشهد طرد الباعة من الهيكل، ومناظرات يسوع الحادة مع الكتبة والفريسيين -وعلى محاور عديدة- والتي تمخضت عن "مؤامرة" حاكها عظماء الكهنة والشيوخ للقضاء على يسوع.. ويشدد الانجيليون على تزامن هذه المؤامرة الخسيسة مع عيد الفصح، وقد كان لها بوادر ومقدمات منذ بدء رسالة يسوع! وفيما ادرج مرقس ومتى مشهد "دهن يسوع بالطيب" واحتجاج البعض، وجواب يسوع -وقد رأى في هذا العمل استباقاً لدفنه!-، كان يوحنا قد أدرجه قبيل الدخول إلى اورشليم (١٢: ١ت)، في حين اغفله لوقا الذي استعاض عنه بمشهد النساء حاملات الطيب صبيحة القيامة!

وفيما يضعنا الانجيليون الاربعة، ويوحنا بشكل خاص، بازاء خيانة يهوذا -وقبل ان يعلن يسوع عنها (!) - نجدنا في اجواء الإعداد للعشاء الفصحي في "علّية" كبيرة مفروشة (مرقس ولوقا) حيث يتم

"اصنعوا هذا لذكري"
- العشاء الأخير (ايقونة بيزنطية).

"إن واحداً منكم سيسلمني"
- يهوذا/ العشاء الأخير: كوسيمو روسّيللي (١٤٣٩-١٥٠٧) معبد سستين (الفاتيكان).

تفسي حزينة حتى الموت"

- في بستان الجتسمانية (معصرة الزيتون) بنيت أول كنيسة في أواخر القرن الرابع. والكنيسة القائمة حالياً ترقى الى عام ١٩٢٤، وتسمى "كنيسة الأمم" لمساهمة إثنتي عشرة دولة في تشييدها.

الانباء بخيانة يهوذا الذي "يغمس يده في الصحفة".. وفي ذلك تلميح إلى المزمور ٤١: ١٠ والذي يورده، بنصّه، إنجيل يوحنا فقط (١٣: ١٨): "الآكل خبزي رفع عليّ عقبه"! وفيما يشدد الانجيليون جميعاً على جسامة الخيانة، وهي تأتي من احد الاثني عشر (!)، يكيل الازائيون، وعلى لسان يسوع، الويل للانسان الذي أقدم عليها: "كان خير له لو لم يولد"! (مرقس ومتى) -ولا ينبغي ان نجد في هذه العبارة ادانة بالهلاك الابدي، بقدر ما نجد فيها تعبيراً عن الألم والأسف ازاء هذا التراجع من قبل صديق! كما لو نقول أمام مأساة نشهدها: "يا ليتنا ما حيينا كي لا نشهد ما نشهد!!".

وها نحن في قلب العشاء "الافخارستي" الذي أطّرته خيانة يهوذا من قبل، ونكران بطرس من بعد! في هذا العشاء عكس الازائيون، عبر "فصح يسوع" (موته وقيامته) صيغة الاحتفال بالافخارستيا، كما كانت تمارس في الكنائس، وهو سر عطاء يسوع ذاته (جسده ودمه) تقدمة حب وشكر، في "الطاعة " التامة لمشيئة أبيه... ويمكننا ان نقول بأن مرقس، دون غيره، لم يقصد، في روايته للعشاء الاخير، تبيان صلته بالافخارستيا بقدر ما شاء التركيز على ان يسوع هو سيد موته.. وانه ذهب الى الموت بشعور عميق ويقين مَكِين من أنه هو ذاته "ذبيحة"! اما يوحنا فقد عوَّض عن نص الافخارستيا برواية رائعة في الخدمة، عبر مشهد غسل الارجل الذي يعكس المعنى العميق للافخارستيا: خدمة حتى التلاشي! وهكذا، كما في كل مرة، نجد كيف أضفى الانجيليون نور الفصح على "العشاء الاخير"، حين حملونا على أن نرى يسوع يُضفي معنى التقدمة والذبيحة والخدمة على موته القريب: "هذا هو جسدي.. هذا هو دمي، دم العهد الذي يراق من أجل جماعة الناس" (مر ١٤: ٢٢-٢٤ وما يقابله).

وهوذا يسوع، بعد العشاء، ينبيء بهرب التلاميذ وتشتُّتِهم وفق نبوءة زكريا: "سأضرب الراعي فتتبدّد الخراف" (١٣: ٧)! وهذه النبوءة يوردها مرقس (١٤: ٢٧) ومتى (٢٦: ٣١)، دون ان يغفلا وعد يسوع باعادة جمع شملهم: "بعد قيامتي اتقدمكم

إلى الجليل"! ويأتي إنباء يسوع بنكران بطرس بمثابة الاشارة إلى انه لم يكن قادراً أن يفهم شيئا من سير الاحداث!

وفي الجتسمانية -ويتكلم يوحنا عن بستان، ولم يروِ تفاصيل صلاة يسوع، لانه سبق فعكس في خطابات الوداع "اضطراب" نفس يسوع ازاء "ساعته" (١٢: ٢٧)-، نشهد لدى الازائيين صراع يسوع مع الموت في اقوى تعابيره، إذ يصدي مرقس (١٤: ٣٢ت) ومتى (٢٦: ٣٦ت) للحدث في عريه، ومن دون أي تلطيف، وفي اجواء مليئة بالرهبة: "نفسي حزينة حتى الموت"! (انظر مز ٤٢: ٦)، بينما اضفى لوقا (٢٢: ٣٩ت) على روايته لمسات متميزة: فذكر الملاك الذي ظهر ليشدّده -كما شدّد ايليا النبي من قبل (١مل١٩: ٤ت) - ابان صلاته "اللجوجة" التي جعلت "عرقه كقطرات دم"، فيما كان التلاميذ نائمين "من الحزن"! وهم، بحسب مرقس ومتى، نائمون بسبب النعاس وعدم الفهم! **(انظر الاطار ٦٣: ساعة يسوع: الجتسمانية).**

اطار ٦٣

ساعة يسوع/ الجتسمانية

كم يتبدل الوضع، حين نلاحظ موقف يسوع وصلاته في الجتسمانية (مر ١٤: ٣٤-٤٢). أظهر يسوع، بهدوئه المعتاد، يقينه بأنه يُتمّ مخطّط الله. وها هو الآن يعرف الرهبة والقلق. الرهبة غير الخوف! ويستعمل مرقس هذه الكلمة في حالة متنوّعة، لها طابع واحد: نحن امام حدث يُفلت من أيدينا ولا نرى أي معنى نضفي عليه (...).

نرى هنا يسوع وقد باغته الموت الآتي: الأرض تنحلّ تحت قدميه، فلم تعد له رغبة في الحياة. وها هو يصلّي كمرتّل المزامير ويعبّر عن آلامه. يعتزل ويصلي وهو راكع، ووجهه الى الارض، فيُعبّر عمّا يرهبه: هذه الساعة، هذه الكأس.. ساعة يرذله فيها الجميع، كأس التخلّي المُرّة، الهزء، الموت. ولكن الساعة والكأس تدلان على الساعة التي حدّدها مخطّط الله الذي لا يُفهم، وعلى كأس الألم التي يعطيه الله أن يشربها، ولكنه يقدر ان يحولها عنه. طلب يسوع باسم علاقات فريدة تربطه بالله وتسمح له أن يناديه بالاسم الذي يحتفظ به الأبناء لآبائهم: " أبّا"! يطلب باسم قدرة هذا الآب: "أنت على كل شيء قدير". ولكن، حين يفهم هذه الارادة، فهو يستسلم لها بثقة. هنا يتّخذ الحدث العبثي معناه: "لا كما أنا أشاء، بل كما أنت تشاء".

تجاه هذا المشهد نرى التلاميذ نياماً، وهم غير واعين لبُعد نظر يسوع. لا يستطيعون أن يظلّوا على مستوى ما يحصل. قال لهم يسوع: "احذروا واسهروا، لأنكم لا تعرفون متى تكون الساعة... إحذروا أن يأتي السيد فجأة ويجدكم نياماً، وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا" (مر ١٣: ٣٣-٣٧). وها نحن قد وصلنا إلى هذه الساعة، ساعة مخطّط الله. اسهروا وصلّوا لأنها ساعة التجربة، والتلاميذ مهدّدون بالسقوط فيها وإضاعة ايمانهم. هناك قوّتان متعارضتان تتجاذبان الانسان: الله جعل فيه روحاً يتوجّه نحو الخير، ولكن الانسان جسد ضعيف أساساً وخاضع لسلطان الخطيئة. ساعة يسوع بالنسبة إلى التلاميذ هي ساعة الامتحان الحاسم الذي لا يستطيعون مواجهته دون قدرة الله. ولكنهم في تلك الساعة ينامون، ويسوع يثبت في صلاته وحيداً!

جان ديلورم

(عن: الانجيل كما وراه مرقس/ص٩٢-٩٣)

ا- رواية الآلام بحسب انجيل مرقس

قمة انجيل مرقس تكمن في فصوله الثلاثة الاخيرة! فها نحن بإزاء رفع الستار عن "السر المشيحاني"، لدى مجاهرة يسوع بهويته امام مجلس اليهود، ولدى شهادة قائد المئة له تحت اقدام الصليب.. وهكذا ينتهي الانجيل من حيث بدأ: انجيل يسوع المسيح ابن الله! ومع ذلك فان رواية الآلام لدى مرقس تتسم بالطابع المأساوي الذي يصدم القارئ ويتركه حائراً امام مخطط الله.. فيتساءل: لماذا هذه الآلام؟ ما معنى هذه العزلة التي اكتنفت يسوع من كل جانب؟ ما معنى صمته الذي يطغو على كل المشاهد والذي لن يقطعه إلا في حالات ثلاث: أمام المجلس، وبين يدي بيلاطس، والشكوى من أعلى الصليب! إلا ان القارئ، وهو في غمرة تحيّره، يشعر بان يسوع هو سيد الاحداث وهو الذي يسيّرها! طالما انه يبدو عارفاً بالامور قبل حدوثها (الدهن بالطيب، الاعداد للعشاء الاخير، خيانة يهوذا ونكران بطرس، الصلاة في الجتسمانية)! وهكذا نجدنا دوماً بازاء رواية لا ينفصل فيها خبر الآلام عن خبر القيامة الذي يلوح...

أ- إعتقال يسوع (١٤: ٤٣-٥٢)

في الإنباء عن خيانة يهوذا اضاف يسوع قائلاً: "وابن الانسان ماضٍ كما كتب في شأنه" (١٤: ٢١)! وفي خاتمة مشهد الجتسمانية يقول: "أتت الساعة: ها ان ابن الانسان يُسلّم إلى أيدي الخاطئين.. ان الذي يسلمني قد اقترب"! ويدعنا مرقس نتخيّل ان يسوع كان يواصل كلامه، حين وصل يهوذا على رأس عصابة، بسيوف وعصي... ومرقس كعادته -لا بل امانة منه لمصادره- يضع الاحداث في ضوء الكتب المقدسة عبر استشهادات واضحة او تلميحات خفية. فنحن بإزاء مدلول عميق، على حد تعبير جان ديلورم، إذ "نحسّ بان خبر الآلام يهدف، لا الى أن يثير فينا الشفقة، بل إلى أن يجعلنا نتأمل ونفكر فنكتشف معنى ما حدث! وهذا ما لا نستطيعه إلا إذا بحثنا في العهد القديم عن شهادة لمخطط الله..."[٧]. فحين يقول يسوع: "أعلى لصّ خرجتم تحملون السيوف والعصيّ...؟"، يخلص إلى القول بان هذا يحدث "لتتمّ الكتب" (!).. ولا يمكننا ألاّ نفكر بالتلميح إلى نبؤة اشعيا (٥٣: ١٢): "وأحصي مع المجرمين" -وقد انفرد لوقا بوضعها على لسان يسوع بصدد الاستعداد للمحنة (لو٢٢: ٣٧)!

ولعل أبلغ ما في مشهد اعتقال يسوع موقفان يؤطران هرب التلاميذ: فمن جهة، نرى احد الحاضرين يستل سيفه ويقطع أذن خادم عظيم الكهنة -وسيشخّصه انجيل

---

[٧] دليل الى قراءة الانجيل كما رواه مرقس / ص ٨٩.

يوحنا ويكشف عن اسمه!-، ونعلم ان تلك الحميّة لن تدوم طويلاً! ومن جهة اخرى، نجدنا بازاء شاب متزر كان قد بدأ باتباعه.. وما أن أمسكوه حتى ترك الازار وفرّ عرياناً! ولَكَم رأى المفسرون فيه مرقس ذاته الذي انفرد بهذا الخبر الطارئ..! اما الاب ديلورم، فلقد كتب بان "هدف الخبر هو في التشديد على استحالة مرافقة يسوع المُسَلّم إلى اعدائه"[٨]! تماماً كما جرى للتلاميذ الذين "تركوه كلهم وهربوا" (آ ٥٠)!

ب- المحاكمة اليهودية امام المجلس (١٤: ٥٣-١٥: ١)

هوذا يسوع تحت رحمة اعدائه الذين كانوا منذ البدء، بحسب مرقس، قد أشهروا اسلحتهم ضده! انما كان قد بقي لهم ان يصوغوا موجبات الحكم عليه، عبر جواب يسوع الذي يتوقعون أن يدينه، ويصادق بالتالي على قرارهم المسبق!! فكان مشهد اول، تلاه مشهد ثان أوجزه مرقس بقوله: "ما أن كان الفجر حتى اجتمع عظماء الكهنة للشورى مع الشيوخ والكتبة والمجلس كله" (١٥: ١).. وبموجبه سيُحال يسوع إلى امام محكمة بيلاطس.

فالمشهد الاول يتمحور حول بحث الرؤساء عن شهادة تتيح لهم الحكم على يسوع (آ ٥٥). ويشدد مرقس على ان كثيرين شهدوا عليه زوراً، وفي مقدمة شهادات الزور: "نحن سمعناه يقول: اني سانقض هذا الهيكل الذي صنعته الايدي، وأبني في ثلاثة ايام هيكلاً لم تصنعه الايدي" (آ ٥٨). وحين انتفى الاتفاق في شهادات الزور هذه، لم يكن امام عظيم الكهنة سوى توجيه السؤال مباشرة.. ليأتي الجواب على لسان يسوع، واضحاً لا لبس فيه، ولأول مرة في انجيل مرقس: "انا هو"! ويضيف: "وسوف ترون ابن الانسان جالساً عن يمين القدير وآتيا في غمام السماء" (آ ٦٢)! -وندرك الآن ما ينطوي على هذه المجاهرة المزدوجة من مضمون، في ضوء رؤيا دانيال (٧) والمزمور (١١٠)! فبعد ان زال كليا احتمال اعتباره مسيحا قوميا، هوذا يسوع يعلن امام خصومه "ان الله سيمنحه سلطانه ومجده.. فهو مسيح وابن الله بمشاركته في سلطان الآب"[٩]. ويا للمفارقة! فنحن نشهد بان أسمى مجاهرة.. توصَف وتُقابَل بالتجديف، وتشكل بالتالي مادة الحكم عليه بالموت.. فيما تلقى الهزء والسخرية والازدراء من جانب الخدم، والنكران من جانب بطرس الذي كان قد تبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة (آ ٦٦-٧٢)!

---

[٨] المصدر ذاته /ص ٩٣.

[٩] المصدر ذاته/ ص ٩٤.

جـ- المحاكمة الرومانية امام بيلاطس (١٥: ٢-٢٠)

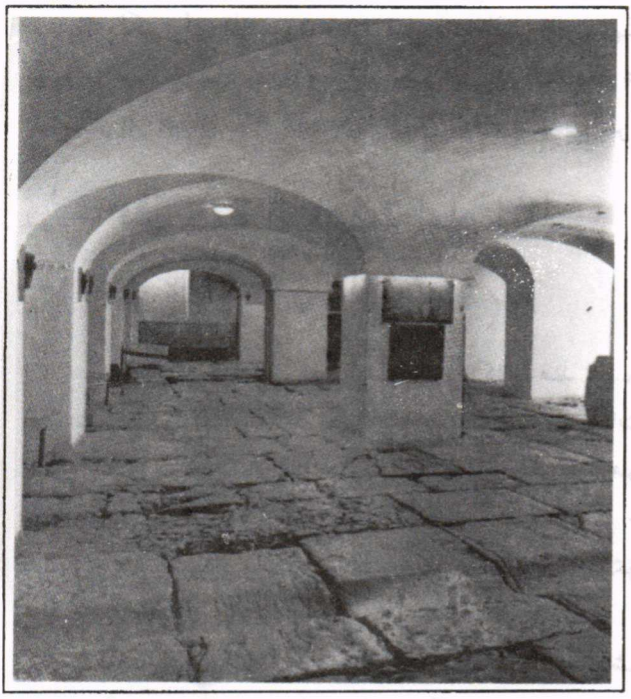

تحت دير "هوذا الرجل" (١٨٦٠) مساحة ذات بلاطات توحي بالمكان الذي وقف فيه بيلاطس، ودعاه إنجيل يوحنا "البلاط" أو "غبّاثا" بالعبرية.

في فجر اليوم التالي يُساق يسوع للمثول امام بيلاطس، الحاكم الروماني. وتتمحور الدعوى الرومانية حول السؤال: أأنت ملك اليهود؟ ويرينا مرقس كيف ان اليهود يرفضون ملكهم! وفيما اكتفى يسوع بجواب ملتبس: "انت قلت" او "هو ما تقول" -وقد يكون مرقس قد تقصّد هذا الالتباس، وهو يوجه انجيله إلى الأمم-، نراه يلزم الصمت ازاء اتهامات رؤساء الكهنة... ويضعنا مرقس بازاء مفارقة جديدة، إذ يرينا يسوع "ملك اليهود"، بازاء حاكم روماني يعلم انهم "أسلموه عن حَسَد"..! ومن دون أن يتلقى جواباً على سؤاله: وأي شر فعل؟ (آ١٤)، يسعى إلى إطلاق سراحه، في الوقت الذي يطالب فيه اليهود بصلب ملكهم.. ويفضّلون عليه برأبا زعيم عصابة من المقاومة (آ ٦-١١)! ولم يكن من بيلاطس الذي كان يهمه كسب رضى الجمع، سوى ان يرضخ لارادة رؤساء اليهود الدينيين!

ويأتي مشهد الهزء الشنيع (آ١٦: ٢٠)، من قبل الجنود، ليعكس المفارقة الصارخة بشأن "ملك" لم يعترف اليهود بمُلْكِهِ! ويعكس هذا المشهد تحقيق ما سبق يسوع فأنبأ به من مظاهر الاهانة والإذلال: ثوب الارجوان واكليل الشوك والسجود الساخر.. مع الضرب والبصاق! وكأني بمرقس يؤكد لنا من جديد ما في مخطط الله من مفارقات، وما يختفي وراء الظواهر المُحَبِّطَة والمُخَيِّبة من سرّ...

د- الجلجلة والصلب (١٥: ٢١-٣٩)

يحصي الاب أ. فانوا[١٠]، في رواية مرقس، بشأن صلب يسوع، ستة مشاهد متتالية:

١) تسخير سمعان القيريني (آ ٢١)
٢) الصلب (آ٢٢-٢٧)
٣) التعرض للسخرية (آ٢٩-٣٢)
٤) الظلمات (آ٣٣- ٣٦)
٥) موت يسوع وانعكاساته (آ٣٧-٣٩)
٦) موقف النساء (آ ٤٠-٤١).

ولا ننسَ ان مرقس، وهو يروي الاحداث، يتعمَّد الإدلاء ببعض التفاصيل، كذكر ابني سمعان القيريني وتسمية النساء اللواتي "كنّ ينظرن عن بُعد"..! فهو انما يريد التأكيد على ان الحدث يندرج في التاريخ.. وان يسوع الناصري المصلوب هو في القلب من هذا التاريخ!

وها نحن بازاء عملية تنفيذ المؤامرة التي حيكت من قبل روساء اليهود الذين، بتواطؤ بيلاطس، بلغوا قصوى رغبتهم! فليس من قبيل الصدفة ان يأتي لقب "ملك اليهود" (آ ٢٦) -وهو العنوان الذي وُضِعَ على الصليب- مؤطَّراً بذكر الصلب على دفعتين (آ٢٥ و٢٧) لابراز المفارقة: ملك مصلوب! وعن يمينه ويساره لصّان صُلبا معه!!

ومع مشهد السخرية التي تَعَرَّض لها المصلوب، نجدنا من جديد في مناخ الاتهامات الرخيصة التي ملأت اجواء الدعوى اليهودية، سواء جاءت على لسان شهود الزور: "يا ناقض الهيكل... خلّص نفسك وانزل عن الصليب"! ام جاءت على لسان عظماء الكهنة والكتبة: "خلّص غيره من الناس ولا يقدر ان يخلص نفسه.. فلينزل الآن المسيح، ملك اسرائيل، عن الصليب لنرى ونؤمن"! وهكذا نجدنا امام هذه المفارقة المدهشة: فالانجيلي -على حد تعبير الاب فانوا- "يعلم ان هذه الرؤية للأمور خاطئة، ولكنه يَدَع التعبير عنها يتم بهذا الشكل العاري. وهكذا يحملنا على الخضوع لصدمة الواقع، ويمكّننا من الغوص في ظلمة السر"[١١]..! وإذا أغفل مرقس، عن قصد، لقب "ابن الله".. فلأنَّه حفظه لمشهد النهاية، كشهادة اخيرة عن يسوع تأتي على لسان قائد المئة الوثني!

---

[١٠] نعتمد هنا ابرز التفسيرات التي وردت في كتاب "الآلام بحسب الاناجيل الاربعة"/ ص ٤١-٥٤.
[١١] المصدر ذاته/ ص ٤٣.

وتجدر الاشارة إلى أن مشهد الجلجلة برمته يمتد على ساعات النهار، بدءً من شروق الشمس: فهي الساعة الثالثة حين صلبوه (آ ٢٥/ الساعة التاسعة صباحاً)، وها نحن في كنف ظلمة خيمت على الارض، ابان ساعات الصلب، من السادسة حتى التاسعة (آ٣٣/ من الظهر وحتى الساعة الثالثة بعده)! -وفيها اطلق يسوع صرخته الاخيرة بكلمات المزمور ٢٢ (آ ٣٤). ويكتب جان ديلورم: "ان المدة التي تحددها الساعات الثلاث للصلاة اليهودية، والمسيحية من ثم، تمثل الاحداث وتمثل ايضاً مدة تأمل الجماعة التي [دوّنت] هذه الاحداث على ضوء الكتب المقدسة" [١٢].

ويواصل تحليله بالقول بان المحكوم عليه، في ساعة الصلب، يعطى نبيذاً مُطَيَّباً ليفعل فعل المخدِّر: وقد "قدّموا إليه خمرا ممزوجة بمر، فلم يتناولها" (آ ٢٣).. انه ولا شك تلميح إلى المزمور ٦٩: ٢٢. وفيما "يقتسمون ثيابه مقترعين عليها..." (آ٢٤) -وفي ذلك تلميح واضح إلى المزمور (٢٢: ٩) -، يُصلب يسوع بين لصّين.. وهو تلميح ايضاً إلى نشيد العبد المتألم في اش ٥٣: ١٢ حيث ورد: وأحصي مع العصاة! اما الساعة السادسة، فهي ساعة الظهيرة: الشمس في أوجها تظلم! وتطالعنا للحال نبؤة عاموس (٨: ٩-١٠) حيث الكلام للرب القائل: "... اغيّب الشمس عند الظهيرة، واجلب الظلمة على الارض في وضح النهار..."! وهكذا نصل إلى صرخة يسوع الاخيرة، في الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر): " الهي إلهي لماذا تركتني؟ وفيها تبنّى يسوع صرخة الصدّيق المتألم (مز٢٢: ١) الذي يشعر نفسه وحيداً، أعزل، متروكا من قبل الجميع..! وسيقرأ المؤمنون في آيات هذا المزمور الاخيرة (٢٣-٣١)، والمليئة بالرجاء، ما يكشف لهم عن معنى صليب يسوع...

وتأتي علامتان لتشهدا على قيمة موت بدا، لأول وهلة، محيِّراً ومعثِّراً -وقد ظل سرّه مغلقاً ردحاً من الزمن- كونه وضع حداً لادّعاءات "ناقض الهيكل" الذي برهن الصليب على عجزه!! فالعلامة الاولى بشأن حجاب الهيكل الذي انشق إلى شطرين (آ٣٨)، تدل على ان موت يسوع وضع حدًّا للعبادة في الهيكل وما يرافقها من ممارسات وذبائح..! ألسنا امام استياق لخراب الهيكل؟ والعلامة الثانية تكمن في مجاهرة قائد المئة بايمانه بـ "ابن الله" (آ٣٩)، وهو يشاهد يسوع يلفظ الروح! ويقول ديلورم: "لن نتوقف عند معنى هذه الكلمات كما خرجت من شفتيه، بل نجد فيها تسبيقاً لاعلان الايمان المسيحي الذي سينتشر بين الوثنيين" [١٣].

هاتان العلامتان تصبحان بليغتين في ضوء ما سبقهما من معطيات، حيث تمسي الرواية المرقسية كلها كشفاً عن المسيح. فالاعتراف الايماني الذي جاء على لسان قائد

---

[١٢] قراءة في الانجيل ما رواه مرقس/ص٩٤.

[١٣] المصدر ذاته / ص ٩٦.

المثة هو، على حد تعبير أ. فانوا، بمثابة الجواب على مطالبة رؤساء الكهنة بنزول يسوع عن الصليب كي يؤمنوا!! كما انه يدعم مجاهرة يسوع امام المجلس عن كونه المسيح، ابن الله..! وتلك المجاهرة، بحكم البُعدين اللذين تضمنتهما ووحدت بينهما (البعد المسيحاني عبر الاشارة إلى المزمور ١١٠، والبعد الرؤيوي عبر الاشارة الى رؤيا دانيال ٧: ١٣)، جعلها مرقس تبدو تجديفاً في أعلى درجاته! وهكذا هي الحال مع العلامة الأخرى التي يرتبط فيها تمزيق الحجاب بموت يسوع: هناك ارتباط وثيق بين جسد يسوع المائت، والهيكل "غير المصنوع بالأيدي" (١٤: ٥٨)! فما ان بلغ الحقد باليهود إلى قتل يسوع، لم يعد بوسع الهيكل ان يثبت.. لا بل يحل محله للحال "هيكل غير مصنوع بالايدي".. ليس هو في الواقع سوى جسد يسوع الممجّد والذي يضم كل المؤمنين! -وسيرى انجيل يوحنا في كلام يسوع عن الهيكل "هيكل جسده" (٢: ١٩-٢٢). ففي ضوء هاتين العلامتين، تبلغ رواية الآلام في انجيل مرقس ذروتها!

هـ- دفن يسوع (١٤: ٤٠-٤٧)

كان على مرقس، اخيراً، ان يجعلنا في الفة مع النساء اللواتي كنّ "ينظرن عن بُعد" (آ ٤٠- ٤١) -ولاسيما مع مريم المجدلية ومريم أم يوسي اللتين رأتا ابن وُضع (آ٤٧)، لانهما ستكونان "شاهدتَي" القيامة! فعلى مشهد منهن، في مساء "يوم التهيئة، أي الذي قبل السبت" (وقد صادف فيه عيد الفصح في تلك السنة، بحسب انجيل يوحنا)، تجري دفنة يسوع في جو من المهابة، بمساعي يوسف الرامي، عضو المجلس، والذي يقول عنه مرقس أنه "كان ينتظر ملكوت الله" (آ ٤٣)! وهكذا نجدنا اخيرا بازاء مشهد تنتفي منه مظاهر المحنة والمأساة: فيوسف الرامي لم يعد يخشى الانحياز إلى جانب يسوع! وبيلاطس يبدو ذلك الرجل المهتم الذي أدهشه موت يسوع السريع.. فيستجيب لطلب يوسف ويعطيه الجثمان! ولم يبق سوى ان تنفتح الرواية، "بعد انقضاء السبت"، على فجر اليوم الاول من الاسبوع، حين ستسطع الشمس ويدحرج الحجر!!

٢- رواية الآلام بحسب انجيل متى

حاول كاتب الانجيل بحسب متّى ان يكشف عن معنى موت المسيح، لاسيما وقد بيّن في انجيله ان يسوع هو المسيح ابن داود، ابن الله.. وكان عليه ان يجد حلاً لموقف رؤساء الشعب الذين حكموا عليه، في الوقت الذي كان ينبغي عليهم ان يشخّصوا المسيح في يسوع الناصري[١٤]! وهكذا سعى إلى الكشف عن ان الله وفى

[١٤] الدليل/ ص ١٨٩.

بوعوده التي تضمنتها الكتب المقدسة.. وان يسوع، بصفته "ابن الله"، جاء ليتمّها وفقا للتدبير الخلاصي. ولذا بدا يسوع، في انجيل متى، العارف بالاحداث قبل وقوعها، وهي تجري وفق توقعاته! وتتجلى معرفة يسوع بالامور، بشكل خاص في رواية الآلام حيث يتضح لنا ان يسوع يعرف بالمؤامرة ويتوقعها..! هوذا يقول: "تعلمون ان الفصح يقع بعد يومين، وابن الانسان يُسلم ليصلب" (٢٦: ٢)! وللحال نرى عظماء الكهنة والشيوخ يجتمعون، وكأن دورهم يقتصر على تنفيذ ما سبق ليسوع ان أعلنه[١٥]!

ويرينا الانجيلي ان ليسوع قدرة على تغيير مجرى الاحداث.. ولكنه يرفض ان يستخدمها، لأنه يحرص على أن يحقق ارادة الله كما يقرأها في الكتب! ويسعى كاتب الانجيل إلى إشعارنا بان موت يسوع وقيامته، هما ايذان بافتتاح ملكوت الله الذي كان معدًّا بدرجة اولى لشعب الله.. وها هو منذ الآن يُعطى "لأمّة تستثمره" -كما جاء في مثل الكرامين القتلة (متى ٢١: ٣٣-٤٤)! انها الكنيسة، هذا الشعب الجديد، وريث العهد، يهوداً كانوا أم وثنيين... وهكذا نجدنا مطلعين مسبقاً على مصير يسوع، وقد سبق المزمور ٢: ٢ أن قال: "لماذا ارتجّت الامم، وبالباطل تمتمت الشعوب؟ ملوك الارض قاموا، والعظماء على الرب ومسيحه تآمروا" -وسيستشهد المسيحيون الاولون بهذا المزمور في صلاتهم التي رفعوها إلى الرب يسوع، في اعقاب اطلاق سراح بطرس ويوحنا (رسل ٤: ٢٥ت). وسيتضح للحال بأن هذا المشيح المتألم سيتجلّى، بالقيامة، مسيح الله، ربًّا للعالم كله!

وفي المشاهد التي تسبق الاعتقال، ينفرد انجيل متى بلفت انتباهنا إلى ان ثمن خيانة يهوذا هي "ثلاثون من الفضة" (٢٦: ١٥) -وهو ثمن العبد كما ورد في الشريعة (خر٢١: ٣٢؛ زك١١: ١٢). وفي مشهد العشاء، يبقى متى ملتصقا بمرقس، عدا انه يضيف بأن "دم العهد" يراق "لمغفرة الخطايا". وهكذا الحال مع مشهد الصلاة في الجتسمانية، حيث يؤكد يسوع على رغبته في أن يكون تلاميذه "معه" في الصلاة والسهر..! ويقول الاب شربتييه بان "لهذه الكلمة قيمة كنسية: انه رب جماعته، وهو يناديها إلى آخر الازمنة، طالبا منها ان تبقى معه"[١٦].

أ- اعتقال يسوع (٢٦: ٤٧-٥٦)

رواية انجيل متى تُهمِل عادة بعض التفاصيل التي اتسمت بها رواية مرقس، ولكنها توضح بعض الالتباسات، وتعكس المهابة التي يحتفظ بها يسوع، بالرغم من الآلام، ولاسيما في كلامه: هوذا يقول ليهوذا الذي تقدم إليه وقبّله (آ ٤٩): "يا

---

[١٥] دراسة في الانجيل كما رواه متى/ ص ٦٧.

[١٦] المصدر ذاته / ص ٦٩.

صديقي إفعل ما جئتَ له"! كما يقول للتلميذ الذي استل سيفه وقطع اذن خادم عظيم الكهنة: "إغمد سيفك, فكل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك..." (آ٥٢)! ويواصل تعليمه مؤكداً قدرته على النجاة: "ولكن كيف تتم الكتب التي تقول إن هذا ما يجب ان يحدث"! ويجدّد تأكيده هذا للجموع (آ ٥٥-٥٦) حين قال: "أعلى لصّ خرجتم... وانما حدث ذلك كله لتتم كتب الانبياء"!

وهكذا يجد القارئ نفسه بازاء المعنى العميق من هذه الآلام التي تلتقي مع مخطط الله..! فنحن لسنا أمام تقرير، على حد تعبير أ. فانوا، وانما امام "الكنيسة الناشئة التي، حين تنظر إلى الآلام، تتأمل فيها على ضوء الكتاب المقدس الذي يكشف لها عن معناها"[١٧]. ومن الرائع جداً ان يكون الرب يسوع نفسه هو الذي يكشف هذا التوافق بين الكتاب المقدس والاحداث التي تجري! ومن الطريف ان الانجيلي لم يُخفِ بأن الرسل لم يكن بوسعهم ان يفهموا ما يجري: فالتلميذ الذي يستلّ سيفه يبرهن انه لم يفهم شيئا.. وكذلك سائر التلامذ الذين تركوه وهربوا (آ٥٦).. وبطرس الذي سينكر بعد قليل.. ذلك لأن مثل هذا الفهم لن يتم إلا بنور القيامة: "عندما يتم الحدث فحينذاك تتجلى مطابقته مع الكتاب المقدس، ويُصبح بوسعنا ان نلتقطها. وما ان بلغنا إلى هذه الرؤية، يتوجب علينا ان نتذكر كل شيء، فنغذّي هكذا ايماننا. ذلك ما يدعونا إليه متى"[١٨].

ب- المحاكمة اليهودية امام المجلس (٢٦: ٥٧-٧٥)

على خطى مرقس، يصدي متى للاستجواب الليلي في دار عظيم الكهنة، متجنبا بعض الهنهنات والتكرارات التي طبعت اسلوب مرقس. انه يضعنا أمام إصرار أعضاء المجلس الذين كانوا "يطلبون شهادة زور على يسوع ليحكموا عليه بالموت" (آ٥٩)! ويتخذ سؤال عظيم الكهنة لديه شكل مناشدة كبرى: "استحلفك بالله الحي لتقولنّ لنا: هل انت المسيح ابن الله؟ -ولا شك ان المقصود واحد (المسيح = ابن الله). وفيما يجيب يسوع بعبارة "هو ما تقول" (آ ٦٤)، كي يدلّ على تحفظه تجاه المفاهيم المشيحانية التي يحملها متهموه.. إلا انه، كما في انجيل مرقس، اختص لقب "ابن الانسان"..! وغني عن القول بأن التجديف الذي أُتهم به، مردّه "الجمع في شخصه بين لقبين"[١٩]: لقب "المسيح الملك"، استناداً إلى المزمور (١١٠)، ولقب "ابن الانسان" استناداً إلى رؤيا دانيال (٧: ١٣).

---

[١٧] الآلام بحسب الانجيليين الاربعة/ص ٢٣.

[١٨] المصدر ذاته/ ص ٢٤.

[١٩] دراسة في الانجيل كما رواه متى/ص ٦٩.

لقد لمسنا ولا شك أوجه الشبه بين روايتي متى ومرقس، ولاسيما في مشهد الهزء من جهة، ومشهد نكران بطرس من جهة ثانية -وقد أضفى المشهدان مفارقة صارخة على تلك المجاهرة التي ادلى بها يسوع بشأن هويته! وقبل ان تبلغ بنا الرواية إلى المحاكمة الرومانية، نجدنا بازاء مشهد ينفرد به انجيل متى بصدد يهوذا الذي أظلمت الدنيا في عينيه، فشنق نفسه (٢٧: ٣-١٠) -وسيعكس لوقا في سفر الاعمال قراءة اخرى على لسان بطرس عن موت يهوذا (رسل ١: ١٨-١٩). وهنا يريد الانجيلي ان يذكّرنا بالمساومة التي تمت، من قبلُ، بين يهوذا وعظماء الكهنة والشيوخ.. مساومةٌ هي في القلب من هذا المشهد. فالثلاثون من الفضة التي قبضها يهوذا وردّها الآن، معترفاً انه أسلم "دماً بريئاً"، هي بالتالي "ثمن الدم" (آ ٦)! وبعد تنصّل عظماء الكهنة من ندامة يهوذا، نجدهم يعترفون، من طرف خفي، بانها ثمن الدم البريء، بقولهم: "لا يحلّ وضعها في الخزانة لأنها ثمن الدم"! إلا ان ما يهمّ الانجيلي بالتالي هو ان مخطط الله يتم، حتى من خلال ملابسات الخيانة! فلقد مات يهوذا منادياً ببراءة يسوع.. وهذه البراءة تُفضي إلى التشهير بجريمة الرؤساء الذين باعوا سيدهم بثمن، بينما هم في الواقع قد باعوا الله في شخص يسوع -وفق نبؤة زكريا (١١: ١٢-١٣) مدعومة بنبؤة ارميا (بضع آيات من الفصول ١٨و١٩و٣٢)-، وسيبقى "حقل الدم" (آ ٨) شاهدا عليهم "إلى اليوم"!

جـ- المحاكمة الرومانية امام بيلاطس (٢٧: ١١-٢٦)

لقد جاء مشهد الفضة "ثمن المثمَّن"، في رواية متى، بين خبر مجلس الشورى الذي عقده الرؤساء للحكم على يسوع (آ١-٢)، وبين المثول امام الحاكم الروماني بيلاطس. وسرعان ما نجدنا بازاء محكمة كبرى تألّب فيها حول الحاكم جماهير وعظماء كهنة وشيوخ.. فضلاً عن الحرس والنساء والمارّة..! وكأننا في "دعوى امام العالم"، على حد تعبير الاب أ. شربنتييه، وقد أوجزها بهذه الكلمات: "امام جميع الذين تهربوا، رأى الشعب نفسه مرغما على اختيار ديني: الاعتراف بالمسيح، او طلب موته كمجدّف! فجرؤ على تحمّل مسؤولياته وعلى الاختيار، وفقا لما كان يظنه امانة للعهد"[٢٠]!

ويفلح كاتب انجيل متى -وقد انفرد بمشهد تدخّل زوجة بيلاطس من جهة، ومشهد تبرئة بيلاطس نفسَهُ من دم يسوع من جهة اخرى-، في الكشف، عبر بناء مُحكم لمشهد المحاكمة، عن هدفه الدفين: فازاء فكرة إطلاق سراح يسوع من قبل بيلاطس، يدعمها تدخل زوجته وشفاعتها إلى جانب "البار" (آ ١٩).. هناك ضغوط

---

[٢٠] دراسة في الإنجيل كما رواه متّى/ ص ٧٠.

شديدة مارسها عظماء الكهنة والشيوخ على الشعب للمطالبة الملحة باطلاق برأبّا وصلب يسوع! ويسفر المشهد عن فشل محاولات بيلاطس في الدفاع عن براءة يسوع، بحيث لم يبقَ له سوى أن يغسل يديه من دم هذا الرجل "البار" و "البريء"، متنصلاً من مسؤولية موته.. وهي مسؤولية يرتضي الشعب كله أن يتحمّلها بقوله: "دمه علينا وعلى اولادنا"! (آ ٢٥).

وهكذا يُطلَق سراح برأبّا، ويُسْلَم يسوع للجلد والصلب! ويكتب الاب أ.فانوا، مستخرجا الهدف التعليمي والكنسي من هذا المشهد، قائلاً: "نحن من جديد بصدد العلاقة بين المسيح والشعب الاسرائيلي: ففيما تَتشفع امرأة الوثني إلى جانب "البار"، هيذي ابنة صهيون تصرخ مطالبة بموت مسيحها البار! وفيما تحدّث مرقس عن "ملك اليهود"، يتحدث متى، وعلى دفعتين، عن "يسوع الذي يقال له المسيح" (٢٧: ١٧، ٢٢)! والمسؤولية التي يتنصّل منها بيلاطس، يقبلها على نفسه الشعب كله..! ويخلص فانوا قائلاً: "هذا الموقف الذي يتخذه شعب العهد القديم، يسجّل منعطفاً في تاريخ الخلاص: فمنذئذ يتوجب على كل يهودي، كي يدخل ملكوت الله، ان يتوب ويقبل العهد الجديد المختوم بدم يسوع"[٢١].

طريق الآلام - القدس

د- الجلجلة والصلب (٢٧: ٢٧-٥٤)

وتتبع رواية متى، عن كَثَب، رواية مرقس في مشهد أول من السخرية على يد جند الحاكم (آ٢٧- ٣١) -وينفرد متى بالقصبة في يمين الملك المزدرى به-، كما في مشهد الصلب في معظم عناصره.. وقد جعل الخل ممزوجاً بـ "مراراة" ليوحي بالقربى مع

---

[٢١] الآلام بحسب الإنجيليين الأربعة/ ص٣٧- ٣٨.

المزمور٦٨: ٢٢)! فبعد اقتسام الثياب وعلة الحكم.. ها نحن في قلب مشهد الشتم والهزء؛ من قبل المارة اولاً، ومن قبل عظماء الكهنة ثانيا، ومن قبل اللصين أخيراً! ولقد انفرد متى باضافة تهكّم جاء على لسان عظماء الكهنة: "إتّكل على الله، فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه، فقد قال: انا ابن الله" (آ٤٣).. وهذه الآية ٩ من المزمور٢٢، إذ تعطي للقارئ المسيحي مفتاح القراءة لما سبق، "تدل على ان الاهانات التي تكبّدها المصلوب تلتقي مع نبؤات الاسفار المقدسة، وتمنح، في الوقت ذاته، اليقين من نجاته القريبة، ذلك لأن الله بحسب المزمور ينجي الصدّيق (مز٢٢: ٢٣-٣٢)"[٢٢].

ويرجّع متى صدى مرقس بشأن ساعات الظلام، من الساعة السادسة (ظهراً) حتى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر)، قبل ان يُسمعنا صرخة يسوع من مطلع المزمور٢٢! وبعد ان يلفظ يسوع الروح -وبموته تمّت الكتب التي طالما استشهد بها متى- نشهد تمزق حجاب الهيكل، ترافقه ظاهرات كونية: "زلزلت الارض وتصدعت الصخور وتفتحت القبور..." (آ ٥١-٥١)! ونجدنا للحال في قلب الاسلوب الرؤيوي، إذ يُحمّل الحدث بُعدًا اخيريا ينبئ بمجيء "ابن الانسان" وما يرافقه من علامات الظفر، وفي مقدمتها "قيامة القديسين"..! وذلك ايذان بان عهداً جديداً قد بدأ، طالما ان "فصح يسوع" كان مطلع الازمنة الاخيرة..! وحين يَنضَمّ الحراس إلى قائد المئة في اعلان ايمانهم بابن الله (آ ٥٤)، فذلك استباق لزمن دخول الوثنيين في حضن الكنيسة التي لا تَني تعلن ان ابن الله هو نفسه يسوع الناصري المصلوب!

هـ- دفن يسوع (٢٧: ٥٥-٦٦)

اما مشهد الدفن، فهو الآخر شبيه، في خطوطه العريضة، بالمشهد الذي رواه مرقس، ما خلا ان يوسف الرامي " كان قد تتلمذ ليسوع".. وانه قدّم "قبره" الخاص ليدفن فيه يسوع! كما انه يقول بان "مريم المجدلية ومريم الاخرى جالستان تجاه القبر"! إلا ان تميزه الكبير يكمن في حلقة الحراس عند القبر (آ٦٢-٦٦).. وسبق لنا أن قلنا بأنها من طراز دفاعي ترجّع صدى الصراع بين اليهود والمسيحيين، في الثمانينات، بشأن قيامة المسيح، ضد احتمال "سرقة الجثمان" -وهي التهمة الموجهة إلى المسيحيين والتي يردّ عليها الانجيلي، بشدة، بدليل لا يخلو من النكهة[٢٣]! ومع هذا المشهد نجدنا على قاب قوس من مشهد القيامة التي تتفجر، في اجواء "الخوف" الذي يوحي بالتدخل الالهي، بالرغم من الحجر المختوم وسهر الحراس اليقظين!

---

[٢٢] الآلام بحسب الإنجيليين الأربعة/ ص ٥٥.

[٢٣] راجع هذه الحلقة في رواية القيامة بحسب انجيل متى/ الفصل الثامن.

٣- رواية الآلام بحسب انجيل لوقا

مع لوقا نجدنا بازاء مؤرخ مؤمن يعيد قراءة الاحداث في ضوء ايمانه الفصحي، ويعرض علينا رواية متماسكة في بنيتها الادبية الرائعة. ولقد تضمنت تفاصيل كثيرة انفرد بها دون سائر الانجيليين (٤١آ من أصل ١٢٦!)، فيما أغفلت تفاصيل اخرى -وردت في رواية مرقس-، بدافع التخفيف من حدّة بعض المشاهد التي تنال من مهابة المعلّم، أو لا تليق بشخصه الالهي...

وأول ما يلفت انتباهنا في رواية لوقا انها تضعنا، منذ البدء، بازاء مأساة حقيقية تكشف عن الصراع بين الله والشيطان -وكان لوقا، بعد تجربة يسوع في البرية قد كتب بشأن ابليس انه "... انصرف عنه الى ان يحين الوقت" (٤: ١٣)! وها قد جاء الآن هذا الوقت (٢٢: ٣)! إنها "ساعة الظلمة" (آ ٥٣) التي فيها يسعى عظماء الكهنة والكتبة عن وسيلة لقتل يسوع: هوذا الشيطان يدخل قلب يهوذا الاسخريوطي الذي يبحث كيف يسلمه إليهم (آ١-٦)! ومنذئذ ينتظم الاشخاص بحسب قربهم من الله ومخططه الخلاصي (التلاميذ، بطرس، النساء، اللص الصالح، قائد المئة...)، او بحسب تواطُئِهم مع قوى الشر وبقائهم بعيدين عن الخلاص (الروساء، يهوذا، بيلاطس، هيرودس، اللص الآخر...)، فيما يستمر حضور يسوع -وهو يتكلم حيناً ويسكت احيانا كثيرة- الذي يجب ان يتخذ الكل موقفا منه: له أو عليه..! فالآلام، في نظر لوقا[٢٤]، هي المعركة الحاسمة التي يخرج منها يسوع منتصراً، بفضل ثقته العميقة بابيه وصموده المكين في المحنة. وسيبقى باب الخلاص مفتوحاً: عادت الجماهير من الجلجلة وهي تقرع الصدر!!

وان ما تميز به لوقا من خصائص، قد يحمل على الاعتقاد بأن هناك مصدراً آخر لروايته..! ولكن يرجّح انه اعتمد رواية مرقس، واعاد النظر فيها على ضوء ما كان لديه من معلومات.. فعرض علينا بالتالي رؤية عميقة للسر الفصحي تستهوي القارئ، وتشدّه إلى يسوع، وتحمله على اتباعه حتى النهاية... وهكذا نجدنا بازاء "الرب يسوع" المتسم بالحب والحنان، ونكتشف ملامحه في مواقف مؤثرة ينفرد بها لوقا (رقة تجاه يهوذا، شفاء أُذُن الخادم، نظرة إلى بطرس مليئة بالحب والرحمة، تعزية النساء، الغفران للصالبين، الوعد للّص التائب...). ومن هنا ايضاً كان سعي لوقا إلى التخفيف من قسوة بعض المشاهد: لم يقل ان يهوذا قبّل يسوع، بل دنا ليقبّله! و لم يتوقف كثيراً على مشهد

---

[٢٤] انظر مقالنا بعنوان "رواية الآلام بحسب لوقا الانجيلي"/ الفكر المسيحي (آذار/نيسان ١٩٩٢).

اطار ٦٤

ميزات رواية لوقا

يسكت لوقا عن

- دهن يسوع بالطيب (مرقس ١٤: ٣-٩)
- انباء يسوع بضعف التلاميذ (مر١٤: ٢٧-٢٨)
- شهادة اناس على يسوع بأنه قال: سانقض هذا الهيكل وابنيه... (مر١٤: ٥٥ - ٥٩)
- سؤال ثان يلقيه بيلاطس على يسوع حول كثرة الشهادات ضده، وصمت يسوع (مر ١٥: ٤ - ٥)
- تألب الجنود على يسوع وتوشيحه الارجوان وتكليله بالشوك وضربه بالقصبة والبصق عليه والسجود له والسخرية منه (مر ١٥: ٢٩ - ٣٠)
- صرخة يسوع: الهي الهي لماذا تركتني؟ وسوء فهم السامعين (مر ١٥: ٣٤ -٣٥)
- سماح بيلاطس بتسليم جثمان يسوع إلى يوسف الرامي (مر ١٥: ٤٤ - ٤٥)

ينفرد لوقا بـ

- خطاب الوداع بعد العشاء (٢٢: ٢٤ - ٣٨)
- ملاك يشدد يسوع، عرق الدم (٢٢: ٤٣-٤٤)
- يسوع يشفي اذن الغلام (٢٢: ٥١)
- بيلاطس يعلن ثلاثا براءة يسوع.. الجلد بهدف اطلاق سراحه (٢٣: ٤-٥، ١٦-٢٢)
- مثول يسوع امام هيرودس (٢٣: ٦-١٢)
- حديث يسوع مع نساء اورشليم (٢٣: ٢٧-٣٢)
- كلمات يسوع الثلاث:
  - حوار مع اللص الصالح (٢٣: ٤٠-٤٣): اليوم...
  - غفران يسوع (٢٣: ٣٤): يا ابتاه اغفر لهم...
  - استسلام يسوع للآب (٢٣: ٤٦): بين يديك...
- اهتداء الجماهير (٢٣: ٤٨)
- النساء يعددن الخيوط (٢٣: ٥٦)

ملفات الكتاب المقدس (بالفرنسية)
(رقم ٢٢/ ١٩٨٨)

الاعتقال، ويمتنع عن ذكر الضرب والبصاق في اول مشهد للسخرية، كما لم يذكر في المشهد الثاني لا الجلد ولا اكليل الشوك... (**انظر الاطار ٦٤: ميزات رواية لوقا**).

في رواية لوقا للآلام، وبعد المقدمة، يُطالعنا مشهد العشاء الفصحي (مع بركة كأسين)، ويليه الإنباء بخيانة يهوذا، وتعليم بشأن السلطة والخدمة (آ ٢٤-٣٠) -وقد وضعه وضعه لوقا هنا للتدليل على كون يسوع وضع نفسه في موقع الخادم! وبعد إنباء متميّز بنكران بطرس (آ ٣١-٣٤)، ينفرد لوقا بحديث ليسوع عن الاستعداد للمحنة الوشيكة، فيما يضع محاولة التلاميذ للدفاع عنه بسيفين (آ ٣٥-٣٨)، قبل الصلاة في البستان التي فيها يذكر الملاك الذي شدّد عزيمة يسوع -بعد ان "صار عرقه كقطرات دم متخثّر تتساقط على الارض"! ويخفف من حدة نوم التلاميذ، ناسباً اياه إلى "شدة الحزن" (آ ٤٥)! فيما يضع على لسان يسوع، وعلى دفعتين، النداء إلى تلاميذه: "صلّوا لئلا تقعوا في التجربة " (آ ٤٠و٤٦، راجع مر ١٤: ٣٨). وهكذا نجدنا في قلب الرواية:

أ – اعتقال يسوع (٢٢: ٤٧–٥٣)

بعد كل المشاهد التي بدا فيها يسوع منتصراً، ولاسيما في المعركة الحاسمة في البستان، هوذا لوقا يروي الاحداث، مركّزا اهتمامه على شخص المعلّم الذي يتبعه تلاميذ يرتضون السير في إثره! وفيما يرينا لوقا العصابة يتقدمها يهوذا، يستوقفنا مشهد العتاب الرقيق الموجّه إليه شخصياً (آ ٤٨) "يا يهوذا..."! انه عتاب يشعر كلٌّ منا انه موجه إليه إذا ما تعرّض يوماً إلى شكل من اشكال الخيانة او عدم الوفاء! ويدهشنا، من جهة اخرى، موقف يسوع في إبائه ومهابته وكِبَرِ نفسه، حين يسأله التلاميذ: يا رب، أنضرب بالسيف؟ ويأتي جواب يسوع على الفور، عبر شفاء اذن خادم عظيم الكهنة –وقد قطعها أحد السيفين!–، وكان قد سبق وأجاب: "كفى" (آ ٣٨) على محاولة المقاومة التي عرضها عليه التلاميذ..! وينتهي المشهد بكلام يسوع الموجّه إلى كل الذين اشتركوا، من قريب او من بعيد، في هذه "المأساة": "هذه ساعتكم! وهذا سلطان الظلمة!" (آ ٥٣).

ب– المثول امام مجلس اليهود (١٤: ٥٤–٧١)

يوحي لوقا بأن يسوع اُحتُجِزَ طوال الليل في بيت عظيم الكهنة، ومن دون ان يجري أي استجواب ليلي، كما في روايتي مرقس ومتى. وفي ساحة الدار يجري مشهد إنكار بطرس (آ٥٥–٦٢)، حول موقد، ليتمخض عن "التفات الرب ونظره إلى بطرس" (آ٦١).. إنها نظرة مليئة بالحنان والرأفة تحمله على البكاء بمرارة..! وغني عن القول ان لوقا رسم في هذه اللوحة نموذجاً لكل التلاميذ في الاهتداء الصادق والتوبة النصوح –وقد تعمّد ان يسبّق مشهد نكران بطرس على المشهد التالي، كي لا ينتضم بطرس في معسكر الخصوم!

وبعد مشهد مقتضب عن سخرية الحرس وشتائمهم (آ ٦٣–٦٥)، ينقلنا لوقا إلى صباح اليوم التالي، ويضعنا بازاء مسرح تجري عليه احداث دعوى مكثفة، تتمحور حول سؤال على لسان أعضاء المجلس: "إن كنت المسيح، فقل لنا". وينفرد لوقا بجواب ليسوع يتسم بالدعابة: "لو قلت لكم لما صدّقتم، ولو سألتكم لما أجبتم"!! ولما كانت مشيحانية يسوع ملتبسة بسبب البُعد "القومي" والزمني الذي أُضفي عليها، هوذا يسوع يشهد لرسالته بجرأة، وهو يعلم ان هذه الشهادة ستذهب به إلى الاستشهاد، فقال: "ابن الانسان سيجلس بعد اليوم عن يمين الله القدير" (آ٦٩)! ويعلّق الاب اغسطينس جورج بأن معنى هذه العبارة، لدى لوقا، يختلف إلى حد كبير عن معناها، لدى مرقس ومتى –وكانت تنبىء بان متّهميه الآن سيرونه، حين سيُحاكَمون لدى مجيئه في آخر الازمنة!

ايقونة الصلب: ينغرس الصليب في أعماق الأرض ليحيي آدم.. وهكذا يتحول الى شجرة حياة! وفيما يتأمل يوحنا في سر المسيح، نرى العذراء تتقبل عطية يسوع وتمنحها بصلبها "أم الأحياء"، حواء الجديدة!

ففي "انجيل لوقا، لا ذكر للرؤية ولا لآخر الازمنة، بل ينبىء يسوع بسيادته الفصحية: فمنذ قيامته القريبة سيجلس على العرش ملكاً عن يمين الآب" [٢٥].

وهكذا استبدل لوقا لقب "المشيح" بلقب "ابن الانسان" [٢٦]، مضفياً عليه بُعداً مسيحانياً ملوكياً، سيحمل اعضاء المجلس على الاستنتاج بانفسهم: "أفأنت ابن الله [٢٧] إذن؟" (آ ٧٠). ويقول اغسطينس جورج بأن هذا اللقب الاخير -وإن كان نعتا مألوفاً يطلق على كل ملك (٢صم ٧: ١٤؛ مز٢: ٨ الخ...)، فقد اتخذ ثقلاً لاهوتيا في فكر لوقا الذي استخدمه في كمال معناه المسيحي، كما سبق واستخدمه في كل انجيله (١: ٣٥؛ ٣: ٢٢؛ ٩: ٣٥؛ ١٠: ٢٢).

ومما يلفت النظر في رواية لوقا للآلام، هو انه لم ينقل قط اية ادانة بحق يسوع، ولم يتحدث البتة عن حكم على يسوع! ففي اعقاب رضى يسوع عن لقب "ابن الله" عبر جوابه المؤيِّد "انتم تقولون اني هو".. نقرأ ان اعضاء المجلس من عظماء كهنة وكتبة يخلصون إلى هذه النتيجة: "ما حاجتنا بعد ذلك إلى الشهادة؟ فقد سمعنا نحن بانفسنا كلاماً من فمه" (آ ٧١) -ولا يذكر لوقا اتهامه بالتجديف، لأننا بازاء الألقاب التي يطلقها الايمان المسيحي على يسوع! ويكتب أ.فانوا: "تلك هي طريقة لوقا للتأكيد على الاهمية الحاسمة التي تتسم بها شهادة يسوع عن نفسه.. وهنا نكتشف مدى تعلّق التلميذ" [٢٨]! انه منذ الآن مدعو إلى المجاهرة بهذه الشهادة عن كون يسوع هو المسيح، ابن الانسان، ابن الله...

جـ- المثول امام بيلاطس وهيرودس (٢٣: ١-٢٥)

لا يخفي لوقا، في هذا المشهد كما في غيره، توجهاته "كمؤرخ".. فيضع الاحداث في سياقها التاريخي المعقول: مجلس اليهود يسعى إلى ان يحصل من الحاكم الروماني على قرار بالحكم على يسوع..! فكانت الاتّهامات الثلاثية التي من شأنها ان تقنع الحاكم، وهي: "وجدنا هذا الرجل يفتن أمّتنا، وينهى عن دفع الجزية إلى قيصر، ويقول انه المسيح الملك" (آ٢١)! وهنا تتحول "الملوكية المسيحانية" إلى المستوى السياسي، وتتشوّه مجاهرة يسوع بمسيحانيته الملوكية لتصبح مساساً بسيادة القيصر! فضلاً عن المفارقة الصارخة التي تكمن في الاتهام بشأن "الجزية لقيصر"!!

---

[٢٥] دراسة في الانجيل كما رواه لوقا / ص٤٢.

[٢٦] راجع الاطار ٣٢ بشأن لقب "ابن الانسان"/ الفصل الرابع.

[٢٧] راجع الاطار ٣٣ بشأن لقب "ابن الله"/ الفصل الرابع.

[٢٨] الآلام بحسب الانجيليين الاربعة/ ص ٣٣.

ويأتي سؤال بيلاطس في مكانه ليسفر للحال عن تبرئة اولى: "لا اجد في هذا الرجل سببا لاتهامه"! وفيما يشدّد المتهمون على كونه "مثيراً" بتعليمه، من الجليل إلى ههنا (آ ٥).. ينفتح مجال المماطلة امام بيلاطس، إذ يرسل يسوع إلى هيرودس -وقد تواجدا كلاهما في اورشليم بمناسبة الفصح، وتصادقا من ثم (آ٧ و ١٢)! ولا يخفي لوقا اهتمامه بذكر هيرودس (٦مرات في انجيله)، وهو المؤرخ الذي يهمه ان يضع حدث يسوع في سياق التاريخ العام.. إلا انه في الوقت ذاته يريد ان يكشف، على حد تعبير أ.فانوا، عن ان هناك "طريقة خاطئة للتعامل مع يسوع، بدافع من الفضول او الميل إلى التلهي، من دون إي استعداد لالتزام شخصي"[٢٩]. ان موقفا كهذا لا يلقى من قبل يسوع سوى الصمت! وهكذا هي الحال مع هيرودس الذي كان يريد ان يشهد آية -وكان يسوع قد وصفه بالثعلب في انجيل لوقا (١٣: ٣٢)! وبعد هذا المشهد الخاطف الذي أسفر عن فشل هيرودس، يُصدي لوقا بايجاز لبعض علامات الاحتقار والسخرية من قبل هيرودس.. وهكذا يتاح له ان يغفل مشاهد الهزء والاحتقار من قبل الجنود الرومان، حين يمثل يسوع من جديد امام بيلاطس!

وفي هذا المثول الجديد نقرأ للحال تبرئة ثانية على لسان بيلاطس، فيما يطالب الجمع باعدام يسوع واطلاق برأبا -ولا يذكره لوقا سوى مرة واحدة (آ١٨)، لنفوره من هذه الموازاة بين يسوع وبرأبا الذي "أُلقي في السجن لفتنة حدثت في المدينة وجريمة قتل"! وهكذا تصبح المطالبة بموت يسوع (وعلى ثلاث دفعات: الآيات ١٨، ٢١، ٢٣) اكثر فظاعة، سيما وانها تتوازى مع تبرئة ثالثة من قبل بيلاطس، وتتمخض عن استجابة: أطلق من طلبوا، واسلم يسوع إلى مشيئتهم! ألسنا بازاء نبؤة اشعيا التي سبق لوقا فوضعها على لسان يسوع: "وأُحصي مع المجرمين" (اش ٥٣: ١٢؛ لو٢٢: ٣٧)؟!

ويقول أ.فانوا بان موقف بيلاطس -وقد سعى إلى اطلاق سراح يسوع- يعكس ولاء لوقا لروما، ولكنه يعكس بالاكثر رغبته لوقا في التشديد على براءة يسوع، وهو "يعلم ان هناك درساً هاماً للمسيحيين: فإن سيقوا أمام المحاكم، فلا ينبغي ان يكون ذلك بسبب أخطائهم، وانما، وعلى مثال معلمهم، بدافع من الامانة على تتميم ارادة الله (انظر ١ بط ٤: ١٥-١٦)"[٣٠].

د - الجلجلة والصلب (٢٣: ٢٦-٤٨)

في هذه المشاهد من رواية الآلام، يبتعد لوقا عن مرقس في الكثير من التفاصيل التي ينفرد بها، والتي تهدف بالتالي إلى جعل المؤمنين يتبعون يسوع ويحملون الصليب

---

[٢٩] الآلام بحسب الإنجيليين الأربعة/ ٣٨.

[٣٠] المصدر ذاته/ ص ٣٩.

وراءه! فهو يقول عن سمعان القيريني انهم أمسكوه -وليس سخروه- "فجعلوا عليه الصليب يحمله خلف يسوع"! ويضخّم الاحداث ليرينا "جمعا كثيراً من الشعب"، ونساء يندبنه.. فيتلقين منه درساً في التوبة والاهتداء (آ٢٧-٣١)..! أما في مشهد الصلب، فيرينا هذا الشعب ذاته "ينظر" ويتأمل الحدث، ليعود وهو يقرع صدره (آ٣٥، ٤٨).. وكذلك النساء اللواتي وقفن "ينظرن" ما يجري (آ ٤٩)..! وهكذا يشعرنا الانجيلي بان هؤلاء الشهود تأملوا في وجه يسوع -وقد شبّه نفسه بالشجرة الخضراء (آ٣١)-، ذلك البار المصلوب، وقد سمعوه يغفر لصالبيه (آ٣٤)، كما سمعوه يَعِدُ بالخلاص اللص الصالح -هو الذي انتهر زميله ودعاه إلى التعقل والاعتبار بهذا البار الذي "لم يعمل سوءًا" (آ ٤١)!

ينطلق "درب الصليب" في القدس من المدرسة العمرية التي اعتُبِرَت مكان الحكم على يسوع، مروراً بأزقة ضيقة تدعى "طريق الآلام"، وصولاً الى كنيسة القيامة التي يحتضن جناح اليمين منها منبح الجلجلة...

ونقف مشدوهين امام صرخة الايمان والاستغاثة التي اطلقها هذا اللص الصالح -وهي على غرار الصلاة التي كان المؤمنون يوجهونها إلى الرب يسوع الذي بقيامته

افتتح الملكوت: "اذكرني يا يسوع إذا ما جئت في ملكوتك (آ ٤٢)!! وسيبقى جواب يسوع "اليوم ستكون معي في الفردوس" مؤشرا على اننا، منذئذ، بازاء المسيح المتألّم والممجّد معاً (كما سيرسم انجيل يوحنا ملامحه!). ومع صلاة يسوع الاخيرة التي تبنى فيها، خلافاً لمرقس ومتى، كلمات المزمور (٣١: ٦) "يا أبتِ في يديك أجعل روحي" (آ٤٦) -وهي صلاة المساء التي يتلوها كل مؤمن-، يكون لوقا قد انفرد وأسمعنا الاقوال الثلاثة اتي فاه بها يسوع من على الصليب: صلاتين يتوسطهما وعد بالخلاص "الآني"، يتوجه الى كل من ينظر بايمان إلى المسيح المصلوب...

وهكذا يضعنا الانجيلي الثالث امام صليب يسوع، داعيا ايانا، لا إلى البكاء كالنساء، بل إلى التأمل في المسيح المتألم الذي لم تجرده الآلام من مهابته واتساع قلبه: فلقد استطاع ان يغفر لصالبيه، ويعد مجرما بالخلاص، ويسلّم ذاته بثقة بين يدي ابيه..! أليس في كل هذه المبادرات دعوة ملحة إلينا، نحن القراء، إلى ان نحمل الصليب "خلفه"، على مثال سمعان.. ونهتدي إليه بدموع التوبة، على مثال النساء.. وندع نظرته تخترقنا فتحررنا من عدم امانتنا على مثال بطرس.. ونغفر لأعدائنا على مثاله.. ونبقى نخاطبه بثقة ورجاء، مستودعين اياه حياتنا وموتنا بسكينة..؟!

وتكمن رهافة الحس لدى لوقا في انه لم يدعنا نحس بمشهد السخرية على الصليب (آ٣٥-٣٨) -وقد جاءت بفم الرؤساء، أولاً، عبر لقب "مسيح الله المختار"! وبفم الجنود، من ثم، عبر لقب "ملك اليهود"! أما الظلام الذي خيّم على الارض، وتمزُّق حجاب الهيكل (آ٤٤-٤٥)، فلم يعد لهما المعنى الذي كان لهما في رواية مرقس ومتى: انهما لديه تعبير عن الحزن الشامل ازاء مأساة "البار" الذي يموت ظلما -وهو "البريء"- بشهادة تكاد تكون كاملة -وقد جسدها قائد المئة: "حقا هذا الرجل كان باراً" (آ٤٧)! وما ذلك إلاّ لأن موت يسوع، في نظر لوقا، هو موت النبي الشهيد.. في اورشليم "قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين إليها..." (لو١٣: ٣٤ت؛ انظر ١٩: ٤١ت)! وإذا شدد لوقا على ما يتسم به هذا الموت "الخلاصي"، من خدمة واتضاع طوعيين، على مثال "العبد المتألم" (٢٢: ٢٧، ٣٧)، فلقد حرص ان يجعل كلمة يسوع الاخيرة التي افتُتِحَ بها المزمور ٣١ -"أبا" (ابتاه)- تلتقي كلمته الاولى في الهيكل (٢: ٤٩)، وتشير الى بنوّته الالهية وعلاقته الحميمة بالآب و"طاعته" التامة له...

هـ- دفن يسوع (٢٧: ٤٩-٥٦)

ويبقى لوقا، في مشهد الدفن، امينا على توجهاته لاستقطاب الجميع ودفعهم إلى اقامة علاقة شخصية وحميمة مع يسوع! هوذا يضعنا بازاء يوسف الرامي -وقد اضاف،

على مكانته الاجتماعية، صفة "الصالح البار"- الذي "لم يوافقهم على قصدهم ولا عملهم، وكان ينتظر ملكوت الله" (آ٥١).. فنجدنا من جديد بازاء السر الفصحي الذي هو بدء افتتاح ملكوت الله: تؤدّى ليسوع آخر علامات الاحترام والتكريم.. ويأتي دور النساء في محله، وهن اللواتي شهدن دفنته، "ورجعن وأعددن طيوباً وحنوطاً..." (آ ٥٥-٥٦) -ويا للمفارقة!- فالذي يسعين إلى حفظه في قبضة الموت، سيكشف لهن الله انه من العبث ان يبحثن عنه بين الاموات، وهو "الحي"!

بعد هذه الجولة في روايات الآلام بحسب الازائيين، كتب الاب أ.فانوا، في خاتمة تحليله، بان الانجيليين رأوا في موت يسوع "الفعل الذي يحدث تغييراً في عالمنا، إذ يفتحه لتدفّق مجد الله"! لذا فهم لم ينتظروا القيامة ليشهدوا قيام عهد جديد.. طالما ان بوادر هذا العهد قد ارتسمت بموت يسوع: "فمرقس يستشفه من خلال علامتين، ومتى يعلنه حين يصف انعكاساته الكونية الواسعة، ولوقا حين يتحدث عن الاهتداءات"! ويخلص الاب فانوا إلى القول بأن رؤية الايمان هذه تضيء الحياة المسيحية: فلن يكون بوسع المسيحي ان يهرب من الواقع الأليم للعالم الحاضر، كما لن ينتظر، بسلبية، تدخلاً من الله يخرجه من وضعه البشري، وانما يترتب عليه " ان يجاهد، يوماً بعد يوم، كي يدرك في واقع حياته الوضيع والمخيّب، تدخل الله الخفي والحاسم معاً"[٣١]!

٤ - رواية الآلام بحسب انجيل يوحنا

أول ما نقوله بصدد رواية الآلام في إنجيل يوحنا، أنها، بقدر شبهها وتقاربها مع روايات الازائيين، فبقدرذلك ايضاً يتجلّى تميزها واختلافها! ولكنها تبدو، مع روايات القيامة، اكثر قربى، من دون سائر الروايات اليوحنانية، إلى التقليد الازائي، وتقليد لوقا بشكل خاص. والسبب يكمن في ان هذه الروايات هي ولاشك النصوص الاولى التي أقرّها التقليد القديم في وقت مبكّر من حياة الكنيسة.

ويظهر تميّز رواية يوحنا للآلام من جهة، في اغفال العديد من التفاصيل التي تضمنتها الروايات الازائية: العشاء الافخارستي، النزاع في الجتسمانية، قبلة يهوذا، هرب

---

[٣١] الآلام بحسب الإنجيليين الأربعة/ ص ٦٣.

التلاميذ، المحاكمة امام المجلس، كل مشاهد الهزء، صرخة يسوع على الصليب، الظلمة التي أعقبت موته..! إلا ان هذا التميز يظهر بالاكثر، من جهة اخرى، في الوصف الذي اتسمت به روايته واللمسات التي انفرد بها، ونخصّ بالذكر: مهابة يسوع بازاء معتقليه، الحوار القصير مع حنّان حول تعليمه، والحجم الكبير الذي يعطيه للمحاكمة الرومانية امام بيلاطس -ولا اثر للكثير من هذه التفاصيل في الاناجيل الازائية! ولعل ابتعاد انجيل يوحنا الاكبر يتجلى بصدد العنوان على الصليب والجدل حوله، إلى جانب مشهد مريم والتلميذ الحبيب، والتفسير اللاهوتي الذي يضفيه على اقتسام الثياب والطعن بالحربة وعدم كسر الساقين.. وفي كل من هذه المشاهد نجد مرجعاً في "الكتب"..!

ويقول الاب اينياس ديلا بوتري بان يوحنا الذي لم يعد يهمه ما في هذه "التفاصيل" من جانب مأساوي، يرى فيها "تحقيق عمل الخلاص"! ويتبنى مقولة أ.لوازي (٣. ١٩): "ان الآلام مروية في الانجيل الرابع من وجهة نظر مجد المسيح: فهي تقدّم لنا يسوع الممجد في موته" [٣٢]. ولا عجب، طالما ان انجيل يوحنا برمته هو حصيلة تأمل عميق في الاحداث، على ضوء الايمان الذي ينيره الروح القدس، وعبر الخبرة التي عاشتها الجماعات المسيحية خلال اكثر من نصف قرن، تعرضت خلالها لتجارب عديدة، كما اصطدمت بتيارات فكرية متباينة... ومن هنا كان التركيز على مجموعة من الاحداث المميّزة التي أُضفيت عليها معان عميقة في ضوء الايمان الفصحي -وهي "تُتِم" الكتب و"تحقق" ما أنبأ به يسوع!

ان موضوع **"الساعة"** هو ولا شك ميزة انجيل يوحنا الاولى! فلئن اصدى لها الازائيون ابان الآلام (انظرمر ١٤: ٣٥، ٤١ وما يقابله لدى متى، فيما وضع لوقا على لسان يسوع: "انها ساعتكم" ٢٢: ٥٣)، إلا انها في انجيل يوحنا محمّلة بمضمون لاهوتي يكشف عن ان حياة يسوع برمتها متجهة نحو هذه "الساعة" التي هي "ساعته"، كونه ينجز فيها عمل الخلاص..! انها حاضرة في كل صفحات الانجيل الرابع.. وحين "تأتي"، فلكي تكون ساعة تمجيده (١٢: ٢٣)! وهكذا يفتتح يوحنا صفحة الآلام بالحديث عن معرفة يسوع: الذي أدرك بأن "ساعة انتقاله من هذا العالم إلى ابيه" قد أتت (١٣: ١) -وقد عبّر عنها في صلاته الرائعة: "يا ابت، قد اتت الساعة: مجّد ابنك ليمجدك ابنك" (١٧: ١)! بعد ان يكون قد بلغ به الحب اقصى حدوده.. عبر عطاء كامل جسّدته حركة تغسيل الارجل (١٣: ٤ت)[٣٣]!

---

[٣٢] الآلام بحسب الإنجيليين الأربعة (ص ٦٥-٨٧) حيث يقدم الاب ديلا بوتري تحليلاً للرواية بحسب انجيل يوحنا سنعتمدها مراراً، الى جانب "قراءات في انجيل يوحنا" للاب دوناسيان مولاّ (ص ٩٢-١٠٦).

[٣٣] يشير ديلا بوتري الى ان الفعل اليوناني الذي يستخدمه الانجيل لنزع الثياب هو "ترك" بمعنى خلع او تخلّى، وللبس الثياب "استعادها" بمعنى استردّها او أخذها ثانية -ويرد الفعلان في مثل الراعي الصالح (١٠: ١٧)! وفي اختيارهما تعبير عن الطابع الرمزي الذي تتسم به حياة يسوع من تخلّ واسترداد: "أبذل نفسي لأنالها ثانية: ما من أحد ينتزعها

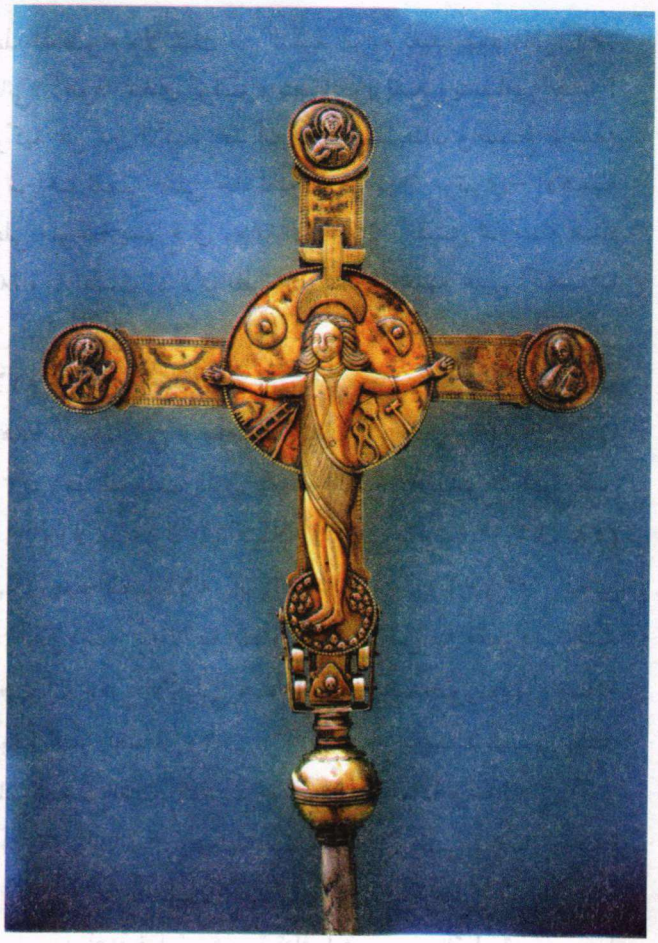

صليب يوضع على "صلبوت" الجمعة العظيمة، وهو مليء بالرموز التي تشير الى نوح وابراهيم ويوحنا المعمذان. على رأس المصلوب هلال من ورق الزيتون يعلوه صليب صغير هو رمز السلام والمصالحة. وتتمثل السماء فوق ذراعيه بالشمس والقمر، فيما تتمثل الأرض بأدوات الآلام والصب.. وتحت قدمي المصلوب جمجمة آدم الذي يرى في الصليب عنوان خلاص لذريته...

(متحف مار توما - الموصل/ من صنع حنا كت عام ١٧٧٤)

"**ارتفاع ابن الانسان!** ذلك هو الموضوع المحوري الثاني الذي منه يدخلنا الانجيلي الرابع إلى سر آلام يسوع وموته... ويكتب الاب ديلا يوتري بأن انباءات يسوع الثلاثة، لدى الازائيي،ن تقابلها في يوحنا، ثلاث اشارت إلى "ارتفاع" يسوع: حين يُشبَّه رفع ابن الانسان بالحية النحاسية في البرية (٣: ١٤؛ راجع عدد ٢١: ٤-٩)؛ وحين يقول يسوع: "متى رفعتم ابن الانسان عرفتم اني انا هو" (٨: ٢٨)؛ وحين يؤكد: "وأنا، إذا رُفعت عن الارض جذبت اليّ الناس اجمعين" (١٢: ٣٢) -ويضيف الانجيلي انه بذلك اشار إلى "الميتة التي سيموتها"، وسط تعجب الجمع الذي طالما اعتقد "ان المسيح يبقى للأبد"! وغني عن القول بأن "ارتفاع" يسوع، في نظر الانجيلي، هو في آن واحد، موته وقيامته وصعوده وحصوله على الروح

مني، ولكني أبذلها برضاي..."! ولقد سبق ان بيّنا كيف ان مشهد تغسيل الارجل لدى يوحنا يقابل الافخارستيا لدى الازائيين، طالما ان النصّين يعكسان ما في حركة يسوع من تخلّ وبذل ذات واتضاع وطاعة حتى الموت.. (راجع: نصوص الأفخارستيا/ الفصل الخامس).

الذي يفيضه.. وقد استقى هذا الموضوع ولا شك من النشيد الرابع لعبد يهوه (اش ٥٢: ١٣) حيث جاء في اشعيا الثاني: "هوذا عبدي يُوفَّق، يتعالى ويرتفع ويتسامى جداً"! ألسنا بازاء سيادة يسوع الملوكية عن يمين الآب، بعد أن غلب الشيطان واصبح بوسعه ان يجتذب إليه العالم كله..؟ من هنا نفهم -على حد تعبير الاب ديلا بوتري- الاهمية التي اضفاها الإنجيلي الرابع على ملوكية يسوع في رواية الآلام: إنه "يستبق ممارسة هذه الملوكية في آلام يسوع وموته، وما ذلك إلا لأن نظرته الايمانية حملته على اكتشاف الثمار التي تنتج عنها لخلاص العالم"[٣٤].

وهناك محور ثالث للآلام بحسب يوحنا، يقوم في كون موت يسوع على الصليب هو **بدء الدينونة الاخيرة!** وهذه الدينونة التي ارجأها الازائيون إلى منتهى الازمنة، يجعلها يوحنا تقوم منذ الآن (٩: ٣٩)، وفقاً للموقف الذي يتخذه البشر تجاه يسوع: فهي تمس الذين يرفضون النور (٣: ١٩) ولا يصغون إلى كلام يسوع (٥: ٢٤؛ ١٢: ٤٨) -وهو الابن الذي جعل الآب في يده القضاء لأنه "ابن الانسان" (٥: ٢١-٢٧).. فنحن امام استباق للدينونة الاخيرة: "من آمن به لا يدان، ومن لم يؤمن به فقد دين منذ الآن..." (٣: ١٨)! ولا عجب أن يجعل الانجيلي هذه الدينونة تتمحور حول ساعة يسوع الاخيرة: "اليوم دينونة هذا العالم" (١٢: ٣١)، حين ينقسم الناس تجاه المصلوب..! ولكن كما كان شعب العهد القديم موعوداً باستعادة وحدته في آخر الازمنة (انظر إر٣١: ١٠؛ أش٢: ٢ت...)، هكذا ستتحقق، في نظر يوحنا، وحدة الشعب الجديد حول المسيح "المرتفع على الصليب"! ولَكَم سيعلّق الانجيلي الرابع هذه الوحدة، بموت يسوع، لاسيما حين أعادَ قراءة مشورة قيافا في ضوء القيامة: "... ولم يقل هذا الكلام من عنده.. فتنبأ ان يسوع سيموت عن الامة، وليس عن الأمّة حسب، بل ليجمع شمل ابناء الله المشتّتين" (١١: ٥٠-٥٢، انظر ١٨: ١٤)!

هذه المحاور الثلاثة (ساعة يسوع، ارتفاعه في المجد، وحدة ابناء الله) تتداخل في تأمل عميق يقوم به الانجيلي، فيُسفر عن رواية للآلام مليئة بالعمق اللاهوتي. وهنا نتبنى طروحات الأب ديلا بوتري الذي كتب مشدّداً بان "صليب يسوع، في نظر يوحنا، هو الاعتلان الاكبر لمحبة الآب (٣: ١٦؛ ١٣: ١)، مّما يفسّر ايضاً علامتين متميزتين من تصرف يسوع خلال آلامه: حريته التامة ووعيه الكامل! فيسوع ينجز عمل الخلاص، ليس كضحية تستسلم دون قدرة، وانما يتسم موقفه بالمهابة كونه ذاك الذي يدرك معنى الاحداث ويقبلها بحرية تامة"[٣٥].

---

[٣٤] الآلام بحسب الانجيليين الاربعة / ص ٧٤.

[٣٥] المصدر ذاته / ص ٧٦.

فكما كتب الانجيلي الرابع روايته للآلام برمتها في ضوء ايمانه الفصحي، هكذا علينا ايضاً ان نقرأها، ومن دون ان يُخيل الينا البتة أن يسوع "يمثّل دوراً" (!)، او انه ذهب إلى الموت منشرحاً طَرِباً! او ان تلك الآلام لم تَمسَّه بشيء، ولم يشعر بثقل الصليب!! بل علينا ان نقرأها بصفتها تأملاً في سر المسيح الملك الذي يتقدم من الآلام برفعة وشموخ، عبر مسيرة ظافرة.. فيبلغ إلى الجلجلة و"يرتفع" على الصليب، كونه "عرش" المجد! وغني عن القول بأن كل ذلك لم يتضح الاّ بعد أن كشفت القيامة عن ان موت يسوع كان بمثابة "حبة الحنطة" التي ماتت.. فأتت بثمر كثير (١٢: ٢٤)! في هذا الإطار نفهم معنى قول يسوع، بعد ان خرج يهوذا من العشاء: "الآن مُجّد ابن الانسان، ومُجّدَ الله فيه..." (١٣: ٣١)؟

لقد وضعنا يوحنا، منذ الفصل ١١ (آ٤٦-٥٧)، في اجواء الفصح، واطلعنا على عزم عظماء الكهنة والفريسيين بإلقاء القبض على يسوع.. ونفاجَأ، في الفصل ١٨، حين نقرأ بان يسوع "قال هذه الاشياء وخرج" (آ ١).. وان هذه "الاشياء" كانت خطابا طويلاً امتدّ على خمسة فصول (١٣-١٧)، هي اشبه بوصايا أخيرة جمعها يوحنا ونسّقها وادرجها في سياق العشاء الاخير -وكان قد سبق فروى مشهد دهن يسوع بالطيب ودخوله الاحتفالي إلى اورشليم (١٢: ١-١٩)، فضلاً عن إنبائه بخيانة يهوذا ونكران بطرس (١٣: ١٨ت). وها نحن على أهبة للتأمل بآلام المسيح من خلال خمسة مشاهد توافق الامكنة التي جرت فيها الاحداث.

أ- اعتقال يسوع (١٨: ١-١١)

هوذا يسوع قد خرج مع تلاميذه، وعبر وادي قدرون حيث هناك بستان، وكأنه على موعد مع يهوذا! في هذا المشهد يضعنا الانجيلي بين فريقين: من جهة فريق يسوع مع تلاميذه؛ ومن جهة اخرى فريق يهوذا على رأس مجموعة من الحرس تخيّم الظلمة عليهم! ولن يخفي يوحنا امتعاضه من جسامة خيانة يهوذا -ولطالما ذكرّ بها (٦: ٧؛ ١٢: ٤؛ ١٣: ٢، ١١...)- مؤكداً على معرفة يسوع المسبقة بالاحداث: "وكان يسوع يعلم جميع ما سيحدث له" (١٨: ٤)!

ولعل ابرز ما في هذا المشهد، مبادرة يسوع بالسؤال: من تطلبون؟ وجوابه الصاعق: أنا هو! ولايخفى المعنى اللاهوتي الذي يضفيه الانجيلي على هذه العبارة التي كانت توحي بحضور الله وتجليه في العهد القديم، والتي غالبا ما وضعها يوحنا على لسان يسوع.. ومن هنا كانت القهقرى، وكان السقوط الى الارض، وكأن الحرس في وضع الخوف والسجود معاً ازاء تجلّ إلهي! وما اجمل حرص يسوع على تلاميذه، وهو يطلب إلى الحرس أن يخلوا سبيلهم! ويرى الانجيلي في ذلك تحقيقا لكلام يسوع الذي

طالما كرره: "الذين وهبتهم لي لم أدَع احداً منهم يهلك" (آ٩، راجع ١٧: ٢؛ ٦: ٣٩؛ ١٠: ٢٨) -"إلا ابن الهلاك"! وفي المشهد الذي عبّر فيه بطرس عن دفاعه، نرى يسوع يلقي عليه درساً ثانياً بعد محاولته الاولى لمنعه من غسل قدميه: "اغمد السيف.. أفلا أشرب الكأس التي ناولني ابي اياها"؟! ويرى الاب دوناسيان مولاّ قربى بين "طعام" يسوع الذي هو العمل بمشيئة أبيه (يو٤: ٣٢-٣٤) وبين "الكأس" التي يرتضي ان يشربها، وكلاهما "يمثلان الرسالة التي وكلها إليه الآب: فالكأس هي كأس خلاصنا، ويسوع يرفض ان تُبعَدَ عنه"[٣٦]. وهكذا يلتقي الانجيلي الرابع بالازائيين الذين وضعوا "الكأس" في نطاق صلاة يسوع في الجتسمانية (مر١٤: ٣٦ وما يقابله).

ب- مثول يسوع امام حنّان (١٨: ١٢-٢٧)

تمحض المشهد الاول عن القبض على يسوع، عبر اشارة ساخرة إلى تألّب "الكتيبة والقائد وحرس اليهود"، وعن مثوله امام حنّان -وقد شغل سابقا منصب عظيم الكهنة الذي يشغله حاليا صهره قيافا. إلا ان الانجيلي الرابع لا يذكر محاكمة اليهود ليسوع، طالما أنها امتدّت، على حد تعبير الاب مولاّ، على مدى الانجيل الذي بدا وكأنه برمته "محاكمة قضائية طويلة بين المسيح ورؤساء اليهود"[٣٧]! لذا يكتفي باشارة إلى ان حنّان أرسله موثَقا إلى قيافا (آ ٢٤)، فيما يركز اهتمامه على تصريحات يسوع التي يجيب فيها الى اسئلة حنّان "عن تلاميذه وتعليمه" (آ ١٩). ويدهشنا مشهد نكران بطرس، وقد وضعه انجيل يوحنا بمثابة اطار (آ١٧-١٨و٢٥-٢٧) للاستجواب.. وفي ذلك معنى: تبيان المفارقة بين بطرس الذي ينكر معلمه، وبين يسوع الذي يجاهر علنا بهويته[٣٨]! -ولا تخفى اللمسات التي ينفرد بها يوحنا في هذا المشهد، وإن أغفل بكاء بطرس!

ولنا في مشهد الاستجواب (آ١٩-٢٣) ما يبرر عدم جدوى الاسئلة، في الوقت الذي ما انفك يسوع "يكلّم" العالم علانية -ويُستخدم هذا الفعل خمس مرات في هذا المشهد للتعبير عما في كلام يسوع من وحي الهي-، ولاسيما في "المجمع والهيكل"، ولم يكن لديه ما يخفيه! ولَعلَّ قوله "سَلْ الذين سمعوني عندما كلّمتُهم به، فهم يعرفون ما قلت" (آ٢١) يصدي للصراع الذي كانت تواجهه الجماعات المسيحية اليوحنانية مع يهود زمانها! كما ان لطمة الحارس تبدو، بحسب الأب ديلا بوتري، وكأنها "الجواب

---

[٣٦] قراءات في انجيل يوحنا / ص ٩٤.

[٣٧] المصدر ذاته / ص ٩٤.

[٣٨] الآلام بحسب الانجيليين الاربعة / ص ٧٩.

القاسي الذي خرج بـه الدين اليهودي والعالم تجاه تعليم يسوع"[٣٩]! إلاّ ان جواب يسوع على اللطمة اللامسؤولة (آ ٢٣) سيبقى شاهدا على الحق الذي يجب ان يُقال بشجاعة، بعيداً عن كل اشكال المساومة.. وشاهداً على الجرأة في الدفاع عن النفس، بعيداً عن كل اشكال الخنوع!

جـ- يسوع امام بيلاطس (١٨: ٢٨-١٩: ١٦أ)

ويتم الانتقال إلى دار الحاكم "عند الفجر"، عبر المرور بقيافا عظيم الكهنة -وقد اكتفى يوحنا بما سبق قيافا وقاله في "حتمية" موت يسوع، وأعاد التذكير به (آ ١٤)! ونجدنا للحال في المشهد الوسطي للرواية حيث تجري محاكمه بسبع حلقات، توازي دخول وخروج بيلاطس على مسرح الاحداث! او بالاحرى تَحَرُّكه بين داخل الدار وخارجه! ويؤكد الاب ديلا بوتري بان ما يهم الانجيلي، ليس المحاكمة السياسية امام الحاكم، بقدر ما هي "المحاكمة الكبرى بين يسوع واليهود"[٤٠]! وهكذا نجد ان الفكرة الرئيسة تدور حول "المسيحانية الملوكية"، حيث تتكرر لفظة "ملك" و"مملكة" اثنتي عشرة مرة! فتبدو محاكمة يسوع وكأنها "تنصيب ملوكي، قمته التكليل بالشوك والانحناء امام [ملك اليهود]"[٤١].

نحن إذن مع الفجر امام مدخل دار بيلاطس. ونجد في امتناع اليهود من دخول دار الحاكم -"لئلا يتنجسوا فلا يتمكنوا من أكل الفصح" (!)- تفصيلاً يعكس احدى سخريات يوحنا من اليهود الذين لن يهمهم ان "يتنجسوا"، وهم يسلّمون البريء!! ولا عجب ان يذهب يوحنا في تأمله إلى كون يسوع هو "الحمل" الفصحي الذي سيضع موته حدّاً لذبيحة الفصح، وقد سبق ان وضع على لسان المعمذان هذا الاعلان: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم" (١: ٢٩).

✠ الحلقة ١ (الآيات ٢٩-٣٢): -انه "صانع شر"!

يأتي جواب اليهود لبيلاطس تصميماً على موته: "لو لم يكن صانع شر لما أسلمناه اليك"! وهم، في نظر الانجيلي الرابع، يعترفون ضمنا ببراءة يسوع! ويقع بيلاطس في الفخ حين يسمح ان يحاكموه بحسب الشريعة.. وينتصب التساؤل: بموجب أي شرع سيُحكم على يسوع: الرجم ام الصلب؟ وهنا تنكشف الاهمية التي علّقها الانجيلي على جواب اليهود، بانه لا يجوز لهم ان يقتلوا أحداً -وذلك ولاشك لأن

---

[٣٩] الآلام بحسب الإنجيليين الأربعة/ ص ٨٠.

[٤٠] المصدر ذاته / ص ٨٠.

[٤١] قراءات في انجيل يوحنا / ص ٩٥ - ونعتمد تفسير الاب دوناسيان مولاّ لفصول المحاكمة السبعة (ص٩٦ - ٩٩).

السلطة الرومانية الحاكمة قد اختصت حق الحكم بالاعدام-، مضيفا هذا التعليق: "وبذلك تمّ الكلام الذي قاله يسوع..." (آ٣٢)، وملمّحاً إلى الإنباءات بصدد "ارتفاع ابن الانسان".. وها هي تتحقق: انه "سيُرفع"! ويقول الاب مولاّ: "فيما كان الرومان وحدهم قادرين على تحقيق هذه [النبؤة] ادّى اليهود، من حيث لا يدرون، المجد لكلمة يسوع"[٤٢].

✠ الحلقة ٢ (الآيات ٣٣-٣٨أ): -"أأنت ملك اليهود"؟ -"مملكتي ليست من هذا العالم"

تجري احداث هذه الحلقة في الداخل.. وهنا ويلتقي يوحنا مع الازائيين بشأن سؤال بيلاطس: أأنت ملك اليهود؟ إلا انه ينفرد بجواب ليسوع يوضح فيه معنى ملوكيته وطبيعتها..! هوذا بيلاطس يجيب إلى سؤال يسوع، معترفاً انه يردّد ما قيل له عنه ومطالباً اياه بتوضيح. وحين يجيب يسوع بان مملكته ليست من هذا العالم، فهو، بتعبير الأب مولا "لم يفصح سوى عن مصدرها، لا عن سلطتها او طابعها او قدرتها.. فهي ليست من ههنا، وجذورها خارج هذا العالم"[٤٣]..! والدليل هو امتناع "رجاله" عن الدفاع عنه! -ويعلم القارئ ان يسوع هو الذي أعاد سيف بطرس إلى غمده، بعد ان كان قد قطع به اذن ملخس (١٨: ١٠-١١)!

وحين يفهم بيلاطس من ذلك انه ملك، يأتي جواب يسوع اكثر وضوحاً وعمقاً ليكشف عن حقيقة ذاته: "... ولدت وأتيت إلى العالم لأشهد للحق. فكل من كان من الحق يصغي إلى صوتي" (آ٣٧). وحين يجعل يسوع مطابقة بينه وبين الحق -وهو الذي سبق أن قال: "انا الطريق والحق والحياة" (١٤: ١٦)-، يكشف عن كونه تجلّيا لله بكل معنى الكلمة! وفي الوقت ذاته ينكشف معنى ملوكيته: "انه ملك على كل الذين يصغون إلى كلامه... ويملك، لا بقوة هذا العالم، بل بكلامه وحقه اللذين يتقبلهما، بالايمان، تلاميذه الحقيقيون"[٤٤]! هذا الحوار الرائع، يقطعه بيلاطس بسؤال مبهم لا يخلو من المماحكة الكلامية: "ما هوالحق؟".. ومن دون ان ينتظر الجواب!

✠ الحلقة ٣ (الآيات ٣٨ب -٤٠): -"أأطلق لكم ملك اليهود"؟

يخرج بيلاطس ثانية ليعلن لليهود عن براءة يسوع.. ساعياً إلى اطلاق سراحه، عبر مساومة حمقاء أوقعته في الفخ، ومكّنت اليهود من ان تكون لهم الكلمة الأخيرة في

---

[٤٢] قراءات في إنجيل يوحنا/ ص ٩٦.

[٤٣] المصدر ذاته / ص ٩٧.

[٤٤] الآلام بحسب الانجيليين الاربعة / ص ٨١.

اطلاق سراح السجين الذي يريدون، بمناسبةالفصح! وازاء عرض بيلاطس باطلاق "ملك اليهود"، جاء اختيارهم واضحاً: "لا هذا بل برأبا"! ويكتفي يوحنا باضافة معلومة ساخرة بقوله: "وكان برأبا لصاً"! مما يشير إلى كون يسوع أحصي في عداد اولئك "الغيرى" من مثيري الشغب، او من اولئك الثوار ذوي التوجهات السياسية المشيحانية..! ولا يُخفي استنكاره الضمني لهذا الخيار الذي دفعهم إليه حقد دفين: لقد آثروا لصاً على يسوع! ألم يسبق له ان كتب: "... والناس آثروا الظلمة على النور..." (٣: ١٩)!

✠ الحلقة ٤ (الآيات ١٩: ١-٣): -"السلام يا ملك اليهود"!

في هذه اللوحة الوسطية حيث يُكَلَّل يسوع بالشوك، تتضح رغبة الانجيلي في تسليط الضوء على ملوكيته، بالرغم من المظاهر المعاكسة.. لذا فهو يغفل البصق والضرب على الرأس والركعات الساخرة.. ويذكر فقط اكليل الشوك ورداء الارجوان والتحية بعبارة "السلام يا ملك اليهود"! وفيما يشير اللطم إلى رفض ملوكية يسوع، كان الجلد -وهو بمقتضى الشرع الروماني مقدمة للصلب- مساومة ارادها بيلاطس وسيلة ليرضي اليهود، وقد تحملهم من ثم على العدول عن قرارهم!

✠ الحلقة ٥ (الايات ٤ - ٧): -"هوذا الرجل"!

تحت هذا العنوان تجري احداث هذه الحلقة... يخرج بيلاطس بيسوع ليعلن لليهود براءته للمرة الثانية: "... لتعلموا اني لا اجد فيه سببا لاتهامه"! فهو حين قدّم يسوع، "وعليه اكليل الشوك والرداء الارجواني"، لم يقصد، على حد تعبير الأب مولاّ، اثارة شفقة الجمهور، بقدر ما كان هدفه "اظهار تفاهة إدّعاء يسوع الملوكي.. فمُدَّع بالمسيحانية، في ضعف يثير الشفقة، لا يشكل خطراً.. ولا داعي من ثم للاستبسال عليه"[٤٥]! ويواصل الاب مولا تحليله قائلاً بان عبارة بيلاطس "هوذا الرجل" -وهي تترجم هذه السخرية- اراداها الانجيلي تلميحاً إلى لقب "ابن الانسان" (دا ٧: ١٣) الذي، في ضعفه، يتجلى مجده!

وفشلت مبادرة بيلاطس حين قوبل "الرجل" بصيحات "إصلبه"! واقترن اعلان بيلاطس براءة يسوع، للمرة الثالثة، بالضعف والجبن، وقد استسلم قائلاً: "خذوه انتم فاصلبوه، فاني لا أجد فيه سبباً لاتهامه"! وحين يتصدى اليهود لبيلاطس، مؤكدين انه، بموجب شريعتهم، يستوجب الموت، إذ "جعل نفسه ابن الله"، تتحول جبانة بيلاطس إلى خوف شديد، بعد أن اتخذت القضية مساراً دينياً!

---

[٤٥] قراءات في انجيل يوحنا / ص ٩٨.

✠ الحلقة ٦ (الآيات ٨ – ١١): –"ألا تكلّمني..؟"

في هذه الحلقة يعود بيلاطس الى الداخل ليحاول فتح حوار ثان مع يسوع، مواز للحوار الاول حول هويته –وتعني عبارة "من اين انتَ؟" سؤالاً عن أصل يسوع ونسبه–، يقابله يسوع بالصمت، بعد ان سبق وكشف عن ملوكيته وطبيعتها... وازاء احتدام بيلاطس من صمت يسوع، وقد اعتبره تحديا لسطانه، يجيب يسوع بمهابة معلناً: "لو لم تُعطَ السلطان من علُ، لما كان لك عليّ من سلطان. ولذلك فالذي أسلمني إليك، عليه خطيئة كبيرة"! وبهذه الكلمات اراد الانجيلي الرابع ان يكشف عن دور بيلاطس في هذه المأساة: فهو، بدون علم منه "وسيلة في مخطط الهي يفوقه"، دون ان يعفيه ذلك، او يعفي اليهود من مسؤولياتهم[٤٦]!

✠ الحلقة ٧ (الآيات ١٢ – ١٥): –"هوذا ملككم..."
– "اصلبه!"

ونجدنا، مع هذه الحلقة، في ذروة المشهد، إزاء مفارقة لا بعدها مفارقة: ففيما يرسم لنا الانجيلي ملامح بيلاطس الذي اخذ منذ ذلك الحين يسعى إلى إخلاء سبيل يسوع.. هوذا يضعنا بازاء يهود يهدّدونه إن هو اخلى سبيله، ويتهمونه بعدم الولاء لقيصر إن هو تجاهل ادّعاء يسوع بالملوكية!! وهكذا يجدّد يوحنا سخريته من يهود اصبحوا مدافعين عن القيصر وحريصين على سيادته وهيمنته (!) ضد أي منافس يعرّضها للخطر!! ولكنهم، مع ذلك أحكموا ولا شك ضربتهم من اجل ما أعتبروه خير الامة!

وازاء هذا الموقف الحرج، يروي الإنجيلي بأن بيلاطس أخرج يسوع، ثم "أجلسه على كرسي القضاء" (آ ١٣)[٤٧].. ذلك لأن يوحنا يصرّ ان يرينا يسوع –وهو يُحاكَم ويُدان– في دور الديّان لمتهميه الذين اظلمت عيونهم، وبسابق اصرار، عن رؤية "الملك الآتي باسم الرب" (يو١٢: ١٣)..! فهوذا يسوع علي "البَلاط" (بالعبرانية: كبّاثا)، وقد أجلسه بيلاطس "على كرسي القضاء"، لأن الله قد سبق ومنحه السلطان أن "يجري القضاء" لكونه "ابن الانسان" (يو٥: ٢٧)!

ويستمر بيلاطس في سخريته الناقمة من اليهود الذي رفضوا ملكهم مطالبين بصلبه قائلاً: أأصلب ملككم؟ وسيأتي الجواب اكثر سخرية، وعلى لسان عظماء الكهنة انفسهم: "لا ملك علينا إلا قيصر"!! وهكذا اتت هذه الكلمة لتكشف عن جحود

---

[٤٦] قراءات في إنجيل يوحنا/ ص٩٨.

[٤٧] كانت الترجمات القديمة تقول بأن بيلاطس "جلس على كرسي القضاء". الا ان عدداً متزايداً من العلماء يرون في الفعل اليوناني "ايكاثيزن" ما يمكن ان يؤدّى بمعنى "أجلس". وهكذا ساعدت هذه الترجمة الحديثة على فهم هذا المشهد فهماً أكثر عمقاً.

اليهود.. وبثمن عبودية للسلطة الوثنية التي كانوا يريدون التخلص منها[٤٨]! ويختم انجيل يوحنا هذا المشهد، بلوحاته السبع، بعبارة: "فأسلمه إليهم ليُصلب" (آ ١٦ أ) - وها هو "يُذبح" في الوقت الذي فيه يُهيّأ الفصح ويُنحَر الخروف الفصحي!

د- صلب يسوع (١٩: ١٦ب-٣٧)

"التنزيل من الصليب"
اللوحة لفنان مجهول/كنيسة مار توما - الموصل.

مع هذا المشهد الذي بلغ بنا إلى "الجلجلة"، يدعونا يوحنا إلى التأمل في صليب يسوع، وقد "ارتفع" عليه، وتبوّأ "عرش" الوسط بين مصلوبين! ذلك لأن الصليب، في نظره، يجسّد الحب الذي ذهب به يسوع إلى اقصى حدوده! فخرج "حاملاً صليبه"، لابساً ثوب الارجوان، ومكلّلا بالشوك -وفي ذلك تعبير عن كونه يصعد إلى الجلجلة، ظافرا، ليقدم حياته بمنتهى الحب وكمال الحرية..! ولَكَم بدا يسوع مهيبا، قوي النفس، شديد العزيمة..! وها نحن أمام رواية للآلام، أرادها الإنجيلي فرصة للتأمل، عند اقدام الصليب، في مخطط الله الخلاصي الذي تعكسه الكتب المقدسة!

---

[٤٨] قراءات في انجيل يوحنا / ص ٩٩.

ويمكننا ان نميز خمس لوحات تحملنا على الايمان بالمصلوب و التعلق به:

١) "يسوع الناصري ملك اليهود" (آ١٩-٢٢):

يلفت الانجيلي الرابع، دون سائر الازائيين، انتباهنا إلى ملوكية يسوع الناصري التي كانت في مقدمة الاسباب للحكم عليه.. ولكنها ستبقى تفرض نفسها، بما تتضمنه من ملامة لاولئك الذين رفضوها..! ومن هنا كان احتجاج عظماء الكهنة على الكتابة التي عُلّقت على الصليب -ولم يشأ بيلاطس أن يبدّلها: "ما كَتَبتُ قد كُتب! وفي جواب بيلاطس هذا، اشارة إلى ان يسوع هو بالفعل "ملك اليهود"، المسيح الآتي باسم الرب.. ملك الكل! كما تعبر اللغات الثلاث (العبرية واللاتينية واليونانية) عن شمولية هذا العنوان/ النداء الموجّه إلى كل الذين قرأوه وسيقرأونه، فيكتشفون في الناصري المصلوب: المسيح الملك، ابن الله، مخلص العالم...

٢) "اقتسموا ثيابي..." (آ ٢٣-٢٤):

فيما اكتفى الازائيون بالاشارة إلى اقتسام الثياب بصفته احدى علامات الإذلال، يرى يوحنا فيها، كعادته، تحقيقا لما جاء في الكتب! وكان لابد له -وهو يعرف جيداً المزمور٢٢ الذي تقول الآية ١٩ منه: "اقتسموا ثيابي، وعلى لباسي اقترعوا"- أن يرى تحقيقا لها في مبادرة الجنود إلى اقتسام الثياب إلى اربع حصص، وفي حركة الإقتراع على القميص! ولا يسعنا الا ان نكتشف، مع الأب مولا، في اشارة يوحنا إلى كون القميص" منسوجا من أعلى إلى اسفل"، ارادة من الله في ان يبقى قميص يسوع -وهو يرمز إلى جسده، أي الكنيسة- محتفظاً بوحدته، دون تمزيق او تجزئة! ويضيف بأن علينا ان نفهم هذه الاشارة، في ضوء التمزق الذي حصل داخل الشعب اليهودي بسبب يسوع، من جهة، (٩: ١٦؛ ١٠: ١٩)، وفي ضوء الوحدة التي حصلت بشخصه، من جهة اخرى (١٠: ١٦؛ ١١: ٥٢؛ ١٧: ٢١...).. وينتهي الى القول: "فكل الثقل في الجملة يتمركز حول العبارة [لا ينبغي ان نشقّه]: ذلك لأن عمل يسوع سيظل كاملاً، بعد موته، وقوامه جمع شمل ابناء الله... "[٤٩].

٣) "هوذا ابنك.. هذه أمك" (آ ٢٥-٢٧):

ينفرد يوحنا بهذه اللوحة الرائعة التي يرى فيها المفسرون تعبيراً عن امومة مريم لكل المؤمنين بيسوع، والذين يمثّلهم "التلميذ الحبيب"! ويبدأ المشهد عند اقدام صليب يسوع حيث "وقفت" أمه -وقفة من تشارك ابنها في حبه الفدائي- والمريمتان (اخت امه والمجدلية) مما يشير إلى سموّ الموقف ومهابته! ويدعم تفسير امومة مريم الروحية دليلان على الأقل: أولهما هو ان يسوع، بمناداته أمه "يا امرأة" (كما في قانا الجليل ٢: ٤)، يضفي عليها دور المرأة في مخطط الله.. بصفتها "بنت صهيون" التي

---

[٤٩] قراءات من إنجيل يوحنا/ ص ١٠٢- ١٠٣.

تجمع ابناءَها من حولها (انظر اش ٥١: ١٨؛ ٦٦: ٨...)؛ وثانيهما هو ان الصيغة الادبية توحي بالكشف عن سر: فمريم ام يسوع تصبح، بارادة يسوع، أُماً للتلميذ ولكل التلاميذ على مر الاجيال.. أي "ام الكنيسة"!

٤) "انا عطشان" (آ ٢٨-٣٠):

ونجدنا على وشك النهاية التي يعلم بها يسوع، طالما أنه قد أتم العمل الذي وكله إليه الآب (راجع ١٧: ٤). ويريد يوحنا أن يرينا، حتى الساعة الاخيرة، اكتمال النبؤات فيه: فصرخة "أنا عطشان" يُصدي لها المزمور ٦٩: ٢٢! ولم يبق ليسوع سوى أن يموت بسلام طالما ان "كل شيء قد تمّ"! -ويقصد الانجيلي ان قد تمت الكتب التي تعكس ارادة الله، والتي بموجبها حقق يسوع خلاص العالم، بحبّ بلغ به إلى بذل الذات الكامل على الصليب..! إلا أن يسوع، حين أحنى رأسه، "أسلم الروح"! هذه العبارة التي انتقاها يوحنا، كعادته، تحمل معنى آخر اراد به التأكيد على ان يسوع "افتتح بموته المرحلة الاخيرة من تاريخ الخلاص، ألا وهو زمن فيض الروح"[٥٠]! وكانت قد أدهشتنا حركة يسوع القائم الذي، ما أن تراءى للتلاميذ "مساء اليوم الاول"، حتى "نفخ فيهم" ومنحهم الروح القدس (٢٠: ٢٢)!

٥) "سينظرون إلى من طعنوا" (آ ٣١ -٣٧):

في هذه اللوحة الاخيرة التي ينفرد بها الانجيلي الرابع، نجدنا بإزاء النتائج المستخلصة من موت يسوع. لقد سعى "اليهود" إلى إنهاء حياة المصلوبين، قبيل ان يلوح السبت بعظمته المزدوجة (إذ فيه وافق عيد الفصح)، حفاظاً منهم على الطهارة المفروضة في الشريعة بشأن دفن المشنوقين (تث ٢١: ٢٢...).. ونحن هنا بازاء جريمة قتل! -وتلك هي من اكثر سخريات يوحنا قوة وحدّة! هوذا الجند يكسرون ساقي اللصين.. إلا أنهم لم يكسروا ساقي يسوع لأنه قد مات، إلا ان "واحدا من الجند طعنه بحربة في جنبه فخرج لوقته دم وماء"!

تمثال "بييتا" للنحات الشهير ميكيل أنجيلو (١٤٧٥-١٥٦٤) - كنيسة القديس بطرس (روما).

---

[٥٠] الآلام بحسب الانجيليين الاربعة / ص ٨٥.

ويجد يوحنا في هاتين الحركتين معنى لاهوتيا، لا بل "ترتيباً إلهيّاً خاصاً لانارة الايمان"[٥١]، بحسب تعبير الأب مولا: فالحركة الاولى تُتِم الكتاب القائل "لن يكسر له عظم" (خر١٢: ٤٦؛ عد ٩: ١٢؛ مز ٣٤: ٢١)، دلالةً على ان يسوع هو حمل الفصح الجديد، وقد اصبح دمه علامة عبور من عبودية الخطيئة إلى حرية ابناء الله، وانتقال من الموت إلى الحياة..! اما الحركة الثانية، فهي اكثر دلالة، لانها تعيدنا إلى نبؤة زكريا بصدد بريء حكم عليه بالموت، واصبح موته فرصة توبة وغفران.. طالما جرى نبع لغسل الخطايا وأُنزل روح جديد[٥٢] (زك ١٣: ١). وهوذا الله يقول: "وافيض على بيت داود وعلى سكان اورشليم روح النعمة والتضرعات، فينظرون إليّ (أنا) الذي طعنوه..." (زك ١٢: ١٠)! ألسنا بازاء "ينبوع مفتوح" من جنب يسوع، تدفق منه "دم وماء"؟ ألسنا من جديد بازاء معنى موت المسيح: فالروح المفاض يمنحنا نعمة الايمان التي تجدد البشرية، وذلك عبر المعموذية التي يرمز اليها الماء، وعبر الافخارستيا التي يرمز إليها الدم... وهكذا نجدنا في قلب الكنيسة التي تحيا بالايمان (انظر ا يو٥: ٦) -أليست أمنية "الشاهد للحق" أن يقودنا الى هذا الإيمان: "والذي رأى شهد، وشهادته صحيحة، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا انتم ايضاً" (آ ٣٥).

هـ- دفن يسوع (١٩: ٣٨-٤٢)

بهذا المشهد ينهي يوحنا، كسائر الانجيليين، روايته للآلام، بدفنةٍ احتفالية مهيبة، بالطيب والعطور، على يد تلميذ ليسوع كان يخفي امره (يوسف الرامي)، وفريسي (نيقوديمس) كان له محادثة ليلية طويلة مع يسوع (٣: ٢...) -وهما شخصان بحاجة إلى ترسيخ ايمانهما! أليس هدف الانجيلي من رواية الآلام، ومن كل الانجيل، ان يحملنا على أن "نؤمن نحن ايضاً "؟!

---

[٥١] قراءات في انجيل يوحنا / ص ١٠٥.

[٥٢] المصدر ذاته / ١٠٥- ١٠٦.

"يسوع في القبر"
اللوحة لفنان مجهول/ كنيسة مار توما – الموصل

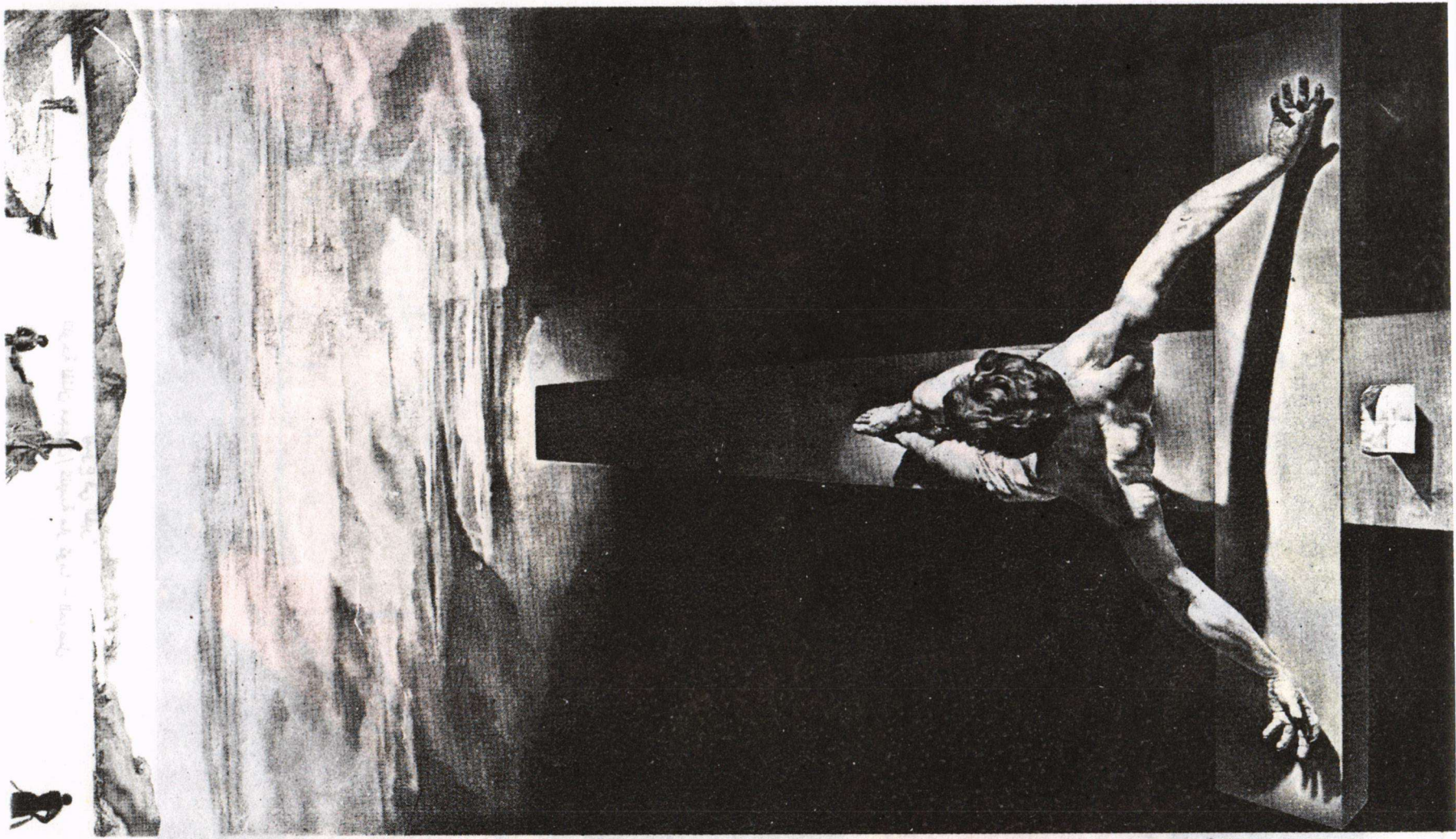

"... اما انشغالي الأساسي فكان أن أجعل مسيحي جميلاً كالله!" (سلفادور دالي - ١٩٥١/ متحف كلاسكو)

ملحق

إزائية روايات الآلام والقيامة

رواية الآلام بحسب الانجيليين الأربعة

✧ اعتقال يسوع ✧

متى ٢٦: ٤٧-٥٦	مرقس ١٤: ٤٣-٥٢	لوقا ٢٢: ٤٧-٥٣	يوحنا ١٨: ٢-١١
			[٢] وكان يهوذا الذي أسلمه يعرف ذاك المكان لكثرة ما اجتمع فيه يسوع مع تلاميذه
[٤٧] وبينما هو يتكلم وإذا	[٤٣] وبينما هو تكلم، للحال	[٤٧] وبينما هو يتكلم إذا عصابة	
بيهوذا،	يهوذا،	يتقدمها المدعو يهوذا،	[٣] فجاء يهوذا
احد الاثني عشر	احد الاثني عشر	احد الاثني عشر	
قد وصل، ومعه	وصل، ومعه		بحرس الهيكل
عصابة كثيرة العدد	عصابة		
تحمل السيوف والعصي	تحمل السيوف والعصي		
ارسلها عظماء الكهنة	ارسلها عظماء الكهنة والكتبة		والحرس الذين ارسلهم عظماء الكهنة والفريسيون
وشيوخ الشعب	والشيوخ		
			حتى بلغ ذلك المكان ومعهم المصابيح والمشاعل والسلاح
[٤٨] وكان الذي أسلمه قد جعل لهم علامة	[٤٤] وكان الذي يسلمه قد جعل لهم علامة		
إذ قال: هو ذاك الذي	إذ قال: هو ذاك الذي		
أقبّلهُ، فأمسكوه	أقبله، فامسكوه وسوقوه محفوظاً		
[٤٩] ومن وقته دنا الى يسوع	[٤٥] وما أن وصل، دنا منه	فدنا من يسوع	
وقال: السلام عليك رابّي	وقال له: رابّي		
وقبّله	وقبّله	ليقبّله	
فقال له يسوع:		فقال له يسوع:	
يا صديقي		يا يهوذا،	
		أبقبلةٍ تسلم ابن الإنسان؟	
(إفعل) ما جئت له			
فدنوا			
وبسطوا أيديهم	[٤٦] فبسطوا ايديهم		
الى يسوع وأمسكوه	اليه وأمسكوه		
		[٤٩] فلما رأى الذين حوله ما اوشك أن يحدث	[٤] وكان يسوع يعلم
			جميع ما سيحدث له
			فخرج وقال لهم: من تطلبون؟

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
			[٥] أجابوه: "يسوع الناصري". قال لهم: أنا هو. وكان يهوذا الذي اسلمه واقفاً معه.
			[٦] فلما قال لهم أنا هو، رجعوا الى الوراء ووقعوا الى الأرض.
			[٧] فسألهم يسوع ثانية: من تطلبون؟ قالوا: يسوع الناصري
			[٨] أجاب يسوع: قلت لكم إني أنا هو، فإذا كنتم تطلبوني أنا، فدَعُوا هؤلاء يذهبون
			[٩] فتمت الكلمة التي قالها: إن الذين وهبتهم لي، لم أدع أحداً منهم يهلك.
		قالوا: يارب، أنضرب بالسيف؟	
[٥١] وإذا واحد من الذين مع يسوع	[٤٧] وإذا واحد من الحاضرين	[٥٠] وإذا احدهم	[١٠] وكان سمعان بطرس
قد مد يده الى سيفه			يحمل سيفاً
فاستله وضرب	استل سيفه وضرب	ضرب	فاستله وضرب
خادم عظيم الكهنة	خادم عظيم الكهنة	خادم عظيم الكهنة	خادم عظيم الكهنة
فقطع أذنه	فقطع اذنه	فقطع اذنه اليمنى	فقطع اذنه اليمنى
			وكان اسم الخادم ملخس
[٥٢] فقال له يسوع:		[٥١] فأجاب يسوع: دعوهم! كفى!	
إغمد سيفك، فكل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك.			إغمد السيف
[٥٣] أوتظن أنه لا يمكنني أن اسأل أبي فيمدني الساعة بأكثر من إثني عشر فيلقاً من الملائكة؟			
[٥٤] ولكن كيف تتم الكتب التي تقول إن هذا ما يجب أن يحدث؟			
(٢٦: ٤٢) هذه الكأس، إذا لم يكن ممكناً أن تبتعد عني، أو أشربها، فليكن ما تشاء			الكأس التي ناولني أبي اياها، أفلا أشربها؟
		ولمس اذنه فأبرأه	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
[٥٥] في تلك الساعة قال يسوع للجموع:	[٤٨] فقال لهم يسوع:	[٥٢] ثم قال يسوع للذين قصدوا إليه من عظماء الكهنة وقادة حرس الهيكل والشيوخ:	
أعلى لصٍّ خرجتم تحملون السيوف والعصي لتقبضوا عليَّ	أعلى لص خرجتم تحملون السيوف والعصي لتقبضوا عليَّ	أعلى لصٍّ خرجتم تحملون السيوف والعصي	
			(١٨: ٢٠) إني كلّمتُ العالم علانية وإني علّمتُ
كنتُ كل يوم	[٤٩] كنت كل يوم بينكم	[٥٣] كنت كل يوم معكم	دائماً في المجمع
أجلس في الهيكل أعلّم	أعلم في الهيكل	في الهيكل	والهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم ولم أقل شيئاً في الخفية
فلم تمسكوني	فلم تمسكوني	فلم تبسطوا ايديكم اليّ	
[٥٦] وإنما	وإنما	ولكن هذه ساعتكم وهذا سلطان الظلام!	(١٦: ٤أ) ... إذا أتت الساعة
حدث ذلك كله لتتم كتب الأنبياء	حدث هذا لتتم الكتب		
فتركه التلاميذ كلهم وهربوا	[٥٠] فتركوه كلهم وهربوا		
	[٥١] وتبعه شاب يستر عريه بإزار فأمسكوه،		
	[٥٢] فتخلى عن الإزار وهرب عرياناً		

فيما نترك مشهد الذهاب بيسوع -يتبعه بطرس- عند عظيم الكهنة (مر ١٤: ٥٣-٥٤ وما يقابله ولاسيما في يو١٨: ١٢-١٨) وكذلك مشهد استجواب حنان الذي ينفرد به إنجيل يوحنا (١٨: ١٩-٢٧)، نتوقف لدى محاكمة يسوع امام مجلس اليهود.

✧ يسوع أمام المجلس ✧

متى ٢٦: ٥٩-٦٦	مرقس ١٤: ٥٥-٦٤	لوقا ٢٢: ٦٦-٧١	يوحنا
		[٦٦] ولما طلع الصباح، احتشدت جماعة شيوخ الشعب من عظماء كهنة وكتبة فاستحضروه الى مجلسهم	
٥٩] وكان عظماء الكهنة المجلس كافة	[٥٥] وكان عظماء الكهنة والمجلس كافة		

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
يطلبون	يطلبون		
شهادة زور على يسوع	شهادة على يسوع		
ليحكموا عليه بالموت	للحكم عليه بالموت		
[٦٠] فلم يجدوا	فلم يجدوا		
مع أنه مثل بين أيديهم	[٥٦] ذلك بأن أناساً		
عدد كثير	كثيرين كانوا		
من شهود الزور	يشهدون عليه زوراً		
	فلا تتفق شهاداتهم		
وآخر الأمر			
مثل شاهدان	[٥٧] فقام بعضهم وشهدوا		
[٦١] فقالا:	عليه زوراً، قالوا:		
هذا الرجل قال إني لقادر على	[٥٨] نحن سمعناه يقول		(٢: ١٩)
نقض هيكل الله	إني سأنقض هذا الهيكل		انقضوا هذا الهيكل
	الذي صنعته الأيدي		
وبنائه في ثلاثة ايام	وأبني في ثلاثة أيام		أقيمهُ في ثلاثة أيام
	هيكلاً آخر لم تصنعه الأيدي		
	[٥٩] ولا على هذا اتفقت شهاداتهم		
[٦٢] فقام عظيم الكهنة	[٦٠] فقام عظيم الكهنة	(٢٣: ٩-١٠)	
وقال له:	في وسط المجلس وسأل يسوع:		
أما تجيب بشيء؟	أما تجيب بشيء؟		
ما هذا الذي يشهد به	ما هذا الذي يشهد به		
هذان عليك؟	هؤلاء عليك؟		
[٦٣] فظلّ يسوع صامتاً	[٦١] فظل صامتاً لا يجيب بشيء. وثانية		
فقال له عظيم الكهنة:	سأله عظيم الكهنة قال له:	[٦٧] وقالوا:	
استحلفك بالله الحي			
لتقولنّ لنا:			(١٠: ٢٤ ت)
هل أنت المسيح	أأنت المسيح	إن كنت المسيح	إن كنت المسيح
ابن الله؟	ابن المبارك؟		
		فقل لنا	فقل لنا صراحة
[٦٤] فقال له يسوع:	[٦٢] فقال يسوع	فقال لهم:	أجابهم يسوع:
		لو قلت لكم لما صدقتم	قلته لكم ولكنكم لا تؤمنون
		[٦٨] ولو سألتكم لما أجبتم،	
هو ما تقول وأنا أقول لكم	أنا هو		
سترون بعد اليوم	وسوف ترون	ولكن بعد اليوم	
ابن الإنسان	ابن الإنسان	ابن الإنسان	
جالساً	جالساً	سيجلس	
عن يمين القدير	عن يمين القدير	عن يمين قدرة الله	
وآتياً على غمام السماء	وآتياً في غمام السماء		

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		[٧٠] فقالوا جميعاً أفأنت ابن الله إذن؟ فقال لهم: أنتم تقولون أني هو	[٣٦ب] ... اني ابن الله
[٦٥] فشق عظيم الكهنة ثيابه وقال: لقد جدّف	[٦٣] فشق عظيم الكهنة ثيابه وقال:	[٧١] فقالوا:	[٣٦ب] ... تقولون: أنت تجدّف
فما حاجتنا بعد ذلك الى الشهود ها قد سمعتم	ما حاجتنا بعد ذلك الى الشهود [٦٤] لقد سمعتم	ما حاجتنا بعد ذلك الى الشهادة فقد سمعنا نحن بأنفسنا كلاماً من فمه	
التجديف! [٦٦] فما رأيكم؟ فأجابوه: يستوجب الموت	التجديف! فما رأيكم؟ فأجمعوا على الحكم بانه يستوجب الموت		

وندع جانباً مشهد السخرية (مر ١٤: ٦٥ وما يقابله) ومشهد نكران بطرس الذي يأتي لدى مرقس ومتى بعد المحاكمة اليهوية، فيما يسبّقه لوقا عليها (٢٢: ٥٥-٦٢) ويضعه يوحنا خلال استجواب حنان ليسوع (١٨: ١٧-٢٧)، لننكب على رواية المحاكمة امام بيلاطس في مشاهدها الأخيرة التي تسفر عن الحكم على يسوع بالصلب.

✧ الحكم بالموت على يسوع ✧

متى ٢٧: ١٥-٢٦	مرقس ١٥: ٦-١٥	لوقا ٢٣: ١٣-٢٥	يوحنا ١٨: ٣٩- ١٩: ١٦أ
			(١٩: ٤) وخرج بيلاطس ثانية
		[١٣] فدعا بيلاطس عظماء الكهنة والرؤساء والشعب	
		[١٤] وقال لهم: أحضرتم لدي هذا الرجل على انه يفتن الشعب، وها قد حققت في الأمر	وقال لهم: ها إني أخرجه إليكم
		بمحضر منكم	لتعلموا
		فلم أجد على هذا الرجل	أني لا أجد فيه
		شيئاً مما تتهمونه به	سبباً لاتهامه
		[١٥] ولا هيرودس لأنه ردّه الينا، فهو إذاً لم يفعل ما يستحق به الموت.	
		[١٦] فسأعاقبه ثم أطلقه.	
[١٥] وفي كل عيد كان من عادة الحاكم	[٦] وفي كل عيد	(١٧) وفي كل عيد كان لابد له	[٣٩] في الفصح جرت العادة عندكم

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
ان يطلق للجمع سجينا	كان يطلق سجينا	ان يطلق لهم رجلا	أن اطلق لكم احدا
أي واحد ارادوا	أي واحد طلبوا		
[١٦] وكان عندهم	[٧] وكان		
سجين شهير	مسجوناً مع المشاغبين الذين	(آية ١٩)	
	ارتكبوا جريمة القتل في الفتنة		
يقال له يسوع برأبا	رجل يدعى برأبا		
	[٨] فصعد الجمع وأخذوا		
	يطلبون ما كان من عادته أن		
	يمنحهم		
[١٧] وبينما هم مجتمعون			
قال لهم بيلاطس:	[٩] فأجابهم بيلاطس:		
من تريدون أن اطلق لكم؟	أتريدون أن اطلق لكم		أتريدون أن اطلق لكم
أيسوع برأبا			
أم يسوع الذي يقال له المسيح؟			
	ملك اليهود؟		ملك اليهود؟
[١٨] وكان يعلم	[١٠] لانه كان يعلم		
انهم	بان عظماء الكهنة		
من حسدهم أسلموه	من حسدهم أسلموه		
[١٩] وبينما هو جالس على			
كرسي القضاء، ارسلت اليه			
امرأته تقول: دعك وهذا البار			
لأني عانيت اليوم في الحلم			
آلاماً شديدة بسببه			
[٢٠] ولكن عظماء الكهنة	[١١] إلا ان عظماء الكهنة		
والشيوخ			
اقنعوا الجموع	أثاروا الجمع		
		[١٨] فصاحوا بأجمعهم	[٤٠] فعادوا الى الصياح
		قائلين:	قائلين:
		اعدم هذا	لا هذا
بأن يطلبوا	لكي يطلق لهم بالأحرى	واطلق لنا	بل
برأبا	برأبا	برأبا	برأبا
ويهلكوا يسوع			
	(آية ٧)	[١٩] وكان ذاك قد ألقي في السجن لفتنة حدثت في المدينة وجريمة قتل.	وكان برأبا لصاً!
			[١٩: ١] فأخذ بيلاطس
[٢٦ب] أما يسوع	[١٥ب] ويسوع		يسوع
فجلده	بعد أن جلده		وجلده
ثم أسلمه ليصلب	أسلمه ليصلب		

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
		(٢٣: ١١-١٤)	
[٢٧] فمضى جنود الحاكم	[١٦] فساقه الجنود	[١١] فـاحتقره هـيرودس	[٢] والجنود
(...)	(...)	وجنوده...	
[٢٨] جعلوا عليه			
رداءً قرمزياً	[١٧] فألبسوه ارجواناً	... فألبسه ثوباً براقاً	
وضفروا اكليلاً من	وكللوه بإكليل ضفروه من		ضفروا إكليلاً من
شوك	الشوك		شوك
ووضعوه على رأسه			ووضعوه على رأسه
			وألبسوه رداءً ارجوانياً
		وردّه الى بيلاطس	
... وسخروا منه	[١٨] وأخذوا يحيّونه		[٣] وأخذوا يدنون منه
قائلين:	فيقولون:		فيقولون:
السلام عليك يا ملك اليهود	السلام عليك يا ملك اليهود		السلام عليك يا ملك اليهود
[٣٠] ... ويضربونه	[١٩] ويضربونه ...		
على رأسه	على رأسه		
			وكانوا يلطمونه
		[١٣] بيلاطس	[٤] وخرج بيلاطس ثانياً
		[١٤] قال لهم: ... وهـا قـد	وقال لهم: ها إني اخرجه اليكم
		حققت في الأمر بمحضر منكم	لتعلموا
		فلم أجدعلى هـذا الرجل شيئاً	اني لا اجد فيه سببا
		مما تتهمونه به...	لاتهامه
			[٥] فخرج يسوع وعليه اكليل
			الشوك والرداء الارجواني،
			فقال لهم بيلاطس: ها هـوذا
			الرجل.
	[١٢] فتكلم بيلاطس ثانياً	[٢٠] بيلاطس ثانيةً	[١٢] وبيلاطس منذئذ
[٢١] فقال لهم الحاكم	وقال لهم:	خاطبهم	
أيهما تريدون أن اطلق لكم		لرغبته في اطلاق يسوع	حاول أن يخلي سبيله
فقالوا: برأبا			
[٢٢] فقال لهم بيلاطس:			
فماذا أفعل	فماذا أفعل		
بيسوع الذي يقال له المسيح؟	بالذي تدعونه ملك اليهود؟		
			[٦] فلما رآه
الجميع	[١٣] لكنهم عادوا	[٢١] ولكنهم	عظماء الكهنة والحرس
قالوا:	للصياح	صاحوا	صاحوا:
ليُصلب	اصلبه	اصلبه! اصلبه!	اصلبه! اصلبه!
[٢٣] قال لهم:	[١٤أ] فقال لهم بيلاطس	[٢٢] فقال لهم ثالثة	قال لهم بيلاطس
فأي شر فعل؟	فما الذي فعل من الشر؟	فأي شر فعل هذا الرجل؟	
			خذوه أنتم فاصلبوه
		لم أجد سبباً	فإني لا أجد سبباً لاتهامه
		يستوجب به الموت	
		فسأعاقبه ثم اطلقه	

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
			[٧] أجابه اليهود: لنا شريعة وبحسب هذه الشريعة يجب عليه ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله
			[٨] فلما سمع بيلاطس هذا الكلام اشتد خوفه
			[٩] فعاد الى دار الحكومة وقال ليسوع: من أين أنت؟
(٢٧: ١٢-١٣)	(١٥: ٣-٤)		
[١٢] وكان عظماء الكهنة والشيوخ يتهمونه	[٣] وكان عظماء الكهنة يتهمونه كثيراً		
فلا يجيب بشيء			فلم يجبه يسوع بشيء
[١٣] فقال له بيلاطس	[٤] فسأله بيلاطس ثانية		[١٠] فقال له بيلاطس:
	أما تجيب بشيء		ألا تكلمني؟
اما تسمع بكَم من الامور	انظر ما اكثر ما		
يشهدون عليك؟	يشهدون به عليك		
			أفلست تعلم أن لي سلطاناً على أن أخلي سبيلك وسلطاناً على أن أصلبك؟
			[١١] أجابه يسوع: لو لم تَعطَ السلطان من علُ لما كان لك عليّ من سلطان ولذلك فالذي أسلمني إليك عليه خطيئة كبيرة.
		(٢٣: ٢٠)	
		فخاطبهم بيلاطس ثانية	[١٢] فحاول بيلاطس من ذلك
		لرغبته في اطلاق يسوع	الحين أن يخلي سبيله
			ولكن اليهود صاحوا: إن أخليت سبيله فلست صديقاً لقيصر، لأن كل من يجعل نفسه ملكاً يخرج على قيصر.
			[١٣] فلما سمع بيلاطس هذا الكلام أمر بإخراج يسوع وأجلسه على كرسي القضاء في مكان يسمى البلاط، ويقال له بالعبرية غبّاثة.
			[١٤] وكان ذلك اليوم يوم تهيئة الفصح، والساعة تقارب الظهر، فقال لليهود: ها هوذا ملككم
[٢٣ب] فبالغوا	[١٤ب] فازدادوا	[٢٣] ألحّوا عليه طالبين	
في الصياح:	صياحاً	بأعلى اصواتهم	[١٥] فصاحوا
			اعدمه! اعدمه!

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
ليُصلب	اصلبه	أن يصلب واشتد صياحهم!	اصلبه!
			قال لهم بيلاطس: أأصلبُ ملككم؟ أجاب عظماء الكهنة: لا ملك علينا إلا قيصر!
[٢٤] فلما رأى بيلاطس أنه لم يستفد شيئاً، بل ازداد الإضطراب، أخذ ماءً وغسل يديه بمرأى من الجمع وقال: أنا برئ من هذا الدم، أنتم وشأنكم فيه [٢٥] فأجاب الشعب بأجمعه: دمه علينا وعلى أولادنا			
	[١٥] وأراد بيلاطس أن يرضي الجمع	[٢٤] وبيلاطس قضى بإجابة طلبهم	
[٢٦] فأطلق لهم برأبا	فأطلق لهم برأبا	[٢٥] فأطلق من كان قد ألقي في السجن لفتنةٍ وجريمة قتل، ذاك الذي طلبوه	
أما يسوع	ويسوع	ويسوع	
فجلده	بعد أن جلده		
ثم اسلمه ليُصلب!	أسلمه ليُصلب!	أسلمه الى مشيئتهم!	[١٦] فأسلمه اليهم ليصلب!

وفيما يشدد مرقس ومتى على مشهد السخرية والإهانة، يسترسل لوقا في وصف "درب الصليب" (٢٣: ٢٦-٣٢) وينفرد في عدد من التفاصيل إبان الصلب (٢٣: ٣٣-٤٣)، فيما يدلي إنجيل يوحنا بتفاصيل أخرى بشأن عنوان المصلوب واقتسام الثياب وأم يسوع والتلميذ الحبيب والطعن بالحربة... (١٩: ١٧-٣٧). وفيما تتقارب الروايات الأربع بشأن دفن يسوع (مر ١٥: ٤٢-٤٧ وما يقابله)، ينفرد إنجيل متى بحلقة حراس القبر (٢٧: ٦٢-٦٦).

رواية القيامة بحسب الانجيليين الأربعة

✧ حراسة القبر ✧

متى ٢٧: ٦٢-٦٦	مرقس	لوقا	(يوحنا)
[٦٢] وفي الغد، أي بعد يوم التهيئة للسبت، ذهب عظماء الكهنة والفريسيون معاً الى بيلاطس (...).			
[٦٦] فختموا الحجر وأقاموا عليه حرساً			

✧ زيارة النساء الى القبر ✧

متى ٢٨: ١-٨	مرقس ١٦: ١-٨	لوقا ٢٤: ١-١١	يوحنا ٢٠: ١
[١] ولما انقضى السبت	[١] ولما انقضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومة طيباً ليأتين فيطيبنه.		
وطلع فجر يوم الأحد جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى	[٢] وعند فجر الأحد	[١] وعند فجر يوم الأحد	[١] وفي يوم الأحد جاءت مريم المجدلية
تنظران القبر	جئن الى القبر وقد طلعت الشمس	جئن الى القبر وهن يحملن الطيب الذي أعددنه	الى القبر عند الفجر والظلام لم يزل مخيماً
	[٣] وكان يقول بعضهن لبعض: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟		
[٢] فإذا زلزال شديد قد حدث، ذلك بأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء			
الى الحجر فدحرجه	[٤] فنظرن فرأين ان الحجر قد دُحرج وكان كبيراً جداً	[٢] فوجدن الحجر قد دحرج عن القبر	فرأت الحجر قد أزيل عن القبر
	[٥] فدخلن القبر	[٣] فدخلن فلم يجدن جثمان الرب يسوع	[١١ب] .. فانحنت نحو القبر
		[٤] وبينما هن في حيرة من ذلك	
	فأبصرن شاباً	إذ حضرهن رجلان	[١٢] فرأت ملاكين
وجلس عليه	جالساً عن اليمين		جالسين

متى	مرقس	لوقا	يوحنا
[٣] وكان منظره كالبرق			
ولباسه أبيض كالثلج	عليه حلة بيضاء	عليهما ثياب براقة	في ثياب بيض...
[٤] فارتعد الحراس			
خوفاً منه	فارتعبن	[٥] فخفن	
وصاروا كالأموات			
		ونكسن وجوههن نحو الارض	
[٥] فقال الملاك للمرأتين	[٦] فقال لهن	فقال لهن:	[١٣] فقالا لها:
لا تخافا أنتما	لا ترتعبن!		لماذا تبكين أيتها المرأة
أنا أعلم أنكما تطلبان	أنتن تطلبن	لماذا تبحثن عن	
يسوع المصلوب	يسوع الناصري المصلوب؟		
		الحي بين الأموات؟	
	انه قام		
[٦] إنه ليس ههنا	وليس ههنا	[٦] إنه ليس ههنا	فأجابتهما: أخذوا ربي
فقد قام		بل قام	
تعاليا فانظرا	وهذا هو		
الموضع الذي كان	المكان الذي كانوا		ولا أدري
قد وضع فيه	قد وضعوه فيه		أين وضعوه
			[١٧] قال لها يسوع:
[٧] وأسرعا في الذهاب	[٧] فاذهبن		"... اذهبي
الى تلاميذه وقولا لهم	وقلن لتلاميذه		الى اخوتي وقولي لهم:
	ولبطرس		
		اذكرن كيف كلمكن! إذ كان لا	
		يزال	
انه قام من بين الاموات			
وها هوذا يتقدمكم	انه يتقدمكم		
الى الجليل	الى الجليل	في الجليل	
فهناك ترونه	وهناك ترونه		
ها اني قد بلغتكما	كما قال لكم		
		[٧] فقال: يجب على ابن	
		الإنسان أن يسلم الى ايدي	
		الخاطئين ويصلب ويقوم في	
		اليوم الثالث	
			اني صاعد الى ابي وأبيكم
			والهي والهكم
		[٨] فذكرن كلامه	
[٨] فتركنتا القبر مسرعتين	[٨] فخرجن من القبر وهربن	[٩] ورجعن من القبر	
	لما اخذهن من الرعدة والدهش		
	ولم يقلن لأحد شيئاً		
وهما في خوف	لانهن كن خائفات		
وفرح عظيم			
وبادرتا تحملان البشرى			[١٨] فجاءت مريم المجدلية
		فأخبرن	وأخبرت

الى التلاميذ	الأحد عشر والآخرين جميعاً	التلاميذ
		بأن قد "رأيت الرب" وبانه
	بهذه الأمور كلها	قال لها ذاك الكلام
	[١٠] وهن مريم المجدلية	
	وحنة ومريم ام يعقوب وسائر	
	النسوة اللواتي معهن أخبرن	
	الرسل بتلك الأمور	
	[١١] فبدت لهم هذه الأقوال	
	أشبه بالهذيان!	

✧ بطرس والتلميذ الآخر الى القبر ✧

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ١٢	يوحنا ٢٠: ٢-١٠
			[٢] فاسرعت وجاءت الى سمعان بطرس والتلميذ الآخر (...)
		[١٢] غير أن بطرس قام	[٣] فخرج بطرس والتلميذ الآخر
		فأسرع الى القبر	[٤] وذهبا الى القبر يسرعان السير معاً (...)
		وانحنى فلم ير إلا اللفائف	[٦] فدخل القبر فأبصر اللفائف ممدودة (...)
			[٨] دخل ايضاً التلميذ الآخر... فرأى وآمن
			[٩] لم يكونا قد فهما... أنه يجب أن يقوم من بين الأموات
		فانصرف الى بيته متعجبا مما جرى	[١٠] ثم رجع التلميذان الى بيتهما.

✧ ترائي المسيح للمجدلية ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ١١-١٨
			[١١] أما مريم فكانت واقفة عند مدخل القبر تبكي (...)
			(...) [١٤] فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع.
			[١٥] فقال لها يسوع: لماذا تبكين ايتها المرأة وعمن تبحثين؟
			فظنت انه البستاني، فقالت له: سيدي إذا كنت أنت قد ذهبت به
			فقل لي أين وضعته وانا آخذه.
			[١٦] فقال لها يسوع: مريم! فالتفتت وقالت له بالعبرية: ربوني،
			أي يا معلّم.

✧ ترائي يسوع للنساء ✧

متى ٢٨: ٩-١٠	متى	مرقس	يوحنا
[٩] واذا بيسوع قد جاء			(٢٠: ١٧)
للقائهما فقال لهما: السلام			فقال لها يسوع:
عليكما!			
فتقدمتا وأمسكتا قدميه			لا تمسكيني...
ساجدتين له.	(٢٨: ٥-٧)	(١٦: ٦-٧)	
[١٠] فقال لهما يسوع	فقال الملاك للمرأتين	فقال لهن:	
لا تخافا	لا تخافا انتما...	لا ترتعبن...	
إذهبا فبلّغا اخوتي	اسرعا في الذهاب الى تلاميذه	اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس	بل اذهبي الى اخوتي

	وقولا لهم انه قام من بين الاموات،		فقولي لهم:
ان يمضوا الى الجليل فهناك يروني	وها هوذا يتقدمكم الى الجليل فهناك ترونه ها إني قد بلّغتكما	انه يتقدمكم الى الجليل وهناك ترونه كما قال لكم	اني صاعد الى ابي وابيكم...

✧ الجنود المرتشون ✧

متى ٢٨: ١١-١٥	مرقس	لوقا	يوحنا
[١١] وبينما هما ذاهبتان جاء بعض رجال الحرس الى المدينة (...)			
[١٣] قولوا أن تلاميذه جاءوا ليلاً فسرقوه ونحن نائمون (...)			
[١٥] فانتشرت هذه الرواية بين اليهود الى اليوم!			

✧ الترائي لتلميذي عماوس ✧

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ١٣-٣٥	يوحنا
		[١٣] وإذا باثنين منهم كانا ذاهبين في ذلك اليوم نفسه الى قرية اسمها عماوس (...)	
		[٣٥] (...) وكيف عرفاه عند كسر الخبز	

✧ الترائي للتلاميذ في اورشليم ✧

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ٣٦-٤٣	يوحنا ٢٠: ١٩-٢٠	يوحنا
	(٦: ٤٧)			(٢٠: ٢٦)
	وعند المساء (...)		[١٩] وفي مساء ذلك اليوم، يوم الأحد	وبعد ثمانية ايام
			كان التلاميذ في دار اغلقت ابوابها، خوفا من اليهود	كان التلاميذ في البيت مرة اخرى
		[٣٦] بينما هما يتكلمان		وكان توما معهم
	جاء اليهم		فجاء يسوع	فجاء يسوع
	عند آخر الليل ماشياً على البحر (...)			
				والأبواب مغلقة
		إذا به يقوم بينهم	ووقف بينهم	فوقف بينهم
		ويقول لهم: السلام عليكم	وقال لهم: السلام عليكم	وقال: السلام عليكم
		[٣٧] فأخذهم الفزع والخوف		
	ظنوه خيالا (...)	وظنوا أنهم يرون روحاً		
		[٣٨] فقال لهم:	[٢٠] قال ذلك	ثم قال لتوما
	واضطربوا	ما بالكم مضطربين		
		ولمَ ثارت الشكوك في قلوبكم؟		هات اصبعك الى هنا
		[٣٩] انظروا الى يديّ	واراهم يديه	فانظر يديّ.
		ورجليّ	وجنبه	وهات يدك وضعها في جنبي
	أنا هو لا تخافوا	انا هو بنفسي		

		ألمسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي		ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً
		[٤٠] قال هذا وأراهم يديه ورجليه		
		[٤١] غير أنهم لم يصدقوا من الفرح وظلوا يتعجبون	ففرح التلاميذ لمشاهدتهم الرب	(٢١: ٦)
		فقال لهم: أعندكم ههنا ما يؤكل؟		فقال لهم: أيها الفتيان، أمعكم شيء من السمك؟
		[٤٢] فناولوه قطعة سمك مشوي فأخذها وأكلها بمرأى منهم.		

✧ بعثة الرسل الشاملة ✧

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ٤٤-٤٩	أعمال	يوحنا
		[٤٤] ثم قال لهم: ذلك كلامي الذي قلته لكم		
		(...) [٤٥] حينئذ فتح اذهانهم ليفهموا الكتب	(١: ٨ب)	
		(...) [٤٨] وأنتم شهود على هذه الأمور	... وتكونون لي شهوداً في اورشليم وكل اليهودية.. والى أقاصي الأرض	
			(١: ٤)	
			أوصاهم الا يغادروا اورشليم بل ينتظروا	
		[٤٩] إني ارسل لكم ما وعد أبي به	موعد الآب الذي سمعتموه مني	
		فامكثوا في المدينة الى أن تلبسوا	(١: ٨أ) لكن الروح القدس ينزل عليكم	
		قوة من العلى	فتنالون قوة	

✧ مهمة الرسل ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ٢١-٢٣	يوحنا
			[٢١] فقال لهم ثانية: السلام عليكم	(١٧: ١٨)
			كما ارسلني الآب ارسلكم أنا ايضاً	كما ارسلتني الى العالم
			[٢٢] قال هذا ونفخ فيهم وقال لهم:	أرسلتهم الى العالم
(١٨: ١٨)			خذوا الروح القدس	
الحق اقول لكم: ما ربطتم في الارض يكون مربوطاً في السماء			[٢٣] من غفرتم لهم خطاياهم تغفر	
وما حللتم في الأرض حُلَّ في السماء			لهم ومن امسكتم عليهم الغفران	
			يمسك عليهم	

✧ الترائي للتلاميذ ولتوما ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ٢٤-٢٩
			[٢٤] على أن توما أحد الاثني عشر، ويقال له التوأم، لم يكن معهم حين جاء يسوع.
			فقال له سائر التلاميذ: رأينا الرب (...)
			[٢٨] أجابه توما: ربي وإلهي
			[٢٩] قال له يسوع: ألأنك رأيتني آمنت؟ طوبى للذين يؤمنون ولم يروا

✧ خاتمة أولى الإنجيل يوحنا ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢٠: ٣٠-٣١
			[٣٠] وأتى يسوع امام تلاميذه بآيات أخرى كثيرة لم تكتب في هذا الكتاب
			[٣١] وإنما كتبت هذه لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه.

✧ الترائي على جبل في الجليل: الرسالة الشاملة ✧

متى ٢٨: ١٦-٢٠	مرقس	لوقا	يوحنا
[١٦] وأما التلاميذ الأحد عشر، فذهبوا الى الجليل، الى الجبل الذي أمرهم يسوع ان يذهبوا إليه			
[١٧] فلما رأوه سجدوا له (...)			
[١٨] فدنا يسوع وكلمهم وقال: إني أوليتُ كل سلطان في السماء والأرض			
[١٩] فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمذوهم باسم الآب والابن والروح القدس			
[٢٠] وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به. وها أنذا معكم طوال الأيام الى نهاية العالم.			

✧ الترائي على بحيرة طبرية ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ١-٤
		(٥: ١-٧)	
			[١] وتراءى يسوع بعدئذ للتلاميذ مرة اخرى، وكان ذلك على شاطئ بحيرة طبرية (...)
		[٥أ] فأجاب سمعان: يا معلم تعبنا طوال الليل ولم نصب شيئاً	
		[١] ... وهو قائم على شاطئ بحيرة جناسرت	[٣] (...) ولكنهم لم يصيبوا في تلك الليلة شيئاً
		[٤] ولما فرغ من كلامه قال لسمعان: سر في العرض وأرسلوا شباككم للصيد...	[٤] فلما كان الفجر وقف يسوع على الشاطئ (...)
		[٥ب] ... ولكن على كلمتك ألقي الشبكة	[٦] فقال لهم: القوا الشبكة الى يمين السفينة فتجدوا،
		[٦أ] وفعلوا فأصابوا من السمك شيئاً كثيراً جداً...	فألقوها فإذا هم لا يقدرون على جذبها، لما فيها من سمك كثير (...)
		[٧] فأشاروا الى شركائهم في السفينة الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا كلتا السفينتين حتى كادتا تغرقان.	[٨] وأقبل التلاميذ الآخرون بالسفينة يجرون الشبكة بما فيها من السمك ولم يكونوا إلا على بعد نحو مئتي ذراع من البر (...)
		[٦ب] ... وكادت شباكهم تتمزق	(...) [١١] ولم تتمزق الشبكة مع هذا العدد الكثير (...)

✧ رد الإعتبار لبطرس. الإنذار باستشهاده ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ١٥-١٩
			[١٥] وبعد أن فطروا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا أتحبني؟ (...)
			[١٨] الحق الحق أقول لك: لما كنت شاباً (...)
			[١٩] ثم قال له إتبعني!

✧ مصير التلميذ الذي يحبه يسوع ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ٢٠-٢٣
			[٢٠] فالتفت بطرس (...)
			[٢١] وقال ليسوع: يارب وهذا ما شأنه؟ (...)
			[٢٣] فشاع بين الأخوة هذا القول: أن ذلك التلميذ لن يموت، مع أن يسوع لم يقل له أنه لن يموت
			بل: لو شئت أن يبقى الى أن آتي، فما لك وذلك!

✧ الصعود ✧

متى	مرقس	لوقا ٢٤: ٥٠-٥٣	أعمال	يوحنا
		[٥٠] ثم خرج بهم الى القرب من بيت عنيا	(١: ٩-١٢)	
		ورفع يديه فباركهم.		
		[٥١] وبينما هو يباركهم		
		إنفصل عنهم ورفع الى السماء	ولما قال ذلك رُفع بمرأى منهم، ثم حجبه غمام عن أبصارهم.	
		[٥٢] فسجدوا له	وبينما عيونهم شاخصة الى السماء (...)	
		ثم رجعوا الى أورشليم	من الجبل الذي يقال له جبل الزيتون (...) رجعوا الى أورشليم	
		وهم في فرح عظيم		
		[٥٣] وكانوا يلازمون الهيكل يباركون الله.		

✧ الخاتمة الثانية لإنجيل يوحنا ✧

متى	مرقس	لوقا	يوحنا ٢١: ٢١-٢٥
			[٢٤] هذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الأمور وهو الذي كتبها، ونحن نعلم أن شهادته صادقة
			[٢٥] وهناك أمور كثيرة أتى بها يسوع (...)

✧ خاتمة مرقس. الرسالة الشاملة ✧

متى	مرقس ١٦: ٩-٢٠	لوقا	يوحنا
	[٩] قام يسوع فجر الأحد فتراءى أولا لمريم المجدلية تلك التي أخرج منها سبعة شياطين	(٨: ٢) ... مريم المعروفة بالمجدلية وكان قد خرج منها سبعة شياطين	(٢٠: ١٨) فجاءت مريم المجدلية
	[١٠] فمضت وأخبرت الذين صحبوه، وكانوا في حزن ونحيب		وأخبرت التلاميذ
	[١١] فلما سمعوا أنه حي وأنها شاهدته لم يصدقوا		"قد رأيت الرب"
	[١٢] وبعد ذلك تراءى بهيئة أخرى لإثنين منهم كانا في الطريق ذاهبين الى الريف	(٢٤: ١٣) وإذا باثنين منهم كانا ذاهبين في ذلك اليوم نفسه الى قرية اسمها عماوس	
	[١٣] فرجعا وأخبرا الآخرين فلم يصدقوهما ايضاً	[٣٣] وقاما في تلك الساعة نفسها ورجعا الى أورشليم...	
	[١٤] وتراءى آخر الأمر للأحد عشر أنفسهم وهم على الطعام، فوبخهم لعدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين شاهدوه بعدما قام	فرويا ما حدث في الطريق... (لو ٢٤: ٣٦-٤٣)	(يوحنا ٢٠: ١٩-٢٠)
	[١٥] وقال لهم: اذهبوا (...)		
	(...) [١٩] وبعدما كلمهم الرب يسوع، رفع الى السماء وجلس عن يمين الله	(لو ٢٤: ٥١)	
	[٢٠] فذهب اولئك يبشرون في كل مكان والرب يعمل معهم ويؤيد كلمته بما يصحبها من الآيات.		

بمثابة خاتمة

... وكان لهذا الكتاب قصة!

قرائي الكرام،

.. وإذا بلغ بكم المطاف الى هذه الخاتمة، فيطيب لي عندها أن أتبنى كلمات الإنجيلي الرابع في خاتمة الفصل العشرين، وقد كشف عجزه عن الإصداء لكل ما قاله أو عمله يسوع، ممنّياً النفس بأن ذلك "القليل" الذي كُتب، فإنما كتب "لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه" (يو ٢٠: ٣١) -وتلك هي أعزُّ امنية لديَّ!

إلا اني، في ختام هذا الكتاب، لا أريد أن اخفي عليكم بأن عهدي بالدراسات البيبلية الحديثة لا يرقى إلى اكثر من ١٥ سنة! فلقد اتكببت على استخدام "دليل" الاب شربنتييه (في طبعته الاولى، بيروت، ١٩٨٣) في دورة دراسية أقيمت في كنيسة مار توما بالموصل، حول سفر أعمال الرسل (بين الأعوام ١٩٨٧-١٩٨٩)، كنت مع روادها الاوائل طالباً ومعلّماً! ومنذئذٍ بدأت ، لي ولهم، مسيرة كتابية لم ولن تتوقف..! ومع نشأة "دورة الدراسات الكتابية" (١٩٩١) التي امتدت على اربع سنوات دراسية، وضمت طلبة من الخريجين والجامعيين، من الشباب والكهول، ومن مختلف الطوائف (وقد تخرجت فيها دورتان)، راودتني فكرة وضع كتاب يغطي مؤلّف لوقا في جزئيه -وهو المنهج الدراسي للسنتين الاوليين - وسرعان ما اتسعت آفاق المشروع لتتمخض عن هذه القراءة المجددة للعهد الجديد..! وهكذا كان هذا الكتاب الذي اتمناه رفيقاً، لا لأعضاء الدورة الكتابية حسب، وانما للكثيرين من الذين لن يتاح لهم أن يتابعوا دورة منتظمة.. وسيكون لهم بمثابة شبه بديل!

ولن اكشف سرًّا إذا قلت بان مشروع الكتاب والمباشرة به تزامن مع نشوب "حرب الخليج" -لا بل إبان الاشهر الاولى منها- مع معاناتها التي لا تنسى!! فلقد كانت للحرب انعكاساتها السلبية، واحدها تقلّص اعداد مجلة "الفكر المسيحي" التي حملت، مع اخوتي

"كهنة يسوع الملك"، مشعلها طيلة ٣٠ عاماً (١٩٦٤-١٩٩٤) -وقد اتاح لي هذا التقليص أن أمضي قُدُما في البدء بتحقيق المشروع! ويكفي ان اقول باني خلال خمس سنوات (١٩٩١-١٩٩٥)، وعلى فترات متباعدة -وكانت اغزرها انتاجا فترات "الاعتكاف" الموسمية في سدّ الموصل!-، لم استطع ان ادبج سوى الفصول الخمسة الاولى..! ولا عجب إذا ما ترك تقطّع فترات الكتابة فجوات كثيرة.. مما حتّم عليّ البحث عن سنة تفرّغ تكون بمثابة سنة "سبتية"، أركُنُ فيها إلى التجدد والارتواء من الينابيع.. ويتاح لي فيها أن اواصل العمل في الكتاب، فاجعل تواصلاً ووحدة في فصوله...

وفي العام الدراسي ١٩٩٦-١٩٩٧ انسحبت من ساحة النشاطات الكهنوتية لسنة "اعتكاف"، كان من المفروض ان اعيشها في بلجيكا -لو لم يمسّني "قَدَر" سمة الدخول الذي طالني كما طال ويطال مواطنيّ بسبب الحصار المفروض على العراق! فكانت مرحلة عصيبة في الاردن حيث أتممتُ، خلال شهرين، في ظل عنجرة وعمان، موضوع القيامة الدسم الذي امتد على فصلين (٧ و ٨)! اما الفصل السادس (مدخل إلى اسفار العهد الجديد) الذي فرضته الضرورة، والفصل التاسع حول روايات الآلام في ضوء القيامة، فكان انجازهما في لبنان، في ربوع دير مار اشعيا المضياف للرهبان الانطونيين الذين أكنُّ لهم كل الحب والتقدير.. فضلاً عن إعادة شاملة لبنية الفصول الاولى واجراء الاضافات الهامة والتنقيحات الاساسية عليها، وأخص بالذكر "الإطارات" التي أغنت الفصول بمعلومات بيبلية دسمة، دون أن تثقلها -وقد وضعت قسماً منها، فيما اقتبست القسم الآخر وأثبتُ مصادرها... وامتد هذا العمل الحثيث على فترة اكثر من خمسة اشهر، واستكمل خلال الاربعين يوماً الاخيرة من السنة السبتية، حيث عشتُ في شركة لا تُنسى مع الجماعة الرهبانية بدير القيامة (فاريا - شبروح)..! وكانت قمة الخير، حين اتيح للمسودات الاولى ان تنتقل، وبغناء كبير، إلى اسطوانة الحاسوب، بهمة من شاء، وبطيب الخاطر، ان يقدّم لي مشكوراً، هذه الخدمة الجليلة -جازاه الله!

وفي سياق هذا العمل المضني والممتع معاً -وقد كان أشبه بمخاض!- على مدى تسعة اشهر بالتمام (!) وبمعدل ثماني ساعات في اليوم -اكثر من ٢٠٠٠ ساعة!- لَكم عرفت فصول الكتاب التسعة من تطور في البنية والطرح والمعالجة، قبل ان تستقر هيكليتها.. وما كان ليبصر النور لو أصررت على مواصلة عملية التطوير والتعميق والتوسيع والتدقيق ..! فلئن كان فيه، هنا او هناك، بعض الضعف او الخلل في الطرح أو المعالجة أو البنية.. ولئن كانت هناك تكرارات أو أوجه لم تُستوفَ او جوانب لم تُطرَق.. فان ما يشفع فيه هو انني أردته لا يتوجّه إلى الراسخين في العلم (!) وانما أن يكون في متناول القراء عامة -ويهمّني كثيرا ألا يعتبروا الدراسات والابحاث الكتابية وقفاً على بعض المعنيين بها من الكهنة او العلمانيين المحظوظين!! وهو بالكاد تحاشى الطرح التقني العسير والمفردات "العلمية"، من دون ان يقع، مع ذلك، في السطحية او الابتذال... ويكفيه ان يكون "دليلاً" لهم إلى "قراءة مجددة" لاسفار العهد الجديد في ضوء العلوم البيبلية، ويحرّك لديهم الرغبة في البحث عن المزيد، عبر دراسات أكثر تخصصاً!

تلك هي قصتي مع هذا الكتاب! لم اسردها للتباهي بالساعات الطوال التي صرفتها بطيب الخاطر في خدمة قراء لَكم تراقصت اسماؤهم في ذاكرتي.. فضلاً عن قراء جدد سيُقبلون عليه "عن كلامهم"! -ويهمّني ان يكونوا كثرا اولئك الذين يشقُّون السبيل إلى هذه "القراءة المجددة"-، وانما سردتها للنكهة.. قاصّاً مخاض كتاب ما إن "وُلد" حتى نسيت شدّتي (يو ١٦: ٢١)! ولَكم سيسعدني ان يسهم في نموّ ايمان مستنير في قلوب كل الذين سيجازفون السير، بثقة وجَلَد، للقاء المسيح الحي على الطريق..! وحينذاك يمسي ايمانهم "قضية حب"، وتصبح خبرتهم الايمانية شهادة حية لذاك الذي "أقامه الله.. وجعل كل شيء تحت قدميه، ووهبه لنا، فوق كل شيء، رأساً للكنيسة، وهي جسده وملء ذاك الذي يمتلىء تماماً بجميع الناس" (أف ١: ٢٠ ت)...

جـ. ع.

دير القيامة/ لبنان - في ١٥ آب ١٩٩٧

الفهرس

إهداء

مقدمة: رأيت أنا ايضاً

الفصل الاول : مفتاح لقراءة النصوص الكتابية

مدخل ١١

اولاً: نحن امام نصوص ١٣

١- ومن ثم نفهم! ١٥

٢- بين الواقع والصحيح! ١٨

٣- نؤمن كي نرى ونفهم: ٢١

ثانياً: امام نصوص تخضع للبحث ٢٤

١_ البحث عن معنى النص: ٢٤

٢-من اجل دراسة النص: طريقتان للتحليل ٢٧

أ- التحليل التاريخي النقدي: ٢٩

ب- التحليل البنيوي: ٣٢

ثالثاً: من اجل دراسة نص ٣٤

١- ادوات العمل ٣٥

٢- دليل الى القراءة الكتابية: ٣٨

أ- القواعد السبع : ٣٨

ب- نموذجان: معجزة ورواية ٤١

• يسوع يلتقي مقعدا ٤١

•رواية القيامة بحسب لوقا ٤٥

بمثابة خاتمة ٥٣

الفصل الثاني: بيئة العهد الجديد

مدخل ٥٥

اولاً: الامبراطورية الرومانية ٦١

١- امبراطورية في اوج عزها ٦٣

أ- اللغة ٦٤

ب - طرق المواصلات وحالة السكان ٦٤

جـ- الشؤون الادارية والقضائية ٦٥

د- اليهود والمسيحيون ٦٧

ثانياً: فلسطين في زمن يسوع ٧٠
١- جغرافية فلسطين ٧٠
٢- الحالة السياسية ٧٢
٣- الحالة الاقتصادية ٧٥
٤- الحالة الاجتماعية ٧٦
أ- الكهنة ٧٧
ب- الشيوخ ٧٨
جـ- الكتبة او معلمو الناموس ٧٨
د- العشارون ٧٨
٥- الحالة الدينية ٧٩
أ- الفئات الدينية: (الحسيديم، الفريسيون، الاسينيون، الصدوقيون) ٧٩
ب- الحركات والكتل: (الحركات المعمذانية، السامريون، الهيرودسيون، الغيورون، الوثنيون) ٨٤
جـ- الموسسات اليهودية: (الهيكل، المجلس، المجامع، السبت والأعياد) ٨٧

الفصل الثالث: مراحل تكوين العهد الجديد

مدخل ٩٥
أولاً: الايمان الفصحي، نقطة الانطلاق ٩٧
١- المسيحيون من أصل يهودي ٩٩
٢- المسيحيون من اصل وثني ١٠٢
٣- مكانة القديس بولس في الكنيسة الناشئة ١٠٦
ثانياً: من يسوع الى الاناجيل ١٠٨
١- مرحلة يسوع الناصري ١٠٩
٢- المرحلة الشفهية للاناجيل ١١٦
أ- البيئة الاعلانية (الكرازة) ١١٩
ب- البيئة الليتورجية (التكريم والعبادة) ١٢٣
جـ - البيئة التعليمية (التعليم المسيحي !) ١٢٥
٣- مرحلة تدوين الاناجيل ١٣٠
أ- اربعة مؤلفيـــن (متى، مرقس، لوقا، يوحنا) ١٣١
ب- اربع شهادات متميزة ١٣٧

الفصل الرابع: الإنجيل والأناجيل.. فنون ادبية

مدخل ١٤٧
أولاً: الأنجيل فن أدبي ١٤٨
١- مرقس، مبتكر الفن الادبي "انجيل" ١٥٢
٢- شهادة وليست صورة ليسوع ١٥٧

ثانياً: الفنون الأدبية في الأناجيل ١٦٠
١ – القوالب/ الروايات ١٦٢
أ- رواية المعجزات ١٦٢
ب- المناظرات والجدالات ١٦٥
جـ- الحكمة المحاطة باطار ١٦٦
٢-القوالب / الاقوال ١٦٧
أ- المثـــل ١٦٧
ب- الدعوة او النداء ١٧٠
جـ- الخطب ١٧١
د- الاقوال العائمة ١٧٢
٣-الاساليب الادبية ١٧٢
أ- الاسلوب "الكرازي" ١٧٣
ب- الاسلوب التعليمي ١٧٤
جـ- الأسلوب التحليلي ١٧٥
د- الاسلوب الرؤيوي ١٧٧
٤- اسلوب "انجيل الطفولة" ١٨١
أ- انجيل الطفولة بحسب متى ١٨٣
ب-انجيل الطفولة بحسب لوقا ١٨٦

الفصل الخامس: المسألة الازائيـــة

مدخل ١٩٩
اولا: معطيات المسألة الازائية ٢٠٠
١ – التوافق والاختلاف بين الازائيين ٢٠١
أ- ما بين إنجيلي وإنجيلي على صعيد الترتيب ٢٠١
ب- ما بين إنجيلي وإنجيلي على صعيد المضمون ٢٠٣
٢ – نظريات في المسألة الازائية ٢٠٤
أ- نظرية العلاقات المتبادلة والمباشرة بين الانجيليين ٢٠٦
ب- نظرية المصدَرَين ٢٠٦
جـ- نظرية المصدرين المصححة ٢٠٨
د- نظرية المصادر المتعددة والمراحل المتوسطة ٢٠٩
ثانيا: دراسة نصوص ازائية ٢١٤
١ – معجزة "تسكين العاصفة" ٢١٤
أ- رواية مرقس ٢١٧
ب - رواية لوقا ٢١٨
جـ -رواية متى ٢١٩
٢ – مثل "الكرامين القتلة" ٢٢١
أ- المثل على لسان يسوع ٢٢٤

ب- المثل على لسان الجماعة المسيحية ٢٢٤
جـ - المثل بقلم الإنجيليين ٢٢٦
٣- روايات "تأسيس الافخارستيا" ٢٢٧
أ- نصوص من نتاج الجماعات المسيحية ٢٢٨
ب- نصوص التأسيس.. في مناخ العشاء الاخير ٢٣٠
جـ - معاني الافخارستيا وابعادها ٢٣٤
ثالثا: الازائية الثنائية (متى ولوقا) ٢٣٨
١- مثل الوزنات/ الامناء ٢٣٩
٢- التطويبات ٢٤٤
أ- التطويبات بحسب لوقا ٢٥٠
ب- التطويبات بحسب متى ٢٥١
٣- الصلاة الربية ٢٥٣
أ- النداء: "ابّا"، ايها الاب الحبيب ٢٥٩
ب- الامنيتان المتوازيتان: لِيُقدَّسْ إسمُك، لِيأتِ ملكوتُك ٢٦٠
جـ- الالتماسان المتوازيان: الخبز والغفران ٢٦١
د- الالتماس الاخير: ولا تَدَعنا نسقط في التجربة ٢٦٣

الفصل السادس: مداخل إلى اسفار العهد الجديد

مدخل ٢٦٧
اولاً: مدخل عام الى الاسفار ٢٦٨
ثانياً: قراءة في رسائل القديس بولس ٢٧٤
١- رجاء ملكوت الله ٢٧٩
أ- الرسالة الاولى الى تسالونيقي ٢٨٠
ب- الرسالة الثانية الى تسالونيقي ٢٨١
٢- الخلاص بيسوع المسيح في الكنيسة (الرسائل الكبرى) ٢٨١
أ- الرسالة الاولى الى قورنتس ٢٨٢
ب- الرسالة الثانية الى قورنتس ٢٨٤
جـ- الرسالة الى اهل غلاطية ٢٨٥
د- الرسالة الى اهل روما ٢٨٦
هـ - الرسالة الى اهل فيلبي ٢٨٩
٣- يسوع المسيح سيد العالم (رسائل الأسر) ٢٩٠
أ- الرسالة الى اهل قولسي ٢٩٠
ب- الرسالة الى افسس ٢٩٢
جـ - الرسالة الى فيلمون ٢٩٤
٤- الوصايا الاخيرة (الرسائل الراعوية) ٢٩٤
أ- الرسالة الثانية الى طيموتاوس ٢٩٦
ب- الرسالة الاولى الى طيموتاوس ٢٩٧

جـ - الرسالة الى طيطس ٢٩٧
ثالثاً: قراءة في الرسالة الى العبرانيين والرسائل العامة ٢٩٨
١- الرسالة الى العبرانيين ٢٩٨
٢- الرسائل العامة ٣٠١
أ- رسالة بطرس الاولى ٣٠٢
ب- رسالة يعقوب ٣٠٣
جـ - رسالة يهوذا ٣٠٥
د- رسالة بطرس الثانية ٣٠٥
رابعاً: قراءة في بشارة الانجيليين ٣٠٧
١- الاناجيل الازائية ٣٠٧
أ- قراءة في الانجيل كما رواه مرقس ٣٠٧
ب- قراءة في الانجيل كما رواه متى ٣١١
جـ - قراءة في مؤلف لوقا: الانجيل واعمال الرسل ٣١٦
٢- المؤلفات اليوحنانية ٣٢٩
أ- قراءة في الانجيل بحسب يوحنا ٣٣٠
ب- رسائل يوحنا الثلاث ٣٣٦
جـ- سفر الرؤيا: ٣٤٠

الفصل السابع: قيامة المسيح.. حقيقة ايمانية

مدخل ٣٥١
اولاً: الحياة والموت في تاريخ شعب العهد القديم ٣٥٣
١- من الخروج الى الجلاء ٣٥٣
٢- محنة الجلاء ٣٥٥
٣- من بعد الجلاء وحتى اضطهاد السلوقيين ٣٥٦
أ- "رفع" ابن الانسان (دا ٧: ١-٢٧) ٣٥٨
ب- "قيامة" القديسين ٣٥٩
ثانياً: القيامة في زمن يسوع ٣٦٣
١- فكرة يسوع عن القيامة ٣٦٣
٢- يسوع ازاء موته ٣٦٥
٣- التلاميذ إزاء موت يسوع وقيامته ٣٦٨
ثالثاً: قيامة يسوع في ايمان المسيحيين الاولين ٣٧٤
١- مضمون بشرى القيامة ٣٧٥
٢- المناداة بحقيقة القيامة ٣٨١
أ- حدث يسوع: ٣٨٤
ب- تفسّره الكتب المقدسة ٣٨٤
جـ- وهو ينادينا (التوبة) ٣٨٤
٣- صيغ التعبير عن القيامة: ٣٨٦

أ- الله "أقام" يسوع ٣٨٨
ب- "أُعيد" يسوع الى الحياة بالروح ٣٨٩
جـ- الله "رفع" او "مجّد" يسوع ٣٩٠
٤- اولى الشهادات الايمانية عن القيامة: ٣٩٢
أ- أقدم قانون ايمان (١ قور ١٥: ١-١١) ٣٩٢
ب- نشيد للمسيح الممجَّد (فل ٢: ٦-١١) ٣٩٥
٥- خبرة القيامة في حياة بولس ورسائله: ٣٩٧
أ- خبرة الترائي على طريق دمشق ٣٩٨
ب- حياتي هي المسيح ٤٠٠
جـ- المسيح بكر الاموات ٤٠٢
الخلاصة ٤٠٧

الفصل الثامن: قيامة المسيح في الروايات الانجيلية

مدخل ٤١١
اولاً: روايات القيامة في الاناجيل ٤١١
١- موقع روايات القيامة في سياق الاناجيل ٤١٣
٢-روايات متباينة في تفاصيلها ٤١٦
ثانيا: تحليل الروايات الانجيلية ٤٢١
١- رواية القيامة بحسب انجيل مرقس (١٦: ١-٨) ٤٢١
أ- طريق يسوع ٤٢٢
ب- وحي القيامة ٤٢٥
جـ - ... ويبقى "السر" قائماً ٤٢٦
٢- رواية القيامة بحسب انجيل متى (٢٨: ١-٢٠) ٤٢٨
أ - القبر الفارغ ٤٢٨
ب- حراس القبر ٤٢٩
جـ - الترائي للمرأتين ٤٣١
د- الترائي للاحد عشر ٤٣١
٣- رواية القيامة بحسب انجيل لوقا (٢٤: ١-٥٣) ٤٣٣
أ- زيارة النساء وبطرس إلى القبر(آ١-١٢) ٤٣٤
ب- رواية تلميذي عماوس (آ ١٣- ٣٥) ٤٣٧
جـ- الترائي للأحد عشر (آ ٣٦-٥٣) ٤٤٠
٤- رواية القيامة بحسب انجيل يوحنا (٢٠: ١-٣١) ٤٤٤
أ- القبر الفارغ (آ ١-١٠) ٤٤٥
ب- الظهور للمجدلية (آ١١-١٨) ٤٤٥
جـ- الترائي للتلاميذ ٤٤٧
ثالثا: القيامة في حياتنا ٤٥٢

الفصل التاسع: روايات الآلام بحسب الانجيليين

مدخل ٤٥٩

أولاً: تكوين نص الرواية ٤٦٠

١- الآلام.. طريق المجد ٤٦١

٢- ميزات روايات الآلام ٤٦٣

٣- الروايات الازائية ٤٦٦

أ- مرقس: اعلان الاحداث (ف ١٤- ١٥) ٤٦٧

ب- متى: رواية كنسية وتعليمية (ف ٢٦-٢٧) ٤٦٧

جـ- لوقا: تعلق التلميذ (ف ٢٢-٢٣) ٤٦٧

ثانيا: روايات الآلام بحسب الاناجيل الاربعة ٤٦٨

١- رواية الآلام بحسب انجيل مرقس ٤٧٢

أ- توقيف يسوع (١٤: ٤٣-٥٢) ٤٧٢

ب- المحاكمة اليهودية امام المجلس (١٤: ٥٣-١٥: ١) ٤٧٣

جـ- المحاكمة الرومانية امام بيلاطس (١٥: ٢-٢٠) ٤٧٤

د- الجلجلة والصلب (١٥: ٢١-٣٩) ٤٧٥

هـ- دفن يسوع (١٤: ٤٠-٤٧) ٤٧٧

٢- رواية الآلام بحسب انجيل متى ٤٧٧

أ- اعتقال يسوع (٢٦: ٤٧-٥٦) ٤٧٨

ب- المحاكمة اليهودية امام المجلس (٢٦: ٥٧-٧٥) ٤٧٩

جـ- المحاكمة الرومانية امام بيلاطس (٢٧: ١١-٢٦) ٤٨٠

د- الجلجلة والصلب (٢٧: ٢٧-٥٤) ٤٨١

هـ- دفن يسوع (٢٧: ٥٥-٦٦) ٤٨٢

٣- رواية الآلام بحسب انجيل لوقا ٤٨٣

أ - اعتقال يسوع (٢٢: ٤٧-٥٣) ٤٨٥

ب- المثول امام مجلس اليهود (١٤: ٥٤-٧١) ٤٨٥

جـ- المثول امام بيلاطس وهيرودس (٢٣: ١-٢٥) ٤٨٧

د - الجلجلة والصلب (٢٣: ٢٦-٤٨) ٤٨٨

هـ- دفن يسوع (٢٧: ٤٩-٥٦) ٤٩٠

٤ - رواية الآلام بحسب انجيل يوحنا ٤٩١

أ- اعتقال يسوع (١٨: ١-١١) ٤٩٥

ب- مثول يسوع امام حنان (١٨: ١٢-٢٧) ٤٩٦

جـ- يسوع امام بيلاطس (١٨: ٢٨-١٩: ١٦أ) ٤٩٧

د- صلب يسوع (١٩: ١٦ب-٣٧) ٥٠١

هـ- دفن يسوع (١٩: ٣٨-٤٢) ٥٠٤

ملحق: إزائية روايات الآلام والقيامة ٥٠٧

بمثابة خاتمة: وكان لهذا الكتاب قصة ٥٢٥

الإطارات بحسب الفصول

• الفصل الاول:

١- الاساليب الادبية في الكتاب المقدس ١٧
٢- ما هو الحدث التاريخي؟ ٢١
٣- ما هي كلمة الله؟ ٢٢
٤- مراحل في علم التفسير البيبلي ٢٦
٥- الكنيسة والدراسات البيبلية ٣١
٦- علبة ادوات العمل ٣٦

• الفصل الثاني:

٧- اسفار العهد الجديد ٥٦
٨- "تنخ" (توراة، انبياء، كتب) ٥٧
٩- اسفار العهد القديم ٥٨
١٠- الترجمة السبعينية ٦٠
١١- نظرات إلى العالم اليوناني والروماني ٦٣
١٢- مدرسة فريسيي يمنيا ٦٨
١٣- الاسفار القانونية (العهد القديم) ٦٩
١٤- الموازين والمقاييس والمكاييل والنقود ٧٦
١٥- التيار الرؤيوي في زمن يسوع ٨٣
١٦- جدول بالاحداث التاريخية الكبرى ٩٢

• الفصل الثالث:

١٧- وجه يسوع في فكر بولس ١٠٥
١٨- وثائق تاريخية عن يسوع ١١٥
١٩- "يجب أن ..." ١١٩
٢٠- الدياطسّرون : اربعة في واحد ١٣٨
٢١- وجه يسوع في انجيل مرقس ١٤١
٢٢- وجه يسوع في انجيل متى ١٤٢
٢٣- وجه يسوع في مؤلّف لوقا ١٤٣
٢٤- وجه يسوع في مؤلفات يوحنا ١٤٤

• الفصل الرابع:

٢٥- الغنوصية ١٤٩
٢٦- الاناجيل المنحولة ١٥١
٢٧- الصفة التاريخية للاناجيل ١٥٣
٢٨- مستويات تفسير كلمات يسوع ١٥٩
٢٩- البُعد الآني لأخبار المعجزات ١٦٣
٣٠- الامثال في طبقات التقليد الكنسي ١٦٩
٣١- الالوان والارقام والصور في الأدب الرؤيوي ١٧٨
٣٢- "ابن الانسان" ١٨٠
٣٣- "ابن الله" ١٨٦
٣٤- ضرورة العهد القديم لفهم العهد الجديد ١٨٩

• الفصل الخامس:

٣٥- تاريخ النظريات الازائية ٢٠٥
٣٦- اولوية مرقس ٢٠٧
٣٧- معجزات الاناجيل ٢١٥
٣٨- مثل الكرامين القتلة: تعبير مجازي ٢٢٨
٣٩- عشاء وداع... عشاء طقسي ٢٣٧
٤٠- منابع الافخارستيا ٢٤٠
٤١- الترجمات العربية للكتاب المقدس ٢٦١

• الفصل السادس:

٤٢- نص العهد الجديد ٢٦٩
٤٣- قانون العهد الجديد ٢٧٣
٤٤- محطات في حياة بولس الرسول ٢٧٦
٤٥- نموذج لهيكلية رسائل بولس ٢٧٨

• **الفصل السابع:**

٤٦- الانسان الكتابي كله في الارض ٣٥٥

٤٧- الاسفار المنحولة

في العهد القديم ٣٥٨

٤٨- "إله حق وانسان حق" ٣٦٤

٤٩- قام "في اليوم الثالث"

كما في الكتب ٣٦٩

٥٠- ملكوت الله قد حلّ ٣٧٠

٥١- ثلاثة من الموتى... ٣٧٦

٥٢- معنى قيامة يسوع ٣٧٩

٥٣- معنى "الترائي" ٣٩٨

٥٤- بولس يواجه موته الشخصي ٤٠٥

• **الفصل الثامن :**

٥٥- خاتمة انجيل مرقس ٤١٧

٥٦- اختلافات في روايات القيامة ٤١٩

٥٧- القيامة في "انجيل بطرس" المنحول ٤٣٠

٥٨- يسوع حي: جسم روحاني ؟ ٤٤١

٥٩- "صعود" يسوع في الانجيل

واعمال الرسل ٤٤٣

٦٠- الفصل ٢١ من انجيل يوحنا ٤٥١

٦١- القيامة دعوة إلى الالتزام ٤٥٥

• **الفصل التاسع :**

٦٢- آلام يسوع في ضوء القيامة ٤٦٥

٦٣- ساعة يسوع : الجتسمانية ٤٧١

٦٤- ميزات رواية لوقا ٤٨٤

ملاحظة:

وكان لابد أن نقرن النص بالصور، وكثير منها ينطق بذاته! ولقد اخذنا قسماً منها -ونحن شاكرون- عن:

- الارض المقدسة: الأب موسى الحاج -الرهبانية الأنطونية، بيروت ١٩٩٧.
- المرشد الى الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس/ مجلس كنائس الشرق الاوسط ١٩٩٦.
- أعداد من "ملفات الكتاب المقدس" (Les Dossiers de la Bible)

للمزيد

في "سلسلة دراسات في الكتاب المقدس" (دار المشرق – بيروت) صدر ٣٠ جزءً من الأبحاث لمؤلفين من ذوي الاختصاص في الكتاب المقدس، عرفوا كيف يضعون حصيلة البحوث الرصينة في متناول القراء. نثبت ابرز ما نشر منها حول العهد الجديد:

١. اضواء على أناجيل الطفولة
٣. المعجزات في الإنجيل
٤. المسيح قام
٥. رسالة التطويبات
٦. رؤيا القديس يوحنا
٧. قراءات في إنجيل يوحنا
٨. أعمال الرسل
١٠. الموت والحياة في الكتاب المقدس
١١. دراسة في الرسالة الى العبرانيين
١٢. دراسة في الإنجيل كما رواه متى
١٤. دليل الى قراءة الإنجيل كما رواه مرقس
١٥. دراسة في الإنجيل كما رواه لوقا
١٧. مدخل الى رسائل القديس بولس
١٨. تكوين الأناجيل
٢١. من الأناجيل الى الإنجيل
٢٣. رسالتا بطرس
٢٦. المزامير ويسوع، يسوع والمزامير
٢٩. مريم بحسب الأناجيل
٣٠. المسيح والنبوات

نثبت هنا بعض ابرز الكتب البيبلية، الحديثة نسبياً، التي هي في متناول القارئ:

- دليل الى قراءة الكتاب المقدس: الأب اسطفان شربتتييه – ط ٣/ دار المشرق، بيروت ١٩٩٠.
- معجم اللاهوت الكتابي – طبعة ٢/ دار المشرق، بيروت ١٩٨٨.
- إزائية الأناجيل الأربعة (إعداد: بولس الفغالي، نعمة الله خوري، يوسف فخري)/ الرابطة الكتابية، بيروت ١٩٩٦.
- ايام ابن الإنسان: الأب بولس الياس اليسوعي/ دار المشرق، بيروت ١٩٩٦.
- يسوع كما في متى: فكتور حداد/ المكتبة البولسية، بيروت ١٩٨٠.
- يسوع كما في مرقس: الفرد هافنت وجوزف هليط/ المكتبة البولسية، بيروت ١٩٨١.
- في مهب الروح: الأب فرنسيس يوسف المخلصي/ بغداد ١٩٨٢.
- الصلاة الربية: الأب فرنسيس يوسف المخلصي/ بغداد ١٩٨٤.
- أقوال يسوع (العظة على الجبل – الصلاة الربانية): ي. حرمياس/ بغداد ١٩٨٦.
- دليل الى قراءة العهد الجديد: الأب افرام سقط/ بغداد ١٩٨٧.
- المعجزات: الأب فرنسيس يوسف المخلصي/ بغداد ١٩٨٨.
- دراسات إنجيلية: كسافييه ليون – دفور، ج١/ بغداد ١٩٨٨.
- أمثال يسوع: يواكيم حرمياس/ بغداد ١٩٨٩.
- مرقس على لسان يسوع (١): الأب منصور المخلصي/ بغداد ١٩٩٠.
- مرقس على لسان يسوع (٢): الأب منصور المخلصي/ بغداد ١٩٩١.
- البشارة بحسب إنجيل لوقا: كارلو مارتيني/ بغداد ١٩٩٤.

للمطالعة

● **فيما نشر الخوري بولس الفغالي - رئيس الرابطة الكتابية في اقليم الشرق الأوسط التابع للإتحاد البيبلي الكاثوليكي- سلسلة من الدراسات في العهد القديم تحت عنوان "المجموعة الكتابية"، نشر في سلسلة بعنوان "دراسات بيبلية" مجموعة اخرى من الدراسات في العهد الجديد، وهذه عناوينها:**

١. القراءة المسيحية للعهد القديم
٢. إنجيل يوحنا، دراسات وتأملات
٣. إنجيل لوقا، ظهور الكلمة والرسالة في الجليل
٤. الأناجيل الإزائية: متى، مرقس، لوقا
٥. تعرف الى العهد الجديد مع شهود عديدين
٦. اعمال الرسل: مقدمات، دراسات، تأملات، أبحاث
٧. تعرف الى العهد القديم مع الآباء والأنبياء
٨. إنجيل مرقس: بشارة يسوع المسيح
٩. إنجيل لوقا: صعود يسوع الى أورشليم
١٠. أعمال الرسل: عنصرة كل العصور
١١. رؤيا القديس يوحنا
١٢. إنجيل مرقس: يسوع ابن الله
١٣. إنجيل لوقا: يسوع في أورشليم - الآلام والقيامة
١٤. إنجيل متى: بدايات الملكوت/ الجزء الأول
١٥. سفر الرؤيا بين الأمس واليوم
١٦. إنجيل متى: سر الملكوت/ الجزء الثاني

● **في سلسلة "كلمة الله" (منشورات الرسل/ لبنان) نشر الخوري بولس الفغالي دراسات في العهد الجديد:**

١. رسالة القديس بولس الأولى الى أهل كورنتوس
٢. رسالة القديس بولس الثانية الى أهل كورنتوس
٣. رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية

● **وفي سلسلة "محطات كتابية" (الرابطة الكتابية):**

١. الإنجيل قدرة الله: الرسالة الى الرومانيين
٢. رسالة القديس بولس الى اهل افسس
٤. رسالة القديس بولس الى اهل فيليبي
٥. رسالة القديس بولس الأولى الى اهل تسالونيكي
٧. رسالة القديس بولس الثانية الى اهل تسالونيكي
٨. الإيمان - سر الخلاص
٩. رسالتا يعقوب ويهوذا الى الكنيسة الجامعة
١٢. الآيات والمعجزات في الكتاب المقدس
١٣. الروح القدس، روح الله

● **أما في سلسلة "القراءة الربية"، فقد نشر الكتب التالية حول العهد الجديد:**

١. من القراءة الى التأمل مع القديس متى
٢. يسوع المسيح ابن الله مع القديس مرقس
٣. يسوع الرب والمخلص مع القديس لوقا
٤. يسوع كلمة الله مع القديس يوحنا
٥. إنجيل يوحنا: كتاب الآيات
٦. إنجيل يوحنا: كتاب الآلام والمجد

طبع بموجب موافقة وزارة الثقافة والاعلام
المرقم ٦٨٦ في ١٩٩٧/٩/٢٣

أنجزت مطبعة الديوان (بغداد)

طبع هذا الكتاب في الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني ١٩٩٩

التوزيع:

مركز الدراسات الكتابية: كنيسة مار توما – الموصل

(يطلب من المكتبات في الكنائس)